



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى محمد بن سعود لله  
مركز البحوث

بحوث أسبوع الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

(جزأين)

٢١٩٨٣ - ١٤٠٣ هـ



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة الملك فهد للبترول والمعادن  
مركز البحوث

بحوث أسبوع الشيخ

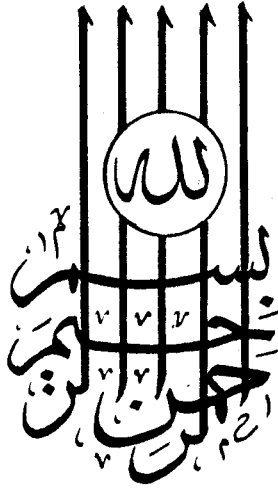
محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

الجزء الأول

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م





الآراء الواردة تعبر عن وجهة نظر أصحابها



# فهرس الجزء الأول

## (المحتويات)

الموضوع	الصفحة
مقدمة معالى مدير الجامعة .....	٩
معلومات عن أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب .....	١٩
(حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية) .....	٣٥
١ - محمد بن عبد الوهاب ودعوته إلى التوحيد .....	٣٧
للدكتور التهامى نقرة .....	
عقيدة التوحيد .....	٣٩
دعوة الإسلام إلى التوحيد .....	٤٢
خطر فساد العقيدة .....	٤٦
محمد بن عبد الوهاب .....	٤٩
دعوته إلى التوحيد من خلال مؤلفاته .....	٥٥
٢ - الإمام محمد بن عبد الوهاب فى مدينة الموصل .....	٧٣
للواء الركن محمود شيت خطاب	
٣ - الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب .....	٩١
للدكتور عبدالله بن صالح العثيمين	
الرسائل من حيث الصحة .....	٩٣
أسلوب الرسائل .....	٩٧
الرسائل والظروف المحيطة بالدعوة .....	١٠١
الحالة الدينية فى نجد عند ظهور دعوة الشيخ .....	١٠١

١٠٤	..... حالة البادية
١٠٥	..... بدء الدعوة في نجد
١٠٧	..... أسلوب الدعوة
١٠٨	..... المعارضة النجدية
١١٣	..... علماء الاحساء والدعوة
١١٤	..... الأشراف والدعوة
١١٧	..... ٤ - حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية لفضيلة الشيخ اسماعيل محمد الأنصاري
١١٩	..... مجدد القرن الثاني عشر
١٢٠	..... ولادته ونشأته
١٢١	..... مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٣١	..... من ثناء أهل العلم على الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٤٠	..... تلامذة الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٤٤	..... مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب إلى ما عليه السلف
١٤٧	..... الصالح
١٥٠	..... من آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٥٢	..... وفاة الإمام محمد بن عبد الوهاب
١٥٩	..... ٥ - المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لفضيلة الشيخ حمد الجاسر
١٦٤	..... مقدمة
١٦٤	..... زوجة الإمام محمد بن سعود
١٦٦	..... ابنة محمد بن سعود
١٦٨	..... والدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

١٦٩	.....
١٨٢	..... زواج الشيخ
١٨٩	..... بنات الشيخ
	(اعتقاد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة)
	٦ - اعتقاد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب
١٩١	..... والسنة
	لمعالى الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ
١٩٣	..... مقدمة
١٩٤	..... الدعوة تنشط من عقابها
١٩٥	..... التخطيط للدعوة الاصلاحية
١٩٥	..... انتقال الشيخ إلى الدرعية
١٩٦	..... لقاء الشيخ بالأمير
١٩٨	..... الكتاب والسنة هما الأصلان اللذان تركز عليهما
	الدعوة السلفية
٢٠٩	..... خاتمة
	٧ - اعتقاد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب
٢١١	..... والسنة
	لفضيلة الشيخ مناع القطان
٢١٣	..... بيئة الشيخ وعصره
٢١٨	..... اعتقاد دعوة الشيخ على القرآن والسنة
٢٢٢	..... أولاً : تأكيد على الرجوع إلى الكتاب والسنة
	ثانياً: منهجه في الدعوة إلى العقيدة يرتكز على الأدلة
٢٣٣	..... من الكتاب والسنة
	ثالثاً : منهجه في الفقه يعتمد على اختيار ما يدعمه الدليل
٢٣٩	..... وإن خالف مذهبه









بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

داعية التوحيد

في

«موطن التوحيد»

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ، وبعد

هذه بلاد مصطفاه:

فأول بيت وضع للناس - أى لعبادة الله وحده لا شريك له - كان في مكة المكرمة:  
«إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركا وهدى للعالمين».

وفي مهد التوحيد، وموطنه العريق - مكة المكرمة - صدع المسلم الموحد الحنيف الأواب أبو الانبياء - ابراهيم عليه السلام - بكلمة التوحيد، وأمر هو وابنه اسماعيل - عليها السلام - بأن يطهرا بيت الله للطائفين والعاكفين والركع السجود، وأن يرفعا القواعد من البيت، وقد دعوا الله تعالى أن يجعلها مسلمين له، ومن ذريتها أمة مسلمة له، وأن يبعث في العرب رسولا منهم يتلو عليهم آيات الله ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم.

وقد وصى إبراهيم - عليه السلام - بنيه بأن يثبتوا على التوحيد وأن يستمسكوا بالاسلام أبدا: «وإذ جعلنا البيت مثابة للناس وأمنا واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى، وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود. وإذا قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا وارزق أهله من الثمرات من آمن منهم بالله واليوم الآخر قال ومن كفر فأمتعه قليلا ثم أضطره إلى عذاب النار وبنس المصير. وإذا يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم. ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب

الرحيم. ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم إنك أنت العزيز الحكيم. ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين. إذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين. ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يابنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون».

وأعظم أدلة الاصطفاء، وأجل براهين الاجتباء أن الله تعالى اختار من العرب - أهل هذه البلاد - رسولا نبيا، واماما للموحدين، وسيدا للمتقين، اختار محمد بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم - من ولد إسماعيل عليه السلام.

لقد كانت مكة المكرمة منبته ومنشأه ومرياه وممشاه، وكانت المدينة المنورة مهجره ومقامه، ومشواه، وكانتا - مكة والمدينة - متنزلا لكلمات الله عليه صلى الله عليه وسلم.

فصدع امام الموحدين بالحق، وبشر وأنذر، وبلغ وجاهد، وأحيا أصول التوحيد، وجدد معالمه، ورفع لواءه، وأمات الوثنية والشرك وقضى عليهما، وطهر الجزيرة من آثارهما في العقيدة والعبادة والتشريع والأعراف والتقاليد والعادات، في الحياة الخاصة والعامة، وبنى أمة على التوحيد الخالص، لا تعبد إلا الله، ولا تدعو إلا إياه، ولا تستعين إلا به، ولا تتوكل إلا عليه.

وكان آخر كلماته - قبيل أن يلتحق بالرفيق الأعلى - : «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».

....

لقد قضى الله أن تكون هذه البلاد «مقرا» للتوحيد، وقاعدة لا نطلاقه، ومناخا لنسباته الطيبة الطاهرة الزكية اللطيفة.

وصدق الله حيث يقول: «الله أعلم حيث يجعل رسالته».

فبعلمه المحيط - سبحانه - «جعل» محمدا نبيا رسولا، وبعلمه المحيط - جل شأنه -

«جعل» هذه البلاد «موطنا» للرسالة، فلفظ «حيث» يقصد به «الرسول» متلقى الرسالة ومستودعها ومبلغها، ويقصد به «المكان» أيضا باعتباره - أى لفظ حيث - ظرفا مكانيا .

ومن الأدلة الباهرة - في هذا المقام - أن المعنيين - اصطفاء الإنسان، واصطفاء المكان - وردا على لسان إبراهيم - عليه السلام - وهو يدعو ربه ويرجوه .

ورد معنى اصطفاء الإنسان في قوله تعالى: «ربنا وابعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم انك أنت العزيز الحكيم».

وورد معنى اصطفاء «المكان» في قوله تعالى : «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا بلدا آمنا.» وقوله تعالى : «وإذ قال إبراهيم رب اجعل هذا البلد آمنا واجنبني وبني أن نعبد الأصنام» وقوله تعالى: «ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون» .

\*\*\*\*

ولقد قضى الله أن (تظل) هذه البلاد خالصة للتوحيد، مطهرة للركع السجود، حفيظة على أصول الإسلام.

ومن مظاهر قضائه - سبحانه - أنه كلما حاول الشرك، أو حاولت الوثنية أن ترفع صوتها، أو تنشر آثارها وموبقاتها، قيض الله عبدا من عباده الموحدين، وسخره ليهدم على الوثنية، ويكبت سدنتها، ويلغى قبائها ومباخرها وسائر مظاهرها.

ومن هؤلاء الأئمة الموحدين الداعين الى عقيدة التوحيد، الناصرين لمنهج أهل السنة والجماعة: الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وطيب ثراه، وأكرم نزله، وأعلى درجاته في الجنة.

لقد ظهر الشيخ الإمام في حقه يمكن أن نسميها «حقية انتشار البدع والجهالة»، كان كثير من الناس - في تلك الحقبة - يفسدون عقائدهم ويلوثونها بما يبطل نياتهم وأعمالهم ، كانوا يتوسلون بغير ما شرع الله، ويستعينون بغير الله، ويدعون غير الله.

وكانوا يحكمون بغير ما أنزل الله.  
وكانوا قد اتخذوا أضرحة وقبابا وقبورا مخصصة يؤمنونها.

وكانت البدع والخرافات والأوهام، كالتطير والتنجيم والسحر قد انتشرت انتشارا  
ألقى وظيفة العقل والتفكير.

وكان الجهل طاما بسبب قلة العلم، وندرة العلماء، وبسبب أن كثيرا من العلماء  
الموجودين يومئذ قد التاث علمهم بحيث لا يزيد العامة إلا خبالا.

هنالك جرد الشيخ الإمام نفسه لله، وحمل لواء الدعوة، وتوكل على الله وصدع بالحق.

وكانت قضيته الكبرى هي: «التوحيد»، وهذا من توفيق الله له إذ يسره لكى يبدأ  
بما بدأ به الأنبياء والمرسلون.

وللاخلاص والصدق ثمارها البانعة في هذه الحياة الدنيا، فقد أرى الله تعالى عبده  
محمد بن عبد الوهاب شيئا من ثمار غرسه، ونتائج عمله في هذه الحياة «وما عند الله خير  
وأبقى».

وهذا من عاجل بشرى المؤمن.

نعم، واجه الشيخ مشقة وعنتا وصدودا بادئ ذى بدء، بيد أن الثبات على الحق،  
واليقين بأن الله سينصر دعوته، أذهبا المشقة والعنت والصدود.

وفي خلال سنوات تغير الحال، واستجاب الناس، وانتصرت دعوة التوحيد، ولا يذكر  
انتصار دعوة التوحيد إلا مقترنا - تاريخيا وموضوعيا - بذكر اماميها معا: الإمام محمد  
ابن سعود، والإمام محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله. فبتوفيق الله تفاهم الرجلان العظيمان  
وتعاهدا على نصرته الإسلام - عقيدة وشريعة.

فقد علم الرجلان أن «الدين» هو الأساس الوحيد لقيام الملك وصلاحه واستقامته  
واستمراره، كما علما أن الدعوة - بلا سلطة أو دولة - تفقد إمكانات الدعم والرعاية  
والحراسة.

وهذا منهج علمي وعمل صحيح، فإن الانفصال المروع بين الدعوة والسلطان جر المسلمين إلى ضعفين:

ضعف مكانة الدعوة على المستويين : الداخلي والخارجي.  
ضعف الدولة من حيث تناقص الولاء ، واضطراب الأساس، ورفع البركة.

ان الحكم الإسلامي ظهير للدعوة ، وفي كنفه تظهر وتتمكن، وفي ذلك يقول الشيخ الإمام: «ان هذا الذي انكروه على وأبغضوني وعادوني لأجله، إذا سألوا عنه كل عالم في الشام واليمن أو غيرها يقول: هذا هو الحق وهو دين الله ورسوله، ولكن ما أقدر أن أظهره في «بلدي» لأجل أن الدولة لا ترضى «بذلك»، وابن عبد الوهاب أظهره لأن الحاكم في بلده ما أنكره، بل لما عرف الحق اتبعه».

\*\*\*\*

وهناك أمر جد مهم، ينبغى الانتباه إليه ونحن نتحدث عن الإمام محمد بن عبد الوهاب ، هذا الأمر هو: «المنهج».

فللشيخ الإمام «منهج» ينبغى أن نتعرف على «خصائصه» ذلك أن هذه الخصائص كانت سببا - بعد توفيق الله - في نجاح الإمام .

وإذ نبرز هذه الخصائص، ندعو العلماء وطلاب العلم إلى مزيد من البحث والدراسة، حتى يمكن استخراج المنهج المتكامل الذي استخدمه الشيخ ووجد أمر الدين في ضوئه، وباستخراج هذا المنهج وتحريره يظفر طلاب العلم بأهم ما يحتاجون إليه وهو: «المنهج الصحيح».

ومن خصائص منهج الامام :

- ١ - المحاجة بـ «الدليل» والوقوف عنده.
- ٢ - الاعتماد على «منهج» أهل السنة والجماعة في فهم الدليل نصا أو في تكوينه استنباطا.



- ٣ - النفاذ إلى الموضوع دون لجاج، أو تطويل، أو لف ودوران أو اعتساف.
- ٤ - وضوح الرؤية ، واستبانة الطريق.
- ٥ - معرفة «الواقع» معرفة صحيحة.

\*\*\*\*

وتوكيدا على منهج الشيخ الإمام ، وتجديدا لصياغة انتاجه العلمى، وتوسيعا لنطاق التعريف به، نظمت جامعة الإمام محمد بن سعود ندوة علمية موسعة، شارك فيها صفوة من علماء الإسلام ومفكره ومثقفيه.

وكان من أهداف تنظيم هذه الندوة :

- أولا : التقصى العلمى لكل ما كتبه الامام.
- ثانيا : تحرير انتاجه على يد مجموعة من العلماء الموثوقين.
- ثالثا : تصنيف هذا الانتاج وطبعه وتوزيعه .

وقد تم ذلك كله والله الحمد والمنة.

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية حين بذلت هذا الجهد العلمى ، وأدت هذا العمل الفكرى، إنما انبعثت إلى ذلك بحافز أدائها لأهم وظائفها وهى: خدمة علوم العقيدة والشريعة. وطردا لأداء أهم وظائف الجامعة، انتخب «مركز البحوث» طائفة من البحوث التى قدمت فى تلك الندوة، وجمعها فى هذا الكتاب الذى تقدمه لطلاب العلم والدعاة بخاصة ، وللمسلمين بعامة ، بل لكل من يرغب فى التعرف على الحق، ويتحرى الخير.

وهذا الكتاب ثمرة طيبة من ثمار «مركز البحوث» الذى نأمل أن تكثر ثمراته، وأن يزهو نشاطه العلمى والفكرى، وأن يطرد عطاؤه فى شتى المجالات التى تقع فى دائرة تخصصه واهتمامه.

ولئن تضمنت البحوث المنتخبة تقديرا لأصحابها ، فإن الجامعة لتذكر - بالتقدير والاعزاز - كل الذين أسهموا بإنتاجهم وجهودهم فى تلك الندوة.

لقد مضى القول بأن علوم العقيدة والشريعة لا تنتعش، ولا تقوى، ولا تتمكن - كما ينبغي أن تتمكن - إلا في «حكم إسلامي» يحمي جناب التوحيد، ويطبق الشريعة، ويرعى الدعوة والدعاة. ولقد رأينا ذلك واضحا في عهد الامامين: محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله.

ورأينا ذلك - حديثا - في عهد الملك عبدالعزيز، حينما شجع العلماء على قيامهم بواجبهم في نشر العلم والدعوة، ومن أبرز العلماء في عهده ساحة الشيخ محمد بن إبراهيم آل الشيخ رحمهما الله، الذي تولى تأسيس الكليات والمعاهد العلمية والاشراف عليها، وقد كانت نواة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

ولقد عرف ذلك بنو الملك عبدالعزيز وخلفاؤه، فلزموه من خلال حراستهم لعقيدة التوحيد، وتطبيقهم للحدود، ورعايتهم العظيمة لعلوم العقيدة والشريعة، وخدمتهم الصادقة للدعوة.

وعلى سبيل المثال، فإن الامكانيات التي تتحرك بها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية - - مالا، وحرية في العمل والنشاط، وتنظيما للندوات العلمية، وتشجيعا وتأييدا - إنما هي جزء من الامكانيات التي تسخرها المملكة في خدمة الإسلام والمسلمين.

من هنا، وتطبيقا لمبادئ الإسلام وأخلاقه في الاعتراف لأهل الفضل بفضلهم نقول: إن هذه المملكة هي القدوة في الترابط الوثيق بين الدعوة والدولة، وبين الإسلام والسلطان، يرعى هذا الترابط ملك يعلم - كما علم جده الأعلى من قبل - أن «الدين» هو أساس الملك الصالح المستقر، ويعلم أن من أهم مسئوليات الملك الصالح: خدمة العقيدة والشريعة والدعوة.

وانا لندعو الله تعالى أن يؤيد - بنصره وتوفيقه - امام المسلمين، وملك هذه البلاد فهد بن عبدالعزيز وولى عهده الأمين.

والله من وراء القصد، وهو الهادي إلى سواء السبيل، والحمد لله رب العالمين.

د. عبدالله بن عبدالمحسن التركي

مديسر جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية



تعريف بأسبوع  
الشيخ محمد بن عبد الوهاب  
رحمه الله



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## تعريف بأسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن دعا بدعوته  
واهتدى بهديه وبعد ...

فبتوفيق من الله سبحانه وتعالى قامت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية  
 بالرياض بالدعوة لعقد لقاء لمدة أسبوع تدرس فيه دعوة الشيخ الإمام المجدد المصلح  
 محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - واستضافت نحو مائة وخمسين عالما وباحثا وداعية من  
 خارج المملكة وداخلها .

وكانت الجامعة خلال أربع سنوات سابقة للقاء قد بذلت جهودا مكثفة لجمع تراث  
 الشيخ من مظانه، وتحقيقه، وفهرسته، وطبعه طباعة جيدة، وقدمت ذلك للباحثين، كي  
 يكون مصدرا أساسيا لبحوثهم .

وقد تلقت الجامعة من العلماء بحوثهم الموثقة بالمصادر الأساسية وقامت بطباعتها .

وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية إذ تقوم بهذا العمل، إنما تنطلق من السياسة  
 الحكيمة التي تتبناها حكومة المملكة العربية السعودية بدعم كل ما من شأنه جمع كلمة  
 المسلمين، والعودة بهم إلى كتاب ربهم سبحانه وتعالى وسنة نبيهم - صلى الله عليه وسلم -  
 واستنفار طاقاتهم للنهوض بالأمة الإسلامية، والتأسي برجالها المصلحين في دعوتهم  
 وجهادهم حتى تسترد حقوقها، وتستعيد مكانتها، وتؤدي واجبها في الأمر بالمعروف والنهي  
 عن المنكر .

وفي الفترة من يوم السبت ١٤٠٠/٤/٢١هـ إلى يوم الخميس ١٤٠٠/٤/٢٧هـ التي  
 توافق ١٩٨٠/٣/٨م و ١٩٨٠/٣/١٤م كان انعقاد هذا اللقاء .

## الموضوعات المطروحة للبحث في الأسبوع :

رأت الأمانة العامة للأسبوع بعد البحث والمناقشة أن أهم الموضوعات التي يجب أن تطرح لاستكتاب العلماء والباحثين فيها هي:

- ١ - حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية .
- ٢ - اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة .
- ٣ - صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهب السلف .
- ٤ - الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .
- ٥ - تأثير الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ووجهت الأمانة العامة للأسبوع خطابات دعوة للعلماء والباحثين من مختلف أقطار العالم الإسلامي، تدعوهم فيها للكتابة في واحد من هذه الموضوعات .

وزودت الأمانة العامة للأسبوع كل باحث بمجموعة كاملة من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب التي قامت الجامعة بتحقيقها ونشرها بهذه المناسبة .

## حفل الافتتاح

وقد تم حفل الافتتاح لهذا اللقاء العلمي الهادف الساعة الرابعة والنصف من يوم السبت ١٤٠٠/٤/٢٦ هـ تحت رعاية صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز أمير منطقة الرياض. وبحضور حشد كبير من المدعوين، من المسئولين وأهل العلم والدعوة، وأساتذة الجامعات وطلاب العلم بقاعة الملك فيصل للمؤتمرات. وابتدأ الحفل بآيات من كتاب الله الكريم، ثم ألقى صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز كلمة طيبة أشاد فيها بأهمية هذا اللقاء على تراث الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وحث على الدفاع عن الإسلام، وأداء الحكام والعلماء والمفكرين لواجبهم نحو تحمل الأمانة امتدادا لتاريخ أمتنا المجيدة .

ثم تلا ذلك كلمة معالي الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ، وزير التعليم العالي، التي نوه فيها بمكانة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وأشار إلى أن التاريخ وحده هو الكفيل بتسجيل هذه المكانة له .

ثم جاءت كلمة ساحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، الرئيس العام لادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد. وألقاها نيابة عنه الشيخ عبدالعزيز الفالح، الأمين العام لهيئة كبار العلماء. وقد أشار في كلمته إلى نعمة الإسلام الكبرى وأن مستقبل المسلمين مرهون بالتمسك بالإسلام وتطبيق شريعته في شئون الحياة كلها .

ثم ألقى معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية كلمة رحب فيها بالحضور، وتمنى لهم إقامة سعيدة وعودة حميدة، والمخ إلى اعتزاز جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بعقد هذا اللقاء العلمي، وما سبقه من جهود للاعداد له، وتمنى أن يثمر هذا اللقاء أطيب الثمار، وأكد على أهمية الأثر الواضح في تلاحم الدولة والدعوة، وما أحرزه ذلك من نجاح في تطبيق شرع الله، وذلك في التقاء الإمام محمد بن سعود بالإمام محمد بن عبدالوهاب، وتعاهدهما على نصره دين الله .

ثم ألقى كلمة أعضاء الأسبوع الدكتور إسحاق أحمد فرحان، أستاذ التربية بجامعة اليرموك بالأردن، ورئيس الجامعة الأردنية السابق، أشاد فيها بفكرة عقد هذا اللقاء، وشكر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية على أعماها السديدة، وما قامت به من جمع تراث الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وتيسير نشره، ودعا إلى توحيد كلمة المسلمين والتقاءهم على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

ثم توجه الجميع لافتتاح معرض الكتاب الإسلامي الذي أقيم بهذه المناسبة .

وقد تم اختيار معالي الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركي، مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية رئيسا للقاء، واختيار الدكتور عبدالعزيز بن عبدالرحمن السعيد وكيل الجامعة وأمين عام الأسبوع نائبا للرئيس، واختيار الدكتور إسحاق أحمد فرحان مقررا عاما .



وتم الاتفاق كذلك على أن تناقش الموضوعات في لجتين :

اللجنة الأولى : وتناقش البحوث المقدمة في الموضوعين الآتيين :

- ١ - اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة .
- ٢ - صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدعوة السلف .

وقد انتخب فضيلة الشيخ مناع خليل القطان رئيساً لهذه اللجنة، والدكتور سيد حجاب مقرراً لها .

اللجنة الثانية : وتناقش البحوث المقدمة في الموضوعات الآتية :

- ١ - حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية .
- ٢ - الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ .
- ٣ - الدعوات الإصلاحية التي تأثرت بها .

وقد انتخب فضيلة الدكتور عبدالله العجلان رئيساً لهذه اللجنة، والدكتور محمد إبراهيم نصر مقرراً لها .

الندوات والمحاضرات:

عقدت أثناء الأسبوع ندوات هي :

الندوة الأولى : وموضوعها: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية .  
واشترك فيها:

- ١ - الشيخ محمد بهجت الأثرى .
- ٢ - الشيخ أحمد بن عبدالعزيز المبارك .
- ٣ - الشيخ إسماعيل الأنصارى .

وقد أدار الندوة الشيخ محمد بن عبدالله العجلان، وكيل الجامعة .

الندوة الثانية: وموضوعها: اعتماد دعوة الشيخ على الكتاب والسنة، وصلتها بمذهب السلف .

واشترك فيها :

١ - د . محمد فتحي عثمان .

٢ - د . عبدالله عبدالماجد .

وأدار الندوة الدكتور على عبدالحليم محمود .

الندوة الثالثة: وموضوعها: الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وتأثير الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ .

واشترك فيها :

١ - الشيخ عطيه محمد سالم .

٢ - د . محمد سلام مذكور .

٣ - د . وهبه الزجيلي .

وأدارها الدكتور اسحاق الفرحان .

كما ألقى الأستاذ حمد الجاسر محاضرة بعنوان : المرأة في حياة الشيخ محمد بن

عبدالوهاب .

## البحوث المقدمة لاسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب

اسم الباحث	عنوان البحث	مسلسل
الشيخ أحمد بن عبدالعزيز آل مبارك	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	١
د. التهامي نقرة	محمد بن عبد الوهاب ودعوته إلى التوحيد	٢
الشيخ محمد بن أحمد العقيلي	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	٣
الشيخ عبد الحفيظ عبد العال	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	٤
الشيخ يوسف جاسم الحجوي	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	٥
الشيخ أحمد زيارة	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	٦
اللواء الركن. محمود شيبت خطاب	الامام محمد بن عبد الوهاب في مدينة الموصل	٧
الشيخ حمد الجاسر	المرأة في حياة إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٨
د. عبدالله العثيمين	الرسائل الشخصية للشيخ محمد بن عبد الوهاب	٩
الشيخ إسماعيل محمد الأنصاري	حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأثاره العلمية	١٠
الشيخ محمد يوسف	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة	١١
الشيخ مناع خليل القضان	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة	١٢
الشيخ صالح بن عبد الرحمن الأطرم	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة	١٣
الشيخ عبدالله بن سعد الرويشد	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة	١٤

## تابع

اسم الباحث	عنوان البحث	مسلسل
الشيخ سياج الدين كاكاخيل	اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة	١٥
د. عبدالله عبدالمجيد	منهج دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي والتصور السوداني لهذه الدعوة	١٦
الشيخ الغزالي خليل عيد	صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهب السلف	١٧
د. علي عبدالحليم محمود	صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهب السلف	١٨
الشيخ أحمد عبده ناشر	صلة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بمذهب السلف	١٩
د. محمد فتحي عثمان	السلفية في المجتمعات المعاصرة	٢٠
د. عبد الوهاب ابراهيم أبوسليمان	خصائص التفكير الفقهي عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٢١
الشيخ محمد يوسف	الشبهات التي أثرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومماثلتها بشبهات أثرت حول دعوة الشيخ المودودي رحمهما الله.	٢٢
د. عبدالرحمن عميرة	الشبهات التي أثرت حول دعوة الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب	٢٣
الاستاذ عبدالكريم الخطيب	الشبهات التي أثرت حول دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب والرد عليها	٢٤
الشيخ محمد نسيب الرفاعى	الشبهات التي أثرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب	٢٥
أ. د. محمد محمد حسين	دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب بين التأييد والمعارضة	٢٦
الشيخ محمد عبدالرحمن	الدعاية المعادية للوهابية في شبه القارة الهندية	٢٧
الشيخ صالح أوزجان	الزعامة على أسنة اقلام النقاد	٢٨

## تابع

اسم الباحث	عنوان البحث	مسلسل
د.عبدالبارى عبدالباقي	الوهابيون والتقويم المعاصر لهم	٢٩
أ.د. محمدسلام مذكور	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	٣٠
الاستاذ عبدالفتاح مقلد الغنيمي	أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في غرب أفريقيا	٣١
د. وهبة الزحيلي	تأثر الدعوات الاصلاحية الاسلامية بدعوة الشيخ	٣٢
الشيخ اسماعيل أحمد	تأثر الدعوات الاصلاحية الاسلامية في تايلاند بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	٣٣
الاستاذ أنور الجندى	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	٣٤
د. عبدالحليم عويس	أثر دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب في الفكر الاسلامى الاصلاحى بالجزائر	٣٥
الشيخ عطية محمد سالم	دعوة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها	٣٦
د. مصطفى محمد مسعد	أثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في حركة عثمان ابن فودى الاصلاحية في غرب أفريقيا	٣٧
د.محمد السعيد جمال الدين	دعوة الشيخ وأصدائها في فكر محمد اقبال	٣٨
الاستاذ نجيب أحمد عبدالله	تأثر الدعوات الاصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	٣٩
الشيخ عبد القدوس الانصارى	تأثر الدعوات الاصلاحية في العالم الاسلامى بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب	٤٠

## النتائج والتوصيات

من خلال مناقشة الأبحاث المقدمة، وما عرض في اللجان والندوات من آراء وأفكار يقرر المؤتمر النتائج والتوصيات التالية:

١ - أن التجربة الرائدة في العصر الحديث، تتمثل في التلاحم الوثيق بين الدعوة والدولة، وذلك في مناصرة الإمام محمد بن سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذه التجربة هي الصيغة الإسلامية الأصلية لقيام الدولة في الإسلام عقيدة وشرعية ومنهاج حياة على أسس راسخة من كتاب الله تعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم .

وعلى المسلمين كافة أن يعمقوا هذه التجربة الفذة في تعاون العلماء والحكام على إقامة حكم الإسلام، وتطبيق شريعته، وشد أزر الدعوة الإسلامية مما يعود على الناس كافة بالنصر والتمكين في الدنيا والفوز والسعادة في الآخرة .

٢ - أن المسار الصحيح للدعوة الإسلامية إنما يكون باستنادها إلى أصول الدين الحنيف، ومصادره من الكتاب والسنة وما كان عليه سلف الأمة، فتستمد من هذه الأصول والمصادر وسائلها وأهدافها، وتصوغ أوجه نشاطها صياغة إسلامية وفق ما جاء عن الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم - وما سار عليه سلف الأمة الصالح .

٣ - أن الدعوة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب دعوة إسلامية أصيلة، نابعة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وهي حلقة من حلقات الإصلاح والتجديد في أمة الإسلام عبر القرون والأجيال مصداقا لقوله صلى الله عليه وسلم: «ان الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» .

وهي في مجال التطبيق تلتزم باتباع النصوص الشرعية والاجتهاد في إطارها، والاسترشاد بأقوال الأئمة السابقين .

ويرى المؤتمرون ضرورة العمل على اعداد طائفة من العلماء ذوى المواهب الخاصة، وتأهيلهم تأهيلاً يمكنهم من الاجتهاد فيما يجد من قضايا ومشكلات في ضوء الكتاب والسنة، حتى تحكم الحياة في جميع مجالاتها بشريعة الإسلام .

٤ - أن لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أثراً واضحاً وملموساً في الدعوات والحركات الإصلاحية في كثير من بلاد العالم الإسلامي، وبعث الثقة في نفوس الدعاة والمصلحين بإمكان نصر الدعوة واتخاذ الإسلام منهج حياة .

ويؤكد العلماء المؤتمرون أن المعيار في وزن الدعوات وتقويمها يرتكز على مدى التزامها بكتاب الله سبحانه وتعالى وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، واقتفاء أثر السلف الصالح في الاعتقاد والعلم والعمل والصبر ومحاربة ضروب الشرك والخرافات والبدع .

٥ - أن حياة أئمة الإسلام العاملين من المجددين والمصلحين، بما تميزت به سيرهم من حرص على العلم النافع والعمل به، ودعوة الناس إلى الحق كما جاء في القرآن والسنة، وما كان عليه السلف الصالح، والصبر على ما تقتضيه الدعوة من مواصلة الجهاد والثبات في مواجهة التحدى، والثقة بعون الله والاعتزاز بدينه اتباعاً لأمره وابتغاء مرضاته - أن حياة هؤلاء الدعاة المهتمين المجاهدين تعد النموذج الرائع لتربية الدعاة واعداد العلماء المصلحين. مما يوجب أن توجه الجامعات والمعاهد والمؤسسات والمراكز الإسلامية عنايتها إلى دراسة حياة هؤلاء العلماء المصلحين العلمية والعملية، وتحليلها للاستفادة مما تحفل به من دروس نافعة حتى تقتفى الأجيال خطاها وتتأسى الناشئة بها، وفي هذا الاستيعاب لمآثر أئمة الإسلام، وأعمالهم الجليلة وسيرهم الراشدة في مجال التربية والتوجيه والاعداد والسلوك، تجديد دائم لدعوة الإسلام في زمن يحتاج فيه المسلمون إلى تألقها، ودفق عطائها، وإشراق ضيائها .

٦ - أن إيقاظ روح الجهاد الإسلامي قولاً وعملاً هو الطريق الصحيح للتصدى الحازم لما تواجهه أمة الإسلام من تحديات .

ويرى المجتمعون ضرورة اجتماع كلمة القادة في الشعوب الإسلامية على الحق، وتوحيد جهودهم، واستنفار طاقات شعوبهم لبعث روح الجهاد في سبيل الله والأخذ بأسبابه، وإعداد العدة له بما في ذلك الاعتماد الذاتي في توفير السلاح بإقامة المصانع الحربية اللازمة، حتى لا يظل المسلمون معتمدين في تسليحهم على الشرق أو الغرب .

كما يرون ضرورة تقديم العون المالى والعسكرى للمجاهدين في كل بلد مسلم يقاوم الظلم والطغيان، وبخاصة تقديم العون لتحرير فلسطين المسلمة من وطأة الاحتلال الصهيونى العاشم الذى انتهك الحرمات الإسلامية المقدسة، وارتكب أشنع الجرائم بحق الشعب الفلسطينى المسلم .

ويرون أيضا أن الأمة الاسلامية حكومات وشعوبا مطالبة بتأييد حركات الجهاد الإسلامى لتحرير أفغانستان المسلمة، ودعم جهاد المسلمين في اريتريا والفلبين وغيرها .

٧ - أن للمرأة المسلمة أثرها الطيب في تاريخ الإسلام على مر العصور، كما أن لها نصيبا في تحمل أعباء الدعوة، وهذا أمر يستحق التقدير ويستوجب أن يعنى الدعاة إلى الله بالمرأة حتى تأخذ مكانها المناسب، من حيث إعدادها إعدادا صالحا لتربية جيل مسلم صالح، وإسهامها في مجال الدعوة (المؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر) .

٨ - أن الشبهات التى أثارها أعداء دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هى من كيد الأعداء والمغرضين، وليس لها ما يسندها من كتابات الشيخ ومنهجه في الدعوة . ويجدر بالدعاة في مختلف أنحاء العالم أن يسلكوا في سبيل دعوتهم الأسلوب الحكيم الذى يدحض بقايا هذه الشبهات، ويوضح الحق الذى دعا إليه الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله .

٩ - ضرورة العناية بإنشاء الكليات والمعاهد المتخصصة، لدراسة العقيدة وإعداد



الدعاة إلى الله وفق منهج السلف الصالح، ودعم الأقسام والمعاهد والكلليات القائمة .

وأن يكون بين هذه الكلليات والمعاهد والأقسام في العالم الإسلامي تنسيق وتعاون. ويوصى المؤتمرون جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتقوية روابطها مع هذه الكلليات والمعاهد، وتقديم الدعم العلمي والمالي لها، لتحقيق أهدافها .

١٠ - أن نشر الدعوة الإسلامية يتطلب الاستفادة من وسائل الاعلام الحديثة، وإعداد فئة من رجال الاعلام المثقفين ثقافة إسلامية واسعة عن طريق إنشاء كلليات ومعاهد وأقسام متخصصة في الاعلام الإسلامي، لينقى هؤلاء الاعلام في البلاد الإسلامية من كل ما يتعارض مع الإسلام، وليوجهه توجيهها إسلامياً تعالج من خلاله قضايا المسلمين، ويسهم في تربية ناشئتهم وينشر الإسلام على الناس كافة .

١١ - أن التقاء علماء الإسلام لمدارسة أحوال المسلمين، والتذكير بواجب الدعوة إلى الله والعودة إلى الكتاب والسنة، والتزام أحكام الشريعة الإسلامية، مما يساعد على الصحة الإسلامية ويعزز مسارها .

ويرى الأعضاء أن موسم الحج يتيح فرصة طيبة لمثل هذا اللقاء، وعلى مؤسسات الدعوة والجامعات والهيئات أن تتحمل مسئولياتها ازاء تحقيق هذه الغاية في موسم الحج وغيره من المناسبات .

١٢ - أن تعنى سفارات الدول الإسلامية بعامه وسفارات المملكة العربية السعودية بخاصة بشئون الدعوة الإسلامية، وذلك بتوثيق علاقاتها مع المراكز والمؤسسات والهيئات الإسلامية، ودعمها وتوحيد جهودها، والأخذ بيدها إلى تحقيق أهدافها .

١٣ - أن الاعتراف بالحق لذويه، والتذكير بتراث الأئمة المصلحين، والعناية بدراسته والافادة منه، مما تعنى به الأمم الواعية في تاريخها، ولذا يرى المؤتمرون:

أ - أن تتابع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خدمة تراث ورسائل الشيخ

- محمد بن عبد الوهاب، وتحقيقها تحقيقاً علمياً، ونشرها .
- ب - إقامة مكتبة خاصة بتراث الامام محمد بن عبد الوهاب وتلامذته، ومن نهج نهجه في الدعوة .
- ج - القيام بالدراسات التحليلية لها من أجل استخلاص الدروس والعبر النافعة منها .
- د - ترجمة المختار منها إلى لغات الشعوب الإسلامية وبعض اللغات الحية .



حياة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

وآثاره العلمية

1875

1875

1875

# محمد بن عبد الوهاب ودعوته إلى التوحيد

للدكتور  
التهامي نقرة

أستاذ محاضر في دراسات القرآن والسنة  
بالكلية الزيتونية للشريعة وأصول الدين بتونس  
ومستشار بالأمانة العامة للجامعة العربية بتونس



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## عقيدة التوحيد

أجل ما في الإنسان قلبه مستقر المعرفة واليقين، وخير ما يثبت فيه عقيدة إلهية واضحة المعالم عميقة الجذور، يغذيها بحياته فتهد له أسس الحياة، وتفتح له آفاق الإيمان، منبع الأحاسيس الرفيعة، ومصدر العواطف النبيلة .

وإذا استقر الإيمان في الوجدان امتزج باليقين، فكان أطيب ثمراته الثقة في الله وصالح الأعمال، وهو المعنى الذي أصله رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله: «ليس الإيمان بالتمنى، ولكن ما قر في القلب وصدق العمل»<sup>(١)</sup>.

فالإيمان هو النور الذي إذا افتقده الإنسان، غشيه الظلام، وضل سعيه في الحياة الدنيا، ومن هنا كان أفضل آلاء الله على عباده هدايتهم للإيمان .

قال تعالى مخاطبا نبيه صلى الله عليه وسلم:

«يُؤْمِنُونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَمَ كُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ

(الحجرات - ١٧)

أَنْ هَدَانَا لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»

وما العقيدة الإلهية إلا عقيدة التوحيد التي بها ارسل الله رسله، وأنزل كتبه وجعلها وصيته في الأولين والآخرين، فقال جل شأنه.

« شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ»

(الشورى - ١٣)

(١) لم يصح رفعه والمشهور أنه من كلام الحسن البصرى .



فأصول العقيدة وقواعد الايمان التى لا تتبدل بتبدل الزمان والمكان، ولا تتغير بتغير الأفراد والأقوام هى التى أوصى بها رسله، إذ أن دين الله واحد، وحقيقته التوحيد.

وقد رويت الأحاديث الصحيحة أن النبى صلى الله عليه وسلم أكد هذه الحقيقة فى مثل قوله: «إنا معاشر الأنبياء ديننا واحد»...

ومن هنا يمكن القول بأن أقدم ديانة ظهرت فى الأرض هى عقيدة التوحيد، وأن التوحيد ليس نهاية الأطوار، بل هو البدء والختام .

وأن الوثنية ليست إلا أغراضا طارئة، نفثت سمومها عندما نسيت الإنسانية تعاليم السماء وانتابت عقيدتها انحرافات، وتمكنت منها أوهام وخرافات، فعن عياض المجاشعى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فى إحدى خطبه: «ألا إن ربى أمرنى أن أعلمكم ما جهلتم مما علمنى يومى هذا ... وانى خلقت عبادى حنفاء كلهم، وانهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بى ما لم أنزل به سلطانا ...»

وما تزال الشياطين تقعد للإنسان بكل طريق، صادرة عن سبيل الله، صارفة عن وحدانيته، داعية إلى الشرك .

وكم عانى رسل الله فى سبيل الدعوة إلى التوحيد، واجتثاث الوثنية، فكان أول ما بدأ به نبى الله نوح عليه السلام أن دعاهم إلى عبادة الله وحده .

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرِهِ ۗ  
إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ »

(الاعراف ٥٩).

وكذلك كانت دعوة هود وشعيب وصالح وغيرهم من الرسل عليهم السلام، كل يقول لقومه: «اعبدوا الله ما لكم من إله غيره»

والتأمل فى سيرة خليل الله ونبيه ابراهيم عليه السلام، وما لاقاه من قومه عبدة

الأوثان كما بين ذلك القرآن، يتجلى له في وضوح جهاد رسل الله، ولا سيما أولو العزم منهم في مقاومة تيار الوثنية، والأخذ بأيدي الضالين الى حظيرة الوحدانية .

فدين الله في جميع الأزمان هو إفراده بالربوبية والاستسلام له وحده بالعبودية، وما دام الله واحدا فلا بد أن يكون الدين واحدا في العقيدة، ولكن الناس قد تطفئ عليهم الرواسب والفلسفات والأوهام، فتذهب بهم كل مذهب، وليس لهم برهان من عقل ولا سند من نقل، فيضلون ويضلون، ويلبسون الحق الذي جاءت به رسل الله اليهم بالباطل الذي صنعتها ظنونهم وعقولهم، كما فعل اليهود والنصارى إذ ثاروا بالفلسفة الإغريقية التي تعدد الآلهة، وتزعم أن الله - سبحانه - قد أولد الأشياء، وأن طبيعة الخلق إنما هي ولادة شيء منه وصدوره عنه كما تفيض العيون بالمياه، وقد عجزت عقولهم عن تصور خلق الله بنحو الإبداع، ان يقول للشيء كن فيكون، لأن قدرته ذاتية.

فانحرف الزيف باليهود إلى مهاوى الشرك، فادعوا أن لهم إلهًا خاصا بهم، وهو إله إسرائيل، وللشعوب الأخرى آلهة أخرى، ولم يخلص إلههم من صفات الحوادث ولا من شوائب النقص والتجسيم حتى في أحدث توراتهم المزعومة كأسفار التثنية والعدد واللاويين بل بدأ انحرافهم وموسى عليه السلام بين أظهرهم، ومن ذلك عبادتهم للعجل الذي صنعه لهم السامري من ذهب .

وزادت عقيدتهم في الله ارتكاسا في العهد الذي ألف فيه التلمود وهو القرون الستة الأولى بعد الميلاد<sup>(٢)</sup>.

كما زاغت النصارى بعقيدة الثالوث وهو الآب والابن وروح القدس، ولم تكن هذه العقيدة موجودة في العهد الجديد، ولا في أعمال الحواريين ولا في تلاميذهم الأقربين بل كانوا أبعد الناس عن اعتقاد أنه أحد الأركان الثلاثة المكونة لذات الخالق، ولكن بولس هو الذي خالف عقيدتهم، وزعم أن المسيح أرقى من إنسان، وأنه عقل سام متولد عن الله، وكان موجودا قبل أن يوجد العالم، وقد تجسد هنا لتخليص الناس، ولكنه مع ذلك

(٢) انظر: اليهودية واليهود، على عبدالواحد وافي - ٣٥ - ٤٢ (ط مصر دار الهنا للطباعة).

تابع للإله، وان الثلاثة مع ذلك إله واحد رغم أن كل واحد منها مستقل عن الآخر، تعالى الله عما يقولون.

وعقيدة الثالوث موجودة في ديانة قدماء المصريين، وفي ديانة البراهمة لدى ملايين الهنود والصينيين والبوذيين.

ومن طريف ما يروى أن مسلماً قال لأحد القساوسة: «إن بعض الناس أخبرنى أن رئيس الملائكة قد مات، فقال له القسيس: هذا محض افتراء، فإن الملائكة خالدون لا يموتون، فقال له المسلم وكيف وقد كنت تقول فى وعظك: إن الإله قد مات على خشبة الصليب؟ فكيف يموت الإله وتخلد الملائكة؟

قال أحد الشعراء:

عجبا للمسيح بين النصارى	وإلى الله والدا نسبوه
أسلموه الى اليهود وقالوا	إنهم بعد قتله صلوه
فلئن كان ما يقولون حقا	فسلوهم، فأين كان أبوه
ولئن كان راضيا بأذاهم	فاشكروهم لأجل ما صنعوه
وإذا كان ساخطا غير راض	فاعبدوهم لأنهم غلبوه (٣)

دعوة الإسلام إلى التوحيد:

وإذا كان التوحيد هو قاعدة كل ديانة جاء بها من عند الله رسول كما يقرر ذلك القرآن فى كثير من الآيات مثل قوله تعالى:

« وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ »

(الأنبياء - ٢٥)

فإن الإسلام هو دين التوحيد الخالص المطلق، وجوهر عقيدته ومحور عباداته وركيزة تعاليمه، والطابع المميز له بعبودية الانسان لله وحده، ومن ثم كانت عنايته

(٣) سيد سابق: العقائد الاسلامية: ٦٤ ط. مصر (١٩٦٧).

الكبرى موجهة إلى تحرير أمر العقيدة وتحديد الصورة الصحيحة التي يجب أن يستقر عليها الضمير البشرى في حقيقة الألوهية وعلاقتها بالخلق، وعلاقة الخلق بها... فاستقر عليها نظمهم وأوضاعهم وأخلاقهم وعلاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، وما كان يمكن أن تستقر هذه الأمور كلها إلا أن تستقر حقيقة الألوهية وتتجلى خصائصها<sup>(٤)</sup>.

جاء الإسلام وفي العالم ركام من العقائد والتصورات والأساطير والفلسفات والأوهام والشعائر والتقاليد، اختلط فيها الحق بالباطل، والدين بالخرافة. والضمير البشرى يتخبط في ظلمات وظنون لا يستقر معها على يقين، ولا بد للإنسان من عقيدة تفسر له ما حوله، وتفسر له مكانه فيما حوله.

أما الجزيرة العربية التي نزل فيها القرآن فقد كانت تعج بركام من باطل المعتقدات التي تسربت إليها من اليهودية والنصرانية والفرس ومن الوثنيات القديمة.

فمنهم من عبد الملائكة، ومنهم من عبد الجن، ومنهم من عبد الشمس والقمر، ومنهم من عبد الكواكب، ومنهم من عبد الأصنام إما بوصفها تماثيل للملائكة، وإما بوصفها تماثيل للأجداد، وإما لذاتها.

وكان بالكعبة التي بنيت لعبادة الله الواحد نحو ثلاثمائة وستين صنماً، وقد سجل القرآن الكريم ألوان الشرك التي كانت سائدة في الجاهلية قبل البعثة المحمدية، وأشار إلى كل ذلك بوضوح في عدة سور منه<sup>(٥)</sup>، وكان جل ما نزل منه في المرحلة المكية ومدتها ثلاث عشرة سنة يهدف إلى إنشاء عقيدة التوحيد ونشرها في قوم لم يكلفوا بشريعة قط، لوجودهم في فترة من الرسل تمتد من اسماعيل إلى محمد عليهما السلام، وهي مدة تزيد على ثلاثة آلاف سنة، قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم:

(٤) سيد قطب: خصائص التصور الاسلامي ومقرماته: ٤٢ (ط٢ - ١٩٦٨)

(٥) سورة الزمر: ٣ : ٤ - والزخرف: ١٥ - ٢٠ وسبأ: ٤٠-٤١ والصفات ١٤٩ - ١٥٩، والنجم: ١٩ - ٢٨.

« لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُمْ مِنْ نَّذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ »

(القصص - ٤٦)

وبتعاقب الأجيال والوراثة والتقليد كاد يتأصل فيهم باطل الشرك ويستحكم، حتى صار من العجب أن يقال لهم «الله واحد»<sup>(٦)</sup>

« أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا <sup>ط</sup> إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ »

(ص : ٥)

وكم ضرب القرآن من أمثال، وساق من أدلة، وأقام من براهين، على إثبات أن الله واحد في ألوهيته.

وفي ذاته، فلا شريك له في ملكه، وليس كمثل شئ.

وفي صفاته، فليس في أحد من الصفات ما يشبهها.

وفي أفعاله، فليس في أحد غيره مثل فعله، كل شئ في قبضته، وجميع الأمور إليه.

وكم في القرآن ما يعد تصحيحا لما وقعت فيه الديانات المحرفة، والفلسفات الخاطئة في الظلام.

ثم إن المساحة التي تشملها حقيقة التوحيد في ضمير المسلم، وفي عباداته ومعاملاته وفي حياته الخاصة والعامة بعيدة الأغوار فسيحة الأرجاء، حتى صار كل شئ في الإسلام مقاما على التوحيد، ومنبثقا عنه، والمسلم يساق من باطنه لا من ظاهره، والعقيدة هي التي تلقى ظلها على حياته، لذلك اعتبرها القرآن غاية في ذاتها.

قال ابن القيم: «ان كل آية في القرآن متضمنة للتوحيد، شاهدة به داعية إليه: فإن القرآن إما خبر عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله، فهو التوحيد العلمي الخبرى، وإما دعوة إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التوحيد الإرادى الطلبى. وإما إلزام بطاعته في أمره ونهيه فهو حقوق التوحيد ومكملاته، وإما خبر عن كرامة الله لأهل

(٦) التهامي نفرة: سيكولوجية القصة في القرآن: ١١١ (ط تونس ١٩٧٤).

توحيده وطاعته وما فعل بهم في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة فهو جزء توحيده، وإما خبر عن أهل الشرك مما فعل بهم في الدنيا من النكال، وما يحل بهم في العقبي من العذاب، فهو خبر عمن خرج عن حكم التوحيد، فالقرآن كله في التوحيد وحقوقه وجزائه وفي شأن الشرك وأهله وجزائهم<sup>(٧)</sup>.

فالرجوع إلى الله وحده في التحريم والتحليل وفي التشريع ومنهج الحياة وميزان القيم والاعتبارات والتوجه إليه وحده في الطلب والعبادة والرجاء والخشية والتقوى هو من مقتضيات التوحيد: توحيد الألوهية والسلطان.

لذلك كانت كلمة «لا إله إلا الله» هي مفتاح الإسلام إذ بها يخضع المؤمن لعقائده وأحكامه.

فهى شهادة تتضمن إيمانا تاما بأن الله وحده هو مصدر الخلق والمعرفة وهدف العبادة. فمن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فقد اتخذ إلهًا وأشرك مع الله غيره، لأنه سبحانه منتهى مطلب الحاجات، ومن عنده وحده نيل الطلبات.

«هُوَ الْحَىُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ  
(غافر - ٦٥).

والتوحيد الخالص لله عز وجل ليس بالأمر الهين، إذ هو يتطلب معرفة ويقينا، ومراقبة وخشوعا ومجاهدة للنفس، حتى يكون الله هو غاية المؤمن في أقواله وأعماله، وأن يكون لديه أكبر من كل شئ، إذ بيده أجله ورزقه، ونفقه وضرده، وهذا ما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يغرسه في قلب ابن عباس وهو غلام ناشئ، حين قاله له، احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله

(٧) ابن قيم الجوزية: مدارج السالكين: ج - ٢٨٩/٣ (ط مصر - ١٣٣١).

لك ... وإن اجتمعوا على أن يضروك بشئ لم يضروك إلا بشئ قد كتبه الله عليك ... (رواه الترمذى). وبهذه العقيدة التى بثها رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قلوب المؤمنين وصهرها فى نفوسهم، كتب الله لهم النصر فى مواجهة الطغيان رغم قلة عددهم وعدتهم، وأخرجهم من كل محن الابتلاء ظافرين، لأن إيمانهم بالله بلغ درجة اليقين، فهانت عليهم متع الدنيا، واستجابوا لله حين دعاهم لما يحييهم، رغم ما سلط عليهم أعداء الدين من سياط الوحشية والإرهاب، ولم يتخل النصر عن المسلمين إلا حين اهتزت عقيدتهم، واختل إيمانهم.

### خطر فساد العقيدة:

وإذا لم يكن على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التوحيد فى عقيدة الإسلام الذى هو الدين عند الله، يصون الروح عن دنس الشرك، وتحريرها من الخنوع لغير الله، والعبودية لكل ما سواه، وخلص العمل من أفة الرياء، وكان من عاجل ثمراته تلك النماذج البشرية الرفيعة التى ضربت أمثلة رائعة فى الكمال الإنسانى، أولئك الذين قيل لهم «إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا: حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ» .

كانوا أعزة تأبى نفوسهم الذلة والاستكانة، لأنهم مرتبطون بالله الواحد الأحد، يستمدون منه العون والسند، ولا ينصاعون للظالم وإن قويت شوكته، وعلا فى الأرض، وأنهم معتصمون بحبل من الله متين، ولا تغرهم الحياة الفانية، ولا نعيمها الزائل، لأنهم واثقون بأن ما عند الله خير وأبقى.

إذا كان هذا أثر العقيدة الإلهية فى النفس والحياة، فإن الانحراف بها عن جوهر التوحيد الخالص الذى دعم بناءه وأقام دعائمه على حقيقة الإسلام الأولى خاتم الأنبياء صلى الله عليه وسلم، هو عدول عن منهج الدين القيم وضلال عن سبيل الله، وتلويث للقطرة السليمة .

وإذا أقفرت الروح من روحانية صادقة، ملأ فراغها الشيطان بأوهام وأباطيل ما

أنزل الله بها من سلطان، والقرآن الكريم يؤكد هذه الحقيقة في أكثر من آية بما لا يدع مجالاً للشك كقوله عز وجل:

«...إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقِيمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ»  
(يوسف - ٤٠).

«قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَتُنُونِي بِكِتَابٍ مِنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَرَةٍ مِنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»  
(الأحقاف: ٤)

فأى تمزق ينشئه التصور الخاطىء في ضمير المسلم وحياته، هذا التوزع في التوجه والدعاء والرجاء والشعور والعبادة إلى غير الله؟ إن معقد الدعاء والرجاء هو الذى يملك مفتاح العطاء، وهو واهب الحياة، وليس الذى وهبت له الحياة!

وحس الإسلام في تمحيص القلوب، ونقد الخطرات والاتجاهات مرهف شديد الحساسية، فكيف يسمح لمسلم أن يسلم وجهه لغير الله ويرجو غير الله، وينزل في وهدة يذل فيها لمن هو دونه، أو لمخلوق مثله في البشرية؟

لذلك حذرنا من الشرك بكل صوره وأشكاله، لأن مساربه كثيرة، ومزالقه قد تدق وتخفى فلا يكاد يراها إلا الذين قدروا الله حق قدره، كما ورد في الأثر: «الشرك أخفى من دبيب الذر على الصفا في الليلة الظلماء»، وقد تصير أسباب الهداية بالجهل وسوء الاختيار ذريعة إلى الضلال والغواية، ويوم يحشرهم وما يعبدون من دون الله، فيقول:

«وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا سُبْحٰنَكَ مَا كَانَ يُنْبِئُ لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا»  
(الفرقان - ١٧ و ١٨).



قال يحيى بن معاذ: (إن للتوحيد نورا، وللشرك نارا، وإن نور التوحيد أحرق لسينات الموحدين من نار الشرك لحسنات المشركين). فإذا رأيت المرء يخشى الناس ولا يخشى الله، ويتعلق قلبه بالناس أكثر مما يتعلق برب الناس، ويتغنى رضاهم أكثر مما يتغنى رضاه، ويهرع بالنذور والحاجات الى من يظنه بابا لله، ويطلب منه ما لا يجوز أن يطلبه من غير الله، وإن أصابه خير نسي ربه، وإن أصابته فتنة انقلب على وجهه، فاعلم أنه قد أصابه دخل في توحيده، وخلل في إيمانه، ورقة في دينه .

ومن المسلمين من ينسى الحق إذا طال عليه الأمد، ويألف المنكر إذا تكرر أمامه وعمت به البلوى، فيجرفه التيار، ويظن أنه أحسن صنعا حين لم يخرج عن الجماعة، ولم يشذ عنها في موقف أو رأى أو عادة .

ومتى تكرر المنكر وأصبح الخاصة والعامة يرونه بأعينهم ويسمعونه بأذانهم ويلمسونه بأيديهم، زال قبحه من أنفسهم إلا من عصم الله من أهل العلم الأتقياء الأقوياء، أولئك الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، ولا يسكتون عن الحق خائفين أو مجاملين، ولا مترخصين أو متأولين، وحمد الناس لا يغيرهم، كما أن ذمهم لا يشنيهم، وهم قلة نادرة وسط الغثاء، وفيهم من أيقظه الله للإصلاح، ومن بعثه الله على رأس مائة سنة ليجدد أمر الدين كما جاء في الحديث، فانبهرى كالسهم يقذف بالحق على الباطل فيدمغه، ويحيى روح التوحيد المطلق، ويجلي عن القلوب ما ران عليها من غشاوة الجهل والبدعة، حتى يكون الدين كله لله، وإن حمله ذلك من أذى المبطلين ومقتهم عناء وجهدا وجهادا، ولكنه يقابل السفه بالحلم، والأذى بالصبر والعفو، والعظائم لا يتصدى لها أو ينهض بها غير العظماء .

يروون أن الإمام أحمد بن حنبل كان يقول في دعائه:

«اللهم من كان من هذه الأمة على غير حق - وهو يظن أنه على حق - فرده إلى الحق

ليكون من أهل الحق - اللهم إن قبلت عن عصاة أمة محمد فداء فاجعلنى فداء لهم...»<sup>(٨)</sup>.

إن هذا الجهاد لا يقل خطراً وشأناً عن جهاد الحرب بالسلح، بل هو رغم مغارمه وأهواله يرجح بكل ما ينشد الانتهازيون من مال وجاه .

إنه إصلاح ودعوة لا ينتصر في ساحتها إلا من طهر نفسه، ونقى قلبه، وباع بالإخلاص والولاء ربه، ونور بالعلم والمعرفة عقله وتسليح باليقين وقوة الحجة، وكان هدفه الأسمى أن يحرر النفوس من عنت الأهواء الجامحة، والجاهلية الغاشية، بما يقدمه من تضحية في سبيل الحق، وصبر على البلاء، ونشر لتعاليم السماء، وتخليص لها من شوائب المنكرات والبدع، وترغيب في الخير بما يشيعه بسمو أخلاقه من نبل وفضل.

ومن بين هؤلاء المجددين المصلحين صاحب الدعوة السلفية شيخ الإسلام.

محمد بن عبدالوهاب:

ولد رحمه الله في بلدة العيينة من نجد سنة خمس عشرة ومائة وألف من الهجرة. وبها نشأ، وحفظ القرآن الكريم ولما يبلغ العاشرة من عمره، وتلقى مبادئ العلوم والفقهِ الحنبلي عن والده مفتى عيينة وقاضيتها، ثم سافر الى الحجاز في طلب العلم، وكان كثير التردد على علماء مكة والمدينة، مثل العالم الشيخ حياة السندی المدني صاحب الحاشية على صحيح الإمام البخارى.

ثم ارتحل الى البصرة فتجمع في درس الحديث والفقهِ .

وبعد ذلك قصد بلدة حريملاء حيث كان والده الشيخ عبدالوهاب قاضياً، وإذا خلا بنفسه عكف على دراسة كتب التفسير والحديث، ومؤلفات العلامة ابن تيمية ومؤلفات

(٨) محمد الغزالي ( من معالم الحق ) ١٣٦ ( ط . مصر ١٩٦٣ )

تلميذه ابن قيم الجوزية، وكان تأثره بهذين العالمين الجليلين واضحا في كتاباته وأفكاره واستدلالاته.

وفي حرملاء جرت حادثة جعلته لا يطمئن على الإقامة بها، فرجع إلى بلدة العيينة فتلقيه أميرها عثمان بن معمر بحسن القبول، وكان بها كثير من الأشجار والأحجار التي يعظمها أهل القرية ويذبحون لها، كقبة زيد بن الخطاب، وشجرة أبي دجانه، فسأه ما يرى من هذا الخبط في الضلال، وأقنع أمير البلدة بأن ما يفعله أهلها منكر وبدعة لا بد من وضع حد لها.

فخرج معه يصحبها عدد من الجنود فقطعوا الأشجار التي كان الناس يلوذون بها وهدموا المشاهد والقباب، ومن بينها قبة زيد بن الخطاب، فشكوه إلى حاكم الأحساء والقطيف آنذاك، فأرسل كتابا إلى عثمان بن معمر يأمره فيه بإخراج الشيخ من بلده، فخرج منها وولى وجهه نحو الدرعية حيث نزل ضيفا عند أحد تلاميذه وهو الشيخ أحمد ابن سويلم العريني، وذلك سنة ١١٥٨هـ، فلما علم بمقدمه أمير الدرعية محمد بن سعود زاره في بيت مضيفه، وجرى بينها حديث حول ما يرى في قوم أهل نجد من الشرك الخفي والبعث عن عقيدة التوحيد، وتسرب البدع المنكرة كدعاء الأموات، وتقديس بعض الأشجار والأحجار، وهو ما كان عليه أهل الجاهلية الأولى.

وكان أهل نجد ينتابون قبرا يزعمون أنه قبر ضرار بن الأزور الصحابي المعروف يسألونه قضاء الحاجات، وتفريج الكربات، وشجرة تسمى الطرفية، يعتقدون فيها ما كان يعتقد مشركو الجاهلية في ذات أنواط ومغارة يسمونها مغارة بنت الأمير، ونخلات يختلف إليها النساء اللاتي لم يلدن أو لم يتزوجن، ونحو ذلك مما يمس بجوهر التوحيد في المعتقد، وبالأخلاق الإسلامية في السلوك.

وقد وجد من الأمير أذنا صاغية، وقلبا واعيا، واستعدادا طيبا لحماية ما يعتزم القيام به من دعوة الإصلاح ومقاومة البدع، وطمس مظاهر الشرك وتطهير الدين مما اختلط به من شوائب، وليس ذلك بهين في قوم رانت على قلوبهم خرافات وأباطيل فاجتالتهم عن

الفطرة القويمة لتصبح جزءاً من عقيدتهم، وقاعدة لتصوراتهم، وأن شعورا قويا متمكنا ليكفى وحده في تحديد نشاط الإنسان واتجاهه في الحياة، يقول باسكال:

إن تهيباتنا وأهواءنا وميولنا متصلة بعاداتنا وماضينا ومزاجنا، فقد تمر بنا الحياة طافحة بالعبر، ولكننا نستثقل فيها كل لطيف ونتجهم أمام كل حقيقة، ونستقبح كل جميل.<sup>(٩)</sup>

ولم تكن هذه الحقيقة التي تجهم لها أهل نجد يومئذ سوى عقيدة تصل الناس بربهم من غير وسطاء ولا شفعاء، فيؤمنون بأنه هو وحده صاحب الحول والطول، منه المبدأ وإليه المصير، فتتحرر قلوبهم، وتصلح نفوسهم، وتستقيم حياتهم.

وكان مما اشترطه عليه الأمير ابن سعود لمناصرته قائلاً: «إذا قمنا بنصرتك وجاهدنا معك فلا ترتحل عنا أو تستبدل بنا غيرنا» وكانت نجد في تلك الفترة مفككة الأوصال غير خاضعة لإمارة واحدة مما أدى إلى الفوضى، وسفك الدماء، فتعاهدا على جمع الكلمة وإظهار دين الله، وإصلاح العقيدة والسلوك، وإزالة الشبهات، ومقاومة المحرمات، فدان لدعوته من دان من الهداة والمؤيدين وثار عليه من ثار من الخصوم والمنائين، فأهدروا دمه ودم إخوانه الموحدين، وقد وجد من الإمام البطل محمد بن سعود في هذه المحنة سنداً متيناً، ومدافعاً أميناً ضد العوادي، حتى استقام له الأمر وضمن سلامة الدعوة الإسلامية بعد عشرين سنة من النضال المتواصل، وفي سنة تسع وسبعين ومائة وألف من الهجرة توفي الإمام محمد بن سعود فخلفه ابنه البار عبدالعزيز، رحمة الله عليهما، وعلى كافة المؤمنين الذين جاهدوا في الله حق جهاده وأخلصوا الدعوة لله .

خلف والده في الحكم ، وفي مؤازرة الشيخ ومناصرته، وملاحقة المتمردين والمنشقين، حتى فتح الرياض وتهامة وما يليها من اليمن والحجاز ما عدا الحرمين الشريفين، ودانت له نجد كلها، وبعد مضي سبع وعشرين سنة من ولايته توفي الله شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عن سن تناهز التسعين، وذلك سنة ألف ومائتين وست من الهجرة .

(٩) جميل صليبا: علم النفس - ١٥١ ( ط - دمشق - ١٩٤٨ ).

ومن مؤلفاته رحمه الله ورضى عنه: كتاب التوحيد، وكتاب أصول الإيمان وفضائل الإسلام، وكتاب أحاديث الفتن، ومفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد، وكتاب نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين، ومجموع الحديث مرتبا على أبواب الفقه .

ومن مختصراته: مختصر زاد المعاد لابن قيم الجوزية ، ومختصر الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف للمرداوى الحنبلى، ومختصر الشرح الكبير لابن قدامه المقدسى .

وطبع من رسائله في مجلد (مجموعة التوحيد) الذى يحتوى أيضا على رسائل لشيخ الإسلام ابن تيمية (طبع دار الفكر) أنواع التوحيد - مسائل الجاهلية - كشف الشبهات - هدية طيبة - أوثق عرى الإيمان - التوحيد الذى هو حق الله على العباد...

وفي مجموعة التوحيد أيضا رسالة لحفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن - وموضوعها (بيان المحجة فى الرد على اللجة)، ولأبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأحفاده الذين أوقفوا حياتهم على بث الدعوة ونشر العلم عدة تأليف مثل: تأسيس التقديس فى الرد على داود بن جرجيس، ومصباح الظلام فى الرد على الشيخ الإمام، للشيخ عبداللطيف بن الشيخ عبدالرحمن، وتيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد، للشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله، وكتاب «دورنا فى الكفاح» لمعالى الشيخ حسن آل الشيخ، وقد أحسنت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية صنعا إذ تشكلت بإشرافها وتحت رعايتها أمانة عامة تنظم مؤقرا إسلاميا تحت عنوان «اسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب» يكون فرصة للتعريف بوجهة هذا الداعية المصلح، وبحقيقة دعوته، وكشف الستار عما وراء الشائعات المغرضة التى لم يكن لها من هدف سوى الطعن على حركته الإصلاحية وعقيدته الدينية، وما أشاعوا حول دعوته فى بعض البلاد الإسلامية، قد يكون للخصومات السياسية والحروب التى دارت رحاها فى فترة من التاريخ بين النجديين، وبين أشرف مكة والأترك والمصريين أوفر نصيب فيها .

ومن هذه الشائعات مثلا أن النجديين ومن تأثر بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لا يعظمون النبى صلى الله عليه وسلم ولا يحبونه، ولا يصلون عليه كثيرا، ويعتبرون

التوسل به إلى الله ضلالا، ويقولون لمن يتوسل به أنه صلى الله عليه وسلم ميت لا ينفع ولا يضر، والحي أفضل من الميت .

كيف وهو حي في قبره ومقامه لا يداني، وفضله على أمته لا يضاهاى، وطاعته من طاعة الله وجهه من حبه بل ومن كمال الإيمان، كما بينت ذلك الأحاديث الصحيحة، وقد كان الشيخ عبدالقادر التلمساني أشعريا درس في الأزهر العقائد السنوسية وجوهرة التوحيد وغيرها، وكان كثير الاعتراض على صديقه الشيخ أحمد بن عيسى، وعلى دعوة الإمام ابن عبدالوهاب التى أشيع عنها بأنها قاسية شديدة التزمت والغلو في التفكير، فكان الشيخ أحمد يجيبه بمثل قوله: سبحانك يا رب، هذا بهتان عظيم، كيف ونحن نعتقد أن من لا يصلى على النبی في التشهد الأخير صلاته باطلة، ونعتقد أن من لا يحبه كافر؟ وإنما نحن النجديين ننكر الاستغاثة والاستعانة بالأموات، لا نستغيث إلا بالله وحده، ولا نستعين بأحد سواه، كما جرى على ذلك سلف الأمة، وكان من ثمرات هذه المناظرات التى دارت بينهما مدة طويلة اقتناع الشيخ التلمساني بأن عقيدة السلف أسلم وأحكم، إذ صار من دعائها وطبع على نفقته كتب كثيرة عنها، كان يوزعها مجانا، مثل: الصارء المكى فى الرد على السبكى لابن عبدالهادى، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان لابن تيمية، ونهاية الأمانى فى الرد على النبهانى للألوسى<sup>(١٠)</sup>.

وليس من شك فى أن التزام آداب المناظرة الهادفة، والجدل النزيه الذى يستقطب معرفة الحق أيا كان مصدره، لما يفتحان آفاقا جديدة فى البحث، ويعدلان الموقف المتطرف ويغيران الاتجاه فى المعتقد والسلوك، سيما إذا توفر مع الجدل والحوار حسن النية والتجرد عن الأفكار المسبقة والتعصب والأنانية.

والحق أن ما أقدم عليه سماحة الدكتور عبدالله بن عبدالمحسن التركى مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وأصدقائه العلماء العاملون، من إقامة هذا المؤتمر وجمع الأمانة - التى شكلت لتنظيمه - كل ما كتبه الشيخ ودونه، وتحقيق نسبتها اليه وتوثيقها ونشرها فى طبعة خاصة، وإرسال نسخ منها إلى الهيئات والباحثين الذين قبلوا

(١٠) عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ: علماء الدعوة : ١٢ - ١٣ ( ط المدينى ١٩٦٦ ).

دعوة المؤتمر وأعربوا عن استعدادهم للإسهام فيه، عمل جليل الشأن بعيد الأثر فيه إثراء للمكتبة الإسلامية من جهة، وفيه إنارة الدارسين في البلدان الإسلامية الذين لم تتوافر لديهم مؤلفات الشيخ وأثاره العلمية المعتمدة من جهة أخرى، وعندئذ يتسنى لهم التعرف على حقيقة دعوته، فيكتبوا عنها - إذا كتبوا - بمنهجية وموضوعية علمية<sup>(١١)</sup> تفاديا لكل نقص في المعلومات أو خطأ في نقل النصوص، أو ضعف أو مغالطة في الاستنتاج منها.

وقد أنجزوا بالفعل هذه الأعمال الكبيرة التي تتطلب صبرا وإيمانا وعلما، وأتموا طبع ما يزيد عن عشرة مجلدات من كتب هذا العالم الداعية، ورسائله في العقيدة والآداب الإسلامية والحديث والفقه والسيرة النبوية، فجزاهم الله عن هذا الجهد وعما قدموا للإسلام والمسلمين خير الجزاء.

وقديما قيل: الناس أعداء لما جهلوا، والحكم على الشيء فرع عن تصوره ... لأن من الناس من يصدرون أحكاما مرتجلة بتأثير ما تملئ عليهم أهواؤهم وميولهم الشخصية أو بما أصبح له رواج بين الناس في تحسين شيء أو تقييحه، ومدحه أو ذمه، وليس لهم فيما يصدرون من آراء وأحكام ومدح وذم سند من نقل صحيح، ولا حجة من عقل حصيف.

وكيف يكتب لعقيدة زائفة أو زائفة أن تستقر في القلب، وليس لها مدد من قوة إلهية ولا سند من هدى رباني؟ فهل يقام بناء على غير أساس؟

وإذا كانت المنهجية في البحث العلمي تعتمد على مصادر صحيحة موثوق بنسبتها إلى أصحابها بعيدا عن كل تزيف أو ادعاء أو تشويه، فإن ما قدمته أمانة هذا المؤتمر للباحثين ينم عن روح علمية أصيلة، وعن جدية وإخلاص للحقيقة والتاريخ.

حدثني صديق لي: أن مجلسا جمع بينه وبين بعض العائدين من الحرمين الشريفين بعد أداء فريضة الحج، أثرت فيه عدة قضايا دينية، وانطباعات طيبة وثناء عاطر على أهل المدينة المنورة، وما يتسمون به من لطف وفضل - وكان مما استدرك به أحد الشيوخ الحاضرين - ولكنهم - للأسف الشديد - وهابيون، فقال صديقي مصححا: بل إنهم

(١١) لجنة التحقيق لمؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ق ٣/١٠ و٤ (ط. مطابع الرياض).

حنابلة سلفيون، والنسبة هنا ليس لها من مبرر، ولا معنى لتسمية الدعوة التي قام بها محمد بن عبد الوهاب بالوهابية، لأنها ليست مذهباً في العقيدة كالأشعرية ولا في الفقه كالمالكية، بل هو تابع لغيره فيها، وإن شئت فقل: هو سلفى العقيدة حنبلى المذهب، وما قام به من دعوة إلى التوحيد لا يعدو أن يكون إحياء لمذهب السلف، وإن شئت قلت: هو من باب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. قال أحد الحاضرين الحق أن كثيراً من الحجيج يجهلون مناسك الحج وأدابه، ويفعلون ما قد يجر إلى الشرك الخفى، ومنشأ هذا الخلط والخطب أنهم أميون، وليست لهم ثقافة دينية، ولم يتلقوا قبل سفرهم أداء فريضة الحج من المسؤولين عن الإرشاد الدينى والتوجيه والوعظ في بلدانهم أى توجيه، ولا معلومات، وقد سمعت أحد الحجيج فى المواجئة أمام الحجرة النبوية الشريفة يدعو الرسول بما لا يدعى به سوى الله كقول بعضهم: «بك لذنا يا رسول الله من كل ما نخشى فعجل بالفرج».

فهل يكون اللياذ بغير الله، وهل يكون طلب التعجيل بالفرج من سواه ؟

### دعوته إلى التوحيد من خلال مؤلفاته

وكلمة التوحيد أو كلمة التقوى «لا إله إلا الله» تضمنت نفى الإلهية عما سوى الله وإثباتها لله الواحد الأحد، واللياذ من أنواع العبادة، إذ هى دعاء والدعاء مخ العبادة كما صح فى الحديث، فإن غاية ما يقع من اللائذ والمستغيث والمستعين، إنما هو الدعاء بالقلب واللسان، وقد وعد الله من قصر الدعاء عليه بالإجابة والإنابة، وذلك هو توحيد الأنوثة الذى أمر الله به فى كثير من الآيات كقوله تعالى:

«وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۗ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِهِ أَحَدًا ۗ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۗ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۗ»

(الجن ١٩-٢٢).



كما نهى الله عن الاستعاذة بغيره :

«وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا»

(الجن - ٦)

هذا هو الدين الذي بعث الله به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وأمره أن يبلغه، ولكن الجهل بما بعث الله به رسوله قد عم هذه الأمة إلا ما شاء الله .

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم وإنما أنا عبد فقولوا عبدالله ورسوله) وقال له رجل: ما شاء الله وشئت، فرد عليه صلى الله عليه وسلم قائلا: أ جعلتني لله ندا، بل ما شاء الله وحده» (١٢)

وروى الطبراني بإسناده أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إنه لا يستغاث بي، وإنما يستغاث بالله).

واستنادا إلى ذلك ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قسم العقيدة أن من الشرك أن يستغيث أحد بغير الله أو يدعو غيره (١٣).

ولما سئل حفيده الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن أبيات من البردة للبوصيري قال فيها غلو، مثل قوله:

يا أكرم الخلق مالى من ألوذ به سواك عند حلول الحادث العم

قال: إن ذلك من الشرك، لأن فيه صرف خصائص الربوبية لغير الله، ولقد وقع فيما وقعت فيه النصارى من الغلو الذي نهى الله ورسوله عنه.

وقال في رده على من اعترض عليه ميرنا الشاعر من الشرك بقوله: حمه الله من ذلك، ويكفيه في نفي هذه الشائعة قوله في أول القصيدة:

(١٢) بيان المحجة في الرد على اللجة للشيخ عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب - مجموعة التوحيد: الرسالة ١٣ - ٤٣٩.

(١٣) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب - ق/٤٢/١.

« دع ما ادعته النصارى في نبيهم »

قال: (إن هذا يزيد شناعة ومقتنا لأنه تناقض بين، وبرهان على أنه لا يعلم ما يقول) ثم قال: وهذه التبرئة إنما نشأت عن الجهل وفساد التصرف، فلو عرف الناظم وهذا المعترض ومن سلك سبيلها حق الله على عباده، وما اختص به من ربوبيته وألوهيته، وعرفوا معنى كلام الله وكلام رسوله لما قالوا ما قالوا هم وأمثالهم ممن جهل التوحيد، كما قال تعالى في حق من هذا وصفه:

«... وَإِنَّ كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ  
بِالْمُعْتَدِينَ»  
(الأنعام ١١٩) (١٤).

وقال تعالى:

«لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفِيهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِيَبْلُغُهُ وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ  
إِلَّا فِي ضَلَالٍ»  
(الرعد : ١٤)

وقول البوصيري:

إذا لم تكن في معادى أخذاً بيدي :: فضلا وإلا فقل، يازلة القدم

وهو مناف لقوله تعالى:

«وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ ﴿١٨﴾  
يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ» (الانفطار: ١٧-١٩).

وقوله صلى الله عليه وسلم لابنته فاطمة كما روته الصحاح: « يا فاطمة بنت محمد سليني من مالى ما شئت، لا أغنى عنك من الله شيئا» فتأمل ما بين هذا وبين قول

(١٤) الرسالة ١٣ من مجموعة التوحيد: بيان المحجة في الرد على اللجة للشيخ عبدالرحمن بن حسن ٤٣٨.

الناظم من التضاد والتباين، وأما قوله: «فان من جودك الدنيا وضرتها...» فمن المعلوم أن الجواد لا يجود إلا بما يملكه، فمقتضى ذلك أن الدنيا والآخرة ليست لله بل لغيره ...

وفي الحديث الصحيح: لن يدخل الجنة أحد منكم بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال (ولا أنا، إلا أن يتخمدني الله برحمته).

وقوله: «ومن علومك علم اللوح والقلم» لا يجوز أن يقال إلا في حق الله تعالى الذي أحاط علمه بكل شيء، كما قال تعالى:

« قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ... »

(الأنعام: ٥٠)

إن إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها، وما كان منها وما لم يكن، فذاك إلى الله وحده، لا يضاف إلى غيره من خلقه، فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله، فما أجزأ هذا القائل على الله في سلب حقه، وما أعداه لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولمن تولاه من المؤمنين الموحدين .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله وذكر قول عمر بن الخطاب رضى الله عنه: إنما تنقض عرى الإسلام عروة عروة إذا نشأ في الإسلام من لا يعرف الجاهلية والشرك، وما عابه القرآن وذمه، وقع فيه وأقره، ودعا إليه وصوبه وحسنه، وهو لا يعرف أنه الذى كان عليه أهل الجاهلية أو نظيره، أو شر منه، أو دونه فتنقض بذلك عرى الإسلام ويعود المعروف منكراً، والمنكر معروفاً، والبدعة سنة والسنة بدعة، ويكفر الرجل بمحض الإيمان، وتجريد التوحيد، ويبدع بتجريد متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومفارقة الأهواء والبدع، ومن له بصيرة وقلب حى يرى ذلك عياناً، والله المستعان.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: (وقد رأينا ذلك والله عياناً من هؤلاء الجهلة الذين

ابتلينا بهم في هذه الأزمنة، أشربت قلوبهم الشرك والبدع، واستحسنوا ذلك وأنكروا التوحيد والسنة، وجادلوا بالباطل ليدحضوا به الحق فضلوا وأضلوا<sup>(١٥)</sup>.

والحق أن جينا لرسول الله صلى الله عليه وسلم عرفانا بما له من فضل علينا، وإعجابنا بأخلاقه وكمالاته، وتقديرنا لمنزلته الرفيعة عند الله، ومدحنا إياه مدح المحبين المخلصين، كل ذلك لا يمنعنا من اعتبار ما بين الخالق والمخلوق من حدود لا يمكن أن تحول أو تزول:

« أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ » (النحل : ١٧)

فليس لأحد أن يبغي على هذه الحدود فيتجاوزها، ويتوجه إلى مخلوق بما لا يجوز أن يتوجه به لغير الخالق، إذ في ذلك تنقص للألوهية وهضم للربوبية، ومساواة بالله رب العالمين .

ففي حديث الإفك لما نزلت براءة عائشة من السماء، وأخبرها النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، قالت لها أمها: قومي إلى رسول الله فقالت والله لا أقوم إليه ولا أحده ولا إياكما، ولا أحمد إلا الله الذي أنزل براءتي، وفي رواية: «بحمد الله لا بحمدك»

وأخرج البيهقي بسنده إلى محمد بن مسلم قال: سمعت جبان صاحب ابن المبارك يقول: قلت لعبدالله بن المبارك، إنى لأستعظم قول عائشة للنبي صلى الله عليه وسلم: بحمد الله لا بحمدك، فقال عبدالله: ولت الحمد أهله .

وكان صلى الله عليه وسلم مثال التواضع لله .

قال له وفد بنى عامر: أنت سيدنا، فقال: السيد هو الله تبارك وتعالى، وقال له جماعة: يا رسول الله، يا خيرنا، وابن خيرنا، وسيدنا، وابن سيدنا، فقال: يا أيها الناس قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد عبدالله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عز وجل، (رواه النسائي بسند جيد)

(١٥) المصدر السابق : مجموعة التوحيد: ٤٤٩ - ٤٥٣.

وقد عد الإمام محمد بن عبد الوهاب أن هذا الحديث ونحوه مما حمى الرسول به حمى التوحيد، وسد به طرق الشرك<sup>(١٦)</sup>.

وقال في كلمة التقوى والتوحيد: هي الفارقة بين الكفر والإسلام ... وليس المراد قولها باللسان مع الجهل لمعناها، فإن المنافقين يقولونها، وهم في الدرك الأسفل من النار، مع كونهم يصلون ويتصدقون، ولكن المراد قولها مع معرفتها بالقلب، ومحبتها ومحبة أهلها، وبغض من خالفها ومعاداته، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: « من قال لا إله إلا الله مخلصا » وفي رواية (خالصا في قلبه)، وفي رواية (صادقا في قلبه) وفي حديث آخر، من قال (لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله) إلى غير ذلك من الأحاديث الدالة على جهالة أكثر الناس بهذه الشهادة .. إذا فهمت ذلك فتأمل الألوهية التي أثبتتها الله تعالى لنفسه ونفاها عن محمد صلى الله عليه وسلم وجبريل وغيرهما أن يكون لهم منها مثقال حبة، واعلم أن الألوهية هي التي تسميها العامة في زماننا السر والولاية .

والإله معناه: الولي الذي فيه السر، كما يطلقه عوام نجد في زمانه (ومثلهم في العالم الإسلامي كثير) على من يعتقدون فيه من الأشخاص، ويقصدون به أن ذلك الشخص المعتقد فيه قادر على النفع والضرر، وأنه يصلح لأن يدعى ويرجى ويخاف ويتوكل عليه، فصاروا يقصدون به ما يقصد بلفظ (الإله) .. ظنا منهم أن الله جعل لخواص الخلق عنده منزلة يرضى أن يلتجئ الإنسان إليهم ويرجوهم ويستغيث بهم، ويجعلهم واسطة بينه وبين الله ..

والكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا مقرين لله سبحانه بتوحيد الربوبية، وهو أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيي ولا يميت ولا يدبر الأمور إلا الله وحده، كما قال تعالى:

« قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ

(١٦) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب «الباب ٦٥» ١٤٦.

وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ  
الْأُمُورَ فَيَقُولُونَ اللَّهُ...» (يونس: ٣١).

لكن الذى كفرهم أنهم لم يشهدوا لله بتوحيد الألوهية، وهو ألا يدعى ولا يرجى إلا الله وحده، لا شريك له، ولا يستغاث بغيره، ولا يذبح لغيره ولا ينذر لغيره<sup>(١٧)</sup>

ثم يورد الشيخ ما ينتحله هؤلاء من المبررات والأعدار الواهية فيجيب: (فإن قال قائل من المشركين: نحن نعرف أن الله هو الخالق الرازق المدير، لكن هؤلاء الصالحين مقربون، ونحن ندعوهم وننذر لهم، وندخل عليهم ونستغيث بهم، ونريد بذلك الوجاهة والشفاعة، فقل: كلامك هذا مذهب أبى جهل وأمثاله، فإنهم يدعون عيسى وعزيراً، والملائكة والأولياء يريدون ذلك، كما حكى عنهم القرآن:

«... وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى...» (الزمر: ٣)

«وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ...» (يونس: ١٨).

وقد ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز آية تبين لك أن كفر المشركين من أهل زماننا أعظم من كفر الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال تعالى:

«وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا» (الإسراء: ٦٧)

(١٧) مؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب: القسم الأول : ٣٦٣ - ٣٦٦.

فقد ذكر الله عن الكفار أنهم إذا مسهم الضر، تركوا السادة والمشائخ، فلم يدعوا أحدا منهم، ولم يستغيثوا به، بل يخلصون لله وحده لا شريك له ويستغيثون به وحده، فإذا جاء الرخاء أشركوا.

وأنت ترى المشركين من أهل زماننا - ولعل بعضهم يدعى أنه من أهل العلم، وفيه زهد واجتهاد وعبادة - إذا مسه الضر قام يستغيث بغير الله، مثل معروف.. وعبدالقادر الجيلاني، وأجل من هؤلاء مثل زيد بن الخطاب والزبير، وأجل من هؤلاء مثل رسول الله صلى الله عليه وسلم. (١٨)

والحقيقة التي لا مراء فيها أن مثل هذا الصنيع عبث ولغو، فليس بين الله وبين عباده وسطاء ولا سماسرة.

وحين سرت هذه اللوثة بين المسلمين في جميع أنحاء الأرض أفسدت عقيدتهم وكادت تفسد عليهم حياتهم ومصيرهم، حتى نسوا الله نفسه، وذكروا ما دونه من طواغيت، ومن أنبياء أو من أولياء:

« وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ  
وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ »  
(الزمر: ٤٥)

ومن هنا ظفر هؤلاء الشركاء بنصيب الأسد في كل شيء، في العبادة والإخلاص والسؤال والندر، والحب والحماسة، ولم يبق لله فاطر السماوات والأرض شيء يذكر من ذلك.

وفي الحديث القدسي: (إنني والإنس والجن في نبي أعجب، أخلق ويعبد غيري وأرزق ويشكر غيري).

وحسب الدنيا ضلالا أن تعمي عن إشراق التوحيد في أنحاء الوجود. (١٩) فدعوة

(١٨) المصدر السابق ٣٦٩.

(١٩) محمد الغزالي: عقيدة المسلم ٥٠ (ط. مصر: ١٩٥٢)

الإمام إلى التوحيد الخالص تتجاوز حدود نجد إلى العالم الإسلامي كله وفيه بدون تعيين ولا استثناء من يدعون من دون الله عبادا أمثالهم، وينذرون لهم النذر، ويتقربون إليهم بالقرايين ويجعلونهم لله أندادا.

قال صلى الله عليه وسلم في حديث رواه البخارى عن ابن مسعود رضى الله عنه :  
«من مات وهو يدعو من دون الله ندا دخل النار».

وقد كان الاستعمار الفرنسى بتونس يشجع ماديا وأديبا على إقامة ما يسمى عندنا (بالزردة)؛ وهى ذبح الأنعام فى موسم معين، ينصب الناس فيه الخيام حول ضريح الولى المقصود أيا ما وليالى، استجابة للدعاء، والتماسا للبركة، ويحتفلون مع المشعوذين على أنغام المزامير ودق الطبول ونقر الدفوف، كما كان يشجع الطريقة المنحرفة عن طريق الهدى.

ولا شك أن هذه المسالك الشائعة بين الجماهير الغفيرة من المسلمين لها دلالتها الخطرة على فساد التفكير وضلال الاتجاه، واضطراب المقصد، وكما قال فضيلة الشيخ محمد الغزالي: فإن التوحيد فى الإسلام حقيقة وعنوان، وساحة وأركان، وباعث وهدف، ومبدأ ونهاية .

ولسنا ممن يجب تصيد التهم للناس، ورميهم بالشرك جزافا، واستباحة حقوقهم ظلما وعدوانا، ولكننا أمام تصرفات توجب علينا النظر الطويل، والنصح الخالص، والمصارحة بتعاليم الكتاب والسنة كلما وجد أدنى انحراف .

لقد اهتمت حكومة انجلترا فى سبيل مكافحة الشيوعية بالحالة الدينية فى مصر، فكان مما طمأنها على إيمان المصريين أن ثلاثة ملايين مسلم زاروا ضريح احمد البدوى بطنطا هذا العام، ويقول الشيخ الغزالي معقبا على ذلك:

(والذين زاروا الضريح ليسوا مجهولين لدى، فطالما أوفدت لوعظهم، فكنت أشهد من أعمالهم ما يستدعى الجلد بالسياط، لا ما يستدعى الزجر بالكلام، وكثرتهم الساحقة لا تعرف من فضائل الإسلام وأنظمتهم وأدابه شيئا، ولو دعوا لواجب دينى صحيح لفروا



نافرين، وإن كانوا أسرع إلى الخرافة من الفراش إلى النار، وحسبك من معرفة حالهم أنهم جاءوا الضريح المذكور، للوفاء بالنذور، والابتهاال بالدعاء، ولمن النذر؟ ولمن الدعاء؟ إنه أول الامر للسيد، فإذا جادلت القوم قالوا: إنه لله عن طريق السيد البدوي، وأكثر أولئك المغفلين لغطا يقول لك: نحن نعرف الله جيدا، ونعرف أن أولياءه عبيده، وإنما نتقرب بهم إليه، فهم أظهر منا نفسا وأعلى درجة، وهذا الكلام على فرض مطابقتها لواقع القوم، غلط في الإسلام، فإن الله سبحانه وتعالى لم يطلب منا أن نجى معنا بالآخرين ليحملوا عنا حسناتنا، أو ليستغفروا لنا زلاتنا<sup>(٢٠)</sup>

«أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ...»

(الشورى : ٢٨)

ومن يدرس رسائل الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخطبه في التوحيد والشرك يجد دعوته فيها مدعومة بالحجج القاطعة، والبراهين الساطعة، وبما يقوى الإيمان ويصلح العقيدة ويدحض الشبهات، لاستناده في الاستدلال إلى الكتاب والسنة، وكفى بها حجة على الضالين والمفتريين، وعمله بما يدعو إليه، وكفى بذلك أسوة للمقتدين .

وهو كثيرا ما يفترض سؤالا يجيب عليه، ليلقن الدعاء ما يجب أن يتسلحوا به من أدلة النقل والعقل في دعوتهم إلى التوحيد، كقوله في الرسالة السابعة «الأصل الجامع لعبادة الله وحده»:

«فإن قيل: فما الجامع لعبادة الله وحده؟ قلت: طاعته بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، فإن قيل: فما أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله تعالى؟ قلت: من أنواعها: الدعاء والاستغاثة، وذبح القربان، والنذر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإنابة، والمحبة والخشية، والرغبة، والرغبة، والتأله، والركوع، والسجود، والخشوع، والتذلل، والتعظيم، الذي هو من خصائص الإلهية ودليل الدعاء: قوله تعالى:

(٢٠) محمد الغزالي: عقيدة المسلم: ٥٥

«وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا»

(الجن : ١٨)

ودليل الاستغاثة : قوله تعالى:

«إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ...»

(الأنفال: ٩) (٢١)

وفي بيانه للشرك وتعريفه ذكر له ثلاثة أنواع:

١ - شرك أكبر وهو: شرك العبادة والقصد والطاعة والمحبة.

فمن شرك العبادة: قوله تعالى:

« وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مِنْ يُشْرِكِ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ »

(المائدة : ٧٢).

ومن شرك النية والقصد: قوله تعالى:

« مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوفِ إِلَيْهِمْ أَعْمَلْتُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يَبْخُسُونَ ﴿٥٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطُلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ »

(هود : ١٥-١٦).

ومن شرك الطاعة قوله تعالى:

« اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أَمْرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ »

(التوبة : ٣١)

(٢١) مؤلفات الشيخ الامام ... ق: ١/٣٧٩ - ٢٨٠

وتفسيرها الذى لا إشكال فيه: طاعة العلماء والعباد فى المعصية، لا عبادتهم إياهم، كما فسرها النبى صلى الله عليه وسلم لعدى بن حاتم لما سأله فقال: لسنا نعبدكم، فذكر له أن عبادتهم طاعتهم فى المعصية. (رواه الترمذى).

ومن شرك المحبة قوله تعالى:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ...»<sup>ط</sup>

(البقرة: ١٦٥)

٢ - شرك أصغر وهو: الرياء، لقوله صلى الله عليه وسلم فى حديث رواه الحاكم «اليسير من الرياء شرك».

٣ - شرك خفى، قد يقع فيه المؤمن وهو لا يعلم، كما قال صلى الله عليه وسلم: «الشرك فى هذه الأمة أخفى من دبيب النملة السوداء على صفاة سوداء فى ظلمة الليل»

لذلك كان صلى الله عليه وسلم يقول فى دعائه: (اللهم إنى أعوذ بك أن أشرك بك شيئاً وأنا أعلم، وأستغفرك من الذنب الذى لا أعلم).

وعد من الشرك الخفى: الحلف بغير الله، لما رواه الترمذى وصححه الحاكم عن عمر ابن الخطاب رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من حلف بغير الله فقد كفر، أو أشرك».

وكذلك قول بعضهم فى القسم: والله وحياتك يا فلان، وقولهم فى الاعتراف بالفضل لولا الله وفلان، ولكن يجوز أن يقال: لولا الله ثم فلان<sup>(٢٢)</sup> عملاً بقوله جل وعلا:

«...فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»

(البقرة: ٢٢)

واعتبر أن الإيمان بالله يتوقف على الكفر بالطاغوت، لقوله تعالى:

(٢٢) المصدر السابق: ١٠٩

«... فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا  
أَنْفَصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»

(البقرة: ٢٥٦)

والطاغوت عام في كل ما عبد من دون الله ورضى بالعبادة من معبود أو متبوع أو  
مطاع في غير طاعة الله ورسوله .  
والطاغوت كثيرة، ومن رؤوسهم:

١ - الشيطان: لقوله تعالى:

« أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا آدَمُ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكَ  
رُوَيْءٌ »  
« عَدُوٌّ مبین »

(يس : ٦٠)

٢ - الحاكم الجائر المغير لأحكام الله، لقوله تعالى:

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ وَمَا أَنْزَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ  
يُرِيدُونَ أَنْ يُنْحَاكُمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ ۗ وَيُرِيدُ  
الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا »

(النساء : ٦٠)

٣ - الذى يعبد من دون الله وهو راض بالعبادة ، لقوله تعالى:

« وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ ۗ فَذَلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ <sup>ع</sup> »  
(٢٣)

الأنبياء - ٢٩ .

(٢٣) مؤلفات الشيخ الامام .. ق ٣٧٩/١

يقول الشيخ رحمه الله في رسالته الثانية عشرة:

الأصل الأول: إخلاص الدين لله تعالى وحده لا شريك له، وبيان ضده الذي هو الشرك بالله، وقد أسهب القرآن في بيان هذا الأصل من وجوه شتى بكلام يفهمه أبلد العامة، ثم لما صار على أكثر الأمة ما صار، أظهر لهم الشيطان الإخلاص في تنقص الصالحين والتقصير من حقوقهم، وأظهر لهم الشرك بالله في صورة محبة الصالحين واتباعهم» (٢٤).

وما يزال هذا الخلل الخطير في دعامة التوحيد يعصف بالعقيدة الإسلامية في كثير من بلدان العالم الإسلامي، ولتخبط الكثيرين في لجج الوثنية، أو ما يشبهها في المعنى والحقيقة، لأن عقولهم لم تتحرر من الأوهام الفاسدة التي لا تنفك عن العقيدة الباطلة، ونفوسهم لم تنتزه عن الملكات السيئة التي تلازم تلك الأوهام، وقلوبهم لم تتخلص من تعدد المعبودين أشخاصا كانوا أم غير أشخاص كاهوى والمال:

«أَفَرَأَيْتَ مَنْ آخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ...» (الجمانية: ٢٣)

وكما قال الشيخ محمدم عبده فإن التوحيد الخالص: ألا يخضع الإنسان لأحد إلا الخالق السماوات والأرض، وقاهر الناس أجمعين.

وبهذه العقيدة تجلب للإنسان نفس حرة كريمة، وأطلقت إرادته من القيود التي كانت تعقدها بإرادة غيره، سواء كانت إرادة بشرية ظن أنها شعبة من الإرادة الإلهية كإرادة الرؤساء والسيطرين، أو إرادة موهومة اخترعها الخيال، كما يظن في القبور والأحجار والأشجار والكواكب ونحوها، وافتكت عزيمته من أسر الوسطاء والشفعاء.. والمتكهننة والعرفاء، وزعماء السيطرة على الأسرار، ومنتحلي حق الولاية على أعمال العبد، فيما بينه وبين الله، الزاعمين أنهم واسطة النجاة، وبأيديهم الإشقاء.. والإسعاد، وبالجملة فقد أعتقت روحه من العبودية للمحتالين والدجالين، فصار الإنسان بالتوحيد عبدا لله خاصة حرا من العبودية لكل ما سواه. (٢٥).

(٢٤) المصدر السابق: ق: ١/٣٩٣.

(٢٥) محمد عبده: رسالة التوحيد: ١٣٨ (ط - دار المعارف - مصر).

ويعجبني في هذا الصدد ما قاله القشيري في تفسيره للآيات المتضمنة قصة ابتلاء إبراهيم عليه السلام، بذبح ولده "فلما بلغ معه السعي" (إشارة الى وقت توطين القلب على الولد.... ويقال في القصة: إنه رآه ذات يوم راكبا على فرس أشهب، فاستحسنه ونظر إليه بقلبه، فأمر بذبحه، فلما أخرجه عن قلبه واستسلم لذبحه ظهر الفداء وقيل له: كان المقصود من هذا فراغ قلبه عنه) (٢٦).

وقد أفاض الشيخ محمد بن عبد الوهاب القول في إخلاص العمل لله، وتفرغ القلب من كل ما يشغل عنه أو يوجه إلى غيره، وهي دقائق لا يحسها إلا من مارس الإيمان وعاش تجاربه الروحية، فهو يقول: (الفقر للمخلوق وصف لازم لا يفارقه في الدنيا ولا في الآخرة، فهو محتاج إلى الله من جهة ربوبيته، فلا نستعين بغيره، ومن جهة الألوهية، فلا يعبد غيره، كما قال تعالى:

«إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (٥)

فإن لم يعبد خسر الدنيا والآخرة، وإن لم يعنه على عبادته لم يقدر على عبادته ...

وإذا كان الخلق كلهم فقراء إلى الله والله يرحمهم بما شاء من الأسباب، فالله الذي أمرنا بالصلاة والسلام على نبيه هو الذي يثينا على ذلك... فعلى العبد أن يلاحظ التوحيد والإنعام.. ولكن هؤلاء جعلوا الهدية له بمنزلة الهدية إلى الله وكانهم يتقربون إليه كما يتقربون إلى الله، فجعلوا المخلوق كأنه الرب الغنى عنهم، المجازي لهم، وجعلوا الرب محتاجا إلى عبادتهم وهو لم يبرئ من الشرك والابتداع والغلو، هؤلاء الذين يهدون العبادات إلى الأنبياء لطلب الأجر منهم.

أما إشراكهم فقد ضاهوا المخلوق بالخالق .

وأما الابتداع: فهذا العمل لم يسنه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

(٢٦) القشيري: لطائف الاشارات: ج: ٥/ ٢٣٨ ط. مصر ١٩٧٠.

والغلو: حيث جعلوا في البشر شوباً من الربوبية والإلهية، ثم هم في تقربهم إلى غير الله بالأعمال يشبهون المتوكلين على غير الله المستغيثين بغيره. (٢٧)

(والشيطان يأمر بالشرك والنفس تطيعه، فلا تزال تلتفت إلى غير الله إما خوفاً وإما رجاء، فلا يزال العبد مفتقراً إلى تخلص توحيده من شوائب الشرك) (٢٨).

ويظهر مدى تأثر ابن عبد الوهاب بابن تيمية من خلال آرائه وحججه، ومن خلال المسائل التي لخصها له، والتي طبعت في كتاب (ملحق المصنفات)، وقد بلغت مائة وخمسة وثلاثين مسألة.

أما دعوته التي ضمنها دراساته وفتاويه وخطبه ورسائله في فترة ضعف فيها كيان الدولة الإسلامية وتوقف المد الإسلامي، كما قال معالي مدير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في تقديمه لكتاب ملحق المصنفات: «فإنها لم تكن دعوة إلى أمر غريب، بل هي دعوة إلى العودة لدين الله والاستمسك بكتاب الله وسنة رسوله والوقوف عندهما، وتحرير العقائد مما خالطها من شوائب، والعقول مما تفتش فيها من عادات وخرافات... فوجدت مناخاً صالحاً، وقوة تتبناها، وتدفع بها وتحميها ...

وميزة الإسلام أنه يجتمع في دعوته الفكر والعمل، والمنهج والتطبيق، والتشريع والحكم، ولا بد أن يؤمن به الناس، ويلتزموه ويدافعوا به، ويدافعوا عنه... (٢٩)

وما أشد حاجة المسلمين اليوم - حيثما كانوا - إلى دعاة واعين مصلحين عاملين. فجعل السواد الأعظم منهم بحقيقة دينهم، وطغيان الطواغيت في الأرض، وتأثير الأيدلوجيات الاقتصادية والاجتماعية على العقول، والدعايات الإعلامية لمختلف المذاهب الفكرية التي لا تمت إلى الدين بصلة، وتجروا الناس على الاجتهاد في الدين، وتحكيمهم العقل في الوحى، وانحرفهم عن عبادة الله الحق، وسيطرة المادة عليهم، كل

(٢٧) مؤلفات الشيخ الامام : ملحق المصنفات : ١١٠ - ١١١.

(٢٨) المصدر السابق : ١١٤.

(٢٩) المصدر السابق : تقديم: عبدالله بن عبدالمحسن التركي : ٢.

ذلك نتجت عنه جاهلية حديثة، أو جاهلية القرن العشرين كما سماها الأستاذ الداعية محمد قطب، وكما كشف عن ملامحها، وأوضح ما تولد عنها من فساد في التصور، والعقيدة والسلوك، والسياسة، والاجتماع، والأخلاق، والفن... (٣٠)

وجل رجال الفكر الإسلامى لم يولوا الدعوة إلى الله من عنايتهم وجهدهم ما أولوه للبحث في قضايا العقيدة، حتى كادوا يحولون الإيمان من بساطته إلى قضايا فلسفية وأقيسة منطقية ومناقشات كلامية، فعدلوا به عن نهج الفطرة، ولم يستطيعوا أن يحولوه من فكر إلى عمل ومن نظر إلى تطبيق، أما سواد العامة، فلم يتحرروا من ربكة الأسباب القريبة الخاضعة لعوامل التغير والفناء وتقلبات الظهور والاختفاء، بل ركنوا إلى الحرافات وإلى تلك الظلال المتقلصة، وأهتتهم الأسباب الظاهرة عن التوجه إلى رب الأرباب ومسبب الأسباب.

فكان مثلهم في ذلك كمثل الذى يرى تفرق منابع الأنهار في الأرض، ولا يذكر أن مردتها جميعا إلى أصل واحد، وهو الماء الذى أنزله الله من السماء، فسلكه ينابيع (٣١)

وفي افريقيا السمراء ما تزال بعض التأثيرات الوثنية القديمة تطفئ على العقيدة الإسلامية، وتقوم بعض تصرفات القبائل هناك على رمز «الطوطم» وعلى مخلفات القرون البائدة، مثل قبائل البامبرا في مالى، وقبائل اليوروبا في نيجيريا.

يقول (رو) الكاتب الفرنسى في كتابه: «الإسلام في الغرب»:

«إن هناك وثنيين يذهبون إلى المسجد مع المسلمين، وقد جرت العادة عندهم أن يخفوا وثنيتهم ليظهروا بمظهر الرقى والتقدم، لأن المجتمع الوثنى أصبح يعتقد أن الإسلام صنو التقدم. (٣٢)

ولئن جاء الأوروبيون إلى أفريقيا السمراء بنوع من الحضارة، فإن الإقبال عليها من

(٣٠) محمد قطب: جاهلية القرن العشرين: ٤٧ - ٤٨ (ط دار الشروق: ١٩٧٨)

(٣١) محمد عبدالله دراز: الدين: ١٣٢ (ط الكويت: ١٩٧٤).

(٣٢) j.p roux ; I , Islam en occident : 29( PARIS1959)



الأفارقة في السنوات الأخيرة تضاعف بصورة لاحظها المسيحيون أنفسهم، لأنها كانت مقترنة بتجارة الرقيق والتمييز العنصري، والاستبداد والاستغلال والمخدرات والخمور والفساد الخلقى، وبالتالي فإنها لم تحمل معها المساواة ولا التسامح المسيحي المزعوم.

وفي أفريقيا اليوم اتجه جديد نحو الإسلام، فقد أصبح الوثنيون عباد التعاويذ ينظرون إلى الوثنية صورة من صور التخلف الأفريقي، ولكن بعض الطوائف المسيحية والكنيسة تعمل على تغذية الروح الوثنية ومسايرتها، إذ هي عندها أفضل من الإسلام، ولكن بدون جدوى، فإن كسب الإسلام لأقوام جديدة في مناطق تشاد ونيجيريا ومالي يعتبر نصراً مستمراً للإسلام ولحضارته وقيمه.

إن هذه الأوضاع الجديدة في أفريقيا السمراء وما عليه كثير من المسلمين في مختلف أنحاء العالم الإسلامي من تمزق وانحراف وبدع وبعد عن عقيدة التوحيد، .. واقتراب من الوثنية والشرك، كل هذا ونحوه، ليفرض علينا مسؤوليات دينية مضاعفة في مجال الدعوة لإزاحة ما ران على القلوب من غشاوة البدع والمنكرات، حتى لا تبقى نظرتها قاصرة عن النفاذ في بواطن الأمور وعن الامتداد إلى منابها.

فلا بد أن نعرفهم بما يجهلون، ونذكرهم بما ينسون، ونبيهم إلى ما هم عنه يغفلون.

ولا بد للجامعات الإسلامية أن تولى شعبة الدعوة والإرشاد في كلياتها ومعاهدها العليا ما تستحق من عناية واهتمام، لإعداد دعاة علماء عاملين يضطلعون بأعباء الدعوة الإسلامية، ويحسنون التبليغ بدفع وتشجيع من المؤسسات والمنظمات، كجامعة الإمام محمد بن سعود، ورابطة العالم الإسلامي، والمنظمة العالمية للشباب الإسلامي.

حيا الله العاملين لخير الإسلام والمسلمين، وأجزل لهم المثوبة.. وهو حسبنا ونعم الوكيل.

الإمام محمد بن عبد الوهاب  
في مدينة الموصل

للواء الركن

محمد شيب فطاب

عضو المجمع العلمي العراقي



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

- ١ -

ذكر المؤرخ ياسين بن خير الله الخطيب العمري الموصل<sup>(١)</sup> في كتابه: (غرائب الأثر)<sup>(٢)</sup>، في حوادث سنة ثمان ومنتين وألف الهجرية، أن الإمام «محمد بن عبد الوهاب قدم الموصل، وقرأ العلم على العلامة مولانا ملاحمد الجميلي<sup>(٣)</sup> وأخذ عنه الكثير<sup>(٤)</sup>».

وقد ذكر هذا المؤرخ هذا الخبر في معرض الحديث عن وفاة الإمام دون أن يذكر سنة قدومه الموصل ولا مدة مكوثه فيها طالبا للعلم.

ومن المعروف أن الإمام توفي سنة ست ومنتين وألف الهجرية لا سنة ثمان ومنتين وألف الهجرية، كما أورد المؤرخ العمري في كتابه: (غرائب الأثر)، وقد يكون سبب هذا الخطأ هو تأخر وصول نعي الإمام الى المؤرخ في الموصل، لصعوبة المواصلات البريدية في حينه، ولأن الأخبار تنقل بوسائط بدائية بالأشخاص المتنقلين سيرا على الأقدام أو على الدواب، كما أن البريد لم يكن منتظما يؤمن انتقاله بسرعة ولا كان منتظما بين (نجد) حيث توفي الامام (الموصل) حيث يقيم المؤلف العمري.

\* \* \* \*

- (١) ياسين العمري: انظر سيرته في: منهل الأولياء (٣٠٨/١)، ومنية الأدياء (٢٨/١١). وزبدة الآثار الجليلة في الحوادث الأرضية (٢٨-١٦).
- (٢) غرائب الأثر في حوادث ربيع القرن الثالث عشر - نشر الدكتور صديق - الموصل ١٣٥٩هـ.
- (٣) انظر سيرته في شامة العنبر (٣٣٥-٣٣٨) ومنهل الأولياء (٢٧١/١) والسيف المهند (مخطوط) والدر المكنون (مخطوط). (٤) غرائب الأثر ٣٤.

والمؤرخ العمري كان معاصرا للإمام، فقد ولد في الموصل سنة سبع وخمسين ومئة وألف الهجرة<sup>(٥)</sup> (١٧٤٤م)، وتوفي بعد سنة اثنتين وثلاثين ومئتين وألف الهجرة<sup>(٦)</sup> (١٨١٦م)، والإمام محمد بن عبد الوهاب ولد سنة خمس عشرة ومئة وألف الهجرة (١٧٠٣م)، وتوفي سنة ست ومئتين وألف الهجرة (١٧٩٢م)<sup>(٧)</sup>، فهو شاهد عيان، لأخباره قيمة خاصة، وكان دقيقا في تسجيل الأحداث الدائرة في مدينة الموصل<sup>(٨)</sup>، معنيا بذلك أشد العناية، ومعروفا بالصدق والاستقامة في تأريخه للحوادث، وليست له مصلحة مادية ولا معنوية تحمله على إقحام رحلة الإمام الى الموصل، ودراسته على أحد شيوخها، فالمؤرخ العمري متصوف<sup>(٩)</sup> شديد التمسك بالصوفية والدفاع عنهم، يصف نفسه بأنه: «حسن الاعتقاد بالأولياء الكرام، و المشايخ العظام»<sup>(١٠)</sup> بينما الإمام سلفي ملتزم أشد الالتزام بالسلفية والدفاع عنها، لا يرضى العمري عن مسلك الإمام السلفي<sup>(١١)</sup>، لأنه يناقض مذهبه ومشربه.

كما أن المؤرخ العمري كان معاصرا للشيخ حمد الجميلي الذي توفي سنة سبعين ومئة وألف الهجرة<sup>(١٢)</sup> (١٧٥٦م)، وترجم له في كتابه المخطوط: (السيف المهند في من اسمه أحمد)، مما يدل على أنه كان وثيق الصلة بالشيخ الجميلي، يعرف طلابه وشيوخه وأقرانه من علماء الدين، كما ترجم للشيخ الجميلي أيضا المؤرخ الموصل محمد أمين بن خيرالله

(٥) منهل الأولياء (١/٣١٠).

(٦) زبدة الآثار الجلية ٢٢.

(٧) الأعلام (١٣٧/٧) وترجم الأعلام المعاصرين في العالم الاسلامي ٤٩٣.

(٨) زبدة الآثار الجلية ٢٠.

(٩) غاية المرام ٣٧٣.

(١٠) غرائب الأثر ٢٥.

(١١) غرائب الأثر ٣٥.

(١٢) منهل الأولياء (١/٢٧١).

الخطيب العمري، أخو المؤرخ ياسين العمري في كتابه: (منهل الأولياء) (١٣)، وقرأ عليه (١٤)، مما يدل على أن الشيخ الجميل وثيق الصلة بالأسرة العمريّة.

والذين خبروا الحياة الاجتماعية في (الموصل)، يعلمون أن الصلة في الأسرة العلمية طلابا وشيوخا، هي أقوى وأمتن من الصلة في الأسرة العائلية: فقراءة العلم في الموصل الحدياء أعمق جذورا من قرابة النسب، والطالب بالنسبة لشيخه ولد متعلم، والشيخ بالنسبة لتلميذه والد ومعلم.

وأهل الموصل مهما تعلو منزلة أحدهم جاها وثراء ومكانة وسلطانا، يتواضع لأصحاب العمام من علماء الدين أشد التواضع، ويحترمهم ويوقرهم ويحذب عليهم وهم يقدمونهم ويسرون وراءهم ولا يتقدمون عليهم، ويتنازلون لهم عن صدور مجالسهم تطوعا، وينصتون لأقوالهم وينفذون لهم رغباتهم، وقلما تجد موصليا أصيلا يجهل تفاصيل أخبار رجال الدين ونشاطهم العلمي وجهودهم في الدعوة إلى الله.

لا عجب في أن يتناقل الطلاب أخبار شيوخهم شفاها وتسجيلا، ويتناقل الشيوخ أخبار طلابهم حديثا وتدوينا، ويدون المؤرخ تلك الأخبار بأمانة وصدق.

\* \* \*

- ٣ -

ولا يقلل من أهمية رحلة الإمام محمد بن عبد الوهاب العلمية إلى الموصل وأثرها في تكوينه العلمي واتجاهه الفكري، إغفال المصادر والمراجع التي ترجمت له وأرخت لدعوته، لهذه الرحلة العلمية إلى هذه المدينة العلمية، ولعل أهم أسباب إغفالها هو نشر كتاب: (غرائب الأثر) متأخرا في سنة (١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م) لمؤرخ غير متهم في صدقه وأمانته، وكان نشر هذا الكتاب بعد صدور معظم تلك المصادر والمراجع، وقد كان هذا الكتاب بعد صدوره مجهولا بالنسبة للذين كتبوا بعد إخراجه للناس، والواقع أن كتاب: (غرائب

(١٣) منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدياء (١/٢٧٢-٢٧٢).

(١٤) منهل الأولياء (١/٢٧٢).

الأثر) مجهول بالنسبة لأكثر الباحثين العراقيين، فلا عتب على الباحثين من غير العراقيين عربا وأجانب.

وقد اقتصرت تلك المصادر والمراجع على ذكر رحلة الإمام إلى مدينة (البصرة) العراقية، ولم تتطرق إلى رحلاته العلمية الأخرى<sup>(١٥)</sup>، ولكن قسما منها ذكر رحلاته إلى أمصار إسلامية أخرى خارج (نجد) ، ومن تلك المراجع كتاب: (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) الذي صنعه حسين خلف الشيخ خزعل، فقد جاء فيه «ان رحلات الشيخ محمد بن عبد الوهاب امتدت إلى بغداد وكرديستان وإيران وبلاد الترك والشام وبيت المقدس»<sup>(١٦)</sup>.

وهذا المؤلف وغيره يقصد بتعبير: (كرديستان)، هو ما نطلق عليه اليوم (شمالى العراق) ، وكان تعبير: (كرديستان) يطلق على منطقة شمالى العراق قبل الحرب العالمية الأولى، فأصبح بعد تكوين العراق الحديث بحدوده الجغرافية يسمى بشمالى العراق.

ويبدو أن مؤلف كتاب: (حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) نقل المعلومات التى أوردها فى كتابه مما دونه (مرجيلوث) فى دائرة المعارف الإسلامية<sup>(١٧)</sup>، فهو الذى ذكر أن الإمام رحل إلى (كرديستان) مع أن الناقل ألف كتابه وأخرجه للناس سنة ١٩٦٨ م !

وبالإمكان استنباط زمان ومكان قضاء الإمام رحلته العلمية إلى شمالى العراق بالمقارنة بين ما جاء فى المصادر والمراجع التى تحدثت عن رحلته إلى (كرديستان) دون أن

---

(١٥) انظر سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب لأمين سعيد «٢٠» والاعلام للزركلى (١٤٧/٧)، ومحمد بن عبد الوهاب لمسعود الندوى.

(١٦) انظر التفاصيل فى كتاب: حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦٥-٦٨)، ومرجيلوت فى دائرة المعارف الإسلامية (١٠٨٦/٤-١٠٨٩)، وبرجس «٧»، وبالغريف (٣٦٣/٤)، وهيويس (٦٥٩)، وزويمير (١٩٢) ذكر بعضهم أنه سافر إلى بغداد وبعضهم ذكر سفره إلى دمشق وبعضهم جمع بينها. انظر الهامش: ٤ من كتاب محمد بن عبد الوهاب.. لمسعود الندوى (٤١/٤٠).

(١٧) دائرة المعارف الإسلامية (١٠٨٦/٤-١٠٨٩) وهناك فى إيران منطقة كرديستان وفى تركيا أيضا.

تذكر البلد الذي استقر فيه، وما جاء في المصدر الجديد: (غرائب الأثر) ، ولعل في هذا الاستنباط ما يضيف جديدا على سيرة الإمام .

كانت رحلة الإمام الى العراق سنة (١١٣٦هـ - ١٧٢٤م) ، فمكث في بغداد ثلاث سنوات، أى أنه كان في بغداد حتى سنة (١١٣٩هـ / ١٧٢٧م)، ثم رحل الى شمالي العراق، فجاها بلدا بلدا، وقضى في هذه الجولة سنة واحدة<sup>(١٨)</sup>، فقد غادر (نجدا) سنة ١١٣٦هـ.

وفي شمالي العراق مراكز علمية مهمة وبخاصة في كركوك والسليمانية وأربيل والعمادية ودهوك وزاخو، ولكن أهم تلك المراكز دون شك ليس على نطاق شمالي العراق بل على نطاق العراق كله والبلاد العربية هو مركز الموصل العلمي، فالموصل هي حاضرة شمالي العراق وأكبر مدنه، وأكبر المدن العراقية بعد بغداد، وكانت تستقطب أبرز شيوخ شمالي العراق بخاصة وقسما من علماء البلاد الإسلامية بعامه، وكان يؤمها الطلاب والشيوخ لارتشاف العلم من مناهلها الثرة.

«لأن فيها أربعا وأربعين مدرسة علمية<sup>(١٩)</sup>» في أيام زيارة الإمام لها، عامرة بعلماء الدين الأعلام، غاصة بطلاب العلم الموصلين وغيرهم.

ومن المعلوم أن رحلة الإمام العلمية الى ربوع شمالي العراق ، لم تكن للاصطياف أو الاطلاع على المعالم السياحية، بل كانت جهادا في سبيل العلم وحده، فليس من المستغرب أنه جاب المراكز العلمية في شمالي العراق ، ولكنه قضى معظم عامه الدراسي في المركز العلمي الرئيسي: الموصل، وهو عام ١١٤٠هـ - ١٧٢٨م)

وهذا يعنى أن الإمام دخل الموصل طالبا وعمره يومئذ خمسة وعشرون عاما، لأنه ولد سنة (١١١٥هـ - ١٧٠٣م)، وهو العمر الذي يكون فيه الطالب في أوج نشاطه الذهني لتلقى العلم والإقبال عليه والتأثر به وبالمحيط من الطلاب والشيوخ والأحداث.

(١٨) حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب (٦٥-٦٦) وانظر كتاب: الموصل في العهد العثماني (٤١٤- وما بعدها).

(١٩) انظر التفاصيل في: مدارس الموصل في العهد العثماني - سعيد الديوه جي بغداد ١٩٦٤م.



ولعل من أسباب إيثار الإمام للموصل على غيرها من المراكز العلمية في شمالي العراق، هو أن الموصل عربية بسكانها وتقاليدها ولغتها، وكانت عربية أصيلة قبل الفتح الإسلامي وأيام الفتح الإسلامي سنة ست عشرة الهجرية<sup>(٢٠)</sup>، وبعد الفتح حتى اليوم ، هذا بالإضافة الى أنها أكبر مركز علمي في شمال العراق.

أما سائر المراكز العلمية الأخرى في شمالي العراق، فهي ليست عربية بسكانها ولغتها: كركوك تركية، والسليمانية وأربيل والعمادية ودهوك.. وزاخو كردية، ولكن العربية هي لغة العلم في المراكز العلمية كافة، لأن العربية هي لغة الكتاب العزيز.

ولكن، هل زار الإمام جميع المراكز العلمية في شمالي العراق، وكم قضى من وقت في كل مركز علمي زاره ؟

ذلك ما يصعب الإجابة عليه، ما دمنا ملتزمين بالنصوص التاريخية التي تحدثت عن رحلة الإمام العلمية في شمالي العراق ، ولكنه يمكن الاستنتاج أنه قضى معظم عامه الدراسي هذا في الموصل الحدياء.

\* \* \* \*

- ٤ -

وكل طالب علم يتأثر بأستاذه الذي يعلمه، والطلبة الذين يتلقون العلم معه، والمحيط الذي يعيش فيه، والأحداث التي تكتنفه.

وقد كان الشيخ حمد الجميلي الأستاذ الذي اختاره الإمام من شيوخ الموصل يقرأ عليه، فمن المفيد أن نتذكر شيئاً من سمات الشيخ الجميلي الشخصية والعلمية ، لنعرف مبلغ تأثيره في تلميذه محمد بن عبد الوهاب الذي كان في ريعان الشباب.

كان فقيهاً فاضلاً، جمع بين المعقول والمنقول، وزاحم الفحول، وتصدى للتدريس

---

(٢٠) الطبري (٤/٣٦٣٥) وابن الأثير (٢/٥٢٣-٥٢٤).

فانتفع به الناس<sup>(٢١)</sup>، حاز من الحكمة خيرا كثيرا<sup>(٢٢)</sup>، وكان أوحد عصره علما وأجلهم فهما<sup>(٢٣)</sup>،

وفي سنة (١١٦٩هـ - ١٧٥٥م) بنى الوزير محمد أمين باشا الجليلي جامع (الباشا) في مدينة الموصل من ماله ومال أبيه الحاج حسين باشا الجليلي<sup>(٢٤)</sup>، فاختر الوزير الشيخ الجميلي ليكون أول مدرس في مدرسة جامعته<sup>(٢٥)</sup>، وكان للجميل الحظ الأوفر عند حكام الموصل وولاتها والقبول التام ومن ندماء أعيانهم من أخلص أصدقائهم، ليس بينه وبينهم حجاب<sup>(٢٦)</sup>، وهذا يدل على أنه برز في علمه وتفوق على أقرانه من علماء الدين، فأصبح شيخ شيوخ مدينة الموصل.

ويبدو أنه لم يتقرب لذوى السلطان في محاولة للتكسب، «أراه مع ما هو عليه من مدارسة العلم، له من كسب يده، والتمسك بعروة الأسباب أو في سهم لا يعتمد بعد الله إلا على معاش اخترع أسبابها، ومصايد للرزق ابتدع اكتسابها، وذلك لئلا يكون كلاً على الناس» فعمل بزازا وحماميا<sup>(٢٧)</sup>، أو عمل في الحرفتين معا في أن واحد. وهذا دليل على أن ذوى السلطان احتاجوا إليه فقربوه، ولم يتقرب إليهم، ولم يكن بحاجة إليهم، لأنه غنى ماديا بعمله، ومعنويا بعلمه، وليس لديهم ما يطمع فيه.

لقد قدمه عقله وعمله وحرصه على كرامة العلم والعلماء.

والذين أرخوا لعلماء الدين في الموصل، نصوا على المتصوفة منهم وذكروا لهم طريقتهم في التصوف، وأكثرهم نقشبندية أو قادرية، ولم ينصوا على أن الشيخ الجميلي كان متصوفا.

(٢١) منهل الأولياء: (١/٢٧١-٢٧٢).

(٢٢) شامه العبد (٣٣٥).

(٢٣) السيف المهند في من اسمه احمد (مخطوط).

(٢٤) جوامع الموصل (١٨١).

(٢٥) جوامع الموصل (١٨٥).

(٢٦) منهل الأولياء (١/٢٧٢).

(٢٧) شامه العنبر (٣٣٥-٣٣٦).

ومن الواضح أن الشيخ الجميلي أثر في تلميذه محمد بن عبد الوهاب في راحة عقله، وغزارة علمه، وفي التزامه بالكتاب والسنة وكرامة العلم والعلماء باعتباره العلم عبادة من أجل العبادات لا تجارة من أرباح التجارات.

والشيخ الجميلي نسبة الى (جميل) مصغراً<sup>(٢٨)</sup>، وهو من أعراب البادية: ولكن ما استحضرت من العلوم في خزانة محفوظته، أجرتها على لسانه جرى الماء المسجوم، كما قيل:

فلو بدا لشيوخ الحضرة قمن له      مستقبليه وقلن الفضل للبادي<sup>(٢٩)</sup>

ولعل من أسباب اختيار الطالب محمد بن عبد الوهاب الدراسة على الشيخ الجميلي بالإضافة الى أن الشيخ عالم متين، هو أنه من أعراب البادية، والجنس للجنس يميل، وقد وافق شن طبقه، كما يقول المثل العربى المشهور.

أما أثر أقران محمد بن عبد الوهاب فيه يوم كان طالباً في الموصل، فهو أثر كل طالب علم بأقرانه، فالحديث عنه حديث معاد.

أما أثر أهل الموصل بالطلاب الذين يعكفون على الدراسات الدينية، فإن طالب العلم، كما كانوا يطلقون على طلاب المدارس الدينية، كان موضع احترامهم العميق وحفاوتهم البالغة واهتمامهم الكبير، وكان أهل الموصل يراعون فقراء الطلاب حق الرعاية فتنهال عليهم العطايا والهدايا، ويدعون الى الأفراح والولائم، فلا يشعر الغريب منهم بغريته، ولا الفقير بفقره، وكان سكنى الغرباء في المدارس الدينية التي كانت تزودهم بالغذاء والكساء والغطاء، بالإضافة الى رعاية شيوخهم وأغنياء البلد وحكامها، تلك الرعاية التي لا مثيل لها في المدن الأخرى إلا نادراً.

- ٥ -

وأراد الله سبحانه وتعالى أن يتيح للطالب الشاب وهو في الموصل أن يشهد أزمة

(٢٨) منهل الأولياء (١/٢٧٦).

(٢٩) شهامة العنبر (٣٣٥) والجميليون اليوم سكنوا الرمادى والفلوجة وبغداد، وعانة وسامراء والموصل وغيرها من المدن العراقية وتحضروا ولم يبقوا أعراب بادية كما كانوا قبل مائة وخمسين سنة خلت.

نبوءة النبي جرجيس عليه السلام<sup>(٣٠)</sup> الذي له مرقد معروف في الموصل يزار<sup>(٣١)</sup>، محاط  
بجامع كبير يطلق عليه (جامع النبي جرجيس)<sup>(٣٢)</sup>

فقد أنكر الشيخ احمد بن الكولة<sup>(٣٣)</sup> نبوءة النبي جرجيس، فآثار موجة عارمة من  
الإنكار والاحتجاج في الموصل أولاً، ثم انتقلت الى المدن المجاورة، فانبرى الشيخ على بن  
الدباغ الحلبي الموقت في (حلب)<sup>(٣٤)</sup>، يرد عليه في كتاب أسماه: (تحاف الأنام بأخبار  
سيدنا جرجيس عليه السلام)<sup>(٣٥)</sup>، ثم بعث بكتابه الى الموصل مع قصيدة نظمها في  
النبي جرجيس عليه السلام<sup>(٣٦)</sup>، ظهرت في بعض لسان الأعزة فلتة في حق سيدنا نبي  
الله جرجيس، فامتطت لها الأراجيف ظهور العيس الى (حلب)، فرد هذه الفلتة هذا  
(الموقت) بتأليف كتاب نفيس، يذكر في هذا الكتاب إثبات نبوءة هذا النبي الكامل، ثم  
بعث مع الكتاب قصيدة في مدح نبي الله جرجيس.....<sup>(٣٧)</sup>

وتصاعدت أزمة ابن الكولة تصاعدا مخيفاً الى أن بلغت ذروتها في الموصل، حيث  
تألب عليه المشايخ وأصحاب الطرق ومعه المريدون والأتباع فشكوه الى والي الموصل،  
وكان يومذاك الحاج حسين باشا الجليلي، فأرسل اليه يأمره بالتوقف عن هذا الإنكار<sup>(٣٨)</sup>،

وتختلف الروايات في حقيقة موقف الشيخ أحمد بن الكولة بعد ذلك، فمن قائل: (إنه

---

(٣٠) انظر: قصة نبي الله جرجيس عليه السلام في: منهل الأولياء (٢٣/٢-٣٢)

(٣١) انظر ما جاء عن المرقد في: منية الأدباء (٩٤-٩٦)

(٣٢) جوامع الموصل (١٠٧-١٢٧).

(٣٣) انظر سيرته في: السيف المهند في من اسمه احمد (٢٢ مخطوط) ومنهل الأولياء (١/٢٨٤) والروض النضر

(٢/٢٩-٣٠)

(٣٤) انظر سيرته في: شامة العنبر (٢٣٠) وسلك الدرر (٢٣٣/٣) وإعلام النبلاء (٧/١٢٨)

(٣٥) توجد نسخة منه في مكتبة دار الحلبي في الموصل بخط مؤلفها الذي فرغ من كتابتها سنة ١١٤٥هـ.

(٣٦) انظر: نص القصيدة في شامة العنبر (٢٣٢-٢٣٦) في اثنين وتسعين بيتاً.

(٣٧) شامة العنبر (٢٣٢).

(٣٨) السيف المهند في من اسمه احمد (٢٢ مخطوط).

تاب وأتاب<sup>(٣٩)</sup>، ومن قائل : (إنه أصر على موقفه)<sup>(٤٠)</sup>، ومن قائل: (إنه أطاع ظاهراً وأنكر خفية)<sup>(٤١)</sup>.

ومهما يكن موقف ابن الكولة، فليس ثمة دليل على أن هذه الدعوة السلفية قد خمدت، فقد استمر في حملته على المقامات والمشاهد وعلى من يتخذها وسيلة للتكسب<sup>(٤٢)</sup>، إلى أن توفي سنة (١١٧٣هـ - ١٧٥٩م)<sup>(٤٣)</sup>.

وحمل الريبة بعد ابن الكولة ابنه الشيخ محمد الذي كان : «شديد الإنكار على جميع الأولياء»<sup>(٤٤)</sup>.

وبذلك انقسم الموصليون الى فريقين: فريق محافظ متأثر بالطرق الصوفية، وفريق سلفى يدعو الى نبذ تقديس الأولياء ، والى مقاومة الصوفية، وجمع كل فريق ما استطاع من حجج للدفاع عن آرائه.

لقد كان هدف الدعوة السلفية مقاومة نفوذ المشايخ أصحاب الطرق الصوفية، ومقاومة تقديس مرآقد الأولياء ، وتنقية الدين من البدع بالعودة الى التمسك بالكتاب والسنة، وكانت حركة ابن الكولة احدى الفورات في الموصل من فورات الدعوة السلفية، سبقها فورات كثيرة وأعقبها فورات كثيرة، فالدعوة السلفية في الموصل قائمة في الماضي والحاضر وستبقى قائمه في المستقبل.

ولقد شهدنا في أيامنا صراعاً عنيفاً بين دعاة السلفية من علماء الدين والمتصوفة والمقلدين، وكانت ولا تزال مؤلفات السلفية القدامى كالإمام ابن تيمية والجدد كالشيخ محمد رشيد رضا، شائعة في الموصل ، يقبل عليها الناس إقبالاً شديداً.

---

(٣٩) السيف المهند في من اسمه احمد (٣ مخطوط).

(٤٠) منهل الأولياء (٢٨٥/١)

(٤١) الدر المكنون (٥٨٥ مخطوط).

(٤٢) الموصل في العهد العثماني (٤٠٩).

(٤٣) ابن الخياط - ترجمة الأولياء في الموصل الهدايا - المقدمة (١٣).

(٤٤) غرائب الأثر (٣٥).

وقد شاءت الأقدار أن يعيش الطالب محمد بن عبد الوهاب في الموصل وسط المعركة الفكرية التي أثارها الشيخ أحمد بن الكولة، ولا ريب في أنه تأثر بها، للتشابه التام بين آرائه التي دعا إليها فيما بعد، وبين مبادئ سلفي الموصل، الداعية إلى نبذ زيارة القبور وبناء القباب وتكبير العمائم وتوسيع ثياب علماء الدين، ووضع الأستار والعمائم والثياب على الأضرحة، والاستعانة بجاه أصحابها، والتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة<sup>(٤٥)</sup>، فقد أكمل الله دينه وأتم نعمته على المؤمنين، وكل بدعة ضلالة، والضلالة وصاحبها في النار.

\* \* \* \*

- ٦ -

تلك لمحات سريعة غير متسعة عن عام دراسي أو بعض عام لرحلة علمية إلى مدينة الموصل الحذباء من رحلات الإمام محمد بن عبد الوهاب العلمية إلى أمصار العالم الإسلامي، في وقت كانت كل أمصار المسلمين مفتوحة الأبواب لكل مسلم يطلب العلم أو الرزق، لا تفصل بينها الحدود والسدود، لا تحتجاز إلا بجواز سفر وسمة دخول، تؤهله للاجتياز مدة معينة من الزمن، يعتبر فيها (أجنبياً) تلاحقه الشرطة وتراقبه العيون، وقد أصبحت تلك الأمصار الإسلامية مفتوحة لغير المسلمين مقلنة بوجه المسلم، فيها المسلم من غير أهلها غريب اليد والوجه واللسان، لا يواسيه أحد ولا يعينه على تحمل أعباء الحياة.

وقد كان طلاب العلم والعلماء قبل أن تقام الحدود والسدود بين ديار المسلمين، يرحلون لطلب العلم والارتشاف من منابعه على زبدة العلماء الأعلام علماً وعملاً وورعاً، فيحلون أهلاً وينزلون سهلاً، ويتسابق الناس للحفاوة بهم واستضافتهم وتزويدهم بالغذاء والكساء والغطاء والعطاء، فمتى يعود المسلمون إلى ما كانوا عليه، ومتى يصبحون كالجسد الواحد أخوة في الله !

(٤٥) الموصل في العهد العثماني (٤١٤-٤١٥).

لقد أقامت قوانين الأرض بين أمصار المسلمين الحدود والسدود، ومزقت الجسد الواحد الحى، فأصبح أعضاء وأشلاء متفرقة بلا حياة، وكانت مساجد المسلمين تخرج الدعاة، فأصبحت معاهد المسلمين تخرج الموظفين، وكان في كل مصر من أمصار المسلمين عدد عديد من العلماء الأعلام، فأصبحت تلك الأمصار تخلو من العلماء، وكان العلماء المسلمون يحكمون أصحاب السلطان، فأصبحوا اليوم يستخذون للحكام، وكان الأمراء على أبواب العلماء، فأصبح العلماء على أبواب الأمراء، وكانوا فقراء بالمال أغنياء بكرامة العلم والعلماء، فأصبحوا أغنياء بالمناصب والمرتبات فقراء بكرامة العلم والعلماء، وأقفلت المدارس الدينية فخلت المساجد والجوامع من العلماء الدعاة الذين يرجون ما عند الله، وفتحت المدارس المدنية فعمرت بيوت الله بأصحاب الشهادات الموظفين الذين يرجون ما عند الناس، وأقفلت ديار المسلمين من الأئمة المرشدين الآبقية تعد على الأصابع من علماء الدين المعتمدين الذين تعلموا في الجوامع، وأينعت ديار المسلمين بأصحاب الشهادات الموظفين الذين تخرجوا في الجامعات، وأثر خريجو المعاهد المدنية الذين تعلموا العلوم الدينية فيها منابر الجامعة على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن منبر الجامعة الذى يشغله المسلم وغير المسلم أدم من منبر الجامع الذى يشغله المسلم دون غيره، وهكذا غزر الانتاج بكثرة الخريجين وساء التوزيع بقله رجال الدين.

لقد صنعت الحدود ووضعت السدود في ديار المسلمين، تلك القوانين الوضعية الذى جاء بها نابليون من فرنسا وربط خيوله في فناء الأزهر، وجاء بها المستعمر ليزل المسلمين ويفرق كلمتهم ويستعيدهم ويجعل منهم مسلمين جغرافيين.

وسحقت المدارس الدينية المبادئ الوافدة والتعليم الغربى المستورد، الذى يسلب المسلم عقيدته ويعمر قلبه بالاتجاه المادى، فيصبح كالحیوان يهيمه المسكن المريح والطعام الفاخر والجنس، ولا يهتم بما بعد الحياة، والمرء كما يعيش في الدنيا يرحل الى الآخرة، فلا بد أن يكون لمصيره في الآخرة من تفكيره ونشاطه أوفى نصيب، والمبادئ الوافدة والتعليم الغربى تعمل للدنيا ولا تعمل للآخرة، والحضارات المادية ماتت الى الأبد بعد موت دعائها، والحضارات التى بقيت هى الحضارات التى جمعت بين المادة والروح، وقد أكثر الحكام المسلمون من حديثهم عن الإنجازات المادية، ونسوا المتطلبات الروحية، وستفنى

تلك الإنجازات - إن وجدت - مالم تتركز على أسس روحية مستمدة من تعاليم الدين الحنيف.

يجب أن نتعلم من سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب والأئمة الأعلام من علماء المسلمين، مما يفيدنا في حاضرنا ومستقبلنا، فنعيد الحكم بشريعة الله ونتخلق بخلق القرآن، ونطبق حكم القرآن لغة وعقيدة وشريعة، ومثلاً علياً، ونتمسك بالكتاب العزيز والسنة المطهرة، لتزول الحدود والسدود، وتسود رسالة المسجد، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله.

والله أسأل أن يجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأن يهدينا حكماً ومحكوماً إلى سواء السبيل...  
وصلى الله على سيدنا ومولانا رسول الله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

\* \* \* \*





## المصادر والمراجع العربية

ابن الأثير (عز الدين، أبو الحسن، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير):

- ١ ( الكامل في التاريخ - بيروت - ١٣٨٥هـ .  
الجندي (أنور الجندي):
- ٢ ( تراجم الأعلام المعاصرين في العالم الإسلامي - القاهرة - .  
حسين خلف الشيخ خزعل: ١٩٧٠م
- ٣ ( حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - بيروت - ١٩٦٨م .  
الزركلي (خير الدين الزركلي):
- ٤ ( الأعلام - الطبعة الثانية - القاهرة - ١٣٧٣/١٣٧٨هـ .  
الديوه جي (سعد الديوه جي):
- ٥ ( جوامع الموصل في مختلف العصور - بغداد - ١٣٨٢هـ .
- ٦ ( مدارس الموصل في العهد العثماني - مستل من مجلة سومر - بغداد - ١٩٦٤م .  
الطبري (أبو جعفر محمد بن جرير الطبري):
- ٧ ( تاريخ الرسل والملوك - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة - ١٩٦٠م .  
عماد عبدالسلام رءوف (الدكتور):
- ٨ ( الموصل في العهد العثماني - النجف - ١٣٩٥هـ .  
العمري (عصام الدين عثمان بن علي بن مراد العمري):
- ٩ ( الروض النضر في ترجمة أدباء العصر - تحقيق الدكتور سليم النعيمي - بغداد - ١٣٩٥هـ .  
العمري (محمد أمين بن خير الله العمري):

- (١٠) منهل الأولياء ومشرّب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء تحقيق سعيد الديوه جى - الموصل - ١٣٨٨هـ.
- العمري (ياسين بن خير الله العمري):
- (١١) الدر المكنون في المآثر الماضية من القرون - مخطوط - توجد نسخة منه في المكتبة الوطنية في باريس تحت رقم (٤٤٤٩).
- (١٢) زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية - تحقيق: عماد عبدالسلام رءوف (الدكتور) - النجف الأشرف/١٩٧٤م.
- (١٣) غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الرابع عشر - عنى بطبعه ونشره الدكتور محمد صديق الجليلي - الموصل - ١٣٥٩هـ.
- (١٤) السيف المهند في من اسمه أحمد - مخطوط - في مكتبة سعيد الديوه جى.
- (١٥) منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء - تحقيق سعيد الديوه جى - الموصل - ١٣٧٤هـ.
- الغلامى (محمد بن مصطفى الغلامى):
- (١٦) شامة العنبر والزهر المعنبر - تحقيق الدكتور سليم النعيمي - بغداد - ١٣٩٧هـ.
- المرادى (محمد خليل المرادى):
- (١٧) سلك الدرر في أعيان القرن الثانى عشر - القاهرة - ١٢٩١هـ.
- الندوى (مسعود الندوى):
- (١٨) محمد بن عبدالوهاب - ترجمة وتعليق عبدالعليم عبدالعظيم البستوى - مراجعة وتقديم محمد تقى الدين الهلالى - الرياض - ١٣٩٧هـ.

الرسائل الشخصية  
للشيخ محمد بن عبد الوهاب

للدكتور

عبد الله بن صالح العثيمين

رئيس قسم التاريخ - كلية الآداب

جامعة الملك سعود



## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بعيدة الأثر في مسيرة التاريخ الإسلامي الحديث. ومن هنا كان الاهتمام الكبير بكل ما يتعلق بصاحبها، وكثرت الكتابات عن حياته ودعوته وما ترتب عليها من نتائج. بل إن نجاح هذه الدعوة أسهم في حفز همم بعض الكتاب إلى التعمق في دراسة شخصيات علمية سبقتهم زمنياً، ونادت بمثل أو بعض ما نادى به.

والكتابات التي ظهرت عن الشيخ محمد مختلفة من حيث العمق والسطحية ومن حيث الإنصاف والتحيز، ومن حيث الجودة وعدمها. والمؤمل أن تكون من نتائج هذا الأسبوع دراسات تجمع بين العمق والحياد والإبتكار، وألا نجد الكثير منا في نهاية الأمر يردد مع الشاعر العربي القديم قوله:

ما أَرانا نقول إلا معاراً أو معاداً من قولنا مكروراً

لقد كتب الكثير عن حياة الشيخ محمد شاباً متعطشاً للعلم أبناً وجدته، وصاحب دعوة مصمماً على بذل كل ما يكفل نجاحها، وزعيماً مساهماً مساهمة كبيرة في توجيه أمور دولة فنية. كما كتب الكثير عن أصول دعوته وتأثيرها في مجتمعه وفي مجتمعات إسلامية أخرى.

وبحثى المتواضع المقدم إلى هذا الأسبوع لا يتطرق إلى أي جانب من الجوانب السابقة بصفة تفصيلية مستقلة. لكنه محاولة لإيضاح ما تحتوى عليه رسائل الشيخ الشخصية من أهمية، خاصة فيما يتعلق بشخصيته والظروف المحيطة بدعوته.

### الرسائل من حيث الصحة:

من أهم الأمور التي ينبغي للباحث أن يعنى بها التأكد من صحة النص الذي يحاول دراسته. فما لم يصل إلى قناعة علمية بصحة ذلك النص، فإنه من العبث محاولة

استخلاص النتائج منه. وهذا ما سأحاول لفت الأنظار اليه في مقدمة هذا البحث.

لقد عاش الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياة طويلة حافلة بنشاط مختلف النواحي: فمن المعروف أن حياته بصفته صاحب دعوة، ومساهمًا في توجيه دولة تقرب من ستين عاما، وطول حياته، وتعدد جوانب نشاطه، يجعلان المرء يتوقع أنه قد كتب رسائل شخصية كثيرة جدا. لكن ما أثر عن الشيخ من رسائل لا يتفق مع ذلك التوقع. وعلى هذا الأساس فإن الباحث يكاد يجزم بأن كثيرا من رسائله الشخصية قد ضاع.

وموقف ابن غنام، الذي يعود اليه أكبر الفضل في إيراد ما أثر من هذه الرسائل، موقف يدعو إلى التأمل: فهو من ناحيته قد أورد من رسائل الشيخ ما هو مختلف الطول والقصر من حيث المضمون، بل انه في أحيان نادرة قد أورد شيئا من رسائل خصوم الشيخ تمهيدا لتدوين رده عليها. لكنه من ناحية أخرى: نص على أنه لم يدون كثيرا من أجوبة الشيخ عن بعض المسائل خشية الإطالة<sup>(١)</sup>. فهل عامل ابن غنام بعض رسائل الشيخ الشخصية معاملته لبعض أجوبته؟ أم أنه لم يعثر إلا على تلك الرسائل التي أوردتها في كتابه؟ مهما يكن من أمر فإن ما أورده ابن غنام منسوبًا إلى الشيخ يبدو صحيحا.

على أن هناك مصادر أخرى نسبت إلى الشيخ رسائل قليلة غير التي ذكر ابن غنام. وقد جاءت هذه الرسائل ضمن القسم الخامس من مؤلفات الشيخ الذي أفرده بعض الأخوة الكرام المهيتين لهذا الأسبوع لجميع الرسائل الشخصية المنسوبة اليه. وقد جعل هؤلاء الأخوة تاريخ ابن غنام أصلا قابلوا به وأضافوا اليه ما لم يرد فيه. ولا شك أن ما قام به هؤلاء الأخوة يستحق الثناء والتقدير. وبمقدار ما يكون الجهد يأتي اهتمام الباحث بما عمل. ولهذا فإنه من المستحسن الوقوف عند بعض ما عمله أولئك الأخوة.

من دراسة القسم الخامس من مؤلفات الشيخ محمد تبدو للمتأمل ملاحظتان:  
الأولى: أنه يوجد اختلاف في بعض عبارات الرسائل المعدة في هذا القسم وبين

(١) روضة الأفكار والأفهام... طبعة أبا بطين، القاهرة ١٣٦٨ هـ ج ١ ص ١٧٥، وسوف يشار اليه فيما بعد بروضة فقط.

أصلها في تاريخ ابن غنم دون الإشارة الى مواضع الاختلاف. من ذلك مثلا: رسالة الشيخ إلى علماء مكة المكرمة، ورسالته الى الشريف أحمد بن سعيد<sup>(٢)</sup>.

والملاحظة الثانية: أن بعض الرسائل المضافة الى ما ورد في تاريخ ابن غنم ليس فيها ما يرجح كونها من رسائل الشيخ نفسه. لنأخذ مثلا: الرسالة التي يقال إن الشيخ أرسلها الى عالم من أهل المدينة، فهي لم ترد إلا في الدرر السنينة، ولم يذكر اسم العالم الذي أرسلت اليه. ومن غير المرجح أن يرسل الشيخ رسالة الى عالم من علماء تلك البلدة دون ذكر اسمه. وبالإضافة الى ذلك: فإنه لم ينص فيها على أنها من الشيخ. والمتتبع لرسائل الشيخ محمد يرى أنه عادة يبدوها بعبارة: من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان. لكن هذه الرسالة لا تبدأ بمثل هذه العبارة، وإنما تبدأ بأسلوب يختلف تماما عن أسلوب الشيخ المعتاد.

وقريب مما سبق يمكن أن يقال عن تلك الرسالة التي يدعى أن الشيخ بعثها إلى عبدالله الصنعاني، فإنها لم ترد إلا في الدرر السنينة. ولم ينص فيها على اسم مرسلها. وإذا قورنت بالرسالة التي كتبها عبدالله بن الشيخ محمد عند دخوله مكة المكرمة مع سعود بن عبدالعزيز، يتضح أن هناك تشابها كبيرا بين أجزاء من الرسالتين من حيث الأسلوب والمضمون<sup>(٣)</sup>. ولعل في هذا ما رجح أن الذي كتب الرسالة الى الصنعاني هو الشيخ عبدالله بن محمد وليس أباه.

أما الرسالة التي يقال إن الشيخ محمدا بعثها إلى أهل المغرب فمن الواضح عدم رجحان كونها له، وذلك لعدة أسباب: الأول: ما قيل عن الرسالتين السابقتين المنسوبتين اليه من حيث انفراد صاحب الدرر السنينة بإيرادها، وعدم النص فيها على اسم مرسلها. الثاني: أنه من غير المحتمل أن يكون اهتمام زعماء الدعوة بالمغرب قد بدأ قبل استيلائهم على الحجاز ملتقى الوافدين الى بيت الله الحرام. الثالث: - وهو أهمها - أن هذه الرسالة قد شاعت في تونس زمن الباي حمودة باشا. وقد ذكرت المصادر التونسية وصورها إلى ذلك القطر بعد أن تكلمت عن الأمور التي قام بها سعود بن عبدالعزيز في الحجاز.

(٢) القسم الخامس من مؤلفات الشيخ، طبعة جامعة الإمام ص ٤١، ٣١٢. وسوف يشار اليه فيما بعد بشخصية.

وقارن ذلك بروضة ٨١/٢ و١١٤.

(٣) انظر شخصية ص ١٠٠ - ١٠١ وقارنها بالدرر السنينة ٢٧ ج ١ ص ١٢٧



وهذا يتلاءم مع السبب الثانى وهو أن الاهتمام بالمغرب ناتج عن الوجود السعودى فى الحجاز. وعلى هذا الأساس فإنه من المحتمل جدا أن تكون هذه الرسالة أيضا من كتابة الشيخ عبدالله بن محمد الذى كان مع سعود بن عبدالعزيز عند دخوله مكة، كما ذكر سابقا.

وقد ورد فى القسم الخامس من مؤلفات الشيخ رسالة قيل إنها جواب منه عن كتاب لم يقف على اسم كاتبه. وقد ذكرت هذه الرسالة فى مجموعة الرسائل والمسائل، إضافة الى ذكرها فى الدرر السنية. وأسلوبها مشابه لأسلوب الشيخ فى كثير من كتاباته. لكن ورد فيها ما يثير انتباه الباحث. ذلك أنه وردت فيها عبارة:

«هو مضمون ما ذكرت فى رسالتك أن الشيخ محمدا قرر لكم ثلاثة أصول»<sup>(٤)</sup>. وقد يبدو للمرء أن من كتب هذه العبارة لابد أن يكون غير الشيخ محمد. لكن قد يكون الشيخ أورد نص العبارة التى كان قد كتبها من أرسلت اليه هذه الرسالة. وقد وردت فى الرسالة أيضا عبارة:

«هذا الذى يدعو إليه ابن عبدالوهاب»<sup>(٥)</sup>. ولو كان الكاتب لها تلميذا للشيخ أو أحد أنصاره لكان من المرجح أن يضع كلمة «الشيخ» قبل ابن عبدالوهاب. وتعبير الشيخ عن نفسه بابن عبدالوهاب موجود فى رسائله<sup>(٦)</sup>.

ومن ناحية أخرى فإن فى هذه الرسالة ما يشير الى أنها قد كتبت وعبدالله المويس لا يزال حيا .

«ومع هذا: يقول لكم شيطانكم المويس إن بنيات حرمة وعبائهم يعرفون التوحيد فضلا عن رجالهم»<sup>(٧)</sup>.

لكن ورد فيها ما نصه: «ككيف بمن له قريب من أربعين سنة يسب دين الله؟»<sup>(٨)</sup>.

(٤) شخصية ص ١٧٢

(٥) المصدر السابق

(٦) روضة ١٢٢/٨

(٧) شخصية ص ١٧٣

(٨) المصدر السابق

ولو فرض أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد حوالي سنة ١١٤٥ هـ - فإن هذه الرسالة - حسب العبارة السابقة - تكون قد كتبت خطيا سنة ١١٨٥ هـ تقريبا. ومن المعروف أن المويس قد توفي قبل هذا التاريخ بعشر سنين<sup>(٩)</sup>.  
ومما سبق يتضح أنه رغم قلة ما أثر عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب من رسائل شخصية، فإن نسبة قليلة من هذا المأثور تحتاج الى تدقيق وإعادة نظر.

### أسلوب الرسائل:

إذا كان لأسلوب الكاتب دور في اكتشاف حقائق شخصيته، فإن رسائله أبلغ من كتاباته الأخرى في إلقاء الضوء على تلك الحقائق. ولعل أهم نقطة يلاحظها المتأمل في أسلوب رسائل الشيخ، تمسك كاتبها بالأصالة والبساطة.  
فأغلب هذه الرسائل يبدأ بمثل العبارة الآتية:  
«من محمد بن عبد الوهاب إلى فلان بن فلان. سلام عليكم ورحمة الله وبركاته..  
وبعد:».

ومن الواضح أن هذا الأسلوب ينسجم انسجاما كاملا مع المحيط العربي الذي كان الشيخ عائشا فيه؛ ذلك المحيط الذي لم يشهد آنذاك غزو المؤثرات الأجنبية، وهو في نفس الوقت يتفق اتفاقا تاما مع أساليب السلف الصالح من هذه الأمة الإسلامية. وفي ذلك ما يوضح رغبة الشيخ في تتبع خطى أولئك السلف في هذا المضمار.

لكن بالرغم من أن التمسك بالأصالة والبساطة كان الصفة الغالبة في أسلوب الشيخ، فإنه كان - فيما يبدو - على استعداد للتنازل قليلا عن هذا التمسك إذا كان يظن أن في التنازل مصلحة عامة لدعوته: فهو - مثلا - كان يدرك مكانة علماء مكة ومدى تأثيرهم سلبا أو إيجابا في مسيرة الدعوة، ولذلك خرج أسلوبه في رسالته اليهم عن أسلوبه المعتاد في كثير من رسائله.

فجاءت ديباجتها مشتملة على نوع من السجع المتكلف:

«من محمد بن عبد الوهاب إلى العلماء الأعلام في البلد الحرام. نصر الله بهم سيد

(٩) ابن بشر: عنوان المجد.. طبعة ٢ لوزارة المعارف، ١٣٩١ ج ١ ص ٤ - ٥٥

الأنام، عليه أفضل الصلاة والسلام، وتابعي الأئمة الأعلام سلام عليكم ورحمة الله وبركاته»<sup>(١٠)</sup>.

وكان - أيضا - يقدر مكانة حاكم تلك المدينة المقدسة وتأثيره الإيجابي لو تعاون مع دعوته. ولذلك بدأ رسالته اليه بعبارات تدل على نوع من المهارة في المجاملة اللبقة. فلم يتوقف به الأمر عند التفخيم والدعاء بالعز في الدارين؛ بل تجاوزه الى الإشارة الذكية بأن الشريف بصفته النسبية أولى بنصرة الدعوة:

«بسم الله الرحمن الرحيم المعروض لديك أدام الله فضل نعمه عليك حضرة الشريف أحمد بن الشريف سعيد أعزه الله في الدارين، وأعز به دين جده سيد الثقلين أن الكتاب لما وصل الى الخادم، وتأمل ما فيه من الكلام الحسن رفع يديه بالدعاء الى الله بتأييد الشريف»<sup>(١١)</sup>.

والشيخ اذ يؤمل انضمام رئيس قبيلة كبيرة الى دعوته يضيف في أول رسالته اليه ما يعتقده من عوامل التأثير. فهو حين كتب الى زعيم إحدى القبائل في الشام قال:

«من محمد بن عبد الوهاب إلى الشيخ فاضل آل مزيد، زاده الله من الإيمان وأعاده من نزعات الشيطان.. أما بعد»<sup>(١٢)</sup>.

وإذا كان المتأمل في أسلوب الشيخ يرى تمسك صاحبه بالأصالة والبساطة فإنه يلاحظ - أيضا - من خلاله ذكائه ومحاولته بالاستفادة من كل ما يراه مفيدا لمصلحة دعوته. فبالإضافة الى ما تقدم نراه حين يحاول كسب أهل منفوحة والرياض عن طريق قاضي الدرعية، يصفه في رسالته اليهم بقوله:

«إن عبدالله بن عيسى ما نعرف في علماء نجد ولا علماء العارض ولا غيره أجل منه»<sup>(١٣)</sup>.

(١٠) روضة ١٤٤/٢

(١١) روضة ٨٠/٢ ويلاحظ أن كلمة «حضرة» معناها هنا لم ترد في كتابات الشيخ الا في موضعين: أحدهما في هذه الرسالة، والثاني: في رسالته الى السويدي في العراق. ولعل السبب في استعماله لها في هذين الموضعين فقط اعتقاده أن التأثير بهذا النوع من الأسلوب واضح في القطرين المجازي والعراقي.

(١٢) روضة ١٥١/١

(١٣) روضة ١٤٦/١

مع أنه يخاطبه في رسالة أخرى بقوله:  
«أنتم ومشائخكم ومشايتهم لم يفهموا دين الإسلام ولم يميزوا بين دين محمد صلى  
الله عليه وسلم ودين عمرو بن لحي»<sup>(١٤)</sup>.

ومن ذلك - أيضا - إثارة النخوة في نفس المخاطب. فهو يحاول إقناع مخاطبه بقوله:  
«إن لك عقلا، وإن لك عرضا تشح به، وإن الظن فيك إن بان لك الحق أنك ما  
تبيعه بالزهايد»<sup>(١٥)</sup>.

ويستثير هم أهل شقراء ضد خصوم الدعوة بقوله:  
«والله العظيم إن النساء في بيوتهن يأنفن لكم، فضلا عن صماصيم بنى زيد»<sup>(١٦)</sup>.  
بل إن جبه لنجاح دعوته جعله يقوى عامل الأمل على بادرة اليأس، فهو يخاطب  
عبدالله بن عبداللطيف الإحسانى بقوله:  
«ما أحسنك لو تكون في آخر هذا الزمان فاروقا لدين الله كعمر رضى الله عنه في  
أوله»<sup>(١٧)</sup>.

مع أنه كان - فيما يبدو - يتسا من استجابته له حيث يقول في نفس هذه الرسالة:  
«وإنما كتبت لكم هذا معذرة من الله ودعوة الى الله لأحصل ثواب الداعين إلى الله،  
وإلا أنا أظن أنكم لا تقبلونه، وأنه عندكم من أنكر المنكرات»<sup>(١٨)</sup>.

ومما يلاحظه المتأمل في رسائل الشيخ اتصافه في حالات قليلة بنوع من الحدة. وهو  
أمر ذكره عن نفسه في رسالته الى عبدالله بن عيسى وابنه عبدالوهاب<sup>(١٩)</sup>. وكانت هذه  
الحدة تظهر عادة في التعامل مع خصم نشط الحركة، أو عدو يبدو الأمل في إقناعه ضعيفا  
جدا.

فالشيخ - مثلا - يبدأ رسالته الى خصمه اللدود سليمان بن سحيم بالعبرة التالية:

(١٤) روضة ١/١٥٥

(١٥) روضة ١/١٠٧

(١٦) شخصية ص ٢٩٢

(١٧) روضة ١/٥٤

(١٨) روضة ١/٣ - ٥٤

(١٩) روضة ١/١٥٧

«الذى يعلم به سليمان بن سحيم أنك زعجت قرطاسة فيها عجائب. فإن كان هذا فهكم فهو من أفسد الأفهام»<sup>(٢٠)</sup>.

ويخاطبه فيها بقوله :

«صار لكم عند ضامة في معكال، قصاصيب وأشباههم يعتقدون أنكم علماء»  
وقوله: «أنت رجل جاهل مشرك مبغض لدين الله»<sup>(٢١)</sup>.

ويعبر الشيخ عن انفعاله أحياناً بأسلوب تهكمى لاذع. فهو يصور عبدالله المويس بصورة من يقول:

«اعرفونى اعرفونى ترى جاى من الشام»<sup>(٢٢)</sup>.

وأحياناً لا يذكر اسمه، وإنما يرمز اليه «بصاحب الشام» أو «شاميكم»<sup>(٢٣)</sup>.  
وأسلوب الشيخ في رسائله الشخصية متقيد - على العموم - باللغة الفصحى وقد أعد إعرابها.. لكنه في أحيان قليلة يخرج عن هذا التقيد، فترد فيه عبارات أو كلمات يمكن أن تعتبر لغة عامة. وهذا الأمر شائع في رسائل الشيخ الى النجديين بصفة خاصة .

ففى رسالته الى محمد بن عباد وردت عبارة:

«تذكر ان ودك نبين لك ان كان فيها شىء غاترك»<sup>(٢٤)</sup>.

وفى رسالته الى عبدالله بن سحيم يقول:

«فلما غربلك الله بولد المويس»... «لا وجه سميح ولا بنت رجال»<sup>(٢٥)</sup>.

ورسالته الى قاضى الدرعية وابنه أكثر احتواء من غيرها على مثل هذه التعبيرات. بل ان هذه التعبيرات هى الصفة الغالبة فيها .

---

(٢٠) روضة ١٣٨/١ و١٤٢

(٢١) روضة ١٠٠/١

(٢٢) روضة ١٩/١ - ١٢١

(٢٣) روضة ١٠٤/١

(٢٤) روضة ١٠٢/١ و١١٦

(٢٥) روضة ٦/١ - ١٥٧

## الرسائل والظروف المحيطة بالدعوة :

### الحالة الدينية في نجد عند ظهور دعوة الشيخ

تحدث ابن غنام وابن بشر وغيرهما من أنصار دعوة الشيخ محمد عن الحالة التي كان يعيشها النجديون قبيل بدء هذه الدعوة. وقد أعطى هؤلاء صورة قائمة عن تلك الحالة. لكن ابن بشر نفسه أشار الى وجود علماء نجديين كانوا يتصفون بصفات جليلة. والدارس لما كتبه أولئك العلماء، مثل المنقور، يرى وضوح تلك الصفات فيهم. والمتأمل في سوابق ابن بشر يلاحظ أن حاضرة نجد، على الأقل، كانت بصفة عامة تقوم بالواجبات الدينية من صلاة وصوم وزكاة وحج. وماورد من شعرتلك الفترة، كشعر جبر بن سيار، ورميزان ابن غشام، وحيدان الشويعر لا يتفق مع الصورة القائمة التي تصف بها بعض المصادر حالة نجد آنذاك. ومع ذلك : فإن ماورد في رسائل الشيخ محمد يسهم إسهاما كبيرا في إيضاح كثير من جوانب الحالة الدينية في نجد قبيل بدء دعوته.

من المعروف أن قضية الاعتقاد بالأولياء أو من تعتقد ولايتهم، كانت من الأمور المهمة التي قام حولها نقاش حاد بين الشيخ محمد وخصومه، ورسائله الشخصية حافلة بالحديث عنها من عدة جوانب. فهي تحتوي على أسماء تذكر أن بعض النجديين كانوا يعتقدون بأصحابها. ومن هذه الأسماء: شمسان وداريس وتاج<sup>(٢٦)</sup>. وتذكر الرسائل أن مما كان يفعله أصحاب هذه الأسماء أخذ النذور من الناس<sup>(٢٧)</sup>. كما أنها تذكر - أيضا -

(٢٦) روضة : ١/١٣٠، ١٥٥، ١٧٨، ١٨٠، ١٨٨، ٢١٦، ٢٢٦. ويلاحظ أن الشيخ أحيانا يقول : أولاد شمسان وأولاد ادريس (روضة ١/٢١٦)، وأحيانا يقول : شمسان وأولاده (روضة ١/٢٢)، أو يقول : محمد بن شمسان (روضة ١/٢٢٦).

(٢٧) روضة ١/٢١٦.

أسماء بعض من كانوا يعتقدون بأولئك الأشخاص<sup>(٢٨)</sup>. ويستفاد من رسائل الشيخ أن هذه الأمور كانت متوافرة في مناطق نجدية دون أخرى؛ فمنطقة العارض وما يليها جنوبا - خاصة الخرج - كانت متأثرة بها، بينما كانت منطقة القصيم - مثلا - خلاف ذلك.

فقد ذكر الشيخ في رسالته الى عبد الله بن علي ومحمد بن جاز أن «أهل القصيم غارهم أن ما عندهم قبب ولا سادات... لكنه كان يأخذ عليهم عدم معاداتهم لأهل الشرك<sup>(٢٩)</sup>».

ورسائل الشيخ توضح موقفه ممن يرضون باعتقاد الناس بهم، ويأخذون النذور، غاية التوضيح. فقد كان يكفرهم. وغالبا ما وصفهم بالطواغيت. لكنه أحيانا يصفهم بصفات أخرى مثل: المردة الشياطين أو الكلاب<sup>(٣٠)</sup>.

ومما يتعلق بالقضية السابقة موضوع التصوف. ومن المعروف - أيضا - معارضة الشيخ للتصوف أو لبعض أنواعه على الأقل. ولعل من أطرف إشارات معارضته له لمزه لخصمه عبد الله المويس بأن أحد مشائخ مشائخه كان متصوفا، وكان يلقب بلقب العارف بالله<sup>(٣١)</sup>. ومما يتوقعه المرء خلو محيط مثل المحيط النجدي آنذاك من المذاهب الصوفية. لكن رسائل الشيخ تشير الى وجود أفراد متصوفة على مذهب ابن عربي وابن الفارض، مثل ولد موسى بن جدعان، وسلامة بن مانع<sup>(٣٢)</sup>. وأفراد مغمورون كهذين الرجلين من الغريب أن تكون بينهم وبين مذهب فلسفي في نزعته أية صلة. لكن اذا سلم بصحة ماورد في رسالة الشيخ، فانه يلاحظ انحصار ذلك الأمر في معكال التي تكون جزءا من مدينة الرياض الحالية.

---

(٢٨) مثل طالب الحمض. انظر روضة ١٠٤/١، ١٥٤، ١٥٦.

(٢٩) شخصية ص ٢٢٢.

(٣٠) روضة ١٧٨/١ و ٢١٧.

(٣١) روضة ١٢٠/١.

(٣٢) روضة ١٤٧/١.

وتشير رسائل الشيخ - أيضا - الى أن سليمان بن سحيم كان يذهب لحضور المولد ويقراه على الناس، وأنه كان يكتب الحجب المشتملة على الطلاسم<sup>(٣٣)</sup>. وكان سليمان من سكان معكال المذكورة سابقا.

وعبارة الشيخ لاتنص بصراحة على حدوث الاحتفال بالمولد في نجد. وهي على أية حال الإشارة الوحيدة من الشيخ وغيره التي قد يفهم منها حدوث هذا الأمر في المنطقة.

ومن الأمور التي ناقشتها رسائل الشيخ والمتعلقة بالتصوف والأولياء، مسألة كتابي دلائل الخيرات، وروض الرياحين. ويفهم من النقاش حولهما أنها كانا من الكتب المقررة في نجد آنذاك. وقد ادعى سليمان بن سحيم في رسالته التي بعثها الى العلماء خارج هذه المنطقة أن الشيخ أحرقهما<sup>(٣٤)</sup>. وقد نفى الشيخ في رسالته الى السويدي إحراقه للكتاب الأول، وذكر أن سبب ما روج عنه حول هذا الموضوع أنه أشار على من قبل نصيحته ألا يصير في قلبه أجل من كتاب الله، ويظن أن القراءة فيه أنفع من قراءة القرآن<sup>(٣٥)</sup>. كما نفى ابن غنام إحراق الشيخ لكتاب روض الرياحين<sup>(٣٦)</sup>. وقد يبدو للبعض نوع من الغرابة في تعليل الشيخ لما أشيع عنه حول كتاب دلائل الخيرات. ذلك أن الإحراق شيء والنصيحة بالألا يصير في قلوب الناس أجل من كتاب الله شيء آخر. ومن الملاحظ أن الإمام الصنعاني قد مدح الشيخ بقوله:

وحرق عمدا للدلائل دفترا . . أصاب ففيها مايجل عن العد  
ولم يعلق ابن غنام وابن بشر اللذان أوردا هذا البيت في تاريخيها بأى شيء عليه<sup>(٣٧)</sup>، كما يلاحظ أن الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب حين تكلم عن الدعوة قال:

(٣٣) روضة ١/١٤٠.

(٣٤) روضة ١/١١٢.

(٣٥) روضة ١/١٥٣.

(٣٦) روضة ١/١٢٩.

(٣٧) روضة ١/٤٧: عنوان ١/٦٩.



«ولا تأمر بآتلاف شيء من المؤلفات أصلا إلا ما اشتمل على ما يوقع الناس في الشرك كروض الرياحين»<sup>(٣٨)</sup>.

### حالة البادية :

وتشير رسائل الشيخ محمد الى مسألة في غاية الأهمية وإن لم تكن من المسائل التي كثر النقاش حولها بين أنصار الدعوة وخصومها. فالشيخ يذكر أن كثيرا من أبناء البادية كانوا لا يمارسون الواجبات الدينية: بل إن كثيرا منهم كانوا لا يؤمنون بقضية مهمة من قضايا العقيدة، وهي البعث بعد الموت. ففي رسالته الى محمد بن عبيد يقول :

«ومن المعلوم عند الخاص والعام ما عليه البوادي أو أكثرهم... ففيهم من نواقض الإسلام أكثر من مائة ناقض»<sup>(٣٩)</sup>.

وفي رسالته إلى سليمان بن سحيم يقول:

«ومعلوم أن أهل أرضنا وأرض الحجاز الذي ينكر البعث منهم أكثر ممن يقر به، وأن الذي يعرف الدين أقل ممن لا يعرفه، والذي يضيع الصلوات أكثر من الذي يحافظ عليها، والذي يمنع الزكاة أكثر ممن يؤديها»<sup>(٤٠)</sup>.

وإذا علم أن البادية آنذاك كانت تشكل قسما كبيرا من سكان هذه المنطقة، أدركت خطورة هذه المسألة. ولقد كان حدوث مثل هذا الأمر متوقعا لسيادة الجهل الديني لدى هؤلاء - كما تشير إليه عبارة الشيخ الأخيرة - ولعدم وجود سلطة مهتمة بهذا الموضوع.

---

(٣٨) الدرر السنية ١/١٢٧.

(٣٩) روضة ١/١٠٨.

(٤٠) روضة ١/١٤٤.

ولعل هذا هو السبب الأساسي في توقف الشيخ في الحكم على من اتصفوا بالصفات المذكورة في بداية دعوته، كما ذكر ابن غنام<sup>(٤١)</sup>. لكن لا بد أن ذلك التوقف لم يدم حين توافرت فيهم الشروط التي ذكرها الشيخ في رسالته إلى أحمد بن إبراهيم:

«تعرفون أن البادية قد كفروا بالكتاب كله، وتبرأوا من الدين كله، واستهزأوا بالحضر الذين يصدقون بالبعث، وفضلوا حكم الطاغوت على شريعة الله، واستهزأوا بها مع إقرارهم أن محمدا رسول الله وأن كتاب الله عند الحضر؛ لكن كذبوا وكفروا واستهزأوا عنادا»<sup>(٤٢)</sup>.

بدء الدعوة في نجد :

من المعروف أن دعوة الشيخ قد بدأت في نجد قبل وفاة أبيه سنة ١١٥٣هـ. فقد ذكر ابن بشر أن الشيخ أقام على الدعوة مدة سنين حتى توفي أبوه<sup>(٤٣)</sup>. وهذا يعني أن الدعوة قد بدأت سنة ١١٥٠هـ أو قبل ذلك. ومن هنا فإن كلامه لا يحدد السنة التي بدأت فيها الدعوة. وليس في رسائل الشيخ ما يفيد إفادة كاملة في هذا التحديد، لكن فيها ما يلقي بعض الأضواء. فقد وردت في رسالته إلى عبد الله بن عبد اللطيف الأحسائي عبارة: «اجتمعت بك من نحو عشرين»<sup>(٤٤)</sup>.

وقد ذكر في القسم الخامس من مؤلفات الشيخ أن هذه العبارة وردت في بعض النسخ :

«اجتمعت بك من نحو عشر سنين»<sup>(٤٥)</sup>.

(٤١) روضة ٣٣/١.

(٤٢) روضة ٣/١ - ١٦٤.

(٤٣) عنوان ٢١/١.

(٤٤) روضة ٥٠/١.

(٤٥) شخصية ص ٢٥٠.

وواضح أن العبارة في هذه النسخة تبدو أصح من العبارة الواردة في تاريخ ابن غنام. وإذا سلم بصحتها فإن الشيخ كان في الأحساء قبل كتابته هذه الرسالة بعشرة أعوام. فمتى كتبت هذه الرسالة؟

ليس هنالك نص محدد في تاريخ ابن غنام على زمن أو مكان كتابتها: لكن المتأمل في رسائل الشيخ يمكنه أن يستنتج بعض الأمور التي قد تساعد في هذا الموضوع. فقد ذكر الشيخ في رسالته إلى عبد الله أنه تألم لكتابته مع أهل الأحساء ضده<sup>(٤٦)</sup>. وذكر في رسالته اللتين بعثها من العيينة إلى عبد الله بن عيسى وابنه عبد الوهاب أنها كانا يستهزان بجواب ابن فيروز، وأن أمر عبد الوهاب أشق عليه من أمر أهل الأحساء<sup>(٤٧)</sup>. فإذا كان عبد الله بن عبد اللطيف قد كتب مع أهل الأحساء، وكانت كتابتهم حين كان الشيخ في العيينة، فإنه من المرجح أن تكون رسالة الشيخ إليه قد كتبت في هذه البلدة. لكن إذا كان من المعروف متى سافر الشيخ من العيينة إلى الدرعية فإنه من غير المعروف يقينا متى قدم من حريملاء إلى العيينة. فقد يكون قدومه إليها بعد شهر من وفاة أبيه، وقد يكون بعد سنة أو سنتين. وإذا فإنه من المحتمل أن تكون إقامته في العيينة بين سنتي ١١٥٣ و١١٥٧هـ، وعلى هذا الأساس فإن رسالته المذكورة تكون قد كتبت في هذه الفترة. ويكون اجتماعه بعبد الله بن عبد اللطيف في الأحساء خلال الفترة الواقعة بين سنتي ١١٤٣ و١١٤٧هـ. وبما أن الشيخ لم يطل الإقامة في الأحساء على الأرجح، فإن وصوله إلى نجد من أسفاره خارجها كان أيضا في الفترة المذكورة. ومعلوم تاريخيا أنه بدأ دعوته في حريملاء بعد وصوله إليها مباشرة.

ولاشك أن معارضة بعض علماء نجد للشيخ قد بدأت منذ بدئه الدعوة، وقد ذكرت المصادر الأصلية حدوث المعارضة له قبل وفاة أبيه، وفي رسائله ما يؤيد ذلك، فقد جاء في رسالة له من العيينة أن عبد الوهاب بن عيسى كان يعمل ضد الدعوة منذ أكثر من خمس سنين<sup>(٤٨)</sup>. وذلك يعني أن معارضته قد بدأت منذ سنة ١١٥٢هـ على الأقل.

(٤٦) روضة ٥٠/٨.

(٤٧) روضة ٧/٨ - ١٥٨.

(٤٨) روضة ١٥٧/٨.

## أسلوب الدعوة:

تبين رسائل الشيخ أن من أساليب نشر دعوته مراسلة من كان يعتقد تأثيرهم على الناس؛ سواء من أمراء المنطقة أو علمائها، وإجاباته عن أسئلة من كتبوا إليه يستفسرون عن حقيقة هذه الدعوة أو جانب من جوانبها<sup>(٤٩)</sup>. ومن بين تلك الأساليب - أيضا - ما كان يقوم به الأنصار والدعاة في البلدان النجدية المختلفة من شرح للدعوة أو مجادلة لخصومها. فكان ابن عيدان - مثلا - أحد المدافعين عنها في الوشم<sup>(٥٠)</sup>. وكان موسى بن سليم يقرأ رسالة كتبها الشيخ وعلق عليها أحد خصومه معترفا بصحة ما فيها في عدة بلدان من إقليم العارض<sup>(٥١)</sup>. وكان ابن صالح يجادل سليمان بن سحيم في مجلس زعماء بلدة الرياض<sup>(٥٢)</sup>.

وفي رسائل الشيخ ما يؤيد قول ابن غنام من أنه كان في بداية أمره يدعو معارضيه بأسلوب هادئ. فهو يقول في رسالته الى أحمد بن يحيى :

«هذا ابن اساعيل والمويس وابن عبيد جاءتنا خطوطهم في إنكار دين الإسلام.. وكتابناهم، ونقلنا لهم العبارات، وخاطبناهم بالتي هي أحسن ومازادهم ذلك إلا نفورا»<sup>(٥٣)</sup>.

ويقول عن عبد الله المويس أيضا :

«استدعيته أولا بالملاطفة، وصبرت منه على أشياء عظيمة»<sup>(٥٤)</sup>.

ويبدو أن هذا الأسلوب اللين كان متبعا في مرحلة مبكرة جدا من نشاط الدعوة. وكان

---

(٤٩) هذا الأمر واضح في أكثر رسائله ويبدو أن هذا الأسلوب قد حقق نجاحا طيبا، كما كانت الحال بالنسبة لقاضي الدرعية الذي ذكر الشيخ أنه كان من أكبر أسباب قبول الناس للدين. انظر روضة ١٥٦/٨.

(٥٠) روضة ٩٧/١.

(٥١) روضة ١٤٠/٨.

(٥٢) روضة ١٤١/٨.

(٥٣) روضة ١٧٢/١.

(٥٤) روضة ١٠٣/٨.

اتخاذها في البداية ضروريا لعدة أسباب، منها ما يتوقعه المرء من أن المعارضة في بداية الأمر لم تكن عنيفة جدا، لأن الدعوة آنذاك لم تكن قد حققت من النجاح ما يشعر معارضيهما بالخطر، ويدفعهم بالتالي الى انتهاج أسلوب قوى ضدها. وإذا سلم بذلك فإنه كان من المتوقع أيضا أن يكون موقف صاحب الدعوة تجاههم غير شديد. ومنها أن الشيخ كان يأمل في اجتذاب بعض المعارضين الى جانبه. والأسلوب اللين من عوامل كسب الآخرين. ومنها أن الشيخ كان يحس بغربة بعض ما كان يدعو اليه لدى مجتمعه. ومن هنا كان لابد من انتهاج أسلوب اللين - مرحليا على الأقل - لتلا يكون رد الفعل في غير صالح الدعوة.

يقول الشيخ في إحدى رسائله:

«لولا أن الناس الى الآن ما عرفوا دين الرسول، وأنهم يستنكرون الأمر الذي لم يألفوه لكان شأن آخر، بل والله الذي لا إله الا هو لو يعرف الناس الأمر على وجهه، لأفتيت بحل دم ابن سحيم وأمثاله ووجوب قتلهم»<sup>(٥٥)</sup>.

ومن المعروف بطبيعة الحال أن زعماء الدعوة حين رأوا الظروف مناسبة، اتخذوا أهم أسلوب من أساليب نشرها، وهو الجهاد.

### المعارضة النجدية:

واضح من رسائل الشيخ أن دعوته لقيت معارضة شديدة من قبل بعض علماء نجد. فالمتتبع لها يلاحظ أن أكثر من عشرين عالما أو طالب علم وقفوا ضدها في وقت من الأوقات. ويأتي في مقدمة هؤلاء المعارضين عبد الله المويس من حرمة، وسليمان بن سحيم من الرياض.

ويستفاد من هذه الرسائل أن معارضي الشيخ من النجديين كانوا مختلفي المواقف.

---

(٥٥) روضة ٦/١ - ١٥٧.

فمنهم من عارضه منذ البداية واستمر في معارضته<sup>(٥٦)</sup>، ومنهم من كان يعترف في بداية الأمر بأن ماجاء به الشيخ أو بعضه حق، لكنه غير موقفه مع مرور الزمن<sup>(٥٧)</sup>، ومنهم - أيضا - من كان متراجحا في تأييده ومعارضته<sup>(٥٨)</sup>. وتوضح الرسائل أن النجديين المعارضين أعطوا أسماء مختلفة لما تضمنته الدعوة؛ قالوا عنه دين أهل العارض<sup>(٥٩)</sup>، وقالوا إنه مذهب خامس<sup>(٦٠)</sup>؛ كما ادعوا أنه بدعة خرج أول ماخرج من خراسان<sup>(٦١)</sup>.

ويبدو أن أسباب معارضة أولئك النجديين للدعوة كانت متعددة؛ رغم توافر بعض الأسباب لدى الجميع فإن بعضها قد توافر عند شخص دون آخر، ومن غير العدل إهمال جانب الاقتناع الشخصي لدى فريق من هؤلاء بعدم صحة بعض ماكان يدعو اليه الشيخ. كما أنه من السطحية عدم ملاحظة تغير موقف البعض طبقا لانتقال الدعوة من مرحلة الى أخرى، ومناداتها بأمر لم تكن تنادى بها، أو تطبيقها أمورا لم تكن تطبقها في بداية الأمر. ولعل أوضح دليل على ذلك ماذكره الشيخ نفسه في إحدى رسائله حيث قال :

«صدقني من يدعي أنه من العلماء في جميع البلدان في التوحيد وفي نفي الشرك، وردوا علي التكفير والقتال<sup>(٦٢)</sup>.

وقوله في رسالة أخرى :

«إنهم يقولون لو يترك أهل العارض التكفير والقتال لكانوا على دين الله ورسوله<sup>(٦٣)</sup>.

(٥٦) من هؤلاء المويس.

(٥٧) مثل ابن سحيم.

(٥٨) مثل عبد الله بن عيسى.

(٥٩) روضة ١/١٦٧.

(٦٠) روضة ١/١٣٩.

(٦١) روضة ١/١٠٢ و ١١٦.

(٦٢) روضة ١/٧ - ١٠٨.

(٦٣) روضة ١/١٥٠.

ومن المعروف أن قتال أصحاب الدعوة لخصومهم لم يحدث في أول بدايتها.

ويعطى الشيخ في إحدى رسائله سببين أساسيين لتغير موقف بعض العلماء من الاعتراف بصحة الدعوة الى مناواتها : الأول : أن العامة ستقول اذا كان مايدعو اليه الشيخ هو الحق فلم لم تدعونا اليه قبله؟ وعدم سؤال العامة لهم عنه لا يبرر سكوتهم. وهذا يمكن أن يقال عنه بعبارة أخرى : إن هؤلاء.. المعارضين خافوا أن يفقدوا مكانتهم الاجتماعية، لأن الناس سيتساءلون عن علمهم وإخلاصهم، فإن كانوا لم يعرفوا الحكم قبل الشيخ فعلمهم قليل. وان كانوا علموا الحكم وأخفوه فأخلاصهم مفقود. وفي كلتا الحالتين إضعاف لمكانتهم. والسبب الثاني: لتغير موقفهم في نظر الشيخ إنكاره عليهم أكل السحت والرشوة<sup>(٦٤)</sup>.

ومن الممكن قبول السبب الثاني من تعليل الشيخ السابق، لأن هذا الموضوع كان بطريقة مابين المسائل التي ذكرها ابن سحيم في رسالته الموجهة الى العلماء خارج نجد ليقفوا ضد الدعوة<sup>(٦٥)</sup>. لكن السبب الأول من التعليل لا يمكن قبوله دون تحفظ، فلو كان سليمان بن سحيم وأمثاله يرون أن اعترافهم بصحة الدعوة قد يهز من مكانتهم الاجتماعية، لما اعترفوا بصحتها منذ البداية. ولعل السبب الأساسي في تغير موقفهم انتقال الدعوة من طور الى آخر مختلف نوعا ما.

وتشير الرسائل - أيضا - الى أن تغير موقف بعض المعارضين النجديين كان نتيجة تأثير البعض الآخر، كما حدث بالنسبة لتأثير المويس على عبد الله بن سحيم<sup>(٦٦)</sup>. كما تشير الى أن عدم انضمام بعض علماء نجد الى الدعوة ناتج عن عدم القدرة على اقتناع الأمراء بها<sup>(٦٧)</sup>.

(٦٤) روضة ١١٤/٨.

(٦٥) روضة ١١٣/٨.

(٦٦) روضة ١١٦/٨.

(٦٧) روضة ١٠٩/٨ و١٦٢.

وتبين الرسائل أن نشاط المعارضة النجدية للدعوة كان مختلف الجوانب. وفي مقدمة أوجه ذلك النشاط الكتابة ضدها. والمتأمل في هذه الرسائل يرى كثرة تلك الكتابة، وإن كان من المتوقع أن أغلبها لم يكن طويل المحتوى. ويأتي في طليعة هؤلاء الكتاب المعارضين، سليمان بن سحيم، وعبد الله المويس، وسليمان بن عبد الوهاب. ومن الجدير بالذكر أن بعض ماكتبه المعارضون النجديون - باستثناء الأخير من الثلاثة المذكورين - يكاد يكون مفقودا. ولاشك أن أصول كتاباتهم لو وجدت لكان ارتياح الباحث إليها أعظم. لكن رسائل الشيخ - على أية حال - تلقى أضواء على بعض مضامين تلك الكتابات. فقد ورد في هذه الرسائل أن سليمان بن سحيم كتب أربعة أشياء : أولها تلك الرسالة التي بعثها الى العلماء خارج نجد والتي أورد ابن غنم نصها في تاريخه<sup>(٦٨)</sup>. وقد أورد فيها كاتبها خمس عشرة مسألة اعتبرها مأخذ على الشيخ.

الثاني : رسالة وصلت الى عبد الله بن سحيم. وقد ذكر الشيخ في رسالته الى عبد الله أنها تحتوي على أربع وعشرين مسألة<sup>(٦٩)</sup>. وهي وإن اشتملت على بعض ماجاء في رسالة سليمان الى العلماء خارج نجد.. الا أنها لا تحتوي عليها كلها، كما يتضح من جواب الشيخ. وهي - أيضا - تشتمل على مسائل لم ترد في رسالة سليمان المذكورة أولا<sup>(٧٠)</sup>.

الثالث : رسالة أشار إليها في رسالته الى سليمان بقوله :  
«أنك زعجت قرطاسة فيها عجائب»<sup>(٧١)</sup>.

ومناقشه الشيخ في هذه الرسالة يوضح أن رسالة سليمان أو قرطاسته المشار إليها هنا غير الرسالتين السابقتين<sup>(٧٢)</sup>.

(٦٨) روضة ١١/١ - ١١٣.

(٦٩) روضة ١٣/١ - ١٢٢. ويلاحظ أن ابن غنم أورد رسالة الشيخ على أنها ردا على رسالة سليمان الموجهة الى العلماء خارج نجد.

(٧٠) قارن ماجاء في الرسالتين : روضة ١١/١ - ١١٣ و ١٣/١ - ١٢٢.

(٧١) روضة ١٣٨/١.

(٧٢) قارن روضة ١٣٨/١ - ١٤١، روضة ١١/١ - ١١٣ و ١٣/١ - ١٢٢.



الرابع : أوراق ذكر الشيخ أنه وقف عليها. ومضمونها مختلف عما جاء في الكتابات المذكورة سابقاً (٧٣).

أما المويس، فقد أشار الشيخ في رسالته الى عبد الله بن سحيم الى أنه ألف كتاباً بعثه الى أهل الوشم. وقال إنه مشتمل على ثلاثة موضوعات :  
الأول : علم الأسماء والصفات أو العقائد.  
والثاني: التوحيد والشرك.  
والثالث: الاقتداء بأهل العلم.

وقد ناقش الشيخ الموضوعين الأولين في رسالته الى عبد الله، لكنه ترك مناقشة الموضوع الثالث؛ لأنه كما يقول قد أرسل رأيه حوله الى المويس نفسه (٧٤).

الوجه الثاني من أوجه نشاط المعارضة النجدية : مجادلة أنصار الدعوة في البلدان المختلفة. مثال ذلك : مجادلة ابن اسماعيل جماعة الشيخ في ثرمداء، ومجادلة سليمان بن سحيم لابن صالح في مجلس الشيوخ في الرياض (٧٥).

الوجه الثالث من أوجه ذلك النشاط : الاتصال بالعلماء، وذوى النفوذ خارج نجد وتحريضهم ضد الشيخ ودعوته. مثال ذلك : ما ذكر سابقاً من إرسال سليمان بن سحيم كتاباً إلى العلماء خارج نجد، وشكواه له عند أهل الحرمين (٧٦). وقد ركب المويس وخواص أصحابه إلى أهل قبة الكواز وقبة رجب يخبرونهم بإنكار الشيخ لما هم عليه، ويستثيرونهم ضده (٧٧). كما ركب المويس مع ابن ربيعة وابن اسماعيل إلى أهل قبة أبي طالب وأغرروهم بعدم اتباع الشيخ (٧٨).

---

(٧٣) روضة ١٨/١ - ٢٢٠.

(٧٤) روضة ٩٧/١ - ١٠٣.

(٧٥) روضة ١٠٦/١ و ١٢١.

(٧٦) روضة ١٣٩/١.

(٧٧) روضة ١٠٩/١ و ١٦٠.

(٧٨) روضة ١٠٩/١ و ١٦٠.

وواضح أن الاتجاه الى الاستنجد بالخارج يعكس إدراك المعارضين النجديين لضعفهم أمام دعوة الشيخ وفشلهم في إيقافها.

الوجه الرابع من وجوه نشاط المعارضين المحليين : ترويح الكتب التي ألفها علماء غير نجديين ضد الدعوة بين الناس، كما روج المويس وابن عبيد كتاب القباني البصرى، وكما روج المويس وابن اسماعيل كتاب ابن عفالق<sup>(٧٩)</sup>.

### علماء الأحساء والدعوة :

وتلقى رسائل الشيخ أضواء على الدور الذى قام به بعض علماء الأحساء تجاه دعوته، وتبين أوجه النشاط التي كانوا يزاولونها، ومن ذلك كتابة الكتب ضده، وإرسالها الى زعماء المعارضة النجديين لتأييدهم أو إقناع من كان منضما اليه بمفارقتها. وتوضح هذه الرسائل أيضا بعض النقاط التي ركز عليها أولئك العلماء.

ومن هذه الأمور : قضية الاجتهاد، والتنويه على أن الشيخ لم يكن مؤهلا لممارسته<sup>(٨٠)</sup>. وقد أوضح الشيخ بدوره موقفه تجاه هذا الموضوع غاية الإيضاح في رسائله<sup>(٨١)</sup>.

ومن تتبع رسائل الشيخ، يتضح أنه كان في طليعة العلماء الأحسائيين الذين قاموا بالكتابة ضده القاضي عبد الله بن عبد اللطيف. ومن الواضح أيضا أن الشيخ محمدا كان شديد الحرص على ضم ذلك العالم الى جانبه، أو على الأقل التزامه الحياد بينه وبين خصومه<sup>(٨٢)</sup>. ومن أولئك العلماء محمد بن عفالق الذى يقول الشيخ عنه إنه زعم في كتابه أن التوحيد دين ابن تيمية، وأنه لما أفتى به كفره العلماء وقامت عليه الحجة<sup>(٨٣)</sup>.

(٧٩) روضة ١٠٦/١ . (٨٠) روضة ٥٢/١ .

(٨١) روضة ٥١/١ .

(٨٢) انظر مدح الشيخ له وتودده اليه في الرسالة التي بعثها اليه. روضة ٥٠/١ - ٦٠. وقد أشار الحداد في مصباح الأنام ص ٤ - ٥ الى أن اسم كتاب عبد الله ضد الشيخ سيف الجهاد لدعى الاجتهاد.

(٨٣) روضة ١٠٦/١. ومن بين كتابات ابن عفالق رسالة اسنها :

«تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين» وربما كانت المقصودة هنا. على أن له رسالة أخرى بعثها الى عثمان ابن معمر. وفيها الكثير من الاستشهاد بأقوال ابن تيمية.

كذلك كان منهم ابن مطلق وابن فيروز. وقد أورد الشيخ في إحدى رسائله بيتين من الشعر قال.. إن أحدهما ورد في مصنف ابن مطلق والثاني في مصنف ابن فيروز<sup>(٨٤)</sup>. وكان الثلاثة الأولون في نظر الشيخ أشد عداوة من ابن فيروز: فقد قال عنهم: «أما ابن عبد اللطيف وابن عفالق وابن مطلق فحشوا بالزبيل. أعني سبابة التوحيد، واستحلال دم من صدق به أو أنكر الشرك». أما ابن فيروز فانه - كما يقول الشيخ - أقر بهم الى الإسلام<sup>(٨٥)</sup>.

ويبدو أن الشيخ كان يدرك خطر أولئك العلماء الأحسائيين: لأنه حذر محمد بن سلطان منهم تحذيرا شديدا بعد أن سمع أنه سيعرض كلامه عليهم<sup>(٨٦)</sup>.

ومن الأمور التي أشارت اليها رسائل الشيخ، وجود القبور التي يعتقد فيها أناس من أهل الأحساء<sup>(٨٧)</sup>، بل وجود أمور تضاد أصل الإسلام على حد تعبيره<sup>(٨٨)</sup>. ولم يكن غريبا في مثل هذه الظروف أن يعتبر الشيخ تلك المنطقة بلد مشركين<sup>(٨٩)</sup>.

### الأشراف والدعوة:

سبقت الإشارة الى أن الشيخ كان يدرك أهمية علماء مكة ومدى تأثيرهم، كما كان يدرك مكانة حاكم تلك المدينة. لذلك كانت مجاملته لكل منها واضحة في أسلوبه. وفي رسائله ما يبين أن المعارضة النجدية قد أدركت أيضا هذه المكانة وتلك الأهمية. وكان أن بذل زعمائها جهودا كبيرة لكسب قادة مكة الى جانبهم ضد الشيخ. وواضح من تلك الرسائل أن جهودهم قد أثمرت. فقد بعث علماء مكة مكاتيب الى نجد تؤيد المعارضين للدعوة<sup>(٩٠)</sup>. واتخذ حكام تلك المدينة موقفا عدائيا منها، فسجنوا فريقا من أنصارها حين قدموا للحج، ومنعوا أتباعها من أداء فريضته مدة طويلة<sup>(٩١)</sup>.

(٨٤) روضة ١/١٦١.

(٨٥) روضة ١/١٦١.

(٨٧) روضة ١/١٦٥.

(٨٦) شخصية ص ٢ - ١٢٥.

(٨٨) روضة ١/١٦٦.

(٨٨) روضة ١/٥٩.

(٩١) روضة ١/١٠٩ و ١٦٠.

(٩٠) روضة ١/١٦١.

وكان الشيخ يعترف بحق آل البيت الذين ينتسب اليهم أشرف مكة ويقول: إن الله شرفهم على أهل الأرض<sup>(٩٢)</sup>.

بل إنه لام بعض أنصاره الذين انتقدوا أحد الأشراف لساحه بتقبييل يده ولبسه عمامة خضراء، مشيرا الى أن لبسهم الأخضر حدث قديما تمييزا لهم لئلا يظلموا أو يقصر في حقهم من لا يعرفهم.

لكن موقفه هذا لم يمنعه من مهاجمة ماكان سائدا في منطقة تحت حكم الأشراف؛ بل إن رسائله لاتلقى الضوء على ماكان سائدا فيها مما له صلة بالعبقيدة فحسب، وانما تشير الى نوع من الانحطاط الخلقي الغريب. فيقول في رسالته الى البكيللي عن الوضع في مكة :

«حتى آل الأمر بالهتيمييات المعروفات بالزنا والمصرييات يأتون وفودا يوم الحج الأكبر، كل من الأشراف معروفة بغيته منهن جهارا»

وواضح مافي هذه العبارة من تعميم دفع اليه - فيما يبدو - شعور عميق بظلم موجه ضد من كتبه. لكن وجود هذا الانحطاط الخلقي عند البعض على الأقل أمر ملفت للنظر.

أيها السادة:

إن ماورد في هذا البحث جزء مما تحتوى عليه الرسائل الشخصية للشيخ محمد وهو - كما لاحظتم - لم يتعرض لبعض أصول الدعوة المعروفة، ولم يورد مافي هذه الرسائل من مناقشة حولها. ولاشك أن من له عناية بمثل هذه الأمور سيجد في الرسائل الشيء الكثير.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته....



# حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وآثاره العالمية

تفضيلة الشيخ  
إسماعيل محمد الأزهري

بالرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة

والإرشاد بالمملكة العربية السعودية



## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد سيد المرسلين، وعلى اله وصحبه أجمعين.. وبعد :

فقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها» رواه أبو داود في الملاحم من سننه، والحاكم في الفتن من مستدرکه، وصححه ورواه البيهقي في معرفة السنن له، كلهم عن أبي هريرة - رضي الله عنه - عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والمراد بتجديد الدين إحياء ما اندرس من العمل بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وإماتة ما ظهر من البدع.

وقد اخترنا أن يكون موضوع بحثنا هذا أحد أولئك المجددين الذين أشار اليهم هذا الحديث الشريف، وهو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب<sup>(١)</sup> الذي بزغ به في القرن الثاني عشر قمر التجديد، وانتصرت به راية التوحيد، فنقول وبالله التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

### مجدد القرن الثاني عشر

هو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن بريد بن

(١) نقل العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الامام محمد بن عبد الوهاب عن ابن غنام أن أكبر عصره شهدوا له بأنه من جملة المجددين لما جاء به سيد المرسلين وأن فضلاء أهل مصر والشام والعراق والحرمين تواتر عنهم الشهادة له بأنه مجدد الدين. أفاد ذلك في مصباح الظلام ص ٢٧.



محمد بن بريد بن مشرف<sup>(٢)</sup> التميمي، نسبة الى تميم الذي قال الصحابي الجليل أبو هريرة - رضي الله عنه - في بنيه «مازلت أحب بني تميم منذ ثلاث سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فيهم : «هم أشد أمتي على الدجال قال : وجاءت صدقاتهم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «هذه صدقات قومنا». وكانت سبية منهم عند عائشة فقال : «اعتقيها فإنها من ولد إسماعيل» رواه البخارى في باب من ملك من العرب رقيقا فوهب وباع... الخ من صحيحه ج ٥ من شرح فتح البارى.

### ولادته ونشأته

ولد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب سنة خمس عشرة بعد المائة والألف من الهجرة النبوية، في بيت أضاف الى شرف النسب شرف العلم؛ فإن والده عبد الوهاب كان عالما ذا معرفة تامة بالحديث والفقه وغيرهما، قاضيا وله أسئلة وأجوبة. ذكر ابن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» أنه اطلع عليها واستفاد منها. وسليمان والد عبد الوهاب كان فقيه زمانه متبحرا في علوم المذهب، قد انتهت اليه الرياسة في العلم، وكان علماء نجد في زمانه يرجعون اليه في كل مشكلة من الفقه وغيره، ذكر ذلك في ص ٧٢ وقال بعد ذكره «رأيت له سؤالات عديدة وجوابات كثيرة وصنف كتابا في المناسك» وذكر أنه - أى سليمان - كان معاصرا للبهوتي الحنبلي، وأنه اجتمع به بمكة المكرمة.

وذكر العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في ترجمته للإمام محمد بن عبد الوهاب نفس ما ذكره ابن بشر، قال «ووالده - أى : الإمام محمد بن عبد الوهاب - هو مفتي تلك البلاد، وجده مفتي البلاد، وأثاره وتصانيفه وفتاواه تدل على علمه وفقهه، وكان جده اليه المرجع في الفقه والفتوى، وكان معاصرا للشيخ منصور البهوتي الحنبلي خادم المذهب، اجتمع به بمكة»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا كان أعمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأبناء أعمامه علماء أجلاء، كما اتصل

(٢) روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢ .

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٢ ص ٣٧٩ - طبعة مطبعة المنار.

العلم في ذرية الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب.. نسأل الله أن يستمر ذلك فيهم الى أن يرث الله الأرض ومن عليها وما ذلك على الله بعزيز.

## مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب:

تلقى الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - العلم عن مشايخ كثيرين كما نص عليه غير واحد من أئمة العلم.

قال العلامة الشيخ حسين بن غنام في الفصل الثاني من «روضة الأفكار والأفهام»<sup>(٤)</sup>. «وأخذ - أي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب - في القراءة على والده في الفقه على مذهب الإمام أحمد فسلك فيه الطريق الأحمدي، ورزق مع الحفظ سرعة الكتابة، فكان يحير أصحابه بحيث انه يخط بالخط الفصيح في المجلس الواحد كراسا من غير سامة ولا تعب ولا التباس. ثم بعد ذلك رحل في العلم وسار وجد في الطلب الى ما يليه من الأمصار وما يجاذيه من الأقطار، فزاحم فيه العلماء الكبار، وأشرق طالعه واستنار، وثار لهلاله أقمار، فوطيء الحجاز والبصرة لذلك مرارا، وأتى الأحساء لتلك الأوطار، وأخذ العلم عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدي ثم المدني ..... الى أن قال : «وقد سمع - أي : الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - الحديث والفقه عن جماعة بالبصرة كثيرة، وقرأ بها النحو وأتقن تحريره، وكتب الكثير من اللغة والحديث في تلك الإقامة، وحث على طريق الهدى والاستقامة، وكان أكثر لبثه لأخذ العلم بالبصرة ومقامه»<sup>٥</sup>.ه. والى ما ذكره ابن غنام هنا يشير العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن ابن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بقوله في «مصباح الظلام» ص ٨ : «وقد عرف طلب الشيخ للعلم ورحلته في تحصيله، كما ذكره صاحب التاريخ الشيخ حسين بن غنام الأحسائي»<sup>(٥)</sup>.

(٤) ج ١ ص ٢٦ ط مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

(٥) ج ١ ص ٢٧.

وقال الشيخ عبد اللطيف في « مصباح الظلام »<sup>(٦)</sup> «وقد اجتمع - أي : الإمام محمد ابن عبد الوهاب - بأشياخ الحرمين في وقته ومحدثيها، وأجازه بعضهم، ورحل الى البصرة وسمع وناظر والى الأحساء وهي اذ ذاك أهلة بالعلماء، فسمع من أشياخها وباحث في أصول الدين ومقالات الناس في الايمان وغيره، وسمع عن والده وعن فقهاء نجد في وقته، واشتهر عندهم بالعلم والذكاء وعرف به على صغر سنه». وقال في موضع آخر من هذا المصدر «مصباح الظلام»<sup>(٧)</sup>: اشتهرت رحلة شيخنا - رحمه - الله - وساعه للعلوم، واجتماعه بأعيان وقته، وقد أخذ الفقه عن أبيه عن جده سليمان بن علي - مفتي الديار النجدية في وقته - وسنده المتصل بأئمة المذهب الى الإمام أحمد معروف مقرر عندهم، وسمع الحديث من أشياخ الحرمين في وقته، وأجازه الكثير منهم، ومن أعلامهم محدث الحرمين الشيخ محمد حياة السندی، وكان له اكبر الأثر في توجيهه الى إخلاص توحيد عبادة الله والتخلص من رق التقليد الأعمى، والاشتغال بالكتاب والسنة. ورحل الى البصرة وسمع من أشياخها ورحل الى الأحساء: وهي اذ ذاك أهلة بالعلماء، فسمع منهم وأخذ عنهم وعرف قدرة أهل العلم والنهي»<sup>١.هـ</sup>.

وقال العلامة الشيخ عبد اللطيف - أيضا - في ذلك في ترجمته للإمام محمد بن عبد الوهاب بعد أن ذكر قراءته الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل على والده قال<sup>(٨)</sup> - «ثم بعد ذلك رحل - أي : الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب - يطلب العلم، وذاق حلاوة التحصيل والفهم، وزاحم العلماء الكبار، ورحل الى البصرة والحجاز مرارا، واجتمع بمن فيها من العلماء والمشايخ الأخيار، وأتى الأحساء وهي اذ ذاك أهلة بالمشايخ والعلماء فسمع وناظر وبحث واستفاد، وساعدته الأقدار الربانية والتوفيق والإمداد.

وروى عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدى، ثم المدني، وأجازه من طريقتين، وأول ماسمع منه الحديث المسلسل بالأولوية» قال الشيخ عبد اللطيف :

(٦) ص ٩.

(٧) مصباح الظلام ص ١٣٩، ١٤٠.

(٨) في ترجمة الشيخ عبد اللطيف للإمام محمد بن عبد الوهاب. وهي في مجموعه الرسائل والمسائل النجدية ص ٣٨٠.

وطالت إقامة الشيخ ورجلته بالبصرة وقرأ بها كثيرا من كتب الحديث والفقه والعربية، وكتب من الحديث والفقه واللغة ماشاء الله في تلك الأوقات»<sup>١٠</sup>هـ.

وقال ابن بدران في «المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» «أجازه - أي : الإمام محمد بن عبد الوهاب - محدثو العصر بكتب الحديث وغيرها على اصطلاح أهل الحديث من المتأخرين»<sup>١١</sup>هـ.

هذا بعض ما ذكره أهل العلم في عناية الإمام محمد بن عبد الوهاب بالعلم وكثرة مشايخه فيه. وعلى سبيل المثال لا الحصر أذكر من مشايخه من يلي:-

١ - والده الشيخ عبد الوهاب - مفتي نجد - أخذ عنه الفقه بعد أن حفظ القرآن عن ظهر غيب، قال حفيده العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب «أخذ - أي : محمد بن عبد الوهاب - الفقه عن أبيه عن جده سليمان بن علي - مفتي الديار النجدية في وقته - وسنده المتصل بأئمة المذهب الى الامام أحمد معروف مقرر عندهم»<sup>(٩)</sup>.

٢ - الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدى المدني، ذكر صاحب «التوضيح عن توحيد الخلاق» أنه قرأ عليه وأجازه بكل ما حواه. ثبت الشيخ عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما من صحيح البخارى بسنده الى مؤلفه، وصحيح مسلم بسنده الى مؤلفه، وشروح كل منها، وسنن الترمذى بسنده، وسنن أبي داود بسنده، وسنن ابن ماجه بسنده، وسنن النسائي الكبرى بسنده، وسنن الدارمي ومؤلفاته بالسند، وسلسلة العربية بسندها عن أبي الأسود عن علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه -، وكتب النووى كلها، وألفية العراقي، والترغيب والترهيب للمندرى، والخلاصة لابن مالك، وسيرة ابن هشام وسائر كتبه، ومؤلفات ابن حجر العسقلاني، وكتب القاضي عياض وكتب القراءات، وكتاب الغنية لعبد القادر الجيلي، وكتاب القاموس بالسند الى مؤلفه، ومسنند الإمام الشافعي، وموطأ مالك، ومسنند الإمام الأعظم، ومسنند الامام أحمد، ومسنند أبي داود - أي : الطيالسي - ومعاجم الطبراني، وكتب السيوطي وفقه الخنابلة وسلسلته وأصولهم».

(٩) مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الامام ونسبته إلى تكفير اهل الايمان والاسلام ص ١٣٩.

وماتلقاه الإمام محمد بن عبد الوهاب عن الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدي بالحديث المسلسل بالأولية والحديث المسلسل بالحنابلة. قال ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٦ في بيان روايته عنه الحديث الأول «نقلت من خطه - أي الشيخ محمد بن عبد الوهاب - مانصه: «حدثني الشيخ عبد الله بن ابراهيم بمنزله بظاهر المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام عن شيخ الإسلام ومفتى الشام أبي المواهب الحنبلي إجازة قال : أخبرنا والدي تقي الدين عبد الباقي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به المعمر الشيخ عبد الرحمن البهوتي الحنبلي، وهو أول حديث سمعته قال : أخبرنا به شيخنا جمال الدين يوسف الأنصاري الخزرجي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به والدي شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به شيخ الإسلام أبو الفضل أحمد بن حجر العسقلاني، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا الصلاح محمد بن محمد الحكرى الصوفي الخازن، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا المحافظ زين الدين عبد الرحيم العراقي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به الصدر أبو الفتح... وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به المحافظ أبو الفرج عبد اللطيف بن عبد المنعم الحراني، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به المحافظ إسماعيل بن أبي صالح النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به والدي أبو صالح المؤذن، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا به أبو طاهر محمد بن محمد<sup>(١٠)</sup> الزيادي، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال البزاز، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا عبد الرحمن بن بشر بن الحكم النيسابوري، وهو أول حديث سمعته منه قال : أخبرنا سفيان بن عيينة، وهو أول حديث سمعته منه عن عمرو بن دينار، عن أبي قابوس مولى عبد الله بن عمرو ابن العاص عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»، تفرد به سفيان ولا يصح سنده عن عمرو بن سفيان<sup>(١١)</sup>» أ.هـ.

(١٠) ابن محمش بفتح الميم وسكون المهملة وكسر الميم الثانية أخره شين معجمة.

(١١) روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٦، ٢٧، وقد صححنا من الاثبات ما يحتاج الى التصحيح.

والى ما أوضحه ابن غنام أشار الشيخ العلامة عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن ابن محمد بن عبد الوهاب بقوله في ترجمة الإمام محمد بن عبد الوهاب «روى عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن ابراهيم النجدي ثم المدني وأجازه من طريقتين . وأول ماسمع منه الحديث المسلسل بالأولية كتب السماع بالسند المتصل الى عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «الراحمون يرهمم الرحمن ارحموا من في الأرض يرهمكم»<sup>(١٢)</sup> من في السماء»

وأما الحديث المسلسل فيقول ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٧ «قال الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله : حدثني الشيخ عبد الله بن ابراهيم الحنبلي بمنزله بظاهر المدينة المنورة عن شيخ الاسلام ومفتي الشام أبي المواهب بن تقي الدين عبد الباقي الحنبلي إجازة عن والده تقي الدين المذكور قال : أخبرنا الشيخ عبدالرحمن البهوتي الحنبلي قال : أخبرنا الشيخ تقي الدين بن النجار الفتوحي الحنبلي صاحب «منتهى الإرادات» أخبرنا والدى شهاب الدين أحمد - قاضي القضاة الحنبلي - قال : أخبرنا به بدر الدين الصفدي القاهري والحنبلي قال : أخبرنا عز الدين أبو البركات الحنبلي قال : أخبرنا أبو علي حنبل بن عبد الله الرصافي الحنبلي قال : أخبرنا أبو القاسم هبة الله الحنبلي قال : أخبرنا أبو الحسن بن علي الحنبلي قال : أخبرنا أبو بكر أحمد بن جعفر الحنبلي قال : أخبرنا أبو محمد عبد الله بن الإمام أحمد الحنبلي قال : حدثني أبي أحمد بن محمد بن حنبل إمام كل حنبلي عن ابن عدى عن حميد عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إذا أراد الله بعبده خيرا استعمله قالوا : كيف يستعمله؟ قال : يوفقه لعمل صالح قبل موته» هذا حديث عظيم قد وقع ثلاثيا للإمام

(١٢) قال العلامة المحدث الشيخ عبد الرحمن بن عبد الله الحنبلي الدمشقي ثم الحلبي المتوفى سنة ١١٩٢هـ في «منار الاسعاد» ص ٣٠١ الرواية في «يرهمكم» بالرفع، كما نبه عليه شيخ مشايخنا الشيخ عبد الباقي - رحمه الله - في الكواكب السائرة له فقد ذكر في ترجمة شيخه العلامة أبي الثناء محمد البيهوني الحلبي أنه لما أسعده هذا الحديث المذكور أملاه عليه برفع «يرهمكم» على أنه جملة دعائية وقال له: هكذا أملاه علينا شيخنا البرهان بن العباد الحلبي وأفاد أن الرواية في «يرهمكم» بالرفع لكونها جملة دعائية وليست بالجزء على أنها جواب الامر انتهى ولا يمتنع الجزم عربية»أ.هـ.

أحمد»<sup>(١٣)</sup>. وإلى هذا المسلسل بفقهاء الحنابلة أشار العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن الإمام محمد بن عبد الوهاب بقوله في ترجمة جده الإمام «سمع منه - أي: من عبد الله بن إبراهيم النجدي - مسلسل الحنابلة بسنده إلى أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا أراد الله بعبده خيرا استعمله قالوا: كيف يستعمله؟ قال: يوفقه لعمل صالح قبل موته» وهذا الحديث من ثلاثيات أحمد» اهـ.

هذا - وهناك طريقان آخران أجاز بهما الشيخ عبد الله بن إبراهيم النجدي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كما ذكره ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام» وأوضحه صاحب التوضيح أحدهما - عن ابن نصر الله عن الشيخ محمد البلباني عن الشيخ أحمد ابن علي الوفائي المصلحي عن الشيخ موسى الحجاوي عن القاضي برهان الدين بن مفلح عن والده نجم الدين بن مفلح عن والده القاضي صاحب الفروع عن جده عبد الله بن مفلح عن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين أبي عمر عن عمه موفق الدين بن قدامة عن الشيخ عبد القادر عن القاضي أبي يعلى المرادوي عن ابن حامد عن أبي بكر الخلال عن أبي بكر المروزي عن الإمام أحمد بن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس - رضي الله عنهما - عن النبي صلى الله عليه وسلم.

٢ - عن عبد القادر التغلبي عن عبد الباقي أبي المواهب المحدث عن الشيخ أحمد الوفائي عن موسى الحجاوي عن أحمد الشوبكي عن العسكري عن عبد الرحمن بن رجب<sup>(١٤)</sup> عن ابن القيم عن تقي الدين أحمد بن تيمية عن شمس الدين نجل أبي عمر عن عمه موفق الدين عن الشيخ عبد القادر الجيلاني عن أبي الوفاء بن عقيل عن

(١٣) روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٢٧.

(١٤) كذا في «التوضيح ووقع في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» لفضيلة الشيخ البسام ج ٣ ص ٨٤٤ مانصه «عن أحمد العسكري عن علي بن سليمان المرادوي عن ابن خندس عن ابن اللحام عن المحافظ بن رجب» اهـ وهذا هو الصواب الموافق لما ورد في إجازة الشيخ عبد الستار بن عبد الوهاب الدهلوي المكي للعلامة الشيخ عبد الله بن سليمان بن بليهد المسطورة في مقدمة كتاب «الأحكام السلطانية» للإمام أبي يعلى.

القاضي أبي يعلى عن ابن حامد عن أبي بكر الخلال عن أبي بكر المروزي<sup>(١٥)</sup> عن الأثرم عن الإمام أحمد عن سفيان بن عيينة عن عمرو بن دينار عن ابن عباس - رضي الله عنها - عن النبي صلى الله عليه وسلم» ا.هـ.

٣ - من مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب الإمام المحدث محمد حياة السندی<sup>(١٦)</sup> ذكر ذلك غير واحد منهم حفيده وتلميذه العلامة الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، والشيخ عثمان بن بشر. قال الشيخ عبد الرحمن في الرسالة التي أجاب بها من سأله عن روى عنهم من المشايخ بعد أن ذكر ماتلقاه عن جده محمد بن عبد الوهاب «سنده - أى : محمد بن عبد الوهاب رحمه الله - معروف، تلقاه عن عدة من علماء المدينة وغيرهم رواية خاصة وعامة منهم : محمد حياة السندی، والشيخ عبد الله بن ابراهيم القرضي الحنبلي» وقال الشيخ عثمان بن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» ص ٣٦ في ترجمة محمد حياة السندی «أخذ العلم عن جماعة منهم : الشيخ عبد الله بن سالم البصرى، صاحب الإمداد في علوم الإسناد وأخذ عنه جماعة أجلمهم شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه، والشيخ علاء الدين السورى وغيرهما» ا.هـ.

وقد بين العلامة الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن في «مصباح الظلام» ما للشيخ محمد حياة السندی من أكبر الأثر على الإمام محمد بن عبد الوهاب حيث قال ص ٣٩ «كان له - أى الشيخ محمد حياة السندی - أكبر الأثر في توجيهه - أى: الشيخ محمد بن عبد الوهاب - الى إخلاص توحيد عبادة الله، والتخلص من رق التقليد الأعمى والاشتغال بالكتاب والسنة» ا.هـ.

(١٥) كذا في التوضيح وفي بعض الأثبات «عن أبي بكر غلام الخلال عن أبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال عن أبي بكر المروزي عن الامام أحمد ابن حنبل»

(١٦) كان له اليد الطولى في معرفة الحديث وأهله ومحبيه وصنف فيه مصنفًا ساه «تحفة الأنام» في العمل بحديث النبي عليه أفضل الصلاة والسلام. وله مصنفات غيرها رأيت له مصنفًا عجيبًا شرحًا على الأربعين النووية ساه «تحفة المبين شرح الأربعين» ا.هـ. ذكر ذلك ابن بشر في عنوان المجد ج ١ ص ٣٤. وقال الكتاني في «فهارس الفهارس» ج ١ ص ٢٤٤ «له شرح على الترغيب والترهيب في مجلدين وشرح على الأربعين النووية ومختصر الزواجر والأربعين حديثًا من جمع الملا علي القارى والايقاف على سبب الاختلاف وتحفة الأنام في العمل بحديث النبي عليه الصلاة والسلام» ا.هـ.



٤ - الشيخ محمد المجموعي صاحب البصرة، وهو عالم جليل أقام الإمام محمد بن عبد الوهاب يقرأ عليه. قال ابن بشر في عنوان المجد في تاريخ نجد ج ١ ص ١٦ في خروج الإمام محمد بن عبد الوهاب من نجد الى البصرة يريد الشام قال: «فلما وصلها - أى: البصرة - جلس يقرأ فيها عند عالم جليل من أهل المجموعة - قرية من قرى البصرة- في مدرسة فيها، ذكر لي أن اسمه محمد المجموعي فأقام مدة يقرأ عليه فيها وينكر أشياء من الشريكيات والبدع وأعلن الإنكار واستحسن شيخه قوله: وقرر له التوحيد وانتفع به». اهـ.

٥ - الشيخ علي أفندي الداغستاني حينما اجتمع بالامام محمد بن عبد الوهاب في المدينة المنورة وأجازه، ذكر ذلك صاحب التوضيح عن توحيد الخلاق<sup>(١٧)</sup>. وذكر أنه أجاز الإمام محمد بن عبد الوهاب بكل ما حواه ثبت الشيخ أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعلما مما تقدم ذكره في إجازة الشيخ عبد الله بن ابراهيم بن سيف النجدي للإمام محمد ابن عبد الوهاب، وممن عدّ الشيخ علي أفندي الداغستاني من مشايخ الإمام محمد بن عبد الوهاب الشيخ ابن بدران في «المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» قال ص ٢٣ «وأخذ - أى: الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عن الشيخ علي أفندي الداغستاني، وعن المحدث الشيخ اسماعيل العجلوني وغيرهما من العلماء» اهـ. وذكره - أيضا - الكتاني في «فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشايخات والمسلسلات» فقد صرح بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصرى وتلاميذ تلاميذه كعلي الداغستاني ومحمد العفالقى» وذكره - أيضا - الشيخ محمد حامد الفقى في كتابه «تاريخ الدعوة الوهابية في الإصلاح الديني والعمراني في جزيرة العرب وغيرها» والشيخ عبد الرحمن بن قاسم في جزء التراجم من «الدرر السنية» الطبعة الأولى.

---

(١٧) وعلى هذا هو علي أفندي بن صادق بن محمد بن ابراهيم الداغستاني أخذ عن الشيخ محمود بن عبد الله الأنطاكي عن الشيخ محمد بن علي الكامل عن الشيخ خير الدين الرملي وأخذ الشيخ علي أفندي - أيضا - عن الشيخ عبد الكريم الأمدى والشيخ أيوب الداغستاني ثم رحل الى الحجاز وجاور مدة وأخذ عن الشيخ محمد حياة السندى عن الشيخ عبد الله البصرى، وتوفى عام ١١٩٩. ذكر ذلك كله صاحب تقريب المراد في رفع الاسناد ص ١٢٢.

٦ - عبد اللطيف العفالقني الأحسائي، أجاز الإمام محمد بن عبد الوهاب بكل ما حواه ثبت الشيخ عبد الباقي أبي المواهب الحنبلي قراءة وتعلما وتعلما، ذكر ذلك صاحب «التوضيح عن توحيد الخلاق» ومن ذكر إجازة العفالقني للإمام محمد بن عبد الوهاب الشيخ محمد حامد الفقي في كتابه «في أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب».

٧ - الشيخ اسماعيل العجلوني، ذكر ذلك العلامة ابن بدران في «المدخل الى فقه الإمام أحمد بن حنبل» والشيخ عبد الرحمن بن قاسم في جزء التراجم من «الدرر السنية»، والشيخ محمد حامد الفقي في كتابه في أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

٨ - الشيخ عبد الله بن سالم البصرى، فقد جاء في «حصر الشارد» من أسانيد الشيخ محمد عابد في كتاب المحب الطبرى «القرى لقاصد أم القرى» رواه الشيخ عبد الله ابن محمد بن عبد الوهاب عن أبيه - الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن البصرى. ذكر ذلك العلامة الشيخ عبد الحي الكتاني الفاسي في «فهرس الفهارس والأنبات ومعجم المعاجم والمشیخات والمسلسلات». وتعقبه بقوله «ما ذكره - أى : صاحب حصر الشارد» من أن محمد بن عبد الوهاب أخذ عن البصرى فيه عندي نظر، فإن المعروف في تاريخ الوهابية أن محمد بن عبد الوهاب ولد عام ١١١١هـ ومات سنة ١٢٠٧هـ، وهو الذى فى الخلاصة الدحلانية؛ فإذا إنما عاصر البصرى بنحو العشرين سنة، لأن وفاة البصرى كانت سنة ١١٣٤هـ، وعلى ما فى التوضیح لحفيده سليمان أن ولادته كانت سنة ١١١٠ وكذا فى الحطة لصديق حسن، فعلى هذا يستبعد أخذه عنه وهو بمكة وابن عبد الوهاب فى نجد. والمعروف أن ابن عبد الوهاب إنما أخذ عن طبقة كبار تلاميذ البصرى وتلاميذ تلاميذه، كعلي الداغستاني ومحمد العفالقني. وفى الحطة أنه أخذ عن عبد الله بن ابراهيم النجدى تلميذ الشيخ أبي المواهب الحنبلي، وانظر كتب أولاده كالتوضیح لسليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب وغيره، والله أعلم؛ ولو صح أخذ محمد بن عبد الوهاب عن البصرى لكان آخر تلاميذه فى الدنيا مع أن آخرهم موتا فيما نحفظ الشمس محمد بن عبد الله المغربى، مات قبله سنة ١٢٠١ كما سبق فى الأضداد للبصرى». هذا مات عقب به الكتاني ما فى حصر الشارد، وفيه عندي نظر من وجوه؛ أولها أن المعروف فى تاريخ دعوة الإمام محمد ابن عبد الوهاب أو ولادة الامام محمد بن عبد الوهاب كانت سنة ١١١٥ لا عام ١١١١.

الثاني : أن ماعزاه الى «التوضيح» و«الحطة» غير صحيح. فقد جاء في «التوضيح» مانصه : «ولد : أى : الشيخ محمد بن عبد الوهاب - سنة ١١١٥هـ، وجاء في الخطة انه سنة خمسة عشر بعد المائة والألف. وأما الخلاصة الدحلانية وغيرها من كتابات مؤلفها عن الإمام محمد بن عبد الوهاب فلا اعتبار بها لكرهته لدعوته وبغضه له: بل لو فرضنا أن الأمر بخلاف ذلك لا ينبغي للكتاني أن يقلد من أخطأ في خطأه. فقد قال المؤرخ : الإغراق في التقليد الأعمى الى اتباع الأوهام الساقطة التي تدل على أن الناقل أو الناسخ كان لا يتأمل ما يقرأ ويجرى به قلمه ولله عاقبة الأمور» اهـ.

الثالث : أن الإمام محمد بن عبد الوهاب قد حج في السنة الثانية عشرة من عمره، وكان الشيخ عبد الله بن سالم البصرى اذ ذاك لم يزل حياً، لأنه لم يتوف إلا عام ١١٣٠. فلا يستبعد اتصاله مادام الأمر كذلك.

٩ - الشيخ صبغة الله الحيدرى. ذكر ذلك الشيخ محمود شكرى الألوسى فى تاريخ نجد : «يقال إنه - أى : الإمام محمد بن عبد الوهاب - قدم بغداد وأخذ عن صبغة الحيدرى» (١٨).

---

(١٨) وصفه الشيخ أمين حسن الحلوانى المدني فى «مختصر مطالع السود بأخبار آل داود ص ٢٧ انه عالم علامة ثم قال : فمن أخذ عنه العلامة زين الدين الهكارى والعلامة محمد بن شروين والفاضل أحمد المحلى والجهد شيخ الكردوى الاسنوى ثم المدني، والشيخ عبد الملك العصامى فى الحديث النبوى وهو أخذ عنه - أيضاً - بحق سماع عبد الملك من والده عن العلامة ابن حجر المكي وذكر أنه توفى عام ١١٩٠هـ.

## من ثناء أهل العلم على الإمام محمد بن عبد الوهاب

حظي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب من ثناء أهل العلم عليه بالشيء الوفير:  
وعلى سبيل المثال لا الحصر نذكر منهم من يلي:-

١ - والده الشيخ عبد الوهاب، كان يتوسم فيه الخير ويحدث بذلك ويبيديه ويؤمل بذلك ويرجوه ويعترف بالاستفادة منه على صغر سنه. قال سليمان أخو الإمام محمد بن عبد الوهاب - كان عبد الوهاب أبوه - أي : محمد - يتعجب من فهمه وإدراكه قبل بلوغه ويقول : لقد استفدت من ولدي محمد فوائد من الأحكام أو قريبا من هذا الكلام، وذكر ذلك العلامة ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام» ج ١ ص ٢٥.

٢ - العلامة الأمير محمد بن اسماعيل الصنعاني<sup>(١٩)</sup> أنشد فيه قصيدة أثنى عليه فيها بقيامه بالتوحيد وبالزمامه من تحت يده إقامة شعائر الإسلام. بين في تلك القصيدة ما عليه أكثر الناس في زمان الشيخ محمد بن عبد الوهاب من التبرك بالأشجار والأحجار والقبور وغير ذلك من أنواع الانحراف.

يقول الصنعاني في تلك القصيدة

سلامي على نجد ومن حل في نجد .: وإن كان تسليمي على البعد لا يجدي  
لقد صدرت من سفح صنعا سقي الحيا .: رباها وحياها بقهقهة الرعد  
سرت من أثير ينشد الريح ان سرت .: ألا ياصبا نجد متى هجت من نجد

(١٩) وقد أثنى عليه ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام بقوله ج ١ ص ١٩ كان مشهورا بالعلم والفهم. اهـ.

يذكرني مسراك نجدا وأهله .: لقد زادني مسراك وجدا على وجد قفي واسألني عن عالم حل سوحها .: به يهتدي من ضل عن منهج الرشد محمد الهادي لسنة أحمد .: فيا حبذا الهادي وياحبذا المهدي لقد أنكرت كل الطوائف قوله .: بلا صدر في الحق منهم ولا ورد وماكل قول بالقبول مقابل .: ولاكل قول واجب الطرد والرد سوى ماأتى عن ربنا ورسوله .: فذلك قول جل قدرا عن الرد وأما أقاويل الرجال فإنها .: تدور على قدر الأدلة في النقد وقد جاءت الأخبار عنه بأنه .: يعيد لنا الشرع الشريف بما يبدي وينشر جهرا ماطوى كل جاهل .: ومبتدع منه فوافق ما عندي ويعمر أركان الشريعة هادما .: مشاهد ضل الناس فيها عن الرشد أعادوا بها معنى سواع ومثله .: يغوث وود بتس ذلك من ود وقد هتفوا عند الشدائد باسمها .: كما يهتف المفطر بالصمد الفرد وكم عقروا في سوحها من عقيدة .: أهلت لغير الله جهرا على عمد وكم طائف حول القبور مقبل .: ومستلم الأركان منهى باليد الى أن قال:

فقد سرنسي ماجاءني من طريقه .: وكنت أرى هذه الطريقة لي وحدي<sup>(٢٠)</sup>

وفي بيان حالة الأقطار وقت ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب يقول الصنعاني في قصيدة له أخرى:

(٢٠) وردت هذه القصيدة بكماها في ديوان الصنعاني ص ١٢٢ - ١٣٢ وأشار إليها شيخ الاسلام محمد بن عبد الوهاب في «مفيد المستفيد في كفر تارك التوحيد» بقوله: «الأمر كما قال الصنعاني في قصيدته» أقاويل لاتعزى الى عالم فلا تسأوى فلما ان رجعت الى النقد وذكر الصنعاني في «تطهير الاعتقاد عن أدران الالحاد» منها أربعة أبيات تبتدىء بقوله: أعادوا بها معنى سواع، وتنتهي بقوله: ويستلم الأركان منهى بالأيدي وغير الصنعاني عما ذكره منها بالأبيات النجدية وذكرها ابن غنام في روضة الأفكار والأفهام ج ١ ص ٤٦ - ٤٩ ووصفها بأنها بدعية في معناها فائقة أتربها رونقا وحسنا.

أسائل من دار الأراضى سياحة . . عسى بلدة فيها هدى وصواب  
فيخبر كل عن قبائح مارأى . . وليس لأهلها يكون متاب  
لأنهم عدوا قبائح فعلهم . . محاسن يرجى عندهن ثواب

٣ - العلامة محمد بن علي الشوكاني صاحب نيل الأوطار وغيره من الكتب المهمة، ذكره في ترجمة غالب بن مساعد أمير مكة من كتابه «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع». وقال في ج ١٢ «وفي سنة ١٢١٥ وصل من صاحب نجد المذكور أرى: عبد العزيز بن سعود مجلدان لطيفان أرسل بهما الى حضرة حولان الامام حفظه الله، أحدهما يشتمل على رسائل لمحمد بن عبد الوهاب كلها في الإرشاد الى إخلاص التوحيد والتنفير من الشرك الذى يفعله المعتقدون في القبور، وهي رسائل جيدة مشحونة بأدلة الكتاب والسنة. والمجلد الآخر يتضمن الرد على جماعة من المقصرين من سفهاء صنعاء وصعدة ذكروه في مسائل متعلقة بأصول الدين وجماعة من الصحابة، فأجاب عليهم جوابات محررة مفررة محققة تدل على أن المجيب من العلماء المحققين العارفين بالكتاب والسنة. وقد هدم عليهم جميع ما بنوه وأبطل جميع مادونوه، لأنهم مقصرون متعصبون فصار ما فعلوه خزيا عليهم وعلى أهل صنعاء وصعدة، وهكذا من تصدر ولم يعرف مقدار نفسه، وأرسل صاحب نجد مع الكتابين المذكورين بمكاتبة منه الى سيدى المولى الإمام فدفعت حفظه الله جميع ذلك، فأجبت عن كتابة الذى كتب الى مولانا الإمام حفظه الله على لسانه بما معناه: أن الجماعة الذين أرسلوا اليه بالمذكرة لاندرى من هم، وكلامهم يدل على أنهم جهال، والأصل والجواب موجودان في مجموعين» ا.هـ.

وذكر الشوكاني في ترجمة الإمام سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود من «البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع» ج ١ ص ٢٦٢. ذكر ما قام به الإمام محمد بن عبد الوهاب من الدعوة الى توحيد الله عز وجل والإنكار على المعتقدين في الأموات، وما قام به الامام محمد بن سعود من إجابته ونصره ومجاهرة من خالف دعوته دعوة التوحيد، وقيام الإمام عبد العزيز بن محمد بن سعود مقامه، وقيام الإمام سعود بن عبد العزيز مقام عبد العزيز من بعده، وما لذلك في بلاد اليمن من الآثار العظيمة فقال: «وصل اليه - أرى : الى محمد بن سعود - الشيخ العلامة محمد بن عبد الوهاب

الداعي الى التوحيد المنكر على المعتقدين في الأموات، فأجابه وقام بنصره ومازال يجاهد من يخالفه. وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية وصار الإسلام فيها غريبا، ثم مات محمد بن سعود وقد دخل في الدين بعض البلاد النجدية، وقام ولده عبد العزيز مقامه، فافتتح جميع الديار النجدية والبلاد المقدسة والبلاد العارضية والحسا والقطيف وجاوزها الى فتح كثير من البلاد الحجازية، ثم استولى على الطائف ومكة والمدينة وغالب جزيرة العرب، وغالب هذه الفتوح على يد ولده سعود، ثم قام بعده ولده سعود فتكاثر جنوده واتسعت فتوحه ووصلت جنوده إلى اليمن، فافتتحوا بلاد أبي عريش وما يتصل بها، ثم تابعهم الشريف حمود بن محمد شريف أبي عريش، وأمدوه بالجنود ففتح البلاد التهامية كاللحوية والحديدة وبيت الفقيه وزبيد وما يتصل بهذه البلاد، وما زال الوافدون من سعود يقدون اليها الى صنعاء الى حضرة الإمام المنصور والى حضرة ولده الإمام المتوكل، فكتب اليها بالدعوة الى التوحيد، وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة ويكتب الى - أيضا - مع ما يصل من الكتب إلى الإمامين، ثم وقع الهدم للقباب والقبور المشيدة في صنعاء وفي كثير من الأمكنة المجاورة لها وفي جهة دمار وما يتصل بها»<sup>٢١</sup> ا.هـ.

٤ - الشيخ العلامة محمد بن أحمد بن عبد القادر الحفظي<sup>(٢١)</sup> قال في الثناء عليه والإشادة بدعوته.

الحمد حقاً مستحقاً أبداً .: لله رب العالمين أبداً  
مصلياً على الرسول الشارح .: وآله وصحبه والتابعين  
في البدء والختام وأما بعد .: فهذه منظومة تعد

(٢١) وصفه الشيخ محمد بن محمد بن يحيى بن زبارة الحسني الباني الصنعاني في كتابه «نيل الوطر في رجال اليمن في القرن الثالث عشر» بأنه الشيخ العلامة البارع في الفنون وقال : كان سريع البادرة حسن المحاضرة مع تواضع ودمائة أخلاق واشتغال بما يقربه من الأخلاق وكان المرجع لأهل جهته بعد وفاته قال : «ولما ظهرت الدعوة النجدية - يعني دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب بالبلاد التهامية كان ممن مال اليها وحث الناس على اجابتها وكتب الى حاكم المخلاف السلياني أبي عريش القاضي عبد الرحمن البهكلي وسائر علماء المخلاف قصيدة في ذلك أولها :

هاج الشجي وهاج شوق المتبلي وبتد صباحات الغرام الأول

وذكر أن له مؤلفات في النحو وغيره ومات بقرية رجار من عسير في سنة ١٢٢٧هـ.

حركني لنظمها الخير الذي . . . قد جاءنا في آخر العصر القذى  
لما دعا داعي من المشارق . . . بأمر رب العالمين الخالق  
وبعث الله لنا مجددا . . . من أرض نجد عالما مجتهدا  
شيخ الهدى محمد المحمدي . . . الحنبلي الأثرى الأحمدي  
فقام والشرك الصريح قد سرى . . . بين السورى وقد طفى واعتكرا  
لا يعرفون الدين والتهليلا . . . وطرق الإسلام والسبيلا  
إلا أساميتها وباقي الرسم . . . والأرض لا تخلو من أهل العلم  
وكل حزب فله وليجه . . . يدعو في الضيق للتفريجة  
وملة الإسلام والأحكام . . . في غربة وأهلها أيتام  
دعا الى الله وبالتهيلة . . . يصرخ بين أظهر القبيلة  
مستضعفا وماله من ناصر . . . ولاله مساعد موازر  
في زلة وقلة وفي يده . . . مهفة تغنيه عن مهذه  
كأنها ريح الصبا في الرعب . . . والحق يعلو بجنود العرب  
قد أذكرتني درة لعمر . . . وضرب موسى العصا بالحجر  
ولم يزل يدعو الى دين النبي . . . ليس الى نفس دعا أو مذهب  
يعلم الناس معاني أشهد . . . أن لا إله غير فرد يعبد  
محمد نبيه وعبده . . . رسوله اليكم وقصده  
أن تعبدوه وحده لا تشركوا . . . شيئا به والابتداع فاتركوا  
ومن دعا دون الإله أحدا . . . أشرك بالله ولو محمدا  
إن قلتهم نعبدهم للقرية . . . أو للشفاة فتلك الكذبة  
فربنا يقول في كتابه . . . هذا هو الشرك بلا تشابه  
هذه معاني دعوة الشيخ لمن . . . عاصره فاستكبروا عن السنن  
فانقسم الناس فمنهم ثارد . . . مخاصم محارب معاند  
مابين خفاش وبين جعل . . . شاهت وجوه أهل هذا المثل  
وبعدما استجيب لله فمن . . . حاد في الله تردى وافتن



ذكر هذه الآيات الشيخ سليمان بن سحان في كتابه «الصواعق المرسله الشهائيه على شبه الداحضة الشاميه» ص ٧٢، وأضاف الحفظي الى ذلك ما صرح به في «اللجام المكين والزمام المتين» حيث قال : ولقد كتبت الى بعض علماء اليمن وقضاتها منظومه قلتها في ذلك - أى في الدفاع عن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب.

والحق أولى أن يجاب وإنما : لم أدر ماحيلولة التحيل إن كان ظنا أن ذاك مخالف : فهو البرى من الخلاف الميطل بل قام يدعو الناس للتوحيد : والتجريد والتفريد للرب العلى ويذب عن شرع النبي محمد : ويذم من يدعو النبي أو الولي أو كان ظنا أن فيه غلاظة : وفظاظة وشكامة لم تجمل فأقول حاشا ان فيه ليونة : وهيونة للمقبل المستقبل وإذا رأيت مفاسدا من بعضهم : فالشيخ عن ذاك الفساد بعزل

ومما وفق فيه العلامة الحفظي مكاتبة أئمة الدعوة في كل مناسبة تقتضي ذلك. فقد كتب اليهم يسأل عن مسألة الضيافة هل هي واجبة أم لا؟ وعن طلب الإمام وعماله الزكاة من الأموال للباطنة هل يجوز له أم لا؟ وعن حكم العمل بصريح الحديث وظاهره اذا وجده المرء في الأمهات الست أو ماالتزم مخرجه فيه الصحة والحسن. هل للإنسان العمل به والاعتماد عليه وان لم يبحث عنه هل هو منسوخ أم لا؟ وهل عارضه أقوى منه؟ وفي خطاب الحفظي المتضمن لتلك الأسئلة تصرّحه بأنه على ما عليه الإمام الشيخ محمد ابن عبد الوهاب من إخلاص الدعاء لله وترك عبادة ماسواه وأنه لايرضى بالإشراك والتخلف عن التوحيد ولو قدر فواق، فأجابه الشيخان الجليلان حسين وعبد الله ابنا الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب عن تلك الأسئلة بجواب سجل تحت عنوان «المسائل الحفظية» في الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ط مطبعة المنار ص ٥٤ - ٥٤٩.

وكتب الحفظي - أيضا- الى أئمة الدعوة يسأل عن ضبط كلمة الاخلاص ومعناها وحقيقتها وحكمها ولازمها وفائدتها ومقتضاها ونواقضها وامتتها، فأجاب عن ذلك

السؤال العلامة سعيد بن حجي الخبلي النجدي بجواب طويل جدا ورد في الجزء الرابع من مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ص ٨٤٠ - ٨٧٤.

وكتب رسالة أخرى يسأل فيها عن مسائل أوردتها عليه بعض المجادلين في الدعوة وسمى تلك الرسالة «اللجام المكين والزمام المتين» فأجاب عنها الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر الخبلي بجواب جيد في مجموعة الرسائل والمسائل النجدية ج ٤ ص ٥٨٢ - ٦٥٩.

وللحفظي ألفية مازالت مخطوطة نظم فيها خمسة كتب للإمام محمد بن عبد الوهاب هي : تفسير كلمة التوحيد والخصال الثماني وكتاب التوحيد والثلاثة الأصول وكشف الشبهات. وله في التوحيد رسالة قيمة سماها «درجات الصاعدين الى مقامات الموحدين». أثنى فيها على الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى أنصار دعوته أئمة آل سعود حق الثناء قال فيها ص ٤٣ «فمن حين ظهرت هذه الدعوة النجدية الى توحيد الإلهية وجردت عليها السيوف فمن ردها وأباها فالكلام عليه واللوم متوجه اليه، وهي الآن بحمد الله قد غارت وطارت. والقرآن العظيم أكبر حجة على من بلغه، والمسائل الواضحة التي يشترك في معرفتها الخاص والعام، مثل توحيد الله بالعبادة وأنه لا شريك له فيها يدل عليها القرآن دلالة صريحة معقولة للتالي والسامع مع هداية العقل الى ذلك ودلالته عليه، وفهم الحجة غير بلوغها. وللعلماء أقوال في هذا المجال. وقد نص القرآن العظيم على ذم قوم يحسبون أنهم يحسنون صنعا».. قال «كالدعوة الى التوحيد».

هذا أمر مستفيض وشيء مشهور على علم التوحيد أنه فرض لازم. وعلى الشرب أنه حرام محض، ولكنها حصلت غلطات شنيعة وعادات فظيعة وأعمال كفرية وأقوال شركية وردة صريحة وأفعال قبيحة تتابع فيها كثير من الناس وقلد بعضهم بعضا الا قليلا من الأكياس، وكادت تنطمس آثار مباني الشريعة وتهدم معانيها المنيعة، وما أوتي الناس الا من قبل الولايات. وهل أفسد الدين إلا أولئك وأحبار سوء ورهبانها. حتى بزغ قمر التجديد وطلعت شمس التوحيد بدعوة شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب أسكنه الله جنة المأب، فنور الظلام وأجلى الله به الغمام وبين سبل السلام الى بلوغ المرام، وألف

المؤلفات في التوحيد بجميع العبادات مع اقامة الحجج القاطعة والإنصاف التام في المناظرة والمراجعة، فعاد قارح الإسلام به جذعا ورجع دارس الأحكام به متبعا، وكان رحمه الله سنيا أثريا متبعا، وأجاب دعوته وأوى غربته السعيد المسعود محمد بن سعود على قلة من الأعوان وابتكار لهذا الشأن، ثم أزره بجهوده وبطوقه وعارضه حتى استوى على سوقه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود.

٥ - الشيخ محمود شكرى الألوسي قال في تاريخ نجد ص ١١٤ (كان - أى : الإمام محمد بن عبد الوهاب - شديد التعصب للسنة كثير الإنكار على من خالف الحق من العلماء، والحاصل أنه - أى : الإمام محمد بن عبد الوهاب - من العلماء الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان يعلم الناس الصلاة وأحكامها وسائر أركان الدين ويأمر بالجماعات، وقد جد في تعليم الناس وحثهم على الطاعة وأمرهم بتعلم أصول الدين وشرائطه وأحكام الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها وسائر أحكام الدين وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد العشاءين في معرفة الله تعالى ومعرفة دينه الإسلام ومعرفة أركانه وما ورد عليه من أدلة، ومعرفة النبي صلى الله عليه وسلم ونسبه ومبعثه وهجرته، وأول مادعا اليه من كلمة التوحيد وسائر العبادات التي لا تنبغى إلا لله؛ كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشية والرغبة والتوكل والإنابة، وغير ذلك، فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلا بأحكام دين الإسلام، بل كلهم تعلموا ذلك الى اليوم بعد أن كانوا جاهلين بها إلا الخواص منهم. وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة» ا.هـ.

وقال الألوسي في هذا الكتاب في موضع آخر «وقد قرر - أى : الامام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - على شهادة أن محمدا رسول الله من بيان ماتستلزمه هذه الشهادة وتستوعبه وتقتضيه من تجريد المتابعة، والقيام بالحقوق النبوية من الحب والتوقير والنصرة والمتابعة والطاعة وتقديم سنته صلى الله عليه وسلم على كل سنة وقول، والوقوف معها حيثما وقفت والانتهاه حيث انتهت في أصول الدين وفروعه، باطنه وظاهره وخفيه وجليه كليهما وجزئيه مآظهر به فضله وتأكيد علمه ونبله، وأنه سباق غايات وصاحب آيات لا يشق غباره ولا تدرى في البحث والإفادة آثاره وأن أعداءه ومنازعيه

وخصومه في الفضل وشأنيه يصدق عليهم المثل السائر بين أهل المحابر والدفاتر.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه . . فالناس أعداء له وخصوم  
كضرائر الحسناء قلن لوجهها . . حسدا وبغيا إنه لدميم

٦ - العلامة الشيخ عبد القادر بن أحمد بن مصطفى، المعروف بابن بدران  
الدمشقي، وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب في كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن  
حنبل» ص ٢٢٩: بأنه العالم الأثرى والإمام الكبير قال : «ولما امتلأ وطابه من الآثار  
وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد، أخذ ينصر الحق ويحارب البدع ويقاوم ما أدخله  
الجاهلون في هذا الدين الحنفي والشريعة السمحاء، وأعانته قوم وأخلصوا العبادة لله وحده  
على طريقته التي هي إقامة التوحيد الخالص والدعوة إليه وإخلاص الوجدانية والعبادة  
كلها بسائر أنواعها لخالق الخلق وحده، وهب إلى معارضة أقوام ألفوا الجمود على ما كان  
عليه الآباء وتدرعوا بالكسل عن طلب الحق، وهم لا يزالون إلى اليوم يضربون على ذلك  
الوتر وجنود الحق تكافحهم فلا تبقي منهم ولا تذر، وما أحقهم بقول القائل.

كناطح صخرة يوماً ليوهنها . . فلم يضرها وأعياناً<sup>(٢٢)</sup> قرنه الوعل

ولم يزل مثابراً على الدعوة إلى دين الله حتى توفاه الله تعالى سنة ست ومائتين وألف.

---

(٢٢) وفي بعض النسخ (وأوهي)

## تلامذة الإمام محمد بن عبد الوهاب

تلقى العلم عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عدة من العلماء الأجلاء نذكر منهم من يلي :-

١ - سعود بن عبد العزيز بن محمد بن سعود أقام مدة سنتين يقرأ على الإمام محمد ابن عبد الوهاب، ثم كان يلازم مجالس الدرس عنده، ولهذا الإمام معرفة بالفقه والحديث وغير ذلك، وكان كما وصفه بعض العمانيين حيث قال :

إذا جرت باب السيف تلقاه فارسا . . . وإن جرت باب العلم تلقاه عالما  
وإن جرت باب الخوف تلقاه خائفا . . . وإن جرت باب السلم تلقى مسالما  
وإن جرت باب الدين تلقى ديانة . . . وإن جرت باب الحكم تلقاه حاكما

ولهذا الإمام ترجمة حاسمة في عنوان المجد.

٢ - حسين بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في بلد الدرعية. قال ابن بشر في «عنوان المجد في تاريخ نجد» ج ١ ص ١٥٦ «له مجالس عديدة في الفقه والتفسير وغير ذلك وانتفع أناس كثيرون بعلمه» ووصفه بأنه العلامة المفيد مفتي فرق أهل التوحيد.

٣ - علي بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهو عالم جليل ورع شديد الخوف من الله عز وجل، يضرب به المثل في الورع والديانة، وله معرفة تامة بالفقه والتفسير وغير ذلك، وقد عرض عليه القضاء فأبى.

٤ - عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب القاضي في الدرعية زمن سعود، وكان آية في العلم وفي معرفته ومعرفة فنونه.

٥ - ابراهيم بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. وهو عالم فاضل أدركه ابن بشر وقرأ عليه «كتاب التوحيد» للإمام محمد بن عبد الوهاب، وقال في عنوان المجد في تاريخ نجد ص ١٠٣ «وأما ابراهيم ابن الشيخ فرأيت عنده حلقة في التدريس له معرفة في العلم، ولكنه لم يل القضاء. قرأت عليه في صغرى في كتاب التوحيد سنة أربع وعشرين ومائتين وألف».

٦ - حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب<sup>(٢٣)</sup> الإمام القاضي عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب. ذكر تلمذته على جده في رسالته التي أجاب بها السؤال عن مشايخه الذين روى عنهم العلم قال : «اعلم أنني قرأت على شيخنا الإمام المجدد شيخ الإسلام - أي : محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - كتاب التوحيد من أوله الى أبواب السحر وجملة من آداب المثي الى الصلاة، وحضرت عليه مجالس كثيرة في البخارى والتفسير وكتب الأحكام بقراءة شيخنا الشيخ ابنه عبد الله رحمهما الله وشيخنا الشيخ ابنه علي - رحمهما الله في سورة البقرة من تفسير ابن كثير وفي كتاب منتقى الأحكام بقراءة الشيخ عبد الله بن ناصر وغيرهم وسنده - أي : الإمام محمد بن عبد الوهاب -

(٢٣) لهذا الامام ترجمة طنانة في «عنوان المجد في تاريخ نجد» لابن بشر ج ٢ كان مما ورد فيها ص ٢٥ مانصه : «قد كان منتبها فطنا لدسانس أهل البدع كتبت له مرة ودعوت له في آخر الكتاب وقلت في ختام الدعاء انه على مايشاء قدير» فكتب الي وقال في أثناء جوابه : ان هذه الكلمة اشتهرت على الألسن من غير قصد وهي قول الكثير اذا سأل الله تعالى قال : «وهو القادر على مايشاء» وهذه الكلمة يقصد بها أهل البدع شرا، وكل مافي القرآن (وهو على كل شيء قدير) وليس في القرآن والسنة مايجالف ذلك أصلا لأن القدرة شاملة كاملة، وهي والعلم صفتان شاملتان يتعلقان بالموجودات والمعدومات وانما قصد أهل البدع بقولهم : «وهو القادر على مايشاء» أي أن القدرة لاتتعلق الا بما تعلقت به المشيئة» ا.هـ. قال : وكتبت اليه مرة أنهنته بقدوم ابنه الشيخ عبد اللطيف من مصر وتوسلت الى الله في دعائي بصفاته الكاملة التي لايعلمها الا هو فكتب الي فقال : «وقد ذكرت وفقك الله في وسيلة دعوتك - جزاك الله عني أحسن الجزاء عن تلك الدعوات - قلت : وأتوسل اليك بصفاتك الكاملة التي لايعلمها الا أنت : فاعلم أيها الأريب الأديب أن الذي لايعلمه الا هو كيفية الصفة، وأما الصفة فيعلمها أهل العلم بالله كما قال الامام مالك «الاستواء معلوم والكيف مجهول» ففرق هذا الامام بين مايعلم من معنى الصفة على مايليق بالله فيقال : استواء لايشبه استواء المخلوق ومعناه ثابت لله كما وصف به نفسه، وأما الكيف فلا يعلمه الا الله. فتنبه لمثل هذا فالامام مالك تكلم بلسان السلف فانظر الى سعة علومه واطلاعه» ا.هـ.

رحمه الله - معروف تلقاه عن عدة من علماء المدينة وغيرهم رواية خاصة وعامة، منهم محمد حياة السندی والشيخ عبد الله بن ابراهيم الفرضي»<sup>١٥٩</sup>هـ.

٧ - العلامة الجليل القاضي حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر. قال ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ١٥٩ «أخذ العلم عن عدة مشايخ أعلام أجلمهم الشيخ محمد بن عبد الوهاب». ثم ذكر ابن بشر في ترجمته أنه صنف ودرس وأفتى.

٨ - قاضي ناحية الوشم عبد العزيز بن عبد الله الحصين الناصري<sup>(٢٤)</sup>، وهو عالم عامل زاهد ورع حليم ليس للدنيا عنده قدر. أقام عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب عدة سنين يقرأ عليه، وكان الشيخ يكرمه وهو الذي استعمله قاضيا في تلك الناحية - ذكر ذلك ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٣٦.

٩ - الشيخ العالم الزاهد سعيد بن حجر قاضي حوطة بني تميم في ناحية الجنوب زمن عبد العزيز وابنه سعود. قال ابن بشر ج ١ ص ١٧٢ «أخذ العلم عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأخذ عنه عدة من ناحيتهم».

---

(٢٤) وكان عبد العزيز هذا موضع الثقة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام عبد العزيز بن محمد بن سعود يتبين ذلك في قضيتين ذكرهما ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام» الأولى : انه في السنة الخامسة والثمانين بعد المائة والألف أرسله الشيخ محمد بن عبد الوهاب والامام عبد العزيز الى والي مكة الشريف احمد بن سعيد اجابة لطلب الشريف منها أن يرسل اليه فقيها وعالما يبين لهم حقيقة ما يدعون اليه من الدين، ويحضر عند علماء مكة فأرسله اليه وكتبا معه الى الشريف رسالة، فلما وصل اليهم عبد العزيز الحصين نزل على الشريف الملقب بالقعر واجتمع هو وبعض علماء مكة عنده وهم : يحيى بن صالح الحنفي، وعبد الوهاب بن حسن التركي مفتي السلطان، وعبد الغني بن هلال، وتفاوضوا في ثلاث مسائل: الأولى : مناسب الى الشيخ من التكفير بالعموم، والثانية : هدم القباب على القبور، والثالثة : انكار دعاء الصالحين فما لا يقدر عليه الا الله فذكر لهم الشيخ عبد العزيز ان نسبة التكفير بالعموم الى الشيخ زور، وأقنعهم بأن هدم القباب على القبور هو الصواب وبأن دعاء غير الله عز وجل فما لا يقدر عليه الا الله من الشرك الذي فعله الأوائل، وأطلعهم على عبارة الاقناع في ذلك.

الثانية : من القضيتين أنه في السنة الرابعة بعد المائتين والألف أرسل الشريف غالب بن مساعد امير مكة الى الامام عبد العزيز كتابا يطلب فيه منه انسانا عارفا من أهل الدين يبين لهم حقيقة الأمر فأرسل اليه عبد العزيز الحصين وكتب معه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رسالة بين فيها دعوته ومقاله.

١٠ - قاضي مرات الشيخ حمد بن ابراهيم بن حمد بن عبد الوهاب بن عبد الله قال بن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ٨٣ «قرأ على الشيخ محمد - أي : ابن عبد الوهاب - وتزوج ابنته وسكن الدرعية عنده».

١١ - قاضي الدلم وناحية الخرج محمد بن سويلم.

١٢ - عبد الرحمن بن خميس. إمام قصر آل سعود في الدرعية والقاضي زمن عبدالعزيز وابنه سعود.

١٣ - الشيخ عبد الرحمن بن ناصر، كان قاضي بلد العيينة ثم كان قاضيا في الأحساء زمن سعود وابنه عبد الله.

١٤ - الشيخ محمد بن سلطان العوسجي. قاضي المحمل والأحساء.

١٥ - الشيخ عبد الرحمن بن عبد المحسن أبو حسين. قاضي حريملاء وبلد الزلفي وغيرها.

١٦ - الشيخ حسين بن عبد الله بن عيدان القاضي في حريملاء زمن عبد العزيز.

١٧ - الشيخ عبد العزيز بن سويلم. قاضي ناحية القصيم زمن عبد العزيز وابنه سعود، وابنه عبد الله.

١٨ - حمد بن راشد العويني. قاضي سدير زمن عبد العزيز.

١٩ - الشيخ العلامة حسين بن غنام صاحب «روضة الأفكار والأفهام» وصفه ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ١٥٦ بقوله «كانت له اليد الطولى في معرفة العلم وفنونه، وله معرفة بالشعر والنثر. صنف مصنفات منها العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين». ذكر ذلك في وفيات السنة الخامسة والعشرين بعد المائتين والألف.

هذا قليل من كثير ممن أخذوا العلم عن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى - فقد قال ابن بشر بعد ذكر من سردناهم قبل من القضاة ج ١ ص ١٠٤ قال :



«أخذ عنه من القضاة من لا يحضرني الآن عدّه عدد كثير، وأخذ عنه ممن لم يل القضاء من الرؤساء والأعيان ومن دونهم الغفيل» اهـ.

## مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب

صنف الإمام محمد بن عبد الوهاب مصنفات كثيرة نافعة منها :

١ - كتاب التوحيد فيما يجب من حق الله على العبيد.

٢ - كتاب الإيمان.

٣ - أصول الإيمان.

٤ - فضائل الإسلام.

٥ - فضائل القرآن.

٦ - السيرة المختصرة

٧ - السيرة المطولة.

٨ - مختصر الصواعق.

٩ - مختصر العقل والنقل.

١٠ - مختصر منهاج السنة.

١١ - مختصر فتح الباري.

١٢ - مختصر الهدى النبوي.

١٣ - مجموع الحديث المرتب على أبواب الفقه.

١٤ - مختصر الشرح الكبير والإنصاف.

١٥ - كشف الشبهات.

١٦ - آداب المثي الى الصلاة.

١٧ - الاستنباط

١٨ - مسائل الجاهلية.

١٩ - كتاب الكبائر.

٢٠ - مفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد.

وللإمام محمد بن عبد الوهاب مصنفات عديدة غير ماسميناه. فقد قال الإمام ابن غنام في «روضة الأفكار والأفهام»<sup>(٢٥)</sup> بعد أن ذكر من مصنفاته «كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد» و«كتاب الكبائر» و«كشف الشبهات» و«كتاب السيرة المطولة» و«كتاب السيرة المختصرة» و«مختصر الهدى النبوي» و«مجموع الحديث المرتب على أبواب الفقه» و«مختصر الشرح الكبير والإنصاف» قال : «وله رسائل كثيرة عقدنا للمختصرات منها فصلا واستوعبنا ماوقفنا عليه منها<sup>(٢٦)</sup>» وذكر ابن بشر في «عنوان المجد» ج ١ ص ١٠٢ من مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب «كتاب التوحيد» و«الاستنباط» و«كشف الشبهات» و«كتاب الكبائر ومسائل الجاهلية» و«مختصر الشرح الكبير والإنصاف» و«آداب المشي الى الصلاة» وقال في كلامه على تلك المصنفات - أى : مصنفات الشيخ «وصنف غير ذلك عدة نسخ وأوراق وفتاوى ومراسلات فقهية وأصولية أكثرها في أصول التوحيد، وذكر أنه رأى مجلدات عديدة من مراسلات الإمام محمد بن عبد الوهاب وفتاويه ونبذ وضعها لأهل الآفاق كلها في أصول الإسلام» ا.هـ.

هذا - وقد بذلت جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية مجهودا كبيرا في جمع مؤلفات محمد بن عبد الوهاب مطبوعها ومخطوطها لإظهارها من طريق الطبع بالمظهر اللائق بمكانتها. فبحث عنها في نجد وفي غيرها من مختلف الأقطار فحصلت منها الشيء الكثير، ثم قدمت الجميع الى من ترى فيه من العلماء الكفاءة للقيام بالواجب نحوه، وذلك بأن يتولى البعض ترتيب تلك المصنفات حسب فنونها، ويتولى البعض الآخر مايتطلبه

(٢٥) ج ١ ص ٥٠

(٢٦) وذلك في الفصل الثالث في سرد بعض رسائل أرسلها الى بعض البلدان والى بعض خواص الإخوان.

الطبع من المقابلة والتصحيح والتعليق والإشراف بالدقة والتحرى على ما يطبع، فبذل أولئك العلماء مجهودهم في أداء تلك المهمة التي تستهدف الجامعة من ورائها إطلاع القراء على علم الإمام محمد بن عبد الوهاب وعلى دعوته كما هي هي بأوثق طريق وأبعده عن كل تزييف أو تشويه أو ادعاء باطل، فنجحت في ذلك

جزاها الله عن الإمام محمد بن عبد الوهاب وعن دعوته خير الجزاء.

## دعوة

### الإمام محمد بن عبد الوهاب الى ماعليه السلف الصالح

يتضح من مصنفات الإمام محمد بن عبد الوهاب مجدد القرن الثاني عشر وتقاريره ومراسلاته أن دعوته ماكانت الا الى ماعليه الأمر في عهد السلف الصالح. يتضح ذلك بما يلي :

١ - في باب صفات الله تعالى وأسائه دعا الى وجوب الإيمان بما في كتاب الله تعالى من ذلك، وبما في الأحاديث الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

٢ - في توحيد الألوهية دعا الى ماتضمنته شهادة أن لاإله إلا الله من نفس استحقاق العبادة بجميع أنواعها عن سوى الله تعالى واثبات العبادة لله عز وجل على وجه الكمال المنافي لكليات الشرك وجزئياته معتمدا في ذلك على نصوص كتاب الله عز وجل وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأوضح في بحوثه أن ما يفسر به بعض المتكلمين شهادة أن لاإله إلا الله وهو أنه لا قادر على كل شيء ومفتقر اليه كل ماعداه إلا الله. ليس معنى الشهادة المقصود بالوضع وإن كان لازم المعنى: إذ الإله الحق لا يكون إلا قادرا غنيا عما سواه، وصرح بأنه لطفاء هذا على من خفى عليه زعم أن الغاية المقصودة من هذه الشهادة «لا إله إلا الله» مجرد توحيد الربوبية.

٣ - فيما يتعلق بالرسول عليهم السلام يوجب الايمان بهم وبما جاءوا به من عند الله ويدعو الى تجريد المتابعة لمحمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم والى القيام بحقوقه من الحب والتوقير، وتقديم ما جاء به على كل ماسواه والوقوف معه حيثما وقف والانتهاه اليه حيثما انتهى، كما دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى الإيمان بملائكة الله وكتبه على الوجه الذي يرضى الله عز وجل.

٤ - في مسائل القضاء والقدر والجبر والإرجاء والإمامة والتشيع، يدعو الى التزام معتقد السلف الصالح في جميع ذلك والى البراءة مما عليه القدرية المنفاة والقدرية المجبرة ومما ابتدعته المرجئة والرافضة وغلاة الشيعة والناصبية من البدع.

٥ - في أمور الآخرة دعا الى الإيمان بما أثبتته النصوص من البعث بعد الموت.. والحساب والميزان والحوض والصراط والجنة والنار والشفاعة وغير ذلك مما ثبتت به النصوص.

٦ - في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قرر أن أفضل هذه الأمة بعد نبيها صلى الله عليه وسلم أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن طالب ثم بقية العشرة ثم أهل بدر ثم أهل بيعة الرضوان ثم سائر الصحابة، ودعا الى تولى جميع الصحابة والكف عما شجر بينهم، وأوضح أنهم أحق أمة محمد صلى الله عليه وسلم بالعفو عما صدر منهم وأقربها الى المغفرة لفضائلهم وسوابقهم، وحذر من سلوك مسلك الروافض والنواصب فيهم.

٧ - في علماء الأمة من أهل الحديث والتفسير والفقه وسائر العلوم الشرعية أثبت لهم الفضل والإمامة. ويأمر بقبول مالا يتعارض مع النصوص من أقوال أئمة العلم ومنع الانفراد عنهم برأى مبتدع أو قول مخترع، ويرى للأئمة الأربعة أبى حنيفة ومالك والشافعى وأحمد بن حنبل من الفضل والإمامة ما يليق بمكانتهم، ومذهبه مذهب الإمام احمد بن حنبل، ولكن اذا بان له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم عمل بها ولا يقدم عليها قول أى أحد كائنا من كان، بل هى فى صدره أجل من ذلك. يقول فى الرسالة التى اختصرت لأهل مكة «اذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصوص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة أخذنا به وتركنا المذهب: كإرث الجد والإخوة فإننا نقدم الجد وإن خالف مذهب الحنابلة<sup>(٢٧)</sup>. أ.هـ.

(٢٧) كذلك كان محمد حياة السندى شيخ الامام محمد بن عبد الوهاب فقد ورد فى ثبت الفلانى الكبير فى ترجمة ابى الحسن السندى الصغير مانصه «كان اماما عالما بالسنة وأثارها عاملا بها مجتهدا لاعصبية فيه قد

٨ - فيما يتعلق بدماء المسلمين وأعراضهم وأموالهم دعا الى التزام مافي كتاب الله تعالى  
وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من تحريم جميع ذلك ولم يرض في أى شيء من  
ذلك الا بمستند من الشرع.

هذا مجمل دعوة مجدد القرن الثانى عشر الإمام محمد بن عبد الوهاب وبه يتبين أنها  
ليست سوى تجديد مامضى عليه السلف الصالح من تصفية الدين من شوائب الشرك  
والبدع.

---

يعمل بخلاف مذهبه فيما ظهر له فيه الحق على خلاف مذهب امامه كشيخه محمد حياة السندي» ٥٠١ نقل  
ذلك عن الفلانى العلامة الشيخ عبد الحى الكتانى فى «فهرس الفهارس والاثبات» ج ١ ص ١٠٤.

## من آثار دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب

أعدت هذه الدعوة المباركة الدين الى ماكان عليه في عهد السلف الصالح فظهر  
لذلك من الآثار مايلي :

- ١ - قلع أصول الشرك في العبودية وهدم آثاره وسد أبوابه.
- ٢ - الرجوع الى مافى القرآن والحديث من توحيد الأسماء والصفات وتوحيد العبودية بعد أن كاد الجهل بذلك يعم.
- ٣ - رفع غشاوة الجهل وكابوس التقليد الأعمى
- ٤ - العناية بالعامّة، وذلك بتعليمهم معنى الشهادتين وإلزامهم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام وسائر شعائر الإسلام بعد أن كان بعضهم لايعرف من الإسلام شيئا غير مجرد التكلم بلفظ الشهادتين على مافى تلفظهم بها من عوج ولا يقومون بشيء من واجباتها.
- ٥ - جمع شمل المسلمين بعد التفرق وإطفاء نيران الظلم والفتن وتأمين السبل، ففى "مختصر مطالع السعود الى طيب أخبار آل داود" للشيخ أمين بن حسن الحلوانى المدنى ص ٨٠ مانصه «ومن محاسنهم - أى آل سعود حماة هذه الدعوة - أنهم أمنوا البلاد التى ملكوها، وصار كل ماكان تحت ملكهم من هذه البرارى والقفار - أى التى ذكرها المختصر قبل - يسلكها الرجل وحده على حمار بلا خطر خصوصا بين الحرمين الشريفين، ومنعوا غزو الأعراب بعضهم على بعض، وصار جميع العرب على اختلاف قبائلهم من حضرموت الى الشام، كأنهم إخوان أولاد رجل واحد الى أن عدم الشرفى زمان ابن سعود، وانتقلت أخلاق الأعراب من التوحش الى الإنسانية

وتجد في بعض الأراضى المخصبة هذا بيت عنزى وبجنبه بيت عتيبي وبقره بيت  
حربى، وكلهم يرتعون كأنهم إخوان، ولا تجد أحدا يقول هذه ديرتى ولا يطاها  
الغريب مثلا كما هو مشاهد الآن» اهـ.

٦ - الجهاد لإعلاء كلمة الله عز وجل، قال الشوكانى في مرثيته بعد تعزيتة فيها :

لآل الشيخ وأضعافها<sup>(٢٨)</sup> للمقرنين كلهم .: هداة العروى من محتدى فرع وائل  
هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم .: جميع بنى الدنيا فما للمجادل  
لقد جاهدوا في الله حق جهاده .: الى أن أقاموا بالطبى كل مائل

---

(٢٨) أى التعزية



## وفاة الإمام محمد بن عبد الوهاب

توفي شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب عن عمر يناهز اثنتين وتسعين سنة عام ١٢٠٦، بذل جهده طيلة ذلك العمر في طاعة مولاه والاستعداد ليوم المعاد والدعوة الى الله عز وجل. وقد رثى بمرثي كثيرة تقتصر منها على مرثيتين: إحداهما لحسين بن غنام، والثانية للإمام الشوكاني.

قال ابن غنام:

الى الله في كشف الشدائد نفع  
لقد كسفت شمس المعارف والهدى  
إمام أصيب الناس طرا بفقده  
وأظلم أرجاء البلاد لموته  
شهاب هوى من أفقه وسائه  
وكوكب سعد مستنير سناؤه  
صبح تبدى للأنام ضياؤه  
لقد غاص بحر العلم والفهم والندى  
فقوم جلا عنهم صدا الدين فاهتدوا  
وقوم ذوو فقر وجهد وفاقة  
لقد رفع المولى به رتبة الهدى  
أبان له من لمة الحق لمة  
سقاها غير الفهم مولاه فارتوى  
فأحيا به التوحيد بعد اندراسه  
فأنوار صبح الحق باد سناؤه

وليس الى غير المهيمن مفزع  
فسالت دماء فى الخدود وأدمع  
وطاف بهم خطب من البين موجع  
وجل بهم كرب من الحزن مظجع  
ونجم ثوى فى الترب واره بلقع  
وبدر له فى منزل اليمن مطلع  
فداجى الدياجى بعده متشجع  
وقد كان فيه للبدية مرتع  
فأسأعهم للحق تصفى وتسمع  
حووا واقتنوا مافيه للعيش مطع  
بوقت به يعلى الضلال ويدفع  
أزبل بها عنه حجاب وبرقع  
وعام بتيار المعارف يقطع  
وأقوى به من مظلم الشرك مهيع  
ومصباحه عال ورياه ضيع

سما ذروة المجد التى مارتنقى لها  
وشمر فى منهاج سنة أحمد  
وينفى الأعدى عن حماه وسوحه  
يناظر بالآيات والسنة التى  
فأضحت به الساء يبسم ثغرها  
وعاد به نهج الغواية طامسا  
وجرت به نجد ذبول افتخارها  
فأثاره فيها سواح سوافر  
لقد وجد الإسلام يوم فراقه  
وطاشت أولو الأحلام والفضل والنهى  
وطارت قلوب المسلمين بيومه  
فضجوا جميعا بالبكاء تأسفا  
وفاضت عيون واستهلكت مدامع  
بكنه ذوو الحاجات يوم فراقه  
فمالى أرى الأبخار قلص دمعها  
ومالى أرى الأسباب تبدى قساوة  
لقد غدرت عين تظن بماءها  
يحق لأرواح المحبين أن ترى  
وتتلو سريرا فوقه قمر الهدى  
فما بالها قرت بأشباح أهلها  
فيالك من قبر حوى الزهد والتقى  
لئن كان فى الدنيا له القبر موضعا  
سقى قبره من هاطل العفوديمة  
وأسكنه بحبوحة الفوز والرضى

سواه ولا حاذى قناها سميذع  
يشيد ويحيى ماتعفى ويرفع  
ويدمغ أرباب الضلال ويدفع  
أمرنا اليها فى التنازع نرجع  
وأسمى مجياها يضىء ويلمع  
وقد كان مسلوكا به الناس تربع  
وحق لها بالألعى ترفع  
وأنواء فيها تضىء وتسطع  
مصابا خشيناه بعده يتصدع  
وكادت له الأرواح تترى وتتبع  
وظنوا به أن القيامة تفرع  
وكادت قلوب بعده تتفجع  
يخالطها مزج من الدمع يهجع  
وأهل الهدى والحق والدين أجمع  
وليست على فقدها تهمنى وتدمع  
وليست على ذكراه يوما توجع  
عليه وكبد قد أبت لاتقطع  
مقوضة لما خلت منه أربع  
وشمس المعالى والعلوم تشيع  
ولم تك فى يوم الوداع تودع  
وحل به طود من العلم مجرع  
فيوم الجزايرجى له الخلد موضع  
وباكره سحب من البر همع  
ولا زال بالرضوان فيها يمتع

(\*) هذه المرثية كلها فى «روضة الأفكار والافهام» لابن غنام ج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦

## وقال الشوكاني :

وأحمى بسهم الافتجاع مقاتلى  
فأمتت بفرط الوجد أى ثواكل  
وأنهلتى قسرا أمر المناهل  
حليف أسى للقلب غير مزائل  
وقلب من الحزن البدح ذاهل  
ومن كرب لاقيت أعظم هائل  
وعن حمله قد كل متنى وكاهلى  
وكان على حال من الحزن هائل  
وقد شمخت أعلام قوم أسافل  
بها نجم روحى كان أسرع أفل  
وشد بناء الغى مع كل باطل  
نعيق غراب بالمذلة هائل  
هوان انهدام جاء من كل جاهل<sup>(٢٩)</sup>  
بسم لنفس الدين صرد وقاتل  
وياكبدى انقضى بحزن مواصل  
ويافجعتى للقلب ماعشت نازلى  
وجودى بدمع دائم السكب هائل  
وياسلوتى ولى وللقلب زائل  
ومركز أدوار الفحول الأفاضل  
وغيب وجه الحق تحت الجنادل  
ومروى العدى من فيض علم ونائل  
وجم القرى صدر الصدور الأوائل  
جلى الخفا عن مشكلات المسائل  
منيل المنى من سيبه كل أمل

مصاب دها قلبى فأذكى غلائلى  
وخطب به أعشار أحشاي صدعت  
ورزه تقاضانى صفاء معيشتى  
غدوت به وهن التياع ولاعج  
أسير جوى أفنى فؤادى رسيه  
مصاب به قامت علتى قيامة  
مصاب به ذابت حشاشة مهجتى  
مصاب به قد أظلم الكون كله  
مصاب به الدنيا قد اغبر وجهها  
رميت به عن قوس أبرح لوعة  
به هد ركن الدين وانبت حبله  
وقام على الإسلام جهرا وأهله  
وسيم منار الاتباع لأحمد  
وهبت لنار الابتداع سائم  
فيامهجتى ذوبى أسى وتأسفا  
وياالسوعتى دومی وزيدى ولازمى  
ويامقلتى غنى الكرى عنك جانبا  
وياجزعى لاغبت كن متجددا  
فقد مات طود العلم قطب رحى العلا  
وماتت علوم الدين طرا بموته  
إمام الهدى ماحى الردى قامع العدى  
جمال الورى رجب الذرى شامخ الذرى  
عظيم الوفا كنز الشفا معدن الصفا  
بهى السننا عذب طيب الثنا

(٢٩) كذا في أثر الدعوة الوهابية للشيخ محمد حامد الفقى وفي الدرر السنينة قسم التراجم.

إمام الورى علامة العصر قدوتى  
محمد ذو المجد الذى عز دركه  
الى عابد الوهاب يعزى وانه  
عليه من الرحمن أعظم رحمة  
لقد أشرقت نجد بنور ضيائه  
امام له شأن كبير ورتبة  
فريد كمال فى العلوج فهل ترى  
على خلق يحلى الشيخ لطافة  
وقلب سليم للمهيمن خاشع  
وجنب تجافيه المضاجع فى الدجى  
وعن ذكر رب العرش فى السردائحا  
عفو عن الجانى صفوح وحلمه  
يقابل من يلقى ببشرى ومبسم  
ويأمر بالمعروف فى كل حالة  
ولم يأل جهدا فى نصيحة مسلم  
يجازى بإحسان إساءة غيره  
تقمص بالتقوى وبالخشية ارتدى  
ومن شأنه قمع الضلال ونصره  
وكم كان فى الدين الحنيفى مجاهدا  
وكم ذب عن سامى حماه وذاد من  
فقيم استباح أهل الضلال لعرضه  
وليس له شىء عن الله شاغل  
فلولاه لم تحرز رحى الدين مركزا  
ولا كان للتوحيد واضح لاحب  
فما هو الا قائم فى زمانه  
ستبكيه أجفانى حياتى وإن أمت

وشيوخ الشيوخ الجبر فرد الفضائل  
وحل مقاما من لحوق المطاول  
سلالة أنجاب زكى الخصائل  
تبل قراره بالضمى والأحائل  
وقام مقامات الهدى بالدلائل  
من الفضل تثنى عزة المتطاول  
له فى تقادير لها من مماثل  
وكامل أوصاف وحسن شئائل  
ضيب وعن مولاه ليس بغافل  
وجفن بهتان المدامع هامل  
وفى الجهر طوال الدهر ليس بغافل  
الى الشيخ يعزى ليس يهفو لعاجل  
ضحوك ووجه للبشاشة باذل  
وعن منكر ينهى وليس بقابل  
برأى وتدبير وحسن تعامل  
وبالجاه عن مستوجه غير باخل  
ولم يمض منه العمر فى غير طائل  
لمن كان مظلوما وليس بخاذل  
بماضى سنان دافع للأباطل  
مضل وبدعى ومغو وفائل  
ومانكست أعلامه بالاراذل  
ولا عن وصال الاعتبار بغافل  
ولا اشتد للإسلام ركن المعائل  
يقم اعوجاج السير من كل عادل  
مقام نبى فى إماتة باطل  
سيبكيه عنى جفن طل ووابل

وتبكيه أقلامى أسى ومحابرى  
عجبت لقبر ضمه كيف لم يكن  
ومن نعش كان حامل جسمه  
ولا غرو وأن بكى الزمان لفقده  
فأها على ذاك المحيا وحسنه  
وأها على تحقيقه فى دروسه  
فمن للبخارى بعده ولمسلم  
ومن ذا لتفسير الكتاب ومن ترى  
ومن لمسانيد سمت ومعاجم  
ألم تر أن الدهر نصف كآبة  
ومن للمعانى والبيان ومنطق  
ومن لك بالأصلين واللغة التى  
ومن بعده للصدع بالحق قائم  
أفق يامعيب الشيخ من ذا تعيبه  
نعم ذنبه التقليد قد جذ حبله  
ولما دعا لله فى الخلق صارخا  
دعا لكتاب الله والسنة التى  
فوا أسفى وأهف قلبى وحسرتى  
وياندمى لو كان يجدى من القضا  
ولو كان من ريب المنية مخلص

وتبكيه طرسى دائما وأناملى  
يميد بير فائض العلم سائل  
هنيئا له اذ كان أشرف حامل  
فقد كان غيث الجود كهف الأرامل  
وأها على تلك العلوم الجلائل  
وتوضيحه للمعضلات المشاكل  
يبين المخبا منهما للمحاول  
لأحكام فقه الدين من للرسائل  
وكشف لثامى الحكم عند النوازل  
عليه وذو جسم من الحسن ناكل  
وردع أخى الجهل الغوى المجادل  
بها أنزل القرآن أشرف نازل  
يجد ولا يخشى ملامة عازل  
لقد عبت حقا وارتحلت بباطل  
وثل التعصب بالسيف الصياقل  
صرختم له بالقذف مثل الزواجل  
أنا بها طه النبى خير قائل  
عليه ويأحزنى لأكرم راحل  
ولكن قضاء الله أغلب حائل  
لكنت له بالجهد أى محاول

ومرالى أن قال وهو يعزى فيه آل الشيخ

فيا سائر الأولاد للشيخ اننى  
وأوصيكم بالصبر طرا وبالرضا  
بتسليم أمر الله ثم احتساب ما  
أعزيكم مع ذى انتساب لوائل  
بجارى القضا فى عاجل ثم أجل  
لديه تعالى من أجور جزائل

فما جزع يوما بنافع جازع  
ومثلكم لايعتريه تزلزل  
فإن كان للجنات والدمكم مضى  
وأنتم بحمد الله عنه خلافه  
وإننا لنترجو أن تكونوا أئمة  
ولللخير والإحسان من كل وجهة  
ونسأل رب العرش يعظم أجوركم  
ويجبر صدع القلب والكسر منكم  
ولازلتم غيظ القلوب لكل من  
ولافجعت في الدهر ساحة سوحكم  
عليكم سلام الله ماهب نائم  
وأوفى الثنا منى عليكم مكررا

\* ثم قال الشوكاني في تعزيتة الأئمة من آل سعود في ذلك الإمام:

وأضعافها للمقرنين كلهم  
هم الناس أهل الباس يعرف فضلهم  
لقد جاهدوا في الله حق جهاده  
فناديهم في كل ناد مبجل  
سعود مضى والسعد حالف نجله  
لقد نصروا دين الإله وحزبه  
هداة الورى من محتدى فرع وائل  
جميع بنى الدنيا فما للمجادل  
الى أن أقاموا بالظبا كل مائل  
فحقهم التبجيل بين القبائل  
كما حالف الآباء ليس براحل  
كما دفعوا داعى الهوى بالقنابل

(\*) ساق الشيخ عبد الرحمن بن قاسم مرثية الشوكاني هذه كلها في قسم التراجم من الدرر السنية ص ٢٠ - ٢٤ وأورد الشيخ محمد حامد الفقى الكثير منها في أثر دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب في الاصلاح الدينى والعمرانى.

عليهم سلام الله ماذر شارق وماهتزت الأزهار في صبح هاطل  
وأزكى صلاة الله ثم سلامه على المصطفى الهادي كريم الشرائل  
محمد المختار من فرع هاشم وآل وأصحاب كرام أفاضل

وفي ختام كلمتي هذه نسأل الله أن يجزي الإمام محمد بن عبد الوهاب وآل سعود  
عن الإسلام خير الجزاء، والله ولي التوفيق وهو حسبي ونعم الوكيل.

المرأة في حياة إمام الدعوة  
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تفضيلة الشيخ  
عبد الجابر





## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

لم یعن من اطلعت على مؤلفاتهم من المؤرخين بجوانب حياة الامام المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب - أسبغ الله عليه شأبيب عفوه ورضوانه - إلا بما يتصل بدعوته إلى تجديد الدين، وتطهيره من شوائب الشرك والبدع والخرافات.

ولهذا فالباحث المتعمق في دراسة جميع جوانب حياته الخاصة تعترضه عقبات يقف أمامها حائراً.

فهو عندما يطلع على ما كتبه بعض مؤرخي الحجاز عن سفير الدعوة في عهد الإمامين عبدالعزيز وابنه سعود، العالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر (١٢٢٥هـ)، يجد فيما يطلع عليه أن الشيخ حمداً في سفارته الثانية سنة ١٢٢٠ - اجتمع له أهل جدة في جامعها الكبير، فقرأ عليهم رسالة جدّه في بيان حقيقة الدعوة.

وأول ما يتبادر إلى الذهن أن المقصود بكلمة (جدّه) الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ولكنه لا يجد بين مؤرخي نجد ممن عرفت مؤلفاتهم ما يؤيد هذا من قريب أو بعيد، وقد يكون هذا ناشئاً عن عدم اهتمامهم بمثل هذا الجانب من حياة الإمام، بل قد يجد المهتم بدراسة تاريخ هذه البلاد جوانب أخرى مما هو الصق بها لا يزال غامضاً، ومنها ما يتعلق بالناحية العلمية في نجد عند ظهور الدعوة، وليس أدل على هذا من أن أحد مؤازري الشيخ في عمله الجليل، عالم نجد في عهده الشيخ عبدالله بن عيسى بن عبد الرحمن - قاضي الدرعية في ذلك العهد - الذي وصفه الشيخ في إحدى رسائله بقوله<sup>(١)</sup>: (ما نعرف من علماء نجد، ولا علماء العارض ولا غيره أجلّ منه) - عندما يروم الباحث معرفة شيء مما

(١) تاريخ ابن غنم المسمى «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد - ص ٣٤٢ -

تتعلق بحياته لا يمجّد فيما بين يديه من مؤلفات مؤرخي نجد ما يوضح له معالم تلك الحياة، بل لا يمجّد أكثر مما ورد في رسائل الشيخ عنه وعن ابنه عبدالوهاب.

وما أرومه في كلمتي هذه عن (المرأة في حياة الامام) لا يعدو الاشارة إلى جانب من جوانب حياة الشيخ جدير بالدراسة، ولن يعدم الباحث المتعمق فيه من لمحات قد توضح له الطريق، فالوثائق الشرعية من أحكام ووصايا ووقف وقسمة عقار وهبات ونحوها، لا يزال كثير منها مما يتعلق بعصر الشيخ وما بعده محفوظا، وهي لا تغفل ما يتعلق بالنساء، وتعنى ببيان صلة القرابة، فهي لذلك من المصادر المهمة لمن يهتم بالنواحي التاريخية بصفة عامة.

ولا شك أن إهمال أثر المرأة في حياتنا بصفة عامة يعدّ تجاهلا لحياتنا كلها، ولواقعنا الذي نعيشه .

ولعلي لا أغرب في القول عندما أقرر أن من أسس دعوة الشيخ محمد - رحمه الله - إنصاف المرأة، والدفاع عن حقوقها.

فقد كان بعض الناس في عهده يتحايل بطريقة الوقف أو الهبة أو القسمة لحرمان النساء من حقهن تحايلا وصفه الشيخ في إحدى رسائله<sup>(٢)</sup>: (إذا أراد الانسان أن يقسم ماله على هواه، وفرّ من قسمة الله، مثل أن يريد أن يريد أن امرأته لا ترث من هذا النخل، ولا تأكل منه إلا حياة عينها، أو يريد تفضيل بعض أولاده على بعض، أو يريد أن يحرم نسل البنات - إلى أن قال: ويفتى له بعض المفتين أن هذه البدعة الملعونة صدقة برّ تقرب إلى الله، ويوقف على هذا الوجه قاصدا وجه الله).

ووصف الشيخ هذا (بالجنف والإثم) وشدد النكير على فاعله وأقام الأدلة الشرعية على بطلانه في رسالته المعروفة.

ولا أريد أن أتعرض لبحث موضوع ليس من صميم ما أردت تناوله من الناحية التاريخية.

(٢) ابن غنم «تاريخ نجد» تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣١٦.

إن في واقع تاريخنا أمثلة حية لمشاركة المرأة في جميع الأعمال النافعة، حتى في مقارعة الأبطال، ومجالدة الأعداء بأدوات القتال، فغالية البقمية<sup>(٣)</sup> كان لشجاعته وقيادتها الأثر العظيم في مؤازرة أنصار الدعوة حتى انهزم جيش طوسون بن محمد على باشا في وقعة تربية سنة ١٢٢٩ (١٨١٣م)، ثم تصدّت مع المجاهدين لحرب جيش محمد علي حين غزا تربة ليشأر لهزيمة ابنه، بشجاعة نادرة، أثارت حفيظة الباشا الذي تمنى أن يقدر على إمساكها بعد انهزام جيشها وذهابها إلى الدرعية سنة ١٢٣٠ بعد هزيمة وقعة بسل، وقال عنها المؤرخ المصري محمود فهمى المهندس في كتاب «البحر الزاخر»<sup>(٤)</sup>:  
وتكدر محمد علي باشا كثيرا من هرب غالية ونجاتها من يده، لأنه في اشتياق زائد لإرسالها إلى القسطنطينية، علامة وشهرة على نصره وظفره. انتهى.

ومع شهرة تلك المجاهدة الشجاع، لم يرد لها ذكر في أهم المصادر التي بين أيدينا عن تاريخ الدعوة.

وقل مثل ذلك في سيدة شجاع انتضت السيف حتى أدركت الثأر من قاتل ابنها، ولولا ما حفظه لنا الشعر العامي والرواة المعاصرون من أمرها لكان نسيا منسيا، إنها السيدة لؤلؤة بنت عبدالرحمن آل عرفج من أمراء القصيم آل عليان من العناقر من تميم، التي قال عنها الأمير عبيد بن علي بن رشيد - يذكر السيف -:

ليا عاد ما نرويه من دم الأضداد ودوه يم العرفجيه ترويه

وتجد خبرها مفصلا في كتاب «بلاد القصيم»<sup>(٥)</sup> للأستاذ الشيخ محمد العبودي.

(٣) انظر عن غالية مجلة «العرب» س ٥ ص ٨٠٠ و س ٦ ص ٣٩٤ و «الاعلام» للزركلي حرف الغين - ومجلة «الزهراء» ج ١ ص ١١٨ وتاريخ الجبوتي حوادث سنة ١٢٢٩هـ و «البحر الزاخر في تاريخ العالم وأخبار الأوائل والأواخر» ج ١ ص ١٨٨/١٨٧/١٧٣ تأليف محمود فهمى المهندس المتوفى في سيلان سنة ١٣١١ - منفا مع عرابي باشا.

(٤) ج ١ ص ١٨٧ وما بعدها.

(٥) ص ٥٢٤ وما بعدها وهو أحد أقسام «المعجم الجغرافي للبلاد العربية السعودية» من منشورات (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) وشرح بيت عبيد: (ليا) إذا: (عاد): لم (ودوه): اذهبوا له ويعني السيف. (العرفجية): المنسوبة الى آل عرفج، وغلط فؤاد حمزة فظن الكلمة اسم روضة - كما في حاشية كتابه «قلب

طال الاستطرداد وحسن العود للحديث عن الصق بالموضوع من كريمات عهد نشوء الدعوة.

زوجة الامام محمد بن سعود: أول امرأة تحدث مؤرخو نجد عن مناصرتها لدعوة الشيخ هي موزي بنت ابن وهطان، زوجة الأمير محمد بن سعود.

وهي من أسرة كريمة من آل كثير، ولا تزال فروع تلك الأسرة معروفة في بلاد نجد، وهي من آل فضل، الذين كانوا يسيطرون على الجزيرة، من بلاد الشام حتى جنوب الجزيرة خلال القرن الثامن إلى القرن الحادي عشر.

وآل فضل من قبيلة طي المعروفة، ولا تزال أسر كثيرة منهم متحضرة متفرقة في مدن المملكة، بعد أن انتقلت باديتهم إلى الشام والعراق.

وكان آل كثير في بادية العارض من أول القرن الحادي عشر - على ما يفهم من كلام بعض المؤرخين<sup>(٦)</sup> - حتى منتصف القرن الثاني عشر - وجرى بينهم وبين آل معمر أمراء العيينة مناوشات، من أشهرها محاولتهم نهب بلدة العيينة حتى غزوها سنة ١١٣٧ - فاحتال أميرها محمد بن حمد بن معمر حتى قتل رئيس الغزو زيد بن مرخان صاحب الدرعية، ثم في سنة اثنتين وأربعين ومئة وألف قتلوا ذلك الأمير، قتله آل نبهان منهم.

ثم انحدروا إلى الشرق عند ظهور الدعوة وكانوا يتعرضون لبعض القوافل - كما ذكر ابن بشر في حوادث سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف.

وعندما سار الإمام تركي لغزو قبائل العجيان وآل مرة سنة ثمان وأربعين ومئتين

جزيرة العرب» ونهت على ذلك في نقدي للكتاب . ويحمل معنى بيت الشاعر: إذا لم نرو سيوفنا من دم أعدائنا فخذوها منا وأعطوها النساء فهن أشجع منا - كما فعلت العرفجية.

(٦) انظر سوابق ابن بشر لسنوات ١٠٤٦ و ١٠٨١ و ١٠٩٧ و ١١٠٥ و ١١٣٣ و ١١٣٧ و ١١٤٢.

وألف تزوج في الأحساء ابنة هادي بن مِذُود رئيس عربان آل كثير، وأتى بها معه الى الرياض ، وكان أبوها قد قتل سنة ثلاث وأربعين ومئتين وألف<sup>(٧)</sup>.

ونرجع للحديث عن تلك السيدة الجليلة موضي.

حين انتقل الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العيينة إلى الدرعية سنة ١١٥٧ كارها مكرها (وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا سَيِّئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ).

وكانت الدعوة قد وجدت في هذه البلدة تربة خصبة، فَنَبَتَتْ وَنَمَتْ، فحل الشيخ ضيفا على أحد تلامذته حتى استقبله محمد بن سعود على نحو أوجز وصفه ابن غنام بقوله<sup>(٨)</sup>: (فلما سمع بذلك الأمير محمد بن سعود قام من فورهِ ومعه أخواه ثنيان ومشاري، فأتاه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه، وأبدى له غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده).

ولكن ابن بشر فصله على هذا النحو<sup>(٩)</sup>: (فعلم به خصائص من أهل الدرعية ، فزاروه خفية، فقرر لهم التوحيد، فأرادوا أن يخبروا محمد بن سعود، ويشيروا عليه بنزوله عنده ونصرته، فهابوه، وأتوا إلى زوجته وأخيه ثنيان الضَّرير، وكانت المرأة ذات عقل ودين ومعرفة، فأخبروها بمكان الشيخ، وصفة ما يأمر به وينهى عنه، فوقر في قلبيهما معرفة التوحيد، فلما دخل محمد بن سعود على زوجته أخبرته بمكان الشيخ، وقالت له: إن هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة، فاعتنم ما خصك الله به. فقبل قولها. ثم دخل عليه أخوه ثنيان وأخوه مشاري وأشارا عليه بمساعدته ونصرته) انتهى. ثم كان من أمر الإمامين ما هو معروف.

ولا داعي لمجاراة بعض مؤرخي نجد من المتأخرين من غير أهلها في المقارنة بين موقف الجوهرة زوجة الامام محمد بن سعود بموقف أم المؤمنين خديجة رضي الله عنها مع

(٧) «عنوان المجد» ج ٢ ص ٥٧/٤٢ طبعة وزارة المعارف.

(٨) ابن غنام : «تاريخ نجد»: ٨٠.

(٩) «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٤ - طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١ (١٩٧١م).

النبي صلى الله عليه وسلم - أول ما نزل عليه الوحي، ثم لما أمره الله بالجهر بالدعوة ، إلى الإسلام، فمقام أم المؤمنين لا يُسامى، وإن اتفق الموقفان في مناصرة الحق.

ورحم الله ابن بشر فلولا إشارته الموجزة التي تقدم ذكرها عن أثر تلك السيدة الكريمة في حث زوجها على قبول الدعوة، ومناصرة إمامها تلك المناصرة التي عادت بخير العوائد وأعظم النتائج، لجُهل أمرها.

ابنة محمد بن سعود: جاء في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون»<sup>(١٠)</sup> في الكلام على الأمراء الذين وقفوا في وجه الدعوة: (عثمان بن حمد بن عبدالله بن معمر، أمير العيينة، الذي ناصره أول الأمر ثم تخلى عنه، فبعد أن انتقل الشيخ إلى الدرعية، واتفق مع الأمير محمد بن سعود، صار عثمان يشنّ عليها الغارات من العيينة، ويرسل كوكبات الخيل عليها الفرسان، وكان الأمير محمد بن سعود من الضعف وعدم القوة والعدة بحال لا يستطيع معها مقابلات حملات عثمان بن معمر. ولذا كانت بنت محمد بن سعود تقول من قصيدة لها شعبية:

ما شاقني كود سريّة لابن معمر تطل على الزلال كل عشية  
ياييه شف للخيل خيل مثله وإلا فزل من شيخة الدرعية

ولم يذكر مؤلف الكتاب الأستاذ الشيخ عبدالله البسام مصدره. وأورد البيتين الأستاذ عبدالله بن خميس<sup>(١١)</sup> بصيغة: (ينسبان إلى ابنة محمد بن سعود، حينما كان ابن معمر يهاجم الدرعية من العيينة في أول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - في الدرعية:

تشوق عيني سريّة ابن معمر تطل على الزلال<sup>(١٢)</sup> كل عشية  
يابؤي شِف للخيل خيلٍ مثله وإلا فخل إمارة الدرعية

(١٠) ص : ٣٧.

(١١) معجم الهامة ١/٥٣٥.

(١٢) الزلال: من الأكمة القريبة من الدرعية. ويقول الأستاذ عبدالله بن خميس وهو من أهل هذه البلدة - : إنه غير معروف الآن.

فالأستاذان يثبتان لمحمد بن سعود ابنة شاعرة ، وهي على صحة نسبة البيتين إليها ذات همة عالية، وشجاعة، وتطلع إلى معالي الأمور، وتحريض على مجاهدة أعداء الدعوة.

ولكنني وإن كنت لا أنكر وجود بنت لمحمد بن سعود تتصف بحميد الصفات الأحيظ - بعد اختلاف الراويين في نص البيتين، ووقوع الخلل في وزنها - مخالفة اللهجة فيها للهجة سكان العارض ووسط نجد، فكلمة (مثله) التي يرجع الضمير فيها إلى (الخيل) جاءت مطابقة للهجة أهل شمال نجد بلاد القصيم وما حولها، فهم الذين يحذفون الألف من ضمير المؤنث على قاعدة: (بالكرامة ذات أكرمكم الله به، والفضل ذي أكرمكم الله به). بخلاف لهجة غيرهم من بلاد نجد، فهم لا يحذفون تلك الألف.

وأمر آخر ائفق عليه الأستاذان الكريمان، وهو تقرير أن عثمان بن معمر كان يغزو الدرعية في أول دعوة الشيخ، وهذا الأمر - فضلا عن كون مؤرخي الدعوة ممن اطلعت على كلامهم لم يذكره - يخالف ما هو معروف من أن المدة الواقعة بين انتقال الشيخ إلى الدرعية ، ووفود عثمان بن معمر عليه فيها، وتجديد بيعته كانت من حيث القصر بحيث لا تتحمل شنّ غارات الحرب، فقد انتقل الشيخ سنة ١١٥٧هـ ووفد عليه ابن معمر في تلك السنة. فإذا صح وقوع شيء من الغارات فهو حين كان العداء مستحكما بين العيينة وبين الدرعية بعد سنة ١١٣٨هـ التي وقع فيها الوباء الذي أفنى أكثر سكان العيينة فأضعفها، فغزاها أهل الدرعية وأميرهم زيد بن مرخان سنة ١١٣٩، فقتل واستولى على الإمارة محمد بن سعود، ولكن العيينة استعادت قوتها في عهد عثمان بن عبدالله بن حمد ابن معمر الذي تولى الإمارة بعد قتل أخيه محمد سنة ١١٤٢هـ، واستجاب لدعوة الشيخ في أول عهدها.

وأعود لذكر ابنة محمد بن سعود، فبعد التصافي والاتفاق بين الأسترتين الكريمتين الأسرة المقرنية<sup>(١٣)</sup> والأسرة المعمرية، ببركة الدعوة الإصلاحية التي قام بها الامام المجدد الشيخ محمد، تقوّت الأواصر بالتزواج بينها، فزوّج عثمان بن ناصر بن عبدالله

(١٣) من كلمات الاعتزاء التي كان الملك عبدالعزيز - رحمه الله - يرددها إذا حزبه أمر من الأمور: (أنا ابن مقرن) و (أنا أخو نورة) و (أنا أخو الأنور) و (أنا ابن فيصل).



ابن معمر عبدالعزيز بن محمد بن سعود بن محمد بن مقرن ابنته التي أنجبت الامام سعودا، وزوج الامام محمد بن سعود ابنته مشاري بن ابراهيم بن عبدالله بن معمر، فأنت منه بمحمد بن مشاري، الذي كان من رسل الصلح بين الامام عبدالله بن سعود وبين ابراهيم باشا أثناء حصار الدرعية سنة ١٢٣٣هـ، ثم سعى للاستيلاء على نجد بعد رحيل ابراهيم باشا سنة ١٢٣٤، فتم له ذلك حتى قتل هو وابنه مشاري عند قيام الامام تركي ابن عبدالله بن محمد بن سعود سنة ١٢٣٦هـ - على ما ذكر ابن بشر.

فيكون الامام عبدالعزيز خالا لمحمد هذا، وكذا أخوه عبدالله بن محمد، كما أوضح ذلك ابن بشر أيضا<sup>(١٤)</sup>، لا الامام سعود بن عبدالعزيز، كما ورد في الطبعة الأولى من كتاب ابن بشر «عنوان المجد»<sup>(١٥)</sup> وفي الطبعات التي نقلت عنها. وقد أشار إلى هذا الخطأ الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ في تعليقه على طبعة وزارة المعارف لذلك الكتاب.

والدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: أول من رأته يتحدث عن هذه السيدة الجليلة التي أنجبت لنا هذا الرجل العظيم، هو الأستاذ الجليل الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البسام في كتاب «علماء نجد خلال ستة قرون» فقد أوضح أن جد الشيخ محمد لأمه (هو محمد بن عَزَّاز المُشَرَّفِي الوُهَيْبِي التميمي من عشيرته الأذنين)<sup>(١٦)</sup>.

ولما ترجم الشيخ سيف بن محمد بن عَزَّاز<sup>(١٧)</sup> أشاد بذكر آل عَزَّاز، وذكر أن سيفنا هذا هو خال الشيخ، وذكر أن وفاته كانت سنة ١١٢٩هـ.

وقد ورد في إحدى رسائل الشيخ محمد ذكر ابن عَزَّاز - من هذه الأسرة فيما يظهر - قال<sup>(١٨)</sup>: «في إحدى رسائله لعبدالله بن سحيم: (ولا يخفالك أني عثرت على أوراق عند ابن

(١٤) «عنوان المجد»: ج ١ ص ٢٧٥ و ٢٩٨ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(١٥) ج ١ ص ٢١٧.

(١٦) «علماء نجد» ص ٢٦.

(١٧) ص ٣٢٩.

(١٨) تاريخ ابن غنام تلخيص الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣٠٧.

عزاز، فيها إجازات له من عند مشائخه، وشيخ مشائخه يقال له عبدالغنى<sup>(١٩)</sup>، ويشنون عليه في أوراقهم، ويسمونه العارف بالله، وهذا اشتهر عنه أنه على دين ابن عربي الذي ذكر العلماء أنه أكفر من فرعون).

ولا أستبعد أن يكون ابن عزاز هذا هو الشيخ سيف المتقدم ذكره، ويرد على هذا القول إشكال من كون الشيخ محمد لم يدعه خاله.

ومهما يكن فإن ما ذكره الأستاذ ابن بسام عن والدة الشيخ هو حصيصة ما في المؤلفات التي وصلت إلينا.

زواج الشيخ : كان الشيخ الامام محمد بن عبدالوهاب - رحمه الله - عندما قام بدعوته في بلده حريملاء قد بلغ الثامنة والثلاثين من عمره، ولم يذكر مؤرخو حياته أنه تزوج إلا بعد أن انتقل إلى بلدة العيننة، بعد وفاة والده الشيخ عبدالوهاب سنة ثلاث وخمسين ومئة وألف.

قال ابن بشر: (فانتقل الشيخ إلى العيننة ورئيسها يومئذ عثمان بن حمد بن معمر، فتلقاه بالقبول، وأكرمه، وتزوج فيها الجوهرة بنت عبدالله بن معمر).

ويظهر أن هذا هو أول زواج للشيخ، لأنه قبل وفاة والده قد عاش متنقلاً بين الحجاز والبصرة والأحساء، مشغولاً بطلب العلم، ولم يذكر مؤرخوه الموثوق بهم أنه تأهل قبل انتقاله إلى العيننة.

أما ما جاء في كتاب «لمع الشهاب»<sup>(٢٠)</sup> ونصه: (وكان تحت محمد بن عبدالوهاب حينئذ ثلاث نسوة وابنان وابنتان) - أي قبل سفره لطلب العلم - فهو حديث خرافة، ككثير من الأخبار الواردة في ذلك الكتاب.

لقد كانت بلدة العيننة مسقط رأس الشيخ، ففيها ولد ونشأ، وهي مقر أسرته بعد

(١٩) هو عبدالغنى بن اسماعيل النابلسي (١٠٥٠/١١٤٣).

(٢٠) ص ١٩ - طبع (دار الملك عبدالعزيز).

انتقالها من بلدة أشيقر، وارتحال والد الشيخ منها كان بسبب وقوع خلاف بينه وبين أميرها الذي عزله عن القضاء وولى شيخاً آخر من تلك الأسرة التي تربطها بأسرة آل معمر أو أصر قوية غير أصرة النسب، فالأسرتان تميميتان.

وبلدة العيينة في ذلك العهد خير مكان لنشر الدعوة ، فهي قاعدة بلاد نجد، وإمارتها أقوى إمارة وأشهرها في تلك البلاد.

أما هذه السيدة الجليلة التي تزوجها الشيخ، الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، فهي عمّة الأمير عثمان، الذي استقبل الشيخ أحسن استقبال، وابنة الأمير عبدالله بن محمد بن حمد ابن معمر، الذي وصفه ابن بشر بما هذا نصه<sup>(٢١)</sup> (في سنة ثمان وثلاثين ومئة وألف أوقع الله سبحانه الوباء العظيم الذي حلّ بأهل بلدة العيينة أفنى غالبهم، مات فيه رئيسها عبدالله بن محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر، الذي لم يُذكر في زمانه ولا قبل زمنه في نجد في الرئاسة وقوة الملك والعدد، والعُدّة والعقارات والأثاث، فسبحان من لا يزول ملكه) انتهى.

وللجوهرة - في سبيل نشر الدعوة - يدان كريمتان.

اليد الأولى: أنها قبل زواج الشيخ بها كانت سبياً في إنقاذ حياة محمد بن سعود بن محمد بن مقرن الذي قام بنصرة الشيخ ومؤازرته في نشر الدعوة ، وسار أبناؤه وأحفاده من ملوك آل سعود على نهجه حتى حقق الله لتلك الدعوة الظهور والانتشار في جميع أنحاء العالم.

قال ابن بشر<sup>(٢٢)</sup> - في ذكر حوادث سنة تسع وثلاثين ومئة - : (وفي هذه السنة غدر محمد بن حمد بن عبدالله بن معمر الملقب خرفاش صاحب العيينة بزيد بن مرخان صاحب الدرعية، وبدغيم بن فايز الكادحي السبيعي وقتلها. وذلك أنه لما أصاب بلدة العيينة الوباء المشهور وأفنى رجالها ومات رئيسها عبدالله بن معمر، طمع زيد بن مرخان وأتباعه

(٢١) «عنوان المجد» ج ٢ ص ٢٣٦ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٢٢) المصدر السابق

في أموالها ، وأرادوا نهبها ، فساروا إليها بال كثير وبوادي سبيع وغيرهم، فلما وصل الجميع عقرباء أرسل خرفاش إلى زيد، وقال له: إنه ما ينفعك نهب البوادي وغيرهم لنا، وأنا أعطيك وأرضيك وأقبل إلي.. فسار زيد إليه في أربعين رجلا، ومعهم محمد بن سعود وغيره، فأدخلهم قصره ، ثم أدخل رجلا من قومه في مكان وواعدهم إذا جلس زيد يرمونه بالبنادق، فرموه ببندقين فلم يخطئانه فمات. فتنبه محمد بن سعود ومن معه ، ودخلوا في موضع، وتحصنوا فيه، فلم ينزلوا إلا بأمان الجوهرة بنت عبدالله بن معمر.

ورجع محمد بن سعود بمن معه من أهل الدرعية ، فاستقل محمد بعد هذه بولاية الدرعية كلها، ومعها غصيبة<sup>(٢٣)</sup>. انتهى كلام ابن بشر على ما فيه من سذاجة ، ولكنه يقرر يداً بيضاء لتلك الأميرة الكريمة ولهذا أوردته بطوله.

واليد الأخرى للجوهرة تقوية الصلة بين زوجها الامام محمد، وبين ابن أخيها الأمير عثمان، وحقاً ما قال الدكتور عبدالله الصالح العثيمين<sup>(٢٤)</sup>: وحين وصل محمد بن عبدالوهاب - إلى العيينة رحب به أميرها وأكرمه - إلى أن قال - : وازدادت علاقة الاثنين توطداً بزواج الشيخ من الجوهرة بنت عبدالله بن معمر، ويبدو أن زواجه منها لم يكن لشهرة أسرتها فقط، وإنما لسمعتها الاجتماعية الخاصة أيضاً انتهى.

ولا داعي للاسترسال في ذكر الآثار الطيبة التي عادت على الدعوة الإصلاحية من جراء تلك المصاهرة، غير أن المناسبة تلجئ إلى الإشارة إلى خاتمة ذلك الصهر، وهي خاتمة محزنة حقاً، لم تقف عند حد قتله، بل تجاوزت ذلك إلى الطعن في عقيدته، وانجرت إلى ابنه من بعده.

حَقًّا إِنْ الرَّجُلَ نَدِمَ عَلَى مَا قَدَّمَ، وَ (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَّتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ).

البقرة آية (١٣٤)

ولكن تاريخنا المدون - فضلا عما فيه من جوانب النقص - لا يخلو من مواقف

(٢٣) غصيبة: محلة في أعلى الدرعية، بلغها عمرانها الآن.

(٢٤) كتاب «الشيخ محمد بن عبدالوهاب» ص ٤٧ مطبعة نهضة مصر، بدون تاريخ.

يعتورها الغموض، وما هي مهمة الباحث إذا لم يحاول تحليل الوقائع، ليستخلص منها النتائج حتى يصل إلى الحقيقة فيما يعالج من القضايا التاريخية؟.

لقد قام الأمير عثمان بن معمر بمؤازرة الشيخ، فقطع الأشجار التي يعظمها الجهال، وهدم ما بُني على القبور، ونفذ أحكام الشريعة، ويظهر أن أهل بلاده لم يكونوا كلهم على وفاق معه، فابن بشر يذكر أنه اجتمع مع الشيخ نحو سبعين رجلا منهم من رؤساء المعامرة - أي استجابوا للدعوة - وأن الشيخ لما أراد هدم قبة زيد بن الخطاب - رضي الله عنه - أراد أهل الجبيلة - وهي من بلاد عثمان - أن يمتنعوا من هدمها، فسار معه عثمان بنحو ست مئة رجل، فلما رأوه قد عزم على حربهم إن لم يتركوه يهدمها خلوا بينهم وبينها.

ولقد استمر عثمان في تقبل آراء الشيخ وتنفيذها، تقبل المؤمن بها، إيمانا صادرا عن يقين بصدقها، لا عن رغبة في أمر، ولا عن رهبة من أحد، وكما قال الشيخ حسين بن غنام<sup>(٢٥)</sup>: (تلقاه بالقبول والمناصرة، وأكرمه غاية الأكرام، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره، ويقبلوا قوله)؛ فلما الذي جرى له حتى غير موقفه؟! قال ابن بشر<sup>(٢٦)</sup>:- بعد أن ذكر بلوغ أخبار الشيخ حاكم الأحساء سليمان بن محمد: (فأرسل إلى عثمان كتابا يتهدده فيه إن لم يقتل الشيخ أو يخرج من بلده، وأنه إن لم يفعل قطع خراجه) ثم أشار إلى أن عثمان تردد في الأمر، فأثر عليه جلساء السوء - وإذن فلدى عثمان من خاصته من لم تباشر دعوة الشيخ قلبه - وقال: (فأرسل إلى الشيخ ثانيا وقال له: إن سليمان أمرنا بقتلك، ولا نقدر إغضابه ولا مخالفة أمره لأنه لا طاقة لنا بحربه، وليس من الشيم أن نؤذيك في بلدنا مع علمك وقربتك)، وذكر أنه أرسل مع الشيخ حرّاسا إلى أن بلغ الدرعية.

كان صاحب الأحساء ذا نفوذ واسع في عهده، ولهذا استعان به أعداء الشيخ، ممن وصفهم ابن غنام بقوله<sup>(٢٧)</sup>: (فلما أعياهم ردّ ما أفحمهم به الشيخ من حجج، عدلوا إلى ردها بالمكر والحيلة) وهو يقصد أعداءه من أهل نجد، الذين ألّبوا عليه أقوى حاكم ذي نفوذ وسلطة في هذه البلاد.

(٢٥) «تاريخ نجد»: ٧٨.

(٢٧) «تاريخ نجد»: ٨٠.

(٢٦) «تنوان المجد»: ٢٣/١.

قال صاحب كتاب: «لمع الشهاب»<sup>(٢٨)</sup>: (شكوا ذلك إلى سليمان آل محمد الحميدى الخالدى، حاكم بنى خالد والأحساء والقطيف وقطر كلها، فالتمسوا منه أن يمشي على والى العيينة ويحمله من بلده)، وذكر أنه توعد ابن معمر في كتابه بأمور:

١ - قطع وظائفه التي في الأحساء.  
٢ - منع عماله من جباية غلّة أملاكه في الأحساء من نخل وزراعة رُزٍّ قَدَّرَ محصولها بستين ألف ريال ذهب.

٣ - منع تجار بلده من مسابلة الأحساء والقطيف وقطر وسواحل تلك البلاد.

لقد تكالبت الأعداء على عثمان، فقومه الأذنون من أهل العيينة ومن حولها ليسوا كلهم منقادين لدعوة الشيخ، ولا مؤيدين لما يقوم به عثمان من مناصرته، وأكثر علماء نجد قد أظهروا التنكر لدعوة الشيخ وجأهروا بذلك، ومنهم من كاتب الأُمراء والعلماء في التحريض على قمع الدعوة التي لم يستجب لها سوى عدد قليل من أهل العيينة وأهل الدرعية.

وها هو حاكم الأحساء يتوعد عثمان بمُختلف أنواع الوعيد إن لم يقتل الشيخ أو يخرج من بلده،<sup>(٢٩)</sup> وإن لم يفعل فسوف لا يقف عند حد ما توعد به، إنه سوف يغزو ابن معمر، وبلاد نجد في ذلك العهد كانت ميدانا لغارات آل حميد حكام الأحساء، وليس لابن معمر - بعد أن حلّ بإمارة العيينة ما حل بها من الضعف أن يقاوم، وليس لديه من القوة ما يستطيع به أن يقابل قوة حاكم يسيطر على شرق الجزيرة من عمان جنوبا إلى البصرة شمالا، بل تتناول سيطرته وقوة نفوذه بلاد نجد، بحيث كان ابن معمر يظهر الخضوع له، ويتقاضى وظيفة منه، وحين ثارت عليه عشيرته سنة ١١٦٦هـ التجأ إلى الخرج فتوفي فيه.

(٢٨) ٣٦.

(٢٩) عنوان المجد: ٢٣/١ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٣٠) كان لمحمد بن غرير آل حميد أربعة أبناء توارثوا بعده وهم سعدون توفي سنة ١١٣٥ ثم على إلى سنة ١١٤٣ ثم سليمان. قال عنه ابن بشر عند ذكر حوادث سنة ١١٦٦هـ: وفيها غدر المهاشير المعروفون من بنى خالد في سليمان آل محمد رئيس الأحساء، ورئيس بنى خالد، فانهمز إلى بلد الخرج ومات فيه. انتهى. أما مؤلف «لمع الشهاب» فقد أوضح السبب، فقال - ص ١٦٧ - بعد أن أشار إلى موقفه عند قيام الدولة السعودية: (كان

ليس أمام ابن معمر سوى ارتكاب أخف الضررين لدفع أعلاهما، كما قال صاحب كتاب «لمع الشهاب»<sup>(٣١)</sup> فلما وصل كتاب سليمان بن محمد الخالدي إلى عثمان بن معمر اهتم وكره عداوة سليمان، وغضب أيضا لخروج محمد بن عبد الوهاب عنه، لكنه ارتكب أخف المحظورين بإبداء المعذرة لدى محمد بن عبد الوهاب خفية، فقال له: إن محاربة هذا الرجل تصعب علينا، فالرأي أن تسير من العيينة على بركة الله إلى أي بلد شئت، وتقيم فيها سنة أو سنتين حتى نرى كيف يفعل الله بعد ذلك ثم مرجعك إلينا).

لا أريد تبرير فعل ابن معمر في إخراج الشيخ، ولكنني أحاول الحفاظ على كرامة أول مؤازر للدعوة وصهر القائم بها، وجد بطل من أبطال الأسرة السعودية الكريمة التي كتب لتلك الدعوة الانتشار والبقاء بجهد أبطالها منذ عهد الامام محمد إلى عهدنا، هو الإمام سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود، سبط الأمير عثمان بن حمد بن معمر.

أريد المحافظة على كرامة ذلك الرجل بياضاح بعض مظاهر لي حيال ما نسب اليه - فيما بعد - من تنكّر للدعوة، وقد أكون مخطئا فيما أتيه من رأي يخالف ما يراه غيري، ولكن مما لاشك فيه أن فيما كتب عن الدعوة وعن معاصريها مواقف اتخذ منها بعض الأعداء ثغرات ومنافذ للطعن في الدعوة، وللنيل من القائمين بها.

لم يتجاوز الزمن بين انتقال الشيخ إلى الدرعية، وفود الأمير عثمان بن معمر عليه فيها لتجديد البيعة أكثر من عام، على ما يفهم من كلام ابن بشر الذي قال في سياق الكلام عما جرى للشيخ حين وصل إلى الدرعية في سنة ١٢٥٧<sup>(٣٢)</sup>: (فلما علم عثمان أن

---

متولعا يحب النساء، نكح ما يزيد على المئة، لكنه لم يجمع إلا بين أربع منهن، بل كان يأخذ ويطلق، وكان يتعرض بنات بني خالد غدرا، فأنكرت عليه مشايخ الحوالة وبنو أعمامه، فأجلوه إلى أرض نجد، ولما وصل الهامة مات في الطريق فدفن هناك. ومدة سلطنته قريب سبع عشرة سنة) - انتهى. وقد وقع في «عنوان المجد» ج ٢ ص ٢٤٠ - طبعة وزارة المعارف غلط نصه: في ذكر سوابق سنة ١١٤٣: (قتل سليمان بن محمد رئيس الاحساء ورئيس عربان بني خالد، قتله ابن أخيه دجين بن سعدون). والمقتول هو علي بن محمد وتولى بعده أخوه سليمان بن محمد، الذي كان معاصرا لظهور الدعوة ومات في الحرج سنة ١١٦٦.

(٣١) ٣٢.

(٣٢) «عنوان المجد»: ج ١ ص ٢٥ - طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

محمد بن سعود أوى الشيخ ونصره وبايعه ندم على ما فعل، فقدم على الشيخ وطلب منه الرجوع معه فقال: ليس هذا إلي، وإنما هو إلى محمد بن سعود، فأتى عثمان محمدا فأبى عليه) ويقول ابن غنام<sup>(٣٣)</sup>: (فرجع إلى بلدو مضمرا العداوة والشر والغدر، وإن كان يُبدي مشايعة الحق ونصرة الشيخ والأمير محمد، إلى أن تكرر منه المكر، وظهر نفاقه وانكشف أمره).

وهذا كلام مبهم غير واضح، وما تخفيه القلوب علمه عند علام الغيوب، ومؤرخو تلك الفترة ذكروا أن الرجل لما وفد على الشيخ في سنة سبع وخمسين ومئة وألف - أو التي بعدها<sup>(٣٤)</sup> - بايع على الإسلام والجهاد في سبيل الله، وذكروا مشاركته في غزو الرياض سنة تسع وخمسين، وفي غيرها من الغزوات حتى قتل سنة ١١٦٣هـ.

غير أن ابن بشر لما ذكر وقعة دلقة سنة ستين - إحدى غزوات الرياض - قال<sup>(٣٥)</sup>: وكانت تلك الغزوة من غير مشورة عثمان، لأنهم يتهمونه في الباطن أنه يوالي عدوهم، وزادته هذه الوقعة تهمة، وندم على تخلفه عن الغزو، لأنه خاف على نفسه، ثم ذكر أن محمد بن مبارك لما عاد من غزوة دلقة بأهل حريملاء مرّ بالعينية فتعاهد مع عثمان واتفقا وتصافيا. ولكن المؤرخ لم يذكر الغاية من ذلك الاتفاق، وقال: ثم إن عثمان أرسل إلى الشيخ وإلى الأمير محمد يعتذر إليهم من التخلف عن الغزو، فقبلا منه، ثم إنه قدم عليهم ومعه وجوه أهل العينية وأهل حريملاء، وعاهد الشيخ ومحمد على الجهاد، فعند ذلك جعلوه رئيسا للغزوات والسرايا، وصار محمد بن سعود له منقادا ولا يخالفه بل يتابعه، ويوافقه في السفر والغزو والجهاد - على ما في تاريخ ابن غنام أيضا<sup>(٣٦)</sup> بدون إشارة إلى خبر الاتفاق مع أمير حريملاء.

وقد يفهم من كلام ابن بشر عن اتفاق ابن معمر مع أمير حريملاء محمد بن عبدالله بن

(٣٣) «تاريخ نجد»: ٨٢.

(٣٤) «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٨.

(٣٥) المصدر السابق: ٣٣/١.

(٣٦): ٩٤.



مبارك أنه ضد مصلحة القائمين بالدعوة، وهذا غير صحيح، فابن مبارك كان من أوائل الوافدين على الشيخ في الدرعية في سنة ١١٥٧ - بجماعته أهل حُرَيْمِلَاء، وقد قتل في شوال سنة ١١٦٥، وهو ثابت على ما عاهد عليه الشيخ<sup>(٣٧)</sup>.

ولكن كان بين أهل العيينة وأهل حريملاء حزازات قديمة وضغائن قبل قيام الدعوة - أشار إلى بعضها ابن بشر وغيره<sup>(٣٨)</sup> - ويظهر أن ذلك الاتفاق لإزالة آثار تلك الحزازات، التي كان من آخرها ما حدث من عثمان بن معمر سنة ١١٤٣ من أخذه زواملهم<sup>(٣٩)</sup>.

ويورد المؤرخان ابن غنم<sup>(٤٠)</sup> وابن بشر<sup>(٤١)</sup> في حوادث سنة ستين ومئة وألف أن من أعظم ما نقم على عثمان - وعبارة ابن غنم: وكان من أعظم ما أظهر نفاق عثمان - أنه أرسل إلى إبراهيم بن سليمان أمير ثرمداء، وأمره أن يركب إلى دهام - أمير الرياض - للإصلاح بينهما والاتفاق جميعاً مع الشيخ، ومحمد بن سعود، فقدم دهام مع إبراهيم على عثمان، وكان ذلك من غير مشورة الشيخ محمد وابن سعود، فحين رأى أهل البلد ذلك ساروا إلى عثمان، فموه عليهم - وعبارة ابن بشر: فتحقق أهل البلد منهم الخيانة - وقال عثمان: ليس لي مراد إلا الإرسال للشيخ حتى يحضر عقد الصلح، ويدخل دهام في دائرة الاسلام. ثم أرسل إلى الشيخ للقدوم، فألقى الله في روعه ما استبان به خيانة عثمان وغدره، فامتنع عن الذهاب، وعرف المسلمون من أهل البلد مكر عثمان، فحصروا ابن دواس في القصر، ولكنه هرب تحت جنح الظلام، وعاد إبراهيم بن سليمان إلى ثرمداء. قال ابن بشر: فلما وصلها (تدرع لباس الحرب).

لاشك أن ما فعله عثمان من محاولته الإصلاح بين القائمين بأمور الدعوة وبين عدوئهم اللدودين صاحب الرياض وصاحب ثرمداء بدون مشورة واتفاق على ذلك بينه وبين الشيخ محمد والأمير محمد بن سعود من الأمور التي يؤاخذ عليها، مهما كان قصده،

(٣٧) : «عنوان المجد» ج ١ ص ٢٨ و ٤٢.

(٣٨) حوادث سنة ١٠٩٨/١١٠٠/١١٢١/١١٢٨/١١٣٠.

(٣٩) المصدر السابق: ج ٢ ص ٢٤٠.

(٤٠) «تاريخ نجد»: ٩٤.

(٤١) «عنوان المجد»: ٣٤/١.

ولعل الشيخ في امتناعه عن الحضور، اتضح له من خفايا الأمر ما لم يتضح في العبارات المبهمة من كلام المؤرخين الذين وصفوه بالخيانة والغدر.

ولا نريد أن نذهب بعيدا في محاولة الدفاع عن عثمان، أكثر من القول بأن فعله هذا وسع شقّه الخلاف وهياً للناقمين عليه - ومنهم بعض أهل بلده من قومه - أقوى الوسائل للنيل منه.

ثم إنه بعد ذلك ذهب إلى الأمير محمد، وجدد العهد، وغزا الرياض بلدة دهام وذلك في سنة إحدى وستين ومئة وألف، وكان الأمير، في تلك الغزوة التي قتل فيها ٤٥ من الجيش. ثم غزا الرياض مرة ثانية، فقتل من الفريقين نحو اثني عشر رجلا.

وفي سنة ١١٦١ - على ما ذكر ابن غنام<sup>(٤٢)</sup>: سار عثمان بأهل العيينة وحرميلا، وعبدالعزیز بأهل الدرعية وقراها وأهل ضرماء، والأمير على الجميع عثمان، فنزلوا ليلا في موضع قريب من ثرمداء يقال له البطين، وجعلوا لهم كميناً، فلما أصبحوا خرج عليهم أهل البلد فاشتد القتال، فلما خرج الكمين انهزم أهل ثرمداء، بعد أن قتل منهم ٧٠ رجلا، ثم التجأوا إلى قصر يسمى قصر الحريص فتحصنوا فيه، فخلا البلد من المقاتلين، فأراد عبدالعزیز (بن محمد بن سعود) أن يدخلوا البلدة فيأخذوها عنوة، فأبى عثمان ذلك وارتحل بمن معه، ولم يبق مع عبدالعزیز إلا عدد قليل فتردد في دخول البلد، ثم عزم على العودة، وأخبر أباه محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب بما حدث من عثمان، فزاد مافي نفسيهما عليه.

أما ابن بشر فقد قال في إحدى نسخ تاريخه<sup>(٤٣)</sup>: فأبى عثمان مشحةً بأهلها ومضنةً بهم، وقال في الأخرى<sup>(٤٤)</sup>: وحصل من عبدالعزیز كلام على عثمان، وأكثر عليه الملام - ثم ذكر تخلفه وأتبعه بقوله -: ولم يلحقه إلا آخر النهار، فصارت الأحوال بينهما متغايرة، والقلوب متنافرة.

(٤٢) «تاريخ نجد»: ٩٦.

(٤٣) «عنوان المجد» الطبعة الأولى ٢٢

(٤٤) «عنوان المجد» ٣٦/١ - طبعة وزارة المعارف سنة ١٢٩١

بعد غزوة ثرمداء هذه برزت في قضية عشان بن معمر جوانب ليست في مصلحته.  
فالبلدة وأكثر سكانها من بني تميم قبيلة عشان، وأماؤها العناقر من أسرته إذ آل معمر  
منهم ، ولهذا فاستنتاج المؤرخ ابن بشر بأنه ترك دخول البلدة (مشحة بأهلها ومضنة بهم)  
يفهم منه طغيان العاطفة على الواجب، وفات المؤرخ أن البلدة قد خلت من الرجال  
المقاتلين، ولم يبق فيها إلا النساء والأطفال، ومن لا يقدر على القتال، فما الغاية من  
دخولها، مع ترك المحاربين من أهلها خارجها متحصنين؟

وزاد الأمر سوءا بالنسبة لعشان ما وقع بينه وبين عبدالعزیز بن محمد بن سعود من  
خلاف أحدث تغاير الأحوال وتنافر القلوب - كما قال ابن بشر - وصدق الشاعر:  
إن القلوب إذا تنافرودها      مثل الزجاجة كسرُها لا يُشعبُ

ولم يشفع لعشان أنه قاد غزوة أخرى بعد ذلك، ودمر جيشه مزارع بلدة ثرمداء، حيث  
تحصن أهلها، ولم يبرزوا للقتال كما فعلوا في المرة الأولى التي قتل منهم فيها نحو سبعين  
رجلا.

لقد ختمت حياة عشان بهذه الصورة المحزنة التي قال عنها ابن غنام<sup>(٤٥)</sup>: لما تزايد  
شر عشان على أهل التوحيد وظهر بغضه لهم وموالاته لأهل الباطل، وتبين الشيخ صدق  
ما كان يروى عنه، وجاء أهل البلاد كافة، وشكوا خشيتهم من غدره بالمسلمين، قال  
الشيخ لمن وفد إليه من أهل العيينة: أريد منكم البيعة على دين الله ورسوله، وموالاته  
من والاه ومعاداة من حاربه وعاداه، ولو أنه أميركم عشان، فأعطوه على ذلك الأيمان،  
فمُلِّي قلب عشان من ذلك رعبا، وزين له الشيطان أن يفتك بالمسلمين، فأرسل إلى ابن  
سويط وإلى ابراهيم بن سليمان يدعوها للمجيء عنده لينفذ ما عزم عليه من الإيقاع  
بالمسلمين.

فلما تحقق أهل الاسلام ذلك ، تعاهد على قتله نفر منهم: حمد بن راشد و ابراهيم بن  
زيد (الباهلي)، فلما انقضت صلاة الجمعة، قتلوه في مصلاه بالمسجد سنة ١١٦٣.

---

(٤٥) «تاريخ نجد»: ٩٧.

فلما علم بذلك الشيخ عجل بالمسير إلى العيينة ، فقدم في اليوم الثالث بعد مقتله ، وأراد أهل التوحيد وخاصة من اشترك في قتل عثمان آلَ يوليَ عليهم أحد من آل معمر فأبى الشيخ، وأمر مشاري بن معمر، وكان ذلك في منتصف رجب. انتهى. ونحو هذا ورد في «عنوان المجد» لابن بشر<sup>(٤٦)</sup>.

لقد مضى الرجل لسبيله، وكما يقال: (الغائب حجته معه)، ولكنه فتح بكثير من تصرفاته للناقمين عليه أبوابا واسعة للنيل منه، ولا يعيننا الآن إلا أن تبدو الصفحات الأولى من تاريخ الدعوة المباركة ناصعة البياض وأن لا يُتَّهَم دعائها ومناصروها بتكرهم لمؤازريهم.

ويكاد تتبع تاريخ القضية أن يجزم بأنه لا يد للشيخ محمد ولا للامام محمد بن سعود في قتل ذلك الرجل، وأن الأمر وقع في وقت لم تستقر فيه أوضاع الدولة الناشئة، ولم تثبت دعائم الدعوة.

ومن المعروف أن كل حركة من حركات التغيير الاجتماعية يصاحب قيامها فوضى وعدم انضباط في كثير من أمورها قبل استقرارها، وكثيرا ما استغل ذوو الأغراض - من المناصرين لتلك الحركة أو من أعدائها - ذلك لتحقيق أغراضهم.

ولهذا تكررت حوادث مشابهة لحادثة قتل عثمان بن معمر منها: قتل ابراهيم بن محمد ابن عبدالرحمن أمير ضрма سنة ١١٦٤ و قتل أمير حريملا محمد بن عبدالله بن مبارك سنة ١١٦٥، و قتل محمد بن فارس وابنه عبدالمحسن صاحبا منفوحة بيد ابني زامل بن فارس سنة ١١٧٨، و قتل أمير الفرعة عيبان الناصري سنة ١١٧٩ هو وأولاده، ومهما كانت أسباب كل هذه الحوادث فلم تكن بموافقة القائمين بأمر الدعوة.

ويضاف إلى ما تقدم أن أسرة آل معمر قد حدث بينها شقاق حول تولي الإمارة، منذ منتصف القرن الحادى عشر الهجرى.

(٤٦) ج ١ ص ٨٩.

واستمر نحو قرن من الزمان، ومثل هذا يحدث في كثير من الأسر التي تتشعب فروعها ويكثر أفرادها.

ولا يجد الباحث تفاصيل لهذا التنافس لدى مؤرخي نجد في تلك الحقبة، ولكنه لن يعدم إشارات موجزة يستشف منها ذلك.

فابن بشر يذكر في سوابقه أن دواس بن محمد بن عبد الله بن معمر قُتل سنة ١٠٥٨ وتولى بعده محمد بن حمد بن عبد الله الإمارة، فأجلى آل محمد من العيينة، فلم تتم له الولاية سوى تسعة أشهر.

ويذكر ابن بشر أيضا أن الشيخ لما انتقل إلى الدرعية من العيينة سنة ١١٥٧ هاجر إلى الدرعية بعض رؤساء المعامرة، ويضيف: (معاكسين لعثمان بن معمر).

ونجد أحد هؤلاء المهاجرين يتولى إمارة العيينة بعد قتل عثمان وهو سلطان بن محيسن المَعْمَرِي في سنة ١١٦٣.

وقد ذكر الأستاذ عبد الله بن خميس في «معجم اليامة»<sup>(٤٧)</sup> بعد ذكر مقتل عثمان.. (ولكن الشيخ محمد لم يرض بهذا التصرف، فسارع إلى العيينة، وجمع أهلها وهدأ روعهم، وعين مشارى بن ابراهيم بن معمر أميرا وناصر الدعوة.. وأخذ يشارك بأهل العيينة في غزوات آل سعود، ولكن ظهر منه أخيرا ما جعل الدرعية تُسَيِّ الظن به وتعزله.

بعد ذلك أسندت إمارة العيينة إلى سلطان بن محيسن أحد موالى آل معمر، ولكن ذلك أوغر صدر ناصر بن عثمان بن معمر، وكان يطمع في تولي الإمارة، فأعلن تمرده ولكنه قتل سنة ١١٨٢.

واضطرب الأمن في العيينة فذهب إليها الشيخ محمد، وأمر بهدم قصر آل معمر،

---

(٤٧) ٢٠٤/٢٠٣.

وإنهاء سلطتهم في العيينة، ومن ثم أخذ الناس يهجرونها ويرحلون عنها حتى أصبحت خراباً. انتهى.

وما ذكره الأستاذ عبدالله من أن الشيخ محمداً - رحمه الله - لم يرض بقتل عثمان حقاً لا شك فيه، ولو لم يكن في ذلك التصرف سوى الافتئات على الجهة التي بيدها الحل والعقد.

والقول بأن سلطان بن محيسن من موالي آل معمر، لم أر له مصدراً لدى ابن غنام وابن بشر اللذين ذكرا أنه ممن هاجر إلى الدرعية إبان قيام الدعوة هو وأخواه عبدالله وزيد، وذكرا توليته إمارة العيينة، وإمارته كانت سنة ١١٧٣، والذي تولى الإمارة بعد عثمان هو مشارى بن إبراهيم بن عبدالله بن معمر من رجب سنة ١١٦٣ حتى سنة ١١٧٣هـ، ومشارى هذا صهر للإمام محمد بن سعود، وهو الذي تولى ابنه محمد إمارة نجد، بعد خراب الدرعية حتى قتل في عهد الامام تركي سنة ١٢٣٦هـ - كما تقدم -.

أما ناصر بن عثمان بن معمر، فالرجل - على ما ذكر ابن بشر قُتل شهيداً غازياً مع الإمام سعود بن عبدالعزيز سنة ١١٨٢، فالتقى جيش سعود بقبيلة آل مرة - في ناحية الجنوب، ف وقعت الهزيمة على سعود وقومه، وقتل منهم نحو عشرة رجال منهم ناصر بن عثمان بن معمر، ولم يحدث منه تمرد - فيما أعلم -.

وهنا سؤال يتبادر إلى الذهن هو: هل ناصر هذا هو أبو العالم الجليل الشيخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر؟!.

هذا مالم أر له ذكراً فيما بين يدي من الكتب، وكل من ترجم الشيخ حمداً لا يُفصل القول في ذكر نسبه، ولعل المقصود من ذلك عدم الإشارة إلى مأساة عثمان - إن كان جد الشيخ - احتراماً له.

والقول بأن بلدة العيينة أخذ الناس يهجرونها ويرحلون عنها منذ هدم الشيخ قصر آل معمر حتى أصبحت خراباً - قد يكون الأستاذ عبدالله بن خميس أراد أن ابتداء ذلك كان تلك السنة، ولكن هدم القصر كان سنة ١١٧٣ بعد عزل مشارى عن الإمارة وتولية

سلطان - كما ذكر ابن بشر في حوادث تلك السنة، لأننا نرى لها ذكرا لدى المؤرخين إلى ما بعد ذلك التاريخ، ومن ذلك ما ذكره ابن بشر في حوادث السنوات:

١١٧٨ - في وقعة الحابر قتل من أهل العيينة ٢٨ رجلا.

١٢١١ - هدم السيل في العيينة بيوتا كثيرة.

١٢٢١ - كان أمير المرابطة للإمام سعود في المدينة المنورة من أهل العيينة حمد بن سالم، وكان أميراً على ناحية سدير عند وفاة الإمام سعود.

١٢٣٣ - استشهد في وقعة الدرعية وغيرها من أهل العيينة ١٥ رجلا.

١٢٣٣ - انتقل في آخر هذه السنة محمد بن مشارى بن معمر من بلدة العيينة، ونزل الدرعية.. وطمع في ملك نجد، وكان خاله؛ عبدالعزيز بن محمد، وعبدالله بن محمد آل سعود.

بنات الشيخ: لم يتعرض مؤرخو نجد ممن وصلت إلينا مؤلفاتهم لذكر بنات الشيخ، مع التفصيل في ذكر أبنائه.

وأول من رأيتُه تعرض لهذا الجانب من حياة الشيخ هو السيد لطف الله بن أحمد جحاف (١١٧٩/١٢٤٣هـ) من تلامذة الإمام الشوكاني، ومن عاصر قيام الدعوة، فقد ذكر في كتابه «درر نحور الحور العين، في سيرة الامام المنصور، وأعلام دولته الميامين»<sup>(٤٨)</sup> ذكر - حين عدّ أبناء الشيخ أن له ابنتين، هما شائعة وهيا<sup>(٤٩)</sup>.

وذكر في موضع آخر وهو يتحدث عن أبناء الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود مانصه: (وأخبرني بعض المكيين ممن له اطلاع على خاصة عبدالعزيز أن له من الأولاد غير سعود بن عبدالعزيز ومحمد وهما على أم واحدة. ثم عمر وعبدالعزیز - كذا - ابنا عبدالعزيز وامهما إحدى بنات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تزوجها عبدالعزيز بن محمد. قال المكى: وأما بناته فهن خمس، منهن لطيفة ومنيرة. انتهى<sup>(٥٠)</sup>).

(٤٨) مخطوط - انظر عنه مجلة «العرب» س ٧ ص ٢٧ وما بعدها.

(٤٩) «العرب» س ٧ ص ٤٦.

(٥٠) المصدر ص ٤٧.

أما ابن بشر فهو يذكر لعبدالعزیز بن سعود من الأبناء: سعودا وعبدالله وعمر  
وعبدالرحمن<sup>(٥١)</sup>. ولا يذكر محمدا ولا عبدالعزیز.

وابن بشر ذكر أبناء عبدالعزیز بعد وفاته بزمن - ذكرهم سنة ١٢٣٢ و ١٢٣٣ أثناء  
حصار الدرعية - فقد يكون محمد بن عبدالعزیز توفي قبل ذلك الوقت.

وعبدالعزیز الذي عده المؤرخ الیمني سبطا للشیخ قد يكون اسمه محرفا، وأنه  
عبدالرحمن، أو عبدالله الذي ذكر ابن بشر أنه توفي سنة ١٢٣٣ بعد انقضاء أمر الصلح،  
ويلاحظ أن بعض المؤرخین المتأخرین عد الامام سعود بن عبدالعزیز بن سعود من أسباط  
الشیخ محمد، وهذا خطأ، نشأ عن كون والده تزوج ابنة الشیخ، أما أمه فهي ابنة الأمير  
عثمان بن معمر الذي تقدم الكلام عنه.

وتقدمت الإشارة إلى ماورد في كتاب «تاریخ أشراف مكة» لابن عبدالشکور<sup>(٥٢)</sup>،  
ونصه - بعد حذف ألفاظ الشتم: في صفر سنة ١٢٢١ - وصل نحو عشرين رجلا من أهل  
الدرعية، وفيهم حمد بن ناصر إلى مكة بكتاب سعود للشریف غالب، وكان في جدة،  
فنزلوا لملاقاته فاتجهوا به، ثم عقد بينهما الصلح، ونزل حمد بن ناصر إلى مسجد عكاش  
في الحین، وقرأ رسالة جدّه، وأمر الناس وتجار البلد وأعيانها، وما زالوا يحضرونها حتى أتم  
قراءتها - ثم ذكر هدم القباب وإزالة المنكرات.

وحمدا هذا هو الشیخ حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر، سفير الدعوة إلى مكة المكرمة  
في عهد الإمامین عبدالعزیز بن محمد سنة ١٢١٢هـ وسعود سنة ١٢٢١هـ.

فهل هو سبط للشیخ محمد من ابنته التي ولدت للإمام عبدالعزیز ابنیه عمر وأخاه،  
وأن ناصرأ أبا الشیخ حمد تزوجها قبل الإمام عبدالعزیز، فيكون الشیخ ربیباً له؟! لا  
استبعد ذلك، ولا استبعد أن يكون ذلك الزواج كان في زمن الأمير عثمان بن معمر صهر  
الشیخ، وأن الشیخ زوج ابنه ناصر بنته، فيكون الشیخ حمداً حفيداً للأمیر عثمان بن

(٥١) : «عنوان المجد»: ٢٢٨/١ / ٢٦٦/٢٦٥ طبع وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٥٢) لا يزال مخطوطا، وانظر مجلة «العرب» س ١٠ ص ٨٦٥/٨٦٦.



حمد بن عبدالله بن معمر، وهذا أمر لم أر له ذكراً فيما اطّلت عليه من المؤلفات.

أما الثانية من بنات الإمام: فقد تزوجت عالمة من أزرا الدعوة الإصلاحية في إبان قيامها، وشاركا القائمين بها في نشرها والدفاع عنها، ولازما الشيخ وعاشا معه في الدرعية.

هما الشيخان: حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبدالله، ومحمد بن غريب.

قال ابن بشر عند سرد حوادث سنة أربع وتسعين ومئة وألف<sup>(٥٣)</sup>: (وفيها توفي الشيخ حمد بن إبراهيم بن حمد بن عبدالله بن عبد الوهاب، قاضي مرآة، قرأ على الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وتزوج ابنته، وسكن الدرعية عنده، وولدت منه القاضي عبدالعزيز بن حمد) انتهى.

والشيخ حمد هذا من أسرة الإمام الشيخ محمد، من المشارفة، الأسرة المعروفة، يلتقى الشيخان في النسب في راشد بن بريد بن محمد بن مشرف الجد الخامس للشيخ محمد.

وهو من أسرة علم وفضل، فقد كان جده عبد الوهاب قاضي مدينة العيينة توفي سنة خمس وعشرين ومئة وألف.

وتولى الشيخ حمد قضاء بلدة مرآة، ثم قدم الدرعية وقرأ على الشيخ محمد، وتوفي في حياته سنة أربع وتسعين ومئة وألف.

وله ابنان من زوجته ابنة الشيخ هما إبراهيم نشأ في بيت جده بعد وفاة أبيه، وتلقى العلم على علماء الدرعية في العهد الذي كانت فيه حافلة بالعلماء، ثم تولى قضاء بلدة مرآة حتى استشهد في وقعة الماوية في جمادى الآخرة سنة ١٢٣٢هـ.

والابن الثاني عبدالعزيز، وهو الذي اجتمع به المؤرخ اليميني السيد لطف الله جحاف، فقد قام بسفارة للإمام سعود بن عبدالعزيز إلى صاحب صنعاء الإمام المنصور<sup>(٥٤)</sup>.

(٥٣) «عنوان المجد» ج ١ ص ٩٠ - طبعة وزارة المعارف - سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

(٥٤) انظر كتاب «مشاهير علماء الدعوة» للشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ ص ٢٠ و ص ٢١٢.

وصفه الشيخ عبدالله البسام فقال (٥٥): كان صاحب عقل راجح، وفكر ثاقب، ولسان بليغ، لذا اختاره الإمام سعود في سفارة إلى إمام صنعاء، فكفى في مهمته. قال ابن حميد: وسمعت بعض مشائخ صنعاء يشنون عليه بالفضل والعقل والفهم والذكاء التام وحسن المحاضرة. انتهى

وأشار جحّاف في كتابه «درر نهور الحور» إلى أن بينه وبينه مكاتبات - فيما يتعلق بتاريخ عهدهما .

وبعثه الإمام عبدالله بن سعود سفيرا إلى محمد علي باشا صاحب مصر سنة ١٢٣٠ حين وقع الصلح بين عبدالله وبين طوسون، وكان ممن اجتمع به في مصر المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي، فقال عنه وعن رفيقه (٥٦) عبدالله بن محمد بن بثنان: «وقد اجتمعت بهما مرتين فوجدت منهما أنسا وطلاقة لسان، وإطلاعا وتضلعا ومعرفة بالأخبار والنوادر، ولهما من التواضع وتهذيب الأخلاق، وحسن الأدب في الخطاب والتفقه في الدين، واستحضار الفروع الفقهية، واختلاف المذاهب فيها ما يفوق الوصف، واسم أحدهما عبدالله، والآخر عبدالعزيز، وهو الأكبر حسنا ومعنى»

وتحدث عنه رحالة غربي هو برکهارت (٥٧) بما ملخصه: كان أحد الرسولين من ضباط سعود، والثاني ويدعي عبدالعزيز من أقارب مؤسس الدعوة، وكان عالما كبيرا أثار غيرة محمد علي حين اجتمع بكبار العلماء فعرف سعة علمه، وعمق إدراكه، بحيث كان يستفسر عن كل شيء من الأمور العامة، ولا يقتصر على الأمور الدينية، فجعل الباشا مع الرسولين مرافقين لها من الجند، أينما كانا حتى تضايقا فطلبوا العودة إلى بلادها، واشتري عبدالعزيز كثيرا من الكتب من مصر.

(٥٥) كتاب «علماء نجد»: ٤٤٣.

(٥٦) : «من أخبار الحجاز ونجد في تاريخ الجبرتي» ص ١٧٧ و ٢٢٤.

(٥٧) هو رحالة سويسري يدعى جون لويس برکهارت (JOHN LEWIS BURKHARDT) له رحلة إلى بلاد العرب مشهورة، لمخص قسم منها وعرب.

ووصفه ابن حميد صاحب «السحب الوابلة» بقوله: (باقعة الزمان ، ولسان ذلك الأوان، عجبا في الحفظ والاستحضار، داهية في مجادلات الملوك والأمراء).

ثم ذكر أنه تولى قضاء عنيزة فوصفه أهلها بكل جميل، وأنه كان فيصلا في أحكامه يميل إلى ما يرجحه الدليل، مما خالف المذهب، ولا يبالي بأحد.

وأن شيخ المنتفق ولاء قضاء سوق الشيوخ - في العراق - فتوفي هناك بعد الأربعين والمئتين والألف.

ولكن ابن حميد - ورحمة الله واسعة - ووصمه بما هو منه برى، فقد ذكر أنه بعد أن قتل الشيخ محمد بن علي بن غريب سنة ١٢٠٨ هـ، وكان الشيخ عبدالعزيز ربيبه - ابن زوجته بنت الإمام - ذكر أنه تأثر بذلك، ولكنه لم يستطع المجاهرة.

وهذا غير صحيح لأمر: منها أن الشيخ ابن حميد<sup>(٥٨)</sup> - والله يعفو عنه - كثيرا ما يلمق هذه التهمة بعلماء أبرياء، كالشيخ أحمد بن رشيد الحنبلي العفالقي وغيره، ولهذا لا يقبل قوله فيما يتعلق بالدعوة، لأنه من مناوئتها.

ومنها أن مواقف الشيخ عبدالعزيز في مؤازرة الدعوة - كما تدل على ذلك رسالته - «المسائل الشرعية إلى علماء الدرعية»<sup>(٥٩)</sup> بعكس ما ذكر ابن حميد.

ومنها أن القائمين بنشر الدعوة بلغت ثقتهم به من القوة إلى اختياره لسفارتين في عهدين: عهد الإمام سعود إلى صنعاء، وعهد الإمام عبدالله بن سعود إلى مصر، ولوحامت حوله أية شبهة، لما اختير لأداء المهمتين اللتين لا توكلان إلا لمن اتصف بسداد الرأي وأصالته، وإخلاصه لما يقوم به من عمل.

وتحملنى المناسبة بدون رغبة مني أن أتحدث عن الصهر الثاني للإمام على ابنته أم

(٥٨) صاحب «السحب الوابلة» وانظر قوله في مجلة «العرب» س ١٢ ص ٧٠٠ وما بعدها.

(٥٩) مطبوعة ضمن «مجموعة الرسائل والمسائل النجدية» ج ٤ ص ٥٨٤/٥٦٤ - مطبعة المسار بمصر سنة

١٣٤٩ هـ

الشيخ عبدالعزيز، وهو محمد بن علي بن غريب الذي قال عنه الشيخ عبدالله البسام<sup>(٦٠)</sup> بأنه من كبار علماء نجد وفقهائهم وعلى قدر مناصرته للدعوة السلفية وللذود عنها، فإنه من كبار تلاميذ الشيخ محمد وزميل لأبنائه.

والشيخ ابن بسام يعتمد فيما تقدم على ما جاء في كتاب «السحب الوايلة»<sup>(٦١)</sup> ومؤلفها - عفا الله عنه - من مناوئي الدعوة، ولهذا فقد وسم ابن غريب بالمصانعة، وأضاف: ورد على مخالفهم، وأجاب عن عدة أسئلة في عدة فتون أرسلت إليهم من بغداد بعد أن عجزوا عنها، فكان عندهم مقبولا معظما.

ويوضح الشيخ عبدالله البسام هذا بقوله<sup>(٦٢)</sup>: أن عبدالله الراوي - أحد علماء بغداد - بعث إلى علماء الدرعية بأسئلة في العقيدة، فأجابه المترجم إجابة طويلة، جاءت في كتاب طبع باسم «التوضيح عن توحيد الخلاق، في جواب أهل العراق» نسب للشيخ سليمان بن الشيخ محمد، وليس له وإنما هو لشيخه محمد بن غريب. ويعلل الشيخ عبدالله البسام وقوع الخطأ تعليلا معقولا.

وبعد أن ذكر من بين تلاميذ ابن غريب الشيخ سليمان بن الشيخ عبدالله - حفيد الإمام، والشيخ عبدالعزيز بن حمد ربيبه وسبط الإمام أيضا، والشيخ عبدالعزيز بن حمد ابن معمر - أورد خبر قتله، بما هذا نصه: وشي به بعض الغرباء المقيمين في الدرعية إلى الإمام عبدالعزيز بن محمد - بعد وفاة الشيخ محمد بن عبدالوهاب - بأن معتقد المترجم له في الدعوة خلاف ما يظهره منها. وكانت الدعوة في أول انتقالها من الجهاد باللسان والحجة إلى اسم دولة تجاهد وتكافح لتثبت هذا الحق وتؤيده، فقتل في الدرعية بسبب هذه الوشاية عام ١٢٠٩ - عفا الله عنهم أجمعين - انتهى كلام الشيخ عبدالله<sup>(٦٣)</sup> - وهو فيما يظهر - عول على ما جاء في كتاب «السحب الوايلة» الذي يتفق مؤلفه مع الشيخ في

(٦٠) : «علماء نجد خلال ستة قرون» ص ٩١٥.

(٦١) : «العرب» ص ١٢ ص ٧٠١.

(٦٢) : «علماء نجد».

(٦٣) علماء نجد: ٩١٦/٩١٧.

نهاية الشيخ ابن غريب، وإن اختلفا في تعليل تلك النهاية السيئة، ولاشك أن الحق بجانب الأستاذ الشيخ عبدالله البسام.

ويحار الباحث حين يجد مؤرخ تلك الحقبة من الزمن، وهو الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر (١٢١٠/١٢٩٠) يمر على تلك الحادثة بسرعة غريبة، إذ يكتفي حين يذكر حوادث سنة ١٢٠٨ بقوله<sup>(٦٤)</sup>: (وفي ربيع قتل محمد بن غريب في الدرعية صبوا، لأجل أمور قيلت عنه).

ويستشف من عبارة ابن بشر هذه (قيلت) أن الرجل ذهب ضحية وشاية - كما يرى الشيخ ابن بسام - وابن بشر يحدد الحادثة سنة ١٢٠٨ بينما في مطبوعة كتاب الشيخ ابن بسام ١٢٠٩، ولعل هذا تطبيع، فابن بشر حدد الشهر أيضا.

ومهما يكن الأمر - بالنسبة للشيخ ابن غريب، فقد قدم هو وخصومه على حكم عدل، وسعت رحمته كل شيء.

ولتكن الآية الكريمة (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) حُسْنَ الخِتَامِ.

النحل آية (٩٧)

(٦٤) : «عنوان المجد» ج ١ ص ١٣٣ طبعة وزارة المعارف سنة ١٣٩١هـ (١٩٧١م).

اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب  
على الكتاب والسنة



# اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

لمعالي الشيخ

عبد العزيز بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ

الرئيس العام لهيئات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

بالمملكة العربية السعودية





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل له. ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي في الذل. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله صلى الله وسلم عليه وعلى آله وسلم تسليما كثيرا:

وبعد: فقبل أن أبدأ الحديث عن الدعوة السلفية التي قامت في أواسط القرن الثاني عشر الهجرى بقيادة الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله فإنه لا بد من لمحة عامة عن حال الجزيرة العربية قبل هذه الدعوة السلفية، فقد شهد القرن الحادى عشر الهجرى والنصف الأول من القرن الثانى عشر تحولا فى المفهوم الإسلامى لحقيقة التوحيد وحقيقة الشرك بالله سبحانه وتعالى، فعبدت الأشجار والأحجار، وأقيمت الطقوس الخرافية والبدع المصطنعة، وشيدت القبور. وقدمت النذور لغير الله سبحانه وتعالى، ولغربة الإسلام وغلبة الطغام راجت فى المجتمع أشكال من البدع المحدثه التى ليست من الإسلام فى شىء، حتى فى منطلق الدعوة والرسالة مكة والمدينة اللتين شرفهما الله تعالى بنزول القرآن، ومبعث خاتم الرسل والأنبياء، وراج فى الناس الشعوذة والسحر وكان وراء ذلك كله علماء السوء الذين يحرفون الكلم عن مواضعه، ويروجون للعامة والدهماء الأحاديث الموضوعية المخالفة لصريح القرآن والثابت من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم. فى هذه الأجواء وفى هذا المجتمع الحالك بظلمة الضلالة والبدعة والفساد قام شيخ الإسلام المجدد محمد بن عبد الوهاب بدعوته، فحارب الشرك بالله مستعينا به، وأعلنها فى الملأ بأن دعاء غير الله من ملك أو نبي أو ولي شرك بالله تعالى، وأن من اتخذ بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويتوكل عليهم فإنه يكفر بإجماع المسلمين، دليله فى ذلك كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن تبعهم بإحسان، كما حارب كثيرا من المنكرات والمحرمات فى الشريعة الإسلامية من

تعاطى السحر والاعتقاد في الطيرة والأنواء والاعتقاد بأن من الأيام أيام نحس وشؤم وغير ذلك مما علق بأذهان الناس واعتقدوه أمرا مباحا، ولا زالت رواسيه في أذهان العوام في كثير من البلاد الإسلامية. ومن الأمور الأساسية التي ركزت عليها تلك الدعوة السلفية إقامة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على ما توجبه الشريعة.

ونادت الدعوة السلفية بوجوب الجهاد في سبيل الله، لتكون كلمة الله هي العليا ودينه هو الظاهر. ونادت الدعوة السلفية أيضا بتطبيق الشريعة الإسلامية في كل شئون الحياة، وأنه لا بد من أن تكون في الناس أمة تدعو إلى الخير وترشد إليه وتقلع المنكر من جذوره وتحذر منه وفق ما جاء به دين الله الذي ارتضاه لعباده.

### «الدعوة تنشط من عقالها»

بينما الجزيرة العربية منغمسة في تلك الأحوال المخالفة لهدى الإسلام ولصفاء نور العقيدة الخالصة من شوائب الشرك والبدع، إذا بصوت الداعي المصلح ينادى بالدعوة الى التوحيد ويندب نفسه للذود عن الدين وتخليصه من ايدي المشركين والمبتدعين، ولكن علماء «العيينة» وما جاورها أنكروا ما هو فيه وقاوموه أشد المقاومة، بعد ذلك ترك الشيخ العيينة راحلا إلى مكة بلد الله الحرام قاصدا الحج ليقضى حجه وليتزود من العلماء ما يمكنه أن يتزود به، فاجتمع بعلمائها وفقهائها، وبحث معهم حال المجتمعات الإسلامية وما هي فيه من جهل وضلال ومخالفة لصريح القرآن، وناقشوه وناقشهم، ثم انتقل الشيخ بعد ذلك إلى المدينة للصلاة في المسجد الشريف والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وحصل له زيارة علمائها والأخذ عنهم. ومنهم الشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف، والشيخ محمد حياة السندی. وقد أجازة الشيخان بمرورياتها، وعرض عليها دعوته واتفقا معه وشجعاه وحبذا فكرته. بعد ذلك عاد الشيخ محمد إلى نجد من المدينة مسرورا بما لقيه من العلماء. ثم إنه فكر في الذهاب الى البصرة ليلتقى بالعلماء ويدعو الناس الى تحقيق التوحيد وترك الشرك والبدع والمحرمات، فاستفاد من علمائها وأفادهم، ورأى الشيخ في العراق الوثنية قائمة والبدع والخرافات والشرك الأكبر، ورأى القبور مزدحة بالمبتدعين

وعليها المساجد والسرج، فجهر بالدعوة والنصيحة، وشدد عليهم حتى أن العامة أذوه وضربوه، ونهبوا ما معه من مال ومتاع وكتب، وأخرجوه من البصرة حافي القدمين. وفي الطريق إلى الزبير كاد أن يهلك لولا رحمة الله وعنايته، فقد وفق الله رجلا من أهل الزبير فأقبل عليه وساعده، وذهب به إلى الزبير، بعدها عاد إلى نجد من طريق الأحساء ونزل على الشيخ عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الأحسائي الشافعي. ثم خرج من الأحساء إلى حريملاء، وفي حريملاء نزل على والده وأخذ مرة أخرى يوضح للناس حقيقة التوحيد وينهى عن الشرك والبدع، وبعد أن توفي والده جهر بالدعوة في أسلوب موسع، وأنكروا عليه أشد الإنكار حتى أن الفساق منهم هموا بقتله إلا أن الله أنجاه.

### «التخطيط للدعوة الإصلاحية»

كان خير الشيخ رحمه الله قد ذاع وانتشر في البلاد النجدية، وبعد أن لاقى ما لاقى في حريملاء، قرر الرحيل إلى العيينة لعل الله أن يجعلها موطن الدعوة الإصلاحية (دعوة التوحيد) - رحل الشيخ إلى العيينة واستقبله أميرها وسكانها، وبعد بحث ومناقشة اتفقوا معه على الدعوة إلى تصحيح العقيدة الإسلامية، فما كان من الشيخ إلا أن أمر بهدم القبة المزعومة لزيد بن الخطاب رضى الله عنه، فهدمها بيده، وطبقت الحدود، ولم يمض على وجود الشيخ إلا زمن قصير حتى كان أهل العيينة أتباعا له على الحق من أميرهم إلى وليدهم. وكان للشيخ أتباع مؤيدون لدعوته فيما حول العيينة من البلاد. وما أن رأوا ما حصل في العيينة من أمر الدين حتى توجهوا إليها ونزلوا بها، ولكن ماذا جرى؟ لقد خشي أعداء الدين خطر هذه الدعوة التي تقضى أول ما تقضى على ظلمهم وبطشهم وعدوانهم، فأرسل أمير الأحساء إلى أمير العيينة يأمره بقتل الشيخ وإخراجه من العيينة وإلا فإننا سنقطع عنك الخراج الذي يأتيك منا. فخرج الشيخ من العيينة قاصدا الدرعية.

### «انتقال الشيخ إلى الدرعية»

توجه الشيخ إلى الدرعية ونزل عند وصوله إليها ضيفا لمحمد بن سويلم، وكان محمد

من اقتنع بدعوة الشيخ. وكان من أثر انتشار خبر الشيخ وذبوع دعوته أن سخط عليه الأمراء والحكام، وكان ابن سويلم يخاف على نفسه من أمير الدرعية ان علم بأن الشيخ عنده. وقد علم الأمير محمد بن سعود بوجود الشيخ بالدرعية بدار محمد بن سويلم، فهب الأمير للقاء الشيخ بعد أن نور الله بصيرته بالحق.

## «لقاء الشيخ بالأمير»

قام الأمير محمد بن سعود رحمه الله بزيارة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مرحبا به مؤيدا له، وكان من أول لقاء لهما أن قال الأمير «ياشيخ محمد أبشر بالعز والتمكين والمنعة. أبشر ببلاد خير من بلادك» فرد عليه الشيخ قائلا «وأنا أبشرك بالعز والتمكين وهذه كلمة «لا إله إلا الله» من تمسك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد وهي كلمة التوحيد وأول مادعت اليه الرسل من أولهم إلى آخرهم». فلما تحقق الأمير محمد معرفة التوحيد وتصفية العقيدة الإسلامية من شوائب الشرك والبدع وعلم ما لذلك من المصالح الدينية والدنيوية قال له: ياشيخ إن هذا دين الله ورسوله الذي لا شك فيه وأبشر بالنصرة لك ولما أمرت به والجهاد فيمن خالف دين الإسلام، ولكن أريد أن أشرط عليك اثنتين إذا قمنا في نصرتك والجهاد في سبيل الله وفتح الله لنا ولك البلدان نخاف أن ترهقنا وتستبدل بنا غيرنا.

والثانية. ان لي على أهل الدرعية «قانونا» أى ضريبة أخذه منهم في وقت الشمار، وأخاف أن تقول لا تأخذ منهم شيئا - فقال الشيخ: أما الأولى فابسط يدك الدم بالدم والهدم بالهدم. وأما الثانية فلعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك الله من الغنائم ما هو خير منها، ثم أن الأمير محمد بسط يده وبايع الشيخ على دين الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والجهاد في سبيل الله، وإقامة شرائع الإسلام، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فقام الشيخ ودخل معه البلد واستقر عنده - جاء ذلك في عنوان المجد في تاريخ نجد، وسأذكر على سبيل المثال لا الحصر بعض مغازي الشيخ والأمير وحروبهم. أصر

أمير الرياض دهام بن دواس على محاربة التوحيد، وناصب الإمام محمد بن سعود وهذه الدعوة السلفية العداء بوحشية وفظاظة واستكبار واستعلاء. وقد قام بن دواس بغارات على أهل منفوحة لمناصرتهم لدعوة الشيخ رحمه الله، فما كان من الإمام محمد بن سعود رحمه الله إلا أن سار إليه واقتحم أراضيه، ثم كان بعد ذلك عدة لقاءات بين جيش الإمام محمد بن سعود ووقعت حروب كثيرة، وتفاصيلها موجودة في الكتب انتهت بهرب ابن دواس الخائن في عهد الإمام عبدالعزيز بن محمد بعد أن شغل الدعوة سبعا وعشرين سنة بعناده وباطله وخياناته المستمرة، وكان من أعداء الدعوة أمير الأحساء ابن عريعر الذي ناصب الدعوة العداء.

سار هذا العدو الشرس بجيش يفوق الجيوش في وقته عددا وعدة، وحاصر الدرعية شهرا كاملا، ولكن قوة الإيمان والصبر والثبات كانت تفوق هذه القوى المادية، ونصر الله المؤمنين الموحدين أتباع الشيخ والإمام محمد بن سعود على عريعر. وقد كتب الله لدعوة الشيخ أن تنتشر في الجزيرة العربية في عهد الامام سعود بن عبدالعزيز، وقد كانت مدينة الدرعية بزمان الإمام سعود رحمه الله في ذروة العز والقوة والمنعة وكثرة الرجال والسلاح، وكانت مدينة زاخرة بالعلوم والعمران، يؤمها الطلاب من كل صوب، تخرج منها علماء أجلاء لهم مشاركة في التدريس والتأليف والقضاء والفتاء، وصدق الله اذ يقول «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور»، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لعبدالله بن العباس رضى الله عنهما، واعلم أن النصر مع الصبر وأن الفرج مع الكرب وأن مع العسر يسرا.

ولسائل أن يسأل - ماهى أسباب النصر الذى تم لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأنصاره الفر الميامين - ؟ إنه ولا شك عون الله لعبده، ثم بعد ذلك كونها دعوة حق اعتمدت على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم التى تفسر هذا الكتاب وتبينه وتدلل عليه. كتب الله لها النصر لتكون كلمة الله هى العليا ودينه هو الظاهر، وصدق الله إذ يقول «إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد».

«الكتاب والسنة هما الأصلان اللذان ترتكز عليهما الدعوة السلفية»

لسائل أن يسأل - ماهي حقيقة دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟

سؤال يجيب عليه الشيخ نفسه رحمه الله. رسالة أرسلها إلى أهل المغرب، أقتطف منها بعض ماورد قال الله تعالى :

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ »

(١٠٨ يوسف)

وقال تعالى:

« وَمَا أَتَكُرُّ الرَّسُولُ فِخْذُوهُ وَمَا نَهَكَرُ عَنْهُ فَانْتَهُوا... »

(٧ الحشر)

وقال تعالى :

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا... » الآية.

(٣ المائدة)

فأخبر سبحانه أنه أكمل الدين وأتمه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، وأمرنا بلزوم ما أنزل إلينا من ربنا، وترك البدع والتفرق والاختلاف.

فقال تعالى

« أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونَهُ ؕ أُولَٰئِكَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ »

(٣ الأعراف)

والرسول صلى الله عليه وسلم قد أخبر بأن أمته تأخذ مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر وذراعا بذراع، وأخبر أن أمته ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة، قالوا من هي يا رسول الله. قال: من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي..

إذا عرف هذا فمعلوم ما عمت به الباري من حوادث الأمور التي أعظمها الإشراف بالله والتوجه الى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات، وكذلك التقرب اليهم بالندور وذبح القربان، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد، الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله، وصرف شيء من أنواع العبادة كصرفها جميعها.. وأخبر تعالى أن من جعل بينه وبين الله وسائط يسألهم الشفاعة فقد عبدهم وأشرك بهم، وذلك أن الشفاعة كلها لله كما قال تعالى..

« قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا » فلا يشفع عنده أحد إلا بأذنه..

قال تعالى :

« مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ » .. الآية.

(٢٥٥ البقرة)

والرسول محمد صلى الله عليه وسلم لا يشفع إلا بإذن الله، لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر ساجدا فيحمده بحامد يعلمه إياها ثم يقال - ارفع رأسك وقل يسمع. وسل تعطى. واشفع تشفع. ثم يحذ لهم حدا فيدخلهم الجنة فكيف بغيره من الأنبياء والأولياء. وهذا الذي ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة وغيرهم ممن سلك سبيلهم ودرج على منهجهم. وقد حذر صلى الله عليه وسلم من حوادث الأمور. فقال صلى الله عليه وسلم: لا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين، وحتى تعبد فتنام من أمتى الأوثان، وهو صلى الله عليه وسلم حى جانب التوحيد أعظم حماية، وسد كل طريق يوصل إلى الشرك، فمنهى أن يخصص القبر أو يبنى عليه. ولهذا قال غير واحد من العلماء يجب هدم القبر المبنية على القبور لأنها أسست على معصية الرسول صلى الله عليه وسلم.

فهذا الذى أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، وهو الذى ندعو الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحججة من كتاب الله وسنة رسوله، وإجماع السلف الصالح من الأئمة، ممتثلين لقوله سبحانه وتعالى..



«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ»  
(البقرة ١٩٣)

وندعو الناس إلى إقام الصلاة في الجماعات على الوجه المشروع، وإيتاء الزكاة، وصيام شهر رمضان، وحج بيت الله الحرام، ونأمر بالمعروف ونهى عن المنكر:

«الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَاللَّهُ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ...»  
(الحج ٤١)

وله في رسالة أخرى.. أنقل منها بعض ما كتبه. الذى ندين الله به عبادة الله وحده لا شريك له، والكفر بعبادة غيره ومتابعة الرسول النبى الأسمى صلى الله عليه وسلم.. فأما العبادة فقال الله تعالى...

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» «وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ»  
(النحل ٣٦)

وأما متابعة الرسول فواجب على أمته متابعتة في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى :

«قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ...» (آل عمران)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد..» فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان الى يوم الدين. وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء.

وأما مذهبنا فهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة، ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها.

والمقصود بيان ما نحن عليه من الدين، وأنه عبادة الله وحده لا شريك فيها، وخلع جميع الشرك، ومتابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فيها، نخلع جميع البدع إلا بدعة لها أصل في الشرع، كجمع المصحف في كتاب واحد، وجمع عمر رضى الله عنه الصحابة على التراويح جماعة، وجمع ابن مسعود أصحابه على القصص كل خميس ونحو ذلك. فهذا حسن والله أعلم.

وإذا تأملنا تلك الرسائل الجليلتين خرجنا بصورة واضحة عن بعض أصول دعوة الشيخ المجدد رحمه الله تعالى، وأدركنا أنها تركز على كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإجماع المسلمين، ولما كانت طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم والرضا بشريعته ودينه منطلقاً للإيمان والعبادة، عقد الشيخ رحمه الله بابين في كتابه (التوحيد)، ووضح في كثير من رسائله هذا الأمر وما جاء فيه عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم..

ويقول الشيخ رحمه الله تعالى. باب من أطاع العلماء والأمرء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله. فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، والباب الآخر. قوله. باب قول الله تعالى « ألم ترالى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به.» الآيات.. ولنقتطف مما ذكر الشيخ آية من كل باب أو حديثاً ونوضحه.

أما الباب الأول .. فقد أورد الشيخ حديث عدى بن حاتم. أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية «اتخذوا أجبازهم ورهبانهم أرباباً من دون الله..» فقلت له إنا لسنا نعبدهم. قال. أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه. ويحلون ما حرم الله فتحلونونه.. فقلت: بلى.. قال فتلك عبادتهم. رواه أحمد والترمذى وحسنه.

وشواهد الحديث من الآيات كثيرة.. فتأمل هذا الحديث العظيم، تأمل قول عدى: إنا لسنا نعبدهم. ظاناً أن العبادة هى التقرب إليهم بسجود أو نذر أو ذبح. وتأمل قول الرسول صلى الله عليه وسلم: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه. ويحلون ما حرم الله فتحلونونه، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم فتلك عبادتهم..

ففى هذا صراحة ووضوح بأن العبادة هى الطاعة وهى الاتباع وهى التحكيم، فمن أطاع الله ورسوله لم يرض بما يخالفه من الأحكام من أى مصدر كانت، واتخاذهم أربابا يكون فى هذا النوع، فمن رضى حكما غير حكم الله وحكم رسوله وهو عالم بذلك معتقدا صحة هذا الحكم المخالف نسا وروحا لحكم الله، فذلك لاشك فى كفره.

قال شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية رحمه الله.. وهؤلاء الذين اتخذوا أربابهم ورهبانهم أربابا من دون الله حيث أطاعوهم فى تحليل ما حرم الله وعكسه يكونون على وجهين.. أحدهما. أنهم يعلمون أنهم بدلوا دين الله فيتبعونهم على التبديل، فيعتقدون تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله اتباعا لرؤسائهم مع علمهم أنهم خالفوا دين الرسل، وقد جعله الله ورسوله شركا وإن لم يكونوا يصلون لهم ويسجدون. الثانى. ان يكون اعتقادهم وإيمانهم بتحريم الحلال وتحريم المحرام ثابتا لكنهم اطاعوهم فى معصية الله، كما يفعل المسلم ما يفعله من المعاصى التى يعتقد أنها معاصى، فهؤلاء لهم حكم أمثالهم من أهل الذنوب. كما ثبت فى الصحيحين عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال: انما الطاعة فى المعروف. ثم نقول لهذا المحلل للحرام. المحرم للحلال. إن كان مجتهدا قصده اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم لكن خفى عليه الحق فى نفس الأمر. وقد اتقى الله ما استطاع، فهذا لا يؤاخذة الله بخطئه بل يشبهه على اجتهاده الذى أطاع به ربه، ولكن من علم أن هذا الخطأ مخالف لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم اتبعه وعدل عن قول الرسول صلى الله عليه وسلم، فله نصيب من الشرك الذى ذمه الله، لا سيما إن اتبعه فى ذلك لهواه ونصره باللسان واليد مع علمه أنه مخالف للرسول صلى الله عليه وسلم، فهذا شرك يستحق صاحبه العقوبة عليه.

وأما الباب الثانى.. فإليك رأس الباب. باب قول الله تعالى..

« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أَنزَلَ إِلَيْكَ وَمَا أَنزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يَرِيدُونَ أَن يُنْحَأَكُمُوا إِلَى الْطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ... »

(٦٠ النساء)

يقول الشيخ سليمان بن عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب. في شرحه لهذه الآية في كتاب تيسير العزيز الحميد..

لما كان التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله مشتقاً على الإيمان بالرسول مستلزماً له، وذلك هو الشهادتان. ولهذا جعلها النبي صلى الله عليه وسلم ركناً واحداً، نية في هذا الباب على ما تضمنه التوحيد واستلزمه من تحكيم الرسول صلى الله عليه وسلم في موارد النزاع، إذ هو مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله ولازمها الذي لا بد منه لكل مؤمن، فإن من عرف أن لا إله إلا الله فلا بد له من الانقياد لحكم الله والتسليم لأمره الذي جاء من عنده على يد رسوله محمد صلى الله عليه وسلم. فمن شهد أن لا إله إلا الله ثم عدل إلى تحكيم غير الرسول صلى الله عليه وسلم في موارد النزاع فقد كذب في شهادته.. انتهى..

وقد سبق تفصيل القول في كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. ويقول رحمه الله في موضع آخر.. ومن لوازم ذلك «أى الشهادتين» متابعتها وتحكيمه في موارد النزاع وترك التحاكم إلى غيره، كالمناقضين الذين يدعون الإيمان به ويتحاكمون إلى غيره، وبهذا يتحقق للعبد كمال التوحيد.. ومن قوله «يزعمون» نفى لما زعموه من الإيمان وقد أمروا «أن يكفروا به» أى بالطاغوت، وهو دليل على أن التحاكم إلى الطاغوت مناف للإيمان مضاد له، فلا يصح الإيمان إلا بالكفر به وترك التحاكم إليه. وقال. وفي الآية دليل على أن التحاكم إليه، به يكون العبد غير مؤمن بل ولا مسلم «يعنى التحاكم إلى الطاغوت». وأورد الشيخ في نفس الباب قوله تعالى «وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون» قال ابوالعالية في الآية.. يعنى لا تعصوا في الأرض، وكان فسادهم ذلك هو معصية الله، لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية الله فقد أفسد في الأرض لأن صلاح الأرض والساء بالطاعة. وأخيراً أورد الشيخ سبب نزول آية النساء «الم تر إلى الذين يزعمون... الآية فقال... وقيل نزلت في رجلين اختصما وقال أحدهما نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم. وقال الآخر.. إلى كعب بن الأشرف. ثم ترافعا إلى عمر رضى الله عنه. فذكر له أحدهما القصة. فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم، أكذلك. قال نعم. فضربه بالسيف فقتله. ويحسن بنا أن نذكر في هذا الباب الرد على

القانونيين الذين يحكمون الطاغوت المسمى «بالقانون» وأنقل ما كتبه والدى وشيخي ساحة الشيخ محمد بن ابراهيم رحمه الله.. قال رحمه الله: إن من الكفر الأكبر المستبين تنزيل القانون اللعين منزلة ما نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم ليكون من المنذرين بلسان عربى مبين فى الحكم به بين العالمين، والرد اليه عند تنازع المتنازعين، مناقضة ومعاندة لقول الله عز وجل، «فإن تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر. ذلك خير وأحسن تأويلاً...» وقد نفى الله سبحانه وتعالى الإيمان عن من لم يحكم النبى صلى الله عليه وسلم فيما شجر بينهم نفيًا مؤكداً بتكرار أداة النفي وبالقسم.. قال تعالى «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسلياً» وقال فى موضع آخر. وقد نفى الله الإيمان عن من أراد التحاكم الى غير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم من المنافقين.. كما قال تعالى «ألم تر الى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا الى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً» فإن قوله يزعمون تكذيب لهم فيما ادعوه من الإيمان، فإنه لا يجتمع إيمان مع تحاكم الى غير ما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم من الإيمان فى قلب عبد أصلاً بل أحدهما ينأى الآخر. والطاغوت مشتق من الطغيان؛ وهو مجاوزة الحد. فكل من حكم بغير ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم فقد حكم بالطاغوت وحاكم إليه، وذلك أنه من حق كل أحد أن يكون حاكماً بما جاء به النبى صلى الله عليه وسلم، فمن حكم بخلافه أو حاكم الى خلافه فقد طغى وجاوز حده حكماً أو تحكماً، فصار بذلك طاغوتاً لتجاوز حده.

وقال عليه رحمة الله ورضوانه «وتأمل قوله عز وجل «وقد أمروا أن يكفروا به» تعرف منه معاندة القانونيين وإرادتهم خلاف مراد الله منهم حول هذا الصدد، فالمراد منهم شرعاً هو الذى تعبدوا به وهو الكفر بالطاغوت لا تحكيمه. «فبذل الذين ظلموا قولاً غير الذى قيل لهم» ثم تأمل قوله تعالى «ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً» كيف دل على أن ذلك ضلال. وهؤلاء القانونيون يرونه من الهدى، وقد دلت الآية على أنه من إرادة الشيطان عكس ما يتصوره القانونيون، فتكون على زعمهم مرادات الشيطان هى

صلاح الإنسان ومراد الرحمن وما بعث به سيد ولد عدنان معزولا من هذا الوصف ومنحى عن هذا الشأن..

وقد قال الله تعالى منكرا على هذا الصنف من الناس ومقررا ابتغاءهم أحكام الجاهلية، وموضحا أنه لا حكم أحسن من حكمه «أفحكم الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون»- فتأمل هذه الآية الكريمة وكيف دلت على أن قسمة الحكم ثنائية وأنه ليس بعد حكم الله تعالى إلا حكم الجاهلية الموضح أن القانونيين في زمرة أهل الجاهلية؛ لا تناقض لديهم حول هذا الصدد.. وأما القانونيون. فمتناقضون حيث يزعمون الإيمان بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وينافقون ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا. وقد قال الله في أمثال هؤلاء . «أولئك هم الكافرون حقا وأعدنا للكافرين عذابا مهينا» ثم انظر كيف ردت هذه الآية الكريمة على القانونيين ما زعموه من حسن زبالة أذهانهم ونحاة أفكارهم بقوله عز وجل «ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون»، قال الحافظ ابن كثير في تفسير هذه الآية: ينكر الله تعالى على من خرج من حكم الله المحكم المشتمل على كل خير، الناهى عن كل شر، وعدل الى ما سواه في الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من أهل الضلالات والجهالات، مما يصنعونه بأرائهم وأهوائهم، وكما يحكم به التتار في السياسات الملكية التي يقدمونها على الحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم سواه في قليل ولا كثير. قال تعالى «أفحكم الجاهلية يبغون»، وعن حكم الجاهلية يعدلون؛ «ومن أحسن من الله حكما لقوم يوقنون» أى: ومن أعدل من الله في حكمه لمن عقل عن الله شرعه وأمن به وأيقن وعلم أن الله أحكم الحاكمين وأرحم من الوالدة بولدها، فإنه تعالى العالم بكل شئ، القادر على كل شئ، العادل في كل شئ. قال تعالى «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون»، وقال «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون»، «ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون». فانظر كيف سجل الله تعالى على الحاكمين بغير ما أنزل الله بالكفر والظلم والفسق، ومن الممتنع أن يسمى الله سبحانه الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ولا يكون كافرا بل هو كافر مطلقا، إما كفر عمل وإما كفر اعتقاد - وما جاء عن ابن عباس في تفسير هذه الآية، يدل على أن الحاكم بغير

ما أنزل الله كافر إما كفر اعتقاد ناقل عن الملة ، وإما كفر عمل لا ينقل عن الملة. وقال: وهذه المحاكم الآن في كثير من أمصار الإسلام مهياً مفتوحة الأبواب، والناس إليها أسراب اثر أسراب، يحكم حكامها بينهم بما يخالف حكم الكتاب والسنة من أحكام ذلك القانون، وتلزمهم به وتحثهم عليه - فأى كفر فوق هذا الكفر وأى مناقضة للشهادة بأن محمدا رسول الله بعد هذه المناقضة. نسأل الله العصمة من جميع المعاصي وأن يشبثنا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة..هـ.

وقد وقف الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتلامذته من بعده في صدق إيمان ونور بصيرة وثبات على الحق، وموقف إمامهم شيخ الإسلام ابن تيمية، وعلماء المسلمين أهل السنة والجماعة من النصارى واليهود والملحدين والمبتدعة والزنادقة والجهمية والمعطلة والمقلدين المتعصبين وعباد الموتى وقفة المجاهدين الناصحين لله ولرسوله ولدينه، وأتاهم الله من قوة اليقين وشجاعة الجنان ووضوح الحجة ما أخرس خصومهم وقطع أسنتهم، وفي ذلك الجو وما فسر من لهم مصالح في انحراف الناس عن حقيقة التوحيد كما هي العادة، مضوا في محاربة الشيخ وإيداعه، ولكنهم لم يصلوا الى حجته ولا الى قلبه ولسانه ولا الى هديه وبيانه هدى القرآن وبيان القرآن وسنة رسول الهللى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم، فدعى الى الله والى متابعة رسوله صلى الله عليه وسلم. فأشعل منار العرفان وأضاء مصابيح السنة، ففتح الله بدعوته قلوبا غلغا، وأعيننا عميا، وأذانا صما، ونفع الله بكتبه ورسائله على بصيرة من نور الله وشرعه، شأنه في ذلك شأن المصلحين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، كما حصل قبله للإمام ابن تيمية في سبيل تحقيق التوحيد وتصحيح العقيدة والدود عن حوزة الإسلام، حين نادى بها حربا شعواء، فقد جهر برأيه في صراحة تامة لا غموض فيها، سنده وحجته كتاب الله والسنة المطهرة. ثم خلفه تلميذه ابن القيم، فحمل الراية وأعلنها حروبا على الفرق الضالة من المعتزلة والجهمية والمعطلة داعيا الى عقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين ومن سلك سبيلهم من فقهاء الأمة ومحدثيها .. ولقد كان مسلك ابن القيم رحمه الله في التصوف مسلك المصلح العارف بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومن قرأ كتابه القيم «مدارج السالكين» شرح كتاب «منازل الساترين» للإمام الهروى، وعرف التصوف البرى من كل دجل

وضلالة، وأن ما يدعيه أصحاب الفرق الضالة والطرق الصوفية ما هو الا جاهلية  
وضلالة ينبغي محاربتها وكشف زيفها وضلالها. وقد كان موقف الشيخ محمد بن  
عبد الوهاب ومسلكه في التصوف هو موقف ومسلك ابن القيم رحمه الله. كما ان موقف  
الشيخ محمد رحمه الله من التقليد الأعمى هو موقف الإبطال والرفض، لأن العلم هو  
المعرفة الحاصلة عن دليل والتقليد ليس بدليل وبالتالي ليس علما..

---





## «خاتمة»

لقد ظلت دعوة الشيخ المجدد رحمه الله صورة حية في حياة سكان الجزيرة العربية وغيرهم من كثير من سكان آسيا وأفريقيا، كما كان كفاحه ونضاله في سبيل تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله والعمل على توحيد الجزيرة العربية في كيان واحد يلم شعنها. فقد كانت الجزيرة العربية قبل دعوة هذا الإمام المصلح مجزأة في إمارات صغيرة مختلفة متناحرة، يأكل قويهم ضعيفهم، ويستبيح ماله وعرضه، مجتمعاً تسوده الجاهلية الجهلاء والضلالة العمياء، فعبدت الأشجار، والأحجار، والغيران، والأموات من دون الله. كانت المرأة في ذلك الزمن تأتي الى فحل النخل وتحتضنه قائلة: «يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحلول». وقد ذكرت كتب التاريخ اشجارا وأحجارا وغيرانا يرتادها الجهلة من الناس من غير نكير. فبلغت درجة من التخلف عظيمة. كانت تلك الإمارات وكانت القبائل فئات متناحرة تتصرف بعقلية متعفنة وبعادات جاهلية، فجاهد الشيخ والإمام محمد بن سعود ومن بعده من أمراء الدولة السعودية الأولى في سبيل تصحيح العقيدة ومحاربة ما ورثه الأبناء عن الآباء من مخالفة كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، حتى عاد للجزيرة العربية وجهها المشرق، وكان لها وضع مدهل، وذلك بفضل قوة الإسلام وحمايته من قبل الحكم العادل..

«هما السيف والقرآن قد حكما معا . . فلم يتركوا زيفا ولم يتركوا خرفا».

كان الشيخ بجانبه الإمام المسلم الذي أشرب قلبه بلبان التوحيد رائدى منهج وخطة عمل، فهما أخذوا على عاتقهما إصلاح المجتمع الجاهلي عقيدة وسلوكا وأمرا بالمعروف ونهيا عن المنكر. والله المستول أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يهدينا سواء السبيل. وأن يفرس لهذا الدين من كل خلف عدوله، ينفون عنه تحريف الغالين وانتهاك المبطلين - وأخر دعوانا أن - الحمد لله رب العالمين.



# اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

لفضيلة الشيخ  
مناع القطان

مدير إدارة الدراسات العليا

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله..  
يجدر بنا في مستهل هذا البحث أن نقدم له بكلمة نتعرف منها على ملامح هذه الشخصية الفذة والعوامل التي أثرت فيها.

### بيئته وعصره:

للبيئة - طبيعية كانت أو اجتماعية - أثرها في تكوين شخصية الإنسان، فإن مقومات الشخصية تعتمد على الصفات الجسمية والعقلية والخلقية، وهذه الصفات منها ما يكون وراثيا، ومنها ما يكون مكتسبا، وهذه وتلك تتأثر تأثرا مباشرا ببيئة الإنسان، والبيئة الاجتماعية بما يسودها من أعراف وعادات وتقاليد هي التي توجه الشخصية الى السلوك الاجتماعي الذي يلائمها إيجابا أو سلبا.

والداعية المصلح هو الذي يتفاعل مع بيئته تفاعلا واعيا يتحسس به نفسيات الناس وسجاياهم وعقائدهم وأخلاقهم، وتصوراتهم للحياة ومفاهيمهم عنها، ويدرك عوامل الخير فينميها وعوامل الشر فيعالجها بالحكمة.

إنه يعيش بمشاعرهم وأحاسيسهم، ويقف منهم موقف الغطاس الماهر يفحص موطن الداء، ويصف الدواء، ويرى حياته مرهونة بإنقاذهم من براثن الشرك والضلال،

وهدايتهم الى صراط الله المستقيم، وقد وصف الله نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله:

(فَلَعَلَّكَ بَخِيعٌ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا) (١)

ولا يستطيع الداعية أن يصل إلى نفوس قومه ويملك مشاعرهم الا اذا كان تفاعله معهم صادقا، يقرب منهم ليقربوا منه، ويحبهم ليجبوه، ويخالطهم ليألفوه.. ويخالطهم بلغتهم فيما يمس حياتهم ويتصل بصميم بيتهم ليستمعوا له، وهذا هو ما جاء في قوله تعالى:

(وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ) (٢)

فالتعبير باللسان ليس قاصرا على اللغة، ولكنه رمز للتجانس بين الداعية وقومه لغة وبيئة، بما تتضمنه البيئة من عادات وتقاليد.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب تمثلت فيه هذه المعاني جميعا، ومن خلال بيئته نتعرف على معالم شخصيته والجوانب التي كان لها أثرها في دعوته.

### بيئة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

الجزيرة العربية على سطح الكرة الأرضية تمثل شبه قارة وان كانت جزء من قارة لتراعى أطرافها، وسعة أبعادها، واختلاف أجزائها، وكثرة مرتفعاتها ووديانها، وتمثل المنطقة الوسطى منها الجزء الأكبر الذي يرتفع كثيرا عن سطح البحر، وهو الذي يطلق عليه اسم «نجد» أي الأرض المرتفعة، ويحد هذا القسم شمالا بجبل شمر، وجنوبا بالربع الخالي، وشرقا بالدهناء، وغربا بالحجاز، وتخترقه من الشمال الى الجنوب سلسلة جبال العارض بشعبها التي تتخللها، وتحيط بها أودية زراعية خصبة، والقسم الجنوبي منها هو الذي يسمى بالعارض، ويتوسطه وادي حنيقة المعروف بخصوبته وكثرة مائه، وأشهر بلدانه التي شهدت جوانب حياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هي: «حريملاء» و«العيينة»

(١) سورة الكهف آية ٦

(٢) سورة ابراهيم آية ٤

و (الدرعية)، وكانت تلك الجهات تعرف قديما باليامة وإن كان اسم اليامة اليوم يطلق على جزء صغير منها.

وطبيعة الجزيرة العربية تملى على سكانها صفاتهم النفسية والسلوكية، فهى بلاد وعرة المسالك كثيرة الوهاد والنجاد، يعتمد معظم أهلها فى حياتهم على ما يعتمد عليه أهل البادية ، من رعى الماشية ، والانتجاع طلبا للكلا والعشب، وقد أورثهم ذلك خشونة النفس، وقسوة القلب، وغلظة الطبع، وتحررا من القيود والضوابط، وعصبية للقوم، واعتزازا بالعشير، وإزاء هذا كله فقد ورثوا كثيرا من المحامد التى تستدعيها حياة البادية من شجاعة وإقدام ووفاء ونجدة وجود وكرم.

والأنفة التى جبل عليها الأعرابى تأنف من الخضوع والانقياد. فهو يعتز بنفسه اعتزازا بالغا، ولا يسلس قيادة الإنسان بسهولة، وما عرف عن النظام القبلى فى رئاسة شيخ القبيلة كان فى نطاق محدود يرتبط بالحماية وحماية الذمار ودفع العار مع ما كان بين القبائل بعضها مع بعض من حروب طاحنة، تأكل الأخضر واليابس، يثير العصبية العمياء لأنفة الأسباب.

وإنما تلين عريكة العرب اذا كانت السلطة للدين حيث لا يشعر أحدهم حينئذ أنه يخضع لإنسان، إنما يخضع لله، وقد عبر ابن خلدون عن هذا المعنى بقوله «الفصل السابع والعشرون» فى أن العرب لا يحصل لهم الملك الا بصيغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة، والسبب فى ذلك أنهم لخلق التوحش الذى فيهم أصعب الأمم انقيادا بعضهم لبعض ، للغلظ والأنفة وبعد الهمة والمنافسة فى الرئاسة، فقلما تجتمع أهواؤهم، فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم، وذهب خلق الكبير والمنافسة منهم ، فسهل انقيادهم واجتماعهم وذلك بما يشملهم من الدين المذهب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس، فإذا كان فيهم النبى أو الولى، الذى يبعثهم على القيام بأمر الله، يذهب عنهم مذمومات الأخلاق، ويأخذهم ، ويؤلف كلمتهم لإظهار الحق ثم اجتماعهم ، وحصل لهم التغلب والملك، وهم مع ذلك أسرع الناس قبولا للحق والهدى لسلامة طباعهم من عوج الملكات، وبراءتها من ذميم الأخلاق الا ما كان من



خلق التوحش القريب المعاناة المنتهى لقبول الخير ببقائه على الفطرة الاولى وبعده عما ينطبع في النفوس من قبيح العوائد وسوء الملكات، فإن كل مولود يولد على الفطرة كما ورد في الحديث»<sup>(٣)</sup>.

ولنجد بعامة، واليامة بخاصة، تاريخها في الإسلام الذي امتد عبر القرون في فترات متلاحقة تأثرت بالأحداث التي أحاطت بأمة الإسلام.

لقد استقر المقام لعشيرة من قبيلة «غزة» في اليامة، حيث النخيل والأشجار، ووفد عليهم من أبناء عموماتهم من بنى حنيفة من بكر ابن وائل جماعة، فسكنوا معهم، واختلطوا بهم، وتغلبوا على البلاد، وألت زعامة اليامة وما حولها عندما بزغ فجر الاسلام الى هوزة بن على الحنفى، وثمامة بن أثال الحنفى، وحين بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم من أصحابه وكتب معهم كتباً الى الملك يدعوهم فيها الى الإسلام، بعث شليط بن عمرو أحد بنى عامر بن نوى الى ثمامة بن أثال وهوزة بن على الحنفين ملكى اليامة<sup>(٤)</sup>.

ثم توفى هوزة دون أن يسلم، أما ثمامة فقد وقع في أسر سرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم في قصة مشهورة<sup>(٥)</sup>.

وفي عام الوفود قدم وفد بنى حنيفة وأسلم، ولكن سرعان ما ارتد عدو الله مسيلمة ابن حبيب الحنفى وتنبأ، وجعل يسجع لهم الأساجيع، ويقول لهم كلاماً مضاهة للقرآن.

فلما كان عهد أبى بكر الصديق رضى الله عنه، أعد الجيوش وعقد الألوية لقتال المرتدين، وكانت المعركة الفاصلة بقيادة خالد بن الوليد فى حديقة لمسيلمة لقي فيها حتفه، وسميت حديقة الموت لكثرة قتلاها.

استتب الأمر للإسلام، وأخذ الفتح الإسلامى يبسط نفوذه فى عهد الخلفاء الراشدين، وأسهمت قبائل نجد - بما عرف عنها من صرامة وقوة - فى هذا الفتح، ولم يكن هناك ما

(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٥١ ط مصطفى محمد.

(٤) انظر السيرة النبوية لابن هشام ج ٤ ص ٢٢٣، ٢٤٧ - ٢٥٤ ط مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر.

(٥) المصدر السابق ص ٢٨٧ ج ٤.

يدعو الى تولية ولاية على أقاليم الجزيرة العربية حتى كان عهد بنى أمية الذين اتخذوا الشام عاصمة لهم، فأوفدوا ولاتهم الى المدينة ، والطائف وأليامة والبحرين ، وظل الأمر هكذا في عهد الخلافة العباسية سوى أن بنى العباس أولوا اهتمامهم بالحجاز واليامة والبحرين، فلما ضعف شأن الدولة وفقدت سيطرتها على أطرافها نشبت الثورات الانفصالية في أنحاء شتى ، ونال الجزيرة العربية من ذلك ما نالها، فاستقل باليامة محمد ابن يوسف بن ابراهيم من سلالة الحسن بن على بن أبى طالب، واستمرت إمارتها في عقبه زهاء سبعين عاما ، حتى هاجم القرامطة اليامة سنة ٣١٧هـ وتغلبوا عليها .

ولم يبق في اليامة بعد ذلك دولة ذات شأن، بل استقل كل أمير في نجد بإمارته، وبلغ الأمر ذروته في القرن الثانى عشر الهجرى، حيث تعددت الإمارات، فكانت الامارة في العيينة لآل معمر، وفي الدرعية لآل سعود، وفي الرياض لآل دواس، وفي الأحساء لبنى خالد، وفي نجران لآل هزال، وفي حائل لآل على، وفي القصيم لآل حجيلان، الى غير ذلك من الإمارات.

وبين هذه الإمارات المتعددة من الشحاء والبغضاء والتناحر والتنافر ما يحول دون استقرار البلاد والشعور بالأمن والانصراف للكسب والمعيشة.

ولم تكن الحالة الدينية في نجد أحسن من تلك الحالة السياسية، فإن انقطاع الصلة بينها وبين الخلافة والدولة وما نجم عن ذلك من استقلال إماراتها وانقسام قبائلها، جعل حياتها الدينية مضطربة منحرفة، وعرض العقيدة الاسلامية في نفوس أبنائها الى شوائب البدع والخرافات ، حتى كثر الشرك بالله، وشاعت الاعتقادات الجاهلية واشتدت الحالة في القرن الثانى عشر الهجرى، واعتقد الناس في الجن والأحجار والأشجار والقبور، ولم يكن هناك من العلماء من يقوم بواجب الدعوة الى الله وتبصير الناس بما هم عليه من الشرك والخرافات والأباطيل حيث غلب الهوى واستحوذ على العقول الضلال، واستسلم أمام موجة الجهل عامة الناس وخاصتهم، ما بين مخدوع مضلل ومستضعف مستكين.

وحين تعظم الطامة وتدلم الخطوب، تسأم النفوس الحياة وتمل الفساد والجور وتتطلع الى ساعة الخلاص التى تنقذها من براثن الشرك، وتنشلها من حمأة الرذيلة، وتأخذ بيدها الى

الصراط المستقيم، وترفع عن كاهلها أوزار الجهالة، وتحطم قيود العبودية وأغلال الاستبداد.

وبين تلك الحياة القائمة التي كانت تعيشها نجد سياسيا ودينيا ، ومض في الأفق بريق الأمل، وأراد الله تعالى أن يزيح الغمة، ويعيد للأمة صفاء عقيدتها ، ويخلصها من أضرار الشرك والجهالة ، ويبدد غيوم اليأس والقنوط، فارتفع صوت يردد كلمة التوحيد التي بعث بها الرسل (لا اله الا الله) بروح الإيمان الصادق ويحيى في النفوس العقيدة الخالصة ، ويمسح عنها أدران الوثنية والجاهلية ويدعوها إلى نبذ البدع والخرافات، ويستقى لها من نبع الإسلام الصافي ومورده العذب في القرآن والسنة، وما كان عليه سلف هذه الأمة.

كان هذا الصوت صوت الشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي النجدي الذي تجاوبت أصداؤه في ربوع نجد، وفي جزيرة العرب وفي ديار الإسلام كافة، ووجد ما يدعمه من قوة السلطان في الأمير محمد بن سعود، فكان ذلك إيذانا بفجر جديد ينشر ضوءه في جوانب العالم الإسلامي، إعلاء لكلمة الله وتمكيناً لشرعية الإسلام.

### اعتماد دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على القرآن والسنة:

لقد كثرت الأقاويل في دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وافترى عليه نفر من الناس، وخاضوا في الحديث عنه على غير علم، وكأنه كان بدعا في تاريخ المصلحين أتى لهم بمذهب جديد، والحق أن دعوته كسائر دعوات الإصلاح الإسلامي الرشيدة المهتدية ، نهجها الاتباع لا الابتداع، ترد الناس الى الشريعة الإسلامية في مصدرها الأساسيين : القرآن والسنة

والقرآن: هو كلام الله الذي أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم، ونقل إلينا تواترا لنتعبد بتلاوته وأحكامه، وكان آية دالة على صدقه فيما ادعاه من الرسالة، وهو أساس الدين، ومصدر التشريع، وحجة الله البالغة في كل عصر ومصر، بلغه رسول الله لأمة امتثالا لأمر ربه

يَأْتِيهَا الرُّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ <sup>ط</sup> وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ (٦)

واحتوى على الأمر الإلهي الصريح بوجوب اتباعه والعمل بما تضمنه من الأحكام في غير موضع بأساليب شتى، قال تعالى:

(اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) <sup>ع</sup> (٧)

وقال عز وجل:

(وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ <sup>ط</sup> فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ) (٨)

وتلقاه الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلاوة له وحفظا ودراسة لمعانيه، وعملا بما فيه، واستمر حفظ المسلمين للقرآن في كل عصر، وتوارث الأمة نقله بالكتابة على مر الدهور جيلا بعد جيل، من غير تحريف أو تبديل وذلك مصداق قوله تعالى:

(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ) (٩)

وقد اشتمل القرآن الكريم على أصول الشريعة وقواعدها في الحلال والحرام، وجاءت أكثر أحكامه مجملة، تشير الى مقاصد الشريعة، وتضع بيد الأئمة والمجتهدين المصباح الذى يستنبطون في ضوئه أحكام جزئيات الحوادث في كل زمان ومكان، وهذا سر خلود الشريعة وشمول قواعدها الكلية ومقاصدها العامة لما يحدث في الناس من أقطيات.

(٦) الآية ٦٧ من سورة المائدة

(٧) الآية ٣ من سورة الاعراف

(٨) الآية ٤٨ من سورة المائدة

(٩) الآية ٩ من سورة الحجر

وإنما فصل القرآن ما لا بد فيه من التفصيل الذي يجب أن يسمو عن مواطن الخلاف والجدل ، كما في العقائد وأصول العبادات، أو لأنه يبنى على أسباب لا تختلف ولا تتغير بتغير الأزمنة والأمكنة، وذلك كما في تشريع المواريث، ومحرمات النكاح، وعقوبة بعض الجرائم.

والسنة: في اصطلاح المحدثين: ما أثر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل .. أو تقرير.. أو صفة خلقية أو خلقية أو سيرة، فهي مرادفة للحديث.  
وفي اصطلاح الأصوليين : ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير.

وفي اصطلاح الفقهاء : ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم من غير افتراض ولا وجوب، فهي حكم من الأحكام التكليفية الخمسة.

وقد تطلق السنة على ما دل عليه دليل شرعى ، ويقابل ذلك البدعة. والسنة هي المصدر الثانى الأصيل فى التشريع الإسلامى، وقد بين الإمام الشافعى فى الرسالة أنه لن تنزل بأحد من أهل دين الله نازلة الا وفى كتاب الله الدليل على سبيل الهدى فيها، قال تعالى :

( كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ )<sup>(١٠)</sup>  
وقسم الأحكام الى أقسام.

- ١ - ما أبانه الله لخلق نسا كجمل فرائضه من الصلاة والزكاة والصيام والحج، وتحريم الفواحش ماظهر منها وما بطن، وتحريم الزنا والخمر وأكل الميتة ولحم الخنزير.
- ٢ - وما جاء حكمه فى القرآن مجملا، وبينه الرسول صلى الله عليه وسلم بسنته القولية والعملية، كتفصيل مواقيت الصلاة وعدد ركعاتها وسائر أحكامها، وبيان مقادير الزكاة وأوقاتها والأموال التى تزكى ، وبيان أحكام الصوم ومناسك الحج، والذبايح

(١٠) الآية ١ من سورة ابراهيم

والصيد وما يؤكل وما لا يؤكل، وتفاصيل الأنكحة والبيوع والجنائيات وغير ذلك مما دفع مجملا في القرآن، وهو الذى يدخل في الآية الكريمة:

(وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ) (١١)

٣ - وما سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم مما ليس فيه نص حكم بالقرآن حيث فرض الله في كتابه طاعة رسوله والانتهاه الى حكمه:

(وَاطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ)

فمن قبل هذه السنة امثل أمر الله. (١٢)

وقد أمرنا الله تعالى بطاعته وطاعة رسوله في قوله عز وجل:

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اطِيعُوا اللَّهَ وَاطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا) (١٣)

وتكرار الأمر بالطاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم يدل على أن طاعة الرسول تجب استقلالا من غير عرض ما أمر به على الكتاب، بل إذا أمر وجبت طاعته مطلقا، سواء كان ما أمر به في الكتاب أو لم يكن فيه فإنه أوتى الكتاب ومثله معه، ولم يأمر الله بطاعة أولى الأمر استقلالا حيث لم يتكرر معهم الأمر بالطاعة، فجعل طاعتهم ضمن طاعة الرسول إيذانا بأنهم يطاعون تبعا لطاعة الرسول، فمن أمر منهم بما جاء عن الرسول وجبت طاعته، ومن أمر بخلاف ذلك فلا سمع له ولا طاعة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) (١٤) وقال: إنما الطاعة في المعروف (١٥).

(١١) الآية ٤٤ من سورة النحل

(١٢) انظر الرسالة ص ٨٥ - ٩٢ بتحقيق أحمد شاكر ط الحلبى

(١٣) الآية ٥٩ من سورة النساء

(١٤) رواد أحمد والحاكم.

(١٥) رواد أحمد والبيهقى

وقد تضمنت الآية احتمال التنازع بين المؤمنين في بعض الأحكام - وأوجبت الرد عند التنازع إلى الله والرسول، والرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، والرد إلى الرسول صلى الله عليه وسلم هو الرد إليه نفسه في حياته، وإلى سنته بعد وفاته، والأمر بالرد عند التنازع إلى الكتاب والسنة يدل على أنها يشتملان على حكم كل شيء، لأن قوله: (فإن تنازعتم في شيء) نكرة في سياق الشرط وسياق الشرط كسياق النفي، فهي تعم كل ما تنازع فيه المؤمنون من مسائل الدين ولولم يكن ما في كتاب الله وسنة رسوله كافياً لبيان حكم ما تنازعوا فيه لما أمروا بالرد إليه، وهذا يجعل مرد الحلال والحرام إلى الله والرسول<sup>(١٦)</sup>

هذا وإن الشيخ محمد بن عبد الوهاب قد نحا هذا المنحى الأصيل في دعوته بكل جانب من الجوانب التي تناوها.

### أولاً : تأكيد على الرجوع الى الكتاب والسنة:

أكد الشيخ رحمه الله في غير موضع من رسائله وفتاواه وكتبه ضرورة الرجوع الى الكتاب والسنة.

فقد أجاب الشيخ محمد بن مانع عن مسائل سأل عنها بقوله: «.... وأما المسائل التي ذكرت فاعلم أولاً أن الحق إذا لاح واتضح لم يضره كثرة المخالف ولا قلة الموافق، وقد عرفت بعض غربة التوحيد الذي هو أوضح من الصلاة والصوم ولم يضره ذلك فإذا فهت قوله تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ )<sup>(١٧)</sup>

(١٦) انظر كتابنا: التشريع والفقہ في الاسلام تاريخاً ومنهجاً ص ١١٩ - ١٢٠ وانظر أعلام الموقعين لابن القيم

ص ٤٨ - ٥٠ بتحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ط مصطفى محمد.

(١٧) الآية ٥٩ من سورة النساء.

وتحققت أن هذا حتم على المؤمنين كلهم فاعلم أن مسألة الأوقاف فيها النزاع معروف في كتب المختصرات، وذكر في شرح «الإقناع» في أول الوقف أنهم اتفقوا على صحة وقف المساجد، والقناطر، يعنى بقعها لا الوقف عليها، واختلفوا فيما سوى ذلك، إذا تبين هذا فأنت تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» وفي لفظ الصحيح «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» ونقطع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يأمرنا بهذا ، ولو أمر به لكان الصحابة أسبق الناس إليه، وأحرصهم عليه<sup>(١٨)</sup>.

وكان الشيخ حنبلي المذهب في دراسته، ولكنه لا يلتزم مذهب الإمام أحمد في فتاواه إذا ترجح لديه ما يخالفه فيما صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب اليه الشيخ عبدالعزيز الحصين يسأله عن مسائل «المسألة الأولى»... العروض، هل تجزى في الزكاة اذا أخرجت بقيمتها؟ فأجاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب بقوله:

أما المسألة الأولى ففيها روايتان عن أحمد، إحداهما المنع لقوله:

«في كل أربعين شاة شاة، وفي مائتي درهم خمسة دراهم» وأشباهه، والثانية يجوز، قال أبو داود: سئل أحمد عن رجل باع تمر نخلة فقال عشرة على الذى باعه، قيل يخرج تمرا أو ثمنه، قال: إن شاء أخرج تمرا وإن شاء أخرج من الثمن.

إذا ثبت هذا فقد قال بكل من الروايتين جماعة وصار نزاع فيها فوجب ردها الى الله والرسول، قال البخارى في صحيحه في أبواب الزكاة: «باب العرض في الزكاة» وقال طاوس: قال معاذ لأهل اليمن: إئتوني بعرض ثياب خميص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقال صلى الله عليه وسلم: «وأما خالد فقد احتبس أذراعه وأعتاده في سبيل الله» ثم ذكر في الباب أدلة غير هذا فصار الصحيح أنه يجوز<sup>(١٩)</sup>.

(١٨) فتاوى ومسائل - المسألة الثانية والعشرون ص ٨٨، ٨٩ - القسم الثالث مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والفتاوى.

(١٩) المصدر السابق ص ٩٥ ، والعرض بفتح المهملة وسكون الراء: ما عدا التقدين والخميص: عنى به الصفيق من الثياب، أو لبيس: أى ملبوس: فعيل بمعنى مفعول.



فأنت تراه في هذه الفتوى يذكر الخلاف ثم يرده الى الله والرسول، ويدعم ما اختاره بالدليل، حيث أخذ معاذ العرض بدل الشعير والذرة في الزكاة وفي نهاية أجوبته أتى بتتمة في اتباع النصوص مع احترام العلماء فقال: «إذا فهمتم ذلك فقد تبين لكم في غير موضع أن دين الإسلام حق بين باطلين وهدى بين ضلالتين، وهذه المسائل وأشباهاها مما يقع الخلاف فيه بين السلف والخلف من غير تكبير من بعضهم على بعض، فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع مع كونه قد اتقى الله ما استطاع، لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم إلا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون في بعض المسائل من غير تكبير ما لم يتبين النص.

فينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده، معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ، ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم.

أما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم،

وأما اتخاذهم أربابا من دون الله - إذا قيل: قال الله قال رسوله قيل: هم أعلم منا - فهذا هو طريق الضالين»<sup>(٢٠)</sup>.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب يقرر أن دين الحق هو الذي بعث به محمد صلى الله عليه وسلم، ويعلل ذلك بأمرين: أحدهما: أن الله أعطى رسوله جوامع الكلم، وثانيهما أنه عليه الصلاة والسلام يتكلم بالكلمة الجامعة، وبهذا أكمل الله لنا الدين ، وأغنانا بهذا عن إحداث شئ في الدين ليس منه، فإنه يكون بدعة وضلالة، يقول الشيخ «اعلم - أرشدك الله - أن الله سبحانه وتعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى الذي هو العلم النافع، ودين الحق الذي هو العمل الصالح - إذا كان من ينتسب الى الدين: منهم من يتعانى بالعلم والفقه ويقول به كالفقهاء، ومنهم من يتعانى العبادة وطلب الآخرة كالصوفية، فبعث الله نبيه بهذا الدين الجامع للنوعين، ومن أعظم ما امتن

(٢٠) المصدر السابق ص ٩٧

الله به عليه وعلى أمته أن أعطاه جوامع الكلم، فيذكر الله تعالى في كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصى، وكذلك يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالكلمة الجامعة، ومن فهم هذه المسألة فهمها جيدا فهم قوله تعالى:

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ) (٢١)

وهذه الكلمة أيضا من جوامع الكلم، إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة، فعلم منه بطلان كل محدث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما أوصانا بقوله: (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة)، وفهم أيضا معنى قوله: (فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول)، فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله، أي إلى كتابه، وإلى الرسول، أي إلى سنته، علمنا قطعاً أن من رد إلى الكتاب والسنة ما تنازع فيه الناس وجد فيه ما يفصل النزاع) (٢٢).

ويتابع كلامه فيوجب في محل النزاع التراد إلى الله والرسول إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، إذ لا وجه للترجيح إلا بالدليل، فإذا لم يتبين للمرء الدليل المرجح كانت له مندوحة في أن يقلد من يثق بعلمه ودينه، يقول، الشيخ - رحمه الله - : «إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه، فنقول: في محل النزاع التراد إلى الله والرسول، لا إلى كلام أصحابه ولا إلى الراجح المرجح من الروايتين والقولين، خطأ قطعاً، وقد يكون صواباً، وقولك: إذا استدل كل منهما بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض، بل يصدق بعضها بعضاً، لكن قد يكون أحدهما أخطأ في الدليل، لأنه إما استدل بحديث لم يصح، وإما لأنه فهم من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً.

وبالجملة، فمتى رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه،

(٢١) الآية ٣ من سورة المائدة

(٢٢) المصدر السابق ص ٣٢

فإن لم يتبين واحتجت الى العمل فقلد من تثق بعلمه ودينه، وهل يتخير الرجل عند ذلك، أو يتحرى أو يقلد الأعمى أو الأردع؟ فيه كلام ليس هذا موضعه. (٢٣).

وبين القاعدة التي يتبعها المفتى فيقول: «الذي يسوغ بل يجب ما وصف لك، وهو طلب علم ما أنزل الله على رسوله، ورد ما تنازع فيه المسلمون اليه فإن علمه الله شيئا فليقل به، والا فليمسك ويقول: الله أعلم، ويجعله من العلم الذي لا يعرفه، فلو بلغ الإنسان في العلم ما بلغ لكان ما علمه قليلا بالنسبة الى ما لم يعلمه، وقد قال تعالى:

( وَمَا أُوتِيتُمْ مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ) (٢٤).

والذي يتتبع أقوال الشيخ وفتاواه يجد تأكيد وجوب اتباع الله واتباع رسوله والرد في محل النزاع الى الكتاب والسنة، تارة بالاجمال، وتارة بالتفصيل، وأوضح بيان له في ذلك ما ذكره في رسالة له: «أربع قواعد تدور الأحكام عليها ونحن نقتطف من ذلك أهم ما ورد: هذه أربع قواعد من قواعد الدين التي تدور الأحكام عليها....»

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم، لقوله تعالى:

( قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ إِلَى قَوْلِهِ: (وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ) (٢٥).

القاعدة الثانية: أن كل شيء سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يجرمه أو يوجهه أو يستحبه، أو يكرهه، لقوله تعالى:

( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن مَّبَدَ لَكُمْ تَسْؤُكُمْ ) (٢٦).

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها»

(٢٣) المصدر السابق ص ٣٢، ٣٣

(٢٤) الآية ١٧ من سورة الأسراء

(٢٥) الآية ٣٣ من سورة الاعراف.

(٢٦) الآية ١٠١ من سورة المائدة.

القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج، قال تعالى:

(فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ) (٢٧).

والواجب على المسلم اتباع المحكم وإن عرف معنى المتشابه وحده لا يخالف المحكم بل يوافقهِ وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في قولهم: (أما به كل من عند ربنا)

القاعدة الرابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر «أن الحلال بين والحرام بين وبينهما أمور مشتبهات» فمن لم يظن لهذه القاعدة وأراد أن يتكلم على مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل، فهذه ثلاث ذكرها الله في كتابه.. والرابعة ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم، وأعلم رحمك الله أن أربع هذه الكلمات مع اختصارهن يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير، أو في علم الأصول، أو في علم أعمال القلوب الذي يسمى علم السلوك، أو في علم الحديث، أو في علم الحلال والحرام، والأحكام الذي يسمى علم الفقه، أو في علم الوعد والوعيد، أو في غير ذلك من أنواع علوم الدين.

ثم ذكر الشيخ أن الواجب اتباع النصوص مع احترام العلماء، فقال بعد كلاء طويل

وبالجملته فمتى رأيت الاختلاف فرده الى الله والرسول فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين لك واحتجت الى العمل فخذ بقول من تثق بعلمه ودينه

وأما قول من قال: لا إنكار في مسائل الاجتهاد فجوابه يعلم من القاعدة المتقدمة، فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائنا من كان، ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، وإذا

(٢٧) الآية ٧ من سورة آل عمران.

كان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه فمن قام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطىٰ بنه على خطئه، وينكر عليه، وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، فهذا كلام صحيح لا يجوز للإنسان أن ينكر الشيء لكونه مخالفا لمذهب أو لعادة الناس، فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم، لا يجوز أن ينكر إلا بعلم، وهذا كله داخل في قوله تعالى:

(وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) (٢٨)

وأما قول من قال: اتفاق العلماء حجة، فليس المراد الأئمة الأربعة، بل إجماع الأمة كلهم، وهم علماء الأمة، وأما قولهم اختلافهم رحمة، فهذا باطل، بل الرحمة في الجماعة، والفرقة عذاب، كما قال تعالى:

(وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ) (٢٩)

ولما سمع عمر بن مسعود وأبيا اختلفا في صلاة الرجل في الثوب الواحد صعد المنبر وقال: اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعن أى فتياكم يصدر المسلمون؟

لا أجد اثنين اختلفا بعد مقامى هذا إلا فعلت وفعلت....»

ثم يسترسل الشيخ في ذكر ما يمكن أن يكون موضع خلاف يحتمل ويحجر الموقف في مثل ذلك، وهو تحرير يوقر فيه العلماء ويحفظ مكانتهم، وهذا ينفى عنه ما قيل: من تهجمه عليهم.. يقول: قد تبين لكم في غير موضع أن دين الإسلام حق بين باطلين وهدى بين ضلالين، وهذه المسائل (٣٠) وأشباهاها مما يقع الخلاف فيه بين السلف والخلف من غير تكبير من بعضهم على بعض، فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع، مع كونه قد اتقى الله ما استطاع لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم إلا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه

(٢٨) الآية ٣٦ من سورة الاسراء

(٢٩) الآية ١١٨ من سورة هود

(٣٠) المراد مسائل في الزكاة ستل عنها

وسلم يختلفون في بعض المسائل من غير نكاح ما لم يتبين النص، فينبغي للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيهم فهو طريق المغضوب عليهم..<sup>(٢١)</sup>.

هذه هي الصورة المشرفة في منهج الشيخ ودعوته لا مجال فيها لتقول يدعى أنه خرج على الأئمة، وأنه ينال منهم، أو أنه أتى بمذهب جديد ينسبه الى نفسه، حتى لقبوا بدعوته بالوهابية افتراء وزورا.

والشيخ رحمه الله يريد على هذه المفتريات في أجوبته عن الرسائل التي وصلته، ويبين أنه لا يجحد عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما عليه سلف هذه الأمة، وما استقر عليه أمر علمائها، ولا يكفر الناس، قفى رسالته الى أهل القصيم يقول: (... ثم لا يخفى عليكم أنه بلغنى أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت اليكم، وأنه قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افترى على أمور لم أقلها ولم يأت أكثرها على بالي، (فمنها) قوله: إني مبطل كتب المذاهب الأربعة، وأنى أقول: إن الناس من ستائة سنة ليسوا على شئ، وإنى أدعى الاجتهاد، وأنى خارج عن التقليد، وأنى أقول: إن اختلاف العلماء نقمة وأنى أكفر من توسل بالصالحين، وأنى أكفر البوصيرى لقوله: يا أكرم الخلق، وأنى أقول: لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، وإنى أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وإنى أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرها وأنى أكفر من حلف بغير الله، وأنى أكفر ابن الفارض وابن عربى، وأنى أحرق دلائل الخيرات وروض الرياحين وأسميه روض الشياطين:

جوابى عن هذه المسائل أن أقول: سبحانك هذا بهتان عظيم. وقبله من بهت محمدا صلى الله عليه وسلم أنه يسب عيسى بن مريم ويسب الصالحين فتشابهت قلوبهم بافتراء الكذب وقول الزور، وقال تعالى:

(٢١) المصدر السابق ص ١٠ - ١٢

﴿إِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِعَايَةِ اللَّهِ﴾ (٣٢)

بهتوه صلى الله عليه وسلم بأنه يقول: إن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار، فأنزل الله في ذلك

﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ (٣٣) ... (٣٤).

ولا يحمل الشيخ الناس على اتباع كلامه، إنما يدعوهم إلى اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم، ففي رسالته الى الشيخ قاضل آل مزيد يقول:

«إني أذكر لمن خالفني أن الواجب على الناس اتباع ما وصى به النبي صلى الله عليه وسلم أمته، وأقول لهم: الكتب عنكم، انظروا فيها، ولا تأخذوا من كلامي شيئا، لكن إذا عرفتم كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي في كتبكم فاتبعوه ولو خالفه أكثر الناس» (٣٥).

ويستشهد فيما يدعو اليه بأقوال الأئمة ليقيم الحجة على أتباعهم من مذهبهم، ولكنهم يفتلون عن هذا، جاء في رسالته التي أرسلها الى عبدالله بن سحيم مطوع أهل المجعة جوابا عن مسائل بدعية وشركية: قال في «الإقناع» في باب حكم المرتد «واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بأنهم يدعون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة، ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات، مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم، وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله، فهم لا يدعونهم إلا في الرخاء، فإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا لله، قال الله تعالى:

(٣٢) الآية ١٠٥ - من سورة النحل

(٣٣) الآية ١٠١ من سورة الأنبياء

(٣٤) مطبوعات أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الخامس - الرسائل الشخصية، الرسالة الأولى.

ص ١١، ١٢ - ٤ - المصدر السابق - الرسالة الثانية ص ١٨.

(٣٥) المصدر السابق - الرسالة الرابعة ص ٣٢

(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضَّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَهُهُ فَلَمَّا نَجَّكُمْ إِلَى  
الْبَرِ أَعْرَضْتُمْ) (٣٦)

وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم في شرح «درر البحار»: النذر الذي يقع من أكثر العوام وهو أن يأتي إلى قبر بعض الصلحاء قائلا: ياسيدي فلان، إن رد غائبى، أو عوفى مريضى، أو قضيت حاجتى فلك كذا وكذا باطل إجماعا لوجه منها: أن النذر للمخلوق لا يجوز، ومنها: ظن أن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر، إلى أن قال: إذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت.. ونحوها، وينقل الى ضرائح الأولياء فحرام بإجماع المسلمين، وقد ابتلى الناس بهذا لا سيما في مولد أحمد البدوى، فتأمل قول صاحب النهر مع أنه بمصر ومقر العلماء كيف شاع بين أهل مصر مالا قدرة للعلماء على دفعه، فتأمل قوله: من أكثر العوام أتظن أن الزمان صلح بعده ؟

وأما المالكية فقال الطرطوشى في كتاب «الحوادث والبدع»: روى البخارى عن أبى واقد الليثى قال: خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال: الله أكبر، هذا كما قال بنو إسرائيل لموسى : اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة لتركين سنن من كان قبلكم «فانظروا رحمكم الله - أيما وجدتم سدرة يقصدها الناس وينوطون بها الحرق فهى ذات أنواط فاقطعوها.....

وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبو شامة في كتاب «الباعث على إنكار البدع والحوادث» وهو في زمن الشارح وابن حمدان - وقد وقع من جماعة من النابذيين لشريعة الإسلام المنتمين الى الفقر الذى حقيقته الافتقار من الإيمان من اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين، فهم داخلون تحت قوله: (أَمْ لَهُمْ شُرَكَائُوا شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ)

(٣٦) الآية ٦٧ من سورة الاسراء

(٣٧) الآية ٢١ من سورة الشورى



وبهذه الطرق.. وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها.....(٣٨).

ويلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب في رسالة على إنكار ما اتهم به من التكفير بالعموم، أو سب الصالحين، وبين أنه يعتمد في أقواله على ما وافق النصوص من الكتاب والسنة، وأما القول: إنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين، ونقول: سبحانك هذا بهتان عظيم.

وأما الصالحون فهم على صلاحهم - رضى الله عنهم - ولكن نقول: ليس لهم شئ من الدعوة، قال الله:

(وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) (٣٩)

وأما المتأخرون - رحمهم الله - فكتبهم عندنا، فنعمل بما وافق النص منها، وما يوافق النص لا نعمل به... (٤٠) «وأما متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى:

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٤١)

وقال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد» رواه البخارى ومسلم، وفي رواية لمسلم: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» فتوزن الأقوال والأفعال بأقواله وأفعاله، فما وافق منها قبل، وما خالف رد على فاعله كاتنا من كان، فإن شهادة أن محمداً رسول الله تتضمن تصديقه فيما أخبر به، وطاعته ومتابعته في كل ما أمر به، وقد روى البخارى من حديث أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «كل أمتى يدخلون الجنة إلا من أبى قيل: ومن أبى يارسول الله؟ قال من أطاعنى دخل الجنة، ومن عصانى فقد أبى».

(٣٨) المصدر السابق الرسالة الحادية عشر ص ٦٨/٧٢

(٣٩) الآية ١٨ من سورة الجن

(٤٠) المصدر السابق الرسالة الخامسة عشرة ص ١٠١

(٤١) الآية ٣٦ من سورة آل عمران

فتأمل رحمك الله ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه بعده والتابعون لهم بإحسان الى يوم الدين، وما عليه الأئمة المقتدى بهم من أهل الحديث والفقهاء، كأبي حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، رضى الله عنهم أجمعين لكى نتبع آثارهم...» (٤٢).

ويصرح فى غير موضع بأنه لا يدعو الى مذهب ، إنما يدعو الى الكتاب والسنة «ولست والله الحمد أدعو إلى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم، أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم مثل ابن القيم والذهبي وابن كثير وغيرهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وأدعو إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم التى أوصى بها أول أمته وآخرهم، وأرجو أنى لا أرد الحق إذا أتانى، بل أشهد الله وملائكته وجميع خلقه إن أنا منكم كلمة من الحق لأقبلنها على الرأس والعين، ولأضربن الجدار بكل ما خالفها. من أقوال أئمتى حاشا رسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه لا يقول إلا الحق» (٤٣).

ثانيا : منهجه فى الدعوة الى العقيدة يرتكز على الأدلة من الكتاب والسنة :

تحتل الدعوة الى توحيد الله تعالى والبراءة من ضروب الشرك المكانة الأولى لدى الشيخ محمد بن عبد الوهاب أسوة برسول الله، فالعقيدة لب الأديان السماوية وعليها تقوم الشريعة، وكتاب «التوحيد الذى هو حق الله على العبيد» يحتل الصدارة فى كتب الشيخ، وإذا تناول المرء هذا الكتاب وجد من أخص مميزاتة أنه يذكر الباب، ثم يسوق الأدلة من الكتاب فالسنة فما أثر عن سلف هذه الأمة ثم يتبع هذا بالمسائل التى تستنبط من الأدلة، ويكفى أن نذكر هنا بعض النماذج للتعرف على نسق الكتاب.

(٤٢) المصدر السابق - الرسالة السادسة عشر - ص ١٠٦، ١٠٧.

(٤٣) المصدر السابق - الرسالة الخامسة والثلاثون - ص ٢٥٢.

## باب (١)

### فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب

وقول الله تعالى :

( الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ اُولَٰئِكَ هُمُ الْاٰمِنُ السَّٰطِرُونَ )

سورة الأنعام : ٨٢

مهتدون )

عن عبادة بن الصامت رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :  
«من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى  
عبدالله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق، والنار حق، أدخله الله  
الجنة على ما كان من العمل. أخرجاه ، ولهما في حديث عتيان : «فإن الله حرم على النار من  
قال: لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله».

وعن أبى سعيد الخدرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «قال موسى:  
يارب، علمنى شيئا أذكرك وأدعوك به، قال: قل يا موسى لا إله إلا الله، قال: يارب، كل  
عبادك يقولون هذا، قال: ياموسى لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى، والأرضين  
السبع فى كفة، ولا إله إلا الله فى كفه، مالت بهن لا إله إلا الله» رواه ابن حبان والحاكم  
وصححه.

وللترمذى وحسنه عن أنس: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:  
«قال الله تعالى: يا ابن آدم ، لو أتيتنى بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي  
شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة».

فيه مسائل :

الأولى : سعة فضل الله .

الثانية : كثرة ثواب التوحيد عند الله .

الثالثة : تكفيره مع ذلك للذنوب<sup>(٤٤)</sup>.

.....  
.....

### باب (١٨)

ما جاء أن سبب كفر بنى آدم وتركهم دينهم  
هو الغلو في الصالحين

وقول الله عز وجل:

(يَنَآهَلُ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ<sup>ع</sup>)

سورة النساء آية ١٧١

في الصحيح عن ابن عباس رضی الله عنهما في قول الله تعالى :

(وَقَالُوا لَا تَدْرُنَّ الْهَتَكَرَ وَلَا تَدْرُنَّ وِدَا وَلَا سُوعَا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا)

سورة نوح: ٢٣.

قال : «هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا ، أوحى الشيطان الى قومهم : أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسمائهم ففعلوا، ولم تعبد حتى اذا هلك أولئك ونسى العلم عبادت»

وقال ابن القيم: قال غير واحد من السلف: «لما ماتوا عكفوا على قبورهم ثم صوروا تماثيلهم، ثم طال عليهم الأمد فعبدوهم».

(٤٤) القسم الأول - العقيدة والآداب الاسلامية - مطبوعات أسبرج الشيخ ص ١٢، ١٣

وعن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لاتطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله» أخرجاه.

وقال: (٤٥): قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والغلو فإما أهلك من كان قبلكم الغلو»

ولمسلم عن ابن مسعود: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «هلك المنتطعون - قالها ثلاثا».

فيه مسائل:

الأولى : أن من فهم هذا الباب وبابين بعده تبين له غربة الإسلام، ورأى من قدرة الله وتقليبه للقلوب العجب .

الثانية : معرفة أول شرك حدث في الأرض، أنه بشبهة الصالحين. (٤٦)

## باب (٣٥)

### ما جاء في الرياء

وقول الله تعالى :

(قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ أُمَّةٍ إِلَيْنَا الْوَحْيُ وَإِنِّي أَنَا مِنَ الْكَاذِبِينَ) (١١٠)

وعن أبى هريرة مرفوعا: قال: قال تعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملا أشرك معى فيه غيرى تركته وشركه» رواه مسلم.

(٤٥) هذا الحديث ذكره المصنف بدون ذكر راويه، وقد رواه الامام احمد والترمذى، وابن ماجه من حديث ابن عباس.

(٤٦) المصدر السابق ص ٥٦، ٥٧

وعن أبي سعيد مرفوعاً: «ألا أخبركم بما هو أخوف عليكم عندي من المسيح الدجال؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: الشرك الخفى يقوم الرجل فيصلى، فيزين صلاته، لما يرى من نظر رجل.. رواه أحمد.

فيه مسائل :

الأولى: تفسير آية الكهف .

الثانية: الأمر العظيم في رد العمل الصالح إذا دخله شيء لغير الله (٤٧)

### باب (٣٨)

قول الله تعالى:

(الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نَزَّلَ إِلَيْكَ وَمَا نَزَلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا إِلَى الْإِطْغَاةِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ثُمَّ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا)

النساء من ٦٠ إلى ٦٢.

وقوله :

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ )

سورة البقرة: ١١

وقوله:

(وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ)

سورة الأعراف: ٥٦

(٤٧) المصدر السابق ص ٩٨

وقوله :

(أَفْحَكَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ<sup>ج</sup> وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ)

سورة المائدة: ٥٠

عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جنت به» قال التودى: حديث صحيح، رويناه في كتاب الحجّة بإسناد صحيح.

وقال الشعبي: «كان بين رجل من المنافقين ورجل من اليهود خصومة فقال اليهودى: نتحاكم إلى محمد - ، لأنه عرف أنه لا يأخذ الرشوة: وقال المنافق نتحاكم إلى اليهود، لعلمة - أنهم يأخذون الرشوة - فاتفقا أن يأتيا كاهنا في جهينة فيتحاكما إليه: فنزلت (ألم تر إلى الذين يزعمون) الآية

وقيل: نزلت في رجلين اختصما فقال أحدهما: نترافع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وقال الآخر: إلى كعب بن الأشرف، ثم ترافعا إلى عمر فذكر له أحدهما القصة، فقال للذي لم يرض برسول الله صلى الله عليه وسلم: أكذلك قال: نعم، فضربه بالسيف فقتله. فيه مسائل:

الأولى : تفسير آية النساء وما فيها من الإعانة على معرفة الطاغوت.

الثانية: تفسير آية البقرة (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) الآية.

الثالثة: تفسير آية الأعراف (ولا تفسدوا في الأرض بعد إصلاحها) الآية.

الرابعة: تفسير (أفحك الجاهلية يبغون)<sup>(٤٨)</sup>.

.....

.....

وتقرأ للشيخ كتبه الأخرى في العقيدة، في كشف الشبهات وفي ثلاثة الأصول، فتجد كل مسألة من المسائل مقرونة بأدلتها من الكتاب والسنة.

ولا يتخلى الشيخ عن هذا المنهج الاستدلالي في كل باب من الأبواب التي تناول فيها العقيدة وتفسير مدلولها أو تناول فيها الشرك بضره.

(٤٨) المصدر السابق ص ١٠٤، ١٠٥

ثالثا: منهجه في الفقه يعتمد على اختيار ما يدعمه الدليل وإن خالف مذهبه :

كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - حنبليا ، ولكنه لا يتعصب لمذهبه ، ولا ينتصر له ، شأن كثير من أتباع المذاهب الفقهية ، إنما يأخذ من مذهب أحمد ما وافق الدليل ، ويختار من آراء الفقهاء ما ترجح عنده بدليله ولهذا شواهد كثيرة .

ففي كتاب الطهارة:

### باب السواك وسنن الوضوء

السواك يعود لين ينقى الفم لا يتفتت مسنون كل وقت لحديث: «السواك مطهرة للفم مرضاة للرب» رواه الشافعي وأحمد وغيرهما .

ويسن السواك في جميع الأوقات لحديث عائشة ، رواه مسلم .  
ويتأكد استحبابه في ثلاثة مواضع : عند تغير رائحة الفم ، وعند النوم ، والحديث حذيفة ، متفق عليه ، وعند إرادة الصلاة لقوله صلى الله عليه وسلم :  
«لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك عند كل صلاة» متفق عليه .

ويستحب في سائر الأوقات ولو لصائم بعد الزوال ، قال في الاختيارات وهو رواية عن أحمد ، وقاله مالك وغيره ..... (٤٩) .

### باب التيمم

وهو من خصائص هذه الأمة ، لم يجعله الله طهورا لغيرها ، وهو أيضا بدل طهارة الماء لكل ما يفعل بها عند العجز عنه .

وله شروط أربعة :

أحدها : العجز عن استعمال الماء ، إما لعدمه ، لقوله تعالى :

(٤٩) القسم الثاني - الفقه - المجلد الثاني - مطبوعات أسبوع الشيخ كتاب الطهارة ص ١٥



فَلَمْ يَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا (٥٠)

أو لخوف الضرر من استعماله لمرض أو برد شديد، وجرح، لقوله سبحانه:

وَإِنْ كُنْتُمْ مَرَضَى (٥١)

ولحديث عمرو بن العاص ، رواه أبو داود ، أو خوف العطش على نفسه، حكاه ابن المنذر إجماعاً، أو تعذر إلا بثمن كثير يزيد على ثمن المثل، وإن أمكنه استعماله في بعض بدنه لزمه استعماله وتيمم للباقي، لحديث أبي هريرة وفيه: فإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم».

الثانى : دخول الوقت، وقال الشيخ تقي الدين: التيمم يرفع الحدث ، وهو مذهب أبى حنيفة ، وهو رواية عن أحمد، وقال فى الفتاوى المصرية: التيمم لوقت كل صلاة حتى يدخل وقت الأخرى أعدل الأقوال. (٥٢)

.....

وفى كتاب «آداب المشى الى الصلاة» يذكر الصفة، ويتبعها بالدليل .

## باب صلاة الجماعة

أقلها اثنان فى غير جمعة وعيد، وهى واجبة على الأعيان حضرا وسفرا حتى فى خوف، لقوله تعالى:

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ (٥٣)

وتفضل على صلاة المنفرد بسبع وعشرين درجة، وتفضل فى المسجد والعتيق أفضل،

(٥٠)، (٥١) الآية ٦ من سورة المائدة والآية ٣: من سورة النساء.

(٥٢) المصدر السابق ح ٣٢، ٣٣ -

(٥٣) الآية ١٠٢ من سورة النساء

وكذلك الأكثر جماعة، وكذلك الأبعد، ولا يؤم في مسجد قبل إمامه الراتب إلا بإذنه، إلا أن يتأخر فلا يكره ذلك لفعل أبي بكر وعبدالرحمن بن عوف<sup>(٥٤)</sup>.....

وللشيخ رسالة في أحكام تمنى الموت، استقصى فيها الأحاديث والآثار والأخبار الواردة في ذلك.

وأعطى الشيخ رحمه الله عناية خاصة لأحاديث الأحكام في كتاب اشتمل ستائة وأربعة آلاف من الأحاديث المرفوعة والموقوفة، وعلى كثير من فتاوى التابعين وأقوال الأئمة المجتهدين، رتبها حسب أبواب الفقه، وهذا له دلالة على المنهج الذي ارتضاه لنفسه في دعم الأحكام الفقهية بأدلتها.

وتلك هي الشواهد التي تحدد منهج المجدد المصلح الشيخ محمد بن عبدالوهاب في اعتماده على الكتاب والسنة، حتى أتت ثمارها الطيبة لخير الإسلام والمسلمين، والله من وراء القصد.

---

(٥٤) ص ٢٥ المصدر السابق.



# اعتماد فقہ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

لفضيلة الشيخ  
صالح بن عبد الرحمن الأطرم

أستاذ مشارك في كلية الشريعة بالرياض

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## « مقدمة البحث »

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وأصحابه ومن اهتدى بهداه..  
وبعد:

أيها الإخوة الحضور - السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.  
معلوم ما اجتمعنا من أجله.. وهو البحث في جوانب دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من اعتمادها على الكتاب والسنة، وصلتها بالسلف الصالح وتأثيرها في الفرد والمجتمع، ومهما طال بحثنا فما نرانا نقول إلا معارفاً ومعاداً من لفظنا مكروراً، لأن دعوة الشيخ رحمه الله على حد قول القائل: الجواب ما ترى لا ما تسمع.. فتأثيرها في محيطها وخارجها أكثر مما نقوله، وإنما ما كتبت في اعتماد فقه دعوة الشيخ على الكتاب والسنة ما هو إلا إسهام مني في هذه المناسبة التي أقامتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية من جمع مؤلفاته وطبعها ونشرها وتوزيعها.. نفعنا الله بها.

أيها الإخوة الحضور - إن أهداف دعوة الشيخ سامية، نابعة من أهداف النبوة، وحاجة الإنسان إليها ماسة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، لقيامها بالفرض الذي خلق من أجله الإنسان، وهو عبادة الله وحده.

« وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ».

(الذاريات ٥٦)

وهذه دعوة الرسل من أولهم نوح - عليه السلام - إلى خاتمهم محمد - عليه وعلى سائر الأنبياء الصلاة والسلام.

« وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ

(المؤمنون ٢٣)

إِلَهِ غَيْرِهِ ».

« وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُومِ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ »  
 « وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَنْقُومِ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ »  
 « وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَنْقُومِ اللَّهُ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ »  
 وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ».

(هود ٥٠، ٦١، العنكبوت ٣٦)

وعلى خاتم الأنبياء ينزل تكليف الله له.

﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ﴾ ١ ﴿قُمْ فَأَنْذِرْ﴾ ٢ ﴿وَرَبِّكَ فَكَبِّرْ﴾ ٣ ﴿وَوَيْسَابِكَ فَطَهِّرْ﴾ ٤  
 وَالرَّجْزَ فَاهْجُرْ ٥ وَلَا تَمَنَّ نَسْتَكْبِرُ ٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ٧ ».

المدثر

وهذه الآية نزلت تأمره بالعمل بعد الآية الأولى التي نزلت تعلمه، وهو قوله تعالى:

« أَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ٢ أَقْرَأْ  
 وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ »  
 (العلق ١ - ٥)

فوضحت الآيتان أن العلم قبل القول والعمل، وأن العلم متبوع بالعمل.

فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فقه في الدين عقيدة وفروعاً، لذا نجدها جماعية وليست جمعية، وعمومية وليست حزبية، أمر بمعروف ونهى عن منكر قولاً وعملاً وجهاداً، وليست إصلاحية فردية، وليست سرية بل علنية، يبين الحلال والحرام من المعاملات، والصحيح والفاقد من العبادات. ينكر ما يخل بالعقيدة والأخلاق والمعاملات، يعرض قوله في الأصول والفروع مقروناً بالدليل، يلتمس من يشد عضده لنشر هذه الدعوة وتنفيذها وقمع من يقف ضدها - حتى قبض الله له من نور الله بصيرته.. أمير الدرعية/ محمد بن سعود... فتعاهدا وشرعا في التنفيذ عام ١١٥٧ هـ .. هذا يحمل مشعل النور، وهذا يحمل السيف والسنان لمن وقف وعاند في سبيل نشر هذا الفقه.

أيها الاخوة الحضور - إن هذا العمل من الشيخ رحمه الله كان قدوته في ذلك محمد صلى الله عليه وسلم، حيث يقف على صنابير كفار قريش ويقول لهم: «قولوا لا إله إلا

الله فإن أظعموني فهذا ما أمرت به، وإلا فبينى وبينكم الله». أو كما قال صلى الله عليه وسلم. وقوله لهم هذه المقالة جواباً لهم لما ساوموه على ترك دعوته. كما كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قدوة الشيخ في التماس من ينصره حيث قال: «اللهم انصر الإسلام بأحد العمرين».

وهو يعنى عمر بن الخطاب وعمرو بن هشام (أبو جهل).. فاستجاب الله دعوته بإسلام عمر بن الخطاب، فكان منه النصر والعزة قولاً وفعلاً، وأصبح غصة في حلق أعداء الله وأعداء الرسول عليه الصلاة والسلام. فمن هذا المنطلق تثبت دعوة الداعى وينتشر فقهه، ويجد له مكانه في القلوب حيث هدفه وغايته هداية الناس إلى معرفة خالقهم ورازقهم وحقه عليهم. ومعلوم أن مثل هذه الدعوة لا بد وأن تجد في طريقها الكثير من العقبات ابتلاء وامتحاناً لأصحابها ودعاتها.. أيصبرون ويمضون، أم يجزعون فيقفون.

«الْم أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكَوَأَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَنَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَنَنَّ الْكٰذِبِينَ ﴿٤١﴾» (العنكبوت)

أيها الاخوة ... بعد هذه المقدمة السريعة أستعرض معكم نقاط بحثى في اعتماد فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة، ثم قراءة مقاطع منه كالمقدمة... ومقدمة بعض الأبواب.... وإن سنحت الفرصة لأستعرض معكم الكثير، فهذه رغبتى على أن أحظى بملاحظة أستثير بها من حضراتكم.

الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، قياً لينذر بأساً شديداً من لدنه، ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً حسناً، ماكثين فيه أبداً، وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً.

وصلى الله وسلم على من أنزل عليه هذا الكتاب ليخرج الناس من الظلمات إلى



النور على يده، وعلى آله وأصحابه والمهتدين بهديه المستضيئين بنور كتاب ربهم، وسنة نبيهم، وعلى كل من حذا حذوهم إلى أن تقوم الساعة.

وبعد ...

فإن الله منذ خلق البشرية وحكمته قاضية بالصراع بين الحق والباطل...، فالباطل له إبليس وجنوده من الجن والإنس، حيث أمر بالسجود لآدم فأبى استكباراً وعناداً، فحكم عليه بالطرده والإبعاد من رحمة الله...

قال تعالى:

«وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾» (١).

وطلب إبليس الإنظار من ربه إلى يوم القيامة فأعطى مطلبه، وهو يريد بذلك تحقيق مأربه بأن يضل بني آدم ويجعلهم من أتباعه حيث عرف أن النار مشواه في الدار الآخرة. والنصوص الواردة في القرآن الكريم والحديث الشريف في هذا المعنى كثيرة ومتعددة، ولكن من لطف الله ورحمته بعباده أن هذا العدو المصارع للحق لم يستطع الحكم الكامل بعدم الشكر على بني آدم، بل على أكثرهم. قال تعالى حكاية عن إبليس:

« قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿٣٥﴾ ثُمَّ لَا تَبْنِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمَنْ خَلْفَهُمْ وَعَنْ يَمِينِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿٣٦﴾» (٢).

ولم يذكر الجهة الفوقية لأن الذي يأتي من الفوق هو النور، والقابلون له هم الشاكرون الذين لا سبيل للشيطان عليهم، وذكره سائر الجهات دليل على أن الشر سفلى.

(١) البقرة آية ٣٤.

(٢) الأعراف ١٦ - ١٧.

وإذا نزل النور من فوق بدد ظلام الشر وفرقه، وأزهق الباطل، فلم يكن للشيطان على ذلكم الشاكر الذى تلقى النور من ربه عن طريق نبيه سلطان.

«إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ» (٣).

«إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٦﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ» (٤).

ومن هنا يتضح وجود الحق وثبوته ومصارعة الباطل له، ولكن متى ثبت أهل الحق وعرفوه حق المعرفة دفع الباطل مها كثر أعوانه وأنصاره.

«إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا» (٥).

«وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» (٦).

فالحق ثابت مادامت البشرية على وجه العمورة، وإن.. ضعف حيناً قوى أحياناً، وإن خفى فى مكان ظهر فى مكان آخر - تلك هى :

«سُنَّتَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ» (٧).

ومتى فقد الحق وأهله قامت الساعة وانتهت الدنيا لإخبار الصادق المصدوق:

(٣) الحجر آية ٤٢

(٤) النحل آية (٩٩ - ١٠٠)

(٥) الإسراء آية ٨١

(٦) المائدة آية ٥٦

(٧) سورة غافر آية ٨٥ .

«بأنها لا تقوم وعلى وجه الأرض مؤمن، بل على شرار الناس»<sup>(٨)</sup>.

والحديث: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله، وفي رواية (حتى تقوم الساعة)<sup>(٩)</sup>.

ثم إن الله جل وعلا أثبت هذا الحق بتتابع رسله ووحيه عليهم:

« ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَا كُلَّ مَا جَاءَ أُمَّةٌ رَسُولَهَا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبَعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ »<sup>(١٠)</sup>.

ثم ختم هؤلاء الرسل بأشرفهم وإمامهم وسيد البشرية أجمع محمد صلى الله عليه وسلم، فشملت رسالته الثقليين من عرب وعجم، وعمت أرجاء المعمورة، ولم يعد في الدنيا كلها مكان إلا ووصلته هذه الدعوة الربانية المحمدية، وخاصة في زمننا الحديث بعد أن عمت أجهزة الإعلام جميع المناطق في العالم، وأنزل على هذا النبي الكريم كتابا صار إعجاز الفصحاء العرب والعجم، والجن والإنس على أن يأتوا بمثله أو سورة منه، بل ولا آية. وجعله منهجاً خالداً للناس أجمعين.

والأدلة على إعجاز القرآن وتخليده وشموله لقضايا الحياة في شتى مجالاتها، وأنواع العقائد والعبادات الصحيح منها والفاسد، واضحة جداً وكثيرة لا تحصى. ثم إن الله جعل رسالة كل نبي إلى قومه خاصة لعلم الله ببعثه خاتم الرسالات، وإنزاله الكتاب المهيمن على جميع الكتب والرسالات السابقة.

« وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ »<sup>(١١)</sup>.

(٨) أخرجه مسلم راجع جامع الأصول ج ١٠ ص ٤٠١

(٩) أخرجه مسلم بهذا اللفظ ١٥٧٣/٣ في كتاب الامارة، وأخرجه البخاري بمعناه ١٦٤/٨

(١٠) المؤمنون آية ٤٤ .

(١١) المائدة آية ٤٨ .

ولعلم الله بنهاية الرسل وآخرهم محمد عليه الصلاة والسلام، أيقظ الله من أمته من حفظ القرآن منه، وتلقى سنته، وعلى رأس هؤلاء صحابته العدول - رضی الله عنهم وأرضاهم -.

وهكذا كل من أراد الله هدايته شرح الله صدره للإسلام، فتعلم علومه وعلمها وفهمها، لذا جاء في الحديث: (أن العلماء ورثة الأنبياء) (١٢).

والحديث الآخر (من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين) (١٣)؛ والحديث الآخر (رب مبلغ أوعى من سامع) (١٤)؛ ومصداق هذه الأحاديث ما دلت على معاني هذه الآيات.

### «أولاً»

ع  
«شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ  
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (١٥).

فدلت هذه الآية على فضل العلماء من أمه محمد وأنهم الوارثون لسنته، والمتفقهون في دينه، إذ جعلهم الله في صف ملائكته وجعلهم أهلاً لشهادة ما شهدت به، ولولا ما في صدورهم من العلم بالله وخشيته لما نزلوا هذه المنزلة.

ع  
«إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (١٦).

ولما أوتوه من النور الذي ورثوه عن نبيهم محمد وعدهم الله برفع الدرجات.

ع  
«يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ» (١٧).

(١٢) مختصر سنن أبي داود ج ٥ ص ٢٤٣. وفي السنن ٣١٧/٣ كتاب العلم، والترمذي ج ٥ ص ٤٨ - ٤٩ في كتاب العلم.

(١٣) فتح الباري ج ١ ص ١٤١. ومسلم ١٥٢٤/٣ في كتاب الإمارة.

(١٤) أخرجه البخاري ج ٣/٥٧٤ كتاب الحج.

(١٥) آل عمران آية ١٨.

(١٦) فاطر آية ٢٨.

(١٧) المجادلة آية ١١.

وفي الأنفال يذكر الله صفات المؤمنين بقوله تعالى:

«إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ  
آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا  
رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿١٩﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ  
وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ» (١٨).

وفي سورة الزمر ينوه الله جل شأنه عن فضل المتعلمين على الجاهلين ويبين صفة  
المتذكرين.

«قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولَٰؤُ  
الْأَلْبَابِ» (١٩).

وفي سورة الأنعام يبين الله تعالى أن العلم بالقرآن والسنة هو النور وهو الحياة  
الحقيقية والأبدية، وأن الجهل بهما هو الموت والظلمة.

«أَوْ مَن كَانَ مَيِّمًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلَهُ  
فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٢٠).

ويصور الشاعر الجهل ومعناه وأنه الموت العاجل.

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله وأجسامهم قبل القبور قبور  
وهذا الموضوع واسع وأدلته أكثر من أن تحصر، وإنما المقصود الإشارة بأن شرع  
محمد صلى الله عليه وسلم خالد لوجود ورثته وبيان مكانتهم ومنزلتهم عند الله، وأنهم إذا  
قاموا على طريقة نبيهم أثروا في الناس وغيروا المجتمعات من السوء إلى الحسن، وأظهروا  
الحق وأزهقوا الباطل.

(١٨) الأنفال آية ٤-٢.

(١٩) الزمر آية ٩.

(٢٠) الأنعام آية ١٢٢.

ومن ورثة محمد صلى الله عليه وسلم في القرن الثاني عشر الهجري محمد بن عبد الوهاب.. الذي دعا إلى شرع الله عقيدة وقولا وعملاً، وجهاداً لمن وقف ضد هذه الدعوة قامعاً لبدعته، مبطلاً لخرافته بالحجة والبرهان، وهى له العضد والساعد ليحمل السيف والسنان محمد بن سعود أمير الدرعية الذى شد أزر محمد بن عبد الوهاب على الحق والبر والتقوى، فهذا ينشر النور والضياء، وهذا يزيل الحجب والغطاء والعراقيل التى توضع دون هذه الخطى بدليل من القرآن وحديث من سنة المصطفى، ومن أجاب داعى الله وهذا النداء فله الجنات نزلاً ومأوى والسعادة في هذه الدنيا والنصر والتأييد من رب الورى.

وحان الشروع فيما قصدناه من اعتماد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الأدلة والهدى من كتاب ربنا وسنة سيدنا ونبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وأقوال صحابته أئمة الهدى، وما فهمه أولى النهى ممن فتح الله عليهم المحبة والرغبة لفهم شرعه، فصاروا سبباً لحفظه الذى تكفل الله به:

«إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ» (٢١).

فحفظ الله لكتابه وسنة نبيه هو على أيدى ورثة رسوله.. لذا يكون نزع العلم بموت أهله لا بانتزاعه من صدور الرجال، وإذا انتزع العلم تصدى للمسئولية الجهلة، فأفتوا بغير علم، ونفذوا بغير نور، وحينئذ تنقلب السنة بدعة والبدعة سنة. وفي الحديث: «فإذا أضيعت الأمانة فانتظر الساعة، قال: كيف إضاعته؟ قال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة» (٢٢).

وهذا البحث يشتمل على مقدمة وأربعة أبواب:

الباب الأول: نبذة عن حياة الشيخ وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول : ترجمة موجزة للشيخ وتتلخص في النقاط التالية: نسبه / ولادته / بيئته / نشأته / طلبه للعلم / بداية دعوته / رحلاته في طلب العلم / مكان بدء نشر دعوته / وفاته.

(٢١) سورة الحجر آية ٩.

(٢٢) عن أبي هريرة في صحيح البخارى ج ١ ص ١٤٢/١٤١ في كتاب العلم، واحد في مسنده ٣٦١/٢.

الفصل الثاني : زمن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الفصل الثالث : الحالة الاجتماعية في زمن الشيخ.

الفصل الرابع : سبب قيام دعوة الشيخ.

الباب الثاني : ما قيل عن اعتماد فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب

والسنة. وفيه مقدمة وأحد عشر فصلاً.

الفصل الأول : القواعد الأربع التي قررها الشيخ لدوران الدين عليها.

الفصل الثاني : في كلام الشيخ عن طريقة الأخذ فيما اختلف فيه العلماء وأقوالهم.

الفصل الثالث : في كلام الشيخ على قولهم (اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة).

الفصل الرابع : في كلام الشيخ على من قال: (لا يقرأ الكتاب لعدم إمكان فهمه) ودليله على بطلان هذا القول.

الفصل الخامس : في كلام الشيخ على الذين يحاولون طرح أقوال العلماء وبيان مبدئه وموقفه منها.

الفصل السادس : في كلام الشيخ لابن معمر لما هدره.

الفصل السابع : في كلام الشيخ في المدينة لما سئل عن الأصوات عند قبر الرسول - صلى الله عليه وسلم -

الفصل الثامن : ما قاله أحفاده عن اعتياده على الكتاب والسنة.

الفصل التاسع : ما قاله غير أحفاده وأبنائه مما يدل على اعتياده في دعوته على الكتاب والسنة.

الفصل العاشر : في ثناء العلماء على الشيخ ووجهة نظري في إيراد هذا الثناء.

الفصل الحادي عشر : في الأصول التي دعا إليها الشيخ، وهي أهم دعواته وأجلها مدعومة بالأدلة.

الباب الثالث : الاستدلال على اعتاده في مؤلفات العقائد على الكتاب والسنة.

وفي هذا الباب خمسة عشر فصلاً هي:

- الفصل الأول : في ثلاث مسائل يجب تعلمها.
- الفصل الثاني : في المسألة التي بها نجاة المسلم من الخسارة والهلاك.
- الفصل الثالث : في مراتب الدين.
- الفصل الرابع : في اعتناء الشيخ بتوحيد العبادة.
- الفصل الخامس : القواعد الأربع التي قرر بها توحيد العبادة.
- الفصل السادس : ما ورد في مؤلفه كتاب (فضل الإسلام) على اعتاده على الكتاب والسنة.
- الفصل السابع : فيما ألقه في أصول الإيمان .
- الفصل الثامن : في وجوب اعتقاد حق الرسول - صلى الله عليه وسلم واستدلاله على ذلك.
- الفصل التاسع : في لزوم السنة والتحذير من البدع واستدلاله على ذلك.
- الفصل العاشر : في وجوب عداوة أعداء الله واستدلاله على ذلك.
- الفصل الحادي عشر : من كتابه «مسائل الجاهلية».
- عشر
- الفصل الثاني عشر : ست موضوعات من السيرة لها صلة قوية بأسس الدعوة.
- عشر
- الفصل الثالث عشر : من مؤلفاته تلقين أصول العقيدة للعامة على طريقة السؤال والجواب.
- عشر
- الفصل الرابع عشر : في معنى الطاغوت.
- عشر
- الفصل الخامس عشر : في كتابه (الكبائر).
- عشر



الباب الرابع : في مؤلفات الشيخ فيما عدا العقائد، وفيه تمهيد وعشرون فصلاً:

الفصل الأول	: في مؤلفات الشيخ في الحديث.
الفصل الثاني	: في فضائل الأعمال.
الفصل الثالث	: في صلاة التطوع.
الفصل الرابع	: في فقه الشيخ في قراءة القرآن.
الفصل الخامس	: في الزكاة.
الفصل السادس	: في بر الوالدين وصلة الأرحام.
الفصل السابع	: في الصيام.
الفصل الثامن	: في المناسك (أى في الحج والعمرة).
الفصل التاسع	: في الحج والعمرة.
الفصل العاشر	: في الهدى والأضاحى والعقيقة.
الفصل الحادى عشر	: في الجهاد.
الفصل الثانى عشر	: في البيوع.
الفصل الثالث عشر	: في مؤلفات الشيخ مما عدا الحديث.
الفصل الرابع عشر	: في رسائل الشيخ الشخصية.
الفصل الخامس عشر	: في كتابة الشيخ بالسيرة النبوية.
الفصل السادس عشر	: في التفسير.
الفصل السابع عشر	: في كتابه زاد المعاد.
الفصل الثامن عشر	: في مختصر الشرح الكبير والإنصاف.
الفصل التاسع عشر	: في مؤلفاته المبتدأة.
الفصل العشرون	: في استنباطات الشيخ وتلخيصاته.
الخاتمة	.

# الباب الأول

## نبذة عن حياة الشيخ

### الفصل الأول

#### ترجمة موجزة وتتلخص في النقاط التالية:

نسبه، ولادته، بيئته، نشأته، طلبه للعلم، بداية دعوته، رحلاته في طلب العلم، مكان بدء نشر دعوته، وفاته.

أولاً : هو شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد بن راشد بن محمد بن مشرف، ثم إن آل مشرف بيت مشتهر، فمنهم من ينسب الشيخ له، ومنهم من نسبه إلى جد بعده هم الوهبة، ومنهم من ينسبه إلى التميمي، وقد ذكر الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام نسباً متسلسلاً إلى عدنان في كتابه «علماء نجد»، وقد أكد ذلك حسب ما اطلع عليه من كتب التراجم والأنساب.

ويقرب من الحقيقة لوجود الصهر بين البسام وجد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، إذ أن الشيخ عبد الوهاب أخواله البسام، وهذا المبحث في المجلد الأول من علماء نجد (٢٥).

ثانياً : ولد الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١١١٥هـ.

ثالثاً : إنه من بيت علم كبير، والده وأجداده وأعمامه، ونهج نهجه أحفاده.

رابعاً : نشأ الشيخ محمد بن عبد الوهاب مولعاً بحب العلم والمعرفة والاطلاع على العلوم الشرعية.

خامساً : درس على والده عبد الوهاب الفقيه المتنقل من روضة سدير إلى العيينة ثم إلى حريملاء، وتوفى عبد الوهاب فيها.

سادساً : بدأ محمد بن عبد الوهاب في حدود عام ١١٤٠ هـ ينشر آثار علمه وثمرات غرس والده من بيان الصحيح والفاقد من عبادات ومعاملات مجتمعه.

سابعاً : أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب امتد باعه إلى بعض العلماء المعاصرين في المدينة المنورة والبصرة، فرحل إليهم واستفاد من علومهم، ونهل من معينهم. ثامناً : بدأ بنشر دعوته في حريملاء - البلدة التي توفي فيها والده - ولكن لكثرة صدأ القلوب فيها لم تكن عندها قابلية لدعوته، فأذوه أميراً وأمورين.

فانتقل إلى العيينة أملا منه وغلبة ظن بأن أميرها عثمان بن معمر سيساعده. لعلمه أن الحق لا بد له من سلطان وسيف وسانن يقمع به كل مارد وشيطان، لأن الله يزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن كما قال الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضى الله عنه.

وفهم ذلك محمد بن عبد الوهاب من سيرة سيد ولد عدنان، إذ أقام بمكة يدعو ثلاث عشرة سنة فلم يستجب لدعوته إلا أفراد من الضعفاء والمساكين، وامتنع أهل الأموال والمتغطرسون.

ثم أذن الله له بالهجرة إلى المدينة فقوى الإسلام لكثرة المسلمين، فشرع في صد المعاندين وجهاد الكافرين لما أبوا عن إجابة الداعين إلى رب العالمين، فأذل الله الكفر وأهله وأزهق الباطل وخذله، وبهذا يقول الشاعر:

دعا المصطفى دهرا بمكة لم يجب      وقد لان منه جانب وخطـباب  
فلما دعا والسيف صلت بكفه      له اسلموا واستسلموا وأنابوا  
والقرآن مملوء بالنصوص الآمرة بقتال الكفرة والمشركين، كقوله تعالى:

« قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ » (٢٣).

(٢٣) التوبة آية (٢٩).

وقوله:

« فَأَقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ  
وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ  
فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » (٢٤).

والمقصود أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب في ذهابه إلى العيينة يلتمس نصرة لدعوته وعضداً يشد أزره ذا سلطان، فوعده عثمان بن معمر، ولكنه خذله بتهديد من ابن عريعر أمير الأحساء الذي هو أعلى منه قوة، ثم خرج محمد بن عبد الوهاب مختفياً إلى الدرعية، فشرع يلقي فيها الدروس، فأوى إلى مجلسه أميرها محمد بن سعود، فأنس به وشرح الله صدره لقبول نشر دعوته وحمايتها، وبدأ في ذلك عام ١١٥٨هـ.

واستمر على ذلك حتى محا الله على يديها كل بدعة وخرافة، وكل شرك وضلال في الجزيرة العربية، واستمر أحفادها على هذا الوعد والعهد حتى وقتنا الحاضر.

نسأل الله لنا ولهم الثبات في الحياة والمهات.

تاسعاً : توفي الشيخ محمد بن عبد الوهاب سنة ١٢٠٦هـ في بلدة الدرعية بعد أن استقرت وانتشرت دعوته.

وما أحسن ما أوجزه ابن بدران في كتابه «المدخل إلى مذهب الإمام أحمد» صفحتي ٢٢٩، ٢٣٠، فلقد وصف الإمام محمد بن عبد الوهاب وصفاً موجزاً مفيداً متضمناً لبداية دعوته وفقهه ومصدر علمه.. وهذا مما جعلني أستحسن نقله، وقد كتبه ابن بدران بمناسبة الكلام على مختصر الإنصاف والشرح الكبير حينما تكلم عن كتب الحنابلة.. قال ابن بدران:

« مختصر الشرح الكبير والإنصاف »

«تأليف العالم الأثرى والإمام الكبير محمد بن عبد الوهاب بن سليمان بن علي، يتصل نسبه بعبد مناة بن تميم التميمي، ولد سنة خمس عشرة ومائة وألف، وقد رحل إلى البصرة

(٢٤) التوبة آية (٥).

والحجاز لطلب العلم، وأخذ عن الشيخ على أفندي الداغستاني وعن المحدث الشيخ إسماعيل العجلوني وغيرها من العلماء، وأجازه محدثو العصر بكتب الحديث وغيرها على إصطلاح أهل الحديث من المتأخرين، ولما امتلأ وطأبه من الآثار وعلم السنة وبرع في مذهب أحمد أخذ ينصر الحق ويحارب البدع ويقاوم ما أدخله الجاهلون في هذا الدين الخفيفي والشريعة السمحاء، وأعانته قوم أخلصوا العبادة لله وحده على طريقته التي هي إقامة التوحيد الخالص، والدعاية إليه، وإخلاص الوجدانية والعبادة كلها بسائر أنواعها لخالق الخلق وحده، فحبا إلى معارضته أقوام ألفوا الجمود على ما كان عليه الآباء وتدرعوا الكسل على طلب الحق، وهم لا يزالون إلى اليوم يضربون على ذلك الوتر. وجنود الحق تكافحهم فلا تبقى منهم ولا تزر وما أحقهم بقول القائل:

كناطح صخرة يوماً ليوهنها :: فلم يضرها وأوهى قرنه الوعل  
ولم يزل مثابراً على الدعوة إلى دين الله تعالى حتى توفاه الله تعالى سنة ست  
ومائتين وألف هجرية.

ولقد شهدت الأقطار بعلمية محمد بن عبد الوهاب، وتناقلها المسلمون على مر السنين، وحتى كتاب عصرنا يتحدثون عنه وعن فقهه وعزمه في كتاباتهم سواء أرادوا الكلام عن مواطن حركات الإصلاح أو المصلحين.. ومنها ما قاله الدكتور محمد عمارة في بحثه الذي نشر بجريدة «الخليج» عدد ١١١٠ يوم ٢٨/٦/١٤٠٢ هـ الموافق ٢٢/٤/١٩٨٢ م.. حيث قال:

«في بيئة بدوية بسيطة، هي «نجد» شبه الجزيرة العربية، ولد ونشأ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦ هـ).. وكانت السيادة الاسمية والرسمية على موطنه لخلفاء آل عثمان.

وكان ابن عبد الوهاب سليل أسرة من الفقهاء، أخذ عنهم علوم الدين، كما درس على علماء الحرمين، مكة، والمدينة، وظهر نزوعه منذ فجر حياته إلى النهج السلفي الراض لما طرأ على عقائد الإسلام وعباداته من بدع وخرافات وإضافات.

لقد نظر ابن عبد الوهاب، فوجد عامة الناس يتخذون الوسائل والوسائط شفعاء إلى الله، بل ويتوجهون إليهم بالطلب والدعاء والاستغاثة في الملمات.. كما وجد العبادات قد أصابها البدع بالنقص والزيادة.. فشابت الشوائب كلا من العقائد والعبادات.

بدأ ابن عبد الوهاب يدعو إلى إسلام السلف، ويبشر بفكر ابن حنبل، وابن تيمية، وابن القيم، ويركز على إصلاح العقائد، وتصحيح العبادات.. فحكم بالشرك الظاهر والجلي على المتوسلين إلى الله بالأولياء والمشاهد والرموز، بل رأى شركهم أعظم من شرك الجاهلية الأولى «فلقد كان ابن عبد الوهاب أكثر من «شيخ» وأعظم من «فقيه» ومن ثم فإنه لم يشأ أن يقف بدعوته عند رسائل يؤلفها أو مواعظ يلقيها، أو حتى حلقة من الأتباع والمريدين.. لقد أراد أن تكون لدعوته «دولة» تضمن لها الانتشار والاستمرار.. فالله يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن».

وهكذا عاشت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في عقول الناس وأفئدتهم وعبرت به كلماتهم وكتاباتهم جيلاً بعد جيل، لاعتماده على شريعة الدين والدنيا فقها في العقيدة وفي شتى مجالات الحياة.

## الفصل الثاني

زمن الشيخ من ١١١٥ هـ - ١٢٠٦ هـ

ويشمل النقاط التالية:

أمضى الشيخ رحمه الله تعالى عمره كله فيما يلي:

أولاً : في التعليم، ثم نشر العلم.

ثانياً : حفظ القرآن لعشر سنين، ثم بدأ بعلمه من تفسير وفقه على والده، ومن هنا يتبين لنا أنه شعلة ضياء من صغره، وبعد أن تكامل بلوغه رغب في الاطلاع على العلوم الشرعية متنقلاً بين المدينة والبصرة.

ثالثاً : بعد أن نهل من العلم واستبان له الحقيقة الموصلة إلى الله، لم يهدأ له بال إلا أن يُعلم ما تعلمه من شرع الله، فبدأ شعاع نوره بالبصرة يبين ما عليه الناس من خطأ في العقيدة والفروع، ولكن لاستحكام الجهل فيهم ورسوخ البدع حدث منهم رد فعل لدعوته بالبصرة، فضيقوا عليه حتى خرج منها عائداً إلى بلده.

رابعاً : استمر يدرس على والده وعلى المشايخ الموجودين بالعيينة وحريملاء، ثم انتقل مع والده إلى حريملاء بعد أن ضاقت بهم العيينة ذرعاً، واستمر معلنا للحق، أمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر حتى توفي والده في حريملاء سنة ١١٥٣ هـ.

خامساً : أعلن دعوته في حريملاء وتعليمه التوحيد، ولكنهم لم يتقبلوا منه وضايقوه، فرجع إلى العيينة، واستقبله أميرها عثمان بن معمر وساعده على هدم القبة التي بنيت على قبر زيد بن الخطاب، ورجم المرأة الزانية، ولفشوا الجهل استنكروا ذلك حتى وشى بعثمان بن معمر عند ابن عريعر فاضطر إلى إبعاد الشيخ ابن عبد الوهاب عن بلده.

سادساً : بعد خروج الشيخ من العيينة اختار الله له الدرعية لتكون مقراً لدعوته.  
فنزل على أفراد منها كانوا قد اتصلوا به في العيينة، ثم بلغ خبره محمد بن سعود  
أمير الدرعية فبايعه على الجهاد والنصرة، فاستمر زمن الشيخ محمد بن  
عبد الوهاب في نشر دين الغفور التواب.  
والمقصود أن زمن حياة الشيخ كلها تعليم وتعلم، وهداية إلى الصراط المستقيم.



## الفصل الثالث

### الحالة الاجتماعية في زمن الشيخ

وتتلخص فيما يأتي:

أولاً : تردى السلطة الإسلامية بعد القرن الثامن الهجرى علماً وعملاً وتنفيذاً وخاصة في قلب الجزيرة.

ثانياً : بسبب هذا التردى لا يلوى أحد على أحد، ولا يقبل أحد من أحد، بل لكل ركب رأسه فتحكم فيهم الجهل، وتشتت بهم السبل، فكانوا في أمر مريج - أى مضطرب مختلف - لذا تفشت فيهم كل رذيلة وكل مرض ووباء، ثمثل بشئ منها: -

- ١ - خلو المساجد من المصلين إلا ما شاء الله.
- ٢ - انتشار الخرافات والصوفية الزائفة.
- ٣ - ادعاء الجهلاء ما ليس لهم، وما ليس لهم به علم.
- ٤ - حمل التائم في رقابهم والتي لا تغنى من الله شيئاً.
- ٥ - ترغيب في الحج إلى قبور الأولياء ورجاء الشفاعة منهم. وهذه الأمور تنافى ما أمر به محمد صلى الله عليه وسلم.
- ٦ - تغييب فضائل القرآن عن الناس مما جعلهم لا يعرفون عنها شيئاً.
- ٧ - لهذا انتهكوا حرمة - أى القرآن - فصاروا إلى ما يلي:  
أ - يشربون المسكرات ويتناولون الأفيون، فانتشرت الرذائل.  
ب - هتك ستر الحرمات.  
ج - أن ذلك كله بلا خشية ولا استحياء، ومن لم يستح فليصنع ما يشاء.
- ٨ - أن مكة والمدينة في زمن الشيخ دب إليهما ما في المجتمعات الأخرى من الوباء والأمراض الشهوانية والشبهية.

٩ - أن هذه الحالة السيئة في مجتمع نجد وغيره من العالم الإسلامي ليس راجعاً إلى عدم وجود علماء؛ بل هناك الفقهاء ولكنهم سائرون في الفروع أكثر من البحث في العقائد، وذلك والله أعلم أن الخطأ في العقائد بدع ثابتة وراسخة وخرافة طاغية على الفكر والأوهام.

ومتى كانت البدعة هكذا فإن اقتلاعها يصعب ويعسر لتأصلها في القلوب بمجرد كلام العلماء، فتحتاج إلى معاول تهدمها وأيدي سلطة تقلعها. إن الله يزرع بالسلطان ما لا يزرع بالقرآن، والعلماء حينئذ لم يوفقوا إلى حاكم إداري ينفذ ما يقولون ويحكم ما يبرمون.

## الفصل الرابع

### سبب قيام دعوة الشيخ

ولما تقدم على قلته تصورنا ظلمة «نجد» الاعتقادية والعملية، وإن وجد أفراد متمسكون كالأفراد الذين وجدهم الرسول متشبثين بملة إبراهيم، ولكن الحكم للسلطة والأغلبية، وأيضاً بتصور هذه الحالة السيئة للعالم الإسلامي ولعالم الجزيرة ونجد خاصة التي يسكنها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، يتضح لنا السبب الباعث لقيام الشيخ بهذه الدعوة إلى التوحيد وصرف الناس إلى محبة الله وحده، وتعريفهم بعظم ما أمر الله به ليمثلوه، وتحذيرهم عن الوقوع في أعظم ما نهى الله عنه وهو الشرك.

وهذه سجية كل عالم بالله وبكتابه وبشرع نبيه.

فأنار الله بصيرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فلم ير السكوت على هذه المنكرات التي هي معصية لله، فدفعته عقيدته وعلمه لانقاذ هؤلاء الفقراء من اتباع الشيطان والهوى وردهم إلى الصواب وسلوكهم سلوك المصطفى.

والخلاصة أن الباعث إلى قيام الشيخ بهذه الدعوة ما يأتي:-

أولاً : امتثالاً لأمر ربه ولرسوله ولأتباعه:

« قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي  
وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (٢٥).

ثانياً : تنزيه الله عما لا يليق بجلاله وعظمته على حد قوله تعالى:

« وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ » (٢٦).

(٢٥) سورة يوسف آية ١٠٨ .

(٢٦) سورة يوسف آية ١٠٨ .

ثالثاً : لينجو من الخسران المحكوم به على الإنسان بقوله تعالى:

« وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ » (٢٧)

رابعاً : ليحصل على فضل الدعوة كما قال تعالى:

« وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ » (٢٨)

خامساً : امثالاً لقول رسوله: «إلا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» (٢٩).

سادساً : رحمة بهؤلاء القوم من أن يقذف بهم الشيطان معه في النيران، لقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» (٣٠).

سابعاً : رغبة في قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «لئن يهدى الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم» (٣١).

ثامناً : طلباً للخير لقول الرسول: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه» (٣٢).

تاسعاً : امثالاً لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - : «بلغوا عني ولو آية» (٣٣).

عاشراً : ليحظى بدعوة عباد الرحمن.

« وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا » (٣٤)

(٢٧) سورة العصر .

(٢٨) فصلت آية ٣٣ .

(٢٩) رواه البخارى ٥٦/١ - ٥٧ في كتاب الإيمان ومسلم ٦٧/١ .

(٣٠) رواه الترمذى ٣٢٤/٤ في كتاب البر والصلة، وأبو داود ٢٨٥/٤ .

(٣١) البخارى ١١١/٦

(٣٢) البخارى ٧٤/٩

(٣٣) البخارى ٤٩٤/٦ في كتاب الأنبياء .

(٣٤) الفرقان ٧٤ .

الحادى عشر: تنفيذاً لأمر الله:

«ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْهُمْ  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ  
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» (٣٥).

## الباب الثاني

ما قيل عن اعتماد فقه الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة

### «المقدمة»

من المعلوم أن كل داعية سيدلى بأدلة إما أن تكون صحيحة فهاها إلى الثبوت والاستمرار، وإما أن تكون باطلة فيكون ماها للرد.

إن قبول الناس المنصفين وردهم للدعوة يرجع إلى صدق الداعية وكذبه، وليس كل من يدعى وصلاً يقر له بالوصول، ولا كل من زعم أمراً ثبت له المزعوم.

وكل يدعى وصلاً بليلى وليلى لا تقر لهم بذلك

قال الله تعالى:

« قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ » (٣٦).

فاليهود زعموا ولاية الله ولكن ليس لهذا الزعم ما يشته.

« زَعِمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ » (٣٧).

(٣٦) سورة الجمعة آية (٦).

(٣٧) التغابن آية (٧).

فالكفار زعموا عدم البعث، وحيث أنهم لم يبنوا زعمهم على أسس من الحقيقة، أبطله الله وأثبت ضده وما ينافيه.

وبهذه المقدمة البسيطة يتضح لنا صدق القول بأن فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب معتمد على الكتاب والسنة.

فليس ما قيل في ذلك مجرد زعم أو توهم، بل ما قاله عن نفسه من اعتداد على الأدلة وما قاله غيره، واضح جلي وثابت في مراسلاته وكتابه ومؤلفاته المنتشرة بين العالم، لا يستطيع أحد إنكارها إلا من أغمض عينيه عن الحقيقة، وتغلب عليه الهوى والتقليد الأعمى والعصبية المقوتة.

وما انطلت عليه شبه المشبهين من الخرافيين بأن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا يحب الأنبياء والصالحين، غرس هذه الشبهة الشيطان بأدمغة أوليائه، وأغفلهم عن مراد الداعية، وهو أنه ينهى عن زيارة القبور البدعية، وإعطاء الأولياء الصالحين فوق حقهم وتشريكهم بحق الله.

وما ثبت من زيارة القبور الشرعية، فمحمد بن عبد الوهاب يأمر بها ولم ينه عنها. ويعطى الأنبياء والأولياء حقهم من محبتهم التي تجعل من يحبهم يتأسى بأقوالهم وأفعالهم حتى يكون ولياً بما كانوا به أولياء، وصالحاً بما كانوا به صلحاء. قال تعالى:

«الْأَلَاءِ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ» (٣٨).

فلم يثبت الولاية إلا للمؤمنين المتقين، ولم يقل إن الولاية لمن عظم قبور الصالحين وتبرك بهم وجعل لهم النذور والذبائح. وهذه الحقيقة ثابتة في مؤلفات الشيخ المجدد للقرن الثاني عشر الهجري، والذي مازال إصلاحه مستمراً وتأليفه فيه مستقراً. فهو بين أيدينا منظوراً ومقروءاً، فنسأل الله أن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه، ويرينا الباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه.

فكانت عناية الشيخ بالعقيدة وتصحيحها وتعديل مفاهيم الناس، ولكنه مع ذلك لم

(٣٨) سورة يونس آية ٦٢، ٦٣.

يغفل الفروع بل أدى لها جملة من الاهتمام، يتضح ذلك فيما قرره وأنه من أبعد الناس عن التعصب والتقليد.

يدعو إلى التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، يتوخى الدليل ويرى الاقتداء بالأئمة بما لم يقدّم الدليل على خلاف من اجتهاداتهم.

ومؤلفاته حافلة بذلك سواء ما ألفه ابتداءً في التوحيد والفروع، أو ما اختصره من كتب الأئمة والمحققين تقريباً منه إلى الأذهان القاصرة، ونظراً منه بوصل طلابه بالأئمة السابقين ونفعهم العاجل، لأنه ليس كل طالب علم يقوى على قراءة الكتب المطولة، فإذا قرأ المنصف والمحِب للفائدة والراغب في الإطلاع والذب عن أئمة الدعوة مؤلفاته التي قامت بجمعها وطبعها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، تجلّى للقارىء اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة.

وقد ألزم نفسه رحمه الله أن يسير في دعوته على الكتاب والسنة بالقول والفعل، وأن يأخذ بما قرره علماء المسلمين الثقات في مسائل الاجتهاد مما لا نص فيه من كتاب أو سنة أو إجماع، وحينما يختلفون حسب مفاهيمهم من النصوص فإنه يأخذ بما ترجح عنده. وأما التزامه بالفعل فسيظهر جلياً للقارىء من مؤلفاته. وأما التزامه بالقول فمنه ما يأتي .. وهو الفصل الأول من هذا الباب بما قرره عن نفسه وقرره أحفاده وطلابه من اعتمادهم على الكتاب والسنة.



## الفصل الأول

### القواعد الأربع التي قررها الشيخ لدوران الدين عليها

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه ونور ضريحه: «هذه أربع قواعد من قواعد الدين التي تدور الأحكام عليها، وهي من أعظم ما أنعم الله به على محمد صلى الله عليه وسلم وأمته، حيث جعل دينهم ديناً كاملاً وافياً، وأكمل وأكثر علماً من جميع الأديان، ومن ذلك جمعه لهم في لفظ قليل، وهذا ما ينبغي التفطن له قبل معرفة القواعد الأربع، وهو أن تعلم قول النبي صلى الله عليه وسلم لما ذكر ما خصه الله به على الرسل يريد منا أن نعرف منة الله علينا ونشكرها. قال: لما ذكر الخصائص «وأعطيت جوامع الكلم»<sup>(٣٩)</sup>.. قال إمام الحجاز محمد بن شهاب الزهدي معناه: أن يجمع الله له المسائل الكثيرة في الألفاظ القليلة.

القاعدة الأولى: تحريم القول على الله بلا علم، لقوله تعالى:

«قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَأَلَّا تُمَّ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ»<sup>(٤٠)</sup>.

القاعدة الثانية: أن كل شيء سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يحرمه أو يوجهه أو يستحبه أو يكرهه، لقوله تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنَ أَشْيَاءَ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوِكُمْ وَإِنْ سَأَلْتُمْ

(٣٩) رواه البخارى ١٢/٣٩٠ فى كتاب التعبير رقم الحديث ٦٩٩٨، ورواه مسلم ١/٣٧١ كتاب المساجد.

(٤٠) الأعراف آية ٣٣.

عَنْهَا حِينَ يُنَزَّلُ الْقُرْآنُ أَنْ تَبَدَّلَ لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ» (٤١).

قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها» (٤٢).

القاعدة الثالثة: أن ترك الدليل الواضح والاستدلال بلفظ متشابه هو طريق أهل الزيغ كالرافضة والخوارج، قال الله تعالى:

« فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ » (٤٣).

والواجب على المسلم اتباع المحكم، فإن عرف معنى المتشابه وجده لا يخالف المحكم بل يوافقه، وإلا فالواجب عليه اتباع الراسخين في العلم في قولهم:

«أَمَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا» (٤٤).

القاعدة الرابعة: أن النبي صلى الله عليه وسلم ذكر أن «الحلال بين وأن الحرام بين وبينهما أمور متشابهات» (٤٥)، فمن لم يفتن لهذه القاعدة وأراد أن يتكلم على كل مسألة بكلام فاصل فقد ضل وأضل.

فهذه أربع قواعد ثلاث ذكرها الله في كتابه والرابعة ذكرها رسول الله صلى الله عليه وسلم (٤٦) وهي واضحة في بيان مسلك الشيخ نحو الكتاب والسنة، فهل يقوى أحد

(٤١) سورة المائدة آية ١٠٦ .

(٤٢) أخرجه الدارقطني ٤/٢٩٧-٢٩٨ . قال النووي في الأربعين : حديث حسن .

(٤٣) آل عمران آية ٧ .

(٤٤) آل عمران آية (٧) .

(٤٥) رواه البخارى في كتاب الإيمان ١/١٢٦ حديث رقم ٥٢ .

(٤٦) الدرر السنية ج ٤ صفحة ١

بعد هذا أن يرميه بالتعصب والهوى. ثم إن هذه القواعد شاملة لجميع العلوم الشرعية كما لفت رحمه الله نظر القارىء لها بقوله: «اعلم رحمك الله أن هذه الكلمات الأربع مع اختصارها يدور عليها الدين، سواء كان المتكلم يتكلم في علم التفسير، أو في علم الأصول، أو في علم أعمال القلوب - الذى يسمى علم السلوك - ، أو في علم الحديث، أو في علم الحلال والحرام، أو الأحكام الذى يسمى الفقه.. أو على علم الوعد والوعيد، أو في غير ذلك من أنواع علوم الدين»<sup>(٤٧)</sup>.

وأنا أمثل لك مثلاً تعرف به صحة ما قلته، وتحتذى به إن فهمته، وأمثله لك في فنون الدين وهو علم الفقه - وكما قرر إمام الدعوة في هذه القواعد ما يلزم المتكلم من الاستدلال الصريح، قرر أيضاً أن للشريعة قواعد كلية تستدل بها على الجزئيات، ولا يستغنى طالب العلم عن معرفتها، فالمستدل بقاعدة من الشرع على جزئية فهو كالمستدل بنص صريح فى جزئية ما، لأن الشريعة لم تأت بجزئيات المسائل وتفصيلها - لذا صارت شاملة وكاملة إلى يوم القيامة، وكلما حدثت واقعة جديدة أدخلها من نوره الله بصيرته تحت قواعد الشريعة.

قال الشيخ رحمه الله تعالى: (ومن أعظم ما من الله به عليه صلى الله عليه وسلم وعلى أمته أعطاه جوامع الكلم)، فيذكر الله تعالى فى كتابه كلمة واحدة تكون قاعدة جامعة يدخل تحتها من المسائل ما لا يحصى، وكذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد خصه الله بالحكمة الجامعة.

ومن فهم هذه المسائل فهما جيداً فهم قول الله تعالى:

«الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكَ دِينَكَ»<sup>(٤٨)</sup>.

وهذه الكلمة أيضاً من جوامع الكلم، إذ الكامل لا يحتاج إلى زيادة ، فعلم منه بطلان كل مُحدّث بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه، كما أوصانا به فى قوله صلى الله عليه وسلم (عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى، وإياكم

(٤٧) الدرر السنية ج ٤ صفحة ١ - ٢ .

(٤٨) سورة المائدة آية (٣) .

ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار<sup>(٤٩)</sup>.  
ونفهم أيضاً معنى قوله تعالى:

«فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»<sup>(٥٠)</sup>.

فإذا كان الله سبحانه قد أوجب علينا أن نرد ما تنازعنا فيه إلى الله - أى إلى كتاب الله - وإلى الرسول صلى الله عليه وسلم - أى إلى سنته. علمنا قطعاً أن من رد إلى الكتاب والسنة ما تنازع الناس فيه وجد فيه ما يفصل النزاع<sup>(٥١)</sup>.  
وبعد سياق هذه القواعد التى تبين كمال الدين وشموله لكل جزئية، ووجوب الرد إليه، لم تره خالف ما قرره حتى وافته المنية رحمه الله، لاسيما أنه أتبع ما قرره بقوله هنا وفعله فى مؤلفاته.

(٤٩) رواه ابو داود فى كتاب السنة ج ٤ / ٢٠٠ - ٢٠١ حديث رقم ٤٦٠٧، والترمذى فى كتاب العلم حديث رقم

٢٦٧٦ جزء ٥ صفحة ٤٤.

(٥٠) النساء آية ٥٩ .

(٥١) الدرر السننية ج ٤ صفحة ٤ .

## الفصل الثاني

### في كلام الشيخ عن طريقة الأخذ فيما اختلف فيه العلماء وأقوالهم

قال رحمه الله: «إذا اختلف كلام أحمد وكلام الأصحاب، فنقول في محل النزاع التراد إلى الله وإلى رسوله لا إلى كلام أحمد ولا إلى كلام الأصحاب ولا إلى الراجح من ذلك، بل قد يكون الراجح والمرجح من الروايتين والقولين خطأ قطعاً، وقد يكون صواباً» (٥٢) ثم أجاب عن قول القائل، ما الموقف إذا استدل كل من المختلفين بأدلة صحيحة؟ قال رحمه الله: «وقولك إذا استدل كل منهما بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض، بل الصواب يصدق بعضه بعضاً، لكن قد يكون أحدهما خطأ في الدليل، إما أنه يستدل بحديث لم يصح، وإما فهم من كلمة صحيحة مفهوماً خاطئاً. وبالجملته فمتى رأيت الاختلاف فرده إلى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإذا لم يتبين لك واحتجت إلى العمل فخذ بقول من تثق بعلمه ودينه» (٥٣).

وقال رحمه الله في جواب من قال: «لا إنكار في مسائل الاجتهاد» مما يدلنا على محبته للدليل ورغبته فيه، وأنه لا يعد متعصباً بل هو مجتهد في التماس الدليل وترجيحه حسب ما وضحه ابنه عبدالله فقال:

«ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد منا يدعيها إلا أنه في بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به وتركنا المذهب، وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماما حق من أهل السنة وكتبها من أعز الكتب إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم» أ.هـ. (٥٤).

(٥٢) الدرر السنية ج ٤ ص ٤ .

(٥٣) الدرر السنية ج ٤ ص ١٤ .

(٥٤) الدرر السنية ج ٤ ص ٨ .

قال: من قال (لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فجوابه يعلم من القاعدة المتقدمة (٥٥)، فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائنا من كان ولو كان أعلم الناس وأتقاهم. وإذا كان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه، فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئٌ ينبه على خطئه وينكر عليه، وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب فهذا كلام صحيح لا يجوز للإنسان أن ينكر الشيء لكونه مخالفاً لمذهبه أو لعادة الناس. فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم، لا يجوز أن ينكر إلا بعلم. وهذا كله داخل في قوله تعالى:

«وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» (٥٦).

فما أصلحها من قواعد واضحة في كلام يدل على اعتماد الشيخ واستناده إلى الكتاب والسنة بأمره ونهيه.

(٥٥) القاعدة السابقة في الصفحة (٢٤٩)

(٥٦) سورة الإسراء آية ٣٦ .

## الفصل الثالث

### في كلام الشيخ على قولهم اتفاق العلماء حجة واختلافهم رحمة

ثم تكلم الشيخ عن قول من قال (اتفاق الأئمة حجة، واختلافهم رحمة) (٥٧) ففصل في الجملة الأولى وبين متى يكون الاتفاق حجة - وهو ما إذا صدر عن العلماء كلهم.. وأبطل الجملة الثانية في قوله (اختلافهم رحمة) وذكر أن الرحمة في الجماعة، وأن في الاختلاف العذاب، إلى أن قال الشيخ: فينبغي للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف والعمل بذلك فيحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا. لكن لا يتخذهم أربابا من دون الله.

هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم، فهو طريق المغضوب عليهم، واتخاذهم أربابا من دون الله.

وشن الشيخ الغارة على من قال: العلماء أعلم منا بذلك، حينما يقال له قال الله وقال الرسول ونسب ذلك للضلال) (٥٨).

فهل ترى الشيخ يقرر هذا ثم لا يعتمد على دليل من كتاب وسنة.

---

(٥٧) الدرر السنية ج ٤ ص ٤ - ٥ .

(٥٨) الدرر السنية ج ٤ ص ٦ .

## «الفصل الرابع»

ثم تكلم الشيخ على الذين يقولون لا يقرأ الكتاب لعدم إمكان فهمه، واستدل على بطلان قولهم بنصوص من القرآن - تدل على عموم قراءته في كل زمان ومكان وأن فهمه ممكن لكل إنسان، كقوله تعالى:

«وَقَدْ آتَيْنَاكَ مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٥٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا» (٥٩).

وقوله تعالى:

«وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٥﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ أَيْتَنَّا فَنَسِيَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى» (٦٠).

وقوله تعالى:

«وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» (٦١).

فدل هذا الاستدلال من الشيخ على أن الفهم والاستنباط من الكتاب باق إلى يوم القيامة، وأن كل قول مخالف للكتاب والسنة فهو مطروح مضرراً به الحائظ قديماً كان أو حديثاً.

وإذا عرف هذا من الشيخ بقوله فقد أتبعه الفعل حيث استدل على دعوته في تأليفاته من الكتاب والسنة.

(٥٩) سورة طه آية ٩٩ - ١٠٠ .

(٦٠) سورة طه آية ١٢٤ - ١٢٦ .

(٦١) الزخرف آية ٣٦ .



## الفصل الخامس

### في كلام الشيخ على الذين يحاولون طرح

### أقوال العلماء

### وبيان مبدئه وموقفه منها

واسمع جواب إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ورده على الذين يحاولون طرح أقوال العلماء، لأن مبدئه الأخذ بالكتاب والسنة شأنه شأن السابقين من الأئمة، والاستعانة بقولهم على فهم الاستدلال والأخذ بقولهم إذا لم يوجد دليل ولم يخالف قاعدة شرعية.

فهناك تفسير عن شيخ الإسلام ابن تيمية (ولتكن همته فهم مقاصد الرسول صلى الله عليه وسلم في أمره ونبيه ما صورته، فأجاب مراده: ما شاع وذاع أن الفقه عندهم هو الاشتغال بكتاب فلان وفلان - فراده التحذير من ذلك.

وقال أيضاً: (كذلك غيركم: إنما اتباعهم لبعض المتأخرين لا للأئمة).

فهؤلاء الحنابلة من أقل الناس بدعة.

وأكثر الاقتناع والمنتهى مخالف لمذهب أحمد ونصه، فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف ذلك من عرفه<sup>(٦٢)</sup>.

فدل جواب الشيخ على ما يأتي:

- ١ - عدم التعصب لمذهب معين.
- ٢ - ذمه للمشتغلين بأقوال العلماء دون استناد إلى الدليل.
- ٣ - أنه ليس متعصباً مقلداً جامداً لمذهب أحمد وحده، وإن درس الفقه على ضوء قواعده.

(٦٢) الدرر السنية ج ٤ ص ٦.

٤ - وضع ذلك بالمثل الذي ضربه بما في الإقناع والمنتهى من مخالفته لمذهب أحمد فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم، فدل منه هذا أن الفقهاء لهم اجتهادات في المفاهيم، ثم أيضاً رحمه الله ذكر قاعدة للعمل بما فيه خلاف، مما يدل على محبته للإتفاق وعدم الاختلاف ومحبته للدليل والأخذ به بأى طريق كان ولو انقلب الفاضل مفضولاً .

ونقل القواعد الآتية عن الشيخ تقي الدين مما يدل على أنه يراها:

«ذكر الشيخ تقي الدين رحمه الله قواعد»:

الأولى: أن النبي صلى الله عليه وسلم إذا سن أمرين وأراد أحد أن يأخذ بأحدهما ويترك الآخر أنه لا ينكر عليه كالقراءات الثابتة، ومثل الذين اختلفوا في آية فقال أحدها: ألم يقل الله كذا؟ وقال الآخر: ألم يقل الله كذا؟ وأنكر النبي صلى الله عليه وسلم عليهم وقال: «كل منكما محسن»<sup>(٦٣)</sup> فأنكر الاختلاف وصوب الجميع في الآية.

الثانية: إذا أم رجل قوماً وهم يرون القنوت أو يرون الجهر بالبسملة وهو يرى غير ذلك والأفضل ما رأى، فموافقتهم أحسن ويصير المفضول هو الفاضل<sup>(٦٤)</sup>.

(٦٣) رواه البخارى في كتاب المحصرات ٧٠/٥ رقم الحديث ٢٤١٠ وأيضاً في كتاب الأنبياء حديث ٣٤٧٦

٥١٣/٦ .

(٦٤) الدرر السنية ج ٤ صفحة ٦

## «الفصل السادس»

وأيضاً مما يدل على اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة قوله لابن معمر عندما أخبره عن خطة محاولة بن عريعر وتهديده لابن معمر ليمنع الشيخ، قال الشيخ: (إن هذا الذي أنا قمت به ودعوت إليه كله «لا إله إلا الله» وأركان الإسلام والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) فإن أنت تمسكت به ونصرته فإن الله يظهره على أعدائك، فلا يزعجك سليمان ولا يضرك، فإني أرجو أن ترى من الظهور والتمكين والغلبة ما ستملك به بلاده وما وراءها وما دونها، فاستحيا عثمان وأعرض عنه... الخ<sup>(٦٥)</sup>.

وأيضاً كانت دعوة الشيخ بمجال لا بد له من الدليل، ولا يسعه غيره لأنه ينكر ما يفعله الجهال من البدع والشرك والأقوال والأفعال، وكثر منه الإنكار لذلك ولجميع المحظورات.

وهذه الأمور لا بد لها من دليل ولتمكنها من النفوس والقلوب يصعب قلعها بالدليل فيها بالك بغيره<sup>(٦٦)</sup>.

---

(٦٥) عنوان المجد ص ١٧ .

(٦٦) عنوان المجد ص ١٨ .

## الفصل السابع

### كلامه في المدينة لما سئل

### عن الأصوات عند قبر الرسول

وأيضاً مما يدل على أن الشيخ يستدل بالكتاب والسنة، أنه عندما كان في المدينة المنورة يسمع الاستغاثات برسول الله صلى الله عليه وسلم ودعاءه من دون الله فكاد مرجل غبظه ينفجر، فقال الشيخ محمد حياة السندی: ما تقول يا شيخ في هؤلاء؟.. فأجابه: «إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَرِّمُهُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٦٧) الخ. (٦٨)

وإذا سمعنا ما قبل هذه الآية اتضح لنا استدلال الشيخ وظهوره، والتي قبلها ما حكاه الله عن قوم موسى:

«وَجَنَوزْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَاثْوَأَ عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامِهِمْ قَالُوا يَمْوَسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٢٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مُتَبَرِّمُهُمْ فِيهِ وَبَطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٦٩).

ولقد شبه رسول الله صلى الله عليه وسلم قول أصحابه لما مروا بسدرة قالوا: اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط (٧٠) بمقالة بنى اسرائيل ليدل على بطلان مقالتهم فقال صلى الله عليه وسلم: «والذي نفسى بيده قلت كما قالت بنو اسرائيل لموسى ...

(٦٧) الأعراف آية ١٢٦ .

(٦٨) كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأحمد بن محمد بن حجر آل بوطامي ص ١٨ .

(٦٩) الأعراف آية ١٢٨ - ١٢٩ .

(٧٠) رواه الترمذى فى كتاب الفتن ٤/٤٧٥ حديث ٢٦٨٠ وأحمد فى مسنده ٢٦٨/٥ .

« أَجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ ءِالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٦٨﴾  
إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَطَلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ».

وأيضاً عندما كان يدرس العلم بالبصرة نشر علمه النافع حول موضوع البدع..  
والخرافات، وإنزال التضرع والحاجات بسكان القبور من عظام نخرة وأوصال ممزقة، وعزز  
كلامه بالآيات الساطعات والبراهين الواضحات<sup>(٧١)</sup>.  
فياترى أيقدر على إنكار مثل هذا من غير آية أو حديث، وألف في ذلك كتابه المسمى  
«كتاب التوحيد» وسيأتى إن شاء الله نموذج منه.

---

(٧١) كتاب الشيخ محمد بن عبدالوهاب لأحمد بن محمد بن حجر آل بوطامي ص ١٧ .

## الفصل الثامن

### فيما قاله أحفاد الشيخ في اعتماده على الكتاب والسنة

كلام ابنه حسين وعبدالله في عقيدة الشيخ وطريقته في الاستدلال، وطريقتهم، وأنهم سالكون مسلك الأئمة في التماس الأدلة، وقرر هذان الابنان موقف الشيخ من اختلاف الفقهاء.

وجوزوا الانتقال إذا اتضح الدليل.

وسيتبين لك أخى القارى من كلامهم الذى سأنقله ما يدل على اتباع الشيخ للدليل على أى مذهب كان: «عقيدة الشيخ رحمه الله التى يدين بها هى عقيدتنا وديننا الذى ندين الله به، وهى عقيدة سلف الأمة وأئمتها والصحابة والتابعين لهم بإحسان، وهو اتباع ما دل عليه الدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وعرض أقوال العلماء على ذلك.

فما وافق كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم قبلناه وأفتينا به، وما خالف ذلك رددناه على قائله، وهذا هو الأصل الذى أوصانا به فى كتابه حيث قال تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَردُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ (٧٢).

أجمع المفسرون على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه، وأن الرد إلى الرسول هو الرد إليه فى حياته وإلى سنته بعد وفاته، والأدلة على هذا الأصل فى الكتاب والسنة.

(٧٢) سورة النساء آية ٥٩ .

وإذا تفقه رجل في مذهب من المذاهب الأربعة ثم رأى حديثاً يخالف مذهبه فاتبع الدليل وترك مذهبه، كان هذا مستحباً بل واجباً عليه إذا تبين له الدليل. ولا يكون بذلك مخالفاً لإمامه الذي اتبعه، فإن الأئمة كلهم متفقون على هذا الأصل، أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد، رضي الله عنهم أجمعين.

قال الإمام مالك رحمه الله تعالى (كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم).

وقال الشافعي لأصحابه: (إذا صح الحديث عندكم فاضربوا بقولي الحائط)، وفي لفظ (إذا صح الحديث عندكم فهو مذهبي).

وقال الإمام أحمد: (عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته يذهبون إلى رأي سفيان). والله سبحانه وتعالى يقول:

﴿ فليحذر الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٧٣)

أتدري ما الفتنة؟.. الفتنة: الشرك.

لعله إذا رد بعض قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيف فيهلك.

وقال لبعض أصحابه: (لا تقلدوني ولا تقلدوا مالكا ولا تقلدوا الشافعي وتعلموا كما

تعلمنا).

وكلام الأئمة في هذا كثير جداً ومبسوط في غير هذا الموضوع (٧٤).

فاسمع أخي القاري، قاعدة ابنى إمام الدعوة حسين وعبدالله في موقف طالب العلم

من أقوال العلماء السابقين إذا لم يخالف دليل.

وفي بيان ما ينكر من طالب العلم (وأما إذا لم يكن عند الرجل دليل في المسألة

يخالف القول الذي نص عليه العلماء أصحاب المذاهب، فنرجو أنه يجوز العمل به لأن

رأيهم خير من رأينا لأنفسنا، وهم إنما أخذوا الأدلة من أقوال الصحابة فمن بعدهم.

(٧٣) سورة النور - آية (٦٣)

(٧٤) الدرر السنية ج ٤ ص ٦ - ٧ .

ولكن لا ينبغي الجزم بأن هذا شرع الله ورسوله حتى يتبين الدليل الذى لا معارض له فى المسألة، وهذا عمل سلف الأمة وأئمتها قديماً وحديثاً. والذى نكره هو التعصب للمذاهب وترك اتباع الدليل (٧٥).

ولها كلام آخر فى هذا المعنى وبيان المجتهد والمستخرج لمسائل العلم والذى لا يقدر على ذلك كيف يسير وكيف يهتدى؟ بينا موقفه، وهو سؤال العلماء، واستدلوا (٧٦) على ذلك بقوله تعالى:

(.. فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) (٧٧).

والمقصود من هذا بيان حرص الشيخ وأحفاده على الدليل، والقرب من الشريعة بقواعد أو كلام علماء موثوقين بأن اشتهرت علميتهم وثقتهم بين المجتمعات. فمن كانت هذه طريقته هل يدعو ويجادل ويناضل بغير دليل؟ وإليك أخى القارىء ما قاله عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب فى موقفهم نحو مسائل الفروع.

يريد بذلك طريقته، وطريقة والدهم، وكيف نفى التقليد المذموم وبين التقليد الجائز، وأنه لا مانع أن يدرس الإنسان الفقه على مذهب أحد الأئمة ويعدل إلى قول إمام آخر إذا ترجح له الدليل.

فمن كانت هذه قاعدتهم ومبادئهم ونصوص كلامهم.. هل يرمون بالتعصب المذموم؟ وهل يتهمون بالجمود على مذهب معين؟ أو يتجاهل الدليل؟ .. قال:

«ونحن فى الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا نكر على من قلده أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة والزيدية والإمامية ونحوهم، بل لا نفرهم ظاهراً على شئ من مذاهبهم الفاسدة، ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد يدعيها، إلا أننا فى بعض المسائل إذا صح لنا نص جلى من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة، أخذنا به وتركنا المذهب،

(٧٥) الدرر السنية ج ٤ ص ٧.

(٧٦) الدرر السنية ج ٤ ص ٧ - ٨.

(٧٧) سورة النحل آية ٤٣، وسورة الأنبياء آية ٧.



ومن كلام عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب أيضاً ما أوضحه في رسالته إلى عبدالله بن عبدالله الصنعاني الذي يكشف طريقة أئمة الدعوة بكل وضوح ويبيّن عن التقليد، ويبين أنهم مع الدليل، إلا أن الصنعاني استشكل قول الشيخ عبدالله «ونحن في الفروع على مذهب أحمد.. قال الشيخ: «أما بعد فقد وصل جوابكم وسر الخاطر وأقر الناظر حيث أخبرتم أنكم على ما نحن عليه من الدين، وهو عبادة الله وحده لا شريك له، ومتابعة الرسول الأجد سيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم، وما أوردتم على ذلك من الآيات الواضحات والأحاديث الباهرات، وأن الرد عند الاختلاف إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ثم إلى أقوال الصحابة ثم التابعين لهم بإحسان، فذلك ما نحن عليه فهو ظاهر عندنا لكن كل قول له حقيقة، وحقيقة العلم وثمرته العمل.

(قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (٧٨).  
 (لَا تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ) (٧٩).

وكل يدعى وصلاً لليلي وليلى لا تقدر لهم بذلك

فنحن أقمنا الفرائض والشرائع والحدود والتعزيرات، ونصبنا القضاة، وأمرنا بالمعروف ونهينا عن المنكرات، ونصبنا علم الجهاد على أهل الشرك والعناد، فله الحمد والمنة»<sup>(٨٠)</sup>.

ثم أجاب الشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب أن استشكل الشيخ الصنعاني على قول الشيخ «ومذهبنا مذهب الإمام أحمد بما يشفى ويكفي ويوضح المراد وهو أنهم يتخذون أقوال أحمد معروضة على الدليل، وينكرون على الذي يأخذ الآراء فقط، ويجعل أقوال العلماء أصولاً للدين، ولطول جواب الشيخ عبدالله أقتصر على نقل هذه الجملة :

«فإن هذا من توهمكم أن قولنا مذهبنا مذهب الإمام أحمد، أننا نقلده فيما رأى» وقال: «وإن خالف الكتاب والسنة، والإجماع، فنعوذ بالله من ذلك والله المستعان».

(٧٨) سورة ال عمران آية (٣١).

(٧٩) سورة الصف آية (٢).

(٨٠) الدرر السنية ج ٤ ص ٨ - ٩.

ويحسن بك أيها القارئ في اعتماد الشيخ وأحفاده على الكتاب والسنة أن ترجع إلى جوابه للشيخ عبدالله الصنعاني»<sup>(٨١)</sup>. أ. هـ .

ثم استطرد الشيخ عبدالله في بيانه قاعدة الأئمة الأربعة في تقريرهم الأقوال واستنادهم على الدليل، وساق أقوالهم التي تقضى بأنه يقبل منهم ما وافق الدليل، وأن ما خالفه يضرب به الحائط، ثم اختتم جوابه للصنعاني بقوله:

«انتهى كلامكم فهل أنتم مجتهدون، أم تأخذون عن أقوال المفسرين وشراح الحديث وأتباع الأئمة الأربعة؟.. فإن كان الثاني فأخبروني عن أكثر ما تأخذون عنه وترضون قوله من علماء أهل السنة وفقنا الله وإياكم من العمل ما يرضيه، وجنبنا وإياكم العمل بمناهيه، وسامحنا وإياكم عند الوقوف بين يديه، وجعل أعمالنا مقبولة، والله أعلم»<sup>(٨٢)</sup>.

وللشيخ عبدالله بن محمد بن عبد الوهاب كلام كثير في هذا المعنى يدل على اعتنائهم بالدليل، كما رسمه لعلماء مكة لما دخلوها سنة ١٢١٨ هـ وجمع لهم الأمير علماء مكة ليبين لهم هدفهم.

قال الشيخ: «ولما تمت عمرتنا جمعنا الناس ضحوة الأحد وعرض الأمير على العلماء ما نطلب من الناس ونقاتلهم عليه - وهو إخلاص التوحيد لله وحده. وعرفهم أنه لم يكن بيننا وبينهم خلاف له وقع إلا في أمرين:

أحدهما: إخلاص التوحيد لله ومعرفة أنواع العبادة وأن الدعاء من جملتها وتحقيق معنى الشرك الذي قاتل عليه الناس نبينا محمد صلى الله عليه وسلم واستمر دعاؤه برهة من الزمان بعد النبوة إلى ذلك التوحيد، وترك الإشراك قبل أن تعرض عليه أركان الإسلام الأربعة.

والثاني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي لم يبق عندهم إلا اسمه وانمحي أثره واندثر.

فوافقونا على استحسان ما نحن عليه جملة وتفصيلا، وبايعوا الأمير على الكتاب والسنة.

(٨١) الدرر السنية ج ٤ ص ١٠ .

(٨٢) الدرر السنية ج ٤ ص ١٣ .

ومما قاله هو وإبراهيم وحسين وعلى وحمد بن ناصر: [وأما قولكم هل يجب على المكلف في المسائل المختلف فيها، فهذا يحتاج إلى تفصيل وبسط ليس هذا موضعه، لكن الواجب على المكلف أن يتقى الله ما استطاع، كما قال تعالى:

« فَأَتَقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ » (٨٣).

وقال تعالى:

« لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » (٨٤).

فإن كان المكلف فيه أهلية لمعرفة دلائل المسائل من كتاب وسنة، وجب عليه ذلك باتفاق العلماء، وإن لم يكن فيه أهلية كحال القوم الذين لا معرفة لهم بأدلة الكتاب والسنة، فهؤلاء يجب عليهم التقليد وسؤال أهل العلم فقط .. كما قال تعالى:

« فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ » (٨٥).

وهذا في غير أصول الدين، وأما أصول ما بعث به من التوحيد، وما أخبر به عن الله من البعث بعد الموت، والجنة والنار، ومثل وجوب الفرائض من الصلاة، والزكاة، والحج، والصوم ونحو هذا فلا يجوز في هذا التقليد، والمقلد فيه معذب في البرزخ كما ثبت ذلك في الأحاديث، ومنها قول الرسول صلى الله عليه وسلم:

«وأما المنافق والمرتاب فيقول: هاه.. هاه.. لا أدري - سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته» (٨٦)(٨٧).

فهذه الأقوال ماذا تدل عليه؟ ما هي إلا دلالة واضحة على اعتماد إمام الدعوة وأحفاده على الكتاب والسنة.

وقال أيضاً الشيخ عبدالرحمن بن حسن حفيد الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيمن ترك

(٨٣) سورة التغابن آية ١٦ .

(٨٤) البقرة آية ٢٨٦ .

(٨٥) سورة النحل آية ٤٣ ، والأنبياء آية ٧ .

(٨٦) رواه البخارى ١٨٠/١ كتاب العلم

(٨٧) الدرر السنية ج ٤ ص ١٣ - ١٤

العمل بالحديث الصحيح إذا خالف المذهب.. هذا من محدثات الأمور التي ما أنزل الله بها من سلطان. قال تعالى:

« أَتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ » (٨٨).

وقال تعالى:

« فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا » (٨٩).

وهذا أصل عظيم من أصول الدين - قال العلماء رحمهم الله - كل يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا القول الذي يقوله هؤلاء يقضى إلى هجران الكتاب والسنة، وتبديل النصوص، والتقليد الأعمى المفضى إلى هذا الإعراض عن تدبر الكتاب والسنة فيه شبه بمن قال الله فيهم:

« اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَيْبَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ » (٩٠).

وقوله تعالى:

« أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنَ بِهِ اللَّهُ » (٩١).

وأهل الاجتهاد من العلماء وإن كانوا معذورين باجتهداهم إنما هو في معنى أدلة الكتاب والسنة وينهون عن تقليدهم.

فالأئمة رحمهم الله اجتهدوا ونصحوا، قال الشافعي رحمه الله: «إذا صح الحديث بخلاف قولى فاضربوا بقولى الحائظ فهو مذهبي» أ. هـ (٩٢).

(٨٨) سورة الأعراف آية ٣ .

(٨٩) النساء آية ٥٩ .

(٩٠) التوبة آية ٣١ .

(٩١) الشورى آية ٢١ .

(٩٢) الدرر السنية ج ٤ ص ٣٣ .

فدل هذا الكلام من عبدالرحمن بن حسن على حرصهم على الكتاب والسنة، والاستدلال بهما وتبديع من أخذ بأقوال الناس، وترك الأحاديث الصحيحة، فما بالك بهم وبدعوتهم، فهى معتمدة على الكتاب والسنة.

(وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب فى الرد على من مدح الخلاف، وإنما يلجأ إلى مثل هذا ناقص العلم والدين إذا أفلس من الأدلة والبراهين، إلى أن قال «فصل» فأما مدحه الاختلاف وزعمه أنه رحمة، فالعبارة فيها عموم لا يخفى، وهى متناولة مدح جميع أهل الشقاق والأهواء الذين تواترت النصوص النبوية بدمهم وعيبيهم، ودلت عليه الآيات القرآنية كقوله تعالى:

«وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ» (٩٣).

وقوله:

«فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا كُلَّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (٩٤) (٩٥).

وقال: الواجب على المكلفين فى كل زمان ومكان الأخذ بما صح وثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا لأحد أن يعزول عن ذلك إلى غيره، ومن عجز عن ذلك فى شئ من أمر دينه فعليه بما كان عليه السلف الصالح والصدر الأول، فإن لم يدر شيئاً عن ذلك، وضح عنده ما عند أحد الأئمة الأربعة المقلدين الذين لهم لسان صدق فى الأمة، فتقليدهم سائغ حينئذ<sup>(٩٦)</sup> وأى دلالة أصرح من هذا الكلام الذى نقلناه عن الشيخ عبداللطيف حفيد إمام الدعوة فى الاعتماد على الكتاب والسنة، ولا يشكر هذا إلا مكابر. (وقال أيضاً الشيخ عبدالله بن عبداللطيف فى بيان أخذ الشيخ محمد بالدليل ونقده بعض كتب المذهب الحنبلى، وهذا من الشيخ يدل على عدم تقليده حينئذ دليلاً من كتاب وسنة، ولو كان متعصباً لأخذ أقوال العلماء ولو خالفت النصوص.

قال الشيخ عبدالله (ولو كان هنا عناية بما استقر عليه الحال فى زمن الدعوة

(٩٣) البينة آية ٤.

(٩٤) المؤمنون آية ٥٣.

(٩٥) الدرر السنية ج ٤ ص ٣٨.

(٩٦) الدرر السنية ج ٤ ص ٥٢.

الإسلامية وعلماؤنا ومشايخنا رحمهم الله كان بهم قدوة لنا وأسوة، خصوصاً بعد ما فهموا من تقريرات شيخهم محمد رحمه الله، وقوله في رسائله أكثر ما في الإقناع والمنتهى مخالف لنص أحمد فضلاً عن نص رسول الله صلى الله عليه وسلم». يعرف ذلك من عرفه ... أ. هـ.

وقال الشيخ إبراهيم بن عبداللطيف رحمهما الله، واختيار بعض المتأخرين لا يقضى بأولويته ولا رجحانه ولو ذهب المخالف إلى الأخذ بكل ما صححوه وإلزام الناس بجميع ما رجحوه لأوقعهم في شباك، وأفضى بهم إلى مفاوز الهلاك، وهذا على سبيل التنبيه، والإشارة تكفى اللبيب<sup>(٩٧)</sup>.

وقال الشيخ محمد بن عبداللطيف رحمهما الله تعالى: «ونعتقد أن الله أكمل لنا الدين وأتم نعمته على العالمين ببعثه محمد الرسول الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، صلاة الله وسلامه عليه داتها إلى يوم الدين.

قال تعالى:

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا »<sup>(٩٨)</sup>.

إلى أن قال: «وإذا بان لنا سنة صحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عملنا بها، ولا نقدم عليها قول أحد كائنا من كان، بل نتلقاها بالقبول والتسليم، لأن سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدورنا أجل وأعظم من أن نقدم عليها قول أحد، فهذا الذي نعتقده وندين الله به»<sup>(٩٩)</sup>.

(٩٧) الدرر السنية ج ٤ ص ٥٤ - ٥٥ .

(٩٨) المائدة آية ٣ .

(٩٩) الدرر السنية ص ٥٥ .

## «الفصل التاسع»

فما قاله غير أحفاد الشيخ مما يدل على اعتماد الشيخ وأحفاده على الكتاب والسنة..  
جواب الشيخ حمد بن ناصر بن معمر عن عدة أسئلة منها هذا السؤال:  
«ما قولكم نور الله قلوبكم لفك العضلات، ووفقكم للأعمال الصالحات، هل يلزم  
المبتدئين المتعلمين الترقى إلى معرفة الدليل الناص على كل مسألة، ومعرفة طريقه  
وصحته أم تقليد المخرجين للحديث أنه صحيح أو حسن، ويكفيهم العمل بالفقهيات  
المجردة عن الدليل ويغنيهم؟»

وهذا فيمن طلب العلم وتأهل له، فما حال العوام هل يجزيهم مجرد التقليد؟  
وأيضاً حكى بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة: أبى حنيفة،  
ومالك، والشافعي، وأحمد؟ فأفيدونا؟ واحتسبوا فإن الحاجة ماسة إلى هذه المباحث، فإن  
تفضلتم بطول الجواب، وذكر الدليل ومن قال به، فهو المطلوب؟».

فكان من أجوبته رحمه الله : «لا ريب أن الله سبحانه فرض على عباده طاعته  
وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم، قال تعالى:

«اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» (١٠٠)

إلى أن قال رحمه الله «ولم يوجب على هذه الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به  
وينهى عنه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم».

وقال في جوابه أيضاً «واتفق العلماء على أنه ليس أحد معصوماً إلا رسول الله صلى  
الله عليه وسلم، وهؤلاء الأئمة الأربعة قد نهوا الناس عن تقليدهم في كل ما يقولون».  
«وأما القادر على الاستدلال فقليل يحرم عليه التقليد مطلقاً، وقيل يجوز عند الحاجة،  
كما إذا ضاق الوقت عن الاستدلال، وهذا القول أعدل الأقوال».

(١٠٠) سورة الأعراف آية ٣.

ثم رد الشيخ حمد على من حكى عن بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة رحمهم الله فأشار إلى ما يأتي: -

١ - أن هذه الجملة حكاها الوزير أبو المظفر يحيى بن هبيرة، ومن حكاها بعده فنقلاً عنه.

٢ - بين مراد الوزير من حكاية جملة الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة وأنه لا يريد الوجوب، ولا ينفي الاجتهاد عن من بعدهم.

٣ - أن الوزير يحيى بن هبيرة أراد الرد على من اشترط الاجتهاد المطلق في القاضى.

٤ - أراد الوزير أن يبين أن المقلد ينفذ قضاؤه.

٥ - أوضح الوزير كلام من اشترط في القاضى أن يكون مجتهداً على ما كانت عليه الحال قبل استقرار المذاهب الأربعة.

٦ - أن الوزير بين جواز التقليد بعد استقرار المذاهب الأربعة ولم يوجبه، ووجه الجواز أن كل واحد من الأئمة الأربعة لا يعدم الدليل وإن أخطأ في الاستدلال، أو خفى عليه الدليل الآخر.

٧ - نقل الشيخ حمد كلام الوزير من الإفصاح.. وما أجل صنعه في نقله كلام صاحب الإفصاح ليستوضح القارىء فأنقل عنه.

وبعد هذه المقدمة إليك رد الشيخ حمد على من حكى عن بعض المتأخرين الإجماع على تقليد الأئمة الأربعة، ونقله كلام ابن هبيرة فقال: هذا الإجماع حكاها غير واحد من المتأخرين، وكلهم نسبوه إلى الوزير أبى المظفر، يحيى بن هبيرة صاحب الإفصاح عن معانى الصحاح فانه ذكر نحواً من هذه العبارة وليس مراده أن الإجماع منعقد على وجوب تقليد هؤلاء الأئمة الأربعة وأن الاجتهاد بعد استقرار هذه المذاهب لا يجوز، فإن كلامه يأتى ذلك وإنما أراد الرد على من اشترط في القاضى أن يكون مجتهداً وأن المقلد لا ينفذ قضاؤه، كما هو مذهب كثير من العلماء المتقدمين والمتأخرين، وحمل كلام من اشترط في القاضى أن يكون مجتهداً على ما كانت عليه الحال قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة، وأما بعد استقرار هذه المذاهب، فتجوز تولية المقلد لأهلها، وينفذ قضاؤه، وليس في كلامه ما يدل على أنه يجب التقليد لهؤلاء الأئمة بحيث أن يلزم الرجل أن يتمذهب بأحد هذه المذاهب الأربعة، ولا يخرج عن مذهب من قلده كما قد يتوهم، بل كلامه بخلاف ذلك ولا يوافق،



وعبارته في الإفصاح: اتفقوا على أنه لا يجوز أن يولى القضاء من ليس من أهل الاجتهاد، إلا أبا حنيفة فإنه قال يجوز ذلك، قال الوزير، والصحيح في هذه المسألة أن قول من قال لا يجوز تولية قاض حتى يكون من أهل الاجتهاد فإنه إنما عنى به ما كانت الحال عليه قبل استقرار هذه المذاهب الأربعة، التي أجمعت الأمة أن كل واحد منها يجوز العمل به، لأنه مستند إلى سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فالقاضي الآن وإن لم يكن من أهل الاجتهاد ولا يسعى في طلب الأحاديث وابتغاء طرقها، ولا عرف من لغة الناطق بالشرعية صلى الله عليه وسلم مالا يعوزه معه معرفة ما يحتاج إليه فيه وغير ذلك من شروط الاجتهاد، فإن ذلك مما قد فرغ منه ودأب له فيه سواء وانتهى له الأمر من هؤلاء الأئمة المجتهدين إلى ما أراحوا به من بعدهم، وانحصر الحق في أقاويلهم، ودونت العلوم، وانتهت إلى ما اتضح فيه الحق، فإذا عمل القاضي في أقضيته بما يأخذ عنهم أو عن الواحد منهم فإنه في معنى من كان أداه اجتهاده إلى قول قاله، وعلى ذلك فإنه إذا خرج من خلافهم متوخياً مواطن الاتفاق ما أمكنه، كان أخذاً بالحزم وعاملاً بالأولى، وكذلك إذا قصد في مواطن الخلاف وتوخى ما عليه الأكثر منهم والعمل بما قاله الجمهور دون الواحد، فإنه قد أخذ بالحزم والأحوط والأولى، مع جواز علمه أن يعمل بقول الواحد، إلا أنني أكره له أن يكون ذلك من حيث أنه قد قرأ مذهب واحد منهم أو نشأ في بلدة لم يعرف فيها إلى مذهب إمام واحد منهم، أو كان شيخه ومعلمه على مذهب فقيه من الفقهاء فقصر نفسه على إتباع ذلك المذهب حتى أنه إذا حضر عنده خصمان، وكان ما تشاجرا فيه مما يفتى الفقهاء الثلاثة فيه بحكم نحو التوكيل بغير رضا الخصم، وكان الحاكم (حنفياً)، وقد علم أن مالكا والشافعي وأحمد اتفقوا على جواز هذا التوكيل، وأن أبا حنيفة يمنعه، فعدل عما اجتمع عليه هؤلاء الأئمة الثلاثة إلى ما ذهب إليه أبو حنيفة بمجرد أنه قاله فقيه هو في الجملة من فقهاء الاتباع له ومن غير أن يثبت عنده بالدليل ما قاله ولا أداه اجتهاده إلا أن أبا حنيفة أولى بالاتباع مما اتفق الجماعة عليه، فإني أخاف على هذا من الله عز وجل بأنه اتبع في ذلك هواه وأنه ليس من «الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»، وكذلك إن كان القاضي (مالكياً) فاختصم إليه اثنان في سؤر الكلب فقضى بطهارته مع علمه بأن الفقهاء كلهم قضوا بنجاسته، فعدل إلى مذهبه، وكذلك إن كان القاضي (شافعياً) فاختصم إليه اثنان في ترك التسمية عمداً فقال أحدهما هذا معنى بيع

شاة مذكاة فقال الآخر إنما منعتة من بيع الميتة،فقضى عليه بمذهبه وهو يعلم أن الأئمة الثلاثة على خلافة،وكذلك إن كان القاضي (حنبلياً) فاختصم إليه اثنان فقال أحدهما لى عليه مال، فقال الآخر كان له على مال فقضيته، فقضى عليه بالبراءة من إقراره مع علمه بأن الأئمة الثلاثة على خلافة، فإن هذا وأمثاله مما يتوخى اتباع الأكثرين فيه أقرب عندى إلى الإخلاص وأرجح فى العمل، وبمقتضى هذا فإن ولايات الحكام فى وقتنا هذا صحيحة، وأنهم قد سدوا ثغرا من ثغور الإسلام سده فرض كفاية،ولو أهملت هذا القول ولم أذكره،ومشيت على الطريق الذى يمشى عليه الفقهاء الذين يذكر كل منهم فى كتاب إن صنفه أو كلام إن قاله أنه لا يصح أن يكون قاضياً إلا من كان من أهل الاجتهاد، ثم يذكر من شروط الاجتهاد أشياء ليست موجودة فى الحكام، فإن هذا كالأحالة أو التناقض،وكانه تعطيل للأحكام وسد لباب الحكم وأن لا ينفذ حق ولا يكاتب به ولا يقام بينة إلى غير ذلك من القواعد الشرعية،وهذا غير صحيح، بل الصحيح فى المسألة أن ولايات الحكام جائزة،وأن حكوماتهم اليوم صحيحة نافذة،وولاياتهم جائزة شرعاً. أ. هـ. (١٠١)

ثم أوجز الشيخ حمد آل معمر كلام ابن هبيرة فى النقاط التالية:-

- ١ - جواز تولية المقلد إذا تعذرت تولية المجتهد،وبين السبب وهو صعوبة توفر شروط الاجتهاد المطلق،ولربما يؤدى طلب شروط الاجتهاد إلى ترك الأحكام.
- ٢ - أن إجماع الأئمة الأربعة حجة،وأن الحق لا يخرج عن أقوالهم،فلا يخرج القاضي عن ما أجمعوا عليه.
- ٣ - الإجماع على انعقاد تقليد كل واحد من المذاهب الأربعة دون من عداهم من الأئمة لأن مذاهبهم مدونة قد حررت ونقحها أتباعهم.
- ٤ - أوضح ابن معمر بأن حكاية الإجماع عند ابن هبيرة على جواز التقليد لا على وجوبه.
- ٥ - أوضح أيضاً بأن القاضي ومثله المفتى لا ينبغى له الاقتصار على مذهب واحد منهم بحيث يلتزم الفتوى به، بل عليه أن يتوخى مواطن الاتفاق وإلا توخى ما عليه الأكثر.

٦ - أن على القاضي والمفتى أن يتوخى ما عليه الدليل من أقوال الأئمة، وحينئذٍ يكون من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه.

٧ - أن على المقلد أن يتنبه وأن يفتن في أقوال الأئمة، فيأخذ بما عليه الدليل ولو كان مع إمام غير إمامه، وبهذا لا يكون خارجاً عن التقليد لأنه لا يعد مجتهداً اجتهاداً مطلقاً، فهو مقلد للإمام باستدلاله ودلالته مع الدليل، فأخذه بهذا القول من أجل دليله.

٨ - بين ابن معمر بأن الشخص الذي لم تتوفر فيه شروط الاجتهاد ففرضه التقليد، قال عبدالله بن الإمام أحمد: «سألت أبي عن الرجل تكون عنده الكتب المصنفة فيها قول الرسول عليه الصلاة والسلام واختلاف الصحابة والتابعين، وليس للرجل بصر بالحديث الضعيف المتروك ولا الإسناد القوي من الضعيف.. أفيجوز أن يعمل بما شاء ويتخير ما أحب منها فيفتى به ويعمل به؟.. قال: لا، لا يعمل حتى يسأل ما يؤخذ به منها فيكون يعمل على أمر صحيح، يسأل عن ذلك أهل العلم» (١٠٢).

٩ - بين أيضاً وصف الذي يجد دليلاً عند بعض الأئمة ولم يجد ما يدفعه من الأدلة عند الآخرين، فإنه يكون بذلك مقلداً باتباعه الدليل الذي عرفه من هذا الإمام.

١٠ - نقل ابن معمر عن شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الصدد ما يشفى ويكفي في الجزء الرابع من الدرر السنية جمع (ابن قاسم) صفحة ٢٧.

١١ - علق ابن معمر على كلام صاحب الإفصاح في هذا الموضوع قائلاً بما يوضح مقصده ويبطل الكثير من الشبه قائلاً: «وليس في كلام صاحب الإفصاح ما يقتضى التمهيد بمذهب لا يخرج عنه، بل كلامه صريح في ضد ذلك، وهذه الشبهه ألقاها الشيطان على كثير ممن يدعى العلم، وصال بها أكثرهم فظنوا أن النظر في الأدلة أمر صعب لا يقدر عليه إلا المجتهد المطلق، وأن من نظر في الدليل وخالف إمامه لمخالفة قوله لذلك الدليل فقد خرج عن التقليد، ونسب نفسه إلى الاجتهاد المطلق، واستقرت هذه الشبهه في قلوب كثير حتى آل الأمر بهم إلى أن تقطعوا أمرهم بينهم زبراً كل حزب بما لديهم فرحون»، وزعموا أن هذا هو الواجب

عليهم وأن من انتسب إلى مذهب إمام فعليه أن يأخذ بعزائمه ورضه، وإن خالف نص كتاب أو سنة، قصار إمام المذهب عند أهل مذهبه كالنبي في أمته، لا يجوز الخروج عن قوله، ولا يجوز مخالفته، فلو رأى واحدا من المقلدين قد خالف مذهبه وقلد إماما آخر في مسألة لأجل الدليل الذي استدلل به قالوا: هذا قد نسب نفسه إلى الاجتهاد ونزل نفسه منزلة الأئمة المجتهدين، وإن كان لم يخرج عن التقليد، وإنما قلد إماما دون إمام آخر لأجل الدليل، وعمل بقوله تعالى:

«فَإِنْ تَنَزَّعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (١٠٣) (١٠٤).

والقصد من استعراض أقوال هؤلاء العلماء الإشارة إلى أن أنصار أئمة الدعوة يؤيدون الدليل ويعتمدون عليه، ويشنون الغارة على من خالفه وقلد أحداً مع وضوح الدليل.

وهذا الفهم تبعاً لإمامهم محمد بن عبدالوهاب رحمه الله. ومما قاله الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله: أن المقلد الذي لم تجتمع فيه الشروط ففرضه التقليد وسؤال أهل العلم.

ثم أوضح رحمه الله الرد على من تعصب لإمام من الأئمة وحاول أن يتملص عن الأخذ بالدليل بما يشفى ويكفى ويحفظ لنا سلامة الأخذ بالدليل وكرامة الأئمة: (فالتعصبون للمذاهب إذا وجدوا دليلاً ردهوا إلى نص إمامهم، فإن وافق الدليل نص الإمام قبلوه، وإن خالفه ردهوا واتبعوا نص الإمام.

واحتالوا في رد الأحاديث بكل حيلة يهتدون إليها، فإذا قيل لهم هذا حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.. قالوا: أنت أعلم بالحديث من الإمام الفلاني؟ مثال ذلك: إذا حكمنا بطهارة بول ما يؤكل لحمه، وحكم الشافعي بنجاسته وقلنا له قد دل على طهارته حديث العرنين، وهو حديث صحيح، وكذلك حديث أنس في

(١٠٣) سورة النساء آية ٥٩.

(١٠٤) الدرر السنية ج ٤ ص ٢٧ - ٢٨.

الصلاة في مراتب الغنم، فقال هذا المنجس لأبوال مأكول اللحم: أنت أعلم بهذه الأحاديث من الإمام الشافعي؟ فقد سمعها ولم يأخذ بها. فنقول له: قد خالف الشافعي في هذه المسألة من هو مثله أو هو أعلم منه، كما لك والإمام أحمد رحمهما الله وغيرهما من كبار الأئمة، فنجعل هؤلاء الأئمة بإزاء الشافعي ونقول: إمام بإمام، وتسلم لنا الأحاديث، ونرد الأمر إلى الله والرسول عند تنازع هؤلاء الأئمة، وتتبع الإمام الذي أخذ بالنص، ونعمل بقوله كما قال تعالى:

«فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» (١٠٥)

فتمثل ما أمر الله به، وهذا هو الواجب علينا، ولسنا في هذا العمل خارجين عن التقليد، بل خرجنا من تقليد إمامهم إلى تقليد إمام آخر لأجل الحجة التي أدلى بها من غير معارض لها ولا ناسخ.

فالانتقال من مذهب إلى مذهب آخر لأمر ديني بأن تبين له رجحان قول على قول، فيرجع إلى القول الذي يرى أنه أقرب إلى الدليل، مثاب على فعله، بل واجب على كل أحد إذا تبين له حكم الله ورسوله في أمر ألا يعدل عنه ولا يتبع أحدا في مخالفة أحد في مخالفة حكم الله ورسوله، فإن الله فرض على الخلق طاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم (١٠٦).

وللشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبايطين جواب يقضى بوجود الأخذ بالكتاب والسنة والاعتماد عليهما، ورد ما سواهما مما يخالفهما فيقول: (لا ريب أن الله سبحانه وتعالى فرض على عباده طاعته وطاعة رسوله)، قال تعالى:

«أَتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونَهُ - أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» (١٠٧)

(١٠٥) سورة النساء آية ٥٩ .

(١٠٦) الدرر السننية ج ٤ ص ٢٨ .

(١٠٧) الأعراف آية ٣ .

وقال تعالى:

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ» (١٠٨)

وقال تعالى:

«قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَحْمِلٌ وَعَلَيْكُمْ مَا حَمَلْتُمْ وَإِن تَطِيعُوهُ تَهْتَدُوا» (١٠٩)

ولم يوجب الله سبحانه وتعالى على الأمة طاعة أحد بعينه في كل ما يأمر به إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال ابن عبد البر: أجمع العلماء على أن المقلد ليس معدوداً من أهل العلم وأن العلم معرفة الحق بدليله، وقال الشافعي رحمه الله تعالى: أجمع المسلمون على أن من استبانت له سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن له أن يدعها لقول أحد من الناس (١١٠)

وكذلك الشيخ سليمان بن سحمان حيث قال رحمه الله تعالى: (فالواجب على من نصح نفسه وأراد نجاتها وكان من أهل العلم أن ينظر القول الذي يدل عليه الكتاب والسنة من الأقوال المتنازع فيها، اتباعاً لقوله تعالى:

«فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ»

فإن طاعة الله ورسوله واجبة على كل واحد في كل حال، وأقوال أهل الإجماع والمفتين والحكام وغيرهم إنما اتبعت لكونها تدل على طاعة الله ورسوله، وإلا فلا تجب طاعة مخلوق لم يأمر الله بطاعته وطاعة الرسول طاعة لله، وهذا حقيقة التوحيد الذي يكون كله لله، وإذا عرف أن القول قد قاله بعض أهل العلم ومعه دلالة الكتاب والسنة

(١٠٨) الأنفال آية ٢٠ .

(١٠٩) النور آية ٥٤ .

(١١٠) الدرر السننية ج ٤ ص ٣٣ - ٣٤ .

كان هو الراجح، وإن كان قد قال غيره ممن هو أكبر من قائل ذلك القول، فإن ذلك القول هو الذى ظهر أن فيه طاعة الله ورسوله صلى الله عليه وسلم» (١١١).

وهؤلاء تلاميذ أئمة الدعوة ينهجون منهج شيخهم محمد بن عبد الوهاب قدس الله روحه ونور ضريحه، ويبينون بأن طريقتهم الاعتماد على الكتاب والسنة، فدل ذلك على أن إمام الدعوة محمد بن عبد الوهاب وأحفاده وتلاميذهم رحمهم الله لا يرون التقليد الجامد ولا الأخذ بأقوال العلماء بدون نظر في الدليل إلا عند العجز عن معرفة الدليل، أو للعامى الذى لا يعرف النظر في الدليل وليس له إلا ما قيل له، وهذا أمر لا بد منه.  
قال تعالى:

«فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ» (١١٢).

وفي الحديث الشريف «ألا : سألوها إذا جهلوا فإن شفاء العى السؤال». وعلم مما تقدم الرد على من قال: إن إمام الدعوة وأحفاده وتلاميذهم عندهم تعصب للمذهب كبعض أصحاب المذاهب.

وقال أحمد عبدالغفور عطار في كتابه محمد بن عبد الوهاب: «نعرض الإسلام عرضاً صحيحاً منزهاً من البدع مبره من الخرافات، والإسلام دين التوحيد، والتوحيد ينأى الشرك، ومن هنا دعا إلى الله وحده، وإلى صرف العبادات كلها له دون سواه. وبدأ الدعوة كما بدأ الرسل ولم يتجه إلى المجتمع يصلح نظامه وقوانين أعماله ومكاسبه، بل اتجه إلى العقيدة، فأبان للناس عقيدة الإسلام كما يفصح عنها الوحي كتاباً وسنة، لا يتجاوزها إلى ما اتخذها علماء الكلام من فلسفات يعسر معها فهم الإسلام السهل، وأصبح إفصاحه عن عقيدة الإسلام أركانها التى يقوم عليها.

وكان موفقاً في منهجه الذى اتبعه، فهو مدرك أن إصلاح الظاهر دون الباطن طلاء مغشوش وبريق خادع، أما إصلاح الباطن فهو الذى يهدى إلى أن يكون إصلاح الظاهر إصلاحاً صحيحاً لا فحش فيه ولا خداع، ووقفه الله لما كان يتمنى من الإصلاح. وبدأ محمد بن عبد الوهاب إصلاحه مع الأمير لأن الناس تبع السلطان، وحذر الناس الاتباع الأعمى وبصرهم بالإسلام، وعلمهم إياه في أسلوب سهل وإيجاز مستوعب

(١١١) الدرر السنية ج ٤ ص ٥٥ - ٥٦ .

(١١٢) سورة الأنبياء آية (٧) .

وهدهم إلى الرشد، فإذا الإسلام يعود من جديد إلى الدرعية، ويدوى القرآن في حجرات البيوت من قصر السلطان إلى أكواخ الفلاح) أ. هـ. (١١٣).

ومعلوم أن اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة في مؤلفاته، وهذا ما تفيده كتابة العطار لتطابقها مع دعوة الشيخ ومقتضاها، ولعل هذا الكاتب لم يكتب إلا بعد الاطلاع، ولهذا قال في صفحة ١٥٩ من هذا الكتاب عن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

(ودعوة محمد بن عبد الوهاب ليست دعوة خاصة ولا شخصية من مبتكراته، بل هي الإسلام في حقيقته كما جاء به الوحي المقدس من كتاب وسنة، لا يزيد على الوحي شيئاً من عنده، لم يبتدع لأنه خصم البدعة العنيد) أ. هـ. (١١٤).

(لما تكلم على حقيقة الدعوة الوهابية وأشار إلى بطلان أقوال المتقولين عليه وقال: إذا نقدنا أقواله كلها ومحصنا جميع أعماله، فإننا لا نجد في ذلك كله إلا الحق الذي جاء به الإسلام وقرره وأقره، فهو لم يدع إلى غير الإسلام في بلاد غيرت عقائده وشعائره ومعامله، ولم يدع إلا إلى ما دعا إليه الكتاب والسنة، ولم يحكم في حياته قط غيرها، ولم يدع إلى منكر أو باطل، ولم يتبع غير سبيل الرشد، وما عمله ليس إلا صلحاً وإصلاحاً، فدعوته إلى الرجوع إلى الإسلام دون أن يأتي بتغيير في أصوله وفروعه ومبادئه ولا في نصوص أو تفسيرها تفسيراً جديداً) (١١٥).

وخلط من عاصروا الشيخ بين دعوته ومذهبه، أو فسروا دعوته على أنها مذهب خارج على الإسلام، وما كان له مذهب خاص به - بل له دعوته، وما دعوته إلا الإسلام في صفاته ونقائه.

ولقد قال له أعداؤه ما لم يقل، ونسبوا إليه قصصاً وروايات وأحاديثاً وأقوالاً وأفعالاً لم تصدر منه، فكتبه ورسائله بين أيدي الناس ليس فيها شيء مما زعموا، بل نقيض ما زعموا، وهو لا يحاسب على الأباطيل والأكاذيب المنسوبة إليه، وليس عليه وزر ما لم يقل أو لم يفعل، ومن خصومه العلماء الذين حرفوا أقواله».

هذه مقالات أحفاد الشيخ وغيرهم في الاعتماد على الكتاب والسنة والواقع يصدق ذلك.

(١١٣) كتاب محمد بن عبد الوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٢٠.

(١١٤) كتاب محمد بن عبد الوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٥٩.

(١١٥) كتاب محمد بن عبد الوهاب لأحمد عبدالغفور عطار ص ١٦٨.



## « الفصل العاشر »

في ثناء العلماء على الشيخ..

أكثرَ العلماء السلفيون والمؤرخون المحققون من الثناء على الشيخ والتنويه بدعوته القائمة على دعائم الكتاب والسنة، من ذلكم قصيدة الشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني مؤلف سبل السلام..

سلامى على نجد ومن حل في نجد :: وإن كان تسليمى على البعد لا يجدى

إلى أن قال:

قفى وأسأل عن عالم حل سوحها :: به يهتدى من ضل عن منهج الرشـد  
محمد الهادى لسنة أحمـد :: فياحبذا الهادى وياحبذا المهـدى  
لقد أنكرت كل الطوائف قولـه :: بلا صدْر في الحق منهم ولا ورد  
وما كل قول بالقبول مقابـل :: وما كل قول واجب الرد والظـرد  
سوى ما أتى عن ربنا ورسولـه :: فذلك قول جل، ياذا عن الـرد  
وأما أقاويل الرجال فإنـها :: تدور على قدر الأدلة في النقـد  
وقد جاءت الأخبار عنه بأنـه :: يعيد لنا الشرع الشريف بما يـدى  
وينشر جهراً ما طوى كل جاهـل :: ومبتدع منه فوافق ما عنـدى

ومنهم الشيخ محمد بن أحمد الحفظى صاحب دوجال من قرى عسير .

قال الشيخ:

الحمد حقاً مستحقاً أبـدا :: لله رب العالمين سرمـدا

إلى أن قال:

مصلياً على الرسول الشـارع :: وأهله وصحبه والتابـع

لما دعا الداعي من المشارق :: بأمر رب العالمين الخالق  
وبعثه الله لنا مجددا :: من أرض نجد عالما مجتهدا  
شيخ الهدى محمد الحمدي :: الحنبلي الأثري الأحمدي  
فقام والشرك الصريح قد سرى :: بين الورى وقد طغى واعتكرا  
لا يعرفون الدين والتهللا :: وطرق الإسلام والسبلا  
إلا أساميتها وبقا الرسما :: والأرض لا تخلو من أهل العلم  
وكذلك رثاء الشيخ العلامة محمد بن علي الشوكاني مؤلف نيل الأوطار للشيخ محمد  
ابن عبد الوهاب مثنياً عليه.. ومما قاله:

مصاب دها قلبي فأذكى غلائلي :: وأحمى بسهم الافتجاع مقاتلي  
إلى أن قال:

لقد مات طود العلم قطب رحا العلا :: ومركز أوار الفحول الأفاضل  
وماتت علوم الدين طرا بموته :: وغيب وجه الحق تحت الجنادل  
ومن أثنوا على الشيخ، حسين بن غنام الإحساني مؤلف «روضة الأفكار والأفهام»  
قائلاً:

إلى الله في كشف الشدائد نفع :: وليس إلى غير المهيمن مفع  
لقد كسفت شمس المعارف والهدى :: فسالت دماء في الحدود وأدمع  
أمام أصيب الناس طرا بفقده :: وطاف بهم خطب من بين موجع  
وقال الشيخ عمران بن علي بن رضوان من سكان لنجة، من البلدان الفارسية مثنياً  
على الشيخ..

جاءت قصيدتهم تروح وتغسدو :: في سب دين الهاشمي محمد  
لقد زخرفوها للطعام بقولهم :: ان الكتاب هو الهدى فيه اقتدى  
إلى أن قال:

الشيخ شاهد بعض أهل جهالة :: بدعوة أصحاب القبور الحمد

ورأى العتاد القبور تقربياً :: بالذبح والنذر والصنيع المفسد  
فأتاهم الشيخ المشار إليه :: بالنصح المبين وبالكلام الجيد  
يدعوهم لله أن لا يعبدوا إلا :: المهيمن ذا الجلال السرمد

كذلك قال العلامة السيد/محمود شكرى الألوسى رحمه الله في آخر تاريخه لنجد.  
كان الشيخ محمد من بيت علم في نواحي نجد، وكان أبوه الشيخ عبدالوهاب عالماً  
فقيهاً على مذهب الإمام أحمد، ومما قاله: كان الشيخ شديد التعصب للسنة، كثير الإنكار  
على من خالف الحق من العلماء.

وقال عنه شكيب أرسلان في الجزء الرابع من حاضر العالم الإسلامى تحت عنوان  
«تاريخ نجد الحديث» بعد أن ذكر ولادة الشيخ ونشأته:  
وأخذ يفكر في إعادة الإسلام لنقاوته الأولى.. إلى أن قال: ولا أظنه أورد ثمة شيئاً  
غير ما أورده ابن تيمية.

ومن قال عن الشيخ «حامد الفقى» رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية في كتابه «أثر  
الدعوة الوهابية» حيث قال:

كان علمه وجهاده لإحياء العمل بالدين الصحيح، وإرجاع الناس إلى ما قرره القرآن  
في توحيد الإلهية والعبادة لله وحده ذلاً وخضوعاً، ودعاءً، ونذراً، وحلفاً، وتوكلاً، وطاعة  
لشرائعه.

وفي كتاب «المجددون في الإسلام» للشيخ عبدالمتعال الصعیدی، قال عنه بعد ذكر  
ولادته ونشأته.. وأخذ يدعو إلى مثل ما دعا إليه ابن تيمية قبله من التوحيد بالعبادة لله  
وحده، وإنكار التوجه إلى أصحاب القباب والقبور، وإنكار التوسل بالأولياء والأنبياء إلى  
الله في قضاء الحاجات».

وقال عنه أيضاً الشيخ محمد رشيد رضا في التعريف بكتاب «صيانة الإنسان» بعد  
أن ذكر فشو البدع بعد ضعف العلم والعمل بالكتاب والسنة.

«ولقد كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب النجدى من هؤلاء العدول المجددين، قام  
يدعو إلى تجريد التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، بما شرعه في كتابه وعلى لسان  
رسوله خاتم النبيين، وترك البدع والمعاصي، وإقامة شعائر الإسلام المتروكة، وتعظيم  
حرماته المنتهكة المنهوكة.

قال عنه أحمد عبدالغفور الحجازي في كتابه «محمد بن عبدالوهاب»..  
كان محمد بن عبدالوهاب الشاب الناهض من أكبر أنصار الحرية الفكرية المتمشى  
على نهج الإسلام، يدعو إليها في إخلاص وحماس، واستطاع أن يتحرر من قيود البيئته،  
ويخرج على تقاليد قومه البالية».

كذلك قال عنه الدكتور/ طه حسين ..

«والواقع أنه جديد بالنسبة إلى المعاصرين، ولكنه قديم في حقيقة الأمر، لأنه ليس  
إلا الدعوة القومية إلى الإسلام الخالص النقي، المطهر من شوائب الشرك والوثنية، هو  
الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم خالصاً لله، ملغياً كل واسطة  
بين الله وبين الناس».

قال عنه أيضاً حافظ وهبه.. في كتابه «جزيرة العرب»..

ولكنه مصلح مجدد، داع إلى الرجوع إلى الدين الحق، فليس للشيخ محمد تعاليم  
خاصة ولا آراء خاصة، وكل ما يطبق في نجد هو طبق مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمه  
الله، وأما في العقائد فهم يتبعون السلف الصالح، ويخالفون من عداهم»  
ومما قاله الأستاذ/ منح هارون في الرد على الكاتب الإنجليزي (كونت ويلز) قال:

.. «وكل ما قاله الشيخ ابن عبدالوهاب قال به غيره ممن سبقه من الأئمة الأعلام،  
ومن الصحابة الكرام، ولم يخرج في شيء عما قاله الإمام أحمد وابن تيمية - رحمهما الله».

وقال محمد كرد علي في «القديم والحديث» بعد حديثه عن أصل الوهابية..  
«وقلما رأينا شعباً من أهل الإسلام يغلب عليه التدين والصدق والإخلاص مثل  
هؤلاء القوم».

كذلك قال الزركلي في الأعلام «الجزء السابع»:

«وكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله، تأثر بها  
رجال الإصلاح في الهند ومصر والعراق والشام وغيرها».

وضمن كتاب «حاضر العالم الإسلامي» للدكتور محمد عبدالله ماضي وتحت عنوان  
«النهضة العربية السعودية» قال:

«... أخذ المصلح الديني، والزعيم الإسلامي محمد بن عبدالوهاب في منتصف القرن

الثانى عشر الهجرى يدعو إلى تصحيح العقيدة والرجوع إلى مبادئ الإسلام الصحيحة، واعتناقها من جديد بين النجديين، وكانوا قد فسدت عقيدتهم، وضلت سيرتهم».

وفى مجلة الإرشاد الكويتية التى كانت تصدر عام ١٣٧٣ هـ وبعدها السادس تحت عنوان: «الحركة الوهابية» قال الدكتور محمد ضياء الدين الرئيس أستاذ التاريخ الإسلامى بجامعة القاهرة.

«والمبادئ الأساسية للدعوة الوهابية هى تنقية معنى التوحيد من شوائب الشرك، ظاهره وخفيه، وإخلاص الدين لله، وعدم الالتجاء إلى غير الله، وعدم الغلو فى تمجيد الرسول تمجيداً يخرجُه عن حدود الطبيعة البشرية وتحديد معنى الرسالة التى كلف بإبلاغها».

قال عنه أيضاً عبدالكريم الخطيب فى كتابه «محمد بن عبدالوهاب» العقل الحر فى الفصل الخامس.

«قام محمد بن عبدالوهاب يدعو إلى الله لا يبغي بهذا جاهاً، ولا يطلب سلطاناً، وإنما يضى للناس معالم الطريق، ويكشف لهم المعائر والمزالق التى أقامها الشيطان وأعوان الشيطان».

وفى كتاب «الحلقة المفقودة فى تاريخ العرب» قال محمد جميل بيهم تحت عنوان (آل سعود فى حكم آل عثمان):

«دعا محمد بن عبدالوهاب معتمداً على القرآن، إلى شريعة بيضاء نقية، كما تركها محمد صلى الله عليه وسلم، ونهى عن الغلو فى تقديس الأنبياء والأولياء».

وتعليقاً على كتاب «حاضر العالم الإسلامى» تأليف الأمريكى ستودارد.. قال الأمير شكيب أرسلان ضمن ما قاله:

«فكان الصاروخ هذا الصوت إنما هو المصلح المشهور الشيخ محمد بن عبدالوهاب الذى أشعل نار الوهابية فاشتعلت واتقدت، واندلعت ألسنتها إلى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامى، ثم أخذ هذا الداعى يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامى القديم والعز التليد».

كذلك قال المستشرق «سيديو» فى تاريخ العرب العام:

«ولم يكن للإصلاح الذى بدأ زعيماً له هدف سوى إعادة شريعة الرسول الخالصة

إلى سابق عهدها... إلى أن قال «خلع الشيخ محمد بن عبد الوهاب على دين محمد رونقاً جديداً، وبدد الخرافات التي زالت مع الزمن، فأظهر القرآن خالياً من جميع ما عزی إليه من الشوائب».

كما أثنى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب الشيخ على الطنطاوى فى كتابه «محمد بن عبد الوهاب» بعد ذكره فشو البدع قبل ولادة الشيخ والاعتقادات الفاسدة.. قال: «فقد حقق الله على يديه عودة نجد إلى التوحيد الصحيح والدين الحق، والألفة بعد الاختلاف، والوحدة بعد الانقسام، ولا أقول إن الرجل كامل، فالكمال لله، ولا أقول إنه معصوم فالعصمة للأنبياء، ولا أقول إنه عار عن العيوب والأخطاء ولكن أقول: إن هذه اليقظة التى عمت نجداً، ثم امتدت حتى جاوزته إلى أطراف الجزيرة، ثم إلى ما حولها، ثم امتدت حتى وصلت إلى آخر بلاد الإسلام، ليست إلا حسنة من حسناته عند الله إن شاء الله».

قال العالم الفرنسى «برناد لوسى» فى كتابه العرب فى التاريخ ما يلى:

وباسم الإسلام الخالى من الشوائب الذى ساد فى القرن الماضى، نادى محمد بن عبد الوهاب بالابتعاد عن جميع ما أضيف للعقيدة والعبادات من زيادات باعتبارها بدع خرافية غريبة عن الإسلام الصحيح».

كما قال شيخ المستشرقين «جولد سيهر» فى كتابه العقيدة والشريعة ما يلى: «إن الوهابيين أنصار للديانة الإسلامية على الصورة التى وضعها النبى وأصحابه، فغاية الوهابية هى إعادة الإسلام كما كان».

وأثنى الشيخ محمد عبده على الشيخ، فكان مما قاله لتلاميذه فى الأزهر عن حياة الشيخ ودعوته:

إنه المصلح العظيم - ويلقى بالتبعية على الأتراك وعلى محمد على لجهلهم بحقيقة دعوته».

قال عنه أمين سعيد فى كتابه «سيرة الإمام محمد بن عبد الوهاب»:

«إنه مصلح من كرام المصلحين، ومجاهد من كبار المجاهدين، وعالم من خيرة العلماء - أنار الله بصيرته وهده سبله وألهمه التقوى، فدعا أمته إلى الرجوع إلى الله والعمل بكتابه وسنة رسوله، ونبذ الشرك، وعبادة القبور».

وبعد هذا الثناء الموجز من بعض العلماء على إمام الدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هل يا ترى يصدر مثل هذا الثناء على مبتدع ضال، أو جاهل أو قاتل بالرأى أو الهوى، إن مثل هذا لا يصدر إلا لمن كشف حقيقة ثابتة كاد ظلام الجهل يغطيها ويموهها. وهؤلاء الذين أثنوا على الشيخ إما علماء ثبتت علميتهم وثقتهم، أو أدباء ومؤرخون يتابعون الحركات والحقائق، أو أعداء، والحق ما شهدت به الأعداء.

## الفصل الحادى عشر

### الأصول التى دعا إليها الشيخ

### وهى أهم دعواته وأجلها مدعومة بالأدلة

وبها يتجلى أن دعوة الشيخ مبناها الكتاب والسنة:  
قال ابن حجر آل بوطامى «المسائل التى دعا إليها الشيخ ووقع فيها الخلاف بينه وبين الأكثرين»:

#### ١ - توحيد العبودية:

ويقال له توحيد الألوهية، وهو الذى بعث الله من أجله الرسل، من نوح عليه السلام إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى:  
«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (١١٦).

وحيث رأى الشيخ أهل نجد وغيرها كما سبق قد ألهوا قبور الأنبياء والصالحين وبعض الأحجار والأشجار، وصرقوا بعض العبادات إليها، كالنذر والحلف والنحر والاستعانة، والاستغاثة إلى غير ذلك مما لا ينبغى صرفه إلا لله. أنكر عليهم وبين لهم أن العبادة هى طاعة لله بامتنال ما أمر، وأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال.

وأفراد العبادة كثير منها:-

الصلاة والصيام والصدقة والنذر والذبح والطواف والاستعانة والاستغاثة. فمن نذر منها شيئاً لغير الله يكون مشركاً، قال الله تعالى:

(١١٦) سورة النحل آية (٣٦) .



« وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ » (١١٧)

فاتبعه بعضهم واعتنق مبداه رغبة واختياراً، وأبى الأكثرون متمسكين بتقليد الآباء والخضوع للعادات، وفشو هذه الأعمال في سائر الأمصار والقرى. وسكوت الكثيرين من العلماء.

## ٢ - التوسل:

التوسل قسمان: قسم مطلوب ومرغوب فيه، وهو التوسل بأسماء الله الحسنى وبالأعمال الصالحة، كما توسل الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة بصالح أعمالهم، ففرج الله عنهم.

والثانى: التوسل المبتدع؛ وهو التوسل بالذوات الصالحة، كأن يقول الشخص: اللهم إني أسألك بجاه الرسول، أو بحرمة فلان الصالح، أو بحق الأنبياء والمرسلين، أو بحق الأولياء الصالحين.

فنهاهم الشيخ عن القسم الثانى، إذ لم يرد عن الرسول ولا أصحابه رضى الله عنهم، وهو دعاء - والدعاء عبادة، ومبناها على التوقيف، ويعبد الله بما شرع لا بالأهواء والبدع.

وتمسك المجوزون بآيات لا تمت إلى دعواهم بصلة كقوله تعالى:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ » (١١٨)

إن التفسير الوارد عن السلف وأجلاء المفسرين أن ابتغاء الوسيلة يكون بالأعمال الصالحة، كما تمسكوا ببعض أحاديث موضوعة، كحديث توسل آدم بالنبي لما اقترب الخطيئة، وضعيفه كحديث الأعمى، وحديث فاطمة بنت أسد، ولا حجة في موضوع ولا ضعيف.

(١١٧) سورة المؤمنون آية (١١٧).

(١١٨) سورة المائدة آية ٣٥.

٣ - منعه شد الرجال:

منع من شد الرجال إلى غير المساجد الثلاثة، كما جاء في الحديث الصحيح «لا تشد الرجال إلا لثلاثة مساجد، المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»<sup>(١١٩)</sup>.

ولم يلتفت الشيخ إلى تأويل المؤولين والمخالفين، كما أن شد الرجال لزيارة الأرحام، أو للسعى وراء الكسب خارج عن دائرة النزاع لأن هذه الأشياء وردت بها أوامر شرعية، وقد سبق الشيخ إلى منع شد الرجال شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، وابن القيم، والجويني، ولد إمام الحرمين من الشافعية، والقاضي عياض. وليس للمجوز أية حجة يصح الاعتماد عليها.

٤ - البناء على القبور وكسوتها وإسراجها وما إلى ذلك:

حرم الشيخ البناء على القبور وكسوتها، وتعليق الستور عليها وإسراجها، والكتابة عليها، وإقامة السدنة حولها، وزيارتها الزيارة الشركية التي تنجم منها مفسد عديدة، كالتمسح بالقبور في جلب نفع أو دفع ضرر، واستند الشيخ في منعه وتحريمه إلى أدلة صحيحة من الأحاديث كحديث:

«لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها مساجد»<sup>(١٢٠)</sup>.

وحديث «إن من كان قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد»... الخ. وأمر الشيخ بهدم تلك القبب المشيدة اتباعاً بالأحاديث الصحيحة، كحديث أبي الهيثج الأسدي لما قال له علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله، ألا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته»<sup>(١٢١)</sup>.

وفقهاء المذاهب الأربعة وغيرها قد سبقوا الشيخ بمنع هذه الأمور وتحريمها، وإن عبر بعضهم بالكراهة في بعض منها، فإنما القصد كراهة التحريم لا التنزيه، والكراهة في القرآن والسنة وعلى لسان السلف تطلق على التحريم.

(١١٩) رواه البخارى ج ٣ ص ٦٣ في كتاب فضل الصلاة، ورواه مسلم في كتاب الحج ج ٢ ص ٩٧٥.

(١٢٠) رواه الترمذى في أبواب الصلاة ١٣٦/٢ وأبو داود في كتاب الجنائز ٢١٨/٣.

(١٢١) أخرجه مسلم في كتاب الجنائز ٢/٦٦٦ في باب الأمر بتسوية القبور.

(والكراهية بمعنى أنه لا يثاب فاعلمها ولا يعاقب تاركها) اصطلاح حادث... لا عبرة له، كما لا عبرة بقول بعض الفقهاء بتحريم البناء على القبر، إن كان في أرض مسبلة لثلا تضيق الأرض على الموتى، وإن كان في ملكه بل يكره، وإنما قلنا لا عبرة به لأن الأحاديث مانعة من البناء، والأمر بهدمها عامة. وما أثر عن الرسول صلى الله عليه وسلم ما يخصصها.

وليست علة التحريم تضيق الأرض كما زعم أولئك ، بل العلة أن البناء يفضى إلى تعظيم المقبور ودعائه من دون الله، وهذا أمر شاهد وملموس لا يقبل الجدل أو النزاع.

#### ٥ - توحيد الأسماء والصفات:

قد سبق ما جاء في رسائل الشيخ، أنه في المعتقد على ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين، وتابعيهم من الأئمة الأربعة وغيرهم وهو إثبات الأسماء والصفات من غير تمثيل ولا تكيف، ولم يرق للمخالفين هذا الاعتقاد، حيث كانوا مؤولين ومقلدين للجهم بن صفوان والجعد بن درهم، مستمسكين بشبه فلسفية لا تتفق مع آى القرآن والأحاديث الصحيحة، ومعتقد الصحابة والتابعين والأئمة المهتدين، رضوان الله عليهم أجمعين.

#### ٦ - إنكار البدع:

أنكر الشيخ البدع والمحدثات في الفروع، كالاحتفال بالمولد، والتذكير قبل الآذان، والصلاة على الرسول بعد الآذان جهراً، والتلفظ بالنيه، وقراءة حديث أبى هريرة عند صعود الخطيب إلى المنبر.

كما أنكر طرائق الصوفية المبتدعة، وما إلى ذلك من المبتدعات التى لم يرد فى استحبابها عن الرسول صلى الله عليه وسلم ولا عن أصحابه.

وقد ألفت العلماء قبل الشيخ فى إنكار البدع والمحدثات، كابن وضاح، والطرطوشى، والشاطبى.

## الباب الثالث

الاستدلال على اعتاده في

مؤلفات العقائد

على الكتاب والسنة

وحان الآن الشروع في الاستدلال من مؤلفات الشيخ في اعتاده على الكتاب والسنة، ونبدأ بالأهم، وهو ما ألفه في العقائد وأصول الدين والايان، وفي هذا خمسة عشر فصلاً:

### «الفصل الأول»

«في ثلاث مسائل يجب تعلمها»

قال رحمه الله تعالى فيما يجب تعلمه ومعرفته على كل مسلم ومسلمة، وهو ضروري من ضروريات الدين، فذكر ثلاث مسائل:

- ١ - أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولاً، فمن أطاعه دخل الجنة، ومن عصاه دخل النار.
  - ٢ - أن الله لا يرضى أن يشرك معه في عبادته أحد.
  - ٣ - أن من وحد الله وأطاع الرسول وجبت عليه موالة الله ورسوله، ووجب عليه بغض أعداء الله وأعداء رسوله.
- ثم استدل على الأولى بقوله تعالى:

(١٢٢)

«إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا»

(١٢٢) المزملة آية ١٥ .

واستدل على الثانية بقوله تعالى:

«وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا» (١٢٣).

ومعلوم أن الدعاء عبادة، كما قال تعالى:

«وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي  
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ» (١٢٤).

فجعل العبادة هي الدعاء.

واستدل على الثالثة بقوله تعالى:

«لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ  
كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي  
قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيَدْخُلُهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ  
خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ  
اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١٢٥).

نزلت في أبي عبيدة رضى الله عنه لما قتل أباه في بدر.

فمن أنصف من نفسه وجد الأمر واضحاً، حيث استدل الشيخ محمد بن عبدالوهاب

بالقرآن الكريم فلم يوجب شيئاً من بنات أفكاره، ولا مقتبساً من إعداده.

(١٢٣) الجن آية ١٨ .

(١٢٤) غافر آية ٦٠ .

(١٢٥) المجادلة آية ٢٢ .

## «الفصل الثاني»

### «في المسألة التي بها نجاة المسلم من الخسارة والهلاك»

وأرشد إلى ما به الفلاح والنجاح، وجعل ذلك في أربع مسائل تعلمها من مقتضى الإسلام.

- ١ - العلم ثم بين المراد به بأنه معرفة نبيه، ومعرفة دين الإسلام بالأدلة.
- ٢ - العمل به.
- ٣ - الدعوة إليه.
- ٤ - الصبر على الأذى فيه.

ثم استدل على هذه المسائل الأربع بسورة من سور القرآن وهي قوله تعالى:

«وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصُوا بِالحَقِّ وَتَوَّصُوا بِالصَّبْرِ» (١٢٦).

والاستدلال من هذه السورة واضح (فآمنوا) أي عملوا، وهذا التفسير لاقتران العمل بالإيمان، وحيث أطلق الإيمان شمل العلم والقول والعمل، (وعملوا الصالحات) دلت على وجوب العمل بالعلم، و (تواصوا بالحق) دلت على وجوب الدعوة إليه، و (تواصوا بالصبر) دلت على وجوب الصبر على الأذى فيه.

فهل ينكر هذا الاستدلال ومطابقته بما استدل عليه إلا مكابر معاند، وهذا غير معتبر.

وقد سبق إلى هذا الاستدلال الإمام الشافعي رحمه الله بقوله: (لوما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم).

## «الفصل الثالث»

### «مراتب الدين»

أنه جعل الدين ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى أعم من الثانية، والثانية أعم من الثالثة.

المرتبة الأولى: الإسلام.

المرتبة الثانية: الإيمان.

المرتبة الثالثة: الإحسان.

وبعد أن بين معنى الإسلام وهو: الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة، والخلوص من الشرك وأهله، وأن الإيمان هو التصديق بالباطن، إذ ذكر مقروناً مع الإسلام - لأن الإسلام إذا ذكر مع الإيمان فالمراد به الأعمال الظاهرة، وإذا أفرد كل واحد منهما شمل الآخر.

وأن الإحسان أخص منهما، وهو لا يحتاج إلى تفسير أوضح مما فسر به الحديث، ثم استدل رحمه الله على هذه الأصول بحديث عمر بن الخطاب الذي رواه مسلم في صحيحه، وفيه: أن جبريل سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام فقال: أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وذكر له الصلاة والصيام والزكاة والحج، ثم سأله عن الإيمان فقال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وأن تؤمن بالقدر خيره وشره، ثم سأل عن الإحسان فقال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك.. الخ الحديث (١٢٧)

ثم استدل رحمه الله على كل مسألة من أركان الإسلام والإيمان والإحسان التي ذكرت في الحديث وذلك في آية من القرآن، ومن شك في ذلك فليراجع ثلاثة الأصول من المجلد الأول قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ والتي طبعتها الجامعة.

(١٢٧) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان ج ١ ص ٣٧

وهذا نموذج مما استدل به على معنى لا إله إلا الله بقوله تعالى:

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿١٢٨﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿١٢٩﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٢٨﴾»

ثم بين معنى شهادة أن محمداً رسول الله، ثم استدل بقوله تعالى:

«لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ» (١٢٩)

واستدل على وجوب التوحيد والصلاة والزكاة، بقوله تعالى:

«وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءً وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ» (١٣٠)

واستدل على ركنية الصيام، بقوله تعالى :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ ﴿١٨٤﴾» (١٣١)

واستدل على ركنية الحج، بقوله تعالى:

« وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ » (١٣٢)

(١٢٨) الزخرف آية ٢٦ - ٢٨ .

(١٢٩) التوبة آية ١٢٨ .

(١٣٠) البينة آية ٥ .

(١٣١) البقرة آية ١٨٣ - ١٨٤ .

(١٣٢) آل عمران آية ٩٧ .



وأركان الإسلام الخمسة المتقدمة وهي شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام.. بين الرسول صلى الله عليه وسلم بأنها مبنی الإسلام وجمعها بقوله:

«بنى الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت الحرام».

من حديث ابن عمر رضی الله عنهما الذي رواه البخاري ومسلم. فهل يمكن لأحد لديه مسكة من عقل أن ينكر اعتماد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الكتاب والسنة بعد استعراض هذه الأدلة على أركان الإسلام!؟

واستدل على بعث الناس بعد الموت، بقوله تعالى:

«مِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى» (١٣٣).

وفي قوله تعالى:

(١٣٤) «إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ»

وحكم بالكفر على من أنكر البعث، واستدل بقوله تعالى:

«زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَىٰ اللَّهِ يَسِيرٌ» (١٣٥).

ففقيدة الإيمان باليوم الآخر ركن من أركان الإيمان.

فهل يستطيع إنكار هذه الأدلة إلا كافر معاند لوضوحها ومطابقتها للمستدل عليه، وحكم بوجود الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام.

(١٣٣) طه آية ٥٥ .

(١٣٤) الزمراء آية ٣٠ - ٣١ .

(١٣٥) التغابن آية ٧ .

واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّيْتُمُ الْمَلَائِكَةَ ظَالِمِينَ أُنْفُسَهُمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضَ اللَّهِ وَسِعَةً فَهَاجِرُوا فِيهَا قَالُوا لَنْبِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا» (١٣٦).

والمقصود ببلد الشرك الذي لا يستطيع المسلم أن يظهر فيه شعائر دينه من أمر بالمعروف ونهى عن المنكر.

ووجه الاستدلال من الآية على وجوب الهجرة واضح، وذلك أن الله توعد بسوء المصير، ووصفهم بظلم أنفسهم - لأن المسلم لا يصح أن يبقى بين المشركين ذليلاً إلا إذا كان غير قادر، كما قال الله تعالى:

«إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا» (١٣٧).

كما استدل رحمه الله على أن أعظم ما أمر به التوحيد، وأعظم ما نهى عنه الشرك، قال تعالى:

«وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» (١٣٨).

وبقوله جل وعلا:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعَمُوا» (١٣٩).

(١٣٦) النساء آية ٩٧ .

(١٣٧) النساء آية ٩٨ .

(١٣٨) النساء آية ٣٦ .

(١٣٩) الذاريات آية ٥٦ - ٥٧ .

وبقوله تعالى:

«وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ...» (١٤٠)

وقوله تعالى:

«قُلْ تَعَالَوْا أَنِ اتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» (١٤١)

وما استدلل به من هذه الآيات واضح جلي، وإذا يثبت عند العاقل أن هذه المسألة هي أساس الدين، وأصل دعوة محمد بن عبد الوهاب.

ويتبين له أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يدع إلى شيء مجهول، ولم يأت بشيء من عنده لاتباع ما يقول بالأدلة.

وبين رحمه الله أن أساس دعوته هي التي من أجلها أرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، ثم استدلل بقوله تعالى:

«وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ» (١٤٢)

(١٤٠) الإِسرَاءُ آيَةُ ٢٣ .

(١٤١) الْأَنْعَامُ آيَةُ ١٥١ .

(١٤٢) النَّحْلُ آيَةُ ٣٦ .

## الفصل الرابع

### في اعتناء الشيخ بتوحيد العبادة

واعتنى الشيخ رحمه الله في تحقيق توحيد العبادة وبيان ما ينافيه أو يناق كماله، وألف في ذلك كتاباً عظيماً أسماه «كتاب التوحيد»، جعله سبعة وستين باباً، وكل باب منها ليس له فيه إلا مجرد العنوان والترجمة المتضمنة للحكم، ثم يستدل على هذا بآيات قرآنية وأحاديث نبوية، وأعقب كل باب بمسائل عظيمة تستفاد منه، وقد صدر هذا الكتاب بوجود توحيد العبادة، فاستدل على وجوب التوحيد بقوله تعالى:

«وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا» (١٤٣).

ونظائرها من الآيات ومن الأحاديث النبوية ما اتفق عليه البخارى ومسلم من حديث معاذ بن جبل رضى الله عنه أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له: «أتدرى ما حق الله على العباد، وما حق العباد على الله.. فقال معاذ: الله ورسوله أعلم، قال عليه السلام: حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً» (١٤٤).

فدل هذا الحديث أن لله حق على العباد، وهو عبادته وعدم الشرك به، وبعد أن بين الشيخ وجوب التوحيد بين فضله.

قال الشيخ: باب فضل التوحيد، وما يكفر من الذنوب، ثم استدل بآية الأنعام: (١٤٥)

«الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ»

(١٤٣) النساء آية ٣٦.

(١٤٤) أخرجه البخارى في كتاب اللباس. باب إرداف الرجل خلف الرجل حديث رقم ٥٩٦٧. ج ١٠ ص ٣٩٧، ومسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً حديث ٣٠ ج ١ ص ٥٨.

(١٤٥) الأنعام ٨٢.

وبجملة أحاديث كلها تدل على فضل التوحيد دلالة واضحة، منها ما أخرجه في الصحيحين عن عتبان رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:

«من قال لا إله إلا الله يبتغى بذلك وجه الله حرم الله وجهه على النار»<sup>(١٤٦)</sup>

فانظر إلى هذا الاستدلال ووضوحه من الآيات والأحاديث.

ثم قال: باب من حقق التوحيد دخل الجنة بغير حساب ولا عذاب.

واستدل بآيات قرآنية وأحاديث نبوية لا يستطيع أحد أن ينكر الاستدلال بها، ثم قال: باب الخوف من الشرك.. واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»<sup>(١٤٧)</sup>.

فيذا حكم على المشرك بعدم المغفرة وجب الخوف من الشرك، واستدل بآيات أخرى وأحاديث نبوية كلها واضح فيها وجه الاستدلال، واستدل على وجوب الدعوة إلى التوحيد بقوله تعالى:

«قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي»<sup>(١٤٨)</sup>.

وحديث ابن عباس في بعث معاذ إلى اليمن، وتعليمه كيف تكون الدعوة، واستدل أيضاً على وجوب الدعوة وفضلها في حديث سهل في فتح خيبر، والشاهد منه قول الرسول لعلي بن أبي طالب «ثم ادعهم إلى الإسلام» مبيناً فضل هذه الدعوة لقوله: «فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من حمر النعم»<sup>(١٤٩)</sup>.

ثم قال رحمه الله: باب تفسير شهادة أن لا إله إلا الله، ثم استدل بقوله تعالى:

«وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٦٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٦٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ»<sup>(١٥٠)</sup>.

(١٤٦) أخرجه البخارى في كتاب الصلاة حديث رقم ٤٢٥ ج١/٥١٩.

(١٤٧) النساء ٤٨.

(١٤٨) يوسف ١٠٨.

(١٤٩) أخرجه البخارى في كتاب الجهاد. باب دعاه النبي - صلى الله عليه وسلم الناس إلى الإسلام. حديث رقم

٢٩٤٢ ج١/١١١.

(١٥٠) الزخرف آية ٢٦ - ٢٨.

وبحديث «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإن فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله عز وجل» (١٥١).

ثم ابتداءً بجزئيات تنافي التوحيد وتنافي كماله، منها: لبس الحلقة لجلب النفع أو لدفع الضر، وأبطل ذلك بقوله تعالى:

«قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ» (١٥٢).

وبقوله صلى الله عليه وسلم للرجل الذي رأى عليه حلقة من صفر وأخبره بأنها عن الواهنة فقال له: «انزعها لا تزيدك إلا وهناً» واستدل على بطلان التائب بقوله عليه الصلاة والسلام: «من علق تيممة لا أتم الله له» (١٥٣) وغير ذلك من الأحاديث. واستدل رحمه الله على بطلان التبرك بالأشجار والأحجار بآية

«أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنْوَةَ الْآخَرَىٰ» (١٥٣)؛

وبحديث فيه، أن الصحابة طلبوا من الرسول أن يجعل لهم شجرة يتبركون بها، فأنكر عليهم الرسول صلى الله عليه وسلم أشد الإنكار، واستدل على صرف الذبح لله وتحريمه لغير الله بآيات قرآنية وأحاديث نبوية.

وهكذا في سائر أبواب مؤلفه رحمه الله المسمى بكتاب التوحيد.

ومن شك في ذلك فليراجع هذا المؤلف، فإنه سيجد ما يشفيه ويكفيه من الأدلة ويطمئنه ويؤكد له أن الشيخ يعتمد اعتماداً كلياً على الكتاب والسنة لاسيما في باب التوحيد والعقائد وكشف الشبهات.

(١٥١) أخرجه البخارى في كتاب الإيمان حديث رقم ٢٥ ج١/٧٥ ومسلم في الإيمان حديث ٢٠ ج١/٥١.

(١٥٢) الزمر ٣٨.

(١٥٣) أخرجه ابن ماجة في كتاب الطب - باب تعليق التائب حديث رقم ٣٥٣١ ج ٢ ص ١١٦٧.

(١٥٣) النجم ١٩-٢٠.

## من مؤلفات الشيخ كشف الشبهات بأدلتها

وهاك نموذجاً مما قاله واستدل عليه في هذا المؤلف، ولعلك تراجع بقيته، فيتضح لك استدلال الشيخ على كل مسألة وشبهة إن كنت شاكاً في اعتماد الشيخ في دعوته على الكتاب والسنة.

ذكر إقرار الكفار بتوحيد الربوبية، وذكر أنه لم يدخلهم في الإسلام بل قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أقروا بتوحيد العبادة، فإذا أردت الدليل على أن هؤلاء الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يشهدون بهذا فاقراً قوله تعالى:

« قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ مَنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ  
وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ  
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ » (١٥٤).

وقوله:

« قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۗ (٨٦) سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ  
أَفَلَا تَتَّقُونَ ۗ (٨٧) قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ  
إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ۗ (٨٨) سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ » (١٥٥).

(١٥٤) يونس آية ٣١ .

(١٥٥) المؤمنون من آية ٨٦ - ٨٩ .

وغير ذلك من الآيات، فإذا تحققت أنهم مقرون بهذا ولم يدخلهم في التوحيد الذى دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعرف أن التوحيد الذى جحدوه هو توحيد العبادة الذى يسميه المشركون في زماننا الاعتقاد، كما كانوا يدعون الله سبحانه ليلاً ونهاراً، ثم منهم من يدعو الملائكة لأجل صلاحهم وقربهم من الله ليشفعوا له أو يدعو رجلاً صالحاً مثل اللات أو نبياً مثل عيسى.

وعرفت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم على هذا الشرك، ودعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده، كما قال تعالى:

« فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا » (١٥٦).

وقال:

« لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ » (١٥٧).

وتحقت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلهم ليكون الدعاء كله لله، والنذر كله لله، والذبح كله لله، والاستغاثة كلها لله، وجميع أنواع العبادات كلها لله، وعرفت أن إقرارهم بتوحيد الربوبية لم يدخلهم في الإسلام، وأن قصدهم الملائكة والأنبياء والأولياء يريدون شفاعتهم والتقرب إلى الله بذلك، هو الذى أحل دماءهم وأموالهم. عرفت حينئذٍ التوحيد الذى دعت إليه الرسل، وأبى عن الإقرار به المشركون، وهذا التوحيد هو معنى قولك « لا إله إلا الله ».

فدل هذا الكلام المتقدم والذى سننقله لك عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد فهمه من نصوص القرآن على ما يأتى:

١ - أن الكفار يقرون بتوحيد الربوبية.

٢ - أنه لم يدخلهم في الإسلام.

(١٥٦) سورة الجن آية ١٨ .

(١٥٧) الرعد آية ١٤ .



٣ - أن معنى «لا إله إلا الله» يشمل النوعين.

٤ - أن الكفار الذين قاتلهم الرسول يفهمون معناها، ولهذا قالوا كما حكى الله عنهم:

«أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ» (١٥٨).

٥ - أن كفار أهل زماننا لا يفهمون معناها لأنهم يقولونها، ومع ذلك تخالفه أفعالهم، فيعبدون القبور، ويدعون الأولياء والصالحين، ولو عرفوا معناها حقيقة لما عبدوهم وما استغاثوا بهم، وأما الكفار لم ينطقوا بها لأنهم لم يعملوا بمعناها، وكل هذا ساق الشيخ عليه الأدلة، وبين أن الشرك لا يغفر لصاحبه، واستدل بقوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ» (١٥٩).

وبين أن من عرف دين الله الذى أرسل به الرسل من أولهم إلى آخرهم الذى لا يقبل الله من أحد ديناً سواه، أنه يستفيد فائدتين.  
الأولى : فضل الله ورحمته، ثم استدل بقول الله:

«قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ» (١٦٠)

الثانية : الخوف العظيم، فإنك إذا عرفت أن الإنسان يكفر بكلمة يخرجها من لسانه وقد يقولها وهو جاهل فلا يعذر بالجهل، وقد يقولها وهو يظن أنها تقربه إلى الله تعالى كما ظن المشركون، ثم استدل بطلب قوم موسى مع صلاحهم.

«أَجَعَلَ لَنَا إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ» (١٦١).

(١٥٨) سورة ص آية ٥ .

(١٥٩) النساء آية ٤٨ .

(١٦٠) سورة يونس آية ٥٨ .

(١٦١) الأعراف ١٣٨ .

فاستدل الشيخ على هاتين الفائدتين بهاتين الآيتين واضح لا يستطيع أحد إنكاره.  
وفي سياق كشف الشبهات بين رحمه الله بأن الله لم يبعث نبياً إلا جعل له أعداء.  
ثم استدل على ما قاله بقوله تعالى:

« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غَرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرُهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ »  
(١٦٢)

واستدل أيضاً رحمه الله بأن هؤلاء الأعداء قد يكون لهم حجج وعلوم، يقول تعالى:

« فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ » (١٦٣).

ثم بين أن الواجب على المسلم أن يتعلم من دين الله ما يقاتل به الأعداء الذين قعدوا له على الطريق، كما قال إمامهم ومقدمهم:

« لَا أَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦٤﴾ ثُمَّ لَا تَبْنُهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ » (١٦٤).

ثم بين أن هؤلاء الأعداء يضعفون أمام من تسليح بدين الله، واستدل بقوله تعالى:

« إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا » (١٦٥).

ثم بين أن العاصي من الموحدين يغلب الألف من غيرهم، وأنه لا خوف عليه إذا سلك الطريق وإنما الخوف على ضعيف التوحيد، واستدل بقوله تعالى:

« وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ الْغَلْبُونَ » (١٦٦).

(١٦٢) الأنعام ١١٢ .

(١٦٣) غافر ٨٣ .

(١٦٤) الأعراف ١٦ - ١٧ .

(١٦٥) النساء ٧٦ .

(١٦٦) الصافات ١٧٣ .

ثم استدل رحمه الله على أنه مها جاء أهل الباطل بشبهة ففي القرآن ما يبطلها،  
واستدل بقوله تعالى:

«وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» (١٦٧).

وهذه الآيات عامة في كل حجة يأتي بها أهل الباطل إلى يوم القيامة.  
ثم ذكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله بأنه سيكشف هذه الشبه بآيات قرآنية،  
وأن لهم جوابين مجمل ومفصل، أما المجمل - فهو الأمر العظيم والفائدة الكبيرة لمن عقلها  
وذلك قوله تعالى:

«هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ  
وَآخَرٌ مُتَشَبِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَبَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ  
وَأَبْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ» (١٦٨)

وقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا رأيتم الذين يتبعون ما  
تشابه منه فأولئك الذين سمي الله - فاحذروهم» (١٦٩).

مثال ذلك إذا قال بعض المشركين:

«الْأَلَاءُ إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (١٧٠)

وأن الشفاعة حق - وأن الأنبياء لهم جاه عند الله.

وذكر كلاماً للنبي عليه الصلاة والسلام يستدل به على شيء من باطله - وأنت لا  
تفهم معنى الكلام الذي ذكره فجأوه بقولك: إن الله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم  
زيغ يتركون المحكم، ويتبعون المتشابه.

وهكذا استمر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في إيراد الشبه وجوابها، والاستدلال على  
بطلانها من القرآن والسنة، يجد ذلك واضحاً من أحب الحقيقة واطلع على كشف  
الشبهات، والمقصود ذكر نموذج منه كما تقدم.

(١٦٧) الفرقان آية ٣٣ .

(١٦٨) آل عمران آية ٧ .

(١٦٩) أخرجه البخاري في كتاب التفسير. باب منه آيات محكمات. حديث رقم ٤٥٤٧ ج ٨/٢٠٩.

(١٧٠) يونس ٦٢ .

## الفصل الخامس

### القواعد الأربع التي قرر بها توحيد العبادة

من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب : القواعد الأربع التي قرر بها توحيد العبادة وأنه لا يكون خالصاً إلا بنفى الشرك، وأن الشرك مع العبادة كالحديث مع الطهارة ضدان لا يجتمعان، فكما لا تصح الصلاة مع الحديث فإنها لا تصح عبادة مع الشرك. وأوضح ذلك بهذه القواعد الأربع التي تدل على اعتماد دعوته وفقهه على الكتاب والسنة:

«القاعدة الأولى»:

أن الإقرار بتوحيد الربوبية دون توحيد العبادة لا يدخل في الإسلام، ثم استدل بقوله تعالى:

« قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ  
وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ  
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَعَلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ » (١٧١).

فأقروا بهذه الآيات الخلقية الكونية وأن القادر عليها هو الله، ومع ذلك قاتلهم الرسول عليه الصلاة والسلام، فلو كان كافياً لما قاتلهم، ولما طلب منهم توحيد العبادة - فاستدلال الشيخ واضح واعتماده على الكتاب والسنة صريح.

«القاعدة الثانية»:

أنهم يتوسلون بمعبوداتهم إلى الله ويتشفعون بهم ومع ذلك حكم عليهم القرآن بالكفر، فدل على أن المطلوب أن يعبدوا الله مباشرة دون واسطة، وأن يطلبوا منه شفاعته نيبيهم لهم.

(١٧١) يونس آية ٣١.

واستدل على أن شفاعة الأنبياء والأولياء والصالحين والملائكة لا تطلب إلا من الله، وأنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، ثم استدل على ذلك كله بآيات قرآنية منها قوله تعالى:

«وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ» (١٧١م)

ووجه الاستدلال أنه حكم على من اتخذ الوسطة بالكفر (١٧٢).

«القاعدة الثالثة»:

أن النبي صلى الله عليه وسلم ظهر على أناس متفرقين في عباداتهم، منهم من يعبد الملائكة، ومنهم من يعبد الأولياء والصالحين، ومنهم من يعبد الأشجار والأحجار، ومنهم من يعبد الشمس والقمر، وقتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يفرق بينهم.

ومقصود الشيخ أن عبادة ما سوى الله على حد سواء بالكفر وبالمقاتلة للرجوع عن ذلك، ثم استدل على بطلان عبادة أى نوع من هذه المخلوقات بدليل من القرآن.

«القاعدة الرابعة»:

فيها أن الشيخ حكم على أن شرك أهل زمانه أشد وأغلظ من شرك الأولين، لأن الأولين يشركون في الرخاء ويخلصون في الشدة، وأهل زمانه يشركون في الرخاء والشدة، بل كلما اشتد عليهم الأمر ازدادوا لجوء وتضرعاً ودعاء لمعبوداتهم، ثم استدل بقوله تعالى: «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» (١٧٣).

فهل ينكر وجه الاستدلال واعتماد الشيخ على الكتاب والسنة إلا مكابر ومعاند.

(١٧١م) سورة الزمراء آية ٣.

(١٧٢) راجع القواعد الأربع في القسم الأول من مطبوعات الجامعة من مؤلفات الشيخ في العقائد ص ١٩٧ نجد ذلك واضحاً جلياً وأن الشيخ لم يأت بشئ من بنات أفكاره ولا استوردها من غيره.

(١٧٣) سورة العنكبوت آية ٦٥.

## الفصل السادس

ما ورد في مؤلفه كتاب

« فضل الإسلام » من اعتماده على الكتاب والسنة

ومن الأمثلة على اعتماد الشيخ في دعوته على الكتاب والسنة ما جاء في مؤلفه « فضل الإسلام »:

١ - استدل على فضل الإسلام بقوله تعالى:

« الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا » (١٧٤)

ووجه الاستدلال على فضل الإسلام أن الله رضيه لنا ديناً ندين الله به، وتنتقرب به إليه، فلو كان هناك وسيلة أفضل من الإسلام لرضيها لنا. ثم استدل الشيخ رحمه الله على فضل هذا الإسلام الذي رضيه لأمة محمد ديناً، أن ضلت اليهود والنصارى عن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، وهدى أمة محمد صلى الله عليه وسلم لهذا اليوم ليكون لهم عيد الأسبوع - لذا قال عليه الصلاة والسلام «نحن الآخرون السابقون» من حديث أبي هريرة الذي أخرجه البخاري (١٧٥).

(١٧٤) المائدة آية (٣).

(١٧٥) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء حديث رقم ٢٣٨ ج١/٣٤٥.

٢ - قال رحمه الله - باب وجوب الإسلام - ثم استدل على ذلك بقوله تعالى:  
(١٧٦)، (١٧٧)

« وَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ »

فلو لم يكن الإسلام واجباً لما حكم بالخسران على من ابتغى غيره، ولا نفى قبول غيره، ومن السنة استدل بحديث عائشة رضی الله عنها عن رسول الله قال:  
«من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد» متفق عليه.. (١٧٨)  
فدل على وجوب الإسلام حيث حكم عليه الصلاة والسلام برد الأعمال التي ليست على أمره - راجع وجوب الإسلام ص ٢٠٧ من كتاب فضل الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب.

٣ - قال: باب تفسير الإسلام.. ثم استدل بقوله تعالى:

« فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَبْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمِنْ أَتْبَعِنِ<sup>ق</sup> » (١٧٩).

فدلت الآية على أن الإسلام معناه..

الاستسلام والانقياد كما قال تعالى:

«بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ» (١٨٠)

(١٧٦) ال عمران ٨٥ .

(١٧٧) راجع القسم الأول في العقائد من مؤلفات الشيخ ص ٢٠٦ .

(١٧٨) رواه مسلم بهذا اللفظ في كتاب الاقضية حديث رقم ١٧١٨ ج٣/١٢٤٣، ورواه البخارى في كتاب الاعتصام معلقاً حديث ٢٠ ج١٣/٣١٧ .

(١٧٩) ال عمران ٢٠ .

(١٨٠) البقرة ١١٢ .

ومن السنة من حديث عمر رضى الله عنه أن السائل قال للرسول:  
ما الإسلام: فقال: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله،  
وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً».

ففسر الإسلام بهذه الأعمال، وهكذا إذا قرأ المنصف هذا المؤلف - أعنى فضل  
الإسلام - وجد وضوح الاستدلال ومطابقتها للترجمة وأن استدلاله بالكتاب والسنة.



## الفصل السابع

### فيما ألفه في أصول الإيمان

ومن مؤلفات الشيخ رحمه الله «أصول الإيمان»، عنون لكل أصل واستدل عليه، وهاك نموذجاً من استدلالاته على تراجمه وعناوينه، وإن أردت المزيد فراجع القسم الأول في العقائد من مؤلفات الشيخ التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

١ - قال رحمه الله: باب معرفة الله والإيمان به، ثم ساق حديث أبي هريرة الذي رواه مسلم، وفيه أن الله يقول: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك معي فيه غيري تركته وشركه» (١٨١).

فمن عرف الله حق المعرفة وأمن به أخلص في عبادته، ولم يشرك معه غيره، وعلى هذا فاستدلال الشيخ بالحديث واضح، وهكذا استمر في سرد الأدلة على وجوب معرفة الله والإيمان به، راجع قسم العقائد من مؤلفاته ص ٢٢٩.

٢ - قال: باب الإيمان بالقدر، ثم استدل بجملة آيات منها:

«وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا» (١٨٢)

فإذا كان مقضياً وجب الإيمان به، كما قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ» (١٨٣).

والأدلة على هذا المعنى - أي الإيمان بالقدر كثيرة - ساق الشيخ منها جملة

---

(١٨١) رواه مسلم في كتاب الزهد والرقائق حديث رقم ٢٩٨٥ ج٤/٢٢٨٩.

(١٨٢) الأحزاب آية ٣٨.

(١٨٣) الأنبياء آية ١٠١.

يستنير بها العاقل المنصف ويقوى بها إيمان المؤمن، ويعرف من خلالها أن عدم الإيمان بالقدر مخل في أصول الإيمان، بل ومناف له.

٣ - الإيمان بالملائكة من أصول الإيمان كما ترجم الشيخ لذلك ص ٢٤٨ من القسم الأول «العقائد» من مؤلفات الشيخ، استدل رحمه الله بقوله تعالى:

«لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ» (١٨٤).

والاستدلال من الآية واضح على وجود ملائكة ، والإيمان بهم إذ لو لم يوجدوا لما وجب الإيمان بهم.

٤ - من أصول الإيمان «الإيمان بالقرآن وسائر الكتب المنزلة» ولما كان الأخذ بالقرآن واجباً، عنون الشيخ بهذا العنوان «باب الوصية بكتاب الله» لأنه المهيم على الكتب السابقة، فهي وإن وجب الإيمان بها فالعمل بالقرآن لهيمنته عليها.

ثم استدل الشيخ بقوله تعالى:

«اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مَن دُونَهُ ؕ أُولَٰئِكَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ» (١٨٥).

ووجه الاستدلال واضح حيث أمر باتباع الكتاب، والأمر للوجوب ونهى عن اتباع غيره، والنهى للتحريم.

وهكذا كلما استمر القارى مع هذا المؤلف للشيخ - أعنى - أصول الإيمان - وجد الأدلة مطابقة للتراجم، وهى من الكتاب والسنة فلا حجة لمن أنكر اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة.

(١٨٤) البقرة آية ١٧٧ .

(١٨٥) الأعراف آية ٣ .

## الفصل الثامن

وجوب اعتقاد حق الرسول صلى الله عليه وسلم

واستدلاله على ذلك

ومن أصول الإيمان وجوب اعتقاد حق الرسول صلى الله عليه وسلم، واستدل الشيخ رحمه الله على ذلك بعدة أدلة منها:  
ما يدل على طاعته بأسلوب الأمر، ومنها أن جعل طاعته سبباً للرحمة، أما الأولى فقولته تعالى:

«يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ  
فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ  
الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا» (١٨٦).

وأما الثانى ففى قوله تعالى:

«وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» (١٨٧).

واستدل أيضاً بقوله تعالى:

«وَمَا ءَاتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا» (١٨٨).

١٨٨) الخسراية ٧ .

١٨٧) النوراية ٥٦ .

١٨٦) النساء اية ٥٩ .

فمن حقوق الرسول صلى الله عليه وسلم الإيمان بما جاء في هذه الآيات، وكما في الحديث الذى رواه مسلم عن أبى هريرة «أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، ويؤمنوا بى وبما جئت به».

فجعل من حقه الإيمان بما جاء به، وهذا أكبر دليل على اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة.

## الفصل التاسع

في لزوم السنة والتحذير من البدع واستدلاله على ذلك

ومن أصول الإيمان لزوم السنة والترغيب في ذلك، وترك البدع والتفرق والاختلاف والتحذير من ذلك، كما ترجم الشيخ بهذا اللفظ، ثم استدل بأدلة واضحة على ما ترجم له، منها قوله تعالى:

«لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ  
وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا» (١٨٩).

وحديث العرياض بن سارية قال:

«وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظة وجلت منها القلوب وفيه وإياكم  
ومحدثات الأمور».

راجع أصول الإيمان - القسم الأول من مؤلفات الشيخ طبعة الجامعة ص ٢٦٢ .

## الفصل العاشر

### في وجوب عداوة أعداء الله واستدلاله على ذلك

قال رحمه الله: باب في وجوب عداوة أعداء الله من الكفار المرتدين والمنافقين، قول الله تعالى:

«وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيَسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ ۚ إِنَّكُمْ إِذَا مِثْلَهُمْ»<sup>(١٩٠)</sup>

وقوله تعالى:

«يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ»<sup>(١٩١)</sup>.

وساق رحمه الله نصوصاً كثيرة في هذا الموضوع، واستدلالاته من هاتين الآيتين واضح في اعتاده على الأدلة.

(١٩٠) النساء آية ١٤٠.

(١٩١) المتحنة آية ١.

## الفصل الحادى عشر

### من كتابه «مسائل الجاهلية»

ومن تأليفاته رحمه الله «مسائل الجاهلية» التى خالف فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم ما عليه أهل الجاهلية الكتابيين والأمينين، عما لا غنى للمسلم عن معرفتها، فالضد يظهر حسنه الضد، وبضدها تتبين الأشياء. فأهم ما فيها وأشدّها خطراً عدم إيمان القلب بما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، فإن أضاف إلى ذلك استحسان ما عليه أهل الجاهلية، لحقت الخسارة، كما قال تعالى:

«وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ» (١٩٢).

وننقل لك أيها القارىء نموذجاً من هذه المسائل لتتأكد من اعتماد الشيخ على الكتاب والسنة فى جميع مؤلفاته:

المسألة الأولى: أنهم يتعبدون بإشراك الصالحين فى دعاء الله وعبادتهم لهم، يريدون بها شفاعتهم عند الله لظنهم أن الله يحب ذلك، وأن الصالحين يحبونه، كما قال تعالى:

«وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعُونَا عِنْدَ اللَّهِ» (١٩٣).

(١٩٢) العنكبوت آية ٥٣ .

(١٩٣) يونس آية (١٨) .

وقال تعالى:

«وَالَّذِينَ أَخَذُوا مِنَ دُونِهِ ءَأُولِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ» (١٩٤)

وهذه أعظم مسألة خالفهم فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأتى بالإخلاص، وأخبر أنه دين الله الذي أرسل به جميع الرسل، وأنه لا يقبل من الأعمال إلا الخالص، وأخبر أن من فعل ما استحسنا فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار. وهذه المسألة تفرق الناس لأجلها بين مسلم وكافر، وعندنا وقعت العداوة، ولأجلها شرع الجهاد، كما قال تعالى:

«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ» (١٩٥).

المسألة الثانية : أنهم متفرقون في دينهم، كما قال تعالى:

«كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ» (١٩٦).

المسألة الثالثة: أن مخالفة ولى الأمر وعدم الانقياد له عندهم فضيلة، والسمع والطاعة له ذل ومهانة.

فخالفهم رسول الله وأمر بالصبر على جور الولاية، وأمر بالسمع والطاعة والنصيحة لهم، وغلظ في ذلك وأبدى فيه وأعاد.

وهذه الثلاث جمع بينها الرسول في الصحيحين أنه قال: «إن الله يرضى لكم ثلاثاً:

(١٩٤) سورة الزمراية ٣ .

(١٩٥) سورة البقرة آية ١٩٣ .

(١٩٦) الروم آية ٣٢ .



أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً، وأن تعصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم» (١٩٧).

ولم يقع خلل في دين الناس وديناهم إلا بسبب الإخلال بهذه الثلاث أو بعضها، فهذه المسائل الثلاث من مائة وثمان وعشرين مسألة كلها على هذا النمط من حيث الاستدلال بالكتاب والسنة.

---

(١٩٧) أخرجه مسلم في كتاب الأفضية حديث رقم ١٧١٥ ج٣/١٣٤٠ وليس فيه (وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم). وأخرجه مالك في الموطأ بهذا اللفظ في كتاب الكلام حديث ٢٠ ج٢/٩٩٠.

## الفصل الثاني عشر

### سته موضوعات من السيرة لها صلة قوية بأسس الدعوة

من مؤلفات الشيخ رحمه الله ستة موضوعات من السيرة كلها باستناد من الكتاب والسنة، وأنقل لك موضوعاً من هذه الموضوعات «قال رحمه الله - الموضوع الثاني - أنه صلى الله عليه وسلم لما قام ينذرهم عن الشرك، ويأمرهم بضده وهو التوحيد، لم يكرهوا ذلك، واستحسنوه، وحدثوا أنفسهم بالدخول فيه إلا أنه لما صرح بنبذ دينهم، وتجهيل علمائهم، حينئذ شمروا له ولأصحابه عن ساق العداوة وقالوا:

سفه أحلامنا، وعاب ديننا، وسب أهتنا، ومعلوم أن الرسول لم يسب عيسى وأمه ولا الملائكة ولا الصالحين، ولكن لما ذكر أنهم لا يدعون ولا ينفعون ولا يضررون. جعلوا ذلك سباً وشتماً - فإذا عرفت هذا عرفت أن الإنسان لا يستقيم له إسلام ولو وحد الله وترك الشرك إلا بعداوة المشركين، والتصريح لهم بالعداوة والبغض كما قال تعالى:

«لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١٩٨).

## الفصل الثالث عشر

### من مؤلفاته تلقين أصول العقيدة للعمامة على طريقة السؤال والجواب

ومن مؤلفاته رحمه الله (تلقين) أصول العقيدة للعمامة على طريقة السؤال والجواب بالدليل بعد توضيح المعنى، وهذه الرسالة توجد في المجلد الأول قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ التي طبعتها الجامعة ص ٣٧٠، وهي رسالة عظيمة وقواعد ثابتة لا مدخل للتقليد ولا للاجتهاد، بل كل سؤال وجواب مصحوب بالاستدلال، وهاك نموذجاً منها:

المثال الأول: أولاً قال رحمه الله (إذا قيل لك من ربك؟ فقل ربى الله، فإذا قيل لك: ما أكبر ما ترى من مخلوقاته؟ فقل: السموات والأرض، فإذا قيل بماذا تعرفه به؟ فقل: أعرفه بآياته ومخلوقاته، وإذا قيل لك ما أعظم ما فى آياته؟ فقل: الليل والنهار، والدليل على ذلك...

«إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشَى اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ ۗ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ» (١٩٩).

المثال الثانى: فإذا قيل لك: لأى شىء خلقك؟ فقل: لعبادته، فإذا قيل لك ما الدليل على ذلك؟ فقل قوله تعالى:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (٢٠٠).

(٢٠٠) الذاريات آية ٥٦ .

(١٩٩) الأعراف آية ٥٤ .

المثال الثالث: وإذا قيل لك: أى شىء فرض أولاً عليك؟ فقل: كفر بالطاغوت وإيمان بالله، والدليل على ذلك قوله تعالى:

«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ<sup>ط</sup> فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (٢٠١).

وهكذا استوفى الشيخ رحمه الله الأصول الثلاثة وهى: معرفة الرب - ومعرفة الإسلام - ومعرفة النبى محمد صلى الله عليه وسلم، بهذه الطريقة وبطريقة السؤال والجواب، وبعد قراءتها يتضح لنا أن الشيخ بين دعوته وفقهها للخاص والعام، وأنها قائمة على الكتاب والسنة.

## الفصل الرابع عشر

### في معنى الطاغوت

وقال رحمه الله: (معنى الطاغوت وراءوس أنواعه).

اعلم رحمك الله تعالى أن أول ما فرض الله على ابن آدم الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله، والدليل قوله تعالى:

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ » (٢٠٢)

ثم استمر رحمه الله يشرح معنى الكفر بالطاغوت - ومعنى الطاغوت - والدليل على كل معنى، ومن شك في هذا الاستدلال فليراجع ص ٣٧٦ من قسم العقيدة من مؤلفاته. ومؤلفاته ورسائله كثيرة جداً ومصحوبة بالأدلة، ولعلنا نكتفى منها بهذا المقدار، وجزى الله من تسبب في جمعها وطبعها خير الجزاء.

## الفصل الخامس عشر

### في كتابه «الكبائر»

من مؤلفات الشيخ رحمه الله ما أسماه «بالكبائر»، وشمل بذلك كبائر القلوب واللسان والأعمال، فنص على كل كبيرة بعنوانها ودليلها، والمراد بها عند جمهور العلماء ما تنقص الإيمان ولا تخرج منه، وفي الآخرة تحت مشيئة الله ولا يخلد صاحبها في النار، وإليك الأمثلة من هذه الكبائر لتعرف أن الشيخ رحمه الله يعتمد في مؤلفاته على الكتاب والسنة.

المثال الأول: استدل على وجود الكبائر وأنها غير الشرك والكفر بقوله تعالى:

«الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبِيرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ» (٢٠٣).

وقوله تعالى:

«إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبِيرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ» (٢٠٤)

فدلت هاتان الآيتان على أن في الذنوب كبائر غير الشرك، لأن الشرك لا يغفر لصاحبه إن مات عليه.

المثال الثاني: كبائر الأعمال - قال الشيخ - باب أكبر الكبائر - ثم استدل بحديث أبي بكر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله قال: الإشراف بالله وعقوق الوالدين وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، فما زال يكررها حتى قلنا: ليته سكت» (٢٠٥) ودلالة هذا الحديث واضحة على ما عنون له الشيخ وهو أكبر الكبائر.

(٢٠٤) النساء ٣١

(٢٠٣) النجم ٣٢

(٢٠٥) رواه البخارى في كتاب الشهادات حديث رقم ٢٦٥٤ ج٥/٢٦١، ومسلم في كتاب الإيمان حديث ٨٧

ج٩١/١

المثال الثالث: على كبائر القلب، واستدل رحمه الله بحديث أبي هريرة الذي أخرجه مسلم: «إن الله لا ينظر إلى صوركم، ولا إلى أجسامكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» (٢٠٦) وحديث النعمان بن بشير «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب» (٢٠٧).

فدل هذان الحديثان على أن القلب أساس الأعمال والأقوال وأنه مبنى على المؤاخظة والمجازاة.

وهكذا استمر الشيخ في بيان الكبائر وجمعها، وإن دل هذا فإنما يؤكد على أنه كاشف وموضح ما جاء في الكتاب والسنة (٢٠٨).

---

(٢٠٦) رواه مسلم في كتاب البر والصلة حديث [٢٥٦٤]، واحد في المسند ٢/٢٨٥  
(٢٠٧) رواه البخارى في كتاب الايمان حديث رقم [٥٢] ١/١٢٦  
(٢٠٨) راجع كتاب الكبائر - المجلد الأول في العقائد والآداب والأخلاق من مؤلفات الشيخ

## الباب الرابع

### في مؤلفات الشيخ فيما عدا العقائد وفيه تمهيد وعشرون فصلاً

---

التمهيد:

الغرض من هذا الباب ما يأتي:

- ١ - لفت نظر المسلم إلى فقه هذا الإمام في العقيدة والفروع.
  - ٢ - إيقاف القارئ على بعض مؤلفاته في غير العقيدة ليتضح له صلتها بالكتاب والسنة .
  - ٣ - الإشارة إلى الفنون الشرعية التي خاض فيها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وأن كل فن قد ألبسه حليته من الكتاب والسنة أو ما هو مستمد منها.
-



## الفصل الأول

### في مؤلفات الشيخ في الحديث

لقد اعتنى الشيخ محمد بن عبد الوهاب بجمع الأحاديث وتبويبها في موضوعات شتى، منها ما هو عام كنصيحة المسلمين وبيان فضل الإسلام، ومنها ما هو خاص في العقائد كأصول الإيمان، أو خاص بالكبائر لاسيما الكبائر التي هي من أعمال القلوب، وقد تقدم الإشارة إلى هذه المؤلفات في هذه الفنون في الباب الثالث، ومنها ما هو خاص في الأحكام ومنها ما هو خاص في الفتن والحوادث.

واشتدت عناية الشيخ محمد بن عبد الوهاب لجمع أحاديث الأحكام على أبواب الفقه كما سبقه غيره من الأئمة، وهذا دليل واضح على أن الفقه لا يستغنى عن الحديث. فسار على أبواب الفقه، وجمع في كل باب من أبوابه جملة أحاديث من الأحكام.

والهدف من كتابة هذا إيضاح عناية الشيخ بالكتاب والسنة عقيدة وفقها، فبدأ بكتاب الطهارة إلى آخر موضوعات الفقه مما يتعلق بالقضاء ووسائل الإثبات، ثم ختم ما جمعه من أحاديث الأحكام بمجموعة أحاديث في الطب، وهذا المجموع في أحاديث الأحكام كان مخطوطاً، وطبعته جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في أربع مجلدات، بلغ مجموع الأحاديث (٤٥٥١) أربعة آلاف وخمسمائة وواحد وخمسين حديثاً. فاستوفى جميع أبواب الفقه على ترتيب الفقهاء في العبادات والمعاملات.

وإليك يا أخی القاری أمثلة توضح طريقة الشيخ في جمع أحاديث الأحكام مما يبرهن اعتماد فقهه دائماً في العبادات والمعاملات على السنة.

أولاً: ذكر في الطهارة في باب المياه جملة أحاديث دلت على ما ينجس به الماء الطاهر وطهارة البحر، وأن الماء المستعمل لا ينجس، والنهي عن تنجيس الماء الراكد أو تقذيره حسب القلة أو الكثرة، وحكم استعمال الرجل لفضلة المرأة، وغسل اليدين بعد نوم الليل

قبل غمسها في الإناء، وجواز الوضوء من ماء زمزم، واستعمال الماء الحار.  
وهذه الأحكام الفقهية كثيراً ما يذكرها الفقهاء عارية عن الدليل، ومنهم من يذكرها  
ثم يذكر الدليل، فالشيخ عمد إلى أدلة الفقهاء فجمعها في هذا الباب، ثم استوعب جميع  
أبواب الطهارة سالكاً هذه الطريقة وهي باب الآنية، باب التخلي، باب السواك، باب  
الوضوء، باب المسح على الخفين، باب نواقض الوضوء، باب التيمم، باب إزالة النجاسة،  
وباب الحيض.

فهل ترى تصويب من رماه بالتعصب وهو على هذه الطريقة، إن المتعصب هو الذي  
يأخذ أقوال الإمام بغض النظر عن الدليل.

وهذا أبعد ما يكون عن إمامنا الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

ثانياً: وذكر في الصلاة الأدلة على وجوبها وفرضيتها، ومتى فرضت، وأنه لا يتم  
الإسلام إلا بإقامتها.

وذكر أن من صلى عصم دمه وماله ظاهراً وأن الباطن إلى الله، وذكر ما يدل على حكم  
تاركها وأنه كفر، واستدل على أهميتها وأنها أول ما يحاسب عنها يوم القيامة، واستدل  
الشيخ على ما يسقط وجوب الصلاة أو يسقط صحتها، كما استدل على وقت ابتداء الأمر  
بالصلاة مما يدل على أنها أكد الأعمال في الإسلام وأهمها.

واستدل على حكم من فوت وقت الصلاة بعذر أو بغير عذر، ومتى تقضى ومتى لا  
تقضى.

فما أعظمه من فقه.

كما استمر في سائر موضوعات الصلاة على أبواب الفقه، وأذكر لك عناوين  
الموضوعات التي ذكرها واستدل عليها وهي عناوين الفقهاء.

باب الآذان، باب المواقيت، باب ستر العورة، باب اجتناب النجاسة، باب استقبال  
القبلة، باب النية، باب صفة الصلاة، وباب سجود السهو.

## الفصل الثانى

### فى فضائل الأعمال

مما يدل على فقه هذا الإمام أنه ذكر جملة أحاديث بلغت (٢٩) تسعة وعشرون حديثاً فى فضائل الأعمال، وجعل موضعها بعد ذكر حكم الصلاة وما يشترط لها، وصفتها وسجود السهولها، وصنيعه هذا لم يسبقه أحد ممن اطلعت على مؤلفاتهم فى جميع أحاديث الأحكام.

وأشار فى هذا الباب إلى ما يتصل بفضل أركان الإسلام والإيمان بالله وما يتصل بالملوقين، وما يتصل بالأموال، وما فعله فضيل، وما تركه فضيل، وما يؤجر به على نيته إذا فاته عمله.

ففقه إمامنا فى هذا الموضوع مما يدل على الرغبة الأكيدة والفقه العميق، وذلك لما يأتى:

- ١ - اختياره للأحاديث الصحيحة والمحتج بها.
- ٢ - إيمانه الواضح بوعد الله ووعد رسوله.
- ٣ - انه أراد بذلك أن يرغب المسلم فى الأعمال الصالحة بحيث أنه لا يعملها لمجرد أنها لازمة فقط ، فاللازم لا محيد عنه، ولكن من قام بهارغبة فى الثواب المرتب عليها، نال رضى الله وأدى الواجب، وتحصل على الثواب، وسلم من العقاب.
- ٤ - مما يدل على فقه الشيخ فى هذا الباب شمول هذه الأحاديث التى ساقها لشتى مجالات الأعمال فعلاً وكفاً، حقاً للخالق أو للمخلوق أو للنفس.

«انظر المجلد الأول فى الحديث صفحة ٥٥٣»

## الفصل الثالث

### في صلاة التطوع

- ومن فقه هذا الإمام أن جمع أحاديث في الصلاة غير المفروضة يبلغ عددها (٦٨) ثمانية وستون حديثاً اشتملت على النقاط التالية:-
- ١ - ما تأكد التطوع به من الصلوات، كرواتب الفرائض والوتر.
  - ٢ - ما هو مستحب في بعض الأوقات كصلاة الضحى والتنفل قبل العصر وصلاة الليل.
  - ٣ - بيان أوقات المؤكد من صلوات التطوع.
  - ٤ - بيان ما استحبت قراءته في بعض صلوات التطوع.
  - ٥ - صفة التنفل المطلق في الليل أو النهار.
  - ٦ - بيان فضل التراويح في رمضان، وفضل الاجتماع فيها، وعدد ركعاتها، ومن أول من جمع الناس على إمام واحد لها.. وغير ذلك.
- وهذه وتلك مما يدل على فقه هذا الإمام .
- «راجع المجلد الأول في الحديث صفحة ٥٦٨»

## الفصل الرابع

### في فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قراءة القرآن

وبعد أن ساق شيخنا محمد بن عبد الوهاب أحاديث الأحكام في صلاة التطوع، أعقبه بمجموعة أحاديث تتضمن الفقه في قراءة القرآن، منها ما يدل على جواز القراءة مع ملامسة الحائض، ومنها ما يدل على ترتيل القرآن وكراهية الهذله كهذ الشعر وأنه لا ينفع إلا إذا رسخ في القلب، ومنها ما يدل على التسبيح في القرآن فيسبح عند آية التسبيح ويتعوذ عند آية الوعيد، ويسأل الله من فضله عند آية الوعد، ومنها أن قارئ القرآن لا يتكلم حتى يفرغ منه، ومنها ما يدل على فضل القراءة ومقدار هذا الفضل، ومنها ما يدل على فضل سماع القرآن من غيره، ومنها ما يدل على كراهية التطريب للقرآن، ومنها ما يبين كيفية القراءة جهراً وإخفاءً ونطقاً وتكراراً عندما تقتضى الحال ذلك.

كما ردد صلى الله عليه وسلم قوله: «إن تعذبهم فإنهم عبادك» حتى أصبح. وذكر المؤلف أثراً تدل على قراءة الناس بصوت واحد، ونهى من نسي شيئاً من القرآن لا يقول نسيته بل يقول أنسيته.

ومنها ما يدل على تحريم القول في القرآن بغير علم، وأنه لا يقرب بعضه لبعض. وأن ما علم منه يقال وما جهل فيرد إلى عالمه.

ومنها ما يدل على عدم الغلو في القرآن وعدم جفوته وعدم التآكل به والاستكثار به، ومنها ما يدل على توقيت لقراءة القرآن كله بحيث يفهم من هذا التوقيت عدم الغلو وعدم الجفوة.

ومن آداب قراءة القرآن عدم الإحداث والتشاؤب وهو يقرأ، واستدل الشيخ على ذلك من السنة.

ومن فقه هذا الباب أن ذكر شيخنا أنه يكره تأول شيء من القرآن بأمر من أمور الدنيا.

ومن فقهه أيضاً التأدب بطريقة السؤال عن الآية بحيث يقرأ السائل الآية ويقف عند ما أشكل عليه ولا يقل هل هذه الآية كذا وكذا فإنه يلبس على المستول.

فما أعظمها من دلالة على فقه شيخنا لهذه الأحاديث.

وساق شيخنا آثاراً تدل على فضل ختم القرآن والدعاء عند ختمه.

ولسجود التلاوة وسجود الشكر فقه وآداب، ذكر عليها المؤلف جملة من الأحاديث كبيان مواضع سجود التلاوة في القرآن، وسجود القارىء، والسامع والمصلى وغير المصلى وأن غير القاصد للاستماع لا يسجد، وأن سجود التلاوة ليس بلازم، وأنه يقوم ثم يختر ساجداً.

والدعاء أثناء سجود التلاوة، وأنهم إذا كانوا جماعة فالقارىء هو الإمام وأن حكمها حكم النفل في السفر، ومن هذه الآثار ما يدل على أنها ليست صلاة.

وبين سجود الشكر متى يكون وما يدل على مشروعيته.

ثم بين شيخنا أوقات النهى عن الصلاة وما يكره فيه دفن الموتى.

فمثل هذه الأحاديث في هذه الموضوعات يعز على غير الفقيه جمعها، ثم استمر الشيخ يجمع أحاديث صلاة الجماعة والإمامة وأهل الأعدار، والخوف، والجمعة، والعيد، والكسوف، والاستسقاء، وصلاة الجنائز.

ولم أتعرض لفقه هذه الأبواب كبعض الأبواب السابقة في الطهارة وأول الصلاة مثل ما عرضت فقه فضل الأعمال، وصلاة التطوع وقرآء القرآن، لكون منهجه في هذه الأبواب الأخيرة فيه شئ من المغايرة عن منهج الفقهاء.

## الفصل الخامس

### في الزكاة

لما أنهى الشيخ جمعه لأحاديث الأحكام والصلاة في الجملة، شرع يجمع أحاديث أحكام الزكاة على منهج الفقهاء، ولم يكديهم مسألة من مسائل الفقهاء إلا ذكر دليلها. وعناوين الأبواب توضح لك هذا المنهج، ويتضح لك أكثر حيناً تقرأ الأحاديث تحت هذه العناوين، وهي كالتالي:-

- ١ - ابتدأ بما يدل على وجوب الزكاة.
- ٢ - زكاة بهيمة الأنعام، وهي أحد الأموال الزكوية، ثم فصل في بهيمة الأنعام، وهي الإبل والبقر والغنم.
- ٣ - زكاة الخارج من الأرض.
- ٤ - زكاة الأثمان.
- ٥ - زكاة العروض.
- ٦ - زكاة الفطر.
- ٧ - باب الصدقة.

## الفصل السادس

### في بر الوالدين وصلة الأرحام

---

مما غاير به الشيخ محمد بن عبد الوهاب سائر العلماء الذين جمعوا أحاديث الأحكام أنه يذكر بعض الموضوعات عقب ما يناسبها من أركان الإسلام، فمثلاً فضائل الأعمال وقراءة القرآن ذكرهما في الصلاة ، وبر الوالدين وصلة الأرحام ذكرهما عقب الزكاة، لأن البر والصلة غالباً ما تكون في الأموال.

فناسب ذكر ذلك تلو هذه العبادة المالية وهي الزكاة.

وهذا فقه في محله ودلالة واضحة على عنايته بالنصوص سواء فيما يتصل بحق الله أو ما يتصل بحق المخلوقين.

والمنصف يراجع هذا المؤلف للشيخ يجد هذا الفقه واضحاً من خلال جمع هذه الأحاديث.

---



## الفصل السابع

### في الصيام

---

ومن فقه إمامنا أنه جمع أحاديث أحكام الصيام تحت عناوين أبواب الفقه، وسلك منهجاً لم يسلكه من اطّلت عليه من مؤلفي أحاديث الأحكام، حيث صدر كتاب الصيام بذكر شيء من فضائله وخصائصه، وخصائص شهر رمضان. وإذا استقرأت هذا المؤلف بعين البصيرة وطلباً للحقيقة، وجدت العناية الشديدة بأحاديث الأحكام التي يستدل بها الفقهاء. وعناية الشيخ بجمعها أكبر دليل على حبه للسنّة، فهل يرمى بالتعصب بعد ذلك؟!

## الفصل الثامن

### في المناسك ( أى فى الحج والعمرة )

منهج شيخنا فى جمع الأحاديث المتعلقة بالحج والعمرة كالآتى :-

- ١ - جاء بما يفيد فضل الحج والعمرة .
- ٢ - جاء بما يدل على الوجوب .
- ٣ - جاء بما يدل على اكتفاء النساء بحجة الفرض .
- ٤ - جاء بما يدل على جواز الحج عن الغير إذا عجز .
- ٥ - جاء بما يدل على صحة الحج من الصغير وثواب من قام بمساعدته .
- ٦ - جاء بما يشير إلى أن الرقيق لا يميزه حجه عن حجة الإسلام بل يحج إذا أعتق .
- ٧ - جاء بما يدل على شرط وجوب الحج وهو استطاعة السبيل وبيان المراد به .
- ٨ - جاء بما يدل على فضل العمرة فى رمضان، وعدد عمر النبي صلى الله عليه وسلم .
- ٩ - جاء بما يدل على اشتراط المحرم لوجوب الحج على المرأة .
- ١٠ - جاء بما يدل على المبادرة بأداء فريضة الحج .
- ١١ - جاء بما يدل على رمى الجمرات عن الصبيان .
- ١٢ - جاء بما يدل على تجريد الصبى من المخيط إذا حج به وليه، وأنه يطوف به محمولاً إذا لم يقدر على المشى .
- ١٣ - جاء بما يدل على أن المسلم يحج عن نفسه أولاً ثم عن غيره ثانياً .
- ١٤ - جاء بما يدل على صحة حج المكارى، وبما يدل عليه من القرآن والسنة، وهو قوله

تعالى: « لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ » (البقرة ١٩٨)

وأن الرسول صلى الله عليه وسلم قد تلاها أو قرأها على السائل.

١٥ - جاء بما يدل على الاكتفاء بحجة الإسلام عن النذر عن من نذر أن يحج .  
١٦ - جاء بما يدل على عدم دخول ديار المعذنين الذين ظلموا أنفسهم مخافة أن يصيبهم ما أصابهم إلا أن يكونوا باكين.  
[ ولعل مناسبة هذا الموضوع للحج للتنبيه على الحجاج، حيث أنهم قد يروا بديار الذين ظلموا أنفسهم فعذبوا ] .

١٧ - جاء بما يدل على حمل الزاد في الحج وأنه لا يكفى التوكل - كما صنع أهل اليمن، فإذا وصلوا مكة أخذوا بسؤال الناس، فنزل قوله تعالى:

« وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ »  
ج

(البقرة ١٩٧)

١٨ - جاء بما يدل على الاقتصاد في راحلة الحج وأثائه وأنه لا يدل على الشح وإنما يدل على التواضع، وعدم المباهاة في الحج وأن يتخذه نزهة وترفهاً.

١٩ - جاء بما يبين أشهر الحج، ويوم الحج الأكبر، وأن الإحرام قبل أشهر الحج ليس من السنة، وكذلك بين كراهية الإحرام قبل المواقيت المكانية.

٢٠ - جاء بما يدل على المواقيت المكانية.

٢١ - جاء بما يدل على سنية الاغتسال عند الإحرام.

ثم استمر شيخنا يجمع الأحاديث في أحكام الحج كمنهج من سبقه من الذين جمعوا أحاديث الحج.

ولقد أشرت إلى موضوعات الباب الأول لكونه منهج شيخنا اختلف عن غيره وعن منهج الفقه، حيث ذكر موضوعات في الباب الأول لم يتطرق إليها بعض الفقهاء ولا بعض من جمع أحاديث الأحكام.

## الفصل التاسع

### في الحج والعمرة

استوفى شيخنا جميع الموضوعات المتعلقة بالحج من حيث الإحرام ومحظوراته وما يتصل بالحرم والمدينة وما يزار فيها، وحينما ينظر المنصف إلى الأحاديث والآثار التي جمعها الإمام محمد بن عبد الوهاب فإنه يكاد يحكم أن شيخنا لم يقلت حكماً فقهياً إلا وأورد له دليلاً من حديث أو أثر.

وهذا بلا شك يدل على عنايته بالأدلة وسعة فقهه وبعد نظره. ورحمة الله عليه وسائر المسلمين ونفعنا الله بعلومهم.

ثم بوب الشيخ لدخول مكة كغيره، ولكنه تتبع أفعال الرسول صلى الله عليه وسلم في حجته، فذكر ما يدل على سنية الاغتسال عند الدخول، ومن أين وصل، وأين أناخ راحلته، وبأى شئ بدأ في مكة وهو الطواف، وذكر ما يدل على صفة وعدد أشواطه وتقبييل الحجر أو استلامه، وما يدل على الطواف وجوازه، وبيان ما يستلم من الكعبة، وما يدل على فضل الحجر الأسود.

واستمر شيخنا في جمع أدلة صفة الحج منذ دخل الرسول مكة حتى آخر خطبه في أيام

منى.

تضمنت هذه الأدلة جميع ما حصل من عمرة وحج وقتع وقران وحل الإحرام بعد العمرة، والإحرام من مكة لمن حل وإقامته بمكة حتى اليوم الثامن الذي سار فيه إلى منى، وإقامته بمنى حتى سار إلى عرفة، ثم استدل على كل ما حصل بعرفة، وانصرافه منها، وصفة سيره أثناء الانصراف، وميئته بمزدلفة وإفاضته إلى منى.

واستدل على كل ما حصل في يوم النحر، وفي أيام منى.

وحقاً إن هذه الأحاديث التي جمعها الشيخ مستوفية لأحكام الحج. وهذا مما يدل على فقه الشيخ رحمه الله.

## الفصل العاشر

### في الهدى والأضاحى والعقيقة

كل باب جمع فيه شيخنا أحاديث أحكامه يكاد القارىء أن يستوفى مسائل الفقه فيه، لاستقصائه أحاديثه وآثاره وتطرقة لحكاية الإجماع عن ابن المنذر أحياناً. وهذا الصنيع يدرك المنصف أنه لا يصدر إلا من فقيه بدأ بالأضاحى من رقم ٥٤٠ إلى ٦٤٦ من آخر العقيقة.

جاء بالأدلة على مشروعية الهدى، وصفته، وأسعاره، ونوعيته. وصفة نحره وذبحه وتوزيعه، وبيان وقته، وكذا الأضحية استوفى فقهها في الأحاديث والآثار ثم العقيقة، وكذلك بيان ما يستحب من الأساء وما يكره. وما يستحب لغيره، وما غيره الرسول عليه الصلاة والسلام.. لا يكاد القارىء يفقد حكماً فقهياً في هذه الأبواب المفصلة بالذباتح، ومن أحب التأكد فليراجعه في مجموعة هذه الأحاديث التى طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

## الفصل الحادى عشر

### فى الجهاد

مما يدل على فقه الشيخ سياقه أدلة الجهاد فى شتى أحكامه، فذكر فضله ومتى استحب الجهاد، وتفضيل بر الوالدين على جهاد التطوع، وعناية الإمام بالجيش عند تجهيزه، وحكم الإغارة على العدو وهو غافل، وبيان وقت ابتداء القتال، وحكم قتل الأطفال والنساء والشيوخ، وحكم نصيحة الأمير للرعية، وبيان أين يمشى الأمير من الجيش، وحكم الاستعانة بالمشرك.

وذكر وصية الإمام لرعيته، كوصية أبى بكر ليزيد بن أبى سفيان، وهى عشر أولها حكم المبارزة.

وبين معنى قوله تعالى:

« وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ »

وبين حكم قطع النخيل والتحريق بالنار. وهكذا استمر شيخنا فى سياق أدلة أحكام الجهاد حينما ذكر باب الجزية والهدنة، وأحكام الذمة. ولم يترك شيئاً مما ذكره الفقهاء إلا وجاء بدليله من السنة النبوية. وبهذا تمت العبادات وعدد ما ذكر فيها من الأحاديث (٣٢٤٠) ثلاثة آلاف ومائتين وأربعين حديثاً كلها تدل على أحكام فقهية. فلا دلالة أكبر من هذا على فقهه.

## الفصل الثاني عشر

### في البيوع

ولما انتهى شيخنا من جمع أحاديث أحكام العبادات: شرع في أدلة أحكام المعاملات وصدرها بالبيع، وهو عبارة عن طريق من طرق كسب الرجل عملاً كان أو مبيعاً، ثم نوع أدلة أعمال اليد فذكر دليل تأجير النفس، والوظيفة لعمل المسلمين، والأكل من كسب الولد، ثم استدل على فضل التجارة وفضل الصدق فيها، والأدلة على أسباب محق البركة. منها كثرة الحلف، وذكر الأدلة على أفضل الأمكنة وهي المساجد، وما يدل على ذم الأسواق والاستعداد لدخولها والتحذير بما يحدث فيها، وأن التجارة لا بأس بها في البحر، حيث أن ركوبه لغير مصلحة منهي عنه.

وجاء بما يدل على أفضلية أوقات البيع والشراء، وما يدل على السماحة في البيع والشراء، وما يدل على الحلال الواضح والحرام الواضح، ليفعل هذا ويحتمل هذا، وأن الأفضل اجتناب الشبهة، ومخافة الوقوع في الحرام، وبعض هذه النقاط التي تقدمت معظمها لم يشر إليها أكثر مؤلفي الفقه.

وشيخنا قدمها على أدلة أحكام البيع مما يحرم ويجوز لأهميتها .  
ثم استمر يسرد أدلة البيوع المحرمة ، ثم استوفى موضوعات أبواب الفقه .  
وهكذا استمر يذكر أدلة الأحكام الفقهية في الوقف، والوصايا، والنكاح والطلاق وما يتعلق بهما، والنفقات، والجنایات، والحدود، والقضاء وما يتعلق به.  
ثم ختم كتابه بأحاديث تتعلق بالطب.

والمقصود أن مجموعة هذه الأحاديث مستوفية لأدلة أحكام الفقه، ثم أن طباعة هذه المجموعة حظيت بتخريج الأحاديث والآثار وشرح الكلمات الغريبة، وكل موضوع فيه يدل على فقه شيخنا ومحبه للدليل ورغبته فيه، وجزاه الله عن الإسلام والمسلمين خيراً.

## الفصل الثالث عشر

### من مؤلفات الشيخ

---

ومن مؤلفات الشيخ في الحديث «أحاديث الفتن والحوادث» صدرها بالأحاديث التي تحث على المبادرة إلى أداء الأعمال الصالحة، ثم استمر في ذكر ما سيقع بعد الرسول صلى الله عليه وسلم من الفتن وأشراط الساعة وأخبارها بما يتصل بالدجال وعيسى عليه السلام والدابة وغير ذلك.

جمع في هذه المعانى مائتى حديث، طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وحظيت بالتخريج والتعليق والدلالة الواضحة للقارىء بأنها مأخوذة من الصحاح والسنن والمسانيد، وكل ذلك يوضح لنا اعتماد شيخنا بفقهاء على الكتاب والسنة، والعناية بها، فجزاه الله خيراً، وجزى القائمين على جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية خير الجزاء، وأثابهم على جمعهم لمؤلفات الشيخ، وطبع ما لم يكن مطبوعاً، ووفق الله دولتنا إذ وافقت على ذلك.

---



## الفصل الرابع عشر

### في رسائل الشيخ الشخصية

---

ويمكن للقارى المنصف الاطلاع على رسائل هذا الإمام، ليتضح له محبته للدليل وإنكاره على من استشهد بالموضوعات أو الضعيف الذى لا أصل له، وإليك أختى القارى نموذجاً من أجوبته فى الرسائل الشخصية، لعله يدعوك إلى قراءتها كى تتأكد من الحقيقة، ولا سيما لما تيسرت بسبب جمع الجامعة لها وطبعها؛ قال فى صفحة ١٨ من مجلد الرسائل الشخصية فى الرسالة الثانية:

«جزمك بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال: «اطلبوا العلم ولو من الصين» فلا ينبغي أن يجزم الإنسان على رسول الله صلى الله عليه وسلم بما لا يعلم صحته، وهو من القول بلا علم، فلو أنك قلت وروى، أو ذكر فلان، أو ذكر فى الكتاب الفلانى لكان هذا مناسباً، وأما الجزم بالأحاديث التى لم تصح فلا يجوز فتفتن لهذه المسألة فما أكثر من يقع فيها).  
فيا ترى من هذا كلامه يقلل اعتناؤه بالدليل ويذهب إلى التقليد.

---

## الفصل الخامس عشر

### في كتابة الشيخ بالسيرة النبوية

واختصر الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما كتبه قبله في سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم كابن هشام، واعتنى بالشيء الثابت الذي يعرفه القارىء من خلال هذا المختصر، ويلمح الطابع العام لمنهج محمد بن عبد الوهاب في محبته الدليل في أى مؤلف كان، وقد قدم لكتابه «مختصر السيرة» مقدمة عظيمة موجزة مفيدة يفهم منها الالتزام والتقيد بالشيء الصحيح والمحتج به.

وإليك يا أخى المسلم جزء من هذه المقدمة لعله يشوقك إلى قراءة هذا المختصر لتجد الأدلة الواضحة والساطعة على اعتماد الشيخ دائماً وفي جميع موضوعاته على الكتاب والسنة، حيث قال صفحة ٧، ٨:

(اعلم رحمك الله: أن أفرض ما فرض الله عليك معرفة دينك. الذى معرفته والعمل به. سبب لدخول الجنة، والجهل به وإضاعته. سبب لدخول النار. ومن أوضح ما يكون لذوى الفهم: قصص الأولين والآخرين: قصص من أطاع الله وما فعل بهم، وقصص من عصاه، وما فعل بهم.

فمن لم يفهم ذلك، ولم ينتفع به فلا حيلة فيه. كما قال تعالى:

«وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَّجِيسٍ».

(ق ٣٦)

وقال بعض السلف: «القصص جنود الله» يعنى أن المعاند لا يقدر أن يردّها. فأول ذلك: ما قص الله سبحانه عن آدم، وإبليس، إلى أن هبط آدم وزوجه إلى الأرض. ففيها من إيضاح المشكلات ما هو واضح لمن تأمله. وأخر القصة قوله تعالى:

« قُلْنَا أَهْبَطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا  
خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ  
أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ».

(البقرة ٣٨ - ٣٩)

وفي الآية الأخرى:

« فَمَنْ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي  
فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا »

(طه ١٢٣ - ١٢٤)

الى قوله:

« وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى ».

(طه ١٢٧)

وهدهاء الذي وعدنا به: هو إرساله الرسل. وقد وفي بما وعد سبحانه، فأرسل الرسل  
مبشرين ومنذرين، لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل.

فأولهم: نوح. وآخرهم: نبينا صلى الله عليه وسلم.

فاحرص يا عبد الله على معرفة هذا الحبل، الذي بين الله وبين عباده، الذي من  
استمسك به سلم، ومن ضيعه عطب).

## الفصل السادس عشر

### في التفسير

ويتضح اجتهاد الشيخ في فتاواه لمن أمعن النظر فيها، وقوة فهمه لكتاب الله لمن قرأ الآيات التي فسرهما، وجمعت هذه التفاسير جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ورتبتها حسب السور، ولتيسر مؤلفات الشيخ بعد طبعها لم أنقل شيئاً من ذلك لعل المشكك في اجتهاد الشيخ ينهل بنفسه ليجد الماء الزلال.

## الفصل السابع عشر

### في كتابه زاد المعاد

---

إنه الاختصار الجميل، فيه الفائدة العظيمة لرءوس المسائل لمن قصرت همته عن قراءة أصل الكتاب، وفي هذا المختصر اتضح لنا ميول الشيخ إلى الدليل وترك أقوال المذهب المرجوحة، يظهر هذا جلياً في مسائل التيمم صفحتي ١٥، ١٦ حيث أثبت أن التيمم رافع لا مبيح، وأنه يكفي ضربة واحدة للوجه والكفين وعلى ظهر الأرض مطلقاً، أى أنه لا يشترط التراب الذي له غبار، وهذا ظاهر النصوص كما أشار إليه. فما أعظمه من منهج واضح، لاعتماد الشيخ في فقهه على الكتاب والسنة.

## الفصل الثامن عشر

### في مختصر الشرح الكبير والإنصاف

- وأما منهجه في مختصره لهذين الكتابين فهو يلمح منه النقاط التالية:-
- ١ - الأدب مع العلماء عند ذكر أقوالهم.
  - ٢ - حكاية الأقوال وبيان الوجهه.
  - ٣ - ذكر الدليل لما يرجحه.
- فأى دليل أعظم من هذا المنهج لمحبة الكتاب والسنة:

## الفصل التاسع عشر

### في مؤلفاته المبتدأة

أما مؤلفاته المبتدأة التي جمعها في القسم الثاني من الفقه في مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ومؤلفات الشيخ تنبىء عن نفسها، ولانتشارها قديماً، ودراستها في أوساط الناس، وفي الدراسات النظامية، كشروط الصلاة، وآداب المشى إلى الصلاة، لم أذكر منها مثالا لاستدلاله على كل مسألة.

نعم اللهم إلا كتاب الطهارة فإنه لم يظهر إلا في مطبعة الجامعة.

والمؤلفات المبتدأة أشير إليها في هذا الكتاب، لعل القارىء يتشوق للإطلاع عليها في القسم الثاني من الفقه ( قواعد تدور عليها الأحكام - مبحث الاجتهاد والخلاف - كتاب الطهارة - شروط الصلاة وأركانها وواجباتها - كتاب آداب المشى إلى الصلاة - كتاب الزكاة - كتاب الصيام - أحكام الصيام - أحكام تمنى الموت).

## الفصل العشرون

### في استنباطات الشيخ وتلخيصاته

وإذا أمعنت النظر في تجوال شيخنا في أنحاء العلوم، وجدت له الفكر الواسع والمدى الطويل، فتارة يؤلف، وتارة يختصر، وتارة يجمع، وتارة يلخص ويستنبط، كل هذا يحمل على القناعة باعتاده على الكتاب والسنة، وعلى فهمه وحسن فقهه، فهذه مسائل لخصها من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية تلخيصاً مقتضباً وافية، أذكر لك مسألتين منها لتدعوك إلى الاطلاع عليها في ملحق المصنفات للشيخ محمد بن عبدالوهاب، التي طبعتها جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية (قوله في العزل «لا عليكم» ثم ذكر القدر: أن هذا لا حجة فيه على ترك السبب لأن الحمل يحصل مع العزل).

والمسألة الثانية (قوله):

«لأ يصيب المؤمن قضاء إلا كان خيراً له».

وردت عليه المعاصي فأجاب بأن المراد ما أصاب العبد لا ما فعله، وأنه يصير بعد التوبة خيراً منه قبل الخطيئة).

وهل يحصل مثل هذا إلا من فاهم بالكتاب والسنة.

وكذلك اختصاره في تفسير سورة الأنفال، وذكره لبعض فوائد صلح الحديبية، وخطبه التي ملئت بالموعظة متضمنة الدليل واختتامها بقراءة آية.



## خاتمة

فهل مثل هذا يصدر من غير عارف بالكتاب والسنة، بل لا يصدر إلا من عارف عامل، والذي عنده أدنى شك أو ريب، فليرجع إلى هذه المؤلفات التي طبعتها الجامعة فأوجدتها ويسرتها لكل طالب علم رائده الحقيقة، فلم يبق عذر لمن انطلت عليه وهميات ودعايات حاقدة، أو مقلدة تقليداً أعمى، أو كاذبة على هذا الشيخ الذي امتزج حب الكتاب والسنة بلحمه ودمه، وخلف أثره في مؤلفاته.

فنسأل الله أن ينفعنا بعلمه وسائر علماء المسلمين.. وهذا ما تيسر من الكتابة حول اعتماد فقه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوته على الكتاب والسنة، والذي سلكت فيه بيان شئ من القواعد التي سار عليها في الفروع، واكتفيت فيها عن التمثيل بالجزئيات من مؤلفاته الفقهية تلافياً للإطالة. وإنما استرسلت قليلاً في التمثيل من مؤلفاته في العقائد والأخلاق والآداب لكونها الأصل وأساس الدعوة، ومحط الأنظار، ولفت النظر في الباب الرابع إلى مؤلفاته ومصنفاته فيما عدا ذلك، معتذراً للقارىء عن قصور في التعبير، أو تقديم ما حقه التأخير، أو العكس أو تخريج بعض الأحاديث. وإمامنا غنى عن التعريف، فمؤلفاته واضحة تنبئ عن نفسها لاسيما وأن جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية جمعتها ورتبتها ونسقتها، لتيسر للقارىء الاطلاع على ما يريد من مؤلفات الشيخ في العقائد والأخلاق والآداب وأحاديث الأحكام، والفقه الذي اختصره أو ابتدأ تأليفه تسهيلاً وتيسيراً على القارىء، وما كتبه إسهاماً فيما عزم عليه جامعة الإمام محمد بن سعود على إقامة أسبوع عن الشيخ ودعوته.

والله ولى التوفيق.. وصلى الله على محمد..

خصائصُ التفكيرِ الفقهي عند  
الشيخ محمد بن عبد الوهاب

تلككتور

عبد الوهاب ابراهيم أبو سليمان

أستاذ مشارك بكلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة أم القرى



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن أهمية الدعوة السلفية التي نهض بها شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، والتي تركت آثاراً فكرية واضحة في كثير من المجتمعات الإسلامية في الوقت الحاضر، استقطبت الباحثين ووجهت أنظار المفكرين، فاستقلت بدراسات موسعة وبحوث علمية مختلفة، والجانب العقدي منها والمتمثل في حياة الشيخ نفسه وإنتاجه العلمي فيها كان له منها النصيب الأوفى، وهذا عائد إلى طبيعة دعوته والأولية التي تصدى لها وركز عليها في دعوته، وهو تصحيح العقيدة الإسلامية لدى المسلمين. فبسلامتها يسلم للمرء كل شيء، وبفسادها يضيع كل شيء.

وإذا كان هذا هو الجانب الأهم في دعوته، فالجانب الثاني المهم هو تصحيح المسار الفقهي التشريعي بين المسلمين، والجوانب الإصلاحية التي نادى بها في هذا المجال، وخصائص تفكيره تجاه مسأله، وهذا لم يتجه إليه أكثر الباحثين، وهذه الدراسة تهتم بصورة خاصة بالخصائص الفكرية في اتجاهه الفقهي للتعرف على طبيعة دعوته واتجاهاته.

وهذه بمثابة مقدمة من شأنها أن تجل حقيقة هذه الدعوة في المجال الفقهي والتشريعي.

ويركز البحث هنا على :-

أولاً : الحالة الفقهية في العالم الإسلامي بعامته ونجد بخاصة .

ثانياً : الروافد الفكرية في تكوين الشخصية العلمية في الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ثالثاً : الخصائص والمميزات الفقهية عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ويعتمد البحث في هذا الجانب منه على فحص وبحث التراث العلمي الذي ورثنا عنه بطريقة استقرائية واستنتاجية في نفس الوقت، مهتماً بالخصائص والموضوعات الرئيسية دون الوقوف لدى المسائل الجزئية إلا بالقدر الذي توضح فيه الفكرة الأساسية.

## الحالة الفقهية في العالم الإسلامي بعامة ونجد بخاصة:

إن الباحثين في الفقه الإسلامي يختلفون في تسمية المراحل التي مر بها الفقه الإسلامي تطوراً وركوداً، إلا أنهم يجمعون على أن الفقه الإسلامي دخل طور الشيخوخة والهزم منذ القرن الخامس الهجري، حيث بدأ في التدهور والضعف والاعتماد الكلي على ما خلفه الفقهاء قبلهم من تراث فقهي وثروة علمية دون أن تكون لهم فيه مساهمة بزيادة أو تجديد .

يعنون العلامة محمد بن الحسن الحجري الثعالبي الفاسي هذه الفترة في تاريخ الفقه الإسلامي بقوله :  
« القسم الرابع : في الطور الرابع للفقه وهو طور الشيخوخة والهزم القريب من العدم » .

ثم يذكر الظواهر العلمية الفقهية والأسباب التي أدت إليها بقوله : « هذا الطور مبدأه من أول القرن الخامس الهجري إلى وقتنا هذا الذي هو القرن الرابع عشر ، وذلك أنه وصل إلى منتهى قوته في القرون الأربعة السابقة وتم نضجه فزاد بعد حتى احترق وذهبت عينه ، ولم يبق إلا مرقه في القرن الخامس وما بعده إلى أن صار الآن أترأ بعد عين ، ذلك لأسباب منها :

قصور الهمم عن الاجتهاد الى الاقتصار على الترجيح في الأقوال المذهبية والاختيار منها... ثم قصروا عن ذلك في هذه الأزمان واقتصروا على النقل عن تقدم فقط ، وانصرفت هماتهم بشرح كتب المتقدمين وتفهمها ثم اختصارها، وفكرة الاختصار ثم التبارى فيه مع جميع الفروع الكثيرة في اللفظ القليل هو الذي أوجب الهزم وأفسد الفقه بل العلوم كلها... إذ صاروا قراء كتب لا محصلي علوم، ثم في الأخير قصروا عن الشرح، واقتصروا على التحشية والقشور ومن اشتغل بالحواشي ما حوى شيئاً»<sup>(١)</sup>.

والفقه، أصبح يعني في العصور المتأخرة تعلماً وتعلماً، حفظ متون معينة وترديد

(١) الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي، خرج أحاديثه وعلق عليه عبدالعزيز بن عبدالفتاح القاري

(المدينة المنورة المكتبة العلمية ١٣٩٧/١٩٧٧م ص ١٦٣)

عباراتها دون مجاوزة لها إلى غيرها من كتب الفقه فضلا عن الكتاب والسنة.

عكف الحنفية على كنز الدقائق، لحافظ الدين عبدالله بن أحمد بن محمود النسفى المتوفى سنة ٧١٠هـ.

وعكف المالكية على مختصر خليل، تأليف العلامة الشيخ خليل بن اسحاق المالكي، المتوفى سنة ٧٦٧هـ.

وعكف الشافعية على متن منهاج الطالبين، تأليف شيخ الإسلام زكريا الأنصارى، المتوفى سنة ٩٢٦هـ.

وعكف الحنابلة على كتاب المقنع في فقه الامام أحمد، من تأليف موفق الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن قدامة، المتوفى سنة ٦٢٠هـ.

هذه الكتب وما يدور في فلكها هي محور الدراسة والتعليم والتأليف، وكثيراً ما يعنى استنباط الأحكام مباشرة من الكتاب والسنة الزين والانحراف، فيتصدى لأى محاولة من هذا القبيل بالنقد الشديد، نظراً لسد الفقهاء باب الاجتهاد وإصرارهم على قفله، ومن لم يتبين منهم هذا المبدأ كفقهاء الحنابلة وقولهم باستمرار الاجتهاد وفتح بابه لمن أوتى القدرة العلمية المؤهلة. فقد كان هذا منهم نظرياً أكثر منه عملياً، يبرز هذا المعنى ما ذكره أحمد بن حمدان الحرانى الحنبلى فى أقسام المجتهدين فى عبارته التالية :

« والمجتهد أربعة أقسام: مجتهد مطلق، ومجتهد فى مذهب إمامه أو فى مذهب إمام غيره، ومجتهد فى نوع من العلم، ومجتهد فى مسألة منه أو مسائل». وفى معرض حديثه عن المجتهد المطلق وتعريفه له يقول :

« وهو الذى اذا استقل بإدراكه للأحكام الشرعية من الأدلة الشرعية العامة والخاصة، وأحكام الحوادث منها مع حفظه لأكثر الفقه ولا يقلد أحداً ولا يتقيد بمذهب أحد.. ومن زمن طويل عدم المجتهد المطلق، مع أنه الآن أيسر منه فى الزمن الأول لأن الحديث والفقه قد دونا، وكذا ما يتعلق بالاجتهاد من الآيات والآثار، وأصول الفقه، والعربية وغير ذلك، لكن الهمم قاصرة والرغبات فاترة، ونار الجد والحذر خامدة اكتفاء بالتقليد، واستعفاء من التعب الوكيد، وهرباً من الأثقال، وأرباً فى تمشية الحال وبلوغ

الآمال، ولو بأقل الأعمال، وهو فرض كفاية قد أهملوه وملوه ولم يعقلوه ليفعلوه»<sup>(٢)</sup>.

هذه هي الحالة العلمية الفقهية التي كانت تعيشها البلاد الإسلامية عموماً .  
وهنا نريد من خلال هذه الصورة أن نتلمس ما كانت عليه الحالة العلمية والفقهية  
في مسقط رأس شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب خصوصاً لندرك مدى تأثره بها .

من الطبيعي أن تكون تلك الصورة للحالة العلمية والفقهية في العالم الإسلامي  
صادقة تماماً على نجد، فتعيش التخلف الفكري الفقهى الذى يعيشه العالم الإسلامي  
صورة مطابقة ، وهذا الجانب العلمى وان لم يتعرض له الكثير من الدارسين لهذا الجزء في  
جزيرة العرب، فقد تعرض له الباحثة الفقيه الشيخ عبد الله البسام، وأعطى صورة وافية  
لما كانت عليه الحالة العلمية والفقهية فيها بقوله : « منذ عرفنا علماء نجد حتى قيام  
الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله تعالى - فإن علمهم يكاد ينحصر في الفقه، أى: في  
المسائل الفرعية الفقهية، والمذهب السائد لديهم هو مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضى  
الله عنه - فعلمهم لا يكاد يخرج عن تحقيق هذا النوع من العلم ؛ فعلم التفسير  
والحديث والتوحيد مشاركتهم فيها قليلة جداً ، وعلوم اللسان لا يهتمون منها إلا بعلم  
النحو في مختصرات كتبه التى يتعلمون فيها ما يقوم أسنتهم عن اللحن، وما عدا هذا  
فيعتبرون تعلمه مضيعة للوقت ومشغلة عما هو أولى منه ، ويندر منهم من يتعدى الفقه  
إلى غيره من العلوم فيشارك في تحصيله مشاركة قليلة .

أما فقه الإمام أحمد فهم يجيدونه إجابة تامة، ويعنون به عناية فائقة، حيث يدرسون  
كتبه دراسة إمعان ، ويبحثونها بحث تحقيق وتدقيق<sup>(٣)</sup> .

وفىما يتصل بالوسط العائلى للشيخ محمد بن عبد الوهاب، فإنه عاش وسطاً علمياً  
متشعباً بالفقه فى عائلة توارثت القضاء ، فوالده الشيخ عبد الوهاب تولى قضاء العيننة

(٢) صفة الفتوى والمستفتى، الطبعة الأولى (بيروت: منشورات المكتب الإسلامى ١٣٨٠) ص ١٦، ١٧ .

(٣) علماء نجد خلال ستة قرون، الطبعة الأولى (مكة المكرمة - مكتبة ومطبعة النهضة الحديثة ١٣٩٨ ج ١

ثم حريملاء، وكذلك جده من قبل الشيخ سليمان بن علي، انتهت اليهم الرئاسة في العلم والفقہ في نجد<sup>(٤)</sup>.

في هذا الوسط العلمي العام والخاص المتميز بمظهر فقهي معين يدور في آفاق تقليدية محدودة وإطارات فكرية ملتزمة، عاش الشيخ محمد بن عبد الوهاب حياته العلمية الأولى وتدرج في مراحلها.

وفي مثل هذه الأجواء التي تحكم فيها الانغلاق التام، ليس بالوسع أن يتكون بين أحضانها فقيه يتمتع بحرية فكرية واجتهاد مخلق، بل سيكون بالضرورة وقانون الحياة صورة عصره ومرآة جيله، فقيهاً تقليدياً متمسكاً بحرفية النصوص لا يتجاوزها ولا إلى الكتاب والسنة.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب عضو في ذلك المجتمع وجزء من تلك البيئة، يتأثر بها ويتجاوب فكراً وشعوراً بإيجابياتها وسلبياتها.

ولكن إلى أي مدى كان منه هذا التجاوب استقبالا أو رفضاً؟

إن التاريخ يثبت أنه لم يكن هناك أي صدى وتأثير لتلك البيئة العلمية والاجتماعية على تفكير الشيخ محمد بن عبد الوهاب، بل كان أقوى من أن يتأثر بسلبياتها أو يخضع لمؤثراتها، فأقلت منها ومن أغلالها وأثقالها، فتميز بتفكير منطلق وعقلية مستقلة بدأت تتبين ملامحها في مرحلة شبابه.

الروافد الفكرية في تكوين الشخصية العلمية للشيخ محمد بن عبد الوهاب:

إن أول ما يثير فضول الباحث قبل أي شيء آخر، هو التعرف على المصادر العلمية والروافد الفكرية التي أسهمت في تكوين شخصيته العلمية والفقهيّة بصورة متباينة عن أبناء جيله وفقهاء عصره.

إننا لا نجد بين مشائخه الذين تتلمذ عليهم في صباه ومدارج شبابه، غير أن العلاقة والتأثر بشيخ الإسلام عبد الحليم بن تيمية، وتلميذه شمس الدين أبي عبدالله بن أبي بكر، المعروف بابن قيم الجوزية واضح قوى.

(٤) عثمان بن عبدالله بن بشر، عنوان المجد في تاريخ نجد الطبعة الثانية (الرياض: وزارة المعارف السعودية،

١٣٩١ ج ١ ص ١١٤)



وإذا كانت كافة الدلائل تشير إلى هذا فإنه مما يستحق البحث تحديد الفترة التي تعرف بها على فكر هذين العالمين الجليلين، هل حدث له هذا أيام طلبه العلم ببلدته العيينة وقبل رحيله إلى الحجاز والبصرة، أم أن اهتمامه بفكرهما جاء صدى ونتيجة تنقله واحتكاكه بالعلماء في تلك البلاد ؟

إن هذه التساؤلات تبدو للوهلة الأولى غير ذات جدوى ، ولكن الباحث كما يهيمه أن يعرف مصدر هذا الاستقلال الفكري الجديد، يهيمه أن يعرف متى وكيف ظهر، وهل هو ذاتي صادر من داخل رغبة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ؟ أم هو بعامل خارجي شجعه على تنبيه والتحمس له ؟

إن المؤرخين للشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يحققوا هذه النقطة كما ينبغي ولهذا جاءت رواياتهم متضاربة .

١ - ففريق لم ينوه عن هذه الصلة قصداً ولا استطراداً :  
ويتبين هذا من عرض نصوصهم لحياته العلمية .

يذكر المؤرخ عثمان بن بشر في معرض حديثه عن نشأته وحياته العلمية قوله :  
« وكان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، وكان الشرك إذ ذاك قد مشى في نجد وغيرها .. فلما تحقق الشيخ - رحمه الله - معرفة التوحيد ومعرفة نواقضه وما وقع فيه كثير من الناس من هذه البدع المضلة وصار ينكر هذه الأشياء... ولما رأى أنه لا يغنى القول، ولم يتلق الرؤساء الحق بالقبول، تجهز من بلد العيينة إلى حج بيت الله الحرام، فلما قضى حجه سار إلى المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، فلما وصلها وجد فيها الشيخ العالم عبدالله بن ابراهيم بن سيف من رؤساء بلد المجمع، القرية المعروفة في ناحية سدير من نجد ... فأخذ الشيخ عنه، قال الشيخ : كنت عنده يوماً فقال لي : أتريد أن أريك سلاحاً أعدته للمجعة ، قلت : نعم فأدخلني منزلاً فيه كتب كثيرة فقال : هذا الذي أعدت لها، ثم انه مضى به إلى الشيخ العلامة محمد حياة السندی المدني فأخبره بالشيخ محمد وعرفه به وبأهله، فأخذ عنه ،

وحكى أن الشيخ وقف يوماً عند الحجرة النبوية عند أناس يدعون ويستغيثون عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم فرآه محمد حياة السندی فأتى إلى الشيخ وقال ما تقول ، قال : إن هؤلاء متبر ما هم فيه وباطل ما كانوا يعملون ، فأقام في المدينة ما شاء ، ثم خرج منها إلى نجد<sup>(٥)</sup> .

وهنا لم يحدد هذا المؤرخ الجليل تأثر الشيخ بكتاب أو عالم معين ، وإنما شمل وعمم دون الإشارة إلى شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم .  
ومن الكتاب والمؤرخين الذين تتجه كتاباتهم هذا الاتجاه الأستاذ أحمد عبدالغفور العطار فيقول:

« ولما تجاوز محمد سن الطفولة زاد شغفه بالعلم، واستظهر أحاديث من الصحيحين والأمهات، وكلما تقدمت به السن تقدم في علمه وربا عقله، وما كاد يتم العشرين من عمره حتى صار عالماً مرموقاً في بلده...»<sup>(٦)</sup> .

٢ - وفريق آخر أثبت تعرفه وتعلقه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم منذ صباه وقبل مغادرته مسقط رأسه تحديداً وتعييناً ، ومن هؤلاء عبدالله بن سعد الرويشد ، ففي معرض حديثه عن نشأة الإمام العلمية يقول :

« تعلم على والده فدرس القرآن وحفظه على يديه، وعليه تعلم علوم العربية والفقه الحنبلي ، وهكذا نشأ نشأةً سالحةً وظهرت عليه مخايل الذكاء والنجابة منذ صباه، وأكثر من قراءة القرآن والاطلاع على الكتب المتداولة ، وظهرت بوادر ألمعيته واتقاد ذهنه ، وأعجب بكتب ابن تيمية وابن القيم ومال إليها ، ورأى كثيراً مما نعاها ابن تيمية على أهل عصره من البدع والضلالات ماثلاً أمام عينيه في معتقدات وأعمال أهل عصره وبخاصة العامة منهم ، ولما بلغ السادسة عشرة من عمره رآه والده أهلاً للإمامة في الصلاة، فقدمه إماماً للناس في المسجد»<sup>(٧)</sup> .

في هذا الاتجاه يسير أحمد بن حجر بن محمد آل أبوظامى فيقول:

«درس على والده الفقه الحنبلي والتفسير والحديث، وكان في صغره مكباً على كتب

(٥) عنوان المجد ج ١ ص ١٩، ٢٠، ٢١ .

(٦) محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الرابعة - بيروت: منشورات مكتبة العرفان ١٣٩٢/١٩٧٢م ص ٣٢ .

(٧) الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب في التاريخ: مصر مكتبة عيسى البابي الحلبي ج ١ ص ١١ .

التفسير والحديث والعقائد، فكان يعتنى بكتب شيخ الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، ويكثر من مطالعة كتبهما.. ولما أب الشيخ من رحلته الطويلة وراء العلم والتحصيل لازم أباه واشتغل عليه في علم التفسير والحديث وغيرها، وعكف على كتب الشيخين، شيخ الإسلام ابن تيمية والعلامة ابن القيم رحمهما الله، فزادته تلك الكتب القيمة علماً ونوراً وبصيرة ونفخت فيه روح العزيمة، ورأى الشيخ بثاقب نظره ما بنجد وبالأقطار التي رحل اليها من العقائد الضالة والعادات الفاسدة، فصمم على القيام بالدعوة «<sup>٧</sup> م».

٣ - ومن يذهبون إلى أن لرحلة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى البلاد الحجازية والبصرة دوراً كبيراً في دعوته الإصلاحية، وأن احتكاكه بالعلماء السلفيين في مكة المكرمة والمدينة المنورة والبصرة أثر في اتجاهه العلمي، إذ أثار فيه نوازع الإصلاح الديني والاجتماعي، فعاد إلى بلاده وهو ممتلئ حماساً لإعادة أهل بلاده إلى الدين الإسلامي الصحيح، وكان هذا أحد الآثار المباركة لارتحاله خارج نجد.

ومن تبنى هذا الموقف الدكتور عبدالله صالح العثيمين إذ يقول في هذا الصدد:

«وبالرغم من أن محمد بن عبد الوهاب كان قد حضر - بدون شك - دروس عدة من العلماء في المسجد النبوي، فإن صلته بالشيخين عبدالله بن سيف ومحمد حياة كانت أوثق من صلته بسواهما من العلماء، وكان لهذين العالمين الجليلين أثر كبير على الشيخ محمد لا بالنسبة لتحصيله العلمي فقط إنما بالنسبة لاتجاهه الإصلاحى أيضاً، وقد أتت صلته بهما في مرحلة من مراحل عمره القابلة للتأثر والتوجيه، وكانت معرفته بابن سيف أسبق من معرفته بالسندى، وإن كان تأثير هذا الأخير عليه أعمق - فيما يبدو - من الأول.

وكان ابن سيف عالماً بالفقه الحنبلى والحديث الشريف، وقد أجاز محمد بن عبد الوهاب في كل ما حواه ثبت الشيخ عبد الباقي أبى المواهب الحنبلى قراءة وتعلماً وتعليماً، وكان من المعجبين بالإمام المشهور ابن تيمية، ولاشك أنه شجع تلميذه على قراءة كتب هذا العالم الجليل، وكان أيضاً مدركاً للحالة التي وصلت اليها الأوضاع في نجد من الناحيتين الدينية والاجتماعية، وكان يرى أن إصلاحها لا يتم إلا بالتعليم.

(٧) الشيخ محمد بن عبد الوهاب - عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه (مكة المكرمة. مطبعة

الحكومة، ١٣٩٥) ص ١٨٠، ١٥.

أما محمد حياة السندی فكان حجة في الحديث وعلومه، وصاحب مؤلفات مشهورة في هذا الحقل، وكان أستاذاً لعدد من الطلاب الذين أصبح بعضهم دعاة إصلاح أو شخصيات علمية مشهورة في مناطق إسلامية مختلفة، وكان من المعارضين للتعصب للمذاهب الفقهية، ومن الداعين للاجتهاد في ميدان الشريعة، وبالإضافة إلى ذلك كان من أشد المحاربين للبدع في الدين والأعمال التي قد تؤدي إلى الشرك... ويستمر الدكتور العثيمين في تأكيده هذه النقطة فيقول:

«وحيث اقتنع الشيخ محمد بكفاية المدة التي قضاها متعلماً في المدينة، عاد إلى العيينة، ومن الممكن ملاحظة أمور كان لها تأثير في نفسه في أثناء إقامته في المدينة، منها: المناخ التعليمي الذي كان حافظاً على الدراسة ومهيئاً لمعرفة أنواع من العلوم، ومنها: بدءه قراءة كتب ابن تيمية المهمة وتلمذه على محمد حياة السندی المحارب للبدع والتعصب المذهبي والداعي إلى الاجتهاد، وكان ذلك في مرحلة هامة من مراحل تكوينه الفكري»<sup>(٨)</sup>.

والذي يبدو أن هذا التضارب بين الروايات السابقة هو نتيجة الاجتهاد الفردي حول هذه النقطة، دون أن يؤيد أحد من أولئك الكتاب والمؤرخين ما دونه بشيء من التوثيق العلمي التاريخي.

إلا أنه من الممكن اعتبار ما كتبه المؤرخ عثمان بن بشر الرواية المعتمدة الموثقة لاعتبارات متعددة أهمها:

أنه أقدم المصادر التاريخية وأقربها تاريخاً لحياة الشيخ محمد بن عبد الوهاب حتى قيل عن تاريخه بـ «أنه المصدر الوحيد لما وقع في نجد من الحوادث منذ فجر النهضة الإصلاحية وظهور الدعوة السلفية إلى ما قبل وفاة الإمام فيصل بن تركي بن عبد الله ابن محمد بن سعود بخمس عشرة سنة»<sup>(٩)</sup> أي من سنة ألف ومائة وثمان وخمسين من الهجرة إلى سنة ألف ومائتين وسبع وستين، كما أنه اعتنى في سوابقه بذكر حوادث ما قبل ظهور دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من منتصف القرن التاسع الهجري إلى نهاية سنة ألف ومائة وست وخمسين من الهجرة<sup>(١٠)</sup>. فهو كتاب متخصص وثيقة تاريخية صحيحة

(٨) الشيخ محمد بن عبد الوهاب، حياته وفكره (الرياض: دار العلوم) ص ٣٣، ٣٤، ٣٥.

(٩) عنوان المجد تحقيق عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ج ١، ص ٧.

(١٠) انظر المصدر نفسه ج ١، ص ٢.

في تاريخ الدعوة السلفية، ومن ثم ستكون رواية ابن بشر موضع الفحص والدراسة في تعرف الشيخ محمد بن عبد الوهاب على فكر ابن تيمية .

لم يرد في رواية ابن بشر في تاريخ نشأة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ما يشير إلى توجيه خاص من أحد ممن تلقى العلم على أيديهم إلى دراسة كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وإنما تشير إلى أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب بدافع شخصي ورغبة ذاتية تولدت عنده إلى إعادة الإسلام إلى صفاته ونقائه كما عاشه الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه، وكان هذا نتيجة انكبابه على كتب التفسير والحديث وكثرة ملازمته لها وتأمله لمعانيهما، والمقارنة بين ما جاء فيهما من عقيدة وتشريع، وبين ما عليه العمل بين المسلمين من انحراف عن جادة الإسلام عقيدة وتشريعاً. وهذا هو الذي تشير إليه عبارة المؤرخ عثمان بن بشر في قوله السابق.

«... وكان رحمه الله في صغره كثير المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه...»<sup>(١١)</sup> الخ عبارته، وهو في هذا المنحى والاتجاه يختلف عن الكثيرين من بنى جيله وعصره، إذ كانت الأهمية القصوى والتركيز الشديد على دراسة الفقه المذهبي وحفظ نصوصه، وبذلك يكون قد فتح الشيخ محمد بن عبد الوهاب لنفسه آفاقاً أوسع هيأته بالفعل لدعوته الإصلاحية التي انتدب نفسه لها.

وأما تعرفه على فكر ابن تيمية وتلميذه ابن القيم خاصة، فمن المهم عرض الحقائق التالية بين يدي هذا الموضوع:

أولاً: إن الصلة بين نجد والشام كانت قوية، حيث كانت الأخيرة بالنسبة لبلاد نجد مركزاً تجارياً وعلمياً في آن واحد، وكان لهذا أثره العلمي الكبير، فالعدد الكبير من علماء نجد تلقوا علومهم وإجازاتهم من علماء الحنابلة بالشام، «وصار من هؤلاء التلاميذ النجديين علماء كبار كالشيخ أحمد بن يحيى بن عطوة تلميذ مؤلف الإنصاف الشيخ على ابن سليمان المرادوى، وصاحب جمع الجوامع الشيخ يوسف بن عبد الهادي، ومن العلماء النجديين الذين تلقوا العلم على حنابلة الشام الشيخ أبو نغمي بن راجع تلميذ الشيخ مرعى

(١١) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٩

ابن يوسف مؤلف الغاية (غاية المنتهى في الجمع بين الإقناع والمنتهى)، وكذلك الشيخ زامل بن سلطان تلميذ الشيخ موسى الحجاوي مؤلف الإقناع. فأمثال هؤلاء العلماء النجديين الكبار بلغوا في العلم مبلغاً كبيراً، وانتهت اليهم الرئاسة العلمية في بلدان نجد، وهم قد اعتنقوا المذهب الحنبلي، فأثروا في أهل بلادهم، فصار جمهور النجديين حنابلة» (١٢).

ثانياً: إن ابن تيمية وابن القيم أعلام مشهورون وفقهاء نابهون في المذهب الحنبلي، لهم اجتهاداتهم وترجيحاتهم المشهورة، فالتعرف على فكرهم من قبل طالب العلم والتمذهب بالمذهب الحنبلي أمر بدیهي وحقيقة ميسورة.

ثالثاً: إن الاتصال الفكري بين الحنابلة في الشام والحنابلة في نجد قوى ووثيق، إذ كانت مؤلفات الشاميين تصل إلى نجد بصورة مستمرة، وكان هؤلاء تأليف عن شيخ الإسلام ابن تيمية في اجتهاداته وجهاده للبدع والخرافات، مما جعله رمزاً لبطولة العلماء وكفاح المخلصين في وسط الحنابلة أين كانوا، ولعل في (سابقة) التي ذكرها ابن بشر ما يشير إلى هذا المعنى إذ يقول: «وفي سنة ثلاث وثلاثين وألف توفي الشيخ العالم العلامة مرعى بن يوسف الحنبلي المقدسي الأزهرى. كانت له اليد الطولى في معرفة الفقه وغيره، صنف مصنفات عديدة في فنون من العلوم.. فمنها دليل الطالب.. وصنف غاية المنتهى في جمع الإقناع والمنتهى.. وذكر لى شيخنا عثمان بن منصور أنه بيضا مرتين، واحدة أرسلها إلى نجد وواحدة أرسلها إلى الشام، فلهذا نجد في بعض النسخ منها زيادة وتقصانا عن الأخرى.. وصنف مرعى غير ذلك مصنفات كثيرة منها: كتاب بهجة الناظرين في العالم العلوى والسفلى، وصفة الجنة والنار، وكتاب المرجان في الناسخ والمنسوخ من القرآن، وكتاب الدرّة المضيئة في مناقب ابن تيمية...» (١٣).

ونخلص من هذا إلى أن الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد تعرف على فكر ابن تيمية وابن القيم من قبل رحلته إلى الحجاز والشام، إذ أن هذين العلمين كانا من أشهر أعلام

(١٢) عبدالله البسام، ج. ١، ص ١٩ - ٢٠.

(١٣) السوابق، ص ١٩٧، ١٩٨.

الحنابلة في الوسط العلمي للحنابلة، ولم تكن شهرتهم لدى علماء الحنابلة بنجد بأقل من أى وسط حنبلي آخر.

الا أن انتاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودراسته للمذهب الحنبلي، سهل له التعرف على فكر شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم في وقت مبكر جداً أثناء طلبه للعلم في بلاده مسقط رأسه، ووقوفه على جهادها ما قوى فيه العزيمة للدعوة إلى الإسلام الصحيح عقيدة وشريعة، فرحل الى ما رحل من أقطار وهو متشبع بفكر الدعوة الإصلاحية التي أصبح يعيشها فكراً، ووطن نفسه للدعوة لها جهراً، وأن احتكاكه بعلماء السلف بمكة المكرمة والمدينة المنورة زاد من حماسه لها وتفانيه في سبيلها. فأعطته دفعة قوية للاستمرار في اتجاهاته الفكرية العقدية والفقهية، وضاعفت من ملازمته وعكوفه على كتب الشيخين ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله، فتشبع بمنهجها أسلوباً وفكراً، فورث عنها خصائصها العلمية واتجاهاتها المنهجية والنزعة الاجتهادية .

يتفق السلف والخلف من فقهاء الحنابلة على وجوب الاجتهاد في من تحققت فيه شروط، يقول القاضى أبو يعلى الفراء من متقدمى الحنابلة في كتابه العدة «مسألة في صفة المفتى في الأحكام الذى يحرم عليه التقليد»، ثم يذكر هذه الصفة بقوله: «الذى يحرم عليه التقليد فيها أن يكون عارفاً بالقرآن ناسخه ومنسوخه، ومجمله ومحكمه، وعامه وخاصه، ومطلقه ومقيده، وهو المعرفة بما قصد به بيان الأحكام الحلال والحرام، فأما ما قصد به أخبار الأولين وقصص النبيين والوعد والوعيد فلا حاجة به إليه... ويعرف أيضاً المتقدم والمتأخر، والناسخ والمنسوخ، والمطلق والمقيد، والمجمل والمفسر، والعام والخاص للمعنى الذى ذكرناه، ويحتاج أن يعرف إجماع أهل الأعصار عصاراً بعد عصر، لأنه يكون الأصل ما أجمعوا عليه فيرد الفرع اليه، ويحتاج أن يعرف من لغة العرب والإعراب ما يفهم عن الله تعالى وعن رسوله معنى خطابها، وأن يكون عارفاً باستنباط معانى الأصول والطرق الموصلة إليها، ليحكم في الفروع بحكم أصولها، ويكون عارفاً بمراتب الأدلة، وما يجب تقديمه منها. فإذا كان بهذه الصفة وجب عليه أن يعمل في الأحكام باجتهاده وحرام عليه تقليد غيره»<sup>(١٤)</sup>.

(١٤) أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد الفراء، العدة في أصول الفقه. مصور.

ويأتى شيخ الإسلام ابن تيمية ليقرر هذا المبدأ ويؤكد في أكثر من مؤلف فينقل نص القاضي أبي يعلى فيقره لفظاً ومضموناً<sup>(١٥)</sup>، ويعرض هذا الموضوع في فتاويه بأسلوبه وطريقته الخاصة فيقول:

«نقل عن غير واحد الإجماع أنه لا يجوز للعالم أن يقلد غيره إذا كان قد اجتهد واستدل وتبين له الحق الذى جاء به الرسول، فهذا لا يجوز له تقليد من قال خلاف ذلك بلا نزاع»<sup>(١٦)</sup>.

كما يقرر هذا المبدأ من الحنابلة المتأخرين: أبو العباس أحمد بن عبدالعزيز الفتوحى فيقول:

«ويحرم تقليد على مجتهد أداه اجتهاده الى حكم»<sup>(١٧)</sup> وهكذا فإن نصوص الحنابلة متواترة على وجوب الاجتهاد ممن استوفى شروطه وتحققت فيه مؤهلاته.

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية يدعو المؤهلين من الفقهاء إلى الاجتهاد وتحريم التقليد، فقد مارسه تأسيساً وترجيحاً، بل إن اجتهاداته الفقهية معروفة لدى فقهاء المذاهب الأخرى، وترجيحاته في إطار المذهب الحنبلى مشهورة بين فقهاء معلومة لديهم. ولا شك أن الاجتهاد الفقهي إحدى خصائص التفكير الفقهي عند شيخ الإسلام ابن تيمية، والتي كان لها تأثير كبير على فكر الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

إن الشيخ محمد بن عبد الوهاب لم يدع الاجتهاد، ولكنه يدعو إليه عندما تختلف الآراء وتتعارض الأقوال، فحينئذ يتوجب الرجوع إلى الكتاب والسنة يستخلص منها الحكم الذى تطمئن اليه نفسه.

ففى جوابه عن سؤال وجه إليه بخصوص الروايات المختلفة عن الإمام أحمد أو تعدد الأقوال عن أصحابه واستدلال كل بدليل يقول:

«إذا اختلف كلام أحمد وكلام أصحابه فنقول: فى محل النزاع التراد الى الله والرسول

(١٥) المسودة، تحقيق محيى الدين عبد الحميد (مصر: مطبعة المدنى) ص ٥١٤

(١٦) فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية، ج ١٩ ص ٢٦٢.

(١٧) شرح الكوكب المنير، الطبعة الأولى (مصر: مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ - ١٩٥٣)، ص ٤٠٦



لا الى كلام أصحابه، ولا الى الراجح المرجح من الروايتين والقولين، خطأ قطعاً<sup>(١٨)</sup>، وقد يكون صواباً، وقولك: إذا استدل كل منها بدليل فالأدلة الصحيحة لا تتناقض بل يصدق بعضها بعضاً، لكن قد يكون أحدهما خطأً للدليل لأنه إما استدل بحديث لم يصح، وإما لأنه فهم من كلمة صحيحة مفهوماً مخطئاً.

وبالجمله فمتى رأيت الاختلاف فرده الى الله والرسول، فإذا تبين لك الحق فاتبعه، فإن لم يتبين واحتجت الى العمل فقلد من تثق بعلمه ودينه...<sup>(١٩)</sup>.

والشيخ محمد بن عبد الوهاب وإن لم يؤثر عنه اجتهادات لم يسبق اليها إلا أن منحاه منحنى اجتهادى، بمعنى أنه يسلم بالرأى اذا كان يعتمد على استدلال قوى مبنى على فهم سليم، وهذا هو الموقف الذى أعلنه ونشره فى مؤلفاته ومراسلاته الى كل من يرغب الوقوف على حقيقة أمره.

فمن ذلك كتابه الى عبدالله بن محمد بن عبداللطيف الذى جاء فيه:

«ولا خلاف بينى وبينكم أن أهل العلم اذا أجمعوا وجب اتباعهم، وإنما الشأن اذا اختلفوا، هل يجب على أن أقبل الحق ممن جاء به وأرد المسألة الى الله والرسول مقتدياً بأهل العلم؟ أو انتحل بعضهم من غير حجة وأزعم أن الصواب فى قوله؟ فأنتم على هذا الثانى وهو الذى ذمه الله وسماه شركاً وهو اتخاذ العلماء أرباباً، وأنا على الأول أدعو اليه وأناظر عليه، فإن كان عندكم حق رجعنا اليه وقبلناه منكم، وإن أردت النظر فى أعلام الموقعين فعليك بالمناظرة التى فى أثنائه عقدها بين مقلد وصاحب حجة، وإن ألقى فى ذهنك أن ابن القيم مبتدع وأن الآيات التى استدلت بها ليس هذا معناها فاضرع الى الله واسأله أن يهديك لما اختلفوا فيه من الحق، وتجرد الى الله ناظراً أو مناظراً واطلب كلام أهل العلم فى زمانه»<sup>(٢٠)</sup>. وعلى أساس هذا المبدأ كان اختيار الشيخ محمد بن عبد الوهاب وترجيحه لاختيارات شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية فى أكثر الأحيان، وترجيحه لغيرها أحياناً أخرى.

على أن ما خلفه من تراث علمى يشير الى معرفته بعلم أصول الفقه الذى يعتبر

(١٨) هذا هو نص العبارة ولعل ثمة سقط

(١٩) مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، مختصر سيرة الرسول والفتاوى، ص ٢٧، ٢٢ - ٢٣

(٢٠) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الرسائل الشخصية القسم الخاص، ص ٢٥٤

شرطاً أساسياً في بلوغ درجة الاجتهاد حتى قيل (لا ثقة بفقهِه لا يعتمد على أصول)، ومظاهر هذا عنده تتجلى في أمرين اثنين:

الأول: مناقشته لأهم المسائل والقواعد الأصولية.

الثاني: تلخيصه وعرضه لبعض المسائل الأصولية من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ولا يستطيع الخوض فيها إلا عالم متمرس بمسائله عارف بقوانينه، وفي كلا الحالين لا يمكن أن يقتحم أسوار هذا العلم إلا عالم ذو دراية وممارسة له.

ففي مناقشته لنسخ القرآن بالسنة يتعرض لهذا الموضوع من خلال الأمثلة التي يوردها العلماء في هذا الصدد، فيقول:

«ثبت أنه يحرم من الرضاعة ما يحرم من النسب وأن يجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فقال طائفة هذا نسخ للقرآن، فإن أرادوا النسخ العام الذي هو تقييد المطلق فصحيح، وإن أرادوا النسخ الذي هو رفع الحكم فضعيف، فإنه لم يثبت أن الله أراد بقوله:

( وَأَحِلَّ لَكُمْ مَّا وَّرَاءَ ذَٰلِكُمْ )

(النساء: ٢٤)

تحليل ذلك، فإن قيل هو عام بين الدليل المخصص أن الله لم يرد تلك الصورة كقوله: (الزانية والزاني) الآية لم يرد به الأمة، وقوله: (يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء) لم يرد الحامل ولا التي لم يدخل بها، ولم يثبت أن السنة نسخت القرآن، قال تعالى: (ما ننسخ من آية، فالقرآن لا ينسخه إلا مثله، وقال كثير: السنة خصصت القرآن وهم أكثر وأفضل من أولئك، وقد يقال: السنة فسرت القرآن، ولهذا في حديث معاذ وكلام عمر وابن مسعود وغيرها أن يحكم بكتاب الله فإن لم يوجد فسنة رسول الله، فلو كان في السنة ما يقدم على دلالة القرآن لم يكن كذلك بل السنة تفسر المراد منه...»<sup>(٢١)</sup>.

وفي موضوع التعارض والتعادل والترجيح الذي هو ثمرة أصول الفقه ونقطة

(٢١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ملحق المصنفات، ص ٧٥ - ٧٦

الارتكاز فيه، يلخص موقف ابن القيم في معضلة من معضلاته بتقرير الفاهم وأسلوب العالم فيقول:

«قال ابن القيم في أعلام الموقعين: إذا قال الصحابي قولاً فإما أن يخالفه صحابي آخر أولاً، فإن خالفه مثله لم يكن قول أحدهما حجة على الآخر، وإن خالفه أعلم منه كالخلفاء الراشدين أو بعضهم، فهل يكون الشق الذي فيه الخلفاء أو بعضهم حجة على الآخرين؟ فيه قولان للعلماء. هما روايتان عن أحمد، والصحيح أنه أرجح، فإن كان الأربعة في شق فلاشك أنه الصواب، وإن كان أكثرهم في شق، فالصواب فيه أغلب، وإن كانوا اثنين واثنين، فشق أبي بكر وعمر أقرب إلى الصواب، فإن اختلفا، فالصواب مع أبي بكر.»<sup>(٢٢)</sup> وقد استغرق هذا البحث خمسا وثلاثين صفحة، وقدم لإثباته والاستدلال له ستة وأربعين وجهاً. كما نفذ من هذا البحث إلى بحث الاحتجاج بفتوى التابعي<sup>(٢٣)</sup>.

### النزعة المذهبية:

وهذا الجزء من البحث يقودنا إلى التعرف على موقفه من قضيتين هامتين هما: اختلاف المذاهب الفقهية أولاً، والتقييد بها ثانياً.

والحقيقة المسلمة أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ينتمي إلى أسرة عريقة في المذهب الحنبلي، إذ غالب أفرادها من الفقهاء والقضاة الحنابلة، ولكنه يتميز عنها بأنه أضاف إلى حنبليته عنصراً جديداً: هو ما اكتسبه من دراسته وعكوفه على التراث العلمي لشيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فأمدته بخصائص فكرية وفقهية خاصة برزت بنتائجها وأثارها على مواقفه من كثير من القضايا الفقهية.

وقبل التعرف على موقفه خاصة من تلك القضيتين اللتين كانتا ولا تزالان مثار جدل وخصومة يحسن أن نتعرف قبل ذلك على موقف سلفه أعنى شيخ الإسلام ابن تيمية خاصة حتى يتضح مدى عمقها وتأثره بها في نفسه.

أما فيما يتصل بالقضية الأولى: اختلاف المذاهب الفقهية فقد ألف ابن تيمية كتاب

(٢٢) المصدر نفسه القسم الثاني (الفقه)، ج ٢ ص ٥

(٢٣) المصدر نفسه، القسم الثاني (الفقه)، ج ٢ ص ٣٥

(رفع الملام عن الأئمة الأعلام)، وهذا الكتاب بهذا العنوان يعتبر فريداً في صياغته فريداً في موضوعه، فلئن شاركنه كتب أخرى موضوعاً إلا أنه مؤلف أساساً وبالذات للدفاع عن الأئمة، وعرض الأسباب التي أدت إلى اختلافهم، ليلتمس لدى القارئ والدارس الأعذار عما قد تحدّثه نفسه من إدانتهم في التفرق والاختلاف، وفي نفس الوقت يعرفنا قدر هؤلاء الأئمة والجهد المخلص الذي بذلوه في فهم الكتاب والسنة، وأقتبس هنا جزء من مقدمة هذا الكتاب لندرك مدى إنصاف ابن تيمية للأئمة الفقهاء وتقديره للتراث العلمي الذي تركوه، فيقول:

«... وليعلم أنه ليس أحد من الأئمة المقبولين عن الأمة قبولاً عاماً، يتعمد مخالفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء من سنته دقيق ولا جليل. فإنهم متفقون اتفاقاً يقينياً على وجوب اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم، وعلى أن كل أحد من الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولكن إذا وجد لواحد منهم قول قد جاء حديث صحيح بخلافه، فلا بد أن يكون له من عذر في تركه، وجميع الأعذار ثلاثة أصناف:

أحدها: عدم اعتقاده أن النبي صلى الله عليه وسلم قاله.  
والثاني: عدم اعتقاده إرادة تلك المسألة بذلك القول.  
والثالث: اعتقاده أن ذلك الحكم منسوخ<sup>(٢٤)</sup>.

وهذا اعتراف بفضل الأئمة وإنصاف لهم وتقدير لجهودهم العلمية، وهو أقصى المطلوب، ومن ثم فلم يؤثر عن الإمام ابن تيمية قول أو تأليف يمس جانب الأئمة أو يعرض بهم، بل إنه عند الاختلاف يناقش الدليل مناقشة علمية هادئة. ويؤكد ابن تيمية هذا المبدأ في مؤلفاته وكتاباتاته في أكثر من موضع من هذا قوله:

«وقد اتفق الصحابة على إقرار كل فريق للفريق الآخر على العمل باجتهدهم في مسائل تنازعوا فيها كمسائل في العبادات، والمناكح، والموارث، والعطاء، والسياسة وغير ذلك.. وهم الأئمة الذين ثبت بالنصوص أنهم لا يجتمعون على باطل ولا ضلالة، ودل

(٢٤) رفع الملام عن الأعلام بنهاية الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، الطبعة الأولى، ج ١٢ - ص ٢٩٩ -

الكتاب والسنة على وجوب متابعتهم، وتنازعوا في مسائل علمية اعتقادية كسماع الميت صوت الحى، وتعذيب الميت ببيكاه أهله، ورؤية محمد صلى الله عليه وسلم ربه قبل الموت مع بقاء الجماعة والألفة.. ومذهب أهل السنة والجماعة أنه لا إثم على من اجتهد وإن أخطأ..

فالمذاهب والطرائق والسياسات للعلماء والمشايخ والأمراء اذا قصدوا بها وجه الله تعالى دون الأهواء ليكونوا مستمسكين بالملة والدين الجامع الذى هو عبادة الله وحده لا شريك له، واتبعوا ما أنزل اليهم من ربهم من الكتاب والسنة بحسب الإمكان بعد الاجتهاد التام هى لهم من بعض الوجوه بمنزلة الشرع والمناهج للأنبياء على عبادتهم الله وحده لا شريك له، ويثابون على طاعة الله ورسوله فيما تمسكوا به من شرعة رسوله ومنهاجه، كما يثاب كل نبي على طاعة الله فى شرعه ومنهاجه.

ثم يتحدث فى عبارة واضحة عن الموقف الذى يجب أن يتخذه المسلم بالنسبة للأئمة ومذاهبهم فيقول:

«فمن ذمهم ولا مهم على ما لم يؤاخذهم الله عليه فقد اعتدى، ومن أراد أن يجعل أقوالهم وأفعالهم بمنزلة قول المعصوم وفعله وينتصر لها بغير هدى، فقد اعتدى واتبع هواه بغير هدى من الله، ومن فعل ما أمر به بحسب حاله من اجتهاد يقدر عليه أو تقليد اذا لم يقدر على الاجتهاد وسلك فى تقليده مسلك العدل فهو مقتصد، اذ الأمر مشروط بالقدرة (لا يكلف الله نفسا إلا وسعها) (٢٥).

ولقد جاء موقف الشيخ محمد بن عبدالوهاب متطابقا مع موقف شيخه ابن تيمية فى هذه القضية، مقدرا لجهود الأئمة الفقهاء، ومعتزا بانتسابه اليهم وانتائه الى جمهورهم. هذا ما أعلنه صراحة وأعرض هنا له بعض هذه المواقف التى تكشف عن هذا الجانب فى تفكيره.

فى ختام إجابته على عبدالعزيز الحصين عن مسائل شرعية يقول:

«فينبغى للمؤمن أن يجعل همه ومقصده معرفة أمر الله ورسوله فى مسائل الخلاف

(٢٥) مجموعة فتاوى ابن تيمية، ج ١٩، ص ١٢٢.

والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، ولكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، أما اطراح كلامهم وعدم توقيرهم فهو طريق المغضوب عليهم...»<sup>(٢٦)</sup>.

كما جاء في افتتاحية خطابه الى علماء مكة:

«إلى العلماء الأعلام في بلد الله الحرام، نصر الله بهم سيد الأنام وتابعى الأئمة الأعلام...» الى أن يقول:

« وأنا أخبركم بما نحن عليه خبراً لا أستطيع أن أكذب بسبب أن مثلكم لا يروج عليه الكذب على أناس متظاهرين بمذهبهم عند الخاص والعام، فنحن والله الحمد متبعون غير مبتدعين على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، وحتى من البيهتان الذى أشاع الأعداء أنى أدعى الاجتهاد ولا أتبع الأئمة، فإن بان لكم أن هدم البناء على القبور، والأمر يترك دعوة الصالحين لما أظهرناه، وتعلمون أعزكم الله أن المطاع في كثير من البلدان لوتبين بالعمل بهاتين المسألتين أنها تكبر على العامة الذين درجوا هم وإياهم على ضد ذلك، فإن كان الأمر كذلك فهذه كتب الحنابلة عندكم بمكة مثل (الإقناع) و(غاية المنتهى) و(الإنصاف) التى عليها اعتماد المتأخرين وهو عند الحنابلة (كالتحفة) و(النهاية) عند الشافعية، وهم ذكروا في باب الجنائز هدم البناء على القبور... وبعضهم يحكى الإجماع على ذلك، فإن كانت المسألة إجماعاً فلا كلام، وإن كانت مسألة اجتهاد فمعلومكم أنه لا إنكار في مسائل الاجتهاد، فمن عمل بمذهبه في محل ولايته لا ينكر عليه...»<sup>(٢٧)</sup>.

وفي رسالة له إلى أحمد بن محمد العدلي البكبي، صاحب اليمن جاء في افتتاحيته قوله:

«... سلام عليكم ورحمة الله وبركاته، أما بعد:

لفانا (وأفانا) كتابكم وسر الخاطر بما ذكرتم فيه من سؤالكم، وما بلغنا على البعد من أخباركم وسؤالكم عما نحن عليه وما دعونا الناس اليه، فأردنا أن نكشف عنكم الشبهة بالتفصيل ونوضح لكم القول الراجح بالدليل، ونسأل الله أن يسلك بنا وبكم أحسن منهج وسبيل...» إلى أن يقول:

(٢٦) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول والفتاوى، (فتاوى ومسائل)، ص

(٢٧) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الخامس، الرسائل الشخصية ص ٤٠

«وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون الكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن ادريس، وأحمد بن حنبل رحمهم الله تعالى...»<sup>(٢٨)</sup>.  
كما بعث الى اسماعيل الجراعى باليمن خطابا يوضح فيه موقفه من كتب المتأخرين فيقول :

«وأما المتأخرون رحمهم الله فكتبهم عندنا، فنعمل بما وافق النص منها وما لا يوافق النص لا نعمل به».

وفي كتابه إلى عبدالله بن عبدالله الصنعاني يقول:

«وأما مذهبنا فمذهب الإمام أحمد بن حنبل، إمام أهل السنة. ولا ننكر على أهل المذاهب الأربعة إذا لم يخالف نص الكتاب والسنة وإجماع الأمة وقول جمهورها...»<sup>(٢٩)</sup>.

ولقد دلت الشيخ محمد بن عبد الوهاب على هذا عمليا بمؤلفاته الفقهية التي تنتمي معنى ومضمونا إلى المذهب الحنبلي.

وينفرد المؤرخ عثمان بن عبدالله بن بشر<sup>(٣٠)</sup> برواية تحمل الكثير من الدلالات للباحث في هذا الصدد، فقد جاء في معرض الحديث عن مؤلفاته العلمية قوله:

«واختصر من الشرح الكبير والإنصاف مجلداً لبيان الخلاف وأمر بالقراءة فيه ، فلما سمع بذلك المنتسبون للعلم من أهل نجد كذبوا عليه أنه طعن في كتب المذهب كالإقناع والمنتهى التي على قول واحد، فأخذ من شرح الإقناع نبذة في أحكام الصلاة والزكاة والصيام من باب آداب المشي الى الصلاة الى باب ما يفسد الصوم، وأمر بالقراءة فيها

(٢٨) المصدر نفسه

(٢٩) المصدر نفسه، ص ١٠٧

(٣٠) هو الشيخ عثمان بن عبدالله بن عثمان بن أحمد بن بشر النجدى الحنبلي، ولد في بلدة جلاجل من بلدان سدير بنجد سنة ١٢١٠، وتوفي بها سنة ١٢٩٠ هـ. صنف مؤلفات عديدة هي: سهيل في ذكر الخيل، الاشارة في منازل السبع السيارة، بغية الحاسب، الحصائص ومبدأ النقائص في الطفيليين، والثقلاء، وفهرس طبقات الحنابلة لابن رجب على حروف المعجم، وكتاب عنوان المجد في تاريخ نجد. انظر ترجمته للشيخ عبدالرحمن ابن عبداللطيف آل الشيخ في تصديره لكتاب بعنوان المجد في تاريخ نجد، ص ١١ طبعة وزارة المعارف السعودية عام ١٣٩١ هـ.

وتعليم العامة ما يلزمهم معرفته من أحكام صلاتهم وصيامهم وتكذيباً لأولئك فيما قالوه...» (٣١).

ومن جملة هذه الوثائق والمواقف تتحدد مبادئ الشيخ محمد بن عبد الوهاب نحو المذهبية واختلاف الفقهاء في العبارات التالية:

أولاً: اتباعه لمذهب الإمام أحمد بن حنبل الشيباني.

ثانياً: اعتبار اجتهادات الفقهاء المتقدمين منهم والمتأخرين ما لم تخرج عن آفاق الكتاب والسنة.

ثالثاً: إذا تعارضت أقوالهم وتباينت أحكامهم فالمرجع في ذلك هو الكتاب والسنة. ونستطيع في عبارة موجزة أن نطلق على هذا الموقف المعتدل المنصف بأنه (الاجتهاد في التقليد).

وهذه المبادئ والأسس أخذ الشيخ محمد بن عبد الوهاب بها نفسه في فتاواه ومؤلفاته. ومن النماذج الكثيرة المتعددة التي تبين التزامه هذه الأسس والمبادئ سؤاله عن العروض وإجزائها في الزكاة إذا أخرجت بقيمتها. والمسألة الثانية عن صحة المضاربة بها في الشركة. وفي الجواب عن هاتين المسألتين يقول:

«فأما المسألة الأولى ففيها روايتان عن أحمد، إحداهما: المنع لقوله: في كل أربعين شاة شاة، وفي مائتي درهم خمسة دراهم وأشباهه.

والثانية: يجوز قال أبو داود: سئل أحمد عن رجل باع ثمر نخلة فقال: عشره على الذي باعه فهل يخرج تمراً، أو ثمنه؟ قال: إن شاء أخرج تمراً وإن شاء أخرج من الثمن. وإذا أثبت هذا فقد قال بكل من الروايتين جماعة وصار نزاع فيها فوجب ردها إلى الله ورسوله، قال البخاري في صحيحه في أبواب الزكاة (باب العروض في الزكاة) وقيل طاووس قال معاذ لأهل اليمن اتنوني بعرض ثياب خبيص أو لبيس في الصدقة مكان الشعير والذرة أهون عليكم وخير لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم بالمدينة، وقال

(٣١) المصدر نفسه، ص ١١٦



صلى الله عليه وسلم (وأما خالد فقد احتبس أذراعه وأعتاده في سبيل الله) ثم ذكر في الباب أدلة غير هذا فصار الصحيح أنه يجوز.

واستدلال من منعه بقوله: في كل أربعين شاة شاة وأمثاله لا يدل على ما أرادوا، لأن المراد هو المقصود وقد حصل كما أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر المستجمر بثلاثة أحجار- بل نهى أن ينقص عن ثلاثة أحجار- لم يجمدوا على مجرد اللفظ بل قالوا: إذا استجمر بحجر واحد له ثلاث شعب أجزاء.

ولهذا نظر أنه يؤمر بالشئ فإذا جاء مثله أو أبلغ منه جاز.

وأما المسألة الثانية: فعن أحمد أن المضاربة لا تصح بالعروض، واختاره جماعة ولم يذكروا على ذلك حجة شرعية نعلمها، وعن أحمد أنه يجوز، وتجعل قيمة العروض وقت العقد رأس المال، قال الأثرم سمعت أبا عبد الله يسأل عن المضاربة بالمتاع فقال جائز، واختاره جماعة، وهو الصحيح لأن القاعدة في المعاملات أن لا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله لقوله:

(وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها) (٣٢).

الأمثلة على هذا الاتجاه الفكري واضحة في مؤلفاته وفتاواه، وهو يعطى معنى الاعتزاز بالتراث الفقهي مع المحافظة على الاستقلال الفكري والشخصية العلمية.

### النزعة الانتخابية:

يأتى انسجاماً مع المبادئ والمواقف السابقة ظاهرة فكرية أخرى في التفكير الفقهي لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، ذلك هو انتخاب الآراء واختيار الأقوال حسب الأصول والأسس السابقة التي اتخذ منها ميزاناً ومقياساً للترجيح، ليس هذا فحسب بل إنها واضحة أيضاً في مؤلفاته عامة والفقهيّة خاصة، ولن يكون أقل إثباتاً على هذا الاتجاه اختياره لشخصية شيخ الإسلام تقي الدين، عبد الحليم ابن تيمية مثلاً يحتذى به، وعنواناً يعتز به من بين أمثلة كثيرة من علماء السلف الصالح.

أما انتخابه لقول من الأقوال وترجيحه له ولو خالف المذهب الحنبلي فهو ما توفرت عليه مؤلفاته الفقهيّة وفتاواه.

(٣٢) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الثالث، مختصر سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم والفتاوى،

على أنه من الجلى الواضح في هذا الصدد ميله الكبير الى اختيارات شيخ الإسلام  
تقى الدين، عبدالحليم ابن تيمية، ولم يمنعه إنصافه في كثير من الأحيان اختياره لآراء  
أخرى سواء في إطار المذهب الحنبلي أو المذاهب الأخرى، من ذلك اختياره تقديم بينة  
الداخل اذا تداعى خصان والكل معه بينة في قوله:

«إذا تداعيا عينا والكل معه بينة قدمت بينة الداخل لقول أهل المدينة»<sup>(٣٣)</sup>.

وفي السؤال عن جواز إخراج الجدد في الزكاة يجيب بقوله:  
«فهذه المسألة أنواع، أما إخراجها عن جدد مثلها فقد صرحوا بجوازه فقالوا: اذا زادت  
القيمة بالغش، أخرج ربع العشر مما قيمته كقيمته، وأما إخراج المغشوش عن الخالص مع  
تساوى القيمة كما ذكر في السؤال، فهذه هي التي ذكر بعض المتأخرين المنع منها،  
وبعضهم يميز ذلك، وهو الصحيح، بدليل ما تقدم في إخراج القيمة أنه يجزى فإن إخراج  
المغشوش يميزه من لا يميز القيمة، بل قال الشيخ تقى الدين، نصاب الأثمان هو  
المتعارف في كل زمن من خالص ومغشوش وصغير وكبير...»<sup>(٣٤)</sup>.

وغير هذا كثير منشور في كتبه الفقهية وفتاواه.

أما في مجال التأليف فإن السمة البارزة لنشاطاته في هذا المجال أنه عمد إلى مؤلفات  
هامة في موضوعها ذات اتهامات خاصة في فروع علمية متعددة، لخصها وبسطها  
للقارى لتكون سهلة التناول قريبة الفهم، ويهنا هنا من هذه المؤلفات ما يقع في إطار  
الدراسات الفقهية.

وقع اختياره على تلخيص كتابين من أهم كتب المذهب الحنبلي هما كتاب «الشرح  
الكبير، من تأليف شمس الدين، أبى الفرج، عبدالرحمن بن أبى عمر بن قدامة، المقدسى،  
المتوفى سنة ٦٨٢، وكتاب «الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف».

الأول منها مدونة واسعة في الفقه الحنبلي، يعنى مؤلفه الى ذكر اختلاف الآراء مع  
سرد الدليل لكل قول، والآخر يعرض لآراء الفقهاء الحنابلة عموماً في المسائل التى  
بحثها.

ويلاحظ بشكل ملموس أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أعطى اهتماماً خاصاً لآراء

(٣٣) المصدر نفسه، ص ١٢٨

(٣٤) المصدر نفسه، ص ٩٦

شيخ الإسلام ابن تيمية في هذا الكتاب، إذ عرضها بشكل بارز مميز دون غيرها، واختارها بالتدوين عن بقية الآراء تجسيدا لتقديره وقناعته بأرائه.

كما تجلت نزعة الانتخابية بشكل بارز ودقيق في تلخيصه لموضوع أصولي هام، وهو حجية قول الصحابي من كتاب أعلام الموقعين، وسنعرض بالدراسة والتحليل لهذين الكتابين في دراسة مؤلفاته الفقهية إن شاء الله. وكل هذه الاتجاهات والأعمال تدل بوضوح على عمق وأصالة هذه النزعة فيه.

### المرونة الفقهية:

الفقه الإسلامي في حد ذاته نظام تشريعي كامل، يفترض سلوكاً وتصرفات معينة وفق فلسفة تشريعية خاصة، وهو من قبل الأفراد التزام المسلم المكلف بسلوك وتصرف خاضع لأحكام الإباحة أو التحريم، أو الوجوب أو الندب أو الكراهة، وهذا هو مجال تباين الآراء، واختلاف الفقهاء.

ومن ثم يقاس تفاوت أحكامهم وتباين آرائهم بما يتناسب والرؤية الاجتماعية لها يسراً وسهولة أو عنتاً وصعوبة، فيحكم عليها بالمرونة أو التشدد.

وقد لازم كلمة (فقه) و(فقيه) في العصور المتأخرة في أذهان العامة معنى التشدد والتزمت، كما أن كلمة (حنبلي) و(حنابلة) مفهوم التعصب والتزمت الديني في كامل معناه.

وشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كما هو فقيه فهو ينتمي إلى المذهب الحنبلي دماً وفكراً ونضالاً، وهي صفات تضافى على شخصيته كثيراً من تلك الظلال والانطباعات.

وإذا جاز أن ينطلي مثل هذا القول على العامة، فإنه لا يمكن أن يجد سبيله إلى أذهان المتعلمين والدارسين، فالدراسات العلمية كشفت عن مرونة فقهية تشريعية عند الحنابلة وبين علمائهم ما عز نظيرها عند غيرهم في المذاهب الأخرى.

جاء في كتاب (مصادر الحق في الفقه الإسلامي) العنوان التالي:

«المذهب الحنبلي أبعد المذاهب تطوراً في تصحيح الشروط» ثم يستطرد بعد ذلك

قائلاً:

«ولعل أبعد تطور للفقه الإسلامي في مسألة اقتران الشرط بالعقد كان في مذهب

الإمام أحمد بن حنبل لاسياً إذا استكملنا هذا المذهب بما أضافه إليه ابن تيمية، وهو من أكبر فقهاءه.

فالمذهب الحنبلي كالمذهب المالكي تخطى مبدأ وحدة الصفقة، ولم يتقيد بهذا المبدأ كما تقيد به المذهبان الحنفي والشافعي، ومن ثم استطاع أن يسير أشواطاً بعيدة في هذا التطور.

والحنابلة كالمالكية، الأصل عندهم في الشرط أن يكون صحيحاً ويصح معه العقد، بل هم يسرون في هذا الأصل إلى مدى أبعد من المالكية في تصحيح الشروط.. أما الجمع بين شرطين في العقد فممنوع في مذهب أحمد... والشرطان المنهى عنهما الشرطان اللذان فيها منفعة لأحد المتعاقدين دون أن يقتضيها العقد أو يلائها، بقول ابن تيمية: إن الأصل في العقود والشروط الجواز والصحة، ولا يحرم ويبطل منها إلا ما دلّ على تحريمه نص أو قياس عند من يقول به...» (٣٥).

إلى أن يقول:

«ونرى من ذلك أن ابن تيمية لا يجعل الشرط فاسداً إلا إذا كان منافياً للمقصود من العقد، وهذا طبيعي، وإلا إذا كان مناقضاً للشرع فيحل حراماً، وهذا أشبه في الفقه الغربي بالشرط الذي يخالف القانون، أو النظام العام، ولم يعرض ابن تيمية لتحريم اجتماع الشرطين ولا لتحريم اجتماع البيعتين في بيعة أو اجتماع البيع والسلف، ومن ثم يكون تطور الفقه الإسلامي في تصحيح الشروط قد وصل على يد ابن تيمية إلى غاية تقرب مما وصل إليه الفقه الغربي الحديث» (٣٦).

والشيخ محمد بن عبد الوهاب ورث خصائص هذه المدرسة في قمة تطورها فكراً والمتمثلة في تفكير شيخ الإسلام ابن تيمية.

وتبدو مظاهر المرونة الفقهية واضحة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جانبين

رئيسيين:

الأول: موقفه من آراء مخالفيه في الفروع.

الثاني: مسائل الأحكام والفتاوى.

(٣٥) عبدالرزاق السنهوري، مصادر الحق في الفقه الإسلامي، الطبعة الثالثة (جامعة الدول العربية: معهد

البحوث والدراسات العربية ١٩٦٧، ج ٣، ص ١٦١، ١٦٦

(٣٦) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١٧٢

أما الجانب الأول فموقفه من مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها وجه الصواب أنه لا يجوز الإنكار على المخالف أو الاعتراض عليه، وهذا النوع من الاختلاف هو الذي يمكن أن ينطبق عليه الحديث «اختلاف أمتي رحمة» وعلى العكس من ذلك ما تبين فيه وجه الصواب.

ففي جوابه عن قولهم «لا إنكار في مسائل الاجتهاد ولا على من قلد مجتهداً حياً أو ميتاً؟ يقول:

فإن أراد القائل مسائل الخلاف فهذا باطل يخالف إجماع الأمة، فما زال الصحابة ومن بعدهم ينكرون على من خالف وأخطأ كائناً من كان ولو كان أعلم الناس وأتقاهم، وإذا كان الله بعث محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق، وأمرنا باتباعه وترك ما خالفه، فمن تمام ذلك أن من خالفه من العلماء مخطئ، ينبه على خطئه وينكر عليه، وإن أريد بمسائل الاجتهاد مسائل الخلاف التي لم يتبين فيها الصواب، فهذا كلام صحيح لا يجوز للإنسان أن ينكر الشيء لكونه مخالفاً لمذهبه أو لعادة الناس، فكما لا يجوز للإنسان أن يأمر إلا بعلم لا يجوز أن ينكر إلا بعلم، وهذا كله داخل في قوله تعالى:

( وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ )

(الاسراء ٣٦)

إلى أن يقول:

(فإذا رأيتم من يعمل ببعض هذه الأقوال المذكورة بالمنع<sup>(٣٧)</sup>، مع كونه قد اتقى الله ما استطاع لم يحل لأحد الإنكار عليه اللهم الا أن يتبين الحق فلا يحل لأحد أن يتركه لقول أحد من الناس، وقد كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يختلفون في بعض المسائل من غير نكير ما لم يتبين النص.

فينبغي للمؤمن أن يجعل همه وقصده معرفة أمر الله ورسوله في مسائل الخلاف، والعمل بذلك، ويحترم أهل العلم ويوقرهم ولو أخطأوا، لكن لا يتخذهم أرباباً من دون الله، هذا طريق المنعم عليهم، وأما اطراح كلامهم وعدم توقيهم فهو طريق المغضوب عليهم واتخاذهم أرباباً من دون الله، وإذا قيل: قال الله قال رسوله قال: هم أعلم منا بهذا هو طريق الضالين<sup>(٣٨)</sup>.

(٣٧) لعل هذه الكلمة (بالمع) لا معنى لها هنا، وهذا واضح من سياق الكلام

(٣٨) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٤

أما الجانب الثانى: فلعل الأهم من سرد مسائل جزئية الاستدلال بالقواعد الأصولية الاستنباطية التى قررها وأكدها والتى تدخل تحتها فروع ومسائل لا حصر لها، ففى رسالته المعنونة بـ «أربع قواعد تدور عليها الأحكام» يقرر فى القاعدة الثانية ما نصه: «القاعدة الثانية: أن كل شئ سكت عنه الشارع فهو عفو لا يحل لأحد أن يجرمه أو يوجهه، أو يستجبه أو يكرهه لقوله تعالى:

(يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءٍ إِن تَبَدَّلَ لَكُمْ تَسْوَكُمْ) (المائدة ١٠١)

وقال النبى صلى الله عليه وسلم: «سكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تسألوا عنها»<sup>(٣٩)</sup>.

وهو فى هذا الاتجاه فى تأسيس الأحكام يقتضى آثار كبار فقهاء المسلمين أمثال ابن تيمية والشاطبى وغيرهم من الأئمة الذين أثبتوا أفقاً واسعاً فى تفكيرهم الفقهى، فالحكم هو العفو فيما سكت عنه الشارع، فسكوته ليس نسياناً وإنما هو منفذ رحمة وعطف من الله جل وعلا، وبعد تقرير الشيخ للقواعد الأربع التى بدأها أولاً بتحريم القول على الله بلا علم، وثانياً: بأن ما سكت عنه الشارع فهو عفو، وثالثاً: التمسك بالدليل الواضح والانصراف عن التشابه، ورابعاً: أن بين الحلال والحرام أمور متشابهة يقدم عليها أمثلة فقهية ويدلل على صحتها بمسائل يقول فى نهايتها:

«وهذه القواعد تدخل فى جميع أنواع العلوم الدينية عامة وفى علم الفقه من كتاب الطهارة إلى باب الإقرار خاصة»<sup>(٤٠)</sup>.

وفى المسألة السابقة صحة المضاربة بالعروض، يعلل لها بقوله:

«لأن القاعدة فى المعاملات أن لا يحرم منها إلا ما حرمه الله ورسوله لقوله»:

(وسكت عن أشياء رحمة بكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها).

وهذا الاتجاه الفقهى المرن يغطى كل مسائل المعاملات من هذا النمط، كما تتجلى هذه المرونة بأوضح صورها فى تبيينه واختياره لآراء ابن تيمية الذى أبدى مرونة فقهية منقطعة النظير فى مجال العقود بالذات.

(٣٩) المصدر نفسه، ص ٣، ٤، ٥، ١٠.

(٤٠) المصدر نفسه، مختصر سيرة الرسول والفتاوى ص ٩٤.

وكل هذه الحقائق تثبت أن (الحنبلية الفقهية) عنوان المرونة ومظهر مشرف على اتساع الأفق الفقهي وتطوره.

هذه جملة من أبرز خصائص التفكير لمدرسة شيخ الإسلام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية الفقهية، وهي تبدو منسجمة متوافقة، ففيها المذهبية المعتدلة وفيها الإنصاف والتقدير الكامل لتراث السلف في غير ما إفراط أو تفريط. وهي المدرسة التي أعجب بها شيخ الإسلام محمد بن عيّد الوهاب وانصهر في بوتقتها، وكان لها أكبر الأثر على أعماله الفكرية، وهو ما نحاول تبينه في الدراسة التالية.

مؤلفاته الفقهية:

« مختصر الإنصاف والشرح الكبير »: يعتبر هذا الكتاب أكبر مؤلف بين مؤلفاته الفقهية، وهو يستدعى وقفة خاصة ودراسة موضوعية لاستخراج بعض الحقائق التي تهمنا في موضوع هذا البحث.

إن النسخة المطبوعة التي قامت جامعة الإمام محمد بن سعود بضمها إلى مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، جاءت خلوا من مقدمة الكتاب أو خطبة الكتاب، وهي التي عادة ما يوضح فيها المؤلف الباعث على تأليفه، والمنهج الذي يسير عليه والتعريف بالمصطلحات المدونة في ثناياه.

اعتمد المحققون في طبع هذه النسخة على نسختين، نسخة مطبوعة بالمطبعة السلفية بمصر، وأخرى مخطوطة بالمكتبة السعودية بالرياض برقم ٨٦/٤٦٥.

وبخلو هذا الكتاب عن جزء هام فيه يترك المجال مفتوحا للباحثين لتلمس أهداف وتبين منهج المؤلف استنتاجا أو استقراء، وقد أثبت المحققون لهذا الكتاب العبارة التي وجدوها مدونة على غلاف النسخة المخطوطة بالمكتبة السعودية وهي كالتالي:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا منقول من الشرح الكبير والإنصاف أول كل باب من الشرح وآخر كل باب من الإنصاف...»<sup>(٤١)</sup>.

ويذكر المحققون في مقدمة الكتاب أن مؤلفات الشيخ رحمه الله على قسمين: منها ما ألفه ابتداء، ومنها ما اختصره من أصوله المطولة لتيسير الانتفاع به، وقد توجهت الرغبة منه - رحمه الله - إلى اختصار كتابين من أشهر وأوسع ما صنفت في الفقه الحنبلي لما رأى

(٤١) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب القسم الثاني (الفقه) ج ١، ص ٥

في زمنه من الحاجة لذلك هما الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ومؤلفه الفقيه علاء الدين علي بن سليمان المرادوي الحنبلي (٨١٧ - ٨٨٥ هـ). والثاني: الشرح الكبير، ومؤلفه شمس الدين، أبو الفرج، عبدالرحمن بن أبي عمر بن قدامة، المقدسي (٥٩٧ - ٦٨٢ هـ). وتم ما أراده رحمه الله بمختصر لطيف بدأ كل باب منه بما اختاره من الشرح وختمه بما استدركه من الإنصاف<sup>(٤٢)</sup>.

إن هذين الكتابين يمثل كل واحد منهما مرحلة معينة في تطور المذهب الحنبلي حتى وصل إلى ما وصل إليه عند المتأخرين.

أما كتاب الشرح الكبير فهو شرح لكتاب المقنع، من تأليف موفق الدين أبي عبدالله محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة (٥٤١ - ٦٢٠ هـ). وقد ذكر المؤلف في مقدمته بأنه اعتمد في جمعه على كتاب المغنى من تأليف موفق الدين ابن قدامة السابق، وزاد فيه من غيره ما لم يجده فيه من الفروع والروايات، ولم يترك من كتاب المغنى إلا شيئاً يسيراً.

والمعروف أن كتاب المغنى كتاب حجة واستدلال، وهو موسوعة في أقوال أئمة السلف وعلماء الأمصار، أصحاب المذاهب المختلفة ومسائل الإجماع، نحا فيه مؤلفه منحى المجتهدين في اتباع الدليل، فمن جاء كتاب الشرح صورة كاملة لكافة ملامح ومميزات كتاب المغنى، وسلك في معالجة المسائل والبحوث الفقهية مسلك عمه موفق في كتاب المغنى، فهو يذكر المسألة من المقنع فيجعلها كالترجمة، ثم يذكر مذهب الموافق فيها والمخالف لها ويذكر ما لكل من دليله ثم يستدل ويعلل للمختار، ويزيف دليل المخالف، فمسلكه مسلك الاجتهاد إلا أنه اجتهاد مقيد في مذهب أحمد<sup>(٤٣)</sup>.

وهو معدود في طبقة المتوسطين من الحنابلة.

أما كتاب الإنصاف لأبي سليمان المرادوي فهو أيضاً شرح لكتاب المقنع، ضم بين دفتيه كل ما قيل في المذهب الحنبلي من أقوال ووجوه وروايات، ثم بين فيه الصحيح من المذهب والراجح من الأقوال دون التعرض للدليل، وقد بين في مقدمة الكتاب المصادر الفقهية التي اعتمدها والمنهج الذي سلكه في الترجيح بشكل مفصل مفيد. ومما جاء في هذا قوله:

(٤٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ٤

(٤٣) عبدالقادر بن بدران، المدخل الى مذهب الامام أحمد (مصر ادارة الطباعة النيرية) ص ٢٢٢



«إن طريقتي في هذا الكتاب النقل عن الإمام أحمد والأصحاب، أعزوا الى كل كتاب ما نقلت منه وأضيف الى كل عالم ما أروى عنه، فإن كان المذهب ظاهراً أو مشهوراً، أو قد اختاره جمهور الأصحاب وجعلوه منصوراً، فهذا لا إشكال فيه، وإن كان بعض الأصحاب يدعى خلفه...»<sup>(٤٤)</sup>.

ويتحدث بن بدران عن خصائص هذا الكتاب بقوله: «وطريقته فيه أنه يذكر في المسألة أقوال الأصحاب، ثم يجعل المختار ما قاله الأكثر منهم، سلك في ذلك مسلك قاضي عجلون في تصحيحه لمنهاج النووي وغيره من كتب التصحيح، فسار كتابه مغنياً للمقلد عن سائر كتب المذهب...»<sup>(٤٥)</sup> وهو معدود في طبقة المتأخرين.

ومن طبيعة الكتابين يتضح أن الأول يهتم بالاختلاف وتعدد الروايات في دائرة الفقه الإسلامي عامة، وينتهي بالاختيار والترجيح، وهو مسلك اجتهادي واسع، يفتح للقارئ مجالات وآفاقاً متعددة من التفكير وكسر القيود الفكرية المذهبية، وهو المرتبة الأعلى في التفكير الإسلامي ومطمح كل فقيه لم ينلها مع الاعتراف على مدى الأجيال والعصور الإسلامية إلا عدد محدود. بينما يهتم الكتاب الثاني (الإنصاف) بعرض الروايات والأقوال المتعددة في نطاق المذهب الحنبلي حتى آخر مراحل تطوره، والترجيح بينها، وهذا لا يتيح للباحث تلك الآفاق وإنما يفتح له مجالات التفكير في حدود محصورة تأخذ بيده في النهاية الى درجة الاجتهاد المذهبي.

فكلا الكتابين يؤهلان الباحث الطموح في النهاية الى الخروج عن ربة التقليد المحض إلى آفاق الاجتهاد المحدود واللا محدود.

ومن هنا نستطيع أن نستخلص هدف الشيخ محمد بن عبدالوهاب من تأليفه لهذا الكتاب، ذلك هو فتح مجال للتفكير الفقهي المنطلق بين تلاميذه حتى تتسع صدورهم لمذاهب غيرهم فيجنبهم هذه العصبية المذهبية، وهي وسيلة مجدية مثمرة في التخفيف من غلواتها في عصور سيطرت فيها على تفكير العالم الإسلامي فأثرت على علاقاتهم العلمية والاجتماعية والسياسية فكان لها أسوأ الآثار.

### منهجه وأسلوبه:

عنوان كتابه هذا بـ (مختصر الإنصاف والشرح الكبير)، والاختصار تقريب الشيء

(٤٤) أبو سليمان علاء الدين الرادوي، الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف الطبعة الأولى ١٩٧٤ ج١، ص ١٦.

(٤٥) ابن بدران، ص ٢٢٢.

ويكون بتقليل المسائل وحذف بعضها أو بتقليل الألفاظ مع تأدية المعنى كاملاً كما يكون أحياناً بكلتا الطريقتين معاً بتقليل المسائل والألفاظ مع استكمال المعنى. يقول موفق الدين ابن قدامة :

«وفائدة الاختصار التقريب والتسهيل على من أراد تعلمه وحفظه فإن الكلام يختصر ليحفظ» (٤٦).

وتصرف الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الشرح الكبير بتقليل العبارات وحذف التعليقات، والأدلة أحياناً، والاستغناء ببعض منها أحياناً كثيرة، وحذف بعض الأقوال، أما المسائل والموضوعات الفقهية التي وردت بعنوان مستقل في الشرح الكبير فإنه لم يتصرف فيها بالحذف، بل أوردتها مدمجة مع بعضها البعض دون تمييز بينها في التبويب، الأمر الذي خالف به صنيع مؤلف كتاب الشرح الكبير (الأصل).

والأسلوب الذي اتبعه في اختصاره أسلوب محكم متماسك لا يشعر القارئ فيه بفجوة أو بتر للأفكار والمعاني.

وبنظرة فاحصة على المسائل التي تذكر في نهاية الأبواب الفقهية المعنونة بخط بارز في هذه العبارة «ومن هنا إلى آخر الباب من الإنصاف» فليست في الحقيقة اختصاراً من هذا الكتاب (الإنصاف) بالمعنى الدقيق المعروف والذي سبق بيانه، فالباحث يدرك من تتبعه لها ومقابلتها مع ما في الإنصاف أنها مسائل مختارة من مواضيع مختلفة من كل باب جرى عرضه، يربط بينها أمران موضوع الباب واختيارات الشيخ تقي الدين ابن تيمية، بالإضافة إلى أنه لم ينقل من الإنصاف شيئاً في أربعة وعشرين باباً فقهياً، تتبين من الرجوع إلى الكتاب نفسه.

وان هذه الأمور مجتمعة ترجح أن يكون مقصود المؤلف بهذه العنونة «ومن هنا إلى آخر الباب من الإنصاف» هو مجرد الإشارة إلى مصدر المسائل المدونة تحتها لا غير، وإذا جاء عنوان الكتاب بـ «مختصر الإنصاف والشرح الكبير» فهو من قبيل التغليب. وإلا فما جاء نقله من الإنصاف هو بالأصالة جميع لاختيارات شيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية في موضوعات فقهية خاصة من كتاب الإنصاف تشير إلى الجانب الاجتهادي في شخصيته العلمية.

(٤٦) المغنى، المدينة المنورة، منشورات المكتبة السلفية ج ١، ص ٤ تصوير

وهذا يدل على منتهى الإقناع والإخلاص والتقدير من الشيخ محمد بن عبد الوهاب لآراء شيخ الإسلام ابن تيمية، يسلك نفس هذا المنهج ويتخذ مثل هذا الموقف بالنسبة لآراء ابن تيمية في كتابه (كتاب الطهارة)، إذ كثيرا ما ينوه عن اختياراته دون تجاوز. وإذا كان قد نقم عليه خصومه ووجدوا لهم طريقا في الطعن عليه بادعائه الاجتهاد ونبذ المذاهب متمثلا هذا في تأليفه المختصر والإنصاف وغيره من المؤلفات الفقهية، فلأنها تحمل آراء شيخ الإسلام ابن تيمية واختياراته وللاعتبار الخاص الذى ميزه به دون باقى الفقهاء مما أثار حفاظهم عليه.

وكان رد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب كما جاء فى رواية المؤرخ بن بشر تأليفه (كتاب آداب المشى إلى الصلاة).

### كتاب آداب المشى إلى الصلاة:

جاء هذا الكتاب خلوا من مقدمة التأليف التى من خلالها نتبين هدف المؤلف ومنهجه فيه، ومن أجل هذا كانت رواية ابن بشر السابقة هى مفتاح هذا الكتاب وفيها الغناء فى إشباع فضول وتطلع الباحث.

ألف الشيخ هذا الكتاب بعد تأليفه كتاب (مختصر الإنصاف والشرح الكبير) جوابا لخصومه، وردا لدعواهم الباطلة فى نبذ المذهب الحنبلى، وكان جوابا عمليا دامغا، فقد استخلصه من كتاب معتمد فى المذهب الحنبلى هو (كشاف القناع عن متن الإقناع) تأليف الشيخ منصور بن يونس بن ادريس البهوتى، وهو فى الحقيقة اختصار منه لمجموع الأبواب التى حواها هذا الكتاب ابتداء من باب آداب المشى إلى الصلاة إلى باب ما يفسد الصوم.

وفى هذا الكتاب يلتزم فى عرض الأحكام المذهب الحنبلى كما هو فى كتاب كشاف الإقناع، تأكيدا لالتزامه وتحقيقا فى انتسابه له، فإنه فى هذه المرة لم يحاول أن يخص آراء شيخ الإسلام ابن تيمية بالذكر كما عهدنا صنيعه فى كتاب (مختصر الإنصاف والشرح الكبير) و(كتاب الطهارة).

ومنهجه فى هذا الكتاب عرض المسائل المختلفة فى الموضوع الفقهى فى عبارة

مختصرة على أنه وإن كان اختصاراً من الكشاف فإنه لم يخل من ذكر أدلة الأحكام في أسلوب موجز ، لا يحرم الدارس من معرفة الحكم مع الدليل المستنبط منه .  
وهذه أحسن الأحوال التي يكون عليها التقليد الفقهي فهو تقليد ولكن تقليد المتبصر المدرك للدليل الذي يعتمد عليه الحكم، وتدرج بالقلد إلى أفق أوسع.  
وهذا الأسلوب يشير إلى المنزج الاجتهادي في تفكير الشيخ محمد بن عبد الوهاب إذ أنه الأسلوب الذي لم يحد عنه في التأليف الفقهي، فإننا نجد في مؤلفات، ورسائل فقهية أخرى.

### كتاب الطهارة:

عرض فقهي كامل لأحكام وأبواب الطهارة في أسلوب واضح مبسط اعتنى فيه بذكر الخلاف في إطار المذهب الحنبلي حيناً، والإشارة إلى بعض المذاهب اتفاقاً أو اختلافاً أحياناً أخرى، ووجه اهتماماً خاصاً بالتنويه عن اختيارات شيخ الإسلام ابن تيمية، كما لم تفته الإشارة إلى ذكر أدلة المسائل الفقهية كثيراً.  
وأسلوب الشيخ محمد بن عبد الوهاب في هذا الكتاب أو الرسالة شكلاً ومضموناً يأتي منسجماً ومتجانساً مع مؤلفاته الأخرى، ولذا فإنه لم يصعب على المحققين تبينه، إذ أن اسمه لم يرد في صلب المخطوطة، فقد جاء في مقدمة التحقيق قولهم:  
«فهذا كتاب الطهارة للإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله استندنا في نسبه إليه إلى فهارس المكتبة السعودية المدون فيها باسمه تحت رقم ٨٦/٥٢٠، حيث لم يرد في صلب المخطوطة ما يشير إلى ذلك إلا عبارة نعتقد أن فيها شيئاً من التحريف، حيث قال في نهاية المخطوطة، ولهذا سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولعل صحة العبارة: وعن هذا سئل الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، ثم إن أسلوب المخطوطة يتطابق تماماً مع أساليب كتاباته وتصانيفه ورسائله رحمه الله، وخاصة كثرة الإشارة إلى اختيارات شيخ الإسلام» (٤٧).

### كتاب شروط الصلاة وأركانها:

هو استكمال للتأليف في موضوع الصلاة، فيكون هذا الكتاب كالتتمة للموضوع

(٤٧) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الثاني (الفقه) ج ٢، ص ٣

السابق وهو في نفسه موضوع تمهيدى سابق على (كتاب آداب المشى إلى الصلاة)، ولهذا فإنه يمكن اعتبار الكتب الثلاثة (كتاب الطهارة، وكتاب شروط الصلاة وأركانها، وكتاب آداب المشى إلى الصلاة) مؤلفا واحدا في موضوع فقهي واحد.

### مبحث الاجتهاد والخلاف:

عنوان هذا الكتاب يختلف عن موضوعه، إذ أن محتواه هو حجية قول الصحابي والاختلاف في ذلك، وهذا العنوان أثبتته المصححان كما وجداه على النسخة الأصلية ويتحدثان عن هذا في قولهم:

«وقد كتب على الصفحة الأولى منها بخط الناسخ هذه العبارة: هذه الرسالة تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب النجدى وهى مبحث الاجتهاد والخلاف».

ويبدو أن المصححين غير مقتنعين بسلامة هذا العنوان، وما دوناه هو أداء للأمانة العلمية، ولاشك أن مضمون الرسالة يمثل جزء من العنوان، فلعل لهذه الرسالة بقية فيتطابق العنوان والمحتوى.

وموضوع حجية قول الصحابي من الموضوعات الأصولية التى شغلت حيزا كبيرا في هذا العلم، وأنتج القول به وعدمه اختلافا بين الفقهاء لخصه الشيخ محمد بن عبد الوهاب من كتاب أعلام الموقعين لابن القيم، وهو تلخيص مركزتين بأسلوب سهل مبسط، توصل فيه الى نفس النتائج التى توصل اليها ابن القيم، وذلك: (أن الصحابي اذا لم يخالفه في قوله صحابي آخر واشتهر بينهم فإنه يعتبر حجة)، وذكر ستة وأربعين وجها ودليلا على هذه النتيجة، ثم نفذ من ذلك الى بحث حجية قول التابعى، وفي نهايته يعرض رأيه بأسلوب هادى متزن في قوله:

«وقد اختلف السلف: فمنهم من يقول: يجب اتباع التابعى فيما أفتى به كذلك، ومن تأمل كتب الأئمة ومن بعدهم، وجدها مشحونة بالاحتجاج بتفسير التابعى».

وينتقل من هذا الموضوع إلى بحث أمور هامة تتعلق بالفتوى والمفتى، ما خلاصته أن على المفتى الجواب عن المسألة بقدر الإمكان فإن لم يأمن غائلة الفتوى وخاف أن يترتب عليها شئ أكبر من الإمساك عنها، أمسك ترجيحاً لدفع أعلى المفسدتين. كما له العدول عن جواب المستفتى عما سأله عنه الى ما هو أنفع منه<sup>(٤٨)</sup>.

(٤٨) مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، القسم الثانى (الفقه) ج ٢، ص ٣٦، ٣٧.

ومن أهم النقاط التي تعرض لها خلال هذا العرض مسألة جدية أن يعيها المنتصبون للإفتاء وذلك في قوله :

«ومن فقه المفتى إذا سأله عن شيء فمنعه أن يدلّه على ما هو عوض منه، ورأيت شيخنا يتحرى ذلك في فتاواه، وقد منع النبي صلى الله عليه وسلم بلالا أن يشتري صاعاً من التمر الجيد بصاعين من الرديّ ثم دله على الطريق المباح»<sup>(٤٩)</sup>.

وهذه دقائق لا يدركها إلا الراسخون في العلم وفهم المجتمع.

من خلال الدراسات السابقة للتراث الفكري الفقهي لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، تجلت لنا خصائصه الفكرية في هذا الجانب متميزة بتقدير التراث الفقهي، تعطيه حقه من التقدير في غير مبالغة أو مغالاة تؤدي إلى الجمود وذويان الشخصية، فهو متذهب وهو حنبلي ولكنه بعيد عن الجمود. فالواجب في نظره اتباع العلماء في إجماعهم، فإذا اختلفوا فالمرجع والمرجع هو الكتاب والسنة مع مرونة فقهية في تطبيق أحكامها، فالأحكام على العفو والإباحة ما لم يرد دليل صريح بالتحريم، ولا اعتراض على المخالف في مسائل الاجتهاد.

إنها صورة مثالية تأخذ من التراث وتستفيد منه وتعتمد عليه في اعتدال لا جمود، واجتهاد يتمشى وروح الشريعة الإسلامية، ومرونة لا يغير ملامحها التشريعية بواقعية تعيش ظروف عصرها.

إن هذه النوعية من الفقه والفقهاء هي ضالة العصر المنشودة، وهي أيضاً المثل الوسط الذي لا يجمد على القديم لدرجة العبادة والتقدس، ولا يتمرد عليه لحد الإنكار والجمود.

إن الأمة الإسلامية لو اهدت إلى إيجاد جيل من الفقهاء يحمل هذه الخصائص والصفات، فإنها ستعيد للفقه الإسلامي إشراقه وحيويته ودوره في حياتنا الحاضرة؛ ولم يعد الإسلام عبر قرونه تقديم نماذج متجددة من هذه الأمثلة لإبقائه حياً متجدداً، مهما تقادم الزمن، والله يقضى بالحق وهو الهادي إلى سواء السبيل.

(٤٩) المرجع السابق

## مصادر البحث

ابن قدامه، موفق الدين محمد  
المغنى، المدينة المنورة: منشورات المكتبة السلفية، تصوير.

ابن تيمية، عبدالحليم  
مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، الطبعة الأولى، الرياض. رفع الملام عن الأئمة  
الاعلام، الطبعة الأولى.

ابن حمدان، أحمد  
صفة المفتى والمستفتى  
الطبعة الأولى، بيروت، منشورات.  
المكتب الاسلامى، الطبعة الأولى.

ابن عبد الوهاب، محمد، مؤلفات محمد بن عبد الوهاب، الرياض: جامعة الإمام محمد بن  
سعود.

ابن بدران، عبدالقادر  
المدخل إلى مذهب الإمام أحمد  
مصر: ادارة المطبعة المنيرية.

ابن بشر، عثمان بن عبدالله  
عنوان المجد في تاريخ نجد، الطبعة الثانية الرياض: وزارة المعارف السعودية.  
السوابق: الطبعة الثانية.  
الرياض: وزارة المعارف السعودية.

أبوطامى، أحمد بن حجر بن محمد  
الشيخ محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه.  
مكة المكرمة: مطبعة الحكومة، ١٣٩٥هـ.

المسودة تحقيق محيى الدين عبد الحميد  
مصر: مطبعة المدنى.

البسام، عبدالله  
علماء نجد خلال ستة قرون، الطبعة الأولى.  
بيروت: منشورات المكتب الاسلامى، ١٣٨٠.

الحجوى، محمد بن الحسن الثعالبي  
الفكر الاسلامى فى تاريخ الفقه الاسلامى  
تحقيق: عبدالعزيز بن عبدالفتاح القارى  
المدينة المنورة: المكتبة العلمية ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

الرويشد، عبدالله بن سعد  
الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى التاريخ  
مصر: مكتبة عيسى البابى الحلبي.

السنهورى، عبدالرزاق  
مصادر الحق فى الفقه الاسلامى، الطبعة الثالثة جامعة الدول العربية: معهد البحوث  
والدراسات العربية ١٩٦٧م.

العطار، أحمد عبدالغفور  
محمد بن عبد الوهاب الطبعة الرابعة



بيروت: منشورات مكتبة العرفان ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

العثيمين، عبدالله صالح  
الشيخ محمد بن عبدالوهاب حياته وفكره  
الرياض: دار العلوم

الفراء، أبويعلى محمد بن الحسين بن محمد  
العدة في أصول الفقه. مصورة خاصة

الفتوحى، أحمد بن عبدالعزيز  
الكوكب المنير  
مصر: مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢هـ/١٩٥٣م

المرادوى، أبوسليمان علاء الدين  
الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف  
الطبعة الأولى ١٩٧٤م.

---

\*\*\*\*\*

---

---

مطابع دار الفقه الإسلامي - بيروت - لبنان

---



المملكة العربية السعودية  
وزارة التعليم العالي  
جامعة أم القرى  
مركز البحوث

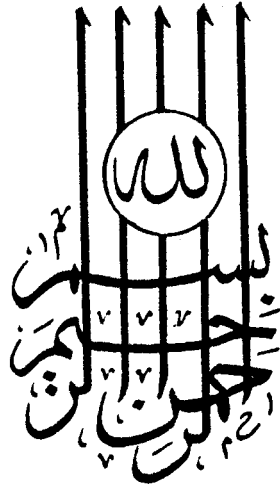
بحوث أسبوع الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله

الجزء الثاني

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م





الآراء الواردة تعبر عن وجهة نظر أصحابها



## (المحتويات)

الصفحة

الموضوع

(الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)

١ - الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ الإمام

١٣ ..... محمد بن عبد الوهاب  
للدكتور عبدالرحمن عميرة

١٩ ..... تمهيد

٢٣ العصر الذي عاش فيه محمد بن عبد الوهاب من الناحية الدينية

٣٤ ..... الشيخ محمد بن عبد الوهاب : نسبه وحياته

٣٩ ..... دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أصولها وأهدافها

الشبهات والافتراءات التي أثيرت حول دعوة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب

٥١ ..... ١ - شبهة ادعاء النبوة

٥٤ ..... ٢ - شبهة ادعاء الاجتهاد المطلق

٥٧ ..... ٣ - شبهة ادعاء أنهم من الخوارج

٦١ ..... ٤ - شبهة اتهام الشيخ أنه يكفر الناس

٦٦ ..... ٥ - شبهة كراهة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ..

٦٨ ..... ٦ - شبهة إنكار شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم .....

٧٤ ..... ٧ - شبهة تسميتهم بالوهابية

٧٦ ..... وهذا جواب الشيخ

٨١ ..... خاتمة

٩٣ .....

## ٢ - الشبهات التي أثيرت حول دعوة الإمام محمد بن

٩٩	عبد الوهاب والرد عليها .....
	للأستاذ عبدالكريم الخطيب
١٠١	تقديم .....
١١٤	مدخل إلى البحث .....
١١٨	الحياة وهذا الصراع بين الأحياء .....
١٢٨	الشيخ وراية الجهاد .....
١٢٨	تعريف موجز بالشيخ .....
١٣٢	الرحلة إلى العراق .....
١٣٣	هذه الهجرات وحصادها .....
١٣٥	في ميدان الجهاد .....
١٣٩	صراع بين الحق والباطل .....
١٤١	من الظلمات إلى النور .....
١٤٣	ماذا في دعوة الشيخ .....
١٤٥	عود على بدء .....
١٦٠	الدعوة والثائرون عليها .....
١٦١	الذين ضلوا وأضلوا .....
١٦٢	هذه الكتب الناطقة بالبهتان .....
١٦٣	أولا : رسالة المؤيد العظمى .....
١٧٠	ماذا يقول عن دعوة التوحيد .....
١٧٣	هذا الدعى والاجتهاد .....
١٧٤	الاجتهاد في الدين .....
١٧٧	التوسل بالأنبياء والأولياء .....
١٨٢	ثانيا: الدرر السنية في الرد على الوهابية لابن دحلان .....
١٨٣	من هذيان ابن دحلان .....
١٨٣	الاحتجاج للتوسل والاستشفاع .....

١٨٤	..... دعاوى ابن دحلان في التوسل
٢٠١	..... ضلال بعد ضلال
٢٠٦	..... موقف ابن دحلان من دعوة التوحيد
٢١٢	..... ثالثاً : رسالة السيامى
٢١٥	..... محتوى الرسالة
٢١٥	..... تلقين الميت
٢٢٣	..... التوسل
٢٣٢	..... خاتمة (من ثمرات الدعوة المباركة)

### ٣ - الشبهات التى أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومماثلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ

٢٥٥	..... المودودى رحمهما الله
	..... لفضيلة الشيخ محمد يوسف
٢٥٧	..... مقدمة
٢٦١	..... الأوضاع التى نشأ فيها الشيخ وتأثر بها
٢٦١	..... الأوضاع السياسية
٢٦١	..... الأوضاع الدينية
٢٦٢	..... طبقة أهل العلم
٢٦٢	..... عقيدته عن الإيمان
٢٦٤	..... عقيدته حول شفاعة النبى صلى الله عليه وسلم
٢٦٥	..... نظرية الشيخ بزيادة الإيمان ونقصه
٢٦٦	..... دعوة العودة إلى التوحيد الخالص
٢٦٧	..... معنى التوحيد ومقتضياته
٢٧٢	..... لماذا ألصقت به التهم
٢٧٣	..... افتراء سليمان بن سحيم (إنكار التقليد وإبطال كتب المذاهب الأربعة)



٢٧٨	..... مذهب الشوافع والمالكية في انتقال المذاهب
	إنكار التقليد وعدم الاعتراف بخدمات الأئمة الأربعة
٢٨١	..... الدينية وأهميتها
٢٨٢	..... افتراء ادعاء النبوة وإنكار الحديث وشفاعته
٢٨٧	..... تكفير المسلمين وقتالهم
٢٨٨	..... هدم قبة النبي صلى الله عليه وسلم

(تأثر الدعوات الإصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب)

٤ - تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية بدعوة الشيخ

٢٩١	..... محمد بن عبد الوهاب
	للدكتور وهبة الزحيلي
٢٩٥	..... مقدمة

من أين استمد ابن عبد الوهاب مبادئه، أو كيف  
تم تكوينه الشخصي

٢٩٨	..... وكيف كان طريق الوثبة الإصلاحية عنده؟
	أصالة المبادئ التي دعا إليها محمد بن عبد الوهاب
٣٠٣	..... وإسلاميتها
٣٠٦	..... ١ - الرجوع بالإسلام إلى ما كان عليه في الصدر الأول ...
٣٠٧	..... ٢ - تخلص التوحيد مما شابه من شرك
٣٠٩	..... ٣ - إنكار التوسل بالأولياء والصالحين
٣١٣	..... ٤ - طرح البدع والخرافات
	آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم
٣١٨	..... الإسلامي
٣١٩	..... ١ - أثرها في الجزيرة العربية
٣١٩	..... ٢ - أثرها في الهند

٣٢٣	٣ - أثرها في سومطرة .....
٣٢٣	٤ - أثرها في المغرب والجزائر .....
٣٢٥	٥ - أثرها في تونس .....
٣٢٦	٦ - أثرها في ليبيا .....
٣٢٩	٧ - أثرها في زنجبار وأفريقيا .....
٣٢٩	٨ - أثرها في السودان .....
٣٣١	٩ - أثرها في مصر .....
٣٣٤	١٠ - أثرها في الشام .....
٣٣٥	١١ - أثرها في العراق .....
٣٣٦	١٢ - أثرها في تركيا .....
٣٣٧	١٣ - أثرها في اليمن .....
٣٣٨	١٤ - أثرها في عقلية المثقف .....

## ٥ - أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في غرب

٣٤٣	أفريقيا .....
	للأستاذ عبدالفتاح الغنيمي
٣٤٧	أثر دعوة الشيخ .....
٣٤٧	غرب أفريقيا .....
٣٤٨	شعب الفولاني .....
٣٥٠	أحوال المنطقة قبل دعوة عثمان بن فودي .....
٣٥١	سيرة عثمان بن فودي .....
٣٥٢	حياته .....
٣٥٣	عثمان بن فودي في مكة المكرمة .....
٣٥٤	الصدع بالدعوة .....
٣٥٦	فحوى دعوة الشيخ عثمان .....
٣٥٨	مراحل الجهاد الإسلامي .....
٣٥٩	الجهاد المسلح .....

- الجهاد ضد برنو ..... ٣٦٢
- أثر دعوة عثمان بن فودي في غرب أفريقيا ..... ٣٦٥
- ٦ - تأثير الدعوات الإصلاحية الإسلامية في تايلاند بدعوة الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب ..... ٣٦٩
- لفضيلة الشيخ إسماعيل أحمد
- مقدمة جغرافية عن تايلاند ..... ٣٧١
- بدء الدعوة في تايلاند والقائمين بها ..... ٣٧٣
- المنهج الذي تسير عليه الدعوة الإسلامية في تايلاند ..... ٣٧٧
- الحركة الوهابية في بانكوك ..... ٣٨٥
- العقبات التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية ..... ٣٨٧
- ٧ - تأثير الدعوات الإصلاحية في أندونيسيا بدعوة الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب ..... ٣٩١
- للأستاذ نجيب عبد الله
- الشعلة الأولى لليقظة الإسلامية في العصر الحديث ..... ٣٩٤
- وضع المسلمين الديني في أندونيسيا ..... ٣٩٦
- حركات الإصلاح في أندونيسيا ..... ٣٩٧
- تأثيرات كتاب التوحيد تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب ..... ٤٠٣
- التوحيد غاية دعوة الرسل ..... ٤٠٤
- مفهوم التوحيد ..... ٤٠٦
- بيان معنى العبادة ..... ٤٠٩
- صفات الله تعالى ..... ٤١٥
- الإيمان بالقدر ..... ٤١٧
- تأثيرات كتاب التوحيد ..... ٤٢١
- ٨ - أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة

- ٤٢٣ ..... عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب افريقيا  
للدكتور مصطفى مسعد
- ٤٢٤ ..... ظهور الدعوة
- ٤٢٧ ..... انتشار الدعوة
- ٤٢٨ ..... الإسلام وغرب أفريقيا
- ٤٣١ ..... الحركات الإصلاحية في بلاد الحوصة  
عثمان بن فودي والدعوة إلى الإصلاح
- ٤٣٢ ..... علاقة حركة عثمان بن فودي الإصلاحية بدعوة الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب
- ٤٤٥ ..... ٩ - دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأصداؤها في فكر  
محمد إقبال  
للدكتور محمد السعيد جمال الدين
- ٤٦٥ ..... ١٠ - أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب في الفكر  
الإسلامي الإصلاحي بالجزائر  
للدكتور عبد الحليم عويس
- ٤٦٧ ..... توطئة
- ٤٦٧ ..... حقائق تاريخية ثلاث
- ٤٦٩ ..... عصر الإصلاح في الجزيرة العربية
- ٤٧١ ..... دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب وركائزها
- ٤٧٣ ..... جذور دعوة الإصلاح الإسلامي في الجزائر
- ٤٧٩ ..... دخول حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الجزائر
- ٤٨٢ ..... طريق الجزائر إلى الإسلام الصحيح
- ٤٨٦ ..... بوادر النهضة الإصلاحية الحديثة بالجزائر
- ٤٩٠ ..... مؤسس جمعية العلماء والسلفية
- ٤٩١ ..... مبادئ السلفية وركائز جمعية العلماء

٤٩٢	..... إصلاح عقيدة الجزائريين	أولا :
٤٩٣	..... مقاومة الصوفية والمبتدعة	ثانيا :
٤٩٥	..... الرجوع إلى القرآن والسنة	ثالثا :
٤٩٦	..... تحذير الناس من الأحاديث الموضوعة	رابعا :
٤٩٧	..... محاربة الجمود الفكرى	خامسا :
٤٩٧	..... رفض التوسل والاستغاثة	سادسا :
٤٩٨	..... تشابه فى الموضوع والمنهج والأسلوب	

الشبهات التي أثيرت حول  
دعوة الشيخ الإمام  
محمد بن عبد الوهاب



الشبهات التي أُثِّرت حول  
دعوة الشيخ الإمام  
محمد بن عبد الوهاب

للدكتور عبد الرحمن عميرة

الأستاذ المشارك بكلية أصول الدين

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





قال تعالى:

« قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَآبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ  
وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦءَ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟  
فَقُولُوا۟ أَشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ »

(آل عمران : ٦٤)

قال الرسول صلى الله عليه وسلم:

« إن الله يبعث على رأس كل قرن من يجدد لهذه الأمة أمر دينها »

حديث شريف

( ما من مرة هوجم الإسلام سياسيا أو عسكريا إلا اتجه نحو المذهب الحنبلى الذى  
ينادى فى قوة وحماس بالرجوع الى السنة ).

المستشرق لاوست



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تمهيد

الحمد لله رب العالمين، نحمده ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له.

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واقتدى بسنته، وعمل عملا خالصا لله رب العالمين.. وبعد:

فهذه كلمات حول الشبهات التي أثيرت حول الدعوة السلفية، دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب رحمه الله.

أردنا بها وجه الله سبحانه وتعالى - والحق أقول - لقد عشت فترة طويلة من الزمن أبتعد عن هذه الشبهات، وأحاذر التعرف عليها أو قراءة أفكارها حتى أعانني الله سبحانه وتعالى بالاقتراب منها ومعايشتها.

فلم تكن في الحقيقة إلا بناء من ورق. وزينة جوفاء، وسرابا خادعا لا ماء فيه ولا رى، وإكليلا من الخزى والعار وضعه الشيطان كبير المضلين على رؤوس هؤلاء العتاة الذين وقفوا للدعوة ينالون منها بالكلمة مرة، ويصدون عنها الأتباع والأنصار مرات.

ولكن إرادة الله غالبية وجنده هم المنصورون، فارتقت في جنبات أرض نجد كلمة التوحيد الخالصة لله تعالى، وكان هذا إيذانا بتدمير دولة الطاغوت التي تمثلها قباب الموتى وأضرحة الأولياء، وما يغرى به الشيطان أتباعه من الاستعانة والاستغاثة بالشجر والحجر والأصنام.

ولقد وقفت أمام هذه الدعوة كل قوى الشر مجتمعة ممثلة تارة في رجال لا يعرفون من الإسلام إلا اسمه، وعاشوا حياتهم سدنة للأصنام وعبادا للبهتان، وأوصياء على بعض الأفراد. يزينون لهم المنكر ويفرقونهم في مباءة الشرك إغراقاً.

وتارة أخرى في الاستعمار ورجاله، والطامعين وأذنانهم، والتبشير وأعوانه وقوى أخرى تكره الإسلام وأبناءه. وتعمل جاهدة في كل ميدان حتى لا يقام لأتباع هذا الدين قائمة.

« يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »

(التوبة ٣٢).

لقد نجحت هذه الدعوة نجاحاً منقطع النظير. نجحت في رد المسلمين إلى ربهم وخالقهم.

ونجحت في جعل العبادة خالصة لوجه الله.

ونجحت في إبطال فرية الأدعياء والمبطلين القائلين بأن الإسلام استنفذ أغراضه ولم تقم له بعد قائمة.

فإذا بجيوش الدعوة السلفية، دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب تزلزل العروش وتقوض التيجان، وتزيل الممالك - وترهب أعداء الله وأعداء دينه - وتنداح جيوشها في الجزيرة العربية كل الجزيرة العربية وتتخطى مبادئها - التي هي مبادئ الإسلام - الحدود والسدود وتصبح كالبؤرة المشعة من قرص الشمس.

فتقام دعوة الإمام السنوسي في المغرب.

ودعوة الإمام محمد عبده في مصر.

ودعوة الإمام المهدي في السودان.

ودعوة السيد أحمد حج السيد في الهند.

ودعوة الإمام الشوكاني والصنعاني في اليمن.

فأين أتباع هذه الدعوة ليقودوا العالم مرة أخرى إلى النور والهداية إلى كلمة التوحيد، إلى الدين الخالص..؟

يقول أحد المفكرين: لقد سبق للعرب أن قادوا العالم في مرحلتين طويلتين من مراحل التقدم طوال ألفى سنة قبل أيام اليونان ثم في العصور الوسطى مدة أربعة قرون، وليس ثمة ما يمنع هذه الشعوب من أن تقود العالم في المستقبل القريب.

« رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً ۗ إِنَّكَ أَنْتَ  
الْوَهَّابُ ۗ »

(آل عمران : ٨)



## العصر الذى عاش فيه محمد بن عبد الوهاب

### من الناحية الدينية

أى صورة من الصور كان عليها هذا العصر..؟  
أهى الصورة المشرقة النيرة بتعاليم الإسلام وهدى النبوة..؟  
حيث تقام الحدود، وترتفع البنود، البنود الخفاقة لنشر دين الله، والعمل على تحكيم كتابه.

أم أنها الصورة الأخرى القاتمة، حيث الضلال والبهتان وعبادة الطاغوت، والعودة بالحياة إلى دنيا الجاهلية الأولى..؟

إن مصادر التاريخ، وكتاب السير على تباين تفكيرهم، يقدمون بين يدي القارى صورة قاتمة، مؤلمة لما كان عليه هذا العصر..؟!  
فصاحب كتاب الضياء الشارق يصور لنا ذلك بقوله:

«قد خلع (الناس) ربة التوحيد والدين، وجدوا واجتهدوا فى الاستغاثة والتعلق بغير الله تعالى من الأولياء والصالحين والأصنام والأوثان والشياطين».

«وكثير منهم يعتقد النفع فى الأحجار والجهادات، ويتبركون بالآثار ويرجون منها القبول فى جميع الأوقات»<sup>(١)</sup>.  
وصدق الله فى قوله:

« نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمُ أَنْفُسُهُمْ أَفَلَسُوا أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ »<sup>(٢)</sup>

(١) الضياء الشارق: للشيخ سليمان بن سحمان ص ٧٠

(٢) سورة الحشر - آية رقم ١٩.



وهذه الصورة التى يقدمها لنا الشيخ سليمان بن سحمان لم تكن قاصرة على مصر دون مصر، أو على سهل دون نجد، وكلها تكاد تكون شاملة عامة فى كثير من بلاد المسلمين إلا من عصم ربى.

ففى مصر (بلد الأزهر) رفع الناس لواء العبادات الوثنية، والدعاوى الفرعونية، وقامت دولة الأدعياء وال دراويش.

والقارىء لكتاب الطبقات الكبرى للشعرانى وغيره من الكتب التى كانت متداولة فى ذلك العصر، يرى عجا من العجب، وكفرا بواحا. من ذلك ما يقوله الشعرانى:

«إن الله تعالى وكل بقبر كل ولى ملكا يقضى حاجة من سأل ذلك الولى».

ويروى الشعرانى - أيضا - عن شمس الدين الحنفى عند الكلام على ترجمته أنه قال فى مرض موته:

«من كانت له حاجة فليأت قبرى، ويطلب أن أقضيها له، فإنما بينى وبينه ذراع من تراب».

ثم يتابع قوله: «كل رجل يحجبه عن أصحابه ذراع من تراب فليس برجل (٣) وعلى احتمال صدق هذه الرواية من هذا الرجل.

فلنا أن نتساءل كيف يسأل الحى الميت..؟

كيف يسأل القوى الضعيف..؟ لأنه ولى وقريب من ربه؟

ومن قال إن أى فرد من الأفراد هو بعيد عن ربه..؟

أم لأن هذا الولى قريب والله بعيد..؟

إن من يتصور هذا أو يتخيله فهو الأبق الملحد الخارج عن رحاب الإسلام

والمسلمين..

(٣) الطبقات الكبرى للشعرانى.

وصدق الله العظيم في قوله:

«...كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ<sup>ج</sup> إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا» (٤).

فالله سبحانه وتعالى أقرب إلى العبد من نفسه التي بين جنبيه .

قال تعالى:

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ<sup>ط</sup> » (٥).

وهو كريم يغدق على عباده، ونعمه عليهم لا تعد ولا تحصى.

قال تعالى:

« وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا<sup>ج</sup> إِنْ اللَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ » (٦).

وقال أيضا:

« وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ<sup>ج</sup> وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا<sup>ط</sup> » (٧).

لكن لا عجب ولا عجاب، لأن القوم في هذا العصر أصابهم ما أصاب الأمم من قبلهم، فنبذوا كتاب الله وراء ظهورهم واتبعوا ما تتلوا الشياطين، وتساءل أين العلماء في ذلك العصر...؟

(٤) سورة الكهف - آية رقم ٥.

(٥) سورة البقرة - آية رقم ١٨٦.

(٦) سورة النحل - آية رقم ١٨.

(٧) سورة إبراهيم - آية رقم ٣٤.

أين الذين تفقهوا في دين الله، ممن قال الله فيهم:

« وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ » (٨).

أين الذين أناط الله بهم أمر القيام بالمعروف والنهي عن المنكر..؟ هل كان لهم صوت إنكار، أو بادرة احتجاج لتغيير المنكر..؟ وعودة الناس إلى كلمة التوحيد..؟ وهل طالبوهم بالابتعاد عما هم فيه من الجاهلية الأولى..؟

لاشك أنه وجد بعض هؤلاء العلماء ممن كانوا يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، مصداقا لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم: « لاتزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك » (٩).

والمؤرخ المصرى عبدالرحمن الجبرتي يقدم لنا صورة من صور العلماء العاملين الذين ثاروا على الضلال، وهاجموا البهتان في داره، وكشفوا الشرك وأهله.

يقول: إن واعظا تركيا وفد من بلاد الروم إلى مصر، جلس يعظ في جامع المؤيد، وكثر عليه الناس، وازدحم بهم المسجد، ثم انتقل من الوعظ، فذكر ما يفعله أهل مصر بضرائح الأولياء، وإيقاد الشموع والقناديل على قبور الأولياء وتقبيل أعتابهم، وأن فعل ذلك كفر يجب على الناس تركه، وعلى ولاة الأمور السعى في إبطال ذلك، وقد ذكر قول الشعراني في كتابه السابق:

« ان بعض الأولياء اطلع على اللوح المحفوظ...! »

قال: إنه لا يجوز ذلك، ولا تطلع عليه الأنبياء، فضلا عن الأولياء، وكان فيما قال: «إنه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الأولياء».

كما لا يجوز بناء التكايا ويجب هدم ذلك جميعه.

(٨) سورة التوبة - آية رقم ١٢٢.

(٩) الحديث رواه البخارى في الاعتصام ١، والمناقب ٣٨، ورواه مسلم في الامارة ١٧١-١٧٤، والدارمي في الجهاد ٣٨، وأحمد بن حنبل ج٤ ٩٩-١٠١.

وتقبل جمهور المسلمين ما قاله الرجل بقبول حسن، وأخذت الوفود تأتي إليه وطلاب الحق يفتدون إلى مكانه.

فماذا كان موقف الأعداء وسدنة القبور..؟

هل تقبلوا قولة الحق بقبول حسن..؟

هل استجابوا لنور الإيمان عندما وفد لديارهم..؟

يقول الجبرتي: «فقامت لهذا قيامة أعداء العلم، فسدوا عليه من يشوش عليه ويخفت صوته.

ولكن الواعظ مضى في طريقه، وانتقل هو وأتباعه من القول إلى العمل، وبدأ الصدام بأن خرج الواعظ وأتباعه بعد صلاة التراويح، ووقفوا بالنباييت والأسلحة على باب «زويلة» فهرب الذين يقفون به، ثم قطعوا ما علق عليه من جوخ وأكر<sup>(١٠)</sup>

وأوشكت دعوة الحق أن تعم البلاد، وكلمة التوحيد، التوحيد الخالص لله وحده تستقر في قلوب العباد.

وهنا خشيت دولة الدراويش على صولجانها.

وخاف الأعداء على نفوذهم وتقلص كلمتهم، فسعوا إلى والي البلاد وحذروه الفتنة، وخوفوه ضياع ملكه وعرشه.

لأن كلمة التوحيد صادقة. وثورة الإيمان عارمة.

وما زالوا به حتى أمر بنفى الواعظ إلى خارج مصر، فأخرج منها بليل. وعاد السدنة مرة أخرى إلى إضلال الناس، وإبعادهم عن جوهر دينهم، بغية استمرار صولجانهم وسيطرتهم، وسلب أقوات العباد وأرزاقهم، والتدخل في شئون دينهم ودنياهم.

---

(١٠) تاريخ الجبرتي، وباب زويلة، وشجرة الحنفي، ونعل الكلثنى من الأشياء التي كان الناس يتوجهون إليها لتفريج الكرب وشفاء المرضى.

وإذا كان في مصر ضريح أحمد البدوي، وأحمد الرفاعي، وإبراهيم الدسوقي، وأبي العلاء. والذين كانوا يطلق عليهم الأقطاب الأربعة، ويشيع أتباعهم عنهم أن هؤلاء يحق لهم التصرف في الكون...!

فإن في العراق المشهد الحسيني الذي اتخذته الرافضة وثنا يطاف به، بل ربا مدبرا، وخالقا ميسرا، وأعادوا به المجوسية الأولى، وأحيوا به معاهد اللات والعزى وما كان عليه أهل الجاهلية الأولى.

وكذلك مشهد العباس، ومشهد الإمام علي، ومشهد الإمام أبي حنيفة، ومعروف الكرخي، والشيخ عبدالقادر الجيلاني، وغير ذلك كثير، مما يصيب الرءوس بالدوار، ويدعو إلى الحيرة وبلبله الأفكار بسبب ما آل إليه أمر هؤلاء الناس.

أما في أرض نجد، فيحدثنا ابن غنام حديثا مستفيضاً، ويصور لنا الحالة التي وصلت إليها من الشرك والإغراق في الوثنية، فيقول:

« فقد كان في بلدان نجد من ذلك أمر عظيم وهول مقيم، كان الناس يقصدون قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة يدعونه لتفريج الكرب، وكشف النوب، وقضاء الحاجات، وكانوا يزعمون أن في قرية في الدرعية قبور بعض الصحابة، فعكفوا على عبادتها وصار أهلها أعظم في صدورهم من الله خوفا ورهبة، فتقربوا إليهم، وهم يظنون أنهم أسرع إلى تلبية حوائجهم من الله، فكأنما عناهم الله تعالى بقوله:

« أَيْفَكَّا هَاهُ دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ » (١١).

وكأنما كان جوابهم دائما: « إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ » (١٢)

وكانوا يأتون في شعيب غيرا من المنكر ما لا يعهد مثله: يزعمون أن فيه قبر ضرار

(١١) سورة الصافات - آية رقم ٨٦.

(١٢) سورة الزخرف - آية رقم ٢٢.

ابن الأزور، وذلك كذب محض وبهتان مثله لهم إبليس وصوره ودلهم عليه من غير أن يشعروا.

وكان النساء والرجال يأتون بليدة الفدا، حيث يكثر ذكر النخل المعروف بالفحال، ويفعلون عنده أقبح الأفعال، ويتبركون به ويعتقدون فيه، فكانت تأتيه المرأة اذا تأخرت عن الزواج فتضمه بيديها ترجو أن يفرج عنها كربها وتقول:

يا فحل الفحول أريد زوجا قبل الحول..!

وكانت طوائف من الناس تنتاب شجرة الطرفية فيتبركون بها ويعلقون الحرق عليها - إذا ولدت المرأة ذكرا لعله يسلم من الموت..!

وفي أسفل الدرعية غار كبير يزعمون أن الله تعالى خلقه في الجبل لامرأة تسمى بنت الأمير أراد بعض الفسقة أن يظلمها فصاحت، ودعت الله فانفلق لها الغار بإذن العلى الكبير، فأجارها من ذلك السوء، فكانوا يرسلون الى ذلك الغار اللحم والخبز ويبعثون بصنوف الهدايا، وقد نسوا قوله تعالى:

« أَتَعْبُدُونَ مَا تَحْتُونَ ﴿٩٥﴾ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ » (١٣)

لأجل هذا دعاها الناس لتفرج عنهم الكرب، ونسوا أن يدعوا الله تعالى الذى فرج عنها وأنه هو الذى أجرى لها هذه الكرامة - اذا صح الحادث - ولكن الحادثة مختلفة اخترعها دجال تضليلا للعقول وابتزازا للمال عن طريق السحت والشعوذة..!

ويقول ابن غنام أيضا:

« وكان عندهم رجل من الأولياء اسمه (تاج) سلكوا فيه سبيل الطواغيت. فصرفوا اليه النذور وتوجهوا اليه بالدعاء، واعتقدوا فيه النفع والضرر. وكانوا يأتونه لقضاء شئونهم أفواجا، وكان هو يأتى اليهم من بلده الخرج الى الدرعية لتحصيل ما تجمع من

(١٣) سورة الصافات - آية رقم ٩٥.

النذور والمخراج، وكان أهل البلاد المجاورة جميعهم يعتقدون فيه اعتقاداً عظيماً، فخافه الحكام وهاب الناس أعوانه وحاشيته، فلا يتعرضون لهم بما يكرهون، ويدعون فيهم دعاوى فظيعة، وينسبون اليهم حكايات قبيحة، وكانوا لكثرة ما تناقلوها وأذاعوها يصدقون ما فيها من مین وزور، فزعموا أنه أعمى وأنه يأتي من بلده المخرج من غير قائد يقوده، وغير ذلك من الحكايات والاعتقادات التي ضلوا بسببها عن الصراط المستقيم» (١٤).

وتساءل لماذا كل هذا..؟

ويأتي الجواب من القبوريين، لأنه ولي من الأولياء الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

ونقول: وهل ولايته تبيح لكم أن تعكفوا على قبره وتطلبوا منه الضر والنفع وتستغيثوا به في النكبات والملمات..؟

ويأتي الجواب من عبدة الأوثان: لولا كرامته وولايته وصلاحه وتقواه لما استطاع أن يضرب في الصحراء من غير أن يضل أو يناله أذى أو ضرر..!

وإذا كان ما يتقولونه على هذا الرجل حقاً وصدقا فمن منحه الولاية..؟ ومن أجرى على يديه الكرامة..؟  
هل صنع من نفسه وليا..؟

معاذ الله أن يكون كذلك.. ولكن الله سبحانه وتعالى هو المعطى وهو المانع، والمتفضل على عباده.

وكل ما أمر الله سبحانه وتعالى عباده به: هو إخلاص العبادة له:

(١٤) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ص ١١، ١٢ بتصرف.

« فَأَعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿١٥﴾ أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴿١٥﴾ »

وإخلاص العبادة لله حقا وصدقا هو الطريق الى الولاية قال تعالى:

« أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٦﴾  
الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٦﴾ »

فكل من أخلص العبادة لله تعالى، ولم يشرك بعبادته أحدا، وأمن بكل ما جاء به رسوله، وما تنزل به قرآنه، واتقى الله وخافه في كل ما يأتي وما يدع، فهو من أولياء الله. يستطيع أن يقترب من ربه بلا وسيط أو شفيع.

قال تعالى:

« وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ ﴿١٧﴾ »

وهكذا رأينا كيف أن صور الشرك والضلال، والعودة بالحياة الى الجاهلية الأولى، كانت شاملة وعمامة في كثير من بلاد المسلمين في ذلك العصر، حتى أن بلاد الحرمين الشريفين لم تسلم من ذلك.

يقول صاحب كتاب (الضياء الشارق): « من ذلك ما يفعل عند قبر محبوب وقبة أبي طالب. فيأتون قبره للاستغاثة عند نزول المصائب وحلول النواكب، وكانوا له في غاية التعظيم، فلو دخل سارق أو غاصب أو ظالم قبر أحدهما لم يتعرض له أحد لما يرون من وجوب التعظيم والاحترام » (١٨).

ونقول: إن هذا الذي حدث هو ما تنبأ به الرسول صلى الله عليه وسلم: فقد روى

(١٥) سورة الزمر - آية رقم ٢، ٣.

(١٦) سورة يونس - آية رقم ٦٢، ٦٣.

(١٧) سورة الحديد - آية رقم ٤.

(١٨) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ص ١٣. أو الضياء الشارق.



الشيخان وغيرها من حديث أبي سعيد الخدري - رضى الله عنه، أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرا بشبر وذراعا بذراع، حتى لو سلكوا جحر ضب لسلكتموه. فقلنا: يارسول الله اليهود والنصارى...؟ قال: فمن...؟»

وجاء نحوه عن ابن عباس - رضى الله عنه - وفيه زيادة «وباعا بياح . وفيه: حتى لو أن أحدهم دخل جحر ضب لدخلتموه، وحتى لو أن أحدهم جامع أمه في الطريق لفعلمته» (١٩).

يقول الشيخ عبداللطيف في كتاب «منهاج التأسيس»: «فصار هذا الأمر طبق ما أخبر به هذه الأمة نبيها وظهر وجه الشبه بينهم وبينها، وانتهى الحال الى أن قيل بالإتحاد والحلول، وكثرت في ذلك إشارات القوم والنقول، وصار هو مذهب الخاصة والخاصة عند الأكثرين، ومن أنكره فهو عندهم ليس على شيء من العلم والدين، وعبدت الكواكب والنجوم، وصنف في ذلك مثل أبي معشر، وصاحب السر المكتوم، وعظمت القبور، وبنيت عليها المساجد، وعبدت تلك الضرائح والمشاهد، وجعلت لها الأعياد الزمانية والمكانية، وصرفت لها العبادات المالية والبدنية، ونحرت لها النحائر والقرايين، وطاف بها الفوج بعد الفوج من الزائرين والسائلين، وحلقت لأربابها رءوس الوافدين، واستبيح فيها ما اتفقت على تحريمه جميع الشرائع والنبوات، وكثر المكاء والتصدية بتلك الفجاج والعرصات، وبارزوا بتلك القبائح العظام الأرض والسماوات، وصنف في استحبابه بعض شيوخهم كابن المفيد، وظنه الأكثر من دين الإسلام والتوحيد» (٢٠). وهكذا وصل العالم الإسلامى الى دركه الأخير في الانحطاط والاسفاف في الدين والاعتقاد، عندما طرحوا كتاب ربهم، وأغرقوا في ضلالهم وبهتانهم.

يقول الكاتب الأمريكى استودارد: «أما الدين فقد غشيته غاشية سوداء فالبسوا

(١٩) الحديث: رواه البخارى في الاعتصام ١٤ والأنبياء ٥٠ ورواه مسلم في العلم وابن ماجه في الفتن ١٧ وأحمد بن حنبل ٣-٣٢٧-٤٥٠.

(٢٠) منهاج التأسيس للشيخ عبداللطيف نقلا عن غاية الأمانى.

الوحدانية التي علمها صاحب الرسالة سجفا من الخرافات، وقشورا من الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين، يخرجون من مكان الى مكان يحملون في أعناقهم التائم والتعاويز والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل، ويرغبونهم في الحج الى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور.

وغابت عن الناس فضائل القرآن، فصار يشرب الخمر والأفيون في كل مكان، وانتشرت الرذائل وهناك ستر المحرمات على غير خشية ولا استحياء. إلى أن قال: فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر، ورأى ما كان يدعى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقتها من المسلمين كما يعلن المرتدون عبدة الأوثان»<sup>(٢١)</sup>.  
ثم ماذا..؟

في وسط هذا الظلام الشامل، والضلال الكامل الذي عم الكون وملاً أرجاء المعمورة، إذا بصوت قوى فيه صدق الإيمان وفصاحة الإسلام ونور النبوة يدوى من قلب الصحراء.

من أرض نجد.. تلك البقعة التي شهدت صراعا مريرا وقتالا شديدا بين جند الرحمن وأتباع الشيطان.. هذا الصوت فيه دعوة الى الإصلاح واتباع الصراط المستقيم والعودة الى كتاب الله تعالى.

فمن صاحب الصوت القوى..؟ الذي استضاء قلبه بنور الإيمان فرفع معوله لهدم البهتان والطغيان وإخلاص العبادة للواحد الديان..؟  
إنه الداعية الملهم، الإمام المؤمن محمد بن عبد الوهاب.  
وإذا كان ذلك كذلك. فمن محمد بن عبد الوهاب..؟  
للإجابة على هذا علينا أن نقطع شوطا آخر في البحث..

(٢١) حاضر العالم الإسلامي: ترجمة عجاج نويهض ص ٣٤.

## الشيخ محمد بن عبد الوهاب

### نسبه - وحياته

في الصحراء الممتدة امتداد المحيط ، وتحت أديم السماء الصافية صفاء الإيمان، وفي بلدة العيينة من إقليم العارض على وجه التحديد ولد محمد بن عبد الوهاب عام ١١١٥هـ - ١٧٠٣م.

والده الشيخ عبد الوهاب بن سليمان «قاضي العيينة» في ذلك الوقت ، وكان واليها عبدالله بن حمد بن عبدالله.

وفي بيت هذا القاضي الذي عرف بالعلم والفضل، والاهتمام بكتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم فتح عينيه وعاش طفولته؛ وعلى يد والده الشيخ الفاضل تلقى علومه الأولية في دراسة الفقه والمطالعة في كتب التفسير والحديث.

يقرر معاصرو الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه كان حاد الفهم، وقاد الذهن، سريع الحفظ، فصيحاً فطناً. استظهر القرآن الكريم قبل بلوغه العاشرة من عمره.

الأمر الذي لفت أنظار الناس إلى هذا الطفل النجيب وأولهم والده الذي نوه بشأن ابنه وأثنى عليه ، وعلى جودة حفظه، وسرعة فهمه وسلامة إتقانه. ولقد أخذ بحظ وافر من العلم على يدي والده. ثم أخذ في التنقل والترحال لطلب العلم والتزود من المعرفة.

وله في هذا التنقل أسوة بالعلماء من السلف الصالح - رضوان الله عليهم - فلقد قام بأمثال هذه الرحلة شيخ الحنابلة أحمد بن حنبل - رحمه الله - وتقى الدين ابن تيمية، ومن قبله الشيخ الإمام محمد بن اسماعيل البخارى وإمام الشافعى - رحمهم الله جميعاً - وقل أن نجد عالماً من علماء السلف إلا كانت له مثل هذه الرحلات.

وكانت رحلة الشيخ الأولى الى مدينة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وفيها التقى بعالمها في ذلك الوقت الشيخ عبدالله بن ابراهيم بن سيف النجدي، فغرف من بحر علمه الزاخر الشيء الكثير.

وكان الشيخ عبدالله ذا حظ وافر من العلم وعلى خلق ودين، ومن أبنائه ابراهيم بن عبدالله مصنف كتاب «العذب الفائض في علم الفرائض»، وكذلك أخذ عن الشيخ محمد حياة السندي المدني صاحب كتابي: «تحفة الأنام في العمل بحديث النبي - عليه أفضل الصلاة والسلام، و «تحفة المحبين في شرح الأربعين».

كم بقى الشيخ في المدينة ...؟

وهل هناك كتب معينة درسها على أيدي هؤلاء العلماء؟

إن كتاب سيرة الشيخ لا يذكر شيئا من ذلك؛ وإنما يرصدون خروجه من المدينة الى نجد لينطلق منها مرة ثانية ميمما وجهه شطر البصرة. والبصرة في ذلك الوقت كانت تموج بالعلم والمعرفة؛ فهي كعبة القصاد وموتل طلاب العلم والمعرفة. وفي نفس الوقت ينتشر فيها الكثير من البدع، وترتفع فيها القباب والأضرحة وتقام فيها سوق رائجة للشعوذة والدجل.

وألقي الإمام فيها عصا التنسيار، ولم تطل إقامته في تلك البلدة، حتى رأى في أروقته وجناباتها اختلاط الحق بالباطل، والنور بالظلمة والهدى بالضلال.

ومع ذلك استمع لدروس الحديث والفقه من علماء أجلاء، وقرأ على مشايخها علوم النحو والصرف، وكتبا فيها الكثير من علوم التفسير. وكان في أثناء مقامه ترى عيناه المنكر، وتسمع أذناه مالا يود سماعه من أنواع الشرك والبدع. فأخذ يأمر أصحاب المنكرات بالابتعاد عنها؛ ويطلبهم بالانصراف عن القباب والأضرحة حرصا على عقيدتهم؛ لأنهم بهذا العمل ينقلون من رحاب الإسلام إلى ساحة الكفر والطغيان، ولكن الكثير منهم صموا أذانهم عن سماع الحق.

ولم يكتفوا بذلك؛ بل اعتبروا أن ما يقوله محمد بن عبد الوهاب تدخل في شؤونهم الخاصة، وحجر على حريتهم العامة، وهم لا يقبلون ذلك ولا يوافقونه عليه.

وتكررت الحادثة التي تتكرر في كل عصر ومصر بين أتباع الشيطان وجند الرحمن. ووقف أتباع الطاغوت يكررون قولة أسلافهم التي قالوها لنبي الله شعيب عليه السلام.

( قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴿٩١﴾ ) (٢٢).

ومن أجل ذلك أخرج محمد بن عبد الوهاب من البصرة في وقت الظهيرة، حيث لا ماء ولا غذاء ولا راحلة. وأراد أن يتجه الى الشام، ثم أثر العودة الى نجد تحت ظروف قاسية وملابس خاصة.

وهكذا عاد المهاجر إلى نجد مرة أخرى، وفي بلدة (حريملاء) التي انتقل إليها والده سنة ١١٣٩هـ عاش محمد بن عبد الوهاب يقرأ على والده ويستمتع منه. وفي هذه المرحلة أخذ يسلك طريق الدعوة أمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر بالكلمة الطيبة والموعظة الحسنة. واستمر على ذلك حتى توفي والده عام ١١٥٣.

فأخذ يسلك بالدعوة طريقها الايجابي، واشتد إنكاره على تظاهر الشرك والبدع مبينا شرائع الإسلام وموضحا سنة الرسول - صلى الله عليه وسلم. فذاع ذكره وانتشر أمره وأخذت الوفود تأتي اليه، وطلاب الحق والمعرفة يقصدون بابه، فكان يقرأ عليهم كتب الحديث والفقه والتفسير، وصنف في تلك الفترة كتاب (التوحيد).

ولم يقبل طلاب الشهوات المبتذلة والمنافع الرخيصة ما يقوله الشيخ؛ لأنه يفسد عليهم خططهم، ويعطل كل أعمالهم، فيبتوا قتله وتسوروا عليه منزله، ولكن الله سبحانه وتعالى نجاه منهم، وخاب قصدهم، ورد كيدهم في نحورهم.

(٢٢) سورة هود - آية رقم ٩١

ورأى أن حرملاء لم تصبح بذات مقام فانتقل الى العيينة: وكان أميرها في ذلك الوقت عثمان بن حمد بن معمر. فرحب به وأكرمه، وتزوج في العيينة من الجوهرة بنت عبدالله بن معمر. وفيها قام بقطع الأشجار التي يقدسها الناس، وهدم القباب التي يعظمونها، فقامت قائمة سدنة القبور، وهاج وماج أصحاب المنافع الرخيصة، وأغروا به قائد الأحساء سليمان بن محمد، فكتب الى عثمان بن معمر يهدده بقطع خراجه الذي يرسله له إن لم يتخلص من الشيخ محمد بن عبدالوهاب استعظم الأمر على عثمان فأثر الدنيا على الدين، وأمر الشيخ بالخروج من العيينة قائلا له: «إن سليمان أمرنا بقتلك ولا نقدر على غضبه ولا مخالفة أمره. لأنه لا طاقة لنا بحربه وليس من الشيم أن نقتلك في بلادنا.

فسار الشيخ الى الدرعية وقصد بيت محمد بن سويلم العريني فخاف على نفسه من حاكمها محمد بن سعود، فسكنه الشيخ وهدأ روعه وقال له: «سيجعل الله لنا ولك فرجا ومخرجا».

وعلم الناس بوجود الشيخ فتقدموا إليه، ولكنهم هابوا أن يذكروا ذلك لمحمد بن سعود، فذهبوا إلى زوجته موزي بنت وطيان، وكانت عاقلة ذكية فأخبروها بمكان الشيخ وما يقرره فتعلقت بالتوحيد، وقذف الله في قلبها محبة دعوة الشيخ، فأخبرت زوجها بذلك وقالت له:

«إن هذا الرجل غنيمة ساقها الله لك فأكرمه وعظمه واغتنم نصرته».

واستجاب محمد بن سعود لنصيحة زوجته فذهب إلى الشيخ محمد في بيت ابن سويلم ورحب به وقال له:

«أبشر ببلاد خير من بلادك، فأبشر بالعز والمنعة».

فشرح له الشيخ دعوة التوحيد وقال له: وأنا أبشرك بالعز والتمكين. وتعاهد محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبدالوهاب على نصره الدين وجهاد من خالف التوحيد. واشترط محمد بن سعود عليه شرطين:-

الأول: أن لا يرتحل عنه اذا ما فتحت لهم البلدان، وأن لا يستبدل به غيره.

الثاني: أن لا يمانع الشيخ في أن يأخذ الحاكم وقت الشار ما اعتاد على أخذه من أهل الدرعية.

فعاهده الشيخ على الشرط الأول. أما الثاني فقال: «لعل الله أن يفتح لك الفتوحات فيعوضك من الغنائم ما هو خير منها». وحقق الله سبحانه وتعالى ما تمناه الشيخ الإمام.

لقد انتصرت الدعوة على خصوم الإسلام ، وأزيلت القباب وقطعت الأشجار، وخلصت العبادة لله تعالى، وأخذ الناس يعودون الى ربهم وخالقهم، واتسعت رقعة الإسلام وأمنت السبل والمسالك، وانقاد لدعوة التوحيد كل صعب من باد وحاضر.

عندها اعتزل الشيخ الأمر وجعله بيد عبدالعزيز بن محمد بن سعود، وفوض أمر المسلمين وبيت المال اليه. وانسلخ منها، ولزم العبادة وتعليم العلم؛ ولكن عبدالعزيز لم يكن يقطع أمرا دونه، ولا ينفذه إلا بإذنه.

يقول ابن غنام: (٢٣) ومع ما أفاض الله على بيت المال من الأموال التي كانت تجبي، فقد كان رحمه الله زاهدا متعقفا لا يأكل من ذلك المال الا بالمعروف.

وقد اختاره الله الى جواره في يوم الاثنين آخر شهر شوال سنة ست بعد المائتين والألف. وله من العمر نحو اثنين وتسعين عاما. رحمه الله رحمة واسعة، وأدخله فسيح جناته.

.....

---

(٢٣) رجعنا في هذه الترجمة الى كتاب روضة الأفكار لابن غنام، وعنوان المجد في تاريخ نجد لابن بشر.

## دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أصولها وأهدافها

الى أى شيء قام الشيخ الإمام يدعو الناس.. ؟  
أكانت دعوته دعوة للإصلاح والتجديد.. ؟  
أكانت دعوة لظهور مذهب جديد فى الإسلام.. ؟  
أم أنها كانت دعوة سياسية فى معترك السياسة الدولية.. ؟

وإذا لم تكن هذا ولا ذلك ، أتكون دعوة «خارجية» كما قال عنها بعض أعدائها ممن يطلقون القول على عواهنه، ولا يخافون فى الله لومة لائم..؟ (٢٤).

إننا والحق يقال لا نستطيع أن نطلق حكماً عاماً على هذه الدعوة، قبل أن نستقرئ سويًا أفكار رجالها، ونستوضح مبدئياً قواعدها، ونتعرف من خلال ذلك على منهجها الذى قامت تدعو الناس إليه.

ومن قبل هذا نحب أن نقرر أن هذه الدعوة فى إبان قيامها تعرضت - ككل الدعوات - لسيل جارف من الاتهامات الباطلة، ورمى صاحبها وأتباعه بأشياء كثيرة مسفة يعف القلم عن تسطيرها، أو الخوض فيها، لأنها من الضلال المبين.

ومن أجل ذلك انبرى الإمام لهؤلاء الأذعياء يرد كيدهم فى نحورهم، ويبين للأمة الإسلامية حقيقة ما يدعو إليه.

ومن استقرأنا لرسائله وكتبه، وما سطره أتباعه يتضح الأتى:-  
أنه ليس صاحب مذهب جديد يتمذهب به ويدعو الناس إليه.

(٢٤). قال هذه القولة: عبدالله بن حسن بن فضل فى كتابه «صدق الخبر فى خوارج القرن الثانى عشر».



يقول صاحب كتاب «قلب الجزيرة العربية»

«وقد أطلق على أهل نجد خطأ في القرن الماضي اسم الوهابيين ونسب اليهم أنهم أهل مذهب جديد في الإسلام الا أن الحقيقة الآن أصبحت معروفة للناس».

«فأهل نجد سلفيون يقلدون في المسائل الاجتهادية الإمام أحمد بن حنبل ، وقد كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الماضي دعوة إصلاحية خالصة لوجه الله ، سداها ولحمتها الدعوة الى الرجوع الى الإسلام الصحيح، وترك البدع، وهدم معالم الشرك والخرافات والأوهام.

«وأما نسبة المذهب الجديد اليهم فقد حدث بسبب اختلاط الدعاية التي بثت ضدهم بعناصر سياسية ، بقصد تفتير الناس منهم، وعدمه خارجين على الإسلام، إلا أنهم مسلمون ، سنيون ، موحدون، سلفيو العقيدة، خالصو الإيمان<sup>(٢٥)</sup>.

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

«إنني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيا ملة ابراهيم حنيفا، وما كان من المشركين . ولست والله الحمد - أدعو الى مذهب صوفي أو فقيه أو متكلم ، أو امام من الأئمة الذين أعظمهم، مثل: ابن القيم، والمذهبي، وابن كثير وغيرهم: بل أدعو الى الله وحده لا شريك له، وأدعو الى سنة رسول الله - صلى الله عليه وسلم»<sup>(٢٦)</sup>.

وإذا لم يكن صاحب مذهب جديد في الإسلام، أكان يريد بدعوته أن يكون له باع طويل هو وأتباعه - في معترك السياسة والأطباع، بمعنى أنه يريد ملكا أو يتطلع إلى سلطان؟.

إن السائح الأسباني المستشرق «أرمانو» والذي عاش فترة طويلة في أرض نجد ينفي هذا الأمر بشدة بقوله:

(٢٥) قلب الجزيرة العربية - للاستاذ فؤاد حمزة ص ٩٧.

(٢٦) انظر كتاب الدرر السنية في الأجوبة النجدية ج ١ ص ١٧ - ٢٨ وتاريخ نجد للشيخ حسين غنام ص

«إن كل ما ألصق بالوهابية من سفاسف وأكاذيب لا صحة له على الإطلاق.

فالوهابيون قوم يريدون الرجوع بالاسلام الى عصر صحابة محمد - صلى الله عليه وسلم - ، وانما ينقصهم للوصول إلى أهدافهم المقدسة رجال متنورون مثقفون، وهم ويا للأسف قلائل في هذه الديار»<sup>(٢٧)</sup>

وما دام الأمر كذلك فلن تكون هذه الدعوة امتدادا لدعوة الخوارج، الذين خلعوا طاعة الإمام الحق، وأعلنوا عصيانهم ، واستباحوا الحرمات. وعلما الشريعة يسمونهم «البعثة».

وإذا انتفى عن الدعوة كل ذلك، فلم يبق الا أنها دعوة صادقة للعودة الى دين الله، كما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم.

إنها دعوة تريد للناس، كل الناس في الأرض قاطبة، أن يعودوا الى التوحيد الخالص ، ونبذ صنوف الشرك وأعمال الجاهلية.

فليست هي دعوة محلية تختص بفئة دون فئة. وليست دعوة وطنية تعمل لصالح وطن معين على حساب بقية الأوطان الأخرى، وإنما هي دعوة الإسلام، الدعوة العالمية ، الدعوة الشاملة العامة.

يقول الإمام محمد بن عبد الوهاب:

«مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السلف، التي هي الطريق الأسلم والأعلم والأحكم، خلافا لمن قال: طريقة الخلف أعلم.

«وهي أنا تفرآيات الصفات وأحاديثها على ظاهرها ونكل علمها الى الله تعالى مع اعتقاد حقائقها، فإن مالكا-وهو من أجل علماء السلف - لما سئل عن الاستواء في قوله تعالى:

(٢٧) بين الديانات والحضارات - للأستاذ طه المدور ص ١٤٢.

(الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى) (٢٨).

قال: الاستواء معلوم، والكيف مجهول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة.

ونعتقد أن الخير والشر كله بمشيئة الله تعالى، ولا يكون في ملكه الا ما أراد، فإن العبد لا يقدر على خلق أفعاله: بل له كسب رتب عليه الثواب فضلا والعقاب عدلا.

ونحن في الفروع على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولا ننكر على من قلد أحد الأئمة الأربعة دون غيرهم، لعدم ضبط مذاهب الغير كالرافضة ونحوهم، لا نقرهم ظاهرا على شيء من مذاهبهم الفاسدة: بل نجبرهم على تقليد أحد الأئمة الأربعة.

ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق، ولا أحد يدعيه: الا أنا في بعض المسائل اذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا مخصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة، أخذنا به وتركنا المذهب كإرث الجد والأخوة، فإننا نقد الجد بالارث وان خالفه مذهب الحنابلة.

ولا نفتش على أحد في مذهبه ولا نعترض عليه الا اذا اطلعنا على نص جلي مخالف لمذهب أحد الأئمة. ولا مانع من الاجتهاد في بعض المسائل دون بعض، ولا مناقضة لعدم الاجتهاد المطلق. وقد سبق جمع من أئمة المذاهب الأربعة الاختيارات لهم في بعض المسائل مخالفة للمذهب الملتزمين تقليد صاحبه». (٢٩).

هذه خلاصة وافية مركزة للدعوة التي قامت على أرض نجد في القرن الثاني عشر الهجري، ويتضح من هذا النص الذي طال بعض الشيء، والذي تعمدنا أن يأتي على هذه الصورة. أن الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - وأتباعه كانوا على مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين. فما مذهب أهل السنة والجماعة في أصول الدين.. ؟

(٢٨) سورة طه - آية رقم ٥.

(٢٩) الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية: جمع الشيخ سليمان بن سحمان ص ٣٨.

إن مذهبيهم هو التوحيد، التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله تعالى في محبته وخوفه. في رجائه ودعائه. في الاستغاثة به والتوكل عليه.

وإخلاص العبادة لله: أن يكون الدعاء له تعالى كما في قوله:

(وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾). (٣٠).

وقال تعالى :

( وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ ). (٣١).

وقال تعالى:

(وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ ۖ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً ۖ وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦٦﴾) (٣٢).

وقال تعالى

(قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ ۗ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ

(٣٠) سورة يونس - آية رقم ١٠٦.

(٣١) سورة الجن - آية رقم ١٨.

(٣٢) سورة الأحقاف - آية ٥٠، ٦٠.

أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ  
مَحْدُورًا ﴿٥٧﴾ (٣٣).

عن عبد الله بن مسعود قال: نزلت هذه الآية في نفر من العرب كانوا يعبدون نفرا من  
الجن فأسلم الجنيون والإنس الذين كانوا يعبدونهم لا يشعرون بإسلامهم، فنزلت هذه  
الآية.

والآية خطاب لكل من دعا من دون الله مدعوا، وذلك المدعو يبتغي الى الله  
الوسيلة، ويرجو رحمته، ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتا أو غائبا من الأنبياء والصالحين  
فقد تناولته هذه الآية.

وأن تكون الصلاة والنسك والمحيا والمهات لله تعالى، قال تعالى:

(قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٦﴾ لَا شَرِيكَ  
لَهُ ۗ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٦﴾) (٣٤).

وأن تكون الشفاعة لله ، وبإذنه، ومنه تطلب قال تعالى:

(قُلْ لِلَّهِ الشَّفَعَةُ جَمِيعًا) (٣٥).

وقال تعالى :

«وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ  
ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ كُرِّ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ  
لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾» (٣٦).

(٣٣) سورة الاسراء - آية رقم ٥٦، ٥٧

(٣٤) سورة الأنعام - آية رقم ١٦٢، ١٦٣.

(٣٥) سورة الزمر - آية رقم ٤٤

(٣٦) سورة الأنعام - آية رقم ٩٤

وطلب الشفاعة من غير الله تعالى في هذه الدار زعم بعدم تعلقها بالإذن من الله والرضا عن المشفوع له.

وقال تعالى :

( مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ ۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣٧﴾ ) .

وقال تعالى :

( وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٣٨﴾ ) .

وأندر به هؤلاء الذين يخافون أن يحشروا الى ربهم، حالة أن ليس من دونه ولي ينصرهم، ولا شفيع يخلصهم. ذلك أنه ما من شفيع يشفع عند الله الا باذنه وهو لا يشفع يومئذ - بعد الإذن - الا لمن ارتضى الله أن يتشفع عند الله فيهم.

فهؤلاء الذين تستشعر قلوبهم خوف ذلك اليوم الذي ليس فيه من دون الله - ولي ولا شفيع، أحق بالإندار، وأسمع له، وأكثر انتفاعا به، لعلهم أن يتوقوا في حياتهم الدنيا ما يعرضهم لعذاب الله في الآخرة. وأن يكون النذر لله تعالى لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم: «من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصيه فلا يعصيه» رواه البخارى.

وأن يكون الحلف بالله تعالى لقول الرسول - صلى الله عليه وسلم : «من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك» رواه الترمذى فى النذور والنسائى فى الأيمان وابن ماجه فى الكفارات .

ومذهب أهل السنة فى الصفات: «أن يوصف الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه

(٣٧) سورة السجدة - آية رقم ٤

(٣٨) سورة الأنعام - آية رقم ٥١.

رسوله - صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وسلم - من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف ولا تمثيل.

ومذهب السلف هذا، ليس مذهب الحنابلة فقط، أو الإمام ابن تيمية أو الشيخ محمد ابن عبد الوهاب؛ بل هو مذهب أئمة الإسلام قاطبة: الإمساك عن التأويل مطلقاً مع نفي التشبيه.

فالأئمة: أبو حنيفة، ومالك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، ومحمد بن الحسن، وإبراهيم ابن اسحاق الحربي، وعبدالله بن المبارك، وسفيان الثوري، ومحمد بن اسماعيل البخاري، والترمذي، وأبو داود السجستاني، وغيرهم كلهم كانوا على هذا المسلك.<sup>(٣٩)</sup>

ويقول الإمام عبدالعزيز الأول ابن الامام محمد بن سعود - رحمه الله: .. فنحن انما ندعو الى العمل بالقرآن العظيم والذكر الحكيم الذي فيه الكفاية لمن اعتبر وتدبر، وبعين بصيرته نظر وفكر.

فإنه حجة الله وعهده، ووعدته ووعيده، وأمانته وقدره، ومن اتبعه عاملاً بما فيه جدده، وعلا مجده، وأثار رشدته، وبان سعده، والتوحيد ليس هو محل الاجتهاد فلا تقليد فيه ولا عناد.

ولا نكفر الا من أنكر أمرنا هذا ونهينا، فلم يحكم بما أنزل الله من التوحيد بل حكم بضده الذي هو الشرك الأكبر الذي لا يغفر.<sup>(٤٠)</sup>

إذن هذه الدعوة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب هي دعوة إلى القرآن.

هي دعوة إلى العمل بالقرآن العظيم. القرآن الذي يهدي للتي هي أقوم.

(٣٩) جلاء العينين في محاكمة الأحمدين للشيخ / نعمان خير الدين الألوبي ص ٢١٢.

(٤٠) الهدية السننية ص ١٢.

يهدي للتي هي أقوم بالعقيدة الواضحة البسيطة التي لا تعقيد فيها ولا غموض،  
والتي تحرر الروح من أثقال الوهم والخرافة.

يهدي للتي هي أقوم في عالم العبادة بالموازنة بين التكليف والطاقة، فلا تشق  
التكاليف على النفس حتى تمل وتيأس من الوفاء، ولا تسهل وترخص حتى تشيع في  
النفس الرخاوة والاستهتار، ولا تتجاوز القصد والاعتدال وحدود الاحتمال.

فدعوة الإمام هي دعوة القرآن، القرآن الذي قال الله فيه.

( وَزَلَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى

لِّلْمُسْلِمِينَ ) (٤١)

وقال تعالى:

( فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى

﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

أَعْمَى ﴿١٢٤﴾ ) (٤٢)

قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن واتبع ما فيه أن لا يضل في الدنيا ولا  
يشقى في الآخرة .

وروى مالك في الموطأ أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم قال: «تركتم فيكم  
أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما: كتاب الله وسنة رسوله».

وعن أبي الدرداء - رضي الله عنه - أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال:  
«لقد تركتكم على مثل البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلا هالك» (٤٣)

(٤١) سورة النحل - آية رقم ٨٩.

(٤٢) سورة طه - آية رقم ١٢٣، ١٢٤.

(٤٣) الحديث رواه ابن ماجه في المقدمة ١ - ٦، ورواه أحمد بن حنبل ٤ - ١٢٦.



ونستطيع بعد هذا العرض السريع أن نلخص أغراض الدعوة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب.

أولا : الدعوة إلى القرآن الكريم .

ثانيا : التزام السنة النبوية في كل ما أتى وما تدع.

ثالثا : اتباع مذهب أهل السنة والجماعة.

رابعاً: محاربة البدع وأنواع الشرك الذي يتمثل في عبادة القبور والاستغاثة بغير الله تعالى، وإنقاذ الناس من أساليب الجاهلية الأولى التي أخذت تتفشى في المجتمع الإسلامي من بداية القرن الثامن الهجري، وشجب أنواع التصوف الفلسفي وترهات الدراويش، والمشعوذين، وسدنة القبور .

يقول لوثرروب ستودارد: والدعوة الوهابية إنما هي دعوة اصلاحية خالصة غرضها إصلاح الخرق، ونسخ الشبهات ، وإبطال الأوهام، وتقصي التناسير المختلفة والتعاليق المتضاربة التي وضعها أربابها في عصور الإسلام الوسطى، ودحض البدع وعبادة الأولياء» (٤٤)

أليس هذا هو الاسلام في حقيقته كما جاء به الوحي المقدس كتابا وسنة...؟  
وإذا كان ذلك كذلك. فماذا يأخذ عليه المبطلون...؟  
أيقولون : بأنه صاحب بدعة.. ؟

إن صاحب الدعوة - رحمه الله - لم يبتدع شيئا. لأنه خصم لدود للبدعة. ولم يضيف جديدا لما جاء به الرسول - صلى الله عليه وسلم - ولا يستطيع ذلك إذا أَرَادَهُ ، لأنه عليه الصلاة والسلام لم يترك الدنيا حتى كمل الدين ، وتمت النعمة.

---

(٤٤) كتاب حاضر العالم الاسلامي ج ١ ص ٢٦٤.

قال تعالى :

(الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ  
الْإِسْلَامَ دِينًا) (٤٥).

يقول أحد المفكرين: «إن ما جاء به محمد بن عبد الوهاب هو الدعوة إلى الإسلام كما جاء به النبي خالصا لله وحده، ملغيا كل واسطة بين الله وبين الناس، هو إحياء للإسلام وتطهير له مما أصابه من نتائج الجهل ومن نتائج الاختلاط». (٤٦).

ويقول المستشرق البلجيكي «دوزي»:

ان «لوثر» المصلح «البروتستانتى» ثار على السفاسف التى أدخلت على دينه، والوهابى محمد بن عبد الوهاب ثار ايضا نفس الثورة على البدع التى أدخلت على دينه» (٤٧).

وقال العالم الأزهرى الكبير الشيخ «أبو الهدى الصعيدى» عام ١٨١٥م بعد أن انتهى من مناظرة قامت بينه وبين بعض علماء الوهابيين بأمر محمد علي والى مصر فى ذلك الحين:

«إذا كانت الوهابية كما سمعنا وطالعنا فنحن ايضا وهابيون» (٤٨).

نطق هذا العالم بكلمة الحق. ولم يخش بطش الوالى المتسلط الذى كسب الأفواه وسلط على أتباع هذه الدعوة جنوده وفتكه وناره: لأن قوة هذا الوالى مبتوتة الصلة عن القوة العليا قوة الله سبحانه وتعالى، فهى لا تخيف ولا ترهب.

(٤٥) سورة المائدة - آية رقم ٢.

(٤٦) من محاضرة عن جزيرة العرب للدكتور طه حسين.

(٤٧) بين الديانات والحضارات للأستاذ طه المدور ص ١٤٢.

(٤٨) المصدر السابق.

وأیضا فان هذا العالم تأدب بأدب الرسول - صلى الله عليه وسلم وتربى في رحاب سنته التي ترى:

«أن أفضل الجهاد كلمة الحق عند سلطان جائر»<sup>(٤٩)</sup>.

وكان الوجود كله قد أخذ يردد في تلك اللحظة كلمة هذا الشيخ المزمّن لصادق الإيمان.

إذا كانت الوهابية - كما سمعنا . دعوة للإسلام، دعوة للتوحيد الخالص. ثورة على الشرك والوثنية، وإعصارا على الضلال والبهتان ، فكنا مسلمون، كلنا مؤمنون، كلنا خلف دعوة محمد بن عبد الوهاب . التي هي دعوة الإسلام ، دعوة محمد بن عبد الله - صلى الله عليه وسلم.

ونقول: إذا كان ذلك كذلك.. فلماذا قامت الدنيا ولم تقعد ؟ ولماذا تقولوا على الدعوة الأقاويل ؟ ورموا صاحبها بالمروق عن الإسلام.. ؟ وأعلنت الحرب الضروس التي لا تبقى ولا تذر.. ؟

للإجابة على ذلك: علينا أن نقطع شوطا اخر في البحث.

---

(٤٩) الحديث أخرجه أبو داود في الملاحم ١٧ والترمذی في الفتن ١٣، والنسائي في البيعة ٣٧، وابن ماجة في الفتن ٢٠، وأحمد بن حنبل ٣: ١٩.

## الشبهات والافتراءات التي أثرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

قل أن نجد عالماً ممن سبق الشيخ محمد بن عبد الوهاب أو ممن لحقوا به، كانت له مقالة في أصول الدين، اتفق الناس على رأى واحد فيه، بل قل أن نجد عالماً كان ذا مكانة في عصره تقاربت آراء الناس في علمه وفضله وعقيدته.

وكثيراً ما نجد القائلين في هؤلاء الأعلام علي طرفي نقيض: فبينما يعد بعضهم العالم في أولياء الله المقربين. يصفه آخرون بأنه من أعداء الله المبغدين عن رحمته.

ولا شك أن الخلاف بين الفرق في الرأى، وبين الطوائف في السياسة، وبين أصحاب المذاهب الفقهية في الفروع، كان له آثار بعيدة المدى في الحكم على الموافق والمخالف، إلا من عصم الله من الشرود مع الهوى، والخضوع للعصبية المقيتة.

ومن هنا وجدنا الأحكام على علمائنا مختلفة أشد الاختلاف: بل متباينة أشد التباين، ومؤسفة أشد الأسف.

فابن جرير الطبرى مثلاً: يقال فيه. من أراد أن يسمع القرآن كما أنزل فليسمع هذا الكتاب - يعني كتابه في التفسير.

ويقال: كان أبو جعفر من الفضل والعلم والذكاء والحفظ على ما لا يجهله أحد عرفه، لجمعه من علوم الإسلام ما لم نعلمه اجتمع لأحد من هذه الأمة... ولكن بعض الطوائف في بغداد لما حضروا مجلسه، وسمعوا منه بعض ما حدث به وثبوا ورموه بمحابرهم، وكانت ألوفاً، فقام ودخل داره، فرموا داره بالحجارة، حتى صار على بابه كالتل العظيم.

ويقال: إنه دفن بليل خوفا من العامة ، لأنه كان يتهم بالتشيع (٥٠)

وأبوبكر الباقلاني صاحب كتاب «إعجاز القرآن» في رأى ابن خلكان «أوحد زمانه، وانتهت اليه الرياسة في مذهبه، فكان موصوفاً بجودة الاستنباط وسرعة الجواب».

وفيه يقول الخطيب البغدادي: كان الباقلاني ثقة، وأما الكلام فكان أعرف الناس به، وأحسنهم خاطراً، وأجودهم لساناً، وأصحهم عبارة.

ويقول ابن تيمية في حقه:

«هو أفضل المتكلمين المنتسبين إلى الأشعري، ليس فيهم مثله، لا قبله ولا بعده».

ويصفه أبو حاتم الطبري فيقول: إن ما كان يضره من الورع والديانة والزهد والصيانة أضعاف ما كان يظهره.

ولكن هذا الإمام الزاهد الورع عند ابن حزم الظاهري مظلم الجهالة من أهل الضلالة ، كافر ، أصلع الكفر، مشرك يقدر في النبوات، ملحد خبيث ملعون فاسق، أحمق، يكد للإسلام ويستخف به.

وكل ذنبه عند ابن حزم أنه قال في داود الظاهري :  
«أنه خالف الإجماع في قوله بإبطال انقياس».

والباقلاني: عند أبي حيان التوحيدى: على مذهب الخرمية، وطرائق الملحدة. وعند أبي حامد الإسفراييني: مبتدع يدعو الناس الى الضلالة.

وابن تيمية عند جماعة المسلمين شيخ الإسلام وإمام المسلمين في عصره، قامع الكفر والردة، وهازم التتار والصليبية، وكاشف فضائح الباطنية وكل المذاهب الهدامة، والمدافع عن كتاب الله تعالى وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم.

---

(٥٠) الفخر الرازى د. على العمارى .

وعند النبهاني وأتباعه: مجسم، مشبه، شق العصا، وشوش عقائد المسلمين بسبب ما اختاره من عدم جواز دعاء غير الله والاتجاه الى ما سواه، وأن الله لم يبارك في كتبه فلم ينتفع بها أحد من المسلمين، وأن العلماء اتفقوا على حبسه الحبس الطويل.

وهكذا قال ايضاً ابن حجر في الجوهر المنتظم وفي فتاواه، وقاله السبكي في بعض كتبه. (٥١)

والفخر الرازي يقول عنه موفق الدين، أبو العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدي، الخزرجي المشهور بابن أبي أصيبعة في كتابه عيون الأنبياء بأخبار الأطباء:

«أفضل المتأخرين، وسيد الحكماء المحدثين قد شاعت سيادته، وانتشرت في الآفاق مصنفاته وتلامذته. كان الناس يقصدونه من البلاد، ويهاجرون من كل ناحية على اختلاف مطالبهم في العلوم وتفننهم فيما يشتغلون به، فكان كل منهم يجد عنده النهاية القصوى فيما يرومه منه. قوى النظر في صناعة الطب، وله شعر بالفارسي والعربي».

وابن خلكان من المعجبين بالرازي، ومن قوله فيه:  
«فاق أهل زمانه في علم الكلام والمعقولات، وعلوم الأوائل، وتصانيفه مفيدة في فنون عديدة، منها تفسير القرآن الكريم جمع فيه كل غريب وغريبة».

والإمام الذهبي يقول عنه في ميزان الاعتدال:  
«له تشكيكات على مسائل من دعائم الدين تورث حيرة. نسأل الله أن يشيت الإيمان في قلوبنا». (٥٢).

(٥١) غاية الأمان في الرد على النبهاني : محمود شكرى الألويسي ص ٤١.

(٥٢) ميزان الاعتدال : للإمام الذهبي.

والامام الذهبي محق فيما ذهب اليه : لأن الإمام أحمد بن حنبل أنكر على المحاسبي أن يورد شبه المتدعة.

فقال له الحارث المحاسبي: الرد على المتدعة فرض.  
فقال أحمد: نعم. ولكنك حكيت شبهتهم أولاً ثم أجبت عنها، فلم يؤمن أن يطالع الشبهة من تعلق ذلك بفهمه ولا يلتفت الى الجواب، أو ينظر الى الجواب ولا يفهم حقيقته.

فابن حنبل ينكر على المحاسبي مجرد حكايته للشبهة، فما بالنا بمن يقرها ويبالغ في تقريرها..؟ (٥٣).

لا غرو أن جرت على الإمام محمد بن عبد الوهاب هذه السنة التي عرفها الناس منذ نشأ الجدل والمناظرة والاختلاف في المذاهب والعقائد.

وإذا كان ذلك كذلك فإنه يطيب لنا أن نقدم بين يدي القارىء مجموعة الشبهات والادعاءات التي أثارها الأعداء والحاقدون على دعوة الشيخ ولينين ما في هذه الشبهات من تهافت وانحراف عن الطريق السليم الذي سلكه هؤلاء الأعداء.

### ١ - شبهة ادعاء النبوة:

يقول الزهاوى العراقي: وكان محمد هذا بادي بدأته كما ذكره بعض المؤلفين ، مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا، كمسيلمة الكذاب، وسجاح، والأسود العنسي ، وطليحة الأسدى وأضراهم ، فكان يضرر في نفسه دعوى النبوة الا أنه لم يتمكن من إظهارها (٥٤).

(٥٣) الفخر الرازى : للدكتور علي محمد حسن العمارى.

(٥٤) الضياء الشارق ص ٢٥ - ونحب أن نقول إن أخبار مسيلمة وسجاح وغيرهم وما حل بهم من غضب الله لا يشجع أحدا على الاقتداء بهم أو التمثل بأباطيلهم وكل ذلك كذب وادعاء على الشيخ.

ويردد غير الزهاوى قولته بقوله:

«لقد كان الرجل في الحقيقة يريد أن يدعي النبوة الا أنه تستر»  
ويأخذ الشيخ «أحمد زيني دحلان» هذا الاتهام نفسه ويضعه في كتاب له بقوله:

«والظاهر من حال محمد بن عبد الوهاب أنه يدعي النبوة الا أنه ما قدر على إظهار التصريح بذلك»<sup>(٥٥)</sup>.

ويقول علوى بن أحمد الحداد في كتابه (مصباح الأنام وجلاء الظلام) «من ذلك أنه يدعي باطنا أنه أتى بدين جديد كما يظهر من قرائن أحواله وأقواله، ولذلك لم يقبل من دين نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - الا القرآن، فإنه قبله ظاهرا فقط لثلا يعلم الناس حقيقة أمره، فينكشفوا عنه بدليل أنه هو وأتباعه انما يؤولون بحسب ما يوافق هواهم لا بحسب مافسره النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه والسلف الصالح وأئمة التفسير»  
فانه لا يقول بذلك كما أنه لا يقول بما عدا القرآن من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم... الخ»<sup>(٥٦)</sup>.

والمتفحص لهذه الادعاءات والمفتريات يرى اتفاقها جميعا، على أن ادعاء النبوة عند الشيخ محمد بن عبد الوهاب كان إضماراً في داخله، ولم يصرح به لأحد مطلقا.

هذا هو المفهوم من كلامهم. ولا يمكن أن يفهم غير ذلك.

وتقول: اذا كان ذلك كذلك وأن الشيخ أضمر النبوة في نفسه ، ولم يتمكن - كما يقول الأدعياء - من اظهارها. فمن أطلعهم على هذا الشيء المضمّر... ؟ هل أوحى الله اليهم بما في سرائر العباد...؟ فإن قالوا نعم، فهم الأدعياء حقا. وتكون قولتهم هذه امتدادا لما قاله مسيلمة وسجاح وكل المردة أتباع الشياطين.

(٥٥) الدرر السنية ص ٤٦.

(٥٦) الأسنة الحداد في رد شبهات علوى الحداد ص ٢٠.



وإذا لم تكن هذه. أتراهم اطلعوا على الغيب وقرأوا ما في اللوح المحفوظ كما كان يدعي بعضهم، فإن كان هذا هو حالهم. خرجوا عن ملة الإسلام وألحقوا بإخوانهم في الجاهلية من الكهان وأدعياء البهتان لأن الغيب لا يعلمه إلا الله .

قال تعالى.

( عَالِمِ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ أَحَدًا ) (٥٧)

فلم يبق إلا الاحتمال الثالث. وهو أن هؤلاء الأدعياء من أصحاب الهوى والغرض، ومن أتباع الضلال والمنكر. يعشقون الظلام الذي يستر سواتهم - ظلام الكفر والفسوق والعصيان، وينفرون من النور - نور الإيمان والإحسان - الذي يكشف مبادئهم، ويظهر إسفافهم وصدق ربي في قوله:

( يَرِيدُونَ لِيطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ ؕ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ) (٥٨)

والقارىء لرسائل الشيخ ومصنفاته وما عرف واشتهر من أمر دعوته يعلم أنه كان على ما كان عليه السلف الصالح وأئمة الدين أهل الفقه والفتوى في باب معرفة الله وإثبات صفات كماله، وتعرف جلاله، والإلزام بكل ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم.

ويقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالته الى السويدي، عالم من أهل العراق، وكان قد أرسل له كتابا وسأله عما يقول الناس فيه:

«أخبرك أنني ولله الحمد - متبع ولست بمبتدع عقيدتي ودينى الذى أدين الله به مذهب أهل السنة والجماعة، الذى عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم الى

(٥٧) سورة الجن - آية رقم ٢٦.

(٥٨) سورة الصف - آية رقم ٨.

يوم القيامة، لكني بينت للناس إخلاص الدين لله، ونهيتهم عن دعوة الأحياء والأموات من الصالحين وغيرهم، وعن إشراكهم فيما يعبد الله به من الذبح والنذر والتوكل والسجود، وغير ذلك مما هو حق الله الذي لا يشركه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل، وهو الذي دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو الذي عليه أهل السنة والجماعة» (٥٩).

وإذا كان ذلك كذلك. فلماذا هذه الادعاءات...؟

ونقول: إنه الحسد، نعم الحسد الذي يملأ قلوب هؤلاء الأعداء، فهو كامن في نفوسهم، ومستقر بين أفئدتهم وإذا تمكن من إنسان أعماه، وأصم أذنيه عن سماع الحق.

وهل منع إبليس من السجود لآدم إلا داء الحسد..؟! وهو أيضا الداء الذي منع اليهود من الإيمان بعبسى عليه السلام. ومنع أبا جهل من الاستجابة لدعاء الإسلام...

وملاً قلب عبدالله بن أبى سلول بالغيظ والحقد على محمد - صلى الله عليه وسلم وأتباعه، ولقد كشف القرآن الكريم نفاقه ومن كان معه بقوله:

( إِذَا جَاءَكَ الْمُنْفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنْفِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿٦٠﴾ )

وكان التاريخ يعيد نفسه، فلقد كشف الله أعداء الدعوة ورد كيدهم في نحورهم.

## ٢ - شبهة ادعاء الاجتهاد المطلق:

يتضح من استقراء الحوادث في عصر الشيخ أن أحدا لم يستمع للأدعياء عندما قالوا: إن محمد بن عبد الوهاب يدعى النبوة أو جاء بدين جديد فانصرفوا عن ذلك وقالوا: بأن محمد بن عبد الوهاب يدعى الاجتهاد المطلق.

(٥٩) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام حرره وحققه الدكتور ناصر الدين الأسد ص ٣٥٩.

(٦٠) سورة المنافقين - آية رقم ١.

ويقول النبهاني في رسالته التي سماها (السهام الصائبة) لأصحاب الدعاوى الكاذبة: «إن دعوى الاجتهاد في هذا الزمان - منهم ومن غيرهم مها كان عالما هي دعوى كاذبة لا يلتفت اليها ولا يعول عليها وقال: «لقد ذكرت في كتابي (حجة الله على العالمين) الرد على من يدعى الاجتهاد في هذا الزمان (٦١)».

ونقول: اختلف الاصوليون: هل يجوز خلو الزمان من مجتهد أم لا..؟ فمنهم من قال: يجوز بل يقع..

ومنهم من قال: لا يجوز استدلالا بقول الرسول - صلى الله عليه وسلم: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله» (٦٢).

يقول ابن القيم (٦٣) رحمه الله:

«إن المقلدين حكموا على الله قدرا وشرعا بالحكم الباطل جهارا، المخالف لما أخبر به رسول الله - صلى الله عليه وسلم، فأخلوا الأرض من القائمين لله بحججه.

وقالوا: لم يبق في الأرض عالم منذ الأعصار المتقدمة، وعند هؤلاء أن الأرض لم يبق فيها من يتكلم بالعلم، ولم يحل لأحد بعد أن ينظر في كتاب الله، ولا سنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - لأخذ الأحكام منها، ولا يقضي ولا يفتي بما فيها، حتى يعرضه على قول مقلده، ومتبوعه، فإن وافقه حكم به وأفتى به، وإلا رده ولم يقبله.

ويقال لهم: هب أنكم لم تصلوا الى هذا العنقود فلم تنكروا على من وصل اليه مذاق حلاوته..؟

وكيف تحجرتكم الواسع من فضل الله الذي ليس على قياس عقول العالمين ولا اقتراحاتهم..؟

(٦١) غاية الأمانى ص ٥٩ .

(٦٢) سبق تخريج هذا الحديث ص ٢٦ -

(٦٣) أعلام الموقعين لابن القيم.

وهم وان كانوا في عصركم ونشأوا معكم وبينكم وبينهم نسب قريب فالله يمين على من يشاء من عباده، وقد أنكر الله سبحانه على من رد النبوة: بأن الله صرفها عن عطاء القرى وعن رؤسائها وأعطائها لمن ليس كذلك بقوله:

«أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ» (٦٤).

وقد قال النبي - صلى الله عليه وسلم:  
«مثل أمتي كالمنطق، لا يدرى أوله خير أم آخره». (٦٥).

وقد أخبر سبحانه أنه: «هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ» (٦٦).

وقال: «وَأَخْرَجْنَا مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» (٦٧).  
ثم أخبر أن (ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ) (٦٨).

وإذا كان ذلك كذلك فهل ادعى الشيخ محمد بن عبد الوهاب الاجتهاد المطلق كما يقول هؤلاء الأعداء؟

(٦٤) سورة الزخرف - آية رقم ٣٢.

(٦٥) الحديث رواه الترمذى فى الأدب رقم ٩١ بزيادة مثل المنطق.

(٦٦) الجمعة - آية رقم ٢

(٦٧) الجمعة - آية رقم ٣

(٦٨) الجمعة - آية رقم ٤.

يقول أبوالمعالى محمود شكرى الألوسى:

«إن نسبة دعوى الاجتهاد إلى الوهابية - وهم على زعمه من كان موافقا للشيخ محمد ابن عبد الوهاب فى الاعتقاد - افتراء وكذب وبهتان عليهم. فإن أهل نجد كلهم على مذهب الإمام أحمد بن حنبل - رضى الله عنه - مقلدون له فى فروع الأحكام، وموافقون له فى أصول الدين وعقائده»<sup>(٦٩)</sup>.

ويقول الإمام محمد بن عبد الوهاب:

«ولا نستحق مرتبة الاجتهاد المطلق ولا أحد منا يدعيها، الا أننا فى بعض المسائل إذا صح لنا نص جلي من كتاب أو سنة غير منسوخ ولا منحصص ولا معارض بأقوى منه، وقال به أحد الأئمة الأربعة أخذنا به، وتركنا المذهب، كإرث الجد والأخوة فإننا نقدم الجد بالإرث وإن خالفه مذهب الحنابلة»<sup>(٧٠)</sup>.

أعتقد أن قول الإمام قد قطع الطريق أمام كل مكابر بالباطل لهوى فى نفسه أو مرض فى قلبه..

وإذا كان اختلاق الدعوى الكاذبة لا يجدى هؤلاء الأذعياء فتيلًا. فلماذا تقولون لقد قالوا: بأنه يدعي النبوة، وعرف القاصي والداني فى كل مصر أنها دعوى باطلة ولدت ميتة، ولم تجد أذانا صاغية تستمع إليها أو تصدق بها. وقالوا: بأن هذه الجماعة وصاحبها يدعون الاجتهاد المطلق، فرد الله كيدهم فى نحورهم، ولم يكن نصيب هذه الدعوى من الحياة والانتشار بأكثر من نصيب الأولى التى قبرت فى مهدها.

فماذا يفعل الأذعياء: إنه لا زال فى جعبتهم الكثير وقائدهم إبليس يزورهم القول ويحسن لهم الإفك.. ويدفعهم دفعا الى سوق الضلال. فماذا تراهم قائلون..؟ لقد قالوا إنهم من الخوارج..

(٦٩) غاية الأمانى ص ٦٠.

(٧٠) الهدية السنية ص ٣٩.

### ٣ - شبهة ادعاء أنهم من الخوارج:

يقول الزهاوي: قد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - عن هؤلاء الخوارج في أحاديث كثيرة، فكانت من أعلام نبوته عليه الصلاة والسلام، لأن فيها إخبارا بالغيب. فمنها قوله عليه الصلاة والسلام: «الفتنة من هنا وأشار الى المشرق». وقوله صلى الله عليه وسلم: «يخرج أناس من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية لا يعودون فيه حتى يعود السهم إلى فوقه» يعنى موضع الوتر «سياهم التحليق» وفي رواية زيادة على ذلك. «هم شر الخليفة طوبى لمن قتلهم أو قتلوه يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء».

وقوله عليه السلام: اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا، قالوا يا رسول الله وفي نجدنا..؟ قال: هناك الزلازل والفتن وبها يطلع قرن الشيطان».

وقوله صلى الله عليه وسلم «سياهم التحليق» تنصيص على هؤلاء القوم الخارجين من المشرق التابعين لمحمد بن عبد الوهاب فيما ابتدعه» (٧١).

ويقول ابن دحلان في كتابه «فتنة الوهابية»:

«وكثير من أحاديث النبي - صلى الله عليه وسلم - فيها التصريح بهذه الفتنة. كقوله صلى الله عليه وسلم: «يخرج أناس من قبل المشرق يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الدين كما يرق السهم من الرمية سياهم التحليق».

وهذا الحديث جاء بروايات كثيرة بعضها في صحيح البخارى، وبعضها في غيره، ولا حاجة لنا إلى الإطالة بنقل الروايات.

ففي قوله سياهم التحليق تصريح بهذه الطائفة ، لأنهم كانوا يأمرؤن كل من اتبعهم أن يخلق رأسه، ولم يكن هذا الوصف لأحد من طوائف الخوارج والمبتدعة الذين كانوا قبل زمن هؤلاء.

(٧١) راجع الضياء الشارق ص ٤٨ .

وكان السيد عبدالرحمن الأهدل مفتي زبيد يقول: لا حاجة الى التأليف في الرد على الوهابية: بل يكفي في الرد عليهم قوله صلى الله عليه وسلم: «سياهم التحليق». فإنه لم يفعله أحد من المبتدعة غيرهم، واتفق مرة أن امرأة أقامت الحجة على ابن عبدالوهاب لما أكرهوها على اتباعهم ففعلت.  
[عندها] أمرها أن تحلق رأسها.

فقالت له: «حيث أنك تأمر المرأة بحلق رأسها ينبغي لك أن تأمر الرجل بحلق لحيته، لأن شعر رأس المرأة زينتها وشعر لحية الرجل زينته.  
فلم يجد لها جواباً». (٧٢).

ونقول: إن الأذعياء كادت جعبتهم تفرغ من الافتراءات والأكاذيب الباطلة، وإلا لما أقدموا على هذه الأكذوبة الباردة التي لا تستحق ثمن المداد الذي سطرت به.

وهي إن دلت على شيء، فإنما تدل على أن شياطينهم أخذوا في التخلي عنهم، فلفهم ظلام شامل طمس على قلوبهم، وأعمى أبصارهم وتركهم في داجية لا بصيص فيها من نور.

ونحب أن نوضح أن ما ورد من الأحاديث عن النبي - صلى الله عليه وسلم - في ذكر الخوارج وكونهم من نجد ومن المشرق، كله حق وصدق لا مرأى في ذلك ولا ينكره إلا خارج عن رحاب الإسلام.

وهناك اتفاق يكاد يكون شاملاً بين كثير من العلماء العاملين أن المراد بنجد: هو العراق كما قاله الحافظ في الفتح.

وفي الحديث إشارة إلى شدة كفر المجوس، لأن مملكة الفرس ومن أطاعهم من العرب

(٧٢) فتنة الوهابية . تأليف : أحمد بن زيني دحلان مفتي مكة ص ٧٦.

كانت من جهة الشرق بالنسبة إلى المدينة، ولقد كانوا في غاية القوة والتكبر حتى مزق ملكهم كتاب النبي صلى الله عليه وسلم.

ولقد استمرت الفتن من قبل المشرق فترة طويلة من تاريخ المسلمين . ولقد قال الرسول عليه السلام: هل ترون ما أرى..؟ قالوا: لا. قال: فأني أرى الفتن تقع خلال بيوتكم كوقوع القطر الواقع».

وإنما اختصت المدينة بذلك، لأن قتل عثمان رضي الله عنه كان بها، ثم انتشرت الفتن في البلاد بعد ذلك.

فالقتال بالجمل وصفين كان بسبب قتل عثمان.  
والقتال بالنهروان كان بسبب التحكيم بصفين.

وكل قتال وقع في ذلك العصر إنما تولد عن شيء من ذلك أو عن شيء تولد عنه، ثم إن قتل عثمان كان أشد أسبابه الطعن على أمرائه ثم عليه بتوليته لهم.  
وأول ما نشأ ذلك من العراق، وهي من جهة المشرق.

وقال الخطابي: نجد من جهة المشرق، ومن كان بالمدينة كان نجد بادية العراق ونواحيها.

وأصل النجد: ما ارتفع من الأرض، وهو خلاف الغور، فإنه ما الخفض منها، وتهامة كلها من الغور ومكة من تهامة.

وقال الحافظ - أيضا - في الفتح في آخر كتاب التوحيد تحت قوله - صلى الله عليه وسلم : «يخرج ناس من قبل المشرق».

تقدم في كتاب الفتن: أنهم الخوارج وبيان مبدأ أمرهم وما ورد فيهم، وكان ابتداء خروجهم في العراق، وهي من جهة المشرق بالنسبة إلى المدينة المشرفة.



وأخرج البخارى عن بشر بن عمرو قال: قلت لسهل بن حنيف هل سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقول في الخوارج شيئاً..؟ قال: سمعته يقول: - وأهوى بيده قبل العراق - يخرج منه قوم يقرأون القرآن لا يجاوز تراقيهم يرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية». فتبين أن المراد بنجد العراق.

وأما قول الأهدل: يكفي في التصنيف والرد على النجدي الحديث الصحيح في البخارى قرن العلامتين سياهم التحليق وأنهم من المشرق... الخ.

فنقول: إن التحليق من علامات الخوارج . وكانت هذه صفة الخوارج الذين خرجوا على الإمام علي - رضي الله عنه - من العراق ونواحيه.

يقول صاحب كتاب (الأسنة الحداد): «وأما أهل اليمامة فليس التحليق واقعا على جميعهم : بل الغالب عليهم تسريح شعورهم كما كان ذلك واقعا من الصحابة - رضوان الله عليهم - في المدينة المنورة وغيرها، منهم من يحلق ومنهم من يسرح شعره.

قال ابن عبد البر: قد أجمع العلماء في جميع الأمصار على إباحة الحلق فلم تجتمع فيهم الخصلتان المذكورتان فتبين جهل الأهدل». (٧٣)

أما عن قصة المرأة التي طلب منها أن تقص شعرها فهي قصة موضوعة ليس لها من الصدق أدنى نصيب، ووقائع الأحداث تنفى ذلك نفيا تاما، لأنه من غير المعقول أن يصدر مثل هذا الهراء عن الشيخ الإمام، وصدق ربي في قوله:

« كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا » (٧٤)

إن المرأة الوحيدة التي تذكرها الأحداث في حياة الإمام هي تلك المرأة التي جاءته من

(٧٣) الأسنة الحداد ص ٨٥.

(٧٤) سورة الكهف - آية رقم ٥.

أهل العيينة وأقرت على نفسها بالزنا، وتكرر ذلك منها أربعاً، فأعرض الشيخ عنها ثم أقرت وعادت الى الإقرار مراراً.

فسأل الإمام عن عقلها فأخبر بتامه وصحته، فأمهلهما أياماً رجاء أن ترجع عن الإقرار الى الإنكار فلم تزل مستمرة على إقرارها بذلك ، فأقرت أربع مرات في أيام متواليات فأمر الشيخ - رحمه الله - الوالي برجمها لأنها محصنه بأن تشد عليها ثيابها، وترجم بالحجارة على الوجه المشروع ، فخرج الوالي عثمان بن معمر وجماعة من المسلمين فرجموها حتى ماتت، وكان أول من رجمها عثمان نفسه، فلما مات أمر الشيخ أن يغسلوها وأن تكفن ويصلى عليها.. (٧٥).

وإذا كان ذلك كذلك فلماذا يتقول الأدعياء الزور والبهتان.. ؟

أيريدون طمس الحقائق وإطفاء نور الشمس..؟

وهل ذلك في مقدورهم إن أرادوه.. ؟

أم يريدون إبطال الحق والقضاء على الدعوة.. ؟

معاذ الله أن يتم ذلك استناداً الى وعد الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم بقوله:

(وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾) . (٧٦).

وقوله تعالى :

( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنۢ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرْثُهَا عِبَادِيَ  
الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ ) (٧٧)

إن محاولة الأعداء تأويل النصوص وتفسير أحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم بالهوى والغرض هو فسوق عن الإسلام يردي صاحبه الى النار.

(٧٥) تاريخ نجد للشيخ حسين بن غنام ص ٧٩ ، ٨٠ .

(٧٦) سورة الحج - آية رقم ٤٠ .

(٧٧) سورة الأنبياء - آية رقم ١٠٥ .

وإدعاء مشايخ السوء أن أحاديث الخوارج التي أدلى بها رسول الله صلى الله عليه وسلم - تنطبق على جماعة الإمام محمد بن عبد الوهاب، هونوع من التضليل الرخيص.

وأفانين من الإفك الكبير. وجهل مركب بأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم - وبحقائق التاريخ.

#### ٤ - شبهة اتهام الشيخ أنه يكفر الناس :

ومن الاتهامات التي يتهم بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأتباعه أنهم يكفرون جميع أهل القبلة، ويستبيحون قتل المسلمين، وقد ردد هذا الاتهام في أوقات مختلفة.

قال ابن عابدين الشامي في حاشيته (رد المختار).

«كما وقع في زماننا في أتباع عبد الوهاب الذين خرجوا من نجد وتغلبوا على الحرمين، وكانوا ينتحلون مذهب الحنابلة، لكنهم اعتقدوا أنهم المسلمون وأن من خالف اعتقادهم مشركون استباحوا قتل أهل السنة وقتل علمائهم .. الخ<sup>(٧٨)</sup>»

ويقول ابن دحلان: «وسعى بالتكفير للأمة خاصها وعامها وقتلتها على ذلك جملة الا من وافقه على قوله.

ويقول: وكانت شوكتهم وقوتهم في بلادهم أولا ثم كثر شرهم وتزايد ضررهم واتسع ملكهم وقتلوا من الخلائق مالا يحصون واستباحوا أموالهم وسبوا نساءهم»<sup>(٧٩)</sup>.

ويقول محمد بن علي الشوكاني: «ولكنهم يرون أن من لم يكن داخلا تحت دولة صاحب نجد وممثلا لأوامره خارج عن الإسلام. وتبلغ عنهم أشياء الله أعلم بصحتها»<sup>(٨٠)</sup>.

(٧٨) رد المختار ج ٣ ص ٣٠٩.

(٧٩) فتنة الوهابية ص ٦٦.

(٨٠) البدر الطالع ج ٢ ص ٥. قال ذلك الشوكاني قبل أن يتضح له حقيقة الدعوة ولكن بعد... صار من أنصارها والمدافعين عنها.

إن هذا الادعاء لا يقل تهافتا وبعدا عن الحق ممن سبقه من الادعاءات الكثيرة الباطلة.. فهل يتصور أن محمد بن عبد الوهاب صاحب كتاب التوحيد يكفر من يؤمن بتوحيد الألوهية والربوبية..؟ ويكفر من يخلص العبادة لله..؟

محال أن يكون ذلك كذلك.. وهو نفسه يعلن ذلك وينفي هذه التهمة الباطلة التي يروجها عنه الأعداء بغية تنفير الناس عنه. حتى تبقى لهم مكائدهم وقوتهم باعتبارهم سدة القبور. وحجاب الأقطاب الذين يتصرفون في الكون من دون الله، قاتلهم الله أنى يؤفكون.

يقول الشيخ: «وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم على قبة عبدالقادر والصنم على قبر أحمد البدوي وأمثالها لأجل جهلهم وعدم من ينبههم، فكيف نكفر من لم يشرك بالله أو لم يهاجر إلينا ولم يكفر..؟

سبحانك هذا بهتان عظيم...» (٨١).

إن الشيخ كان يكفر من أهل اليامة هؤلاء الذين كانوا يعتقدون في النخلة القائمة عندهم أن لها قدرة عجيبة من قصدها من العرائس تزوجت لعامها.

ويكفر هؤلاء الذين كانوا يعتقدون في الغار القائم في الدرعية، ويحجون إليه للتبرك كما يحج المسلمون للكعبة المكرمة.

ويكفر من أهل مصر هؤلاء الذين كانوا يعتقدون في شجرة الحنفي، ونعل الكلشني، وبوابة المتولي. ويكفر كل من اعتقد في شجر أو حجر، وتوجه إليه بنوع من أنواع العبادة.

وأمثال هؤلاء الذين كفرهم الشيخ كفرهم القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه

(٨١) روضة الأفكار للشيخ حسين بن غنام.

وسلم. ونقول: من ينكر أن هؤلاء بالتجائنهم لغير الله تعالى خرجوا عن الاسلام؟ وانسلخوا من الدين باتباعهم الجبت والطاغوت وسؤالها النفع والضرر..؟

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب: «وهي كلمة التوحيد، وحق الله على العبيد، فمن أشرك مخلوقاً فيها من ملك مقرب، أو نبي مرسل أو ولي، أو صحابي، وغيره أو صاحب قبر أو جنّي أو غيره، أو استغاث به أو استعان به فيما لا يطلب الا من الله، أو نذر له، أو ذبح له، أو توكل عليه، أو رجاه، أو دعاه دعاء استغاثه أو استعانة، أو جعله واسطة بينه وبين الله لقضاء حاجته، أو لجلب نفع أو كشف ضرر - فقد كفر كفر عباد الأصنام القائلين:

( مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ )<sup>(٨٢)</sup> القائلين: هَؤُلَاءِ شَفَعَتُونَا عِنْدَ اللَّهِ )<sup>(٨٣)</sup>.

كما ذكر الله عنهم في كتابه وهم مخلدون في النار وان صلوا وصاموا وعملوا بطاعة الله الليل والنهار كما قال تعالى:

( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ )<sup>(٨٤)</sup>.

٥ - شبهة كراهة الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم :

ان الحاقدين والضالين عن طريق الحق، يعلمون مدى حب الأمة الإسلامية لرسولها - صلى الله عليه وسلم - فأرادوا بتلك الفرية الجديدة أن يوغروا قلوب المسلمين، وأن ينفروا الأتباع من السير في دعوة التوحيد، فاختلقوا هذا الضلال المبين الذي لا يقدم عليه الا من كان أسود القلب ضال البصيرة. ينبغي محاربة الله ورسوله والصد عن دينه.

يقول صاحب كتاب «مصباح الأنام وجلاء الظلام» المدعو علوى الحداد: «من

(٨٢) سورة الزمر - آية رقم ٣ -

(٨٣) سورة يونس - آية رقم ١٨ -

(٨٤) سورة البينة - آية رقم ٦ -

ذلك - يعني محمد بن عبد الوهاب - أنه كان ينتقص النبي - صلى الله عليه وسلم كثيرا  
بعبارات مختلفة، منها قوله:

«أنه طارش» بمعنى أن غاية أمره أنه كالطارش الذي يرسل إلى أناس في أمر فيبلغهم  
إياه ثم ينصرف.

ومنها قوله: إنني نظرت في قصة الحذيبية فوجدت فيها كذا وكذا كذبة الى غير ذلك  
مما يشبه هذا. على أن أتباعه يفعلون ذلك أيضا ويعلم بذلك ويظهر عليه الرضا به، وكان  
بعضهم يقول:

«عصاى خير من محمد لأنها ينتفع بها بقتل الحية ونحوها، ومحمد قد مات ولم يبق  
فيه نفع أصلا». (٨٥) قاتلهم الله أنى يؤفكون.

ويتابع هذا الدعي كلامه بقوله: «وبهذا يكفر عند المذاهب الأربعة»  
ويقول ابن دحلان في كتابه فتنة الوهابية: «وكانوا - يقصد أتباع الشيخ محمد بن  
عبد الوهاب - يمنعون من الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم على المنابر بعد الأذان حتى  
أن رجلا صالحا كان أعمى وكان مؤذنا وصلى على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد  
الأذان بعد أن كان المنع، فأتوا به إلى ابن عبد الوهاب فأمر به أن يقتل فقتل» (٨٦).

ونقول: إن مما تتأسى به النفس ويتصبر به القلب أن الشيخ محمد بن عبد الوهاب له  
أسوة وقدوة بكل من سبقه من الدعاة إلى الله - فلا بد أن يصيبه ما أصابهم، ونحن نعلم  
ما حدث للإمام مالك من أذى ومن تعذيب.

وما تحمله الإمام أبو حنيفة من جلد وسجن وتعذيب  
وكيف صب العذاب صبا على أحمد بن حنبل وقضى في السجن بضع سنين، هو وقفت  
الدولة له بالمرصاد، فوقف لها وما خضع أو تهاون.

(٨٥) راجع الأسنة الحداد في رد شبهات علوى الحداد ص ١٦ .

(٨٦) فتنة الوهابية: لابن دحلان ص ٧٦ .

ومن قبل هؤلاء سعيد بن جبير وسعيد بن المسيب، وكثير غيرهم تقولوا عليهم الأقاويل، وافتروا عليهم بالزور والبهتان. حتى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم لم يسلموا من التقول عليهم.

فيوسف عليه السلام يتهم بأبشع التهم ويلقى به في السجن.

وعيسى عليه السلام قالوا عليه وعلى أمه الإفك والبهتان.

وموسى عليه السلام اتهموه بالسحر والشعوذة.

وسليمان عليه السلام قالوا عنه: أنه غرر بقائد جيشه ليظفر بزوجه.

وداود ولوط وبقية الأنبياء والمرسلين . حتى محمد - صلى الله عليه وسلم - كان لديهم

الصادق الأمين الوفي المخلص قبل بعثته.. حتى اذا جاءهم بالحق وصدق به.

قالوا : بأنه ساحر يفرق بين المرء وزوجه ، وبين المرء وأخيه.

وقالوا: بأنه مجنون.

حتى الله سبحانه وتعالى: قالوا: بأنه اثنان مرة، وثلاثة أخرى، واتهموه بالصاحبة

والولد. وغير ذلك من الضلال والبهتان».(٨٧)

حتى كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

الرجل الذي جاء يدعو المسلمين بالعودة الى القرآن الذي جاء به محمد صلى الله عليه

وسلم تقولوا عليه: بأنه يكره الصلاة على الرسول الكريم. إنه الإفك بعينه والادعاء

الذي لا يقف على قدمين.

الرجل الذي يلتزم بكل جزئية من جزئيات القرآن الكريم وبكل حرف وبكل كلمة

يقولون عليه : يكره الصلاة على النبي... !

أنسى هؤلاء أن الصلاة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - هي أمر من الله تعالى

لنا قبل أن تكون من الرسول.. !

(٨٧) نحب أن نقول : ان أكثر الاتهامات التي اتهم بها الأنبياء زورا وبهتاناً هي أقوال اسرائيلية وكذب

واباطيل، ولقد ذكر ابن حزم في كتابه الفصل الكثير من هذه الأشياء وأبطلها.

إن الله سبحانه وتعالى يقول:

«إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا» (٨٨)

ولا يستطيع مسلم أن ينكر ما جاء به القرآن أو وردت به السنة. وأين تذهب صلاة البشر وتسليمهم بعد صلاة العلى وتسليمه، وصلاة الملائكة في الملأ الأعلى وتسليمهم.

إنما يشاء الله تشریف المؤمنین بأن یقرن صلاتهم إلى صلاته وتسليمهم الى تسليمه، أما الذى كرهه الشيخ محمد بن عبدالوهاب ونهى عنه، فهو الجهر بالصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم - بعد الأذان، وعلى المنابر يوم الجمعة، فهو بدعة محدثة.

فقد ذكر السيوطى في كتاب: الرسائل إلى معرفة الأوائل:

«إن أول ما أحدث التذكير يوم الجمعة ليتهيأ الناس لصلاتها بعد الستائة في زمن الناصر بن قلاوون».

فهذه بدعة محدثة، وإزالة المنكر والبدعة وتغييرها واجب بدلائل الأحاديث الصحيحة فإن ذلك لم يكن على عهد الصحابة رضوان الله عليهم ولا التابعين. وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

وفي لفظ: من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» (٨٩).

يقول الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الرد على ذلك :  
«جوابنا في كل مسألة من ذلك».

(٨٨) سورة الأحزاب - آية رقم ٥٦.

(٨٩) الحديث رواه ابن ماجة في المقدمة البخارى ومسلم.



(سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ) (٩٠)

فمن روى عنا شيئا من ذلك أو نسبته الينا فقد كذب علينا وافتري، ومن شاهد حالنا وحضر مجالسنا وتحقق ما عندنا، علم قطعيا أن جميع ذلك وضعه علينا وافتراه أعداء الدين وإخوان الشياطين، تنفيرا للناس عن الإذعان بإخلاص التوحيد لله تعالى بالعبادة وترك أنواع الشرك الذي نص عليه بأن الله لا يغفره، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء .

ثم يقول:

«والذي نعتقده أن رتبة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - أعلى مراتب المخلوقين على الإطلاق، وأنه حي في قبره حياة برزخية أبلغ من حياة الشهداء للنصوص عليها في التنزيل إذ هو أفضل منهم بلا ريب، وأنه يسمع سلام المسلم عليه وتسبب زيارته، إلا أنه لا يشد الرحل الا لزيارة المسجد والصلاة فيه، وإذا قصد مع ذلك الزيارة فلا بأس. ومن أنفق نفيس أوقاته بالاشتغال بالصلاة عليه الصلاة والسلام الواردة عنه، فقد فاز بسعادة الدارين ، وكفى همه وغمه كما جاء في الحديث عنه» (٩١).

ماذا يقول الأدعياء في هذه النصوص الجليلة الواضحة التي لا تحتاج الى بيان .. ؟ إن الشيخ يطالب المسلمين أن يدخروا نفيس أوقاتهم في الصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ويعتبر أن ذلك العمل من خير ما يقدمه المسلم في حياته، وإذا ما دام عليه فاز بحسن العمل في الدنيا، وبشواب كبير في الآخرة، وهي الجنان التي أعدت للمتقين.

ويقرر الشيخ أن الصلاة على الرسول - صلى الله عليه وسلم - تفرج كربه وتزيل همه وتبعد غمه. وكيف لا يكون كذلك والله سبحانه وتعالى يبادل عبده الصلاة على

(٩٠) سورة النور - آية رقم ١٦.

(٩١) الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية ص ٤١.

رسوله الواحدة بعشر. كما جاء في حديث الرسول - صلى الله عليه الذي رواه الإمام مسلم بسنده عن أبي هريرة - رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من صلى علي واحدة صلى الله عليه عشرا»<sup>(٩٢)</sup>

هذا أولا وأما قولهم: بأنه قال: وجدت في صلح الحديبية كذا كذبة.. فهذا قول مفتري لا يقوله مسلم فضلا عن داعية عرف ربه فأمن به وصدق بكل ما جاء به رسوله وأخذ يدعو الناس على بصيرة وأصبح منهجه وسلوكه في حياته قول الله تعالى:

( قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾  
لَا شَرِيكَ لَهُ )<sup>(٩٣)</sup>.

إن صلح الحديبية احدى العلامات المشرقة في تاريخ المسلمين، وبرهان صادق لنبوة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم. صلح باركه الله تعالى من فوق عرشه. وكانت يده فوق أيدي هؤلاء المؤمنين الذين استجابوا لأمر الله تعالى وأمر رسوله.

وكانت فتحا للمسلمين. دخل الناس بعده في دين الله أفواجا.

قال تعالى مصورا حال المؤمنين من حول رسوله في تلك البيعة:

« لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَّ كُرْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢١﴾ »<sup>(٩٤)</sup>

(٩٢) صحيح مسلم كتاب الصلاة باب الصلاة على النبي - صلى الله عليه وسلم رقم ٧٠.

(٩٣) سورة الأنعام - آية رقم ١٦٢، ١٦٣.

(٩٤) سورة الفتح - آية رقم ١٨ - ٢٠.

آية للمؤمنين: يرون فيها عواقب تدبير الله لهم وجزاء طاعتهم لرسول الله واستسلامهم. مما يثبت أنها شيء عظيم وخير جليل. وألقى السكينة في قلوبهم والاطمئنان والرضى في نفوسهم.

## ٦ - شبهة إنكار شفاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم.

هل أنكر الشيخ شفاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم.. ؟  
وهل تحدث بذلك إلى أحد من أتباعه.. ؟

وإذا كان الجواب بالنفي، وأن الشيخ - رحمه الله - لم ينكر شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم - ولا أقر أحدا من أتباعه على إنكارها.

وهذا هو الحق الذي سطره الشيخ في رسائله وكتبه التي لا زالت بين أيدينا صحفا ناصعة البياض، سليمة المعنى، قوية الإيمان.

وإذا كان ذلك كذلك فما أهداف الأعداء من وراء ذلك.. ؟

وما هي المآرب التي يجنونها من وراء صد الناس عن الدعوة ، وصرفهم عن حقيقة التوحيد.. ؟

ونقول: إنها نفس المآرب التي كان يريد بها أبو جهل، وأممية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط، وبقية أتباع الشيطان.

لقد كان هؤلاء يعرفون أن ما جاء به محمد هو الحق والصدق، ولكنهم كانوا ينكرونه بالسنتهم وإن آمنوا أنه الحق بقلوبهم.

يقول الله تعالى مواسيا لنبيه صلى الله عليه وسلم:

«فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ» (٩٥)

(٩٥) سورة الأنعام - آية رقم ٣٣.

وقال تعالى:

( وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ) (٩٦).

وهذا ما حدث من أعداء الشيخ محمد بن عبد الوهاب . لقد أقرؤا أمامه بأن ما يقوله هو الحق والصدق. حتى اذا انفصوا من عنده أنكروا ذلك أمام الناس.

يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب لسليمان بن سحيم: «إني أرسلت لك رسالة الشيخ ثقي الدين، الذي يذكر فيها: أن من دعا نبيا أو صحابيا أو وليا مثل أن يقول: يا سيدي فلان انصرتني وأغثنني - إنه كافر بالإجماع فلما أتتك استحسنتها وشهدت أنها حق . وأنت تشهد به الآن . فما الواجب لهذه العداوة.. ؟

ثانيا: أنه إذا أتاك أحد من أهل المعرفة أقررت أن هذا دين الله وأنه الحق وقتلته على رءوس الأشهاد، وإذا خلوت مع شياطينك وقصاصيك فلك كلام آخر.

ثالثا: أن عبدالرحمن الشنفي ومن معه، لما أتوك وذاكروك أقررت بحضرة شياطينك أن هذا هو الحق، وشهدت أن الطواغيت كفار وتبرأت من طالب الحمضي، وعبدالكريم، وموسى بن نوح. فأى شيء بان لك بعد هذا أن هذا باطل وأن الذى تبرأت منهم وعاديتهم أنهم على حق... ؟» (٩٧).

ونقول إن الذى بان لنا هو الحقد الذى يملأ قلوب الاديء، والحسد الذى يسيطر على كل جارحة من جوارحهم. والخوف على ضياع المكاسب والمغانم التى يأخذونها من البسطاء والعوام باعتبارهم سدنة القبور ووكلاء الأولياء الأموات فى الدنيا..

ونختم هذه الشبهة بما يقوله الشيخ عبدالله عن الشفاعة:

«ونشبت الشفاعة لنبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - يوم القيامة حسب ما ورد ،

(٩٦) سورة النمل - آية رقم ١٤ .

(٩٧) روضة الأفكار للشيخ حسين بن غنام ص ٣٢٩ - ٣٣٠ .

وكذا نسبتها لسائر الأنبياء والملائكة والأدعياء والأطفال. حسب ما ورد أيضا، ولا نسألها الا من الله تعالى المالك لها، والآذن فيها لمن يشاء من الموحدين الذين هم أسعد الناس بها كما ورد. بأن يقول أحدنا متضرعا الى الله: شفّع نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم فينا يوم القيامة».(٩٨).

## ٧ - شبهة تسميتهم بالوهابية..

متى أطلقت هذه التسمية على جماعة الشيخ محمد بن عبد الوهاب... ؟  
أطلقت عليهم في حياة الشيخ .. ؟  
أم أنها لم تعرف الا بعد وفاته.. ؟  
وهل أطلق هذه التسمية أنصار الشيخ أم أعداؤه.. ؟

إن وقائع التاريخ تضطرب في ذلك أشد الاضطراب وتتباين كل التباين..

ونقول: اذا كان الأنصار هم الذين نادوا بتلك التسمية. فلماذا لم تنسب الى صاحبها فيقال: المحمدون. نسبة إلى الشيخ محمد الذي دعا اليها وقام بكل أعبائها.

إن أحد أنصار الدعوة والمتحمسين لها. وهو الشيخ ملا عمران بن رضوان يرد على الخصوم بقوله:

ان كان تابع أحمد متوهبا .. فأنا المقر بأنسي وهابي  
أنفي الشريك عن الإله فليس لي .. رب سوى المتفرد الوهاب<sup>(٩٩)</sup>

وأيضاً فإن المؤرخ المصري عبدالرحمن الجبرتي - وهو ممن كانوا يتحمسون له هذه الدعوة حتى أن محمد علي - حاكم مصر - والذي حارب هو وأبناؤه الدعوة قتل ابن الجبرتي انتقاماً من أبيه لتعاطفه مع هؤلاء الجماعة.

(٩٨) الهدية السنية ص ٤٢ .

(٩٩) المصدر السابق ص ١٢٠ .

نراه يقول في حوادث ١٢١٧هـ :

«حضرت مكاتبات من الديار الحجازية يخبرون فيها عن الوهابيين أنهم حضروا الى جهة الطائف فخرج اليهم شريف مكة الشريف غالب. فحاربهم فهزموه فرجع الى الطائف، وأحرق داره التي بها وخرج هاربا الى مكة فحضر الوهابيون». (١٠٠)

ولكن كل هذا لا يبرر أن أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب هم الذين أطلقوا هذه التسمية.

والحقيقة التي لا ينكرها إلا مكابر أن الأعداء هم الذين أطلقوا اسم الوهابية على جماعة الشيخ، جماعة التوحيد. حتى يصورها بأنها مذهب جديد بعيد عن الإسلام ومبادئه.

قال زويمر: (المبشر المسيحي) متخبطا في أفكاره وآرائه التي تكشف جهله وتدل على أن بضاعته في العلم والمعرفة قليلة.

«الإمام ابن القيم سنة ٧٥١ هـ تشبه أفكاره وآراؤه آراء الوهابيين، فهو وهابي ولكن يسمى نفسه حنبليا».

ونسي هذا الجاهل أن اصطلاح «الوهابية» ما عرف الا بعد ابن القيم بأربعة قرون أو أكثر.

وكذلك المستشرق (برك هارت) ألف مذكرة في أخبار الوهابيين ، وقد نشرت هذه المذكرة فيما بعد باسم «مذكرات في البدو والوهابيين».

ونحب أن نقول: «ان مجرد ذكر التسمية لا حرج فيه، ولكن الحرج كل الحرج أن هذه التسمية قد أشيعت وكأنها مذهب خارج عن الإسلام. وما دامت كذلك، فهي دعوة خارجة يجب أن تحارب بكل سلاح. تحارب ممن يدينون بدينها ، وتحارب من غير هؤلاء من أتباع الديانات الأخرى.

(١٠٠) تاريخ المهري حوادث ١٢١٧هـ

اذن فلن تحارب الدعوة في شخص صاحبها فقط، ولن يحارب أتباعها والملتزمون بتعاليمها فحسب. ولكن أيضا تحارب كل الدعوات في العالم الاسلامي، الدعوات التي تعمل على إيقاظ المسلمين وردهم الى دينهم.

تحارب هذه الدعوات حتى لا يظهر (محمد) جديد في تلك البقعة . محمد جديد يجمع الشتيت ويوحد المتفرق ، ويعلي كلمة التوحيد في أركان الأرض الأربعة كما حدث سابقا في عهد المسلمين الأول.

فالحركة السنوسية في المغرب. رأى فيها الاستعمار الصليبي خطرا على مصالحه. فأطلق عليها بأنها امتداد للدعوة الوهابية.

وحركة التجديد في الهند ألحقت بالحركة الوهابية إلحاقا تاما. ولاشك أن المآخذ الأصلية الكتاب والسنة واحد، ولكن توجد فروق واضحة في أساليب الدعوات وطرقها مع توافقها في الأصول.

ونقول :

هل هذه كل المفتريات والشبهات التي أثبتت حول دعوة الشيخ.. ؟

الحقيقة أنها شيء لا يحصى ولا يعد .. إلا إذا تصورنا أن للكذب نهاية، وللضلال حدود يمكن أن يقف عندها.

ويقال إن أول من بدأ نسبة الأكاذيب والافتراءات الى شيخ الإسلام في حياته هو سليمان بن محمد بن سحيم.

وقد جمعت هذه الاتهامات في رسالة: نحرص على أن نذكرها كما هي، والدافع الذي دفعنا الى ذلك.

أن الشيخ - رحمه الله - رد عليها وفند ما فيها من إفك وضلال.. لهذا حرصنا على أن يكون آخر ما نسطره في هذا المبحث هو كلمات صاحب الدعوة، لأنها كلمات صادقة عامرة بالإيمان أحرصت الخصوم، وأبطلت سحرهم وكيدهم، وأدارت الدائرة عليهم. نسأل الله سبحانه وتعالى السلامة.

هذه الرسالة<sup>(١٠١)</sup> كتبها سليمان بن محمد بن سحيم، مطوع أهل الرياض، وأرسلها إلى أهل البصرة والأحساء يشنع فيها على الشيخ ويفترى عليه أشياء لم تحدث.

وهذا نص الرسالة:

من الفقير الى الله تعالى سليمان بن محمد بن سحيم الى من يصل اليه من علماء المسلمين، وخدام شريعة سيد ولد آدم من الأولين والآخرين.  
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. أما بعد:

فالذي يحيط به علمكم أنه قد خرج في قطرنا رجل مبتدع جاهل، مضل ضال، من بضاعة العلم والتقوى عاطل، جرت منه أمور فظيعة، وأحوال شنيعة منها: شيء شاع وذاع، وملأ الأسباع، وشيء لم يتعد أماكننا بعد، فأحببنا نشر ذلك لعلماء المسلمين، وورثة سيد المرسلين، ليصيّدوا هذا المبتدع صيد أحرار الصقور لصغار بغاث الطيور، ويردوا بدعه وضلالته وجهله وهفواته.

والقصد من ذلك: القيام لله ورسوله، ونصرة الدين، جعلنا الله وإياكم من الذين يتعاونون على البر والتقوى.

فمن بدعه وضلالته أنه عمد الى شهداء أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم الكاثنين في الجبيلة: زيد بن الخطاب وأصحابه، وهدم قبورهم وبعثرها لأجل أنهم في

(١٠١) الرسالة السابعة راجع روضة الأفكار ص ٢٩٣ وما بعدها .



حجارة ولا يقدرّون أن يحفروا لهم ، فطوّوا على أضرحتهم قدر ذراع ليمنعوا الرائحة والسباع، والدافن لهم خالد، وأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وعمد أيضا الى مسجد في ذلك وهدمه، وليس داع شرعي في ذلك إلا اتباع الهوى.  
ومنها : أنه أحرق «دلائل الخيرات» لأجل قول صاحبها: سيدنا ومولانا، وحرق أيضا «روض الرياحين» وقال: هذا روض الشياطين.

ومنها : أنه صح عنه أنه يقول : لو أقدر على حجرة الرسول هدمتها ، ولو أقدر على البيت الشريف أخذت ميزابه ، وجعلت بدله ميزاب خشب.

أما سمع قوله تعالى :

(وَمَنْ يُعْظَمْ شَعْبِيَّ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) (١٠٢).

ومنها : أنه ثبت أنه يقول : الناس من ستائة سنة ليسوا، على شيء، وتصديق ذلك أنه بعث الى كتابا يقول فيه : أقرؤا أنكم قبلي جهال ضلال.

ومن أعظمها: أن من لم يوافق في كل ما قال ويشهد أن ذلك حق يقطع بكفره ومن وافقه وصدقه في كل ما قال ، قال: أنت موحد، ولو كان فاسقا محضا، أو مكاسا، وبهذا ظهر أنه يدعو الى توحيد نفسه لا الى توحيد الله.

ومنها : أنه بعث الى بلداننا كتابا مع بعض دعائه بخط يده، وحلف فيه بالله: أن علمه هذا لم يعرفه مشايخه الذين ينتسب الى أخذ العلم منهم - في زعمه، وإلا فليس له مشايخ - ولا عرفه أبوه، ولا أهل «العارض».

فيا عجباً اذا لم يتعلمه من المشايخ ولا عرفه أبوه ، ولا أهل قطره، فمن أين علمه.. ؟  
وعن من أخذه. ۞

(١٠٢) سورة الحج - آية رقم ٣٢ .

هل أوحى اليه.. ؟  
 أو رآه مناماً.. ؟ أو أعلمه به الشيطان.. ؟  
 وحلفه هذا أشرف عليه جميع أهل العارض.  
 ومنها : أنه يقطع بتكفير ابن الفارض وابن عربي.  
 ومنها : أنه قاطع بكفر سادة عندنا من آل الرسول ، لأجل أنهم يأخذون النذور ومن  
 لم يشهد بكفرهم فهو كافر.  
 ومنها : أنه ثبت عنه لما قيل له : اختلاف الأئمة رحمة، قال : اختلافهم نقمة.  
 ومنها : أنه يقطع بفساد الوقف، ويكذب المروي عن رسول الله - صلى الله عليه  
 وسلم وأصحابه أنهم وقفوا.  
 ومنها : إبطال الحج.  
 ومنها : أنه ترك تمجيد السلطان في الخطابة، وقال : السلطان فاسق لا يجوز تمجيده.  
 ومنها : أنه قال : الصلاة على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يوم الجمعة  
 وليلتها هي بدعة وضلالة، تهوى بصاحبها الى النار.  
 ومنها : أنه يقول : الذي يأخذه القضاة قديماً وحديثاً - إذا قضاوا بالحق بين الخصمين،  
 ولم يكن بيت مال لهم ولا نفقة - إن ذلك رشوة - هذا القول بخلاف النصوص عن جميع  
 الأمة : أن الرشوة ما أخذ لإبطال حق أو لإحقاق باطل ، وأن للقاضي أن يقول للخصمين :  
 لا أقضي بينكما إلا بجعل . ومنها : أنه يقطع بكفر الذي يذبح الذبيحة ويسمي عليها  
 ويجعلها لله تعالى. ويدخل مع ذلك دفن شر الجن، ويقول : ذلك كفر. واللحم حرام ،  
 فالذي ذكره العلماء بذلك أنه منهي عنه فقط وذكره في حاشية (المنتهى) (١٠٣).

.....

وهذا جواب الشيخ :

من محمد بن عبدالوهاب الى عبدالله بن سحيم.

وبعد :

أفينا مكتوبك وماذكرت فيه من ذكرك مابلغك. ولا يخفك أن المسائل التي ذكرت

أنها بلغتكم في كتاب من العارض جملتها أربع وعشرون مسألة بعضها حق . وبعضها بهتان وكذب .

وقبل الكلام فيها . لا بد من تقديم أصل ، وذلك أن أهل العلم اذا اختلفوا والجهال اذا تنازعوا ، ومثلي ومثلكم اذا اختلفنا في مسألة - هي الواجب اتباع أمر الله ورسوله ، وأهل العلم أو الواجب اتباع عادة الزمان التي أدركنا الناس عليها، ولو خالفت ماذكره العلماء في جميع كتبهم..

وانما ذكرت هذا - ولو كان واضحا - لأن بعض المسائل التي ذكرت أنا قلتها لكن هي موافقة لما ذكره العلماء في كتبهم : الحنابلة وغيرهم .

ولكن هي مخالفة لعادة الناس التي نشأوا عليها، فأنكرها علي من أنكرها لأجل مخالفة العادة، والا فقد رأوا تلك في كتبهم عيانا، وأقروا بها وشهدوا أن كلامي هو الحق، لكن أصابهم ما أصاب الذين قال الله فيهم .

( فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ) .<sup>(١٠٤)</sup>

وهذا هو ما نحن فيه بعينه، فإن الذي راسلكم هو عدو الله ابن سحيم، وقد بينت ذلك له فأقر به، وعندنا كتب يده في رسائل متعددة : أن هذا هو الحق . وأقام على ذلك سنين، لكن أنكر آخر الأمر لأسباب أعظمها البغي :

( أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ )<sup>(١٠٥)</sup> .

وذلك أن العامة قالوا له ولأمثاله: اذا كان هذا هو الحق ، فلأى شيء لم تنهونا عن عبادة «شمسان» وأمثاله فتعذروا: أنكم سألتمونا.. ؟

(١٠٤) سورة البقرة - آية رقم ٨٩ .

(١٠٥) سورة البقرة - آية رقم ٩٠ .

قالوا: وإن لم نسألکم ، كيف نشرك بالله عندكم ولا تنصحنونا .. ؟ وظنوا أن يأتيهم في هذا غضاضة ، وأن فيه شرفا لغيره.

وأیضا : لما أنكرنا عليهم أكل السحت والرشا الى غير ذلك من الأمور فقام يدخل عندكم وعند غيركم بالبهتان.

والله ناصر دينه ولو كره المشركون.

وأنت لا تستهون مخالفة العادة على العلماء ، فضلا عن العوام، وأنا أضرب لك مثلا بمسألة واحدة ، وهى مسألة الاستجمار ثلاثا فصاعدا من غير عظم ولا روث وهو كاف مع وجود الماء عند الأئمة الأربعة وغيرهم ، وهو إجماع الأمة ، لا خلاف في ذلك - ومع هذا - لو يفعله أحد - لصار هذا عند الناس أمرا عظيما ، ولنهوا عن الصلاة خلفه، ويدعوه مع إقرارهم بذلك ولكن لأجل العادة.

إذا تبين هذا فالمسائل التي شنع بها - منها ما هو من البهتان الظاهر وهي قوله : إني مبطل كتب المذاهب ، وقوله : إني أقول : إن الناس من ستائة سنة ليسوا على شيء .

وقوله : إني أدعي الاجتهاد.

وقوله : إني خارج عن التقليد.

وقوله : إني أقول : إن اختلاف العلماء نقمة.

وقوله : إني أكفر من توسل بالصالحين.

وقوله : إني أكفر البوصيرى لقوله : يا أكرم الخلق.

وقوله : إني أقول لو أقدر على هدم حجرة الرسول لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب.

وقوله : إني أنكر زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله : إني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرهم، وإني أكفر من يحلف بغير الله.

فهذه اثنتا عشرة مسألة: جوابي فيها أقول:

( سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَنٌ عَظِيمٌ ) (١٠٦)

ولكن قبله من بهت النبي محمدا - صلى الله عليه وسلم - أنه يسب عيسى ابن مريم، ويسب الصالحين:

« تَسَبَّهَتْ قُلُوبُهُمْ » (١٠٦)

وبهتوه بأنه يزعم أن الملائكة وعيسى وعزيرا في النار، فأنزل الله في ذلك:

( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) (١٠٧)

وأما المسائل الأخر وهي أنني أقول: لا يتم إسلام الإنسان حتى يعرف معنى «لا إله إلا الله».

ومنها: أنني أعرف من يأتيني بمعناها.

ومنها: أنني أقول: الإله هو الذي فيه السر.

ومنها: تكفير الناذر إذا أراد به التقرب لغير الله وأخذ النذر كذلك.

ومنها: أن الذبح للجن كفر والذبيحة حرام ولو سمي الله عليها إذا ذبحها للجن.

فهذه خمس مسائل كلها حق وأنا قائلها

ونبدأ بالكلام عليها لأنها أم المسائل، وقبل ذلك أذكر معنى «لا إله إلا الله» فنقول

: التوحيد نوعان :

توحيد الربوبية : وهو أن الله سبحانه متفرد بالخلق والتدبير عن الملائكة والأنبياء

وغيرهم. وهذا حق لا بد منه، لكن لا يدخل الرجل في الإسلام، لأن أكثر الناس مقرون به.

(١٠٦) سورة البقرة - آية رقم ١١٨.

(١٠٧) سورة الأنبياء - آية رقم ١٠١.

قال الله تعالى :

قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ

...إلى قوله : أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ (١٠٨)

وأن الذي يدخل الرجل في الإسلام هو توحيد الألوهية، وهو: أن لا يعبد الا الله، لا ملكا مقربا ولا نبيا مرسلا، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم بعث وأهل الجاهلية يعبدون أشياء مع الله: فمنهم من يدعو الأصنام، ومنهم من يدعو عيسى، ومنهم من يدعو الملائكة، فنهاهم عن هذا وأخبرهم أن الله أرسله ليوحد ولا يدعى أحد من دونه، لا الملائكة ، ولا الأنبياء، فمن تبعه ووجد الله فهو الذي شهد أن لا إله إلا الله ، ومن عصاه ودعا عيسى والملائكة واستنصرهم والتجأ اليهم فهو الذي جحد لا إله إلا الله مع إقراره أنه لا يخلق ولا يرزق إلا الله، وهذه جملة لها بسط طويل، لكن الحاصل أن هذا مجمع عليه بين العلماء

.. ولما جرى في هذه الأمة ما أخبر به نبيها - صلى الله عليه وسلم - حيث قال: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه» (١٠٩).

وكان من قبلهم كما ذكر الله عنهم :

( اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهَيْبَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ) (١١٠)

فصار ناس من الضالين يدعون أناسا من الصالحين في الشدة والرخاء ، مثل: عبدالقادر الجيلاني، وأحمد البدوي، وعدى بن مسافر وأمثالهم من أهل العبادة والصلاح. فأنكر عليهم أهل العلم غاية الإنكار وزجروهم عن ذلك ، وحذروهم غاية التحذير والإنذار - من جميع المذاهب الأربعة في سائر الأقطار والأمصار، فلم يحصل منهم انزجار؛

(١٠٨) سورة يونس - آية رقم ٣١ .

(١٠٩) سبق تفريغ هذا الحديث.

(١١٠) سورة التوبة - آية رقم ٣١ .

بل استمروا على ذلك غاية الاستمرار. وأما الصالحون الذين يكرهون ذلك فحاشاهم من ذلك.

وبين أهل العلم أن أمثال هذا هو الشرك الأكبر، وأنت ذكرت في كتابك تقول: يا أخي ما لنا والله دليل إلا من كلام أهل العلم.

وأنا أقول: كلام أهل العلم رضى وأنا أنقله لك، وأنبهك عليه، فتفكر فيه وقم لله ساعة ناظرا ومناظرا مع نفسك ومع غيرك، فإن عرفت أن الصواب معي وأن دين الإسلام اليوم من أغرب الأشياء - أعني دين الإسلام الصرف الذى لا يمزج بالشرك والبدع.

ثم يقول: قال الشيخ تقي الدين، وقد غلط في مسمى التوحيد طوائف من أهل النظر ومن أهل العبادة، حتى قلبوا حقيقته، فطائفة ظنت أن التوحيد هو نفى الصفات، وطائفة ظنوا أنه الإقرار بتوحيد الربوبية. ومنهم من أطل في تقرير هذا الموضوع، وظن أنه بذلك قرر الوجدانية، وأن الألوهية هي القدرة على الاختراع ونحو ذلك ولم يعلم أن مشركي العرب كانوا مقرين بهذا التوحيد.

قال تعالى:

(قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾)

(المؤمنون : ٨٤)

وهذا حق، لكن لا يخلص به عن الإشراف بالله الذى لا يغفره الله؛ بل لا بد أن يخلص الدين لله فلا يعبد إلا الله، فيكون دينه لله، والإله هو المألوه الذى تأله القلوب وأطال رحمه الله الكلام.

وقال - أيضا - في الرسالة «السنية» التى أرسلها الى طائفة من أهل العبادة ينتسبون إلى بعض الصالحين، ويفعلون فيه، فذكر حديث الخوارج ثم قال: فإذا كان في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وخلفائه الراشدين ممن ينتسب إلى الإسلام من مرق منه مع عبادته العظيمة - فليعلم أن المنتسب الى الإسلام قد يمرق من الدين وذلك بأمور.

منها : الغلو الذي ذمه الله تعالى مثل : الغلو في عدى بن مسافر أو غيره : بل الغلو في علي بن أبي طالب، بل الغلو في المسيح ونحوه ، فكل من غلا في نبي أو صحابي أو رجل صالح، وجعل فيه نوعا من الألوهية مثل أن يقول : ياسيدي فلان أغثنى أو أنا في حسبك، ونحو هذا - فهذا كافر يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فإن الله سبحانه إنما أرسل الرسل وأنزل الكتب ليعبد ولا يدعى معه اله آخر. والذين يدعون مع الله آلهة أخرى، مثل : الشمس والقمر والصالحين والتماثيل المصورة على صورهم - لم يكونوا يعتقدون أنها تنزل المطر أو تنبت النبات، وإنما كانوا يعبدون الملائكة والصالحين ويقولون : «هؤلاء شفعاؤنا عند الله».

فبعث الله الرسل وأنزل الكتب تنهى أن يدعى أحد من دونه لا دعاء عبادة ولا دعاء استغاثة.

وقال أيضا في أثناء الباب: ومن اعتقد أن لأحد طريقا الى الله غير متابعة محمد - صلى الله عليه وسلم، أو لا يجب عليه اتباعه، أو أن لغيره خروجا عن اتباعه أو قال :

«أنا محتاج اليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو قال : إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى - كفر في هذا كله.

وقال أيضا - في الباب : ومن سب الصحابة ، واقترب بسبه دعوى أن عليا إله أو نبي أو أن جبريل غلط - فلاشك في كفر من توقف في تكفيره. فتأمل هذا إذا كان كلامه هذا في علي . فكيف بمن ادعى أن ابن عربي أو عبدالقادر إله.. ؟

وتأمل كلام الشيخ في معنى الإله الذي تأله القلوب، واعلم أن المشركين في زماننا قد زادوا على الكفار في زمن النبي - صلى الله عليه وسلم بأنهم يدعون الأولياء والصالحين في الرخاء والشدة، ويطلبون منهم تفريج الكربات وقضاء الحاجات، (والكفار



زمن النبي) مع كونهم يدعون الملائكة والصالحين ويريدون شفاعتهم والتقرب بهم: وإلا فهم مقرون بأن الأمر لله، فهم لا يدعونهم الا في الرخاء، فإذا جاثتهم الشدائد أخلصوا لله.

(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ فُلْمَا نَجَّكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ). (١١١).

وقال - أيضا - في «الإقناع»: ويحرم تعلم السحر وتعليمه وفعله، وهو: عقد ورقي وكلام يتكلم به أو يكتبه، أو يعمل شيئا يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله، ومنه ما يقتل ومنه ما يمرض، ومنه ما يأخذ الرجل عن امرأته فيمنعه وطأها، ومنه ما يبغض أحدهما للآخر، ويحبب بين اثنين ويكفر بتعلمه وفعله سواء اعتقد تحريمه أو إباحته.

وأما الحنفية فقال الشيخ قاسم في شرح درر البحار: النذر الذي يقع من أكثر العوام وهو أن يأتي الى قبر بعض الصلحاء قائلا: يا سيدي فلان إن رد غائبى، أو عوفي مريضى، أو قضيت حاجتى، فلك كذا وكذا - باطل إجماعا لوجه منها :-

أن النذر للمخلوق لا يجوز.

ومنها: ظن أن الميت يتصرف في الأمر واعتقاد هذا كفر. الى أن قال : إذا عرف هذا فما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها، وينقل الى ضرائح الأولياء - فحرام بإجماع المسلمين ، وقد ابتلى الناس بهذه لاسيما في مولد أحمد البدوى.

فتأمل قول صاحب النهر مع أنه بمصر ومقر العلماء ، كيف شاع بين أهل مصر مالا قدرة للعلماء على دفعه ! فتأمل قوله (من أكثر العوام) أتظن أن الزمان صلح بعده.. ؟

وأما المالكية، فقال الطرطوشى في كتاب «الحوادث والبدع» روى البخارى عن أبى

(١١١) سورة الاسراء - اية رقم ٦٧.

واقده الليثى قال : خرجنا مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الى حنين ونحن حديثو عهد بكفر، وللمشركين سدرة يعكفون حولها. وينوطون بها أسلحتهم يقال لها «ذات أنواط» فمررنا بسدرة فقلنا : يارسول الله اجعل لنا «ذات أنواط» كما لهم «ذات أنواط» فقال : الله أكبر هذا لتركين سنن من كان قبلكم».

فانظر رحمكم الله أيما وجدتم سدرة يقصدها الناس، وينوطون بها الحرق فهي ذات أنواط ، فاقطعوها.

وقال صلى الله عليه وسلم: «بدأ الإسلام غريبا وسيعود غريبا كما بدأ.»

ومعنى هذا أن الله لما جاء بالإسلام فكان الرجل.... اذا أسلم في قبيلته غريبا مستخفيا بإسلامه، قد جفاه العشيرة فهو بينهم ذليل خائف، ثم يعود غريبا لكثرة الأهواء المضلة والمذاهب المختلفة حتى يبقى أهل الحق غرباء في الناس لقلتهم وخوفهم على أنفسهم.

وروى البخارى عن أم الدرداء عن أبى الدرداء قال : والله ما أعرف فيهم من أمر محمد إلا أنهم يصلون جميعا».

وذلك أنه أنكر أكثر أفعال أهل عصره.  
انتهى كلام الطرطوشى.

فليتأمل اللبيب هذه الأحاديث ، وفي أى زمان قيلت، وفي أى مكان، وهل أنكرها أحد من أهل العلم والفوائد فيها كثيرة، ولكن مرادى منها ما وقع من الصحابة، وقول الصادق الصدوق، إنه مثل كلام الذين اختارهم الله على العالمين لنبيهم: اجعل لنا إلهًا: يا عجبًا اذا جرى هذا من أولئك السادة كيف ينكر علينا أن رجلا من المتأخرين غلط في قوله: يا أكرم الخلق كيف تعجبون من كلامي فيه، وتظنونه خيرا وأعلم منهم.

ولكن هذه الأمور لا علم لكم بها وتظنون أن من وصف شركا أو كفرا أنه الكفر الأكبر المخرج عن الملة ، ولكن أين كلامك هذا من كتابك الذي أرسلت الى قبل أن يغريك الله بصاحب الشام وتذكر وتشهد أن هذا هو الحق وتعتذر أنك لا تقدر على الإنكار.. ؟

ومرادى أن أبين لك كلام الطرطوشي، وما وقع في زمانه من الشرك بالشجر، مع كونه في زمن القاضى أبى يعلى، أظن الزمان صلح بعده.. ؟.. وأما كلام الشافعية فقال الإمام محدث الشام أبوشامة في كتاب الباعث على إنكار البدع والحوادث ، وقد وقع من جماعة من النابذيين لشريعة الإسلام ، المنتمين الى الفقر الذى حقيقته الافتقار من الإيمان، ومن اعتقادهم في مشايخ لهم ضالين مضلين فهم داخلون تحت قوله ؟ أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله».

وبهذه الطرق وأمثالها كان مبادئ ظهور الكفر من عبادة الأصنام وغيرها، ومن هذا القسم ما قد عم الابتلاء به من تزيين الشيطان للعامة تخليق الحيطان والعمد، وإسراج مواضع في كل بلد يحكي لهم حاك أنه رأى في منامه بها أحدا ممن شهر بالصلاح فيفعلون ذلك ويظنون أنهم يتقربون الى الله ثم يجاوزون ذلك الى أن يعظم وقع تلك الأماكن في قلوبهم ويرجون الشفاعة لمرضاهم، وقضاء حوائجهم بالندى لهم، وهى بين عيون وشجر، وحائط وحجر، وفي دمشق صانها الله من ذلك مواضع متعددة كعويثة الحمى، والشجرة الملعونة خارج باب النصر، سهل الله قطعها فما أشبهها بذات أنواط ، ثم ذكر كلاما طويلا الى أن قال:

«أسأل الله الكريم معافاته من كل ما يخالف رضاه، ولا يجعلنا ممن أضله فاتخذ إلهه هواه».

فتأمل ذكره في هذا النوع أنه نبذ لشريعة الإسلام، وأنه خروج عن الإيمان ثم ذكر أنه عم الابتلاء به في الشام.

فأنت قل لصاحبكم هؤلاء العلماء من الأئمة الأربعة ذكروا أن الشرك عم الابتلاء به وغيره، وصاحوا بأهله من أقطار الأرض، وذكروا أن الدين عاد غريبا فهو بين اثنتين:

إما أن يقول: كل هؤلاء العلماء جاهلون ضالون مضلون خارجون.  
وإما أن يدعي أن زمانه وزمان مشايخه صلح بعد ذلك..؟؟

إذا تقرّر هذا فخمس المسائل التي قدمت جوابها في كلام العلماء ، وأضيف إليها مسألة سادسة، وهي إفتائي بكفر شمسان وأولاده ومن شابههم وسميتهم طواغيت، وذلك أنهم يدعون الناس الى عبادتهم من دون الله عبادَة أعظم من عبادة اللات والعزى يعبدونها في الرخاء، ويخلصون لله في الشدة، وعبادة هؤلاء أعظم من عبادتهم اياه في شدائد البر والبحر. فإن كان الله أوقع في قلبك معرفة الحق والانتقياد له والكفر بالطاغوت والتبري ممن خالف هذه الأصول ولو كان أباك أو أخاك - فاكتب لي وبشري، لأن هذا ليس مثل الخطأ في الفروع، بل ليس الجهل بهذا - فضلا عن إنكاره - مثل : الزنا والسرقة، بل والله ثم والله ثم والله أن الأمر أعظم.. وإن وقع في قلبك إشكال فاضرع الى مقلب القلوب أن يهديك لدينه ودين نبيه.

وأما بقية المسائل : فالجواب عنها ممكن اذا خلصنا من شهادة أن لا إله إلا الله، وبيننا وبينكم فيها كلام أهل العلم. لكن العجب من قولك: أنا هادم قبور الصحابة. وعبارة «الإقناع» في الجنائز: يجب هدم القباب التي على القبور لأنها أسست على معصية الرسول. والنبي - صلى الله عليه وسلم - صح عنه أنه بعث عليا لهدم القبور». (١١٢).

هذه مقتطفات من رسالة الشيخ في الرد على الشبهات والادعاءات التي أثارها سليمان بن محمد بن سحيم.

وحرصنا على أن ننقل هذا الجزء الكبير من الرسالة - لأنها والحق يقال تعتبر احدي الروائع في تاريخ الإسلام ضد الكفر وأهله. والبدع ومن يسعى الى ترويجها.

(١١٢) روضة الأفكار ص ٢١٠ .

إنها كلمات صادقة خرجت من قلب تشرب روح الإيمان وعمل به.  
قالها رجل عرف ربه فهاجر اليه.  
هجرة من نوع فريد وبأسلوب جديد.  
هجرة لكل أنواع البدع، وأساليب الشرك والكفر.. وأعلن الحرب عليها.. الحرب التي  
بذلت فيها المهج والأرواح.

حتى عاد للإسلام صفاؤه.  
وللإيمان نقاؤه .. وهزم الضلال والبهتان، وخسأ الطاغوت والطغيان.

## خاتمة

يطيب لي أن أختتم هذا البحث بقصة عجيبة في الهند تتصل بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته . وملخص القصة كالآتي:-

كان أحد العلماء الفضلاء في الهند يستقبل أبناءه الطلاب ويلقى عليهم دروس التفسير والحديث.

وكان هذا الشيخ يبدأ درسه بعد الحمد لله والصلاة والتسليم على رسوله بالدعاء على الشيخ محمد بن عبد الوهاب وجماعته، يطلب من الله سبحانه وتعالى أن يطهر الأرض من شرورهم وأثامهم - في رأيه - وأن يخلص الحرمين الشريفين من تلك العصابة.. !!

وكان أحد أبناء نجد تلميذا لهذا الشيخ، وكان من المستحيل عليه أن يرد الشيخ إلى الصواب ، وسط هذه الأجواء من الادعاءات والافتراءات التي يشنها الأعداء وتحمص دولة كبرى كدولة الخلافة العثمانية، ومن ورائها الاستعمار وأذنا به، وكل أصحاب المذاهب والنحل الباطلة على النيل من هذه الجماعة وصاحبها.

وفي يوم من الأيام.. فكر الطالب في أمر يرد به الشيخ إلى جادة الصواب، ويعرفه بحقيقة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوته السلفية. فما أن كان منه إلا أن نزع غلاف كتاب «التوحيد» للشيخ وقدمه لأستاذه طالبا منه قراءته وإبداء حكمه عليه.

واستجاب الأستاذ لأمر الطالب وقرأ الكتاب فأثنى عليه ثناء منقطع النظير، بل وأضاف أنه من أحسن الكتب التي قرأها في هذا الباب ومن أكثرها فائدة . وهنا كشف الطالب لأستاذه عن مؤلفه الذي يتقرب الشيخ إلى ربه بالنيل منه كل صباح.

فاستغفر الشيخ عما بدر منه في حق هذه الجماعة وصاحبها - وصار من أكثر المدافعين عنها الداعين لها. وبقيت الدعوة عملاقة ترشد المسلمين الى الخير وتبصرهم بأمر دينهم . وأخذ الله أعداءها أخذ عزيز مقتدر فلم تبق لهم باقية.

راحوا فما بكت الدنيا لفرقتهم . . . ولا تعطلت الأعياد والجمع

## ثبت بالمراجع:

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - صحيح البخارى - محمد بن اسماعيل البخارى - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.
- ٣ - صحيح مسلم - مسلم بن الحجاج - دار احياء التراث العربى - بيروت.
- ٤ - صحيح الترمذى - محمد بن عيسى بن سورة الترمذى - محمد بن المحسن الكتبي - المكتبة السلفية - المدينة المنورة.
- ٥ - سنن أبى داود - سليمان بن الأشعث - دار إحياء السنة النبوية.
- ٦ - سنن النسائى - شرح جلال الدين السيوطى - دار احياء التراث العربى بيروت.
- ٧ - جامع الأصول في أحاديث الرسول - ابن الأثير الجزرى - دار البيان. بيروت.
- ٨ - تاريخ نجد «روضة الأفكار» للشيخ حسين بن غنام - تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد مطبعة المدني . مصر.
- ٩ - عنوان المجد في تاريخ نجد - الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر النجدى الحنبلى. وزارة المعارف بالمملكة العربية السعودية.
- ١٠ - فتح المجيد: شرح كتاب التوحيد - الشيخ عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ - تحقيق: حامد الفقى - دار الكتب العلمية . بيروت.
- ١١ - مسائل الجاهلية - محمد بن عبدالوهاب - مؤسسة مكة للطباعة والاعلام.
- ١٢ - كتاب كشف الشبهات - محمد بن عبدالوهاب - ضمن كتاب سيرة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب.
- ١٣ - تفسير سورة الفاتحة - محمد بن عبدالوهاب - ضمن كتاب سيرة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب.
- ١٤ - محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم مفترى عليه - تأليف: الأستاذ مسعود الندوى - ترجمة: عبدالعليم عبدالعظيم البستوى.



- ١٥ - هذا هو كتاب سيرة الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب - تأليف: أمين سعيد. الناشر: داره الملك عبد العزيز ١٣٩٥.
- ١٦ - غاية الأمانى فى الرد على النهانى - محمود شكرى الأوسى - مطابع نجد التجارية - الرياض.
- ١٧ - صيانة الانسان عن وسوسة الشيخ دحلان - محمد بشير السهوانى الهندى. مطابع نجد التجارية. الرياض.
- ١٨ - عهد سعود الكبير - تأليف: الدكتور منير العجلانى.
- ١٩ - كتاب الضياء الشارق - للشيخ سليمان بن سحمان - مطبعة المنار بمصر. سنة ١٣٤٤هـ.
- ٢٠ - الأسنة الحداد فى رد شبهات علوى الحداد - سليمان بن سحمان - مطابع الرياض ١٣٧٦هـ.
- ٢١ - الهدية السنوية والتحفة الوهابية النجدية - سليمان بن سحمان النجدى - مطبعة المنار بمصر ١٣٤٤هـ.
- ٢٢ - الصواعق الالهية فى الرد على الوهابية - سليمان بن عبدالرحمن النجدى - مكتبة ايشيق استانبول تركية ١٣٩٥هـ.
- ٢٣ - فتنة الوهابية - أحمد بن زينى دحلان - مكتبة ايشيق استانبول - تركيا ١٣٩٥هـ.
- ٢٤ - المنحة الوهبية فى رد الوهابية - حسين حلمى ايشيق بن سعيد - ايشيق استنبول. تركية ١٣٩٤هـ.
- ٢٥ - التوسل بالنبي - أبى حامد بن مرزوق - استنبول . تركيا.
- ٢٦ - آثار الشيخ محمد بن عبدالوهاب - تأليف: الدكتور /أحمد محمد الضبيىب. الرياض - المطابع الأهلية للأوفست ١٣٩٧هـ.
- ٢٧ - فهرس كتاب عنوان المجد لابن بشر - أحمد مرسى عباس - داره الملك عبد العزيز.
- ٢٨ - فخر الدين الرازى حياته وآثاره - تأليف الدكتور/ على محمد حسن العمارى - المجلس الأعلى للشئون الاسلاميه - مصر ١٣٨٨هـ.

- ٢٩ - محمد بن عبد الوهاب، العقل الحر والقلب السليم - تأليف: عبد الكريم الخطيب. دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٩هـ.
- ٣٠ - محمد بن عبد الوهاب شيخ الاسلام - د. محمد جميل غازي - مطبعة المدني المؤسسة السعودية مصر.
- ٣١ - الامام محمد بن عبد الوهاب انتصار المنهج السلفي - عبد الحلیم الجندي. دار المعارف - مصر.
- ٣٢ - الحركة الوهابية رد على فعالء للدكتور / محمد البهي في نقد الوهابية - الدكتور / محمد خليل هراس - توزيع الجامعة الاسلامية - المدينة المنورة.
- ٣٣ - محمد بن عبد الوهاب - أحمد عبدالغفور عطار - طبعة ١٣٩٧هـ.
- ٣٤ - كتاب لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبد الوهاب - تحقيق وتعليق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ - مطبوعات دار الملك عبدالعزيز.



الشبهات التي أُثبتت حول دعوة الإمام

محمد بن عبد الوهاب

والرد عليها

للأستاذ / عبد الكريم الخطيب



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على إمام المرسلين وخاتم النبيين، سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه، والتابعين، ومن تأسى بسيرته، واهتدى بهديه، ودعا بدعوته إلى يوم الدين...

### أما بعد :

فإن الجهاد في سبيل الله، والذيادة عن شريعته، والغيرة على حرماته، أمانة في عنق كل من آمن بالله، ودخل في جماعة المؤمنين، فأبصر مكانه بينهم، وعرف وظيفته فيهم، وعد نفسه عضواً في الجسد العام الجامع لهم، يسعد لسعادتهم ويشقى لشقائهم، كما يقول الرسول الكريم، صلوات الله وسلامه عليه: «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم، كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» (رواه مسلم، عن النعمان بن بشير) وفي رواية:

«المؤمنون كرجل واحد، إن اشتكى رأسه، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر».

هكذا يفعل الإيمان الحق في نفوس المؤمنين بالله، حيث تفيض مشاعر المؤمن بالولاء للمؤمنين من كل جنس ولون، مهما تباعدت الديار، واختلفت الأجناس والألوان، وذلك بهذا النسب الجامع بينه وبين المؤمنين جميعاً، أحياء وأمواتاً.. والله تعالى يقول:

(الحجرات : ١٠)

« إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ »

ويقول جل شأنه :

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا  
الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ»  
(التوبة: ٢٣)

ومن هذا الإيمان الوثيق بالله تُبعث في قلب المؤمن مشاعر الولاء والحب للمؤمنين، فلا يبيت المؤمن على جناح أمن وطمأنينة وفي المؤمنين من يتهددهم عدو من خارج أوطانهم، أو من داخلها...

فإذا كان هناك عدو من خارج أوطان الإسلام، كان الجهاد فريضة على المسلم فيجاهد بنفسه وماله، وبكل قوة تصل إليها يده.. ثم لا تسقط عنه هذه الفريضة، حتى يذهب خطر العدو، أو يقتل هو شهيدا في ميدان الجهاد..

أما إذا كان العدو من داخل أوطان المسلمين، مثل دعوة الى فتنة، أو إثارة لفرقة، أو نشر لبدعة - فإن هذا يحتاج إلى جهاد أكبر، وعزم أشد، وإرادة أقوى مع بصيرة نافذة، تكشف عن هذا الخطر الذي يتدسس إلى عقول الناس وقلوبهم ويخالط مشاعرهم ووجداناتهم، بحيث لا ينتبه له ولا يقدر آثاره المدمرة إلا ذوو البصائر المشرقة بنور الله الساهرة على حرمان الله، والحفاظة لحدوده الناصحة لله ورسوله وللمؤمنين.

وأكثر ما يتمثل هذا الخطر الذي يغزو المسلمين من داخل أوطانهم، هو فيما يشيع فيهم من بدع تدخل عليهم باسم الدين، وما يتولد من هذه البدع من منكرات وضلالات تشيع في المسلمين، فتشوه معالم الدين في عقولهم وقلوبهم، وتغير حقائقه في أقوالهم وأفعالهم، وإذا هم مسلمون ولا إسلام، وذلك هو الخطر أعظم الخطر حيث يخيل إليهم أنهم على دين، وانهم على الصحة والسلامة من هذا الدين، في حين أن المرض يفتك بهم، والعلة تغتال كل صالحة فيهم !!

ولو كان هؤلاء المسلمون، ولا إسلام معهم - لو كانوا على غير دين أصلا، لكانت بليتهم أخف ومصيبتهم أهون، لأن من كان على غير دين، يرجى منه أن يصبح يوما وهو

على دين صحيح سليم، أما من كان على دين قد اختلط فيه الحق بالباطل، والهدى بالضلال، فمفسر جدا أن يلتقى بالدين الصحيح.. انه أشبه بالمنافق الذى يلبس من الدين أكثر من ثوب، فهو مؤمن، وكافر وملحد، ومشرك فى كل وقت وفى كل حال.. ولهذا جعل الله تعالى المنافقين فى الدرك الأسفل من النار تطأ رءوسهم أقدام الكافرين، وأهل النار جميعا، كما يقول تعالى:

«إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَهُمْ نَصِيرًا»

(النساء: ١٤٥)

\*\*\*\*

وكما أن لآفات الأبدان، وعلل الأجسام أساة دفعت بهم سنن الله الكونية لمعالجة هذه الآفات والاستشفاء من هذه العلل، فكذلك كان من السنن الكونية أن يقوم فى الناس الهداة والمصلحون، الذين يعالجون ما فسد من النفوس، ويعمرون ما خرب من القلوب، وهم الذين أشار إليهم الحق سبحانه فى قوله:

«وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» (البقرة: ٢٥١)

وفى قوله تعالى :

«الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ <sup>ط</sup> وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» (الحج: ٤١)

ويقول الرسول - صلوات الله وسلامه عليه: «الدين النصيحة.. الدين النصيحة.. الدين النصيحة» قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: «لله ولرسوله، ولكتابه، ولأئمة المسلمين، وعامتهم» (رواه البخارى ومسلم).



فالأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، معلم من معالم الأمة الإسلامية، وسمه من سماتها، فلا يخلو زمان، أو مكان في مجتمع المسلمين من أمرين بالمعروف، وناهين عن المنكر، وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ » (آل عمران: ١١٠)

ويلاحظ في الآية الكريمة، أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، قد تقدمتا على الإيمان بالله، وفي ذلك إشارة إلى أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فطرة مستقرة في الإنسان، إذا نزعنا إليها النفس استقام طريقها إلى الإيمان بالله والتقت به من قريب.. فكانت أشبه بالأرض الطيبة المتعطشة إلى الماء فإذا أصابها الماء.. اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج كريم، وإذا هي تلك الأرض الخاشعة أي الضارعة إلى الله، الطالبة لحياتها من الماء - كما يقول تعالى:

« وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِ الْمَوْتِ إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »  
(فصلت: ٣٩)..

فإذا كان هذا الجهاد يخشع ضارعا لله، يلتمس رحمته، إذا حل به ما يعطل وظيفته أفلا يتجه الإنسان إلى ربه خاشعا ضارعا، إذا تعطلت معطيات إنسانيته، وانحرفت عن سواء السبيل؟.

ولكن ما أكثر الناس الذين تذهب معالم إنسانيتهم، وتعطل معطيات الخير فيهم ثم لا يشعرون مع هذا إلى ما أصابهم، فأصبحوا دون عالم الجهاد إحساسا وشعورا.. وفي هؤلاء يقول الله تعالى:

« ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَسْقَى فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنْ مِنْهَا

لَمَّا يَهَيِّطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ  
(البقرة: ٧٤)

وأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، هم الماء الذي يمسك الحياة على الأحياء من الناس، ويبعث الحياة فيمن أوشكوا أن تزايلهم الحياة!

ومن هنا كانت رسالة أهل الأمر بالمعروف ، والنهي عن المنكر، مجددة لرسالات الأنبياء، وذلك بالتذكير بها، والحفاظ عليها، والوقوف في وجه المنحرفين عنها والمعتدين على حرمتها، ثم كان لهؤلاء الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر نصيبهم من تحمل ما حمل الأنبياء - عليهم السلام - على طريق دعوتهم إلى الله من سفه السفهاء، وحمق الحمقى، والصبر على ما يصيبهم في أنفسهم وأموالهم.. فذلك هو قدر المجاهدين في سبيل الله، والداعين إلى الحق والخير.. والله تعالى يقول:

«وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ بِمِثْلِ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣١﴾»

(محمد: ٣١)

ويقول سبحانه :

«أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ»  
(آل عمران: ١٤٢)

ويقول جل شأنه:

«أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٤﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ <sup>ط</sup> فَلِيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلِيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ»

(العنكبوت: ٢ - ٣).

ويقول تبارك اسمه:

«أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمُونَ  
الْبَاسَاءَ وَالضَّرَّاءَ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ الْآ  
إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ»

(البقرة: ٢١٤)...

انه ابتلاء ، وامتحان .. وبهذا الابتلاء وبذلك الامتحان تنكشف معادن الناس ويعرف مكان الإيمان منهم، وإلا لكانوا على حال سواء .

لولا المشقة ساد الناس كلهم الجود يفتقر، والإقدام قتال

وفي هذا المقام من الابتلاء ، تختلف بأهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المواقف، وتمايز المنازل والدرجات حسب ما في قلوبهم من إيمان بما يدعون إليه، وبما عندهم من رصيد العزم والصبر على المكاره.

فهم - وإن كانوا جميعا على طريق الجهاد ، وفي مواقع الابتلاء - ليسوا على سواء في الصبر على الشدائد، وتحمل البلاء.. بل

«هُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا يَعْمَلُونَ» (آل عمران: ١٦٣).

فأكثر دعاء الخير بلاء وأوفرهم نصيبا من الضر والأذى في سبيل دعوته، هو من كان أوثقهم بالله إيمانا، وأقربهم إلى الله منزلة..

فعن سعد بن أبي وقاص - رضى الله عنه - أنه قال: قلت يا رسول الله.. أى الناس أشد بلاء؟ فقال صلى الله عليه وسلم: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل.. بيتلى الرجل حسب دينه، فإن كان فى دينه صلبا، اشتد بلاؤه، وإن كان فى دينه رقة هون عليه.. فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض، وما عليه خطيئة» (أخرجه الترمذى، وقال حديث حسن)

وإذا كان الصدر الأول للإسلام، قد سجل صحفا خالدة رائعة للبطولة العزيزة النادرة، في مختلف ميادين الجهاد، من داخل النفس وخارجها، وما احتمل هؤلاء الأبطال المجاهدون من شدائد، وما ركبوا من أهوال في سبيل الحق الذي آمنوا به وارتضوه رفيق حياتهم، فبدلوا النفوس بذل السماح في غبطة ورضى، وفي هؤلاء الأبطال المجاهدين الصادقين يقول الله تعالى:

«مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَجْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ»

(الأحزاب: ٢٣ - ٢٤) ..

وهم الذين أشار إليهم وإلى من أخذ الطريق معهم، سبحانه وتعالى في قوله الكريم:

«إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنْ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ»

(التوبة: ١١١)

وفي قوله تعالى:

«وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيِّ قَتَلَ مَعَهُ رِيبِيُونَ كَثِيرٌ مِمَّا هُنَا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾ فَعَاتَبَهُمُ اللَّهُ تَوَابَ الدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»

(آل عمران: ١٤٦ - ١٤٨)

\* نقول: إذا كان الصدر الأول للإسلام، قد قدم تلك النماذج الإنسانية العظيمة الخالدة في الثبات على الحق، والاستمسك به، والزيادة عن حرمانه، والتفدية له بالنفس، والأهل والمال - فإن مسيرة الأمة الإسلامية، من مطلع الدعوة إلى اليوم لم يخل ميدانها أبداً من الأبطال المؤمنين المجاهدين في سبيل الله، العاملين على التمكين لدين الله في الأرض، الذائدين عن حرمانه، مستعذبين في ذلك العذاب الدنيوي من أجل إعلاء كلمة الله وإعزاز دينه، والقضاء على الآفات التي تندس إلى كيان الأمة الإسلامية، من الأهواء والبدع التي يسوقها إليها المصللون والمبتدعون، لتطمس معالم الطريق إلى الله ولتطفى جذوة الإيمان المتقدة في صدور المؤمنين، بما يهب عليها من أعاصير البدع، وعواصف الفتن، وإذا المؤمنون في ليل بهيم، لا يعرفون إلى أي متجه يتجهون!

ولكن الله تعالى ذو فضل على المؤمنين، حيث يهيب لهم من بينهم من يقوم لكشف هذه الغواشي عنهم، ويستنقذ سفينتهم من أن تغرق، ويغرقوا معها في متلاطم هذه الأمواج العاتية، وإذ هم على مرفأ الأمان والسلامة..

« يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ »

(التوبة: ٣٢ - ٣٣)..

\*\*\*\*

وها هي ذى صحف التاريخ الإسلامي، حتى تلك الصحف التي غلب عليها سواد الفتن التي تلاطمت أمواجها في محيط العالم الإسلامي - هذه الصحف لم تخل أية صفحة منها من سطر أو سطور، مشرقة لداعية أو دعاة من أبطال الإسلام، قاموا في الناس مقام الأنبياء في أقوامهم الذين تغشتهم غواشي الضلال، وانعقدت فوقهم ظلمات الليل الطويل، حتى كادوا يغرقون في أوحال الرجس والرذيلة - فدعوا فيهم بدعوة الله ورفعوا لهم منارات الطريق إلى الله..

« لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ » (الأنفال: ٥٢)

وقد أقام الله الحجة على عباده بهؤلاء الدعاة إلى الله مؤكداً بها الحجة بما بعث من رسول، وبما أنزل معه من كتاب:

ج  
«لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرُّسُلِ»  
(النساء: ١٦٥)

\*\*\*\*

ونذكر هنا في هذا المقام - بعد عصر الصحابة والتابعين - الإمام أحمد بن حنبل رضى الله عنه، وموقفه الرائع المجيد، وجهاده الصادق المبرور، من فتنة القول بخلق القرآن.

وقد ظهرت هذه الفتنة في خلافة المأمون، الخليفة العباسي في أوائل القرن الثالث الهجري، حيث دعا المأمون بتلك البدعة، بأن القرآن مخلوق، ودعا العلماء إلى القول بها وحمل المسلمين عليها.. فكانت فتنة عيياء، دخل فيها كثير من علماء الدولة، الذين ناصروا الخليفة في القول بها، على حين أنكرها وتصدى لدفعها كثير من العلماء أول الأمر، ثم رجعوا عن موقفهم هذا واحداً واحداً، تحت سطوة الخليفة.. وبقي أحمد بن حنبل - رضى الله عنه - وحده في مواجهة الخليفة المأمون، ومن جاء بعده من الخلفاء حتى خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ حيث ماتت تلك الفتنة..

ولقد لقي أحمد بن حنبل في سبيل موقفه هذا ألواناً من البلاء في السجن، والضرب بالسياط على الملأ، وهو صامد صمود الجبل، حتى مات متأثراً بلهيب السياط التي مزقت جسده، مضافاً إلى سجل الشهداء المجاهدين في سبيل الله، فرضى الله تعالى عنه وأرضاه.

وأنه لولا موقف هذا المجاهد العظيم وصبره على البلاء لظلت هذه الفتنة تدور في تلك الأمة الإسلامية إلى اليوم، وإلى ما بعد اليوم، وليعلم الله ما كان يتولد منها من فتن، وما يتهدد الأمة الإسلامية منها من بلاء!

كما نذكر هنا أيضاً الإمام الليث بن سعد، والعز بن عبد السلام، وابن تيمية وتلميذه ابن القيم، وما كان لهم، وللمجاهدين من مواقف رائعة في وجه الفتن المتدفقة على المسلمين، من السلاطين والأمراء، ومن انضوى تحت لوائهم من علماء السوء الذين

اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة حيث زينوا للحكام المنكرات، وأحلوا لهم الحرام، فباءوا بأخسر صفقة، وكانوا من الذين قال الله تعالى فيهم:

«أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ»  
(البقرة: ١٦).

ولا ننسى في هذا المقام، مقام الجهاد في سبيل الله، والنصح لله، ولرسوله ولكتابه وللمؤمنين - ما كان للأئمة الأربعة، أبي حنيفة، والشافعي، وأحمد بن حنبل، ومالك بن أنس، وتلاميذهم، من جهاد مبرور في حفظ الشريعة وحمايتها من كل دخيل يدخل عليها من البدع، والأهواء والتأويلات المفسدة لكتاب الله وسنة رسوله.. فعلى طريق هؤلاء الأئمة سار عامة المسلمين على هدى وبصيرة من دين الله. وأحكام شريعته، كما لا ننسى في هذا المقام أيضا مقام هذا الجهاد لحماية دين الله، ما قام به أئمة الحديث من تدوين السنة النبوية الشريفة، وتحقيق الصحيح منها، وعزل الموضوعات عنها، فرضوان الله عليهم أجمعين.

\*\*\*\*

إذا نحن انتقلنا إلى عصرنا الحاضر، وما لأئمة الجهاد فيه من بلاء عظيم، وجهاد صادق في الذود عن دين الله والنصح لله ولرسوله ولكتابه وللمؤمنين - وجدنا لهذا العصر مقدمات مباركة، من جهاد المجاهدين الصادقين الذين لا تزال أنفاسهم الطاهرة المباركة تعطر أجواء الحياة من حولنا، وقد الأجيال المعاصرة بأمداد طيبة من الزاد الذي يقوى عزائم المؤمنين المجاهدين، ذوى الغيرة على دين الله من أن يتصدع بنيانه، أو تتداعى أركانه.. وهكذا تتصل حلقات المجاهدين بسلسلة طويلة متينة من أئمة الجهاد الذين يضمهم هذا الركب المبارك من مطلع الدعوة إلى اليوم وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها..

ولاشك أن على رأس عصرنا هذا من أئمة المجاهدين الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، الذي طلع على الأمة الإسلامية بعد نوم طويل ثقيل، وفي وطأة كابوس كئيب، تعوى فيه ذئاب البدع والضلالات، فصرخ من أعماقه تلك الصرخة المدوية

التي أيقظت كل نائم ونبهت كل غافل، وأزعجت المتسلطين على الناس بسطان الدنيا، أو من جهة الدين، فكان مما حملت صرخته تلك: (أيها المسلمون، استيقظوا فإن الهلاك لكم بمرصد، إن لم تعودوا إلى دينكم الذي هجرتموه فهجركم، وإنكم إن لم تسرعوا، وتسكوا به، وتشدوا أيديكم عليه، أفلت منكم، وذهب إلى غيركم:

«وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ» (محمد: ٣٨)..

وقد كان لهذه الصرخة الصادقة المدوية بليل أثارها العظيمة المباركة، فهب لها النيام، واستيقظ الغافلون وسرعان ما امتلأ ميدان الجهاد بالمجاهدين، في كل قطر من أقطار الإسلام.

فها هو ذا جمال الدين الأفغانى، ومحمد عبده، وتلاميذها، وأشياعها في مصر.. والسنوسى في أقطار المغرب، والشوكانى باليمن، والسيد احمد خان بالهند، والمهدى بالسودان وعبدالرحمن الكواكبى بالشام..

فهؤلاء، وتلاميذهم، وأشياعهم، كانوا ثورات إصلاحية لدنيا المسلمين ودينهم جميعا، وذلك بإصلاح ماديات المسلمين ومعنوياتهم، حتى يأخذوا مكانهم عاليا شامخا مضيئا بين الأمم.. فاذا أصلح المسلمون موقفهم من دينهم، واستظلوا بظل مبادئه وأحكامه، صنحت دنياهم، وعز مكانهم بين الناس.. ولن يكون إصلاح دين المسلمين إلا بالرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ومجانبة كل ما دخل على دين الله من بدع غطت وجه الدين وحجبت خيره عن أولئك الذين لم يعزلوا تلك البدع عنه.

\*\*\*\*\*

وإذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رضى الله عنه - هو باعث تلك الحركة الإصلاحية المعاصرة، والداعية إلى الاستمسك بدين الله، واتخاذ كتابه وسنة رسوله دستورا قائما عليهم، وسلطانا حكما بينهم في أفرادهم وجماعاتهم وشعوبهم - إذا كان ذلك كذلك - وهو الحق المشهود - فإن من حق هذا المصلح العظيم أن يحتفى به، وأن تعرض صفحات من جهاده تكشف عن بلائه وصدق عزمته، وصبره على المكاره، احتسابا لله،



وابتغاء لمثوبته ورضوانه، بالنصح للمسلمين، وردهم من مناهات الطرق التي شردوا فيها عن دين الله، حتى ضعف شأنهم ووقعوا فريسة ليد أعداء الله وأعداء دين الله وأعداء المؤمنين بالله.

فحق الشيخ محمد بن عبد الوهاب معقود في عنق كل مسلم حريص على الخير لنفسه وللمسلمين، أن يدرس سيرة هذا البطل المجاهد، وأن يتعرف إلى أسلوب دعوته، ومضامينها، وأن يشهد صورا من جهاده وبلائه وصبره، وأن يرى كيد الشيطان وأولياء الشيطان لدعوة الحق، وللداعين بها، ثم ليعرف آخر الأمر أن النصر للحق وأن العقاب للمتقين، ثم ليكون هذا أسوة للمتأسين وطريقا للمجاهدين:

« لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ  
وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ »  
(المتحنة: ٦)

وإذا كان الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العصر الذي سبق عصرنا هذا - فإننا إذ نخصه بهذا الاحتفاء، فما ذلك إلا لأنه لم يجبى من بعده من يرتفع إلى منزلته أو يقف إلى جواره وإن كان هناك كثير من المصلحين قد جاءوا من بعد إلا أنهم كانوا تلاميذ له، أو متأثرين بدعوته، سائرين على مواقع أقدامه، دون أن يلحقوا به!

\*\*\*\*

وبحثنا هذا الذي نديره حول سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب إنما يتناول جانبا واحدا من جوانب سيرته الرحبة العظيمة، وجهاده المتسع الميادين، وذلك الجانب هو: «الشبهات التي أثرت حول دعوته»..

تلك الشبهات التي قامت بواعثها على مدعيات باطلة ومنازع فاسدة، لأسباب سياسية أو لدوافع شخصية، من علماء الدنيا، المتجرين بالدين، أو عن جهل غلب عليه الحمق والحسد الأعمى دون نظر أو تثبت. إلى كثير من بواعث الهوى، التي فضحها الإمام في حياته برسائله وكتبه ثم فضحتها الأيام بعد

مماته، لأن الحق وإن شوش عليه الباطل يوماً، فإن سلطان الحق المستمد من سلطان الله تعالى لا يلبث حتى يزهد الباطل، ويحمد أنفاسه:

« بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ »

(الأنبياء: ١٨)

نسأل الله العون والتوفيق ..

وصلى الله على سيدنا محمد ، وعلى آله، وأصحابه، والتابعين وسلام على المرسلين

والحمد لله رب العالمين!

\*\*\*\*

## مدخل إلى البحث

عرفت الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، معرفة صحبة ملازمة، منذ نحو عشرين عاما، وكان ذلك في شهر فبراير سنة ١٩٥٩م حيث كنت قد انتزعت من بين أهلى فى منتصف ليل التاسع من هذا الشهر، ثم ألقى بى فى السجن الحربى نحو ثمانية أشهر بين زبانية هذا السجن الجهنمى، وما معهم من كلاب، وحيات يطلقونها على ضيوف هذا السجن الرهيب.

وكانت محنة قاسية ضاقت بها نفسى، وخاننى فيها صبرى، وتغشتنى فيها غواشى الوحشة المرة، والألم الأليم الممض.. وليس من عزاء إلا الرجاء فى رحمة الله والطمع فى فواضل رحمته وإحسانه..

ذلك أنى وقعت ليد باغية متسلطة، أعادت فى مصر سيرة فرعون وجبروته الذى سجل عليه القرآن الكريم قولته الضالة الأثمة يهتف بها فى قومه، من كرسى عرشه:

« فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى »  
(النازعات: ٢٤)

ثم يتبعها قولته الفاجرة:

« يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي »  
(القصص: ٣٨).

نعم لقد وقعت ليد فرعونية، إن لم يجهر صاحبها بادعاء الألوهية، فإن هذا الادعاء كان يعيش فى ضميره ويتسلط على عقله، ويتحكم فى أقواله، وأفعاله.. فكلمته حكم، وأمره قضاء، ومشيتته قدر.. فكان نصيبى من هذه المحنة، هو نصيب كل مصرى عاش

تحت حكم هذا الفرعون، وإن اختلفت حظوظهم من تلك المحن الواقعة بهم.. فهم جميعا عند قول الشاعر:

من لم يمت بالسيف مات بغيره :: تنوعت الأسباب والموت واحد  
وأنه لا يأس من روح الله !

ففى زحمة هذه الخواطر السوداء التى كانت تتعاوى فى مشاعرى كقطيع من ذئاب مسعورة تطلب صيدا، وتتربص بفريسته، رأيت الشيخ محمد بن عبدالوهاب، يدخل على فى مزدحم هذه الخواطر، من غير معرفة سابقة به، ولا استدعاء له، إذ لم يكن له عندى إلا صورة باهتة من سيرته، عفى عليها النسيان وعلاها كثير من الغبار، الذى أثاره فى وجه دعوته كثير من أعداء الحق، وطلاب المناصب والجاه من علماء السوء.. نعم، دخل على خواطرى فى تلك الحال الشيخ محمد بن عبدالوهاب - رضى الله عنه - جليسا مؤنسا، وإذا كل هذه الخواطر السوداء تتبدد، وتفريهة، وإذا الشيخ - رضوان الله عليه - يملأ فراغ نفسى، ويأخذ مكانا متمكنا من قلبى، وإذا برد السكينة والأمن يثلج صدرى المهموم المحموم!!

وأسأل نفسى: ما لهذا الشيخ بى؟ ولم يكن هو الطارق لباب وحدتى وهمومى، إن فى الأمر سرا، لا بد أن تكشف عنه الأيام..

ثم لقد غلبنى النوم، فتمت بعد ليال لم أذق فيها للنوم طعما، وهل ينام من تعضه الكلاب وتنهشه الحيات، وتصك أذنيه صرخات المعذبين، وأنين الجرحى؟

وكان مساء ، وكان صباح !!

وما كدت استيقظ صباح ليلتى تلك، حتى وجدتنى أعود إلى ترديد هذا السؤال ما لهذا الشيخ بى؟ وما شأنه معى؟ ومن لى فى هذا السجن المطبق على بأن أجد كتابا أو كتبا لأعرف شيئا أكثر وأصدق عن هذا الشيخ الذى لم أكن أعرف عنه إلا أخلاطا من الآراء المتضاربة المتناقضة، التى لم أقف عندها، ولم أعمل على تحقيقها وتحصيلها؟

وهكذا عشت فترة اعتقال في السجن الحربى، وأنا مشغول بهذا الشيخ، الذى لم تكذ تفارقنى أنفاسه ليلة واحدة خلال تلك الفترة.

ثم خرجت من هذا السجن أو القبر الى عالم متجهم لى، أنكرنى فيه القريب وتحافانى الصديق، خوفا من أن تلحظه عين من تلك العيون المسلطة على، تتبع خطواتى، وتسمع همسى، وتختطف كل من تحدثه نفسه ببسمة للقاتى، أو بهمسة عزاء فى أذنى.

ومن أول يوم من خروجى الى عالم ما وراء السجن الحربى، وأنا فى لهفة الى لقاء الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيما كتب الكاتبون عن دعوته من أولياء وأعداء..

وكان من هذا أن أخرجت للناس أول كتاب من سلسلة مؤلفاتى التى جاوزت الستين مؤلفا الى يومى هذا.. وكان هذا الكتاب، أو الكتيب تحت عنوان: الدعوة الوهابية<sup>(١)</sup> محمد بن عبدالوهاب، العقل الحر، والقلب السليم..

وكان هذا الكتاب فاتحة خير لى، وبركة على، إذ فتح الله على بعده بهذه المؤلفات العديدة، التى كانت ذكرى الشيخ تلازمنى دائما أثناء إعدادها.

وقد نشر هذا الكتيب عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى رجب سنة ١٣٧٩ هـ ، الموافق يناير سنة ١٩٦٠م أى بعد أربعة أشهر من خروجى من السجن!

فرحم الله الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمة واسعة، وأجزى له المثوبة، بما هدى من ضلال، وما أزال من شبهات، وكشف من ظلمات، وبما مهد من طرق لدعاة الخير ومريدى الإصلاح.

---

(١) نسبة الدعوة الى الوهابية نسبة خطأ، لم أنتبه اليها فى حينه، فما هى إلا دعوة إسلامية، مجددة لما اندثر أو كاد من معالم الإسلام، بما دخل عليه من بدع، ومنكرات، لبس بها المسلمون أنواب الشرك.

هذا وقد أعيد طبع هذا الكتيب في ربيع الآخر ١٣٩٤ هـ الموافق ابريل ١٩٧٤م، بعد أن التقيت في الرياض بالأستاذ الجليل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن محمد بن ابراهيم آل الشيخ، حفيد الإمام صاحب الدعوة، الذي صحح لي بعض المفاهيم عن دعوة الشيخ الإمام، وكان قد اختلط على بعضها، في مزدهم المقولات التي قيلت في الدعوة مما ينقض بعضها بعضا، فتقبلت هذه التصحيحات راضيا شاكرا، وأثبتها في صلب الكتاب - في طبعته الثانية تلك - وعلقت على بعضها بما رأيت من فهم لي.

وها أنذا، أشرع في الكتابة عن الشيخ الإمام ودعوته، متناولا جانبا واحدا من جوانب دعوته، وهو جانب المتصدين لدعوته، المحاربين لها بالمفتريات والأباطيل، دفاعا عن سلطانهم القائم على العامة بهذه المفتريات وتلك الأباطيل..

وإذا كان الحق قد انتصر، وكشف الزمن عن صدق الدعوة، وإخلاص الداعية وسقوط ادعاءات المدعين، وضلالات المضللين، الأمر الذي يغني عن النظر إلى هذه الترهات وتلك المفتريات - فإن من الخير - مع ذلك - أن نعيد عرض هذه المواقف التي وقفها علماء السوء من دعوة الحق، ليكون فيها الدرس النافع والعبرة الزاجرة لمن يقفون من دعوات الاصلاح هذا الموقف الذي تباع فيه الضمائر وتسترخص فيه القيم لقاء شيء من حطام هذه الدنيا من مال، أو جاه، أو سلطان!!

واذن فعلى بركة الله نمضي ، وبعونه نستعين ..

لاهـم هب لي بيانـا أستعين به

على قضاء حقوق نام قاضيها

••• وصلى الله على سيدنا محمد، إمام المرسلين، وخاتم النبيين، وعلى آله وأصحابه والتابعين..

وسلام على المرسلين، والحمد لله رب العالمين. ((

## الفصل الأول

### الحياة .. وهذا الصراع بين الأحياء

- ١ -

الحركة هي مبعث القوة العاملة في هذا الوجود، وهي المولد (الديناميكي) لكل الطاقات العاملة في مسرح الحياة، وهي سر هذا التفاعل المتصل بين الكائنات جميعها، من الذرة إلى الجبل، ومن قطرة الماء إلى المحيط، ومن الجنة إلى الشجرة.

فهذه التي تخلع على الحياة في كل لحظة حلا مختلفا الأشكال والأصباغ، إنما هي من نسيج الحركة، ومن صنع يديها، وأنه لولا هذه الحركة الدائبة الشاملة في هذا الكون الرحيب، لجمدت الموجودات ولأكلها الصداً كما يأكل الحديد، ولتحللت كما يتحلل الجسد ويتهراً، حين تزايله الحياة، ويستولى عليه الخمود والسكون.

والحركة في مظهرها صراع عنيف متصل بين الموجودات، كل موجود يريد أن يحقق ذاته، ويبرز شخصيته على نحو ما.. فبعض الموجودات يكون تحقيق ذاتها بإفناء غيرها فيها، حين يأكل الحى غيره، ويفتذى به.. وبعضها يكون تحقيق ذاتها بإفناء وجودها لإحياء غيرها، كما يرى ذلك في مواقف التضحية والفداء والاستشهاد من أجل الجماعة، أو الانتصار لمبدأ كريم.. وبعض ثالث من الموجودات يكون تحقيق ذاتها بالاجتماع مع أشباهها، والانتظام معها في حركة واحدة تنتج خيراً يتقاسمه الجميع بينهم.

وهكذا تتعدد صور الصراع بين الموجودات إلى أعداد لا حصر لها، حتى يكون الصراع بين الإنسان ونفسه حين تهجم عليه بأهوائها وشهواتها، تريد مسخ إنسانيته، واغتيال فطرته، فيلقاها مغالبا لها، فيغلب حسب ما عنده من رصيد الإيمان، وقوة العزيمة أو ضعفها..

## - ٢ -

والصراع الذى يدخل فيه المؤمن، هو صراع الخير الذى ينشده، ويسخر له قواه، لخيره وخير الجماعة معه، وبين الشر الذى يزمه فى طريق حياته، وفى ميادين عمله، يريد أن يصرفه عن وجهته، وأن يسخره للشر، وموالات الأشرار..

والإسلام فى نظره للخير والشر لا ينكر واقع الحياة، ولا يجاوز الحدود التى تجرى عليها سننها.. فالإسلام يعترف بما فى الحياة من خير وشر، كما يعترف بأن الإنسان فى معرض الخير والشر، وأنها يتنازعه دائما كل منهما يريد به إلى جانبه.. كما يعترف الإسلام بأن فى كيان الإنسان من القوى المدركة العاقلة ما يفرق به بين الخير والشر ويميز به الطيب من الخبيث، كما يفرق بحواسه بين النور والظلام، والحلو والمر، والجميل والقبيح.. كذلك يعترف الإسلام بأن فى كيان الإنسان نفسا أمارة بالسوء، وشيطانا يوسوس له بالمنكر، ويزينه له، ويعرض له الشر فى صورة الخير.

والخير فى نظر الإسلام حق ثابت، والشر زيف عارض، أو بمعنى آخر، أن الخير يقوم على دعائم قوية ثابتة من الحق، ويستند على أسس وطيدة منه، وأن الشر ينبت من حبات الباطل، ويغتذى من سراب الزور والبهتان..

## - ٣ -

وبما أنه لا يمكن أن يأتلف الخير والشر، ويتأخى الحق والباطل، فقد كان لكل موقعه، ولكل أهله ومريدوه من الناس.. ومن هذا كان ذلك الصراع المحتدم بين الناس - أفرادا وجماعات - كل يناصر الموقع الذى أخذه من هذين الموقعين المتضادين، المتنازعين..

ودعوات الرسل والأنبياء والمصلحين الراشدين من الناس، إنما هى وقوف إلى جانب الحق والخير وانتصار لها، واستنفار لمن يستجيبون لدعوتهم، أن يكونوا تحت راية الحق والخير، وأن يعملوا بكل قواهم لهزيمة الشر والباطل، ولو وقعوا شهداء فى ميدان المعركة،



حتى يطيب للناس المقام في هذه الحياة وتظلمهم الطمأنينة والأمن والسلام.. وفي هذا يقول الله تعالى:

«وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ

(البقرة: ٢٥١) ..

ذلك أن من فضل الله على الناس، ورحمته بهم، وإحسانه عليهم، أن ندب فيهم للحق رجلا يحمون حماء، ويدفعون أهل الباطل أن يستعملوا على أهل الحق، حتى لا تفسد حياة الناس، وتتغشاها غواشي الظلم، والبغى، والعدوان..

ولأن أهل الخير ينتصرون للحق، ولأن الحق اسم من أسماء الله الحسنی، فإن الله تعالى ينتصر لمن يلوذ بحمى الحق، ويكون وليا لله مستعينا به فيجد من الله العون والنصر.. وفي هذا يقول الحق سبحانه:

«إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ أُوذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهَدَمَتِ صَوْمِعُ وَيَبَعُ وَصَلَوَاتٌ وَمَسْجِدٌ يُذَكَّرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ»

(الحج: ٣٨: ٤١) ..

- ٤ -

ونصر الحق من أنصار الحق، إنما يكون بالقول والعمل..

فبالقول يكشف وجه الحق، وتشرق أنواره، وتتضح معالم الطريق إليه لمن غاب

عنهم، أو ضلوا عنه.. وبالعامل يدفع أهل الباطل الزاحفون على مواطن الحق، المحاربون لأهله..

وفي هذا المجال يمتحن إيمان المؤمنين، ويتبين صدق الصادقين، حيث يكون البلاء هو النار التي تكشف عن معادن الرجال، وفي هذا يقول الله تعالى:

« وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجْتَهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ »

(محمد: ٣١)

ويقول سبحانه:

« أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ »

(العنكبوت: ٢ - ٣)

ويقول جل شأنه :

« أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَهْمِ الْبِئْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَزُلْزَلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ ؕ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ »

(البقرة: ٢١٤)

والله سبحانه وتعالى قادر على أن يجعل الحق وحده سلطانا قائما في الحياة لا يتحرك به الباطل، ولا ينازعه سلطانه:

« وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ »

(هود: ١١٨ - ١١٩)

فهو سبحانه أراد أن يكون للناس ابتلاء وامتحان وأن يكون للمؤمنين بلاؤهم وجهادهم لإعزاز سلطان الحق والتمكين له، لينالوا بهذا رضوان الله، ولينزلوا منازل المكرمين عنده في جنات النعيم:

«... ذَلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَا بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قَتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِأَلْهَمِ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ»

(محمد: ٤-٦) ..

فلا بد إذن للحق من أنصار يجاهدون في سبيله، ويحتلمون ما يلقاهم على طريق الجهاد من بلاء وعناء، فذلك هو الثمن الذي يقدمه المجاهدون لينالوا به رضوان الله، والذي ضمن به أولياء الشيطان، فكانت عاقبتهم الخسران، والحسرة والندامة.

- ٥ -

هذا ، وقد تعلقو للباطل رايات ، ورايات، وتقوم تحت راياته تلك دولة ودولة حتى يظن أن وجه الحق قد اختفى، وأن دولته قد دالت.. ولكن الواقع هنا هو أن الحق في تلك الحال مضمّر في محيط الحياة الإنسانية، يستدعى أنصاره أن يقوموا له، وأن يزيلوا سحب الضلال المنعقدة في سبائه، لتشرق شمس من جديد وإن طال ليل الباطل وامتد، والله تعالى يقول:

«أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حُلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِمْ - أُولَئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ» (الرعد: ١٧ - ١٨)

ومن هذا المثل الكريم، الذي ضربه الحق سبحانه، للحق والباطل، نرى أن الحق، قد يزاخه الباطل، ويشوبه بغباره ودخانه، كما يشوب المعادن الكريمة ذرات من التراب أو

الصدأ، فإذا عرضت تلك المعادن على النار تخلصت من تلك الشوائب الغريبة التي دخلت عليها، وإذا هي نقية خالصة من كل شائبة!!

كذلك الحق، إذا شابه الباطل، فإنه لا يتخلص من هذا الغريب الذي دخل عليه إلا بجهاد المجاهدين الذين يحرقونه بنار جهادهم، ويخلصون الحق من شوائب الباطل:

« بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ »  
(الأنبياء: ١٨)

ففى قوله تعالى :

« نَقْذِفُ بِالْحَقِّ »

إشارة الى تلك القوة التي تقوم من وراء الحق من المجاهدين في سبيله، والتي تقذف بالحق قذفا، وتدفع به دفعا لتصدم به الباطل صدمة قاتلة.. فإن الحق وحده بغير أنصار ينتصرون له، ويدافعون عنه، هو جوهر كريم فى باطن الأرض، لا بد من البحث عنه والمعاناة فى سبيل الوصول إليه والانتفاع به.

إن من المبادئ المقررة فى علم الاجتماع «أن البقاء للأصلح» والأصلح لحياة الناس، وأمنهم واستقرارهم هو الحق، الذى يولد منه كل خير، كما أن الأصلح للانسان هو سلامة جسده وعقله، فإذا دخل عليه مرض فى جسده، أو أفة فى عقله، فإنه لا يجد للحياة طعما، إلا إذا تخلص من هذا المرض، وعوفى من تلك الآفة.. يقول الفيلسوف الانجليزى (جون ستيوارت ميل) (١٨٠٦ - ١٨٧٣) م «من السخافة أن يتوهم المرء أن الحق - لا لشيء سوى أنه حق - يشتمل على قوة غريزية ليست موجودة فى الباطل، من شأنها أن تمكن الحق، من التغلب على ضروب العقاب، والتنكيل، والشروع التى تمتد بها يد الباطل..

«إذ الحقيقة الواقعة، أن مقدارا كافيا من العقوبات الغاشمة، أو الظلم الاجتماعى يحول دون انتشار الحق..

ولكن الفضيلة الصادقة التي يتميز بها الحق هي: أنه يمكن إخماذه مرة ومرة ومرات، غير أنه لا بد على الزمن من أن يظهر أناس يعاودون اكتشاف الحق، المرة بعد الأخرى، حتى يوافق ظهوره في إحدى المرات ظروفًا ملائمة، فينفلت من الاضطهاد، ويجمع من الانتصار ما يمكنه من التغلب على الباطل، وإجلاله من المواقع التي احتلها».

والظروف الملائمة للحق، التي يشير إليها هذا الفيلسوف، والتي تمكن لانتصار الحق، ودحر الباطل، إنما تكون بظهور رجال أشرفت في قلوبهم أنوار الحق، فأبوا أن يروا الباطل يحوم حوله بظلامه، لأن الباطل كرية الريح، يخفق بريجه الخبيثة صدور أهل الصحة والسلامة، فلا يجمعهم وإياه مكان، بل يعملون جاهدين على طرده والقضاء عليه ولو ذهبت في سبيل ذلك أرواحهم.

## - ٦ -

والرسل والأنبياء ، عليهم السلام - كما أشرنا من قبل - هم القائمون بدعوتهم السهوية المنزلة بالحق، في وجه الباطل، والآخذون عليه السبيل أن يتسلط على الناس، ويفسد حياتهم.

ومن وراء الرسل والأنبياء ، عليهم السلام، أتباع الرسل والأنبياء، الذين يقومون بما دعوا إليه من حق، وما حذروا منه من باطل، فيجاهدون بألسنتهم وبأيديهم وبأموالهم، دفاعًا عن الحق، ودفعًا للباطل أن يحوم حول حماه.

وفي ميدان هذا الجهاد المبرور، يتوارد المصلحون ودعاة الحق على مواقع الجهاد، مسترخصين النفوس والأموال، والأهل والأوطان، محققين بذلك ما عقده مع الله تعالى في قوله سبحانه:

«إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ

وَالْقُرْآنَ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَّ اللَّهِ فَاسْتَبَشِرُوا بِنَجْوَى اللَّهِ بِمَا يَعْتَمِدُ بِهِ  
 وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾ التَّائِبُونَ الْعَمِيدُونَ الْحَمِيدُونَ الْمُخْلِصُونَ  
 الرَّكْعُونَ السَّجِدُونَ الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ  
 لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ

(التوبة: ١١١ - ١١٢) ..

ويقول سبحانه في وصف هذه الأمة:

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
 وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »

(آل عمران: ١١٠) ..

وانه لكي يتحقق للأمة الإسلامية هذا الوصف الكريم، الذي أضفاه الله تعالى  
 عليها - وهو متحقق دائماً إن شاء الله - كان لا بد أن يقوم فيها دعاء الخير الأمرون  
 بالمعروف والناهون عن المنكر، فلا تتعطل فيها هذه الدعوة أبداً، ولا يخفت صوتها في أي  
 زمان أو مكان، وإن كانت هي في زمن أقوى فيها من زمن، وفي حال أكثر فيها ثمرا من  
 حال!

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لتأمرن بالمعروف، ولتنهون عن المنكر ثم  
 لتأخذن على يد الظالم ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن  
 الله قلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم» - أي اليهود - ثم تلا صلى الله  
 عليه وسلم قوله تعالى:

« لَعْنَةُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ  
 ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنِ مُنْكَرِ فَعْلَاهُمْ لَبِئْسَ  
 مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ »

(المائدة: ٧٨ - ٧٩)

وفي سبيل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، كان البذل والتضحية.. والاستشهاد في سبيل الله، من أولئك المؤمنين الذين كان لهم من وثاقة إيمانهم بالله، وغيرتهم على دين الله، ما دفع بهم إلى أخذ هذا الموقف واحتمال ما يصادفهم على طريقه، من شدائد وأهوال..

وفي سجل المجاهدين في سبيل الله، والداعين إلى الله، وإلى شريعة الله، نرى صفحات خالدة مشرقة، لأبطال الإسلام في كل جيل، وفي كل موطن من مواطن الإسلام، وفي كل موقع من مواقع الحق، صفحات تنطق بأبلغ بيان، وتدلى بأصدق شهادة، بأنهم قد صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فما ضعفوا وما استكانوا في أي موقف يدعوهم الحق إلى نصرته، وإلى الجهاد والتضحية في سبيله، وبهذا ظلت وستظل - إن شاء الله - هذه الأمة على هذا الوصف الذي وصفها الحق سبحانه وتعالى به في قوله جل شأنه:

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ »..

وأما ونحن مع سيرة بطل من أولئك الأبطال المجاهدين، الذين ضمهم التاريخ في سجل الخالدين في الناس بما خلفوا وراءهم من صدق الجهاد وعظيم التضحيات، ونعنى بهذا البطل العظيم، والمجاهد المصلح الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - وأنه بحسبنا من سيرته، أن نذكر صفحات من جهاده وصبره على المكاره في هذا الجهاد، وما لقي من مفتريات المفترين، ومضلات الضالين وبخاصة علماء السوء، الذين يتجرون بالدين، تلك التجارة الخاسرة في الدنيا والآخرة:

« أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ

وَتَرَكُهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صَمٌّ بَكَرٌ عَمَى فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ «

(البقرة: ١٦ - ١٨)

وسنرى في هذا الجانب من سيرة هذا الإمام، كيف يواجه الحق جنافل الظلام، وكيف يبذل شمله بأسلحة الإيمان والصبر والتضحية والفداء.. فإن الله بالغ أمره، وناصر أوليائه:

«أَوْلَيْكَ حِزْبُ اللَّهِ الْأَيُّمُ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ «  
(المجادلة: ٢٢) ..

وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ

(العنكبوت : ٦٩).

\*\*\*\*



## الفصل الثانى

### الشيخ .. وراية الجهاد

- ١ -

تعريف موجز بالشيخ :

هو محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن على.. ولد فى بلدة العيينة بنجد سنة ١١١٥ هـ وتوفى الى رحمة الله ورضوانه سنة ١٢٠٦ هـ ، أى أن حياته المباركة قد امتدت فى هذه الدنيا أكثر من تسعين عاما، كانت أعوامها كلها خيرا وبركة على الإسلام والمسلمين، حيث عمرت بالجهاد فى سبيل الله، والدعوة إلى الحق الذى كادت تذهب معاله فى المجتمع الإسلامى كله.

وجده الشيخ سليمان بن على كان من كبار علماء نجد مشهورا بالعلم والفضل، والورع والتقوى، وقد تولى هذا الجد الكريم، وظيفة الافتاء فى نجد، وتعلمذ عليه أكثر علماء نجد، وكان يؤوى طلاب العلم، وفقراء التلاميذ، الذين يتلقون العلم عنه وينفق عليهم من خالص ماله.

ثم خلفه ابنه الشيخ عبدالوهاب .. وكان عالما.. وقد ولى القضاء فى العيينة فى إمرة عبدالله بن محمد بن معمر.

وفي هذا البيت المتصل بالعلم، الناشر لألويته في ربوع نجد، ولد محمد بن عبدالوهاب، ونشأ يتلقى العلم عن أبيه حيث ظهر نبوغه، وأشرقت بصيرته، فنفذ بهذه البصيرة إلى مواقع الحق من دين الله، وأخذ يرى تلك المفارقات البعيدة بين ما في كتاب الله وسنة رسوله، وما كان عليه سلف الأمة، من دين خالص لله ووحداً مطلقاً لله، وبين ما كان يرى من قومه من شرك بالله يتمثل في تعظيم المقبورين، والتمسح بجدران القباب، والأضرحة المقامة على أولئك الأموات والتعبد للأحجار والأشجار، وتقديم القراب لها، وطلب العون منها، والتماس قضاء الحاجات عندها.

ولقد كانت أكثر هذه المعتقدات الشركية، وافدة على نجد وعلى غير نجد في الجزيرة العربية، وفي كثير من أقطار الإسلام - وافدة من بلاد العجم الداخلة في الإسلام بموروثاتها الفاسدة التي لم تستطع أن تتخلص منها، فاختلطت تلك الموروثات بالتوحيد حتى حجبت بضبابها عن كثير من العيون، وأخلته من كثير من القلوب.. وأصبحت تلك المشاهد المنصوبة على أساء لآل البيت - رضوان الله عليهم - في مشهد، وفي قم، وفي مصر، وفي غيرها - مزاراً وحجاً لكثير ممن ينتسبون إلى الإسلام وكأنها صورة من تلك الأصنام التي نصبها مشركو الجاهلية في داخل الكعبة وخارجها حتى كان يوم فتح مكة، حيث ظهر الرسول - صلى الله عليه وسلم - بيت الله من هذا الرجز، إذ جعل ينخس هذه الأصنام بمخصرته، وهو يتلو قوله تعالى:

« وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا »

(الاسراء: ٨١)

فتنقلب على وجوها غارقة في التراب .

ولقد ثارت نفس الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وامتلاً صدره حسرة وألماً، لما رأى ما عليه أكثر المسلمين من حوله، وهم غارقون في هذا الضلال، وليس في قلوبهم، ولا على

ألسنتهم، ولا في أعمالهم شيء من الإسلام، وإن يكن فهو شعار زيف، أشبه بسراب بقية يحسبه الظمان ماء، حتى إذا جاءه لم يجده شيئا.

من أجل هذا لم يطق الشيخ صبورا على ما يرى، فأخذ يطوف في البلاد، لعله يصادف في تطوافه وجها صحيحا للإسلام في أي بلد من بلاد الله، فتنتش نفسه وتبرق بوارق الأمل في صدره، أو لعله يلتقى بمن يشاركه هذه الهموم التي تعتلج في صدره، غيرة على الإسلام، وحرصا على المسلمين، فيخفف ذلك من بعض همومه ويجد بعض العزاء عند من يشاركه حملها.

ولا يبد من شكوى إلى ذي مروءة

يواسيك، أو ينسيك، أو يتوجع

- ٤ -

وكان أن رحل الشيخ من بلده العيينة إلى البلد الحرام، ولما لم يجد هناك ما يشد أزره، ويقوى عزيمته على الدعوة إلى إصلاح حال المسلمين، وتخليصهم من الشرك الذي اغتال مواقع الإيمان منهم - شد رحاله إلى المدينة المنورة.

وفي المدينة المنورة، التقى بكثير من العلماء، الذين حماهم الله من الارتكاس في دنس الشرك، وبرأهم من الضلال الذي وقع فيه كثير من أدياء العلماء وتجار الدين.

ومن هؤلاء العلماء، الذين اتصل بهم الشيخ في المدينة (الشيخ عبدالله بن إبراهيم ابن سيف)، وكان عالما مستنيرا، فاقها لدين الله.. وقد وجد عنده الشيخ محمد بن عبد الوهاب صدى لما كان يتردد في صدره، ويعتلج في خواطره، فأفاد كثيرا من علمه..

كذلك التقى الشيخ في المدينة أيضا بالشيخ (محمد بن حياة السندی)، وكان محدثا عالما، مستنير البصيرة، فاقها لدين الله، سليم العقيدة، بعيدا عن التقليد الأعمى، فلا يقبل أمرا من أمور دينه، إلا رده إلى كتاب الله، وإلى سنة رسول الله صلى الله عليه

وسلم، ثم نظر فيه بعد ذلك نظر متدبر، فإن غم عليه شئ سأل أهل الذكر من علماء السلف بالرجوع الى المعتمد من مؤلفاتهم وآثارهم.

وقد شهد الشيخ وفود الحجيج، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، وما كان يفعل المسلمون من منكرات، وما تنطق به ألسنتهم من شرك غليظ، حول قبر الرسول صلوات الله وسلامه عليه - فشد ذلك من عزمه، وقوى من يقينه على التصدى لهذا الضلال، وإعلان الحرب على هذه المنكرات، بكل ما يقدر عليه من إنكار باللسان، وتغيير باليد لهذه المنكرات، إن استطاع!

- ٥ -

فلما أخذ الشيخ ما أمكنه أخذه من علماء المدينة، ووجد دفء الأمل في صدره، أخذ طريقه الى نجد، معاودا تشديد النكير على تلك المنكرات المتفشية في القوم هناك...

ثم ما كاد الشيخ يستقر في نجد، ويتهيأ لخوض المعركة ضد الشرك هناك، حتى وقع في خاطره أنه إذا قدر له أن ينتصر في هذه المعركة في وطنه، ويزيح غوائل الشرك عنه، فإن الداء لا يلبث حتى يدخل مرة أخرى على أولئك الذين استشفى لهم من دائهم، وذلك بما يزحف عليهم من الأوطان المجاورة، وبخاصة في موسم الحج، وما يحمل وفود الحجيج من آفات الشرك التي تسرى سمومها من حاملها الى الذين تخلصوا منها، كما تسرى عدوى الوباء من المريض إلى السليم..

لهذا رأى الشيخ - رضى الله عنه - أن يأخذ بالحكمة القائلة: «الوقاية خير من العلاج»!

ف رأى أن تكون له رحلات الى العالم الإسلامي، وذلك ليحقق أمرين: أولهما : أن يتعرف على أحوال المسلمين في غير نجد، وأن يتصل بعلماء المسلمين في أى قطر يحل به، ليجد ما عليه الناس هناك، فإن كانوا على الصحة والسلامة في

- ١٣١ -

دينهم، تبين الأسباب التي حفظت عليهم دينهم من أن تدنس حماه آفات  
الشرك.. وإن كانوا على الحال التي عليها أهل نجد وما حولهم، من هذا الشرك  
المتمكن منهم، حاول أن يتعرف على مداخل هذه الآفة، وموقف العلماء منها..

وثانيهما : أنه لا يعدم في هذه السياحة في أوطان المسلمين أن يلتقى ببعض العلماء  
الراشدين، فيفيد منهم ويفيدوا منه، ثم لا يعدم أن يجد منهم الداعية في وطنه،  
الى ما يدعو إليه هو في نجد، وفي الجزيرة العربية، وهذا مما يشد أزر الدعاة، إذا  
تجاوبت دعواتهم، وترددت أصدااء هذه الدعوات من كل ناحية.  
فقلت ادعو وأدعو إن أندى  
لصوت أن ينادى داعيان  
هكذا قدر الشيخ، فكان أن وجه وجهه نحو العراق!!

- ٦ -

### الرحلة الى العراق :

رحل الشيخ الى العراق، وفي تقديره أن فيها صورا من الشرك تزيد عما رآه في نجد،  
حيث المشاهد والقباب الموهة بالذهب، والمكسوة بالدبياج والحرير، وكانت البصرة محط  
رجال الشيخ.

وهناك رأى أكثر مما كان يتصور، من البدع والمنكرات.. ومع هذا فقد صادف في  
العراق عالما جليلا هو (الشيخ محمد المجموعى) الذى كان أشبه بومضة من النور في  
وسط ليل حالك كئيب.

وفي مجلس الشيخ المجموعى، كان الشيخ محمد بن عبدالوهاب، يواجه ما يرى أو  
يسمع من الأقوال والأفعال الشركية، بكلمة الحق، الواضحة الصريحة، التى كانت  
تنزل على رؤوس علماء السوء والعامّة المتعلقين بأذيالهم، نزول الصواعق، ففتجهم  
وجوههم، وتتحرك ألسنتهم بالإنكار على الشيخ ورميه بالمروق من الدين....

ومن هذا الضلال الذى كان عليه أهل البصرة، قامت حملة شيطانية عاتية على الشيخ حيث تداعى عليه السفهاء، والمشعوذون المتجرون بالدين، يشوشون عليه ويرجمونه بأقبح الكلمات.. ثم مازالوا به حتى أخرجوه من البصرة مشيعا بالسب والقذف بالألسنة والأيدى..

أخذ الشيخ طريقه عائدا الى نجد.. وفي الطريق الى بلدة الزبير<sup>(٢)</sup>، كاد يموت عطشا ورهقا، لولا أن سخر الله تعالى له رجلا<sup>(٣)</sup>، رآه على تلك الحال مع ما عليه من جلال ووقار، فأخذته الشفقة به، فأسعفه بالماء، وحمله على حماره، حتى أوصله إلى بلدة الزبير.

ومن بلدة الزبير سار الشيخ الى الاحساء، فلم يمكث بها إلا قليلا، ثم سار منها الى «حريملاء» التى كان والده قد استقر بها.

## - ٧ -

### هذه الهجرات وحصادها :

ولاشك أن هذه الهجرات التى هاجر بها الشيخ الى ربه، نحو مكة والمدينة ثم العراق، وما صادف فى هذه الرحلات من ضروب الشدائد وما طلع عليه من وجوه الخير والشر فى البلاد والعباد - لاشك أن ذلك كان إعدادا طيبا له - للدخول فى هذه الغزوات التى غزاها فى سبيل الله، داعيا الى الله، هاديا الى دينه القويم، صابرا ومصابرا على كل ما يلقي المجاهدون فى سبيل الله من بلاء، هو الطريق الى رضوان الله، وإلى الفوز بجنت النعيم، كما يقول الرسول الكريم، صلوات الله وسلامه عليه: «حفت الجنة بالمكاره، وحفت النار بالشهوات».

(٢) بلدة الزبير لواء من ألوية البصرة، وفيها قبور طلحه، والزبير بن العوام.. وابن سيرين، والحسن البصرى..

(٣) هذا الرجل من بلدة الزبير، ويقال له: أبو حمدان.

ثم كان الى جانب هذه الغزوات بكلمة الحق، تلك السيوف الماضية التي قامت بين يديها ومن خلفها من آل سعود، الذين باعوا أنفسهم لله، زيادا عن دينه ودفاعا عن حرماته.

وبهذا اجتمع للدعوة العنصران اللذان يكفلان لها النجاح، ويبلغان بها الغاية المرجوة منها، وهما: الداعية الذي ينطق بالحق، ويفصح عن دين الله، خالصا من كل شائبة، مبرا من كل زيف.. ثم مع هذا الداعية السيف الذي يضرب في وجوه الباطل، ويردع المبطلين.. والله تعالى يقول:

« وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ »

(البقرة: ٢٥١)

وهكذا عرف الشيخ محمد بن عبدالوهاب، كيف يتأسى برسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوته، وفي هجرته، وفي بيعة الأنصار لنصرته، وفي مواجهة السيف بالسيف، حتى كان النصر والفتح، ودخول الناس في دين الله أفواجا.

ولهذا كان نجاح دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب محسوبا على الناس بمنهج دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم - واقتفاء آثارها.. فكانت الكلمة أولا.. ثم كان السيف ثانيا لمن وقف في وجه كلمة الحق، وصد الناس عنها..  
والشر إن تلقه بالخير ضقت به  
ذرعا، وإن نلقه بالسيف ينحسم

\* \* \* \*

## الفصل الثالث

### في ميدان الجهاد

- ١ -

لقد كان هناك أكثر من ميدان للجهاد، دخل فيه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأنصاره من آل سعود.. وانه إذا كان آل سعود قد حملوا عبء معارك القتال في نجد، وفي الجزيرة العربية، ثم في مواجهة الدولة العثمانية، والأوطان التي تحت يدها - فإن الشيخ - رضى الله عنه - واجه بدعوته أكثر من عدو..

فهناك الشرك الذي غطى الجزيرة العربية كلها، حتى أصبح دينا يدين به الناس بدلا من دين الله.. فكان على الشيخ في هذا الميدان أن يكشف وجوه الشرك، ويفضحها على ضوء الإسلام، وحقائقه.. ثم هناك أهل الضلال من العلماء الجهلاء ومن وراءهم من العامة المنتقدين لهم حيث وقفوا جميعا في وجه الدعوة وشغبوا عليها - وكان على الشيخ أن يتصدى للرد على أهل الباطل، وأن يهزمهم بكلمة الحق بما ألف من كتب وبما وجه من رسائل، وما أدار من محاورات.

ثم كان هناك المجاهدون، وما يقع لهم من نصر أو هزيمة في ميادين القتال.. وكان على الشيخ أن يضبط بحكمته تلك الأحداث، وأن يقيّمها على ميزان الحق والعدل والإحسان، فلا زهو بالنصر يكون منه البغى والعدوان، ولا تخاذل مع الهزيمة يكون منه الاستسلام، واليأس.

وهكذا قضى الشيخ حياته مجاهدا في كل موقع محاربا في كل ميدان، مؤمنا بربه واثقا



في تأييده ونصره حتى لحق ربه، تاركا وراءه رصيда عظيما من قوى الحق وأسلحة النصر، وبهذا الرصيد كتب الله لدعوة التوحيد أن تنتصر، وأن تخفق أعلامها على الجزيرة العربية كلها ثم تمتد آثارها الى العالم الإسلامي كله..

- ٢ -

ولا نتحدث هنا عن الثمن الذي أداه الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والأمير محمد بن سعود، وخلفاؤهما من آل الشيخ وآل سعود، حتى كان هذا النصر العظيم والفتح المجيد للدعوة، التي أعادت الإسلام من غربته الى الوطن الذي أشرقت منه شمس الإسلام على العالمين.

لا نتحدث هنا عن هذا الثمن العظيم الذي بذل لتحقيق هذه الرسالة العظيمة من احتمال الشدائد ومكابدة البلاء والتضحية بالأنفس والأموال، فهذا على كثرته العظيمة في كل وجه من وجوه التضحية والفداء، هو قليل الى ما تحقق من مكاسب جليلة للإسلام، وخير وفير للمسلمين.

ويكفي أن نشير هنا اشارة عابرة الى ما وقع لآل سعود، وآل الشيخ على يد محمد على والى مصر بتحريض من السلطان العثماني، فقد وجه محمد على جيشا كثيفا بقيادة ابنه ابراهيم الى الجزيرة العربية حيث وصل الى نجد، ودخل الدرعية، وسلط المدافع عليها، فحصد أهلها، وخرّب دورها، وهدم حصونها، وقتل كثيرا من آل سعود، وآل الشيخ، ثم أخذ بقية الأمراء من آل سعود، وآل الشيخ أسرى الى مصر، ثم أرسل الأمير عبدالله بن سعود من مصر الى الآستانة، بعد أخذ الأمان له من السلطان، ولكنه قتل هناك غدرا، ولحق بشهداء الحق..

- ٣ -

أما ما لقي الإمام محمد بن عبد الوهاب في حياته، وبعد مماته، من تشويه لدعوة التوحيد، ومن مفتريات عليه وعلى دعوته، المشرقة بنور الحق الناطقة بلسان التوحيد فإن

الأمر هنا يقتضينا أن نبسّط القول فيه، ليكون درسا نافعا لدعاة الخير، وعظة بالغة لمن يحملون أمانة الدعوة الى الله، وطريقا مستقيما واضحا لأنصار الحق المجاهدين في سبيل الله، وما يلقون من سفاهة السفهاء وجهالة الجاهلين وحسد الحاسدين، حتى يوطن الداعي الى الله نفسه من أول الأمر على مواجهة العواصف العاتية المزججة، وأنه في مواجهة امتحان قاس مرير، امتحن به أنبياء الله ورسله ودعاة الحق من بعدهم.

فإن وجد الداعي من نفسه القدرة على الوفاء بحق الدعوة واحتمال الآلام في سبيلها، أخذ طريقه الى الله غير عابئ بما يلقاه من شدائد وأهوال، ولو كان الاستشهاد في موقف الجهاد.. وإلا صرف نفسه عن هذا الموقف، ليقفه رجل أو رجال ممن هم أهل لهذا الموقف العظيم الكريم، ولن يخلو مجتمع المسلمين أبدا من يدعو الى دين الله، ويجدد للأمة الإسلامية دينها، إذا عرضت له العوارض، وتداعت عليه البدع والضلالات.

أما من يدخل هذا الميدان - ميدان الدعوة الى الله ، ومواجهة أعداء الله وأعداء دينه، دون أن يستوثق من نفسه، ويمتحن ببلاءه وقوة صبره واحتامه، فإنه يضر ولا ينفع، حين يكون ممسكا براية الحق ثم يدعها تسقط من يده لأول صدمة يصدم بها أو يفر من الميدان عند أول مواجهة، فإن ذلك مما يقيم به شهادة باطلة على فرار الحق أمام الباطل، والذي فرّ في الحقيقة ليس هو الحق، وإنما ذلك الذي حمل راية الحق، وهو ليس أهلا لحملها.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:

« يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُولُوهُمْ ۗ أَلَدَبَارَ ﴿١٥﴾  
 وَمَنْ يُؤْمَرْ بِمُؤْمِنٍ دُبْرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِتْنَةٍ فَعَدْبَاءُ  
 بَغْضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ » (الأنفال: ١٥ - ١٦)..

إن هذا الذي ولى دبره فارا من المعركة، جبنا وخوفا، هو راية هزيمة تستدعى اليها غيره ممن كانوا في ميدان المعركة، حيث يرون في هذا الفار ما يخيل اليهم منه أنه رأى الدائرة تدور على المسلمين، فكان منه هذا الموقف الذي قد يؤدي الى هزيمة المسلمين فعلا، ولهذا توعد الله تعالى بغضبه في الدنيا وبالنار مأواه في الآخرة!

فماذا لقي الشيخ محمد بن عبد الوهاب في سبيل دعوته من شدائد ومحن في حياته؟ وماذا لقيت دعوته الى توحيد الله، وإخلاص العبودية له وحده سبحانه، من افتراءات عليها، وكيد لها، وتزييف لحقائقها في حياته وبعد مماته؟

ذلك ما نتحدث عنه في الفصل التالي - ان شاء الله - ومن الله العون وبالله التوفيق.

\*\*\*\*

## الفصل الرابع

### صراع بين الحق والباطل

هذا الصراع بين الحق والباطل، هو المحور الذى تدور عليه قصة الإنسانية على هذه الأرض، منذ خلق آدم الى يوم الناس هذا، والى ما بعد هذا اليوم حتى ينتهى دور الناس فى هذه الحياة الدنيا.. حيث لا تخلو أحداث هذه القصة فى أى فصل من فصولها من صورة من صور هذا الصراع، بين شد وجذب، وانتصار وهزيمة.. ثم يكون النصر والغلب للحق فى آخر كل فصل، ثم فى نهاية القصة..

والحق هو الخير والنور والهدى والفلاح لكل من تمسك به وأخذ الطريق معه.. لأنه طريق الله، وهو سبيل المؤمنين الذين رضى الله عنهم، وكتب لهم الحياة الطيبة فى الدنيا والآخرة، كما يشير الى ذلك قوله تعالى:

«وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾  
\* لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ»

(يونس: ٢٥ - ٢٦)

وقوله سبحانه :

«وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ»

(النور: ٥٢)

والباطل هو الشر والظلام والضلال فى جميع صوره وأشكاله، وفى مختلف مواقعه وأحواله، لا يلبس من أمسك به إلا البلاء والشقاء وسوء المصير فى الدنيا والآخرة جميعا..

كما يشير الى ذلك قوله تعالى:

«فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ»  
(غافر: ٧٨)

وقوله سبحانه وتعالى:

«وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُحْسِرُ الْمُبْطِلُونَ»

(الجاثية: ٢٧) ..

والباطل هو المنكر، الذي يجب على المؤمن إنكاره، والعمل على القضاء عليه كما يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فليسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان».

والتعبير بالقلب، الذى أشار إليه الرسول الكريم لإنكار المنكر، وعدم الوقوف عنده ضعفاً في إيمان المؤمن هو أول درجات الإنكار للمنكر، حيث لا يكون إنكاراً باللسان أو باليد، إلا بعد الإنكار بالقلب فإذا رأى المؤمن الصادق الإيمان منكراً أنكره أولاً بقلبه حين يراه خارجاً عن طريق الحق والخير، ثم ينكره باللسان، فإن غاب وجه المنكر بهذا الإنكار باللسان، وإلا كان الإنكار باليد الضاربة للمنكر وأهله الصارعة لهم في ميدان الجهاد.

وفي هذا الميدان لإنكار المنكر يمتحن إيمان المؤمنين، وفي هذا الامتحان ينكشف معدن المؤمن ويرى جوهر إيمانه، وصدق يقينه، كما يقول تعالى:

«وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَنَّكُمْ أَخْبَارَكُمْ»

(محمد: ٣١)

ويقول صلى الله عليه وسلم: «يبتلى الرجل حسب دينه، فإن كان في دينه صلواً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة هون عليه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشى على الأرض، وما عليه خطيئة» (رواه الترمذى، عن سعد بن أبى وقاص).

## من الظلمات الى النور:

وانه لكي يخرج النور من أحشاء الظلام، ولكي يتخلص الحق من شوائب الباطل، كان لابد من آلام ومعاناة أشبه بآلام المخاض ومعاناته، لتستقبل الحياة مولودا من مواليدها، الذي يزداد به نبت الحياة ويكثر عطاؤها.

ولهذا فإنه ما كاد الإمام محمد بن عبد الوهاب يؤذن في قومه بكلمة التوحيد ويدعوهم الى الخروج مما هم فيه من ضلال وتيه عن الله وبعد عن دينه - ما كاد الشيخ يهتف بقومه: أن عودوا الى الله واهجروا ما أنتم فيه من شرك به، حتى تداعى عليه الناس من العوام، وأشبه العوام من جهلة العلماء، يرمونه بالمروق من الدين، ويرجمونه بالمنكر من القول، ويتنادون بالتأمر عليه، ونصب الشباك له، والوقوف في وجه دعوته ولو بالسيف!!

وكان الشيخ - ومعه آل سعود - كلما تخطى عقبة في سبيل دعوته، واجهته عقبات، وكلما حرر منطقة من أسر الشرك، تألبت عليه المناطق التي حولها، واشتد حنقها وسعارها، وتعاقدت على الهجوم عليه قبل أن يهجم هو ومن معه عليها.. وهكذا أخذت دائرة الصراع تتسع وتتسع، حتى كادت تشمل العالم الإسلامي كله من السلاطين والأمراء، والحكام، والعلماء، والعامّة.. من لم يدخل المعركة ضده بالسيف، دخل بالرأى المخادع، وبالكلمة الباطلة، إثارة للغبار والدخان في وجه الدعوة وداعيتها، ومن يناصره.

والذي يعيننا من هذا الصراع المحتدم بين دعوة التوحيد وأنصارها من جهة وبين أعدائها والثانين لها من جهة أخرى - الذي يعيننا من هذا في هذا المقام ليس هو الصراع الذي كان مجاله ميادين القتال، وما ضحى الأنصار في سبيلها من أنفس

وأموال، فذلك له مكانه من صحف التاريخ التى سجلت لهؤلاء المجاهدين أمجد صفحات البطولة، وأعظم مشاهد التضحية والفداء من أجل نصرة الحق، وإعزاز دين الله.

وإنما الذى يعيننا هنا أن نعرض للشبهات الباطلة والمفتريات المضللة، التى رميت بها دعوة التوحيد وداعيتها من علماء السوء لنكشف بذلك عن تلك الوجوه المنكرة، التى لم ترع أمانة العلم، ولم تحش الله فيما تقول من زور وبهتان، ابتغاء الاحتفاظ بسُلطان لها على العامة، أو تزلفاً لأمير أو سلطان، لقاء منصب يعود على صاحبه بجاه أو مال .

وإذا كان هؤلاء العلماء الذين خانوا أمانة العلم، وخانوا الله ورسوله، فقالوا غير الحق فى دعوة التوحيد وكتبوا ما جاء فى كتاب الله وسنة رسوله، أو تأولوه على غير وجهه بما يستجيب لأهوائهم، ويحقق مآربهم، إذا كان هؤلاء العلماء قد رحلوا عن هذه الدنيا بما اكتسبوا من عدوان على الحق، ومناصرة للباطل، فإنه قد كان بحسبنا أن ندعهم، وندع حسابهم لله سبحانه - ولكننا قد أثرنا أن نستعرض مقولاتهم ونفضح مفترياتهم، ليكون فى ذلك عبرة لمن يأتى بعدهم، حتى يكون له من ذلك رادع يردعه عن أن يخون أمانة العلم، وما أوجبه الله تعالى على العلماء من أن يبلغوا عن الله وأن يبينوا للناس مواقع الخير، ويدعوهم إليه، وأن يريهم وجوه الباطل، ويحذروهم منه.. كما يقول الله تعالى:

«وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ تَمَنَّاءَ قَلِيلاً فَبِئْسَ مَا يَكْتُمُونَ»

(آل عمران: ١٨٧)..

نعم لقد نبذ هؤلاء العلماء الذين وقفوا من دعوة التوحيد هذا الموقف المنكر الضال - نبذوا عهد الله وبدلاً من أن يكونوا من دعائها، وأنصارها، والمجاهدين فى سبيل الله لنصرتها، والتمكين لها، راحوا يرمونها بالزور، ويقذفونها بالبهتان .

نعم لقد نبذ هؤلاء العلماء الميثاق الذى أخذه الله عليهم، من أن يقوموا فى الناس مقام الأنبياء فى الدعوة الى الحق والجهاد فى سبيل الله، وطرحوه وراء ظهورهم واشتروا بهذا تمناً قليلاً، فبئس ما يشترون.

وقبل أن نحاكم هؤلاء العلماء الذين خانوا الأمانة، ونقضوا ميثاق الله الذى أخذه عليهم - نود أن نشير إشارة سريعة الى دعوة التوحيد، التى دعا إليها الإمام محمد بن عبد الوهاب، ونضعها على ميزان الحق من دين الله، وما نطق به الكتاب الكريم، وما جاءت به سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حتى إذا عرفنا الحق الذى جاءت به تلك الدعوة، ثم نظرنا إلى ما قال هؤلاء العلماء فيهما تبين الحق من الباطل وانكشف وجه المبطلين على ضوء الحق:

«فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ»  
(غافر: ٧٨)

### ماذا فى دعوة الشيخ ؟

فى المؤلفات والرسائل التى تركها الشيخ وأتباعه وتلاميذه من بعده - لسان ناطق بدعوته، وشاهد حق عليها، وعلى ما تحمل من حق وخير، وهدى للناس.

كما أن المؤلفات، والمحاورات، والمناظرات، التى خلفها خصوم الدعوة - لسان ناطق عليهم بما قالوا غير الحق، وبما افتروا، وكذبوا على الله ورسوله، بما تأولوا من كتاب الله، وما افتروه على رسول الله.

وتأخذ دعوة الشيخ من بعض كتبه ورسائله، ثم نعرضها على كتاب الله وسنة رسوله، ثم يكون بعد ذلك الحكم، لها أو عليها..

فماذا يقول الشيخ - رضى الله عنه - فى كتبه ورسائله ؟

فهذا كتاب «كشف الشبهات» من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهو كتيب صغير الحجم، كتبه الشيخ رحمه الله - ردا على تلك الشبه التى أثارها المضللون فى وجه



دعوته، وجروا فيها على تملق العامة، واسترضاء أهوائهم بما ألفوه وربوا عليه من ضلالات الشرك، وإشعارهم بأنهم على الحق، وأن ما كانوا عليه هو دين الله، وهو شرعه القويم.. وهذا من شأنه أن يغرى العامة بالتمسك بما هم فيه، وفي خروجهم عنه خياع لماضيهم، ولكل ما عملوا فيه.. والانسان حريص على تزكية أعماله التي صدرت عنه، وهذا ما جعل المشركين يسكون بشركهم ويإنكارهم للبعث الذي لم يعملوا له حسابا بل كان حسابهم مضافا الى الحياة الدنيا، كما قال الله تعالى على لسانهم:

« وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ » (الأنعام: ٢٩)..

« وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُكُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يَنْبِئُكُمْ إِذَا مُرِّقُمْ كُلُّ مُمَرِّقٍ إِنَّكُمْ لِنِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ » (سبأ: ٧ - ٨)..

ومن هنا كان لدعوة التوحيد التي قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب، هذه قواعد الشرك التي تحصن فيها المشركون - كان لهذه الدعوة وقع الصاعقة على هؤلاء المشركين، وكان على الشيخ أن يصمد لتلك الحرب الضارية التي تواجه بها دعوته..

وذلك هو موقف كل داعية الى الله، من أنبياء الله ورسله، والهداة المصلحين من أتباع الأنبياء والرسل.. حيث يواجه الداعية الى الله، والتحول بالناس من الضلال الى الهدى، ومن الشرك الى التوحيد، ومن الظلام الى النور - حربين في وقت واحد -

الحرب الأولى: وميدانها هذا الداء الخبيث من الشرك، الذي سكن في كيان المشركين، ينفث سمومه في عقولهم وقلوبهم، حتى سكنوا إليه وألفوه بحيث إذا سكن عنهم هذا الداء أصابهم الأرق، فلا يغمض لهم جفن حتى يعاودهم الداء وتسرى سمومه المخدرة في كيانهم.. شأنهم في هذا شأن مدمن الخمر ومتعاطى المخدرات.. انها سموم، تسرى في بدنه، وتغتال كل صالحة فيه، ولكنه مع ذلك إذا انقطع عنه هذا المخدر، أصابه سعار كسعار الكلب، فلا يسكن سعاره إلا بهذا الداء الذي فيه دواؤه.. ولسان حاله قول

أبى نواس، الشاعر الماجن الذى كان لا يفيق من خماره، والذى يقول:  
دع عنك لومى، فإن اللوم إغراء

وداوى بالتى كانت هى. الداء

وأما الحرب الثانية التى يدخلها الداعى الى التوحيد مع مدمن البدع والضلالات فهى ما يقوم به دعاة السوء الذين يتجرون بهذه السموم من الدعاية لها والإغراء بها، وإلا فان تجارتهم تلك بهذه السموم تبور، وتنقطع مواردهم الحرام منها.  
عود على بدء :

ونعود الى دعوة التوحيد التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وما واجه به هاتين الحريين من أسلحة كانت قوة فى يد الحق الذى يدعو اليه..

وهذا كتابه: «كشف الشبهات» وهو كتيب صغير الحجم، عظيم القدر، أشبه برسالة من تلك الرسائل الكثيرة التى كان يبعث بها الى الأفراد والجماعات، كشفاً لشبهة وردت عليهم من دعاة الضلال المتربصين بدعوة التوحيد، أو بلاغا لمن لم تبلغهم الدعوة..

وأكثر ما شغل أعداء الدعوة، هو ما دعا اليه الشيخ - رضى الله عنه - من ترك تلك البدع الشركية التى كان عليها الناس فى أيامه، من المعتقدات الفاسدة التى تفسد على المسلم دينه، وتغتال عقيدته، وذلك من بناء الأضرحة والقباب على المقبورين من الصالحين، أو ممن يدعى لهم الصلاح والولاية، ثم التوسل بأصحاب هذه الأضرحة وتلك القباب، وسؤالهم قضاء الحاجات، وكشف الضر، مع تقديم النذور لهم..

وفى هذا يقول الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى كتابه: «كشف الشبهات»: «إذا جاز هذا - أى الاستعانة بالغير - فى حق الأحياء، فإنه لا يجوز فى حق الأموات.. لأن الموتى قد انقطع ما بينهم وبين الحياة والأحياء.

«وليس ثمة فرق - فى هذا الضلال - بين من يرجو البركة عند قبر ولى، وبين من

يعبد وثنا.. كلاهما قد جعل بينه وبين الله شفيعا يرجى.. وما كان كفار قريش الذين حاربوا دعوة التوحيد إلا على تلك الصورة.. كانوا يعتقدون أن الله هو الخالق العظيم، ولكن هناك آلهة دون الله يتصرفون، وينفعون ويضرون «إن هؤلاء الآلهة هي الطريق الى الله بزعمهم، ويقولون ما ذكره الله تعالى على لسانهم:

« مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ »

(الزمر: ٣) ..

ثم يمضى الشيخ - رضى الله عنه - فيكشف عن موقف أهل الضلال من هذه الدعوة الى التوحيد الخالص لله، وما تواجه به من مدعيات باطلة، وتأويلات فاسدة لكتاب الله، وسنة رسوله..

يقول - رضى الله عنه وأرضاه :

«اذا عرفت ذلك ، وعرفت أن الطريق الى الله لا بد له من أعداء قاعدين على هذا الطريق، أهل فصاحة، وعلم وحجج<sup>(٤)</sup>!..»

«فالواجب عليك - أيها المؤمن الموحد - أن تعلم من دين الله ما يصير لك سلاحا، تقاتل به هؤلاء الشياطين الذين قال إمامهم، ومقدمهم - إبليس لعنة الله عليه -

« قَالَ فِيمَا أُغْوِيَنِي لِأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ لَا تَلِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ »

(الأعراف: ١٦، ١٧)

(٤) ان هذه الفصاحة، وذلك العلم، وتلك الحجج، هي أسلحة شيطانية، يضعها الشيطان على السنة أولياته، كما يقول تعالى:

« وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَدِّلُواكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ »

(الأنعام: ١٢١)

ولكن اذا أقبلت على الله، وأصغيت الى حججه وبيناته، فلا تخف:

«..... إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا»  
(النساء: ٧٦) ..

ان العامى من الموحدين، يغلب ألفا من علماء المشركين، قال الله تعالى:

«وَإِنَّ جُنَدَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ»  
(الصفات: ١٧٣)

فجند الله هم الغالبون بالحجة والبرهان، كما هم الغالبون بالسيف والسنان..

«وانما يكون الخوف على الموحدين حين يسلك الطريق وليس معه سلاح...!!  
«وقد من الله علينا بكتابه الذى جعله:

«تَبَيَّنَّا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ»  
(النحل: ٨٩) ..

«فلا يأتى صاحب باطل بحجة إلا وفي القرآن ما ينقضها، ويبين بطلانها، كما قال  
تعالى:

«وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا» (الفرقان: ٣٣) (٥)

ثم يعرض الشيخ - رضى الله تعالى عنه - لهذه الشبهة من تلك الشبه التي يثيرها  
المتدعون في وجه دعوة التوحيد، وهى ما دعا اليه الشيخ من إبطال الالتجاء الى الموتى،  
والتوسل بهم.. فيقول الشيخ: «فإن قال لك - أى ذلك الذى يتوسل بالمقبورين: «أنا لا  
أشرك بالله شيئا، حاش وكلا.. ولكن الالتجاء الى الصالحين ليس بشرك!!

(٥) من كتاب: «كشف الشبهات» ص ١١ - مطبعة السنة المحمدية ١٣٧٢ هـ.

«فقل له أيها المؤمن الموحد: - «إذا كنت تقر أن الله حرم الشرك أعظم من تحريم الزنا، وتقر أن الله لا يغفره، فما الأمر الذي عظمه الله، وذكر أنه لا يغفره» فإن قال - أى هذا المتوسل: لا أدري!!

«فقل له - أيها الموحد - : «كيف تبرئ نفسك من الشرك وأنت لا تعرفه؟ أم كيف يحرم الله عليك هذا، ويذكر أنه لا يغفره، ولا تسأل عنه، ولا تعرفه؟ أتظن ان الله يحرمه ولا يبينه لنا؟

«فان قال - أى المتوسل - الشرك عبادة الأصنام، ونحن لا نعبد الأصنام!!  
فقل له: «وما معنى عبادة الأصنام؟ أتظن أن عابديها كانوا يعتقدون أن تلك الأخشاب والأحجار تخلق وترزق وتدبر أمر من دعاها؟ فهذا يكذبه القرآن..»  
«ثم يقال له: أى لهذا المتوسل: قولك: «الشرك عبادة الأصنام» هل مرادك أن الشرك مخصوص بهذا؟ وأن الاعتماد على الصالحين، ودعائهم لا يدخل في هذا؟ فهذا يرد ما ذكره الله تعالى في كتابه، من كفر من تعلق بالملائكة، وعشق الصالحين..

«فلا بد أن يقر المتوسل أن من أشرك بعبادة الله أحدا من الصالحين فهو الشرك المذكور في القرآن، وهذا هو المطلوب»

ثم يأتى الشيخ - رضى الله عنه - بعد هذا بما يفهم بهتان هذا المشرك الذى يدعى التوحيد - فيقول: «وسر المسألة أنه اذا قال - أى المشرك - : «أنا لا أشرك بالله».  
«فقل له : ما الشرك بالله ؟ فسر له ..

«فإن قال : هو عبادة الأصنام.. فقل له: وما معنى عبادة الأصنام؟  
«فإن قال: أنا لا أعبد إلا الله وحده!

«فقل له: وما معنى عبادة الله وحده؟ فسر لها.. فان فسرها بما بينه القرآن، فهو المطلوب، وان لم يعرفه، فكيف يدعى شيئا وهو لا يعرفه؟ وان فسر ذلك بغير معناه بينت له - أيها الموحد - الآيات الواضحات فى معنى الشرك بالله، وعبادة الأوثان، وأنه هو الذى يفعلونه فى هذا الزمان بعينه.. وأن عبادة الله وحده لا شريك له، هى التى ينكرونها علينا، ويصيحون علينا، كما كان اخوانهم من قبل: حيث قالوا:

«أَجْعَلِ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ»

(ص: ٥)

«فاذا عرفت - أيها الموحد - أن هذا الذي يسميه المشركون في وقتنا هذا «الاعتقاد» - أنه هو الشرك الذي أنزل فيه القرآن، وقاتل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الناس عليه - فاعلم أن شرك الأولين أخف من شرك أهل زماننا بأمرين: «أحدهما: أن الأولين - أي مشركى الجاهلية - لا يشركون، ولا يدعون الملائكة والأولياء أوثاناً مع الله الا في الرخاء.. أما في الشدة فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى:

«وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ الْبَرِّ  
أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا»

(الاسراء: ٦٧)

وقوله سبحانه :

« قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ  
صَادِقِينَ ﴿٤٠﴾ بَلْ إِلَٰهَ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ  
مَا تُشْرِكُونَ »

(الأنعام: ٤٠ - ٤١)

وقوله :

«وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْهُ نَسِيَ  
مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ  
بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ »

(الزمر: ٨)

وقوله :

«وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَجُّ كَالظُّلُمِ دَعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ »

(لقمان: ٣٢)

فمن فهم هذه المسألة التي وضحها الله تعالى في كتابه، وهى أن المشركين الذين قاتلهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانوا يدعون الله، ويدعون غيره في الرخاء.. وأما في الضر والشدة فلا يدعون الا الله وحده لا شريك له، وينسون أهتهم - من فهم هذا تبين له الفرق بين شرك أهل زماننا وشرك الأولين.. ولكن أين من يفهم قلبه هذه المسألة فيها راسخا؟ والله المستعان.

والأمر الثانى: أن الأولين - اى مشركى الجاهلية - يدعون مع الله أناسا مقربين عند الله، إما نبيا أو وليا، وإما ملائكة، ويدعون أحجارا وأشجارا مطيعة لله ليست عاصية..<sup>(٦)</sup>

«وأهل زماننا يدعون مع الله - أناسا أفسق الناس، والذين يدعونهم هم الذين يحكون عنهم الفجور، من الزنا والسرقه وترك الصلاة، وغير ذلك<sup>(٧)</sup>».

«والذى يعتقد فى الصالح، والذى لا يعصى، مثل الملائكة والخشب والحجر وهو ما كان عليه مشركو الجاهلية، أهون ممن يعتقد فىمن يشاهد بنفسه فسقه وفساده ويشهد به!»

ثم يمضى الشيخ - رضى الله عنه - قائلا:  
«إذا تحققت أن الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليهم وسلم، أصح عقولا، وأخف شركا من هؤلاء فاعلم أن هؤلاء - أى مشركى زماننا - شبهة يوردونها على ما ذكرنا وهى من أعظم شبههم، فأصغ سمعك لجوابها:

---

(٦) لانها خاضعة لسنن الله الكونية، لا تخرج عن طبيعتها التى خلقها الله تعالى عليها.  
(٧) فى كتاب «الطبقات» للشعرانى كثير من درجهم فى سلك الأولياء من يحكى عنهم الزنا، والشرب للخمر، والسرقه وغير ذلك من الكبائر، على اعتبار انهم من الواصلين الذين رفع عنهم التكليف، وأنه لا حرج عليهم فيما يفعلون.

«انهم يقولون: ان الذين نزل فيهم القرآن - أى مشركى الجاهلية - لا يشهدون: أن لا اله إلا الله» ويكذبون الرسل وينكرون البعث ويكذبون القرآن ويجعلونه سحرا ونحن نشهد أن لا اله الا الله، وأن محمدا رسول الله، ونصدق بالقرآن، ونصلى ونصوم، فكيف يجعلوننا مثل أولئك؟»

ويضرب الشيخ - رضى الله عنه - بهذه الشبهة في وجه أصحابها، ويقول:  
 «فالجواب: أنه لا خلاف بين العلماء كلهم، أن الرجل اذا صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى شئ وكذبه فى شئ، هو كافر، لم يدخل فى الإسلام!! وكذلك اذا آمن ببعض القرآن وجحد ببعضه كمن أقر بالتوحيد، وجحد وجوب الصلاة أو أقر بالتوحيد والصلاة وجحد الزكاة أو أقر بهذا كله، وجحد الحج، هو كافر!!

«وأنه لما لم ينقد أناس فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم للحج، أنزل الله تعالى فى حقهم:

«وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ»  
 (آل عمران (١٧))

«ومن أقر بهذا كله، وجحد البعث كفر بالإجماع، وحل دمه وماله، كما قال تعالى:

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ ۖ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَنْ يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا»

(النساء: ١٥٠ - ١٥١)



«فإذا كان الله تعالى قد صرح في كتابه، أن من آمن ببعض، وكفر ببعض فهو الكافر حقاً، واستحق ما ذكر من العذاب المهين، وإذا عرف ذلك فقد زالت الشبهة»<sup>(٨)</sup>

هذا ما دعا اليه الشيخ محمد بن عبدالوهاب، من توحيد لله تعالى، ودحض شبه الضالين وما يدعون من التوحيد المغطى عليه بالشرك الغليظ، من عبادة المقبورين، والاستغاثة بهم، وتقديم القرابين لهم، والذبح على أعتاب أضرحتهم. فهل بعد هذا البيان المبين، يكون لمسلم شبهة في دينه، ان كان يريد السلامة لنفسه، والنجاة من الشرك والكفر والإلحاد والله تعالى يقول لنبيه الكريم: مواسيا له فيما يلقي من عناد المعاندين، وضلال المكابرين:

« قَدْ نَعَلِمُ إِنَّهُ لِيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ  
بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ »

(الأنعام: ٣٣)

ثم يقول له سبحانه بعد هذا:

«وَلَقَدْ كَذَّبْتَ رَسُولًا مِّن قَبْلِكَ فَصَبْرُوا عَلٰى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُم  
نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّل لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِن نَّبِيِّ الْمُرْسَلِينَ »

(الأنعام: ٣٤)

رسالة الى شيخ الركب المغربى :

وهذه رسالة من الشيخ - رضى الله عنه - بعث بها الى شيخ الركب المغربى في موسم الحج.. يقول فيها:

«بسم الله الرحمن الرحيم، وبه نستعين.. الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ

(٨) من كتاب: «كشف الشبهات» للامام محمد بن عبدالوهاب ص: ١٨ وما بعدها طبعة السنة المحمدية بالقاهرة ١٣٧٢ هـ .

بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله..

ثم يقول في تلك الرسالة:

«والرسول، صلى الله عليه وسلم، أخبرنا بأن أمته ستأخذ مأخذ القرون قبلها شبرا بشبر، وذراعا بذراع.. وثبت في الصحيحين وغيرهما، عنه صلى الله عليه وسلم: «للتبعين سنن من كان قبلكم، حذو القذة بالقذة»<sup>(٩)</sup>، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه.. الحديث».

«إذا عرف هذا، فمعلوم ما قد عمت به البلوى من محدثات الأمور، التي أعظمها الشرك بالله، والتوجه الى الموتى، وسؤالهم النصر على الأعداء، وقضاء الحاجات، وتفريج الكربات التي لا يقدر عليها إلا الله، رب السموات والأرض وكذلك التقرب اليهم بالنذور، وذبح القربان، والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وجلب الفوائد، الى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصلح إلا لله.

ثم يقول الشيخ - رضى الله عنه - في رسالته تلك، الى شيخ الركب المغربى «وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها، لأنه سبحانه أغنى الأغنياء عن الشرك»<sup>(١٠)</sup> ولا يقبل الله من العمل إلا ما كان خالصا لوجهه، وأخبر أن.. المشركين، يدعون الملائكة، والأنبياء والصالحين ليقرّبوهم الى الله زلفى ويشفعوا لهم، وأخبر أنه لا يهدى من هو كاذب.<sup>(١١)</sup>

(٩) القذة : الأذن .

(١٠) في صحيح البخارى يقول الله تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء من عمل عملا أشرك فيه معى غيرى فهو لمن عمله»

(١١) يشير بهذا الى قوله تعالى:

«فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ﴿٢٠﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ»

(الزمر: ٢ - ٣)

ثم يقول الشيخ في رسالته تلك:

«وهذا الذى ذكرناه لا يخالف فيه أحد من علماء المسلمين، بل قد أجمع عليه السلف الصالح، من الأصحاب والتابعين، والأئمة الأربعة، وغيرهم ممن سلك سبيلهم ونهج منهجهم..»

«أما ما حدث من سؤال الأنبياء ، والأولياء ، من الشفاعة بعد موتهم، وتعظيم قبورهم، ببناء القباب عليها وإسراجها، والصلاة عندها، واتخاذها أعيادا<sup>(١٢)</sup> وجعل السدنة والنذور لها - فكل ذلك من حوادث الأمور، التى أخبر بها النبى صلى الله عليه وسلم أمته، وحذر منها كما فى الحديث عنه، صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «لا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين وحتى تعبد فنام من أمتى الأصنام»

«وهو صلى الله عليه وسلم، حى جناب الدين أعظم حماية، وسد كل طريق يؤدى الى الشرك، فنهى عن أن يخصص القبر، وأن يبنى، كما ثبت فى الصحيح عن جابر، وثبت فى الصحيح أيضا أنه صلى الله عليه وسلم بعث عليا بن أبى طالب - رضى الله عنه - وأمره ألا يدع قبرا مشرفا - أى يعلو وجه الأرض - إلا سواه، ولا تمثالا إلا طمسه».

ثم يشرح الشيخ بعد ذلك ، فى رسالته ، ما أثار الناس عليه من دعوته الى توحيد الله، وما ينكره من البدع والمحدثات من الأمور، التى جرت المسلمين الى الشرك وأدخلتهم فيه من أوسع أبوابه، والشيطان يقودهم، وعلماء سوء وسدنة الأضرحة يزنون لهم هذا الضلال، ويلوحون لهم بالسراب الخادع منها - يقول الشيخ - رضى الله عنه - «فهذا هو الذى أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس، حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا، وقتلونا، واستحلوا دماءنا وأموالنا، حتى نصرنا الله عليهم، وأظفرنا بهم.. وهذا هو الذى

---

(١٢) وذلك بما يقام كل عام عند مولد كل صاحب ضريح من احتفالات تمتد اسبوعا أو أكثر، يجتمع لها الناس، وتنصب الأصوننة، وتعد الموائد وتدق الطبول وتقام الأذكار الراقصة على نغمات الناي والمزمار، ويجتمع الرجال والنساء والغلمان على المنكرات.

ندعو الناس إليه ونقاتلهم عليه بعد أن نقيم الحجة عليهم، من كتاب الله، وسنة رسوله، صلى الله عليه وسلم وإجماع السلف الصالح من الأمة ممثلين قوله تعالى:

«وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ» (الأنفال: ٣٩) ..

فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان، قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال الله تعالى:

«لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ» (الحديد: ٢٥) ..

«وندعو الناس إلى إقامة الصلوات في الجماعات على الوجه المشروع، وإيتاء الزكاة،

وصوم رمضان وحج البيت الحرام.. ونأمر بالمعروف وننهي عن المنكر» كما قال تعالى:

«الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ۗ لِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» (الحج: ٤١)

«فهذا الذي نعتقده، وندين به، فمن عمل بذلك فهو أخونا المسلم له ما لنا وعليه ما

علينا..» ونعتقد أيضا، أن أمة محمد صلى الله عليه وسلم المتبعين للسنة لا تجتمع على ضلالة، وأنه لا يزال طائفة من أمته على الحق، منصوره، لا يضرهم من خذلهم، ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله» (١٣).

\*\*\*\*

(١٣) هذه الرسالة نقلناها من كتاب «القديم والحديث» لمحمد كرد علي ص ١٥٧ وما بعدها.

هذا ما قرره الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكتبه بخط يده الى شيخ الركب المغربى مبينا فيه دعوته التى يدعو بها الى دين الله، أخذا بما جاء فى كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، متأسيا بصحابته والتابعين، رضوان الله عليهم، قائما على منهجهم، ومنهج الأئمة الأعلام من بعدهم، ناظرا الى وجه الإسلام المشرق بنور الحق، وقد غشيتة تلك البدع التى زاحمت حقائق الدين، وأخذت مكانه من عقول طوائف كثيرة من المسلمين وقلوبهم، حتى أصبح الدين غريبا، كما أخبر بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قوله الشريف: «بدأ الدين غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء» قالوا: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «الذين يصلحون عند فساد الناس» ... وفى رواية: «ما أنا عليه اليوم وأصحابى»<sup>(١٤)</sup>.

فكيف يكاد لتلك الدعوة الداعية الى توحيد الله، والى الرجوع بالمسلمين الى عهد الصحابة والتابعين - كيف يكاد لها هذا الكيد العظيم؟ ومن؟ من علماء تزيوا بزي الدين، وأخذوا مكان الصدارة فى مجتمع المسلمين!!

إن وزر هذه الحروب التى قامت فى وجه الدعوة، والبلاء الذى احتمله الداعى وأنصاره، وما أريق من دماء، وما أزهق من أرواح - كل هذا يحمل وزره أولئك العلماء الذين لم يقولوا كلمة الحق، ولم يقفوا فى وجه السلطان وأتباع السلطان.. ولكنهم بدلا من هذا أعلنوا الحرب على الدعوة، وكفروا الداعى ومن يتبع دعوته.. فكان هذا سلاحا فى يد الشيطان، فعل به ما فعل:

(محمد: ٢٣).

«أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَرَهُمْ»

•••••

(١٤) رواه مسلم عن أبى هريرة، والنسائى عن ابن مسعود.

والذين استجابوا لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقاموا معه لمحاربة البدع وكشف الشبهات عن وجه الدين الحنيف، الذين استجابوا لدعوة الشيخ من آل سعود وجاهدوا معه في سبيلها بأموالهم وأنفسهم، إنما قاموا بذلك عن إيمان وثيق بصدق تلك الدعوة القائمة على حراسة دين الله، والواصلة ما انقطع بين الخلف والسلف من جامعة الإسلام بينهم.

فبهذا الإيمان الحق، وبهذا اليقين الثابت، صبروا على ما كذبوا وأوذوا، وقام الخلف منهم بعد السلف مجاهدون في سبيل الله، فيغلبون ويغلبون ويقتلون ويقتلون، وما دخل عليهم يأس، ولا خار منهم عزم، بل مضوا في طريق الجهاد لنصرة الحق، غير مباليين بما يصيبهم في أنفسهم وأموالهم مستمسكين بقوله تعالى:

« قُلْ هَلْ تَرَبُّصُونَ بِنَا إِلَّا لِأَحَدٍ يُّحْسِنِينَ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ »

(التوبة: ٥٢).

ولهذا استمرت الدعوة في نماء وقوة واستمر الخلف بعد السلف قائما على الذود عنها ونشر رايته بالحجة المفحمة من كتاب الله، وسنة رسوله.. فكان أبناء الشيخ وأحفاده، وأبناء سعود وأحفاده، أهل علم بدين الله، يكتبون الرسائل ويؤلفون الكتب نشرا للدعوة، وكشفا لما أثاره علماء سوء حولها من شبهات..

وها هو ذا عبدالعزيز بن سعود، يبعث برسالة الى الشريف حمود يقول له فيها: «أما بعد فالموجب لهذه الرسالة، أن الشريف أحمد بن حسين الفلقي، قدم إلينا فرأى ما نحن فيه، وتحقق من صحة ذلك لديه، فبعد ذلك التمس منا أن نكتب لكم، ما يزول به الاشتباه، فتعرفون دين الله الذي لا يقبل من أحد سواه.

«فاعلموا - رحمكم الله تعالى - أن الله سبحانه أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل فهدى به الى الدين الكامل والشرع التام.

«وأعظم ذلك وأكبره وزيدته، إخلاص العبادة لله، لا شريك له، والنهي عن الشرك، وذلك هو الذى خلق الله الخلق لأجله، ودل الكتاب على فضله كما قال تعالى:

«وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ»  
(الذاريات: ٥٦)

وقال تعالى :

«وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ»  
(البينة: ٥)

«وإخلاص الدين هو صرف جميع العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، وذلك ألا يدعى إلا الله ولا يستغاث إلا بالله، ولا يذبح إلا لله، ولا يخشى ولا يرجى سواه، ولا يهرب ولا يرغب إلا فيما لديه، ولا يتوكل في جميع الأمور إلا عليه، وأن كل ما هناك لله تعالى، لا يصلح شئ منه لملك مقرب، ولا نبي مرسل... وهذا هو بعينه توحيد الألوهية، الذى أسس الإسلام عليه، وانفرد به المسلم عن الكافر، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله.

ثم يقول له عبدالعزيز رحمه الله تعالى :

«فلما من الله علينا بمعرفة ذلك، وعلمنا أنه دين الرسل - اتبعناه، ودعونا الناس إليه، وإلا فنحن قبل ذلك كنا على ما عليه غالب الناس من الشرك بالله تعالى من عبادة أهل القبور، والاستغاثة بهم، والاستعانة منهم، مع ما ينضم إلى ذلك من فعل الفواحش والمنكرات وارتكاب الأمور والمحرمات وترك الصلاة وترك شعائر الإسلام، حتى أظهر الله الحق بعد خفائه، على يد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب، أحسن الله تعالى إليه في آخرته، والمآب»<sup>(١٥)</sup>.

ذلك هو الإسلام في صميمه، كما دعا إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وأتباعه وهو الإقرار بوحداية الله تعالى، فمن خرج عن هذا المعتقد من دين الله، فوجه وجهه الى غير الله، وجعل بينه وبين الله وسطاء ، أو شركاء فليس على دين الله.

(١٥) من كتاب القديم والحديث، لمحمد كرد على ص ١٦٥ .

فالله تعالى يقول في هؤلاء الشفعاء الذين يتعبد لهم المشركون:

« لَهُ دَعْوَةٌ الْحَقُّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَسِطَ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ »

(الرعد: ١٤)

ويقول سبحانه:

« وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ »

(فاطر: ١٣ - ١٤)

الى كثير من آيات الله التي تفضح الضالين الذين يدعون غير الله.

فإذا كان هذا هو سبيل دعوة التوحيد التي دعا إليها الإمام محمد بن عبد الوهاب وأنصاره - فلماذا قام كثير من العلماء في وجه هذه الدعوة وتحريض الحكام على التصدي لها ومحاربة القائمين بها، ذلك ما سوف نكشف عنه في المبحث التالي والله المستعان.

\*\*\*



## الفصل الخامس

### الدعوة والثائرون عليها

لا نتحدث في هذا المقام عن موقف السلطان التركي من دعوة التوحيد التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وناصره عليها آل سعود، ومن استجاب لها..

كما لا نتحدث عن الموقف العدائى الذى اتخذه من هذه الدعوة الأمراء والحكام والرؤساء وزعماء القبائل والعشائر وغيرهم..

فهؤلاء وأولئك جميعا كانوا يدافعون عن دنياهم وما يحوزون من متاعها، ويخشون أن تمتد آثار الدعوة الى ما تحت أيديهم من هذه الدنيا، في حين أنهم في شغل بدنياهم عن دينهم، الذى يتولاه عنهم أصحاب المناصب من علماء الدين!!

وإذن فالذى يعنيننا هنا هو موقف علماء الدين من دعوة التوحيد التى وقف فى وجهها هؤلاء العلماء الذين خانوا أمانة العلم، وقالوا غير الحق، وكانوا فيمن قال الله تعالى فيهم:

«وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فَبُئِسَ مَا يَكْتُمُونَ»

(ال عمران: ١٨٧)

فلقد انبرى هؤلاء الذين كان يرجى منهم إصلاح ما فسد من أمر الناس فى دينهم، وأن يقيموا الناس على صراط الله المستقيم، ودينه القويم - انبرى هؤلاء المتجرون بالدين لإغراق الناس فى الضلال، وإغرائهم بما هم فيه، وأنه هو الحق فكان أن انتقاد

الناس لهم، وصرفوا وجوههم عن الذين يمدون أيديهم إليهم لاستنقاذهم من النار التي يندفعون إليها، كما يندفع الفراش الى وقود النار!

نعم ، لقد انبرى هؤلاء العلماء المتجرون بالدين، يرمون دعوة التوحيد والداعى إليها، والمجتمعين على الدعوة والداعى بالإفك والبهتان وبالمروق من الدين، وابتداع دين جديد، يحل محل الإسلام، وأنهم يتجهمون على مقام النبي صلى الله عليه وسلم، وينالون من أولياء الله، أصحاب الأضرحة والقباب ويكفرون من يزورونهم، وينذرون لهم، ويطلبون العون والمدد منهم.. الى غير ذلك مما استخرجه هؤلاء العلماء من عقولهم الضالة، وقلوبهم المريضة، من إفك وبهتان يرمون به في وجه الدعوة ويثيرون العامة عليها، ويحرضون الحكام على القضاء عليها وعلى كل من يستجيب لها.

وإنه ما أشبه الليلة بالبارحة !

فإن الذى ينظر فى موقف أدعياء العلم من هذه الدعوة، ليرى وجوها كتلك الوجوه الشيطانية المنكرة التى وقف أصحابها فى وجه الدعوة الإسلامية، فى الدور المكى.. فى رى وجه أبى لهب، وأبى جهل، وأمىة بن خلف، والوليد بن المغيرة وغيرهم، وغيرهم ممن اتقادوا للشيطان، وحاربوا دعوة الحق، حتى هلكوا وهم على الكفر، والى النار وبئس المصير.

الذين ضلوا وأضلوا :

وقد بلغ أمر هذا الضلال، الذى أعمى قلوب هؤلاء العلماء، أن صوروا هذا الإفك وذلك البهتان فى كتب أخرجوها للناس دون حياء وقد تركوها من بعدهم شهادة ناطقة عليهم بهذا الزور، وأنهم قد باعوا دينهم بدنيا فانية وحطام زائل!!

ولو أن هؤلاء الذين ألقوا هذه الكتب فى الطعن على دعوة التوحيد، وداعيتها وأنصارها - لو أنهم كان لهم شئ من التوفيق، لما سجلوا هذا الخزى بأيديهم ولما تركوه ميراث شؤم من بعدهم، يعرضهم للناس، وسواتهم مكشوفة، مفضوحة على الملأ، وكان

يكفيهم من هذا الباطل ألا يوثقوه في صحف التاريخ، ولكن الله تعالى أخذهم بهذا الخزي في الدنيا، ولعذاب الآخرة أجزى، لو كانوا يعلمون..

وهذا يصدق على هؤلاء العلماء الذين فضحوا أنفسهم بما كتبت أيديهم - يصدق عليهم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «كل أمتى معاني إلا المجاهرين، وإن من الإجهار أن يعمل العبد بالليل عملاً ثم يصبح قد ستره ربه، فيقول: يا فلان قد عملت البارحة كذا، وكذا.. فيبيت يستره ربه ويصبح يكشف ستر الله عنه» (رواه مسلم، عن أبي هريرة)..

فما أكثر الذين قالوا في دعوة التوحيد التي دعا إليها الشيخ من إفاك وبهتان من أمثال هؤلاء العلماء ، ثم ذهبت أقوالهم أدراج الرياح، لم يمك بها الزمن، ولم ير لأصحابها وجه بين الناس.. أما هؤلاء العلماء الذين كتبوا بأيديهم هذا الإفاك فهم أشبه بهؤلاء المجاهرين بالمعاصي الذين أشار إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووسمهم بالبلاء الذي لا شفاء لهم منه.. انهم في وجه فضيحة أعلنوها عن أنفسهم.. وقد شاءت إرادة الحكيم العليم أن يكون هؤلاء العلماء عبرة لمن يعتبر، ودرسا يتلقاه أولو الألباب، فيمسك العاقل الحريص على دينه عن الخوض في الباطل، وقول الزور، ابتغاء حظ عاجل من حظوظ الدنيا، فإن لم يستطع أن يمك عن ذلك بلسانه فلا أقل من أن يمك عن تسجيل ذلك بخطه، ونشره في كتاب على الملأ!! فيكون شره أخف، وبلاؤه أقل، ولا يكون من الذين قال الله تعالى فيهم:

« فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ »

(البقرة: ٧٩)

هذه الكتب الناطقة بالبهتان :

وبين أيدينا اليوم، من مخلفات علماء السوء هؤلاء ، من هذه الكتب المشنومة التي

تسوق الشؤم والبلاء الى مؤلفيها، وهم اليوم في عالم الحق - مجموعة منها نكتفى بعرض ثلاثة منها، ومحكمة كاتبها بما يقضى به كتاب الله وسنة رسوله، ليكون ذلك درسا واعظا، وعبرة ماثلة لغيرهم من الأحياء من بعدهم.. أما هؤلاء العلماء فهم بين يدي الله، يقضى فيهم بما يشاء في عبادته.

وهذه الكتيب الثلاثة هي :

أولا : رسالة للحاج مختار بن الحاج احمد باشا، المؤيد العظمى، وقد سهاها «جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام».

وثانيا : كتيب للسيد أحمد بن زيني دحلان، وسهاه: «الذرر السنية في الرد على الوهابية».

وثالثا: كتيب للشيخ مصطفى الكرمي بن الشيخ ابراهيم السيامي، تحت عنوان: «رسالة السنين في الرد على المبتدعين الوهابيين»

وها نحن أولا . نعرض لمقولات هؤلاء الذين شغبوا على الدعوة وجاءوا اليها بالمفتريات والأباطيل:

« يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ »  
(التوبة: ٣٢)

### أولا : رسالة المؤيد العظمى

هذا الرجل يخلع على نفسه ألقاب التعظيم، يكتبها بخط يده، ويجعلها عنوانا لرسالته، مثل المؤيد، كما يرد نسبه الى أب يحمل لقب الباشوية من السلطان العثماني، وكان ذلك مما يفسح له مكانا بين العلماء، وإن كان من أهل الجهالة والجهل، فكما كانت الباشوية تشتري بالمال، وبالملق، والرياء، فكذلك يمكن أن يشتري لقب العالم!! هذا ما قدره هذا الداعى، وصوره له جهله وغروره..

ثم ان هذا الذى يحشر نفسه في زمرة علماء الدين، لا يحفظ كتاب الله، ولا يقيم على لسانه أو قلمه آية من القرآن الكريم، ولا يفقه شيئاً من معاني ما يقرأ من كتاب الله، وهو بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أشد جهلاً، وأسوأً فيها..

والكتاب - كما يقولون - يقرأ من عنوانه!

وانه ليستفتح رسالته تلك - وهو أشبه بعنوان الرسالة - بالتخريف في كتاب الله جهلاً، وسوء أدب معاً، حيث يستشهد بآية من كتاب الله، دون أن يكون حافظاً لها، أو مسترشداً بمصحف قرآنى لضبطها.. فهو يقول في مفتتح هذه الرسالة :

«الحمد لله ، الذى رضى الإسلام لنا ديناً، وأكمله لنا، وأتم نعمته علينا، وأقامنا على سنة رسوله النقية السمحاء، حمداً تستنير به القلوب وتستضيء منه البصائر، وأشهد أن لا إله إلا الله الهادى إلى الصراط المستقيم، القائل: من استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم»!!

وقد وقع هذا الداعى المتعالم في هذه الكلمات القليلة في جملة أخطاء لا تكون من تلميذ مبتدى من طلاب العلم، فضلاً عن عالم، يتصدى في زعمه لهداية الناس، ويقف موقف المناظرة لمن يدعوا الى الله وهو على بينة من ربه!

فأولاً : هذا الخطأ اللغوى في قوله: «وأقامنا على سنة رسوله النقية السمحاء» والصواب أن يقال «السمحة» إذ ليس في اللغة السمحاء.. ولو كان على شيء من الاطلاع على سنة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، لما وقع في هذا الخطأ، إذ يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «تركتكم على الحنيفة السمحة، لا يزيغ عنها إلا هالك».

وثانياً: قوله في مفتتح رسالته: «الحمد لله الذى رضى الإسلام لنا ديناً» ولو كان على صلة بكتاب الله، لجرى على لسانه وقلمه ما جاء في القرآن الكريم.

« وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا »

(المائدة : ٣)

فقال : الذى رضى لنا الإسلام ديناً، بدلاً من قوله ورضى الاسلام لنا ديناً..

وثالثنا : هذا الخطأ الشنيع في الاستشهاد بالقرآن الكريم، فقد حرف كلام الله تعالى عن مواضعه، إذ يقول عن الله تعالى: القائل «من استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها، والله سميع عليم، والله تعالى يقول:

«لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ»

(البقرة ٢٥٦)

فأين قوله هذا الذي يدعيه على الله تعالى، من قوله سبحانه؟

وأكثر من هذا، فإن هذا الجهول الداعي، لم يأت بجواب الشرط لما حرفه من كتاب الله تعالى، فإن قول هذا الداعي: «من استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم» هو شرط، فأين جوابه؟ فإذا كان هذا الذي وقع فيه هذا المدعى من أخطاء لغوية ودينية في مفتتح رسالته وفي أربعة أسطر منها - فهل يمكن أن يأخذ هذا الجهول مكانا بين أهل العلم؟ وهل يكون من أهل المناظرة والمحاجة في الدفاع عن دين الله، كما يدعوه؟ انه - والحال كذلك - لا يكون إلا راية فتنة، وإضلال للناس، يصدق فيه قول الله تعالى:

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴿٤﴾ كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَآنَهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ»

(الحج: ٣ - ٤) ..

«وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ»

(الحج: ٨ - ١٠) ...

هذا، وقد كان يكفيننا من الرد على هذا المدعى للعلم، ما انكشف لنا من جهل بدين الله في مطلع رسالته، فلا يطول وقوفنا معه أكثر من هذا، لما يطلع علينا من كلام من هذا العفن، الذي يزكم الأنوف، ويخفق الصدور، مما يسيل من مزاب قلمه - كان يكفيننا هذا، كما يقول المثل: «حسبك من شر سماعه»

ولكننا - احتسابا لله، وإمعانا في خزي أهل الضلال وفضحهم - نمر على بعض المخازي التي عرضها صاحب هذه الرسالة، ليشهد الناس كيف تكون الجرأة على الله، وعلى دين الله من المتهوسين، وأدعياء العلم طلبا للشهرة، على حساب دينهم ومروءتهم.

«أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ»

(البقرة: ١٦) ..

فصبرا صبيرا، أيها المسلم على هذا البلاء ، مهها تقرأ من هذا الهراء ...

واقراً ما يقوله هذا الأحمق الجهول في رسالته الشيطانية تلك، وما يرمى به في وجه الإسلام من زور وبهتان، غير متحرج ولا مثائم، ولا غابى بمشاعر المسلمين وغيرتهم على دينهم ..

يقول هذا الملحد في ص : ٤٨ من رسالته :

«إن أحكام الدين لا يمكن أخذها من الكتاب والسنة، لأن فيها الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد!!»

«وان كتب الحديث لا يوجد فيها بيان، ولا إشارة تهدي الى الصواب!! وان من رجح حكما على حكم مستندا فيه الى كتب الحديث، فإن ذلك ظن لا يفيد اليقين، بل يعد الأخذ به زندقة لا إسلامية!!»

يا سبحان الله !

أهذا قول يصدر من مسلم، يشهد أن لا إله الا الله، وأن محمدا رسول الله؛ إن أعدى أعداء الإسلام، من اليهود والمستشرقين وغيرهم، قديما وحديثا لم يجروا أحد منهم أن يقول مثل هذا القول الآثم، الذى لا يجروا الشيطان نفسه أن يصرح به، فإذا لم يكن القرآن الكريم، وسنة الرسول المطهرة، دستورا قائما على المسلمين ونورا هاديا لهم الى دين الله الحنيف وشريعته السمحة - فمن أين يتلقون دينهم؟ ومن أين يعرفون أحكام هذا الدين، وما أحل الله تعالى لهم وما حرم عليهم؟

أهناك مرجع آخر، يرجع اليه المسلمون ليعرفوا شريعة الإسلام؟

قد يقول هذا المدعى الفاجر: ها أنذا الذى أبين لكم دينكم أيها المسلمون..

لقد جئت بنسخ الدين الذى أنتم عليه، فخذوا عنى دينكم، واتركوا هذا القرآن الذى فى أيديكم، وفى قلوبكم وعقولكم، ودعوا سنة نبيكم، وتعالوا إلى، فأنا رسول من الله إليكم!!

وفى المأثور: «إذا لم تستح فاصنع ما شئت»

فإذا كان فى القرآن الكريم الناسخ والمنسوخ، والخاص والعام، والمطلق والمقيد، مما عرفته اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم، وجرى على أساليبها - أفكان ذلك مما يلغى كتاب الله، ويبطل العمل به؟

فلم إذن كانت بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ولم كان نزول القرآن الكريم؟ ولم كان ما أمر الله تعالى من التعبد بتلاوته والتدبير لآياته؟ وما معنى قول الله تعالى:

«إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ»  
(الاسراء: ٩)



وقوله سبحانه :

«الرَّ كَتَبُ أَنْزَلْنَهُ إِلَيْكَ لِنُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ»

(ابراهيم: ١)

وقوله تبارك اسمه

«أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ إِنْ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالًا»

(محمد: ٢٤)

ما معنى هذه الآيات وكثير غيرها، الداعية الى تلاوة كلمات الله، وتدبر آياته إذا لم تكن نورا يهدى الى الحق، والى صراط مستقيم؟ وإذا كان الأمر على غير ذلك، أفلا يكون نزول القرآن عبثا ينتزه الله تعالى عنه؟ وانه لا يرفع هذا العبث، إلا بالقول بأن الله تعالى لم يبعث محمدا، ولم ينزل قرآنا، كما يقول ذلك الملحدون قديما وحديثا!!!

أما السنة النبوية، فإن هذا الملحد ينكر أن تكون مصدرا للتشريع الإسلامى إذ يقول: «ان كتب الحديث لا يوجد فيها بيان، ولا إشارة تهدى الى الصواب وأن من رجح حكما على حكم مستندا فيه الى كتب الحديث، فإن ذلك ظن لا يفيد اليقين، بل يعد الأخذ به زندقة لا إسلامية!!!»

وكتب الحديث التى أشار اليها هذا الملحد، هى كتب الصحاح الجامعة لسنة رسول الله القولية، والفعلية، والتقريرية، وفى هذه السنة بيان لما أجمله القرآن الكريم ورد متشابهه الى محكمه.. كما يقول تعالى لرسوله الكريم:

«وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ»

(النحل: ٤٤)

ويقول سبحانه

«وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

## « الْعَقَابِ »

(الحشر: ٧)

ولكن هذا الملحد يدعو بدعوته الشيطانية تلك الى إهدار السنة بدعوى أن كتب الحديث لا يوجد فيها بيان ولا إشارة تهدي الى الصواب!! ولا عجب، فإنه بعد أن أبطل العمل بالقرآن، كان من المنطق أن يلغى العمل بالسنة.. ولا ندري إن كان هذا الملحد يقيم الصلاة، أم لا؟، فإن كان يؤدي الصلاة فكيف يؤديها، وعلى أى وجه يقيمها؟ أليس ذلك اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم، واتباعا له في صلاته بالمؤمنين، وعملا بقوله: «صلوا كما رأيتموني أصلي».. وكيف يحجج هذا الداعى، إذا كان على الإسلام؟ أليس الحج متابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم في حجه الذى حجه بالمسلمين، وقوله صلى الله عليه وسلم: «خذوا عنى مناسككم»؟ ثم الزكاة وتقديرها، وأنصبتها.. من أين عرفها المسلمون؟ أليس ذلك مما بينه الرسول صلوات الله وسلامه عليه؟ وأليس ذلك مما حفظته كتب الحديث عن الرسول الكريم؟.

ثم إذا اختلف المجتهدون من أئمة المسلمين في فهم نص من كتاب الله أو سنة رسوله، وكان ذلك الاختلاف مما يحتمله النص، أفيكون ذلك الاختلاف مما يلغى النص الشرعى؟

لقد اختلف صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم في فهم كثير من الأحكام الشرعية، ومع هذا الاختلاف فلم يلغوا أى نص، لأن ذلك كفر بالله، وبكتاب الله وبرسول الله، ولكنهم عرضوا عقولهم على هذا النص، ثم أخذوا بما رجح عندهم من رأى هو أقرب ما يكون الى مقاصد الشريعة، من هداية الإنسانية وخيرها ولهذا كانت المشورة أمرا قائما بين المسلمين فيما يعرض لهم، مما ليس فى كتاب الله، ولا فى سنة رسوله نص قاطع فيه.. وفى هذا يقول الله تعالى:

«وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ»

(الشورى: ٣٨)

ويقول سبحانه :

«وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الْأَمْنِ أَوْ الْخَوْفِ أَدَّعَوْا بِهِ ۗ وَلَوْ رَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ  
وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ  
وَرَحْمَتُهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلَّا قَلِيلًا ۝»

(النساء: ٨٣)

وندع هذا الهراء وذلك السخف الذى تفيض به هذه الرسالة الشيطانية عن الإسلام،  
وشريعة الإسلام وعن القرآن والسنة، وأنها لا يحملان أحكام الشريعة، ولا يصحان أن  
يكونا مصدرا لدين.

ندع هذا الإلحاد، لننظر فيما يقوله هذا الملحد عن دعوة التوحيد التى دعا إليها  
الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد كان يكفينا فى ما تقوله هذا الملحد على كتاب الله، وعلى  
السنة المطهرة، وما دعا إليه من إبطال العمل بهما - قد كان يكفينا هذا القول الآثم من  
هذا الملحد، فلا ننظر بعد هذا فيما يقوله فى دعوة التوحيد، لأن مستندها هو كتاب الله،  
وسنة رسوله...، ولا مستند لها غيرها... فاذا قال هذا الملحد فى الكتاب الكريم والسنة  
المطهرة هذا القول الآثم، فلا ينتظر منه أن يقول فى دعوة التوحيد إلا زورا وبهتانا، وإلا  
إفكا وضلالا... ومع ذلك فإننا سنعرض لبعض ما يقوله هذا الملحد الدّعى عن دعوة  
التوحيد، إذ كان ما قاله عن كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، مدخلا إلى ما  
أراد أن يقول فى تلك الدعوة، ليصد الناس عنها، وليمسك بهم على ما هم فيه من شرك،  
وكفر وضلال، إمعانا فى كيدهِ للإسلام، وهو يبدو فى مظهر المدافعين عن الإسلام،  
الغيورين على دين الله وعلى من يدينون بدين الله...

ماذا يقول عن دعوة التوحيد ؟

يقول هذا الملحد الذى ينتسب إلى الإسلام زورا وبهتانا، يقول موجها القول الى  
أهل التوحيد والداعين الى التوحيد :

«زين لهم الشيطان أعمالهم، فزين لهم أنهم من المهتدين...»

نحن وأنتم - مخاطبا أهل التوحيد - متفقون بالشهادتين مقرون بالأركان، لا نختلف بأصول الإيمان، ولا ننكر أركان الإسلام.. غير أننا نقول بالمحكم ونرجع إليه، وأنتم تتبعون المتشابه وتعولون عليه.. نحن نحتاط بما لا نرتاب، وأنتم لا تتخرجون مما يريب، نحن نعتمد الإجماع، وأنتم تترخصون بالانفراد والتأويل بالرأى»

فهذا الملحد، يدخل نفسه في عداد المسلمين، ويضيف نفسه الى الإسلام، وأنه متفق مع أهل التوحيد في الإقرار بالشهادتين، وبالأركان وبأصول الإيمان.

وكيف يكون من المسلمين وهو ينكر حجية القرآن الكريم، والسنة المطهرة؟ ومن أين عرف الأركان وأصول الإيمان، إذا لم يكن المرجع في هذا الى الكتاب والسنة؟

إن ذلك هو أسلوب أهل النفاق الذين يكيدون لدين الله... فهم لا يعتقدون بعقيدة، ولا يتقيدون بشرع.. إنهم مؤمنون وكافرون، وإنهم لا مؤمنون ولا كافرون.. وإنما هم يلبسون ثوبا مستعارا لكل من الإيمان والكفر، يلبسون لكل حالة الثوب المناسب لها، كما يلبس الممثل ثوب الشخصية التي يمثلها على المسرح في رواية هزلية.. ثم إذا خلا بنفسه نزع هذا الثوب عنه..

وهذا كيد عظيم كاد به المنافقون للإسلام، حيث دخل كثير من أعداء الله، وأعداء دينه في الإسلام، كذبا وادعاء، ودرس كثير منهم علوم الشريعة، واكتسب ثقة كثير من المسلمين، حتى إذا بلغ هذا الحد، كان سيفا يضرب في وجه الإسلام، ومعولا يعمل على هدم حقائقه..

وهكذا ، فعل (العظمى) هذا في ادعائه الإسلام، والغيرة عليه، والدفاع عنه، وهو يعمل جاهدا على هدم الإسلام، والكيد له ولأهله.. ولكن هيهات هيهات..

كناطح صخرة يوما ليوهنها

فلم يضرها، وأوهى قرنه الوعل

ثم كيف يصح قول هذا الدعوى: «غير أنا نقول بالمحكم ونرجع اليه» كيف يقول هذا، وأى محكم يقول به، ويرجع اليه من كتاب الله، وهو الذى يقول:

«إن أحكام الدين لا يمكن أخذها من الكتاب والسنة، لأن فيها الناسخ والمنسوخ والخاص والعام، والمطلق والمقيد.. الى آخر هذا الإلحاد والكفر؟

ولكن لا عجب.. فالمنافق كالحرباء يتلون بكل لون، ولا يكون على لون واحد أبداً ثم يقول هذا المنافق، مخاطباً أهل التوحيد :

«قمتم بعد أن ذهب الله بزعماء تلك المذاهب والنحل، وانتشرت بعد أن طوى دعاة تلك البدع، تدعون الناس بما لا ينفعهم فى الدنيا، ولا ينجيهم فى الآخرة، تخلصون لهم الحق بالباطل، والظن باليقين تحرفون الكلم عن مواضعه.. تقولون هذا من عند الله، وما هو من عند الله.. تنادونهم أن ارجعوا الى الدين وأنتم عنه أبعد، تأمرون بالبر وتنسون أنفسكم.. تقولون بأفواهكم ما ليس فى قلوبكم.. ترسلون دعاة بأجسام انسانية وأرواح شيطانية، يوسوسون لأناس عاشوا فى الجهل، وأقاموا حديثاً فى مهد.. ما عرفوا من الدين إلا الاسم، وما نظروا من العلم إلا الرسم فيزينون لهم غرورا ويفترون مشرورا، والله لا يصلح عمل المفسدين»

وهذا كلام فيه سباب وفحش، وليس فيه موقف يقف به محاجاً أهل التوحيد فيما يدعون اليه من دين الله، وما يهدمون به من أوثان الشرك.

ثم بأى لغة أعجمية ركيكة يتكلم هذا الدعوى الذى ينصب نفسه للذود عن دين الله، والنصح للمسلمين وهو لا يعرف أساليب العربية التى نزل بها القرآن؟

فليس فى لغة العرب ما يميز له أن يقول: «لا نختلف بأصول الدين» وإنما الصواب أن يقول: «لا نختلف فى أصول الدين.. فما جاء فى لغة العرب ولا فى كتاب الله أن

يتعدى الفعل «اختلف» بالباء، وإنما هو يتعدى بحرف الجر «في» كما يقول الله تعالى:

«وَمَا اٰخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ ۗ إِلَى اللّٰهِ ۗ»  
(الشورى: ١٠)

وكما يقول تعالى :

«فَاللّٰهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيٰمَةِ فِىْمَا كَانُوْا فِيْهِ يَخْتَلِفُوْنَ ۗ»  
(البقرة: ١١٣)

وأكبر الظن عندى، أن هذا الرجل من أولئك الأعاجم الذين دخلوا في جماعة المسلمين وتحككوا بالإسلام وفي قلوبهم مرض، يريدون الكيد له، والإضرار لأهله.

هذا الدعوى والاجتهاد :

ومن متناقضات هذا الدعوى الأحمق، أنه إذ يبطل العمل بكتاب الله وسنة رسوله كما نقلنا ذلك من رسالته - فإنه ينكر الاجتهاد.. إذ يقول في أول صفحة من تلك الرسالة الشيطانية.

«إن الاجتهاد بدعة في الدين» هكذا على سبيل القطع والجزم.

ثم يقول في ص ١٠ من هذه الرسالة :

«انه لا يجوز تقليد الصحابة ولا التابعين»

فإذا كان لا قرآن ولا سنة كما يقول هذا الملحد.. فلا بد أن يكون هناك اجتهاد شخصي يتعرف به الإنسان الى الدين الذى يقوم على اجتهاد شخصي منه..

فإذا بطل الاجتهاد، ثم لا يكون هناك مرجع الى القرآن الكريم والسنة المطهرة فمن أين يعرف الإنسان الدين الذى يدين به؟ ان معنى ذلك ألا يكون هناك دين أبدا، ويكون معنى ذلك أيضا إبطال الدين على نحو ما تقول به الشيوعية من أن: «الدين أفيون الشعوب»

ثم إذا كان لا يجوز تقليد الصحابة ولا التابعين ، كما يقول هذا الدعى.. ثم لا كتاب ولا سنة، ثم ولا اجتهاد - فما هى الوسيلة أو الوسائل التى يتعرف بها الإنسان الى دين، أى دين؟

وأعود فأكرر القول بأنى لا أعرف هوية هذا الرجل، ولكن يغلب على ظنى أنه من غلاة الشيعة الذين يذهبون الى تأليه على رضى الله عنه، والى عصمة الأئمة من الشيعة حيث تكون أقوالهم أحكاما شرعية ملزمة لأتباعهم، وفى هذا المفهوم لا يكون نظر الى قرآن أو سنة، ولا التفات لمقولات الصحابة والتابعين، ثم لا محل للاجتهاد مع الإمام المعصوم!!

فإذا كان هذا هو واقع هذا الرجل فبأى وجه يدخل فى الاعتراض على أى مسلم من المسلمين، سواء أكان عالما أو غير عالم، وهو على طريق غير طريق الإسلام؟

ولكن الرجل وجد فتنة ثائرة فى وجه دعوة التوحيد التى دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فدخل مع الداخلين فى الحرب المعلنة على تلك الدعوة، من علماء السوء، ومن السلاطين والحكام، دفاعا عن سلطانهم القائم على عامة المسلمين.. وهكذا يتدسس اللصوص فى الظلام، وسط دخان الحريق المشبوب، ليسرقوا ما تصل أيديهم الى سرقتة، من مال أو متاع!!

### الاجتهاد فى الدين :

ومما ينكره هذا المدعى على دعوة التوحيد، أنها تفتح باب الاجتهاد الذى أغلقه الجهل، وفساد الأحوال منذ القرن الرابع الهجرى، فيقول هذا الجهول، موجها الكلام الى أتباع الدعوة الداعية الى فتح باب الاجتهاد - يقول:

«إنى أراكم تدعون الناس لبدعة الاجتهاد فى الدين وغيرها من البدع»

ونقول لهذا الجهول، كيف يكون الاجتهاد في الدين بدعة؟ ان البدعة هي أمر حادث لم يكن في الدين، وهي ما أشار إليها الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «كل بدعة ضلالة» وذلك من معنى قوله تعالى:

«أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ» (الشورى: ٢١)

ثم ألم يجتهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونزل القرآن الكريم في أكثر من حال بتصحيح اجتهاده صلوات الله وسلامه عليه، كما في قوله تعالى في أسرى بدر حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم الفدية منهم، وذلك بعد مشورة أصحابه...

يقول سبحانه في هذا الأمر:

«مَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يُكُونَ لَهُ أُسْرَىٰ حَتَّىٰ يُبْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (الأنفال: ٦٧ - ٦٨)..

وكقوله تعالى في إذنه صلى الله عليه وسلم لمن أرادوا أن يتخلفوا عن الجهاد، معتذرين بأعذار كاذبة:

«عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنَتْ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعَلَّمِ الْكٰذِبِينَ» (التوبة: ٤٣) ..

الى كثير من مثل هذه الأحوال التي كانت عن اجتهاد من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم جاء القرآن بتصحيح هذا الاجتهاد!!

وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، يبعث معاذ بن جبل الى اليمن، ليعلم الناس أمور دينهم، وليقضى فيما يعرض لهم من شئون، فيقول له صلى الله عليه وسلم «كيف تقضى إذا عرض لك القضاء؟» فيقول معاذ: أقضى بكتاب الله، فيقول له الرسول



الكريم: «فإن لم تجد في كتاب الله» قال أفضى بسنة رسول الله..»

قال: «فإن لم تجد في سنة رسول الله؟ قال: اجتهد رأيي ولا ألو.. فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وضرب على صدر معاذ، وقال: «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسول الله..!»

أفليس هذا إذنا بل وتزكية من رسول الله صلى الله عليه وسلم للاجتهاد؟ ثم ألم يجتهد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعده في الأمور التى كانت تعرض لهم؟ ثم ألم يختلف الصحابة - رضوان الله عليهم - في اجتهاداتهم، ولم يكن في هذا حرج عليهم، إذ كانت غايتهم هى النصح للمسلمين في الأمور التى ليس فيها نص صريح من كتاب الله، أو سنة رسوله؟

ثم أصحاب المذاهب الأربعة.. ألم يكونوا مجتهدين في فروع الدين؟ ثم ألم يكن بينهم هذا الخلاف في اجتهادهم، فكانوا أربعة مذاهب، وإلا لكانوا مذهبا واحدا.

وما كانت الشورى التى أمر الله تعالى بها المسلمين في قوله تعالى:

«وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ»  
(الشورى: ٣٨)

ما كانت هذه الشورى إلا دعوة من الله تعالى للمسلمين الى النظر فيما يعرض لهم من أمور حادثة، لم يكن للشريعة حكم قاطع فيها.

ثم ما معنى قوله صلى الله عليه وسلم: «إذا حكم الحاكم واجتهد وأصاب فله أجران، وإن حكم واجتهد وأخطأ فله أجر»؟ أليس هذا القول الكريم من رسول الله صلى الله عليه وسلم تقريرا لمبدأ الاجتهاد: وأن من اجتهد فأصاب موقع الحق فله أجران، أجر لاجتهاده، وأجر لإصابته موقع الحق، وأن من أخطأ فله أجر هو أجر اجتهاده، وإن أخطأ موقع الحق!!

وإنه ما انتكس أمر المسلمين، وما ذهبت ريجهم إلا بعد أن سد باب الاجتهاد، الأمر الذى أدى الى قطع الصلة بين المسلم وبين كتاب الله وسنة رسوله ليتلقى منها - بعد التدبر والبحث - الحكم فيما يعرض له من أمور حادثة من مواليد العصر الذى يعيش فيه، تلك المواليد التى لا تنقطع أبداً..

وقد أدى سد باب الاجتهاد الى أمرين خطيرين، كان لهما هذا الأثر السيء فيما صار اليه أمر المسلمين من ضعف وتخلف فى مسيرة الحياة، ومن تراكم زخوف البدع، والخرافات التى غيرت معالم الدين وأوقعتهم فى ضلالات الشرك.

وأول هذين الأمرين، هو وقوف المسلمين حيث هم، لا يخطون خطوة إلى الأمام فى حين أن الحياة تسير سيرا حثيثا الى الأمام، لا تتوقف لحظة أبداً، بل تنطلق بالناس فى سرعة الصواريخ.

والأمر الثانى: هو أن يتحلل المسلمون مما كان سائداً فى عصر تدوين المذاهب الأربعة، وأن يأخذوا بما جد فى عصرهم، المؤثر بلا شك فى أمور دينهم، متابعين ومقلدين أهل الغرب، غير ناظرين أو راجعين فى هذا الى الكتاب والسنة، لأن باب الاجتهاد قد سد فى وجوههم...!!!

فاذا دعا الشيخ محمد بن عبد الوهاب المسلمين الى فتح باب الاجتهاد، ليخرجوا من هذا السجن المطبق عليهم وليلتقوا بكتاب الله وسنة رسوله، ليجدوا منها النور الهادى الى طريق الحق فيما يأخذون، أو يدعون من كل ما يجد من أمور - إذا دعا الشيخ الى هذا، عده أعداء الإسلام فتنة.. يريدون بهذا أن يأخذ المسلمون بما يرون من حياة الأوربيين، وأن يقطعوا صلتهم بالإسلام، وبما تقرره شريعة الإسلام..

التوسل بالأنبياء والأولياء :

ثم يقول (المؤيد العظمى) فى رسالته، التى يؤيده فيها الشيطان فى التوسل بالأنبياء

والأولياء: «إن علماءنا - أى علماء هذا المذهب الضال - ما قالوا بالتوسل بالأنبياء والأولياء، وندبوا اليه من تلقاء أنفسهم، حاشاهم من ذلك، وهم أمناء الدين وخلفاء الرسل، بل أخذوه من كلام الله، وكلام رسوله، أمرا وفعلا» (ص ١٠، ١١)

هذا ما ينطق به هذا الأحمق الجهول في رسالته من أحكام عامة جازمة، وما رجع في هذا الى كتاب الله أو سنة رسوله، بل قال ذلك باعتبار أنه مشرع يقول ما يقول وعلى الناس السمع والطاعة!! اليس هو من الأئمة المعصومين الذين يقومون في الناس مقام الرسل والأنبياء؟

ثم نقول لهذا الملحد المضلل: كيف يدعو الله تعالى الى إخلاص العبادة والدعاء له وحده، في قوله تعالى:

« وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ »

(البينة: ٥)

وفي قوله سبحانه :

« وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ »

(غافر: ٦٠)..

فالدعاء عبادة من أخلص العبادات لله من المؤمنين بالله، حيث تتجه إليه وجوههم خالصة.. وأن الذين لا يتجهون الى الله فيما يندبهم هم مستكبرون عن عبادة الله، وهم من أصحاب النار هم فيها خالدون.

ويقول تبارك اسمه :

« وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ »

(يونس: ١٠٦)

ويقول جل شأنه:

«وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ»

(الأعراف: ١٩٧)

ويقول سبحانه:

«إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَأَدْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ»

(الأعراف: ١٩٤)

فكيف يدعو الله تعالى الى إخلاص العبادة له وحده، والاتجاه بالدعاء له دون غيره، ثم يدعو بعد ذلك الى التوسل بغيره من الأنبياء والأولياء والصالحين؟ أهذا التناقض يجوز في حق الله تعالى؟ إن من يقول بهذا هو كافر بالله، ملحد في آياته!!

وروى أبو داود، عن عبدالله بن الشخير، قال: انطلقت في وفد بنى عامر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلنا: أنت سيدنا.. فقال: «السيد الله تبارك وتعالى» فقلنا: وأفضلنا فضلا، وأعظمتنا طولا<sup>(١٦)</sup>.. فقال صلى الله عليه وسلم: «قولوا بقولكم، ولا يستجرينكم الشيطان»<sup>(١٧)</sup>.

وروى الطبراني عن عبادة بن الصامت، رضى الله عنه، أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذى المؤمنين، فقال بعضهم: قوموا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إنه لا يستغاث بى، وإنما يستغاث بالله..»

(١٦) الطول: الجاه، والقدر، وهو بكسر الظاء المشددة، وفتح الواو.

(١٧) أى يذهب بكم الشيطان بعيدا في الغلر.

وروى الترمذى ، عن أنس - رضى الله عنه - قال: «لم يكن شخص أحب إليهم - أى الصحابة - من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهيته لذلك».

فإذا كان هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكرم خلق الله على الله لا يستشفع به، ولا يستغاث به، ولا يقوم أصحابه له بأجسادهم، وإن فاضت قلوبهم ومشاعرهم إجلالا له وتوقيرا، ولا يقبلون يده، وإن كان يسعدهم أن يقبلوا التراب الذى تمشى عليه قدماه الشريفتان - إذا كان ذلك مما نهى الرسول الكريم عنه حفظا لكرامة المؤمن، وحماية له من الخضوع والخشوع لغير الله، وسدا لذرائع الملق والتزلف لذوى الجاه والسلطان - إذا كان هذا ما نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنه، وحذر المسلمين منه وأراهم من شخصه الكريم، هذا الذى رأوه من توجيههم بالتعظيم والإجلال لله تعالى وحده - فكيف يقوم فى المسلمين من يدعوهم إلى الاستشفاع والاستغاثة بالموتى، الذين انقطع ما بينهم وبين هذه الدنيا؟

وكيف يكون إيمان بالله مع التمسح بالقبور، والطواف بالقباب، ومناجاة من تحت القبور ومناداتهم بطلب المطالب وقضاء الحاجات.؟

ان ذلك - فضلا عن إفساده للعقيدة ، ومسخه للإيمان - هو امتهان للعقل وإهدار لأدمية الإنسان واستعباد له لعالم الموتى: ذلك الاستعباد الذى هو أشنع شناعة، وأشد بلاء من الاستعباد للأحياء؟

وبعد : فإن رسالة هذا الغيبى الجهول الملحد، الذى يسمى الحاج مختار بن الحاج أحمد باشا المؤيد الأعظمى التى سماها: «جلاء الأوهام عن مذاهب الأئمة العظام» - ان هذه الرسالة دعوة الى عبادة الأئمة العظام عنده، وتلقى أحكام الشريعة منهم والتعبد بأقوالهم.. وهؤلاء الأئمة العظام عند هذا الملحد هم أئمة الشيعة الذين يقومون على أتباعهم مقام رسل الله عند المؤمنين بالله فهم عند أتباعهم معصومون عصمة مطلقة فوق عصمة الرسل!!

واذن فهذا الملحد إذ يحاج أهل التوحيد، فإنما يدعو الى دين غير دين الإسلام، ويعمل على نشر مذهب ضال يخرج المسلم الذى يتبعه عن دينه حيث لا التفات الى القرآن أو السنة، وحيث لا اجتهاد، ولا اعتبار لاجتهادات أصحاب المذاهب الأربعة، وإنما الشرع ما قال به الأئمة المعصومون، والدين ما رسمه هؤلاء الأئمة..

« كَذَلِكَ زَيْنٌ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » (يونس ١١٢)

ومن أراد الاطلاع على كفر هذا الملحد وضلاله، فليطلع على كتاب: «البيان والإشهار، لكشف زيغ الملحد الحاج مختار» للشيخ فوزان السابق، أثابه الله تعالى وأكرمه.. فقد كشف عن ضلال هذا الضال، وتلبيساته على المسلمين، وألبسه ثوب الخزى، ليكون عبرة لأهل الزيغ والضلال، ودعوة للمؤمنين أن يأخذوا حذرهم من المتدسسين اليهم بتلك الشعارات المضللة الزائفة:

« هُمُ الْعَدُوُّ فَأَحْذَرُهُمْ قَاتِلُهُمْ اللَّهُ أَنْ يُوَفَّكَوْنَ » (المنافقون ٤)

صدق الله العظيم.

\*\*\*\*

## ثانيا : الدرر السنية في الرد على الوهابية لابن دحلان

وهو احمد بن زيني بن دحلان .

كان مقيا بالبلد الحرام، مضييفا نفسه الى علماء المسجد الحرام، باسطة نفوذه على كثير من طلبة العلم الوافدين الى هذا البلد الأمين من شتى آفاق الإسلام، ملتصين النور من مطلع الرسالة الإسلامية، حيث أقام هذا الرجل مصيدة يوقع في شباكها باسم العلم هؤلاء الوافدين لطلب العلم، ويقتنص ما يقع ليده مما معهم من مال ومتاع.

وانها لتجارة خاسرة، قامر فيها هذا الشيخ بدينه، وباعه بهذا الثمن البخس من فتنة الناس وإضلالهم.. فكان من الذين قال الله تعالى فيهم:

« أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالََةَ بِالْهُدَىٰ فَا رَبَّحْتُمُجْرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٦﴾ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمٍتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بُكْرٌ عُمَىٰ فَهُمْ لَّا يَرْجِعُونَ »

(البقرة : ١٦ : ١٨)

ومن هنا كان موقف هذا المتجر بالدين من دعوة التوحيد التي قام بها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، وكشف بها عن وجه الشرك الكئيب الذي غير وجه الإسلام الوضيء، الخفيف، وألبس الناس هذا اللباس المشنوم.

لقد رأى ابن دحلان أن سلطانه الذي أقامه على الناس بالجهل والشعوذة مهدد بالزوال من دعوة التوحيد، إذا قدر لها أن تدخل الى قلوب الناس، وأن تبدد بأنوارها هذا

الظلام المخيم عليهم، فقام في وجه هذه الدعوة، ينبجها نباح الكلب المسعور، ويرميها بكل ما لديه من وسائل الشعوذة، والتفجير، غير مقيد بضابط من خلق أو دين.. فكانت منه هذه الصرخات المحمومة المجنونة في وجه الدعوة الى التوحيد، كما كان يفعل المشركون في وجه الدعوة الإسلامية عند مطلعها، وإرسال أضوائها على مواقع الشرك وأهله، حتى لقد بلغ الأمر بهذا الأحمق الجهول أن يؤلف الرسالة، وأن ينشرها في الناس، والتي أسماها: «الدرر السنينة في الرد على الوهابية» وما هي في حقيقة أمرها إلا نباح كلب في وجه القمر، وإلا الحصا يرمى به صبي أو مجنون في محيط البحر الزخار، وهو يحسب أن ينال من هذا البحر منالاً..

ما يضير البحر أمس زاخرا  
أن رمى فيه غلام بحجر؟

من هذيان ابن دحلان

والرسالة كلها خلط مجنون، وهذيان محموم، وترهات من هنا وهناك، نقلها من كتب المتصوفة والخشونة والرافضة، وغيرهم، ثم جاء بهذا الخليط من اللغو يحاج به دعوة التوحيد في غير حياء أو خجل، وكأنه يوحى اليه من عالم الغيب وما يوحى إليه إلا من شيطان مريد:

« كَتَبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ فَانَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ »

(الحج: ٤)

الاحتجاج للتوسل والاستشفاع :

فهذا الداعي محتج للتوسل والاستشفاع بالنبي صلى الله عليه وسلم وبالصحابة وبأصحاب الأضرحة والقباب - محتج لهذا بتلك النقول المريضة الفاسدة من مؤلفات سدنة الأضرحة وعبادها، والمتجرين بالشعوذة لها، ولما يناله قصادها المطيفون بها - والناذرون لها من خير كثير في دنياهم وآخرتهم!!



يريد بهذه الشعذة أن يرد دعوة التوحيد التي يدعو إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب

ومن اتبعه على دين الله من المسلمين، بعد أن خلعوا أسبال الشرك البالية التي ألبسها إياهم الجهل، ووسوسة شياطين الجن والإنس لهم - تحقيقاً لمعنى: «لا إله إلا الله».. تلك الكلمة الجليلة العظيمة التي لا يدخل الإنسان إلى الإسلام إلا بها قولاً وفهماً واعتقاداً وعملاً.. كما يقول الحق سبحانه:

«...فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخَطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ»

(الحج: ٣٠ - ٣١)

وكما يقول جل شأنه:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ ۚ وَيَغْفِرُ مَادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ۚ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلًّا بَعِيدًا»

(النساء: ١١٦)

ويقول سبحانه:

«إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ»

(المائدة: ٧٢)

ومع هذا الحكم الصريح القاطع من الله تعالى على الشرك والمشركين، فإن من البلية أن يكون في المسلمين بل وفي أذعياء العلم من المسلمين من يزكى الشرك ويستسيغ طعمه، ويفرى الناس به!!

دعاوى ابن دحلان في التوسل :

يقول ابن دحلان في الاحتجاج بالتوسل الذي يدعو المسلمين إليه ما يأتي في ص ٦

من رسالته: «وأما التوسل، فقد صح صدوره من النبي صلى الله عليه وسلم، وأصحابه  
وسلف الأمة»

هذا ما يقطع ابن دحلان به في حكمه على التوسل بغير الله، وكأنه يتلقى هذا من  
كتاب الله، أو سنة رسوله، وما هو إلا من وسوسة شيطانه المرید..

ثم يقول ابن دحلان ، مؤيدا دعواه في جواز التوسل بهذه المرويات وما يتأولها  
عليه - يقول:

«أما صدوره - أي التوسل - من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقد صح في  
أحاديث كثيرة.. منها: أنه صلى الله عليه وسلم، كان من دعائه:  
«اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك».. وهذا توسل لاشك فيه!!

ولم يذكر ابن دحلان المصدر الذى تلقى منه هذا الحديث، ولعله وجدته في بعض  
كتب المتصوفة أو تلك الرسائل التى تغزو المسلمين بتلك الطلاسم من الأدعية  
والأوراد!!

ومع ذلك فإن هذا الحديث المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس فيه  
توسل بأحد بذاته من الناس، ولا استشفاع به، بل هو دعاء موجه الى الله تعالى لا  
بالسائلين بل بحق السائلين على الله.. وحق السائلين على الله هو استجابة دعواتهم  
المتوجهين به اليه سبحانه، فضلا وإحسانا منه تعالى.. فإن الدعاء عبادة لله وقربة له  
سبحانه، والله تعالى يقول:

« وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ »

(غانف: ٦٠)

وقال سبحانه :

« وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ »

(البقرة: ١٨٦)

فالدعاء هنا خالص لله ، يتوسل به الداعون الى الله، ويوجهون اليه وجوههم خالصة له سبحانه.. فإذا توسل متوسل بحق الداعين على الله فإنما يتوسل بالله بهذا الحق الذي أوجبه الله تعالى على نفسه فضلا منه وكرما لمن دعاه..  
فالتوسل هنا الى الله هو توسل منه اليه ، وليس توسلا بأحد من خلقه ، كما يدعى ابن دحلان جهلا أو مكررا.

ثم يقول ابن دحلان في رسالته الشيطانية تلك (في ص: ٦) معلقا على هذا الحديث المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم:  
«فانظر قوله صلى الله عليه وسلم: «بحق السائلين عليك» فإن فيه التوسل بكل عبد مؤمن!!

وهذا - كما قلنا - فهم فاسد ، وتأويل باطل، وتحريف للكلم عن مواضعه، لا يقول به إلا من ختم الله على قلبه وسمعته، وجعل على بصره غشاوة.

إذ كيف يتوسل الرسول صلى الله عليه وسلم بكل عبد مؤمن، ورسول الله صلى الله عليه وسلم سيد المؤمنين وداعيهم الى الإيمان؟

وإذ جاز التوسل من مؤمن بمؤمن - وهو غير جائز قطعا - فهل يجوز التوسل من الأعلى بالأدنى؟

وقد أشرنا من قبل الى أن هذا التوسل المنسوب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم بحق السائلين على الله بأنه توسل الى الله تعالى بصفة من صفاته الجليلة، وهي

الإحسان الى المتوجهين بالدعاء اليه سبحانه باستجابة دعائهم الذى يرفعونه الى الله خالصا له وحده، جل شأنه، كما قال الرسول الكريم فى دعائه: «اللهم انى أسألك بنور وجهك، الذى أضاءت به الظلمات» وذلك فى دعائه صلى الله عليه وسلم وهو عائد من الطائف، بعد أن أعرض عنه أهلها، وسلطوا عليه الغلمان والصبيان يرمونه بالحصا، ويرجمونه بالسباب.. فأنت بأبى وأمى يا رسول الله!..

فالرسول صلى الله عليه وسلم إذ دعا بنور وجهه، فهو يدعو فى هذا الحديث المنسوب إليه بفضل الله وإحسانه، ثم يمضى ابن دحلان فى هذا الخلط فيقول فى ص: (٩٠ -

«وقد توسل به صلى الله عليه وسلم أبوه آدم، قبل وجود سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، حين أكل من الشجرة التى نهاه الله عنها».

ويستدل ابن دحلان على هذه الأسطورة بحديث رواه الحاكم والطبرانى، وهو: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لما اقترب آدم الخطيئة، قال: يارب، أسألك بحق محمد إلا ما غفرت لى.. فقال الله تعالى: يا آدم، كيف عرفت محمدا ولم أخلقك؟ قال يارب، إنك لما خلقتنى رفعت رأسى، فوجدت على قوائم العرش مكتوبا: لا إله إلا الله محمد رسول الله، فعرفت أنك لم تضيف الى اسمك إلا أحب الخلق إليك.. فقال الله تعالى:

صدقت يا آدم.. إنه لأحب الخلق إلى، وإذ سألتنى بحقه، فقد غفرت لك، ولولا محمد ما خلقتك !!

وهذا لاشك حديث مفترى على رسول الله صلى الله عليه وسلم، افتراه الصوفية والحلولية الذين يقولون بوحدة الوجود، ويقولون بما يسمونه الحقيقة المحمدية «التى نسجوا منها هذه الاسطورة التى تجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم إلهًا مع الله، قائمًا على هذا الوجود خلفا وأمرًا..

وانه ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينطق بشئ من هذا، وحاشاه - صلوات الله وسلامه عليه - أن يفتن أصحابه وأتباعه فيه، وهو الذى يقول:

«لا تطروني كما أطرت النصارى المسيح بن مريم، ولكن قولوا عبدالله ورسوله»!!  
فكيف ينهى عن إطرانه ، ثم يفتح للمسلمين هذا الباب العريض الذي يرفعه الى مقام  
الألوهية؟

فهذه الأسطورة المعروفة عند المتصوفة والحلولية بالحقيقة المحمدية، تدعى هذه  
المدعيات الباطلة على رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ يقول هؤلاء المشعوذون: إن  
أول ما خلق الله محمدا من نوره، ثم من هذا النور خلق العرش والكرسى، وخلق اللوح  
والقلم، ثم سائر المخلوقات في السموات والأرض!!

فيا سبحان الله ، ما يكون لنا أن نتكلم بهذا، سبحانك، هذا بهتان عظيم.. فلا إله  
إلا أنت، تنزهت عن الشريك، وعن صاحبة والولد..

إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هو ابن آدم، وإن كان أفضل أبنائه.. وأبوه  
عبدالله، وأمّه آمنة، وهو الذي يقول: «أنا ابن امرأة من قريش، كانت تأكل القديد»  
ويقول: «أنا عبدالله آكل كما يأكل العبد..»

فماذا يقول صلى الله عليه وسلم أكثر من هذا، وأوضح بيانا، كى يرد هذه الفتن  
العمياء عن القول فيه، بأنه ليس إلا عبدا من عبيد الله، ورسولا من رسله؟ ولكنه  
الشیطان يوحى الى أوليائه بهذا الضلال!!

«..... وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنْ اللَّهِ شَيْعًا<sup>ج</sup>»  
(المائدة: ٤١) !!

ثم ان الله تعالى يقول في توبة آدم:

« فَتَلَوَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ<sup>ج</sup> إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ<sup>م</sup> »

(البقرة: ٣٧)

وهذا معناه:

أولاً : أن آدم تلقى من ربه كلمات ألهمها الله تعالى إياها، فتوجه بها الى ربه تائباً، مستغفراً، فقبل الله توبته، وغفر له خطيئته .  
وإذن فلم يكن آدم هو الذى عرف طريق التوبة بالنظر الى العرش، ورؤيته اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم مكتوباً على العرش، كما يفترى المفترون على الله ورسوله.

وثانياً : أن هذه الكلمات التى تلقاها آدم من ربه إلهاماً منه سبحانه، وهى تلك الكلمات التى أشار إليها قوله تعالى:

«...وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٢٢﴾ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »  
(الأعراف: ٢٢ - ٢٣)

فهذه الكلمات التى تلقاها آدم من ربه، وتوجه بها هو وزوجه تائبين الى الله، هى قولها:

« قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّا تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ »  
(الأعراف : ٢٣)

فأى قول يقال بعد هذا الذى نطق به القرآن الكريم، هو باطل الأباطيل، يرمى به فى وجه قائله، ملعوناً مدحوراً، ثم هذا الحوار الذى يجريه الملحدون بين الله تعالى وبين آدم، هو من واردات الكفر والإلحاد، لا يخرج إلا من رءوس فارغة، لا يقيم بها إلا الشيطان.. إذ كيف يطلع آدم على العرش وعلى ملكوت الله؟ ثم كيف يقرأ ما كتب على العرش؟ وهل كان آدم يعرف القراءة والكتابة؟ وبأى لغة كان يقرأ ويكتب؟ وبأى لغة كان هذا المكتوب على العرش؟

هذا كلام له خبيء معناه ليس لنا عقول، إنه كذب مفضوح، أخرس الله السنة المتخربين به...

ثم يمضى ابن دحلان في هذا الهراء الذي يحتاج للتوسل به في ص ١٠ من رسالته المشنومة تلك، فيقول: «والى هذا التوسل أشار الإمام مالك للخليفة المنصور وذلك لما حج المنصور، وزار قبر النبي صلى الله عليه وسلم، سأل مالكا وهو بالمسجد النبوي، فقال له: يا أبا عبدالله، أستقبل القبلة وأدعو؟ أم أستقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأدعو؟ فقال له الإمام مالك: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم الى الله تعالى؟ بل استقبله واستشفع به، فيشفعه الله فيك.. قال الله تعالى:

«... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا»  
 (النساء: ٦٤)

ثم يذكر ابن دحلان المصادر التي نقل عنها هذا الخبر المنسوب الى الإمام مالك فيقول: «ذكره.. أى هذا الخبر: القاضى عياض فى «الشفاء» وساقه بإسناد صحيح، وذكره الإمام النسبى فى «شفاء السقام»، وذكره السهمودى فى «خلاصة الوفا» والعلامة القسطلانى فى «المواهب المدنية» الخ .. الخ ..

ونقول: انه لو كان لابن دحلان شئ من العلم بدين الله، لما استند الى هذا الخبر، ولما نقله مستدلا به على جواز الاستشفاع بغير الله تعالى..

فهذا الخبر مخالف للشرع والعقل، وتأويل فاسد لكلام الله، وذلك من وجوه:

فأولا: أن استقبال القبلة ركن من أركان الإسلام، فى صحة فريضة من أعظم الفرائض وهى الصلاة، فلا تصح الصلاة إلا باستقبال القبلة، والتوجه إليها، كما يقول تعالى:

« وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ <sup>ج</sup> وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ»  
 (البقرة: ١٥٠)

والصلاة دعاء والدعاء عبادة كالصلاة، وعلى الداعى أن تكون القبلة وجهته فى دعائه.. فكيف يعطى الداعى ظهره للقبلة، ويتوجه الى قبر رسول الله صلى الله عليه

وسلم؟ أفليس ذلك مخالفا خلافا صريحا لشرع الله؟ ولن يكون من الإمام - رضى الله عنه - أن يفتى بغير ما شرع الله، فيعدل بالمنصور عن حكم الشرع، ولكن الذين كذبوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعوا من الأحاديث المكذوبة ما أملت عليه أهواؤهم، لا يتخرجون من أن يؤلفوا تلك الروايات الكاذبة على غير الرسول الكريم..

وثانيا : ما استشهد به ابن دحلان من قوله تعالى

«... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا»  
(النساء: ٦٤)

من أن هذه الآية الكريمة تدل على المجئ الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم من أولئك الذين ظلموا أنفسهم، طالبين أن يستغفر لهم، بعد أن يستغفروا الله - هذا الاستشهاد بتلك الآية الكريمة باطل، وتحريف للكلم عن مواضعه..

فالآية الكريمة في معرض الرد على المنافقين الذين يعرضون عن الاحتكام الى الله ورسوله، ويتحاكمون الى الطاغوت، وهم الذين أشارت اليهم الآيات الكريمة:

«الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَخْتَكُمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٥﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ قُلْ جَاءُوكَ يَخْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ



وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٥﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّوْا تَسْلِيمًا «

(النساء: ٦٥ - ٦٠)

فآية الكريمة من سورة النساء وأردت بين آيات هن في معرض الرد على المنافقين الذين يعرضون عن الاحتكام الى الله ورسوله، ويتحاكمون الى الطاغوت، وهم أهل الضلال من اليهود وغيرهم من الذين كانوا يحتكمون الى رسول الله في أمر شدد عليهم فيه دينهم العقاب، ليجدوا عند رسول الله مخرجا مما هم فيه، فإذا وجدوا ذلك رضوا به، واتخذوه لهم حجة عند الله، وذلك هو النفاق حتى مع كتابهم، إذ كانوا لا يؤمنون برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يؤمنون بما نزل على رسول الله من عند الله، بل يؤمنون بما يحقق مصالحهم الدنيوية ويكفرون بما عداه، وفي هذا يقول الله تعالى عنهم:

«إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا «

(النساء: ١٥٠ - ١٥١)

وفي هؤلاء الملحدین المنافقين، يقول الله سبحانه وتعالى:

«يَأْتِيهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يُسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَقْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمِعُوا لِلْكَذِبِ سَمْعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يَحْرِفُونَ الْكَلِمَ مِنْ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِنْ لَمْ تَأْتُوهُ فَأَحْذَرُوا وَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَنْ تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يُطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ

فِي الْأَنْحَرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمِعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾ وَكَيْفَ يُحْكُمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّورَةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ «

(المائدة: ٤١ - ٤٣)

فهذه الآيات ، ومنها الآية المستشهد بها - تواجه اليهود وتفضح نفاقهم وعيبتهم بكتب الله، ومنها التوراة التي في أيديهم، ومنها القرآن الكريم الذي فروا اليه من بعض أحكام التوراة التي تضيق صدورهم بها..

وفي الآيات بيان من الله لرسوله صلى الله عليه وسلم، وما يكون منه من موقف مع هؤلاء اليهود:

«... فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ « (المائدة: ٤٢)

وفي الآية المستشهد بها - كذبا وافتراء - على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد موته، وذلك ما جاء في قوله تعالى:

«... وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا «

(النساء: ٦٤)

في هذه الآية الكريمة دعوة الى هؤلاء اليهود الذين ظلموا أنفسهم بهذا الموقف الخبيث اللثيم الذي يقفونه من كتب الله، وأنهم إذا أحسوا هذا الظلم الذي أوقعوه بأنفسهم، ثم أرادوا التخلص منه، فليس لهم من سبيل إلا الرجوع والإنابة الى الله وطلب المغفرة منه،

ثم الرجوع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم طالبين اليه الصفح عما كان منهم من كيد، سائلين أن يستغفر الله لهم، وإلا فهم وما ارتكبوا من ظلم ومكر بالله، وبرسول الله:

«... وَلَا يَجِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ»<sup>٤</sup>

(فاطر: ٤٣)

وواضح من هذا أن الآية الكريمة، ليس فيها أى دليل على الاستشفاع برسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما تدل على طلب الصفح منه صلى الله عليه وسلم لأولئك الذين عبثوا بكتب الله، وأرادوا الرسول على أن يحكم بينهم بما فى كتابهم، ولم يقبلوه ثم طلبهم الدعاء من رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يغفر الله لهم هذا الذى كان منهم .

فالاستغفار من رسول الله صلى الله عليه وسلم، هو دعاء منه صلى الله عليه وسلم، يطلب به المغفرة من ربه لهؤلاء النادمين التائبين.

وكل مسلم يستغفر ربه، لنفسه ولغيره، فيقول: اللهم اغفر لى وإخوانى المؤمنين كما علمنا الله تعالى أن ندعوه بقوله:

«... رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ»<sup>٥</sup>

(الحشر: ١٠)

وكما قال الله تعالى على لسان موسى

« قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرْتَهُ ۗ وَ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ »<sup>٦</sup>

(القصص: ١٦)

وقد نهى الله تعالى النبي والمسلمين أن يستغفروا للمشركين، فقال تعالى:

« مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ »  
(التوبة ١١٣)

وقد كان فهم أولئك الذين ارتدوا عن الإسلام، ومنعوا الزكاة بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم - كان فهم هؤلاء المرتدين - لكتاب الله أصح من فهم ابن دحلان ومن على شاكلته، في تأويلهم للآية الكريمة، هذا التأويل المنحرف الضال.

فلقد كان من حجة ما نعى الزكاة - وهي حجة داحضة - أن الله تعالى يقول لنبيه الكريم:

« خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صِدْقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ »  
(التوبة ١٠٣)

وقد كان من حجتهم في منع الزكاة أنه قد فقد شرط من شروط أدائها، وهو صلاة الرسول عليهم، بقوله لمخرج الزكاة ومقدمها له: اللهم صلى على فلان، أى اغفر له، وارحمه..

أما وقد مات رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإذن فلا صلاة منه على مخرج الزكاة وإذن فلا زكاة.. فقد فهم هؤلاء المانعون للزكاة أن لا صلاة عليهم من رسول الله بعد موته، وهذا فهم صحيح، ولكن الذى ترتب على هذا الفهم هو غير الصحيح. فالصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، هى أركان الدين بعد شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وهى مطهرة وزكاة لمخرجها، أما صلاة الرسول صلوات الله وسلامه عليه بالدعاء وطلب المغفرة لمن يأتيه بها فهى فضل من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأدب النبوة

العالية، حيث يشكر لمؤدى الزكاة فعله، ويطيب خاطره بما أخرج من ماله العزيز على النفس.. وفي الحديث «من لا يشكر الناس، لا يشكر الله».

ومع هذا، فإنه اذا جاز الاستشفاع برسول الله على الله في حال حياته فإن الاستشفاع به على الله بعد موته هو مهواة الى الشرك، والعياذ بالله.

فما أعظمها فرية، وما أشنعها جريمة، أن ينساق الإنسان وراء هواه، فيحرف الكلم عن مواضعه، ويفترى الكذب على الله، وعلى رسول الله، فيهلك، ويهلك من ينخدع من الناس له!!

\*\*\*\*

ولا يكتفى ابن دحلان بهذا الدجل، وتلك الشعوذة فيما ساق من أدلة باطلة على جواز الاستشفاع والتوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالصالحين أحياء وأمواتا.

لا يكتفى ابن دحلان بهذه الشعوذات ، بل يمضى في غبائه وجهله، فيقول في رسالته (ص ١١): «واستسقى عمر -رضى الله عنه - في زمن خلافته بالعباس بن عبدالمطلب، رضى الله عنه عم النبي صلى الله عليه وسلم، لما اشتد القحط عام الرمادة، فسقوا ، وذلك المذكور في صحيح البخارى، من رواية أنس بن مالك رضى الله عنه حيث قال عمر «اللهم إنا كنا نتوسل إليك بنبينا صلى الله عليه وسلم فتسقيننا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا صلى الله عليه وسلم، فاسقنا».

ونقول ان هذا الخبر صحيح، فإن عمر رضى الله عنه استسقى عام الرمادة حيث خرج الى ظاهر المدينة وقد ساق بين يديه الأنعام، ومن خلفها الشيوخ والنساء والصبيان، وجعل على مقدمة الجميع العباس بن عبدالمطلب، أشبه بالإمام في الصلاة تكريما له، لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم..

ولو كان عمر يستشفع بالعباس لخرج به وحده، أو لجاءه في بيته مستشفعا به.. وهذا الاستسقاء مستحب أن يقوم به المسلمون في حال الجذب، وإمساك المطر، حيث يجتمع الناس صغارا وكبارا، وشيوخا وشبابا، في صلاة للاستسقاء، يجأرون فيها بالدعاء والضراعة الى الله أن يرحمهم، ويرسل السماء عليهم مدرارا، مقدمين في ذلك من يتوسمون فيه الصلاح والتقوى، ليكون إماما لهم في هذه الصلاة.

ثم انه لو كان يجوز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد موته لما عدل عمر ابن الخطاب عن التوسل به ولما استسقى بالعباس عم النبي .

وهذا دليل قاطع على أنه لا يجوز التوسل بالأموات من الأنبياء، فضلا عن غيرهم، أما التوسل بالأحياء ممن يظن بهم الخير، فهذا جائز، إذ كان الأحياء ممن يستعان بهم في كثير من الأمور الواقعة في مقدورهم من مسائل الحياة الدنيا.. فجاز لهذا أن يطلب منهم الدعاء الى الله تعالى، وأن ترجى استجابة الله تعالى لما يدعون به لخير العباد.. وهذا مما لا يدخل منه شيء على عقيدة المؤمن، وإخلاص عبوديته لله وإفراده سبحانه بالخلق والأمر لا شريك له.

ومن مغالطات ابن دحلان المفضوحة، وضلالته الشنيعة في التوسل بالأموات، قوله في (ص: ١٢): «وأما استسقى عمر رضى الله عنه بالعباس رضى الله عنه ولم يستسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم، ليبين للناس جواز الاستسقاء بغير النبي صلى الله عليه وسلم، وأن ذلك لا حرج فيه.. وأما الاستسقاء بالنبي فكان معلوما لهم، فلربما بعض الناس يتوهم أنه لا يجوز الاستسقاء بغير النبي، فيبين لهم عمر باستساقته بالعباس الجواز..»

«ولو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم، لربما فهم بعض الناس أنه لا يجوز الاستسقاء بغيره صلى الله عليه وسلم.

ثم يمضى ابن دحلان في هرائه هذا فيقول في الصفحة ذاتها :

«وليس لقائل أن يقول: انما استسقى - أى عمر - بالعباس لأنه حى، والنبى صلى الله عليه وسلم قد مات، وأن الاستسقاء بغير الحى لا يجوز.. لأننا نقول: إن هذا الوهم باطل ومردود بأدلة كثيرة منها: توسل الصحابة بالنبى صلى الله عليه وسلم بعد وفاته، كما تقدم فى القصة التى رواها عثمان بن حنيف فى الحاجة التى كانت للرجل الأعمى، وكما فى حديث بلال بن الحارث، وكما فى توسل آدم بالنبى صلى الله عليه وسلم قبل وجوده.. فكيف لا يعتقد فى صحته - أى التوسل - بعد وفاته؟

أما القصة التى رواها عثمان بن حنيف ، فهى - كما يقول ابن دحلان - :  
«ان رجلا ضريرا أتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال: ادع الله ان يعافينى، فقال «ان شئت دعوت، وان شئت صبرت، وهو خير» قال: فادعه.. فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه، ويدعو بهذا الدعاء: «اللهم انى أسألك وأتوجه اليك بنبيك محمد، نبى الرحمة.. يا محمد، انى أتوجه بك الى ربى فى حاجتى لتقضى اللهم شفعه فى «فدعا، فأبصر»

وفى هذا الخبر الذى يسوقه ابن دحلان، ليقيم منه شاهدا على التوسل بالنبى صلى الله عليه وسلم، فى هذا الخبر أكثر من تناقض، يدل على أنه مكذوب:  
فأولا : أن الرجل عدل عما هو خير وأفضل، حين طلب الدعاء، ولم يرض بالصبر الذى قيل ان النبى صلى الله عليه وسلم أشار به عليه، وهو قوله: إن شئت دعوت لك، وإن شئت صبرت وهو خير.. فلو أن الرجل كان على إيمان ويشق بالله وعلى صلاح وتقوى لرضى بالصبر الذى دعاه اليه صلى الله عليه وسلم.. فكيف يكون هذا الرجل أهلا لأن يتقبل الله دعاءه والله تعالى يقول:

«إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ»  
(المائدة: ٢٧)

وهذا دليل على أن الحديث مكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وثانيا: أنه لو صح هذا الحديث لكان العمل به دواء لكل أعمى من المسلمين، إذ ليس فيه ما يدل على أنه خاص بهذا الأعمى.. وهذا غير مقبول شرعا، وعقلا، وواقعا.

وثالثا: الشفاعة التي ثبتت للنبي صلى الله عليه وسلم، هي شفاعة في الآخرة لعصاة المؤمنين بإذن من ربه سبحانه وتعالى، والله تعالى يقول:

« مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ »<sup>ج</sup>  
(البقرة : ٢٥٥)

ويقول سبحانه :

« وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى »  
(النجم : ٢٦)

وأما حديث بلال بن الحارث الذي أشار اليه ابن دحلان، فهو قوله: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذا خرج الى الصلاة قال: «بسم الله، أمنت بالله، وتوكلت على الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك...»

وقد بينا من قبل أن هذا - إن صح - فهو دعاء خالص لله تعالى، وليس توسلا بالسائلين، وإنما بحق السائلين الذي هو لله تعالى وحده، بما أوجب على ذاته الكريمة من إجابة دعوة الداعين المتوجهين اليه سبحانه بالدعاء، كما يشير الى ذلك قوله تعالى:

« وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ »<sup>ج</sup>  
(غافر / ٦٠)

وأما توسل آدم بالنبي صلى الله عليه وسلم، بأن يقبل الله توبته، ويغسل خطيئته، فقد كشفنا عن بطلانه، وانه من تحريفات المتصوفة، ومفتريات الباطنية.



وأما ما يقول ابن دحلان عن توسل عمر بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم وأنه لم يتوسل بالنبي، وأن ذلك كان لنكتة. أخرى زيادة على ما تقدم وهى شفقة عمر رضى الله عنه على ضعفاء المؤمنين، فإنه لو استسقى بالنبي صلى الله عليه وسلم، لربما تأخرت الإجابة، لأنها معلقة بإرادة الله تعالى.. فلو تأخرت الإجابة ربما تقع وسوسة واضطراب لمن كان ضعيف الإيمان بسبب تأخر الإجابة، بخلاف ما إذا كان التوسل بغير النبي صلى الله عليه وسلم، فإنه لو تأخرت الإجابة لا تحصل تلك الوسوسة ولا ذلك الاضطراب»

ونقول إن هذه النكتة من ابن دحلان هى فتح لباب الفتنة على مصراعيه، وذلك بجواز التوسل بأى من الناس ولو كان هناك من هو أفضل منه خوفاً من أن يساء الظن به إذا لم يتحقق ما توسل به.. وما كان لعمر رضى الله عنه أن يرى جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ثم يعدل عنه الى العباس خوفاً من أن تقع اضطرابات فى إيمان بعض المؤمنين لو تأخرت الإجابة، والاجابة معلقة فى كل حال بإرادة الله سبحانه وتعالى.. فهذا تعليل فاسد من ابن دحلان، يريد به أن يلبس على المسلمين دينهم، وليكون مدخلا له الى ما يزعمه من جواز التوسل بالأحياء والأموات .

وهذا ما يقرره ابن دحلان فى قوله بعد هذا فى (ص: ١٣)  
«والحاصل أن مذهب أهل السنة والجماعة صحة التوسل وجوازه بالنبي صلى الله عليه وسلم فى حياته وبعد مماته، وكذا بغيره من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وكذا بالأولياء والصالحين.. فلا فرق فى التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وغيره من الأنبياء والمرسلين، صلوات الله عليهم أجمعين، وكذا بالأولياء والصالحين بين كونهم أحياء وأمواتا»

وهذا هو بيت القصيد - كما يقولون - من هذا التلبيس، وذلك الخلط من ابن دحلان.. فإنه لا يعنيه من التوسل إلا أن يقرر جواز التوسل بأصحاب القباب والأضرحة الذين يرى العامة وأشباه العامة من علماء السوء أن تحت كل قبة أو ضريح ولي من أولياء الله.

فابن دحلان لا يحتج بجواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم وبإخوانه من الأنبياء والمرسلين، عليهم السلام، أحياء وأمواتا - لا يحتج ابن دحلان بجواز هذا إلا ليصل إلى إنفاذ سهامه المسمومة إلى قلوب المسلمين ليزرع فيها جراثيم الشرك التي اقتلعتها دعوة التوحيد التي دعا إليها الشيخ محمد بن بعدالوهاب، تلك الجراثيم التي كانت قد اغتالت مواقع الإيمان من القلوب بالتبرك بأصحاب القبور والتعبد لهم بالذور، وتقديم القرابين. إن ابن دحلان لا يعنيه من التوسل إلا التوسل بأصحاب القباب، والطواف بأضرحتهم، والتمسح بأركانها، والتضرع والبكاء للمقبورين تحتها.. وذلك ليقف في وجه دعوة التوحيد التي تذهب بمكانته بين العوام... وتقطع موارد كسبه الحرام.

### ضلال بعد ضلال :

وإذ يحسب ابن دحلان أنه قد كسب المعركة التي يواجه بها دعوة التوحيد بهذا الدجل، وتلك الشعوذة وبما ساق من نقول فاسدة من كتب المتصوفة والرافضة... وغيرهم - إن ابن دحلان إذ خيل إليه من شعوذته تلك أنه يثبت أركان دولته المنهارة - قد مضى في الشعوذة إلى أبعد غاية حتى غرق، كما غرق فرعون من قبله..

وها هو ذا يأتي بنقول من عالم الترهات والأباطيل، ويستملى من خرافات لا يقبلها عقل أي عاقل لم يبلغ حد الجنون، والهلوسة..

فها هو ذا يأتي بتلك المرويات التي لا تخرج إلا من عالم البله والمجانين..  
ومن ذلك ما يرويه عن العتبي فيقول :

«قال العتبي، كنت جالسا عند قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاء أعرابي فقال: «السلام عليكم يا رسول الله.. سمعت الله يقول:

« وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَأَسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا »

(النساء ٦٤)

وقد جنتك مستغفرا من ذنبي مستشفعا بك الى ربي.. ثم بكى وأشد:

يا خير من دفنت بالبقعاء أعظمه

فطاب من طيبهن القاع والأكم

نفسى الفداء لقبير أنت ساكنه

فيه العفاف، وفيه الجود والكرم

«قال العتبي : ثم استغفر الأعرابي : وانصرف، فغلبتني عيناي، فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال: يا عتبي: الحق الأعرابي، فبشره أن الله غفر له فخرجت خلفه، فلم أجد»

ونحن لا نكذب ابن دحلان فيما نقل، ولكننا نستخف عقله أن ينقل مثل هذا السخف ويقبله شاهدا على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد وفاته..

وانه كفى بهذا الخبر كذبا أن يقول العتبي: ان النبي صلى الله عليه وسلم جاءه في النوم وهو في المسجد، والأعرابي يدعو ثم ينصرف، فيقول له صلى الله عليه وسلم: يا عتبي: الحق الأعرابي فبشره أن الله غفر له، ثم يخرج العتبي، فلا يجد للرجل أثرا.. فكيف يقول النبي صلى الله عليه وسلم للعتبي هذا القول، ولا يعلم أن الأعرابي قد ذهب بعيدا، ولا يمكن أن يبلغه هذا الخبر؟  
ونترك الحكم على هذا لمن كان له عقل أو دين.

وينقل ابن دحلان فيما ينقل من تلك الأساطير التي تفسد جوهر الإسلام، وتعرضه في هذا المعرض الخرافي، الذي من شأنه أن ينفّر الناس من هذا الدين الذي يحمل مثل هذه الخرافات..

يقول ابن دحلان :

«روى بعض الحفاظ - ولا يسميه - عن أبي سعيد السمعاني، أنه روى عن علي بن أبي طالب، رضى الله عنه، وكرم وجهه، أنهم بعد دفنه صلى الله عليه وسلم بثلاثة أيام، جاءهم أعرابي، فرمى بنفسه على القبر الشريف، على صاحبه أفضل الصلاة والسلام،

وحثا ترابه على رأسه، وقال يا رسول الله: قلت فسمعنا قولك، ووعيت عن الله ما وعينا عنك وكان فيما أنزل الله عليك، قوله تعالى:

« وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا »

(النساء ٦٤)

وقد ظلمت نفسي، وجنتك مستغفرا الى ربي «فنادى من القبر الشريف: أنه قد غفر لك» !!

ونسأل ابن دحلان وقد رحل عن هذه الدنيا - هل سأل نفسه: من نقل عن الأعرابي هذا الذى سمعه من القبر الشريف؟ وهل ذكر الأعرابي هذا لأحد؟ وهل سمع أحد ما سمعه هذا الأعرابي؟ إنها دعوى لا مستند لها ولكل دعوى أن يدعى هذه الدعوى! فهل يصح أن تكون مثل هذه الدعوى شاهدا على جواز التوسل بالنبي صلى الله عليه وسلم بعد موته؟ وهل تكون الحرفات مما يدخل فى دين الله ويكون حجة من حججه على الناس؟

ثم ألم يسأل ابن دحلان نفسه: هل أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وذوى قربته - جاء الى قبر النبي صلى الله عليه وسلم، يسأله فيما وقع لهم من أمور وما كان بينهم من اختلاف فى أمر الخلافة التى كانت مشار جدل بين المهاجرين والأنصار؟ وهل رجع أبو بكر رضى الله عنه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يأخذ عنه الحكم فى حرب المرتدين، بعد وفاته صلى الله عليه وسلم؟ ثم هل كان قبر النبي صلى الله عليه وسلم مفزعا للمسلمين فى الأحداث المزلزلة الدامية فى عصر الصحابة والتابعين ومن بعدهم؟ ولا نريد جوابا، فلسان الحال أفصح من كل لسان!

أما الآية الكريمة التى يتخذ منها ابن دحلان ومن على شاكلته من دعاة الضلال شاهدا على جواز التوسل برسول الله صلى الله عليه وسلم، والفرع اليه فى الناطبات - فقد كشفنا عن وجه الحق منها، وأنها بيان من الله تعالى لرسوله الكريم عن الموقف الذى يقفه من المنافقين من اليهود.

ومن متقولات ابن دحلان الخرافية ما جاء في ص ٢٦ من رسالته .

يقول ابن دحلان :

«وقف أعرابي - هكذا لا يكون الواقف إلا أعرابيا مجهولا - على قبره الشريف صلى الله عليه وسلم، وقال: اللهم انك أمرت بعنق العبيد، وهذا حبيبي، وأنا عبدك فأعتقني من النار على قبر حبيبي» فهتف به هاتف: يا هذا، تسأل العتق لك وحدك؟ هلا سألت العتق لجميع المؤمنين؟ اذهب فقد أعتقتك!!

وهذا كذب صراح على الله.. لا يقول هذا مؤمن بالله، وبما له سبحانه من جلال وتقديس، فمن هو هذا الهاتف الذي هتف بهذا الأعرابي؟

وإذا كان الهاتف هو الله تعالى، كما تقول هذه الخرافة - «اذهب فقد أعتقتك» فكيف ينكر الله تعالى على هذا الأعرابي أن يطلب العتق لنفسه، ولا يطلبه لجميع المؤمنين؟ وكان منطق هذا الإنكار أحد الأمرين:  
إما أن يعتق الله جميع المؤمنين، وإما أن يحرم الأعرابي هذا العتق!!

ثم كيف يكلم الله تعالى هذا الإنسان؟ ان الله تعالى لم يكلم أحدا من أنبيائه ورسله، غير موسى عليه السلام كما يقول تعالى:

«وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ»  
(الشورى: ٥١)

فهذه ثلاث صور من صور اتصال الله تعالى بالبشر: الوحي، بمعنى الإلهام كما ألهم الله تعالى أم موسى، وذلك ما يشير اليه قوله تعالى:

«وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فَأَلْقَيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي»

وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا رَأَوْنَاهُ إِلَيْكَ ۖ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۖ

(القصص: ٧) ..

والصورة الثانية، كلام الله تعالى لمن يكلمه، وذلك من وراء الحجاب، كما كلم الله تعالى موسى:

« وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا »

(النساء : ١٦٤)

والصورة الثالثة ، أن يرسل الله تعالى رسولا، أى ملكا، وهو جبريل عليه السلام، فيوحى الى الرسل بما يأذن الله تعالى به.

وهذا الأعرابى - كما تقول الأسطورة التى يرويها ابن دحلان - ليس نبيا، ولا رسولا، فكيف يخاطبه الله تعالى ويهتف به، اذهب فقد أعتقتك؟!

ولو قيل: « اذهب فقد اعتقتك»: لكان لهذا الكلام محملا من محامل التأويل، أما أن يقال له: اذهب فقد أعتقتك، فهذا صريح بأن هذا خطاب من الله لهذا الأعرابى!!

إن هذا الكلام لا يمكن أن يصدر إلا من عالم المتصوفة القائلين بوحدة الوجود فلا رب ولا مريبوب، ولا معبود، ولا عبيد... بل الكل عبد، والكل رب، كما يقول شيخهم ابن عربى:

فأنت عبد وأنت رب :: لمن له أنت فيه عبد؟

وأنت رب وأنت عبد :: لمن له فى الخطاب عهد!!

فإن كان ابن دحلان من القائلين بوحدة الوجود، أو كان من الحلوليين، فلا حديث لنا معه، بل نقول له: «لكم دينكم ولى دين».

وإذن، فلا يصح من ابن دحلان قول في الإسلام، ولا ينبغي أن يكون له موقف من الداعين الى الإسلام الخفيف المبرأ من ضلالات الحلول، ووحدة الوجود.

ولكن الرجل يأبى إلا أن يتصدى لدعوة الدين الخفيف متزييا بزى الغيورين عليه المنافحين عن حماه.. ومن قبل ومن بعد فعل كثير من أعداء الإسلام هذا، فدخلوا في الإسلام، وأظهروا الورع والنسك، حتى انخدع بهم الناس، فساوهم الى الضلال، ووردوا بهم موارد الكفر، كما فعل عبدالله بن سبأ، اليهودى الذى قاد الفتنة على عثمان - رضى الله عنه - ، ثم كان من المقاتلين مع على رضى الله عنه ومن الذين فتنوا كثيرا من المسلمين بادعاء الألوهية لعلى، والتى لا تزال تسيطر على عقول كثير ممن ينتسبون الى الإسلام.

ومن هنا كان موقفنا من ابن دحلان، ومن هذا الضلال الذى خلفه وراءه حتى لا يفتن به من يطلع عليه.

#### موقف ابن دحلان من دعوة التوحيد:

والذى حمل ابن دحلان على هذا الضلال الذى غرق فيه هو حقه على الإمام محمد ابن عبدالوهاب، وما يدعو إليه من توحيد الله، وترك الأعمال الشركية التى كان عليها الناس يومئذ.

وإذ ينظر ابن دحلان هناك وهنا ليجد من يذهب مذهب الضال من دعوة التوحيد، لا يقف عند كتاب الله أو سنة رسوله، بل إنه إذا جاء بأية كريمة تأولها تأويلا فاسدا، أو فعل حديثا جاء به من الأحاديث الموضوعة أو الضعيفة.. ولهذا فإنه يستدعى لنصرة مذهبه الضال كل ضال مثله، ويجعل من هذا شاهدا على بطلان الدعوة التى يدعو اليها الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

ولو أن ابن دحلان كان يؤمن بما يقول، لما التفت الى غيره من هؤلاء الذين يستدعيهم للدخول معه في هذه الحرب التي يعلنها على دعوة التوحيد، لأن صاحب الحق في قوة من الحق لا تغلب أبدا.

يقول ابن دحلان في ص ٥٢ من رسالته :

« فممن أَلَف في الرد عليه أى على الشيخ محمد بن عبد الوهاب - وسأله عن بعض المسائل، فعجز: «العلامة الشيخ محمد بن عبدالرحمن بن عفالق» فإنه أَلَف كتابا جليلا سماه: «تهكم المقلدين بمن ادعى تجديد الدين» ورد عليه - أى على ابن عبد الوهاب في كل مسألة من المسائل التي ابتدعها بأبلغ رد، ثم سأله عن أشياء تتعلق بالعلوم الشرعية والأدبية فعجز عن الجواب عن أقلها، فضلا عن أجلها..

ثم يسوق ابن دحلان صورة من تلك الصور التي كانت من مواقف ابن عفالق مع الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فيقول:

«فمن جملة ما سأله عنه، قوله: «أسألك عن قوله تعالى: «والعاديات ضبحا، فالموريات قدحا.. الى آخر السورة، التي هي من قصار المفصل: «كم فيها من حقيقة شرعية، وحقيقة لغوية، وحقيقة عرفية؟

«وكم فيها من مجاز مرسل، ومجاز مركب، واستعارة حقيقية، واستعارة وفاقية، واستعارة تبعية، واستعارة مطلقة، واستعارة مجردة، واستعارة مرشحة؟ وأين الوضع، والترشيح، والتجريد، والاستعارة بالكناية، والاستعارة التخيلية؟ «وكم فيها من التشبيه الملفوف، والمفروق، والمفرد، والمركب؟

«وما فيها من المجلمل والمفصل ؟

«وما فيها من الايجاز والاطناب، والمساواة ؟

«وما فيها من الإسناد الحقيقي، والإسناد المجازي المسمى بالمجاز الحكمي والعقلي..

الخ.. الخ - فلم يقدر محمد بن عبد الوهاب على الجواب عن شيء مما سأله عنه» !!



هذه هي الأسئلة وما على شاكلتها التي وجهها ابن عفالق الى الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليحاجه بها دين الله، وفي دعوة التوحيد التي يدعو اليها وذلك مما يرويه ابن دحلان في رسالته:

ونسأل : أفي هذه الأسئلة سؤال واحد يفرق بين الشرك الذي يحاربه الشيخ محمد بن عبد الوهاب ويحذر الناس منه وبين التوحيد الذي يدعوهم اليه ويلبسهم لباس الايمان به؟

ولماذا يعدل ابن عفالق عن الطريق الواضح في تلك المعركة القائمة بين الشرك والتوحيد، ليرد على الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوته من كتاب الله وسنة رسوله ويدخل في سوق السفسطة البعيدة عن ميدان المعركة؟

أليس ذلك دليلا على أنه لا يجد بين يديه السلاح الذي يواجه به دعوة التوحيد فدخل في هذه المعركة التي أسلحتها هذه الألغاز، وتلك المعميات من واردات الجدل العقيم الذي لا يفيد في دنيا أو دين؟

ونسأل : هل كانت هذه الدراسات الرياضية والفلسفة الكلامية مما يمكن العقل السليم من فهم كتاب الله، وسنة رسول الله، أم هي مصادد للعقول وشباك للمدارك وشغل بالقشور عن اللباب؟

وهل عرف أحد من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أو التابعين، ومن بعدهم من أئمة الفقه لدين الله - هل عرف أحد منهم شيئا من هذه السفسطات التي دخلت على العقل العربي، فأفسدت الذوق العربي للغة العربية؟

وهل كان إذا سئل أبو بكر أو عمر رضى الله عنهما عن شيء من هذا العبث أكان يعرف له جوابا؟ ثم أيتهم أبو بكر وعمر إذا عجزا عن الاجابة على تلك الأسئلة، أيتهمان بأنهما لا يعرفان دين الله، ولا يفهمان ما في كتاب الله، أو سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم

وابن عفالق هذا الذى يعجب بنفسه، ويعجب به ابن دحلان، ويتخذهُ مصدراً من مصادر علمه الذى يواجه به دعوة التوحيد - ابن عفالق هذا لم يسأل الشيخ محمد بن عبد الوهاب أى سؤال عما فى السورة الكريمة من مجانى الحق ومطالع الهدى، التى تحملها فى آياتها، وكلماتها مما يركى المؤمن، ويوثق صلته بربه، ويكشف له الطريق الى الأعمال الصالحة التى يؤدى بها حق الله وحق نفسه وحق المؤمنين..

فلو أن ابن عفالق سأل الشيخ ابن عبد الوهاب عن معنى آية أو آيات من هذه السورة الكريمة مثل قوله تعالى:

« إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ »

(العاديات ٦ : ٨)

لجاءه الجواب محملاً بعلم غزير وفهم دقيق لما تحمل كلمات الله من حق وخير لمن استمع إليها، وتدبر معانيها، واستقام على هديها، إن مثل هذه الأسئلة التى أوردها ابن عفالق وأمثالها هى مما أبعد المسلمين عن دينهم، حيث شغلوا بهذه السفسطة وذلك الجدل عما ينفعهم فى دينهم أو دنياهم تماماً، كما شغلوا بالأحجية والأوردة بالكلمات الأعجمية عن تلاوة كتاب الله وتدبر آياته، والعمل بأحكامه فأصابهم ما أصابهم من مرض فى القلوب وجذب فى العقول حتى أصبحوا مرعى لآفات الشرك التى أجب عليهم بها علماء السوء التى جاء الشيخ ابن عبد الوهاب بدعوته التى تحمل الدواء لهم من تلك الأدواء المهلكة، ومن قبل قام المعتزلة بهذا الجدل العقيم حول ذات الله وصفاته وحول الإرادة والقهر والتخيير والتسيير وما الى ذلك مما ولده الجدل والسفسطة، وكان من هذا البلاء أن تفرقت الأمة شيعا ومذاهب يقاتل بعضها بعضا ويكفر بعضها بعضا حتى لقد صدق فيهم قول الشاعر:

كنا أناسا على دين ففرقنا

مضغ الكلام ، وخلط الجد باللعب

فلا عجب أن يعود الدين غريبا كما بدأ ، مصداقا لقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «بدأ الدين غريبا، وسيعود غريبا كما بدأ، فطوبى للغرباء» قالوا: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: الذين يصلحون إذا فسد الناس»

لا عجب أن يعود الإسلام غريبا، ونحن نرى أمثال هؤلاء العلماء الجهلاء الأدعياء يقومون على رؤوس الناس بهذا اللغو من الكلام، وتلك السفسطة من القول، ثم يلبسون ذلك ثوب الدين، ويطعمون العامة منه:

« ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّمِينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ »  
(آل عمران: ٧٥)

إن هؤلاء العلماء يدخلون على العامة باسم الدين من باب الدجل والشعوذة، قائلين لهم عن هذه الشعوذات: إن هذا من علم الباطن، الذى لا يعرفه إلا أولياء الله من شيوخ المتصوفة، ومن يجرى مجراهم فى خداع الناس بتلك الشعوذات التى يخيل للعامة منها انها تحمل أسراراً ربانية، وعلوماً علوية من ردها على لسانه كذا ألف مرة فى اليوم، فتح الله عليه، وأشرقت عليه أنوار الحق، وكشف عنه الحجاب.. وانهم ليقولون إفكا من القول وزورا، فما يجد هؤلاء المخدوعون بهذا البهتان إلا الحسرة والندامة، وسوء المنقلب، وخسران الدنيا والآخرة جميعا:

« وَمَنْ يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا »  
(النساء: ١١٩ - ١٢٠)

ولكن الله تعالى بالغ أمره، ومحقق وعده، وناصر جنده، ومهيب، لهذه الأمة من أمرها رشداً، حيث لا يغيب من أفقها أبداً دعاة يدعون الى الله ويكشفون ما يدخل على المسلمين من آفات وعلل حتى تعود اليها الصحة والعافية، وإذا هى على هذا الوصف الكريم الذى أضفاه الله الرحمن الرحيم رب العالمين عليها فى قوله تعالى:

« كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ  
وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ »

(آل عمران ١١٠)

وها هي دعوة التوحيد ، التي يطلع بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد تداعت  
أفات الشرك على المسلمين ، حتى كادت تذهب بدينهم ، وإذا هذه الدعوة المباركة تعيد  
المسلمين الى الإسلام الخفيف ، وإذا أنواره العلوية الساطعة تأتي على الشرك وأهله ، وإذا  
الإيمان الحق يعمر القلوب ، ويشرح الصدور ، وإذا المسلمون على طريق مستقيم لقيادة  
ركب الإنسانية الى الإيمان والخير والفلاح :

« الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا  
بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ » صدق الله العظيم .

(الحج ٤١)

### ثالثا : رسالة السيامى

وهذه الرسالة واحدة من تلك الرسائل التى اتخذها أصحابها سلاحا يحاربون به دعوة الحق ويقفون بها فى وجه دين الله أن يدخل العقول المظلمة، فيشرق فيها بأنواره، ويخالط القلوب المريضة، فيذهب بأسقامها.. وهؤلاء هم من الذين قال الله تعالى فيهم:

« إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٥٠﴾ يَوْمَ يَبْعَثُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ »

(المجادلة: ٥ - ٦)

وقال فيهم سبحانه :

« إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ - أُولَئِكَ فِي الْأَذْلَى ﴿٢٠﴾ كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ »

(المجادلة ٢٠ - ٢١)

ومؤلف هذه الرسالة من أهل سيام، ومن مدعى العلم فى هذا الوطن الإسلامى..

وقد جعل عنوان رسالته هكذا :

«رسالة السنين فى الرد على المبتدعين الوهابيين أو المتوهبين.. والمسماة بنور اليقين فى مبحث التلقين»...

هذا هو عنوان الرسالة، الذى يشبه اعلانا من اعلانات الصحف لسلعة رديئة يريد لها صاحبها الرواج فينشر عنها اعلانا مطولا، يتحدث فيه عن مزاياها، ويكشف عن منافعتها، والبضاعة الجيدة لا تحتاج ابدا الى اعلان، ولو أعلن عنها لكان ذلك بمجرد كلمة أو كلمتين.

أما مؤلف هذه الرسالة، فقد نشر تحت العنوان الطويل عنوانا آخر هو إعلان عن نفسه مثل الإعلان عن البضاعة الرديئة البائرة.. وهو «لحضرة العلامة الورع التقى، والمحقق الذكى الألعى، صاحب الفضيلة الشيخ مصطفى الكرىمى، ابن الشيخ مصطفى السيامى»

ثم بعد هذا الاعلان عن عنوان الرسالة وعن مؤلفها يجىء إعلان ثالث عن محتوى الرسالة ومضمونها، وهذا الإعلان هو: «وفيهما جواز التوسل بجاه النبى صلى الله عليه وسلم، والقيام عند ذكر مولده الشريف للإجلال والتعظيم، وأن ذلك من الدين...»

ثم بعد هذا تنويه آخر بعلوم صاحب الرسالة، وهو: «نفع الله بعلومه المسلمين، آمين»

كل هذا اللغو كان عنوانا لهذه الرسالة.. وهو يشغل صفحة كاملة فى حين أن المعتاد فى عناوين الكتب والرسائل لا يجاوز بضع كلمات عن اسم الكتاب، أو الرسالة، ثم اسم المؤلف.

أما الشيخ السيامى فقد جعل عنوان رسالته قصيدة من الشعر العقيم فى الكشف عن رسالته، والتقريظ لمؤلفها..

وأول ما يطالعنا من عنوان الرسالة، هو اسم هذه الرسالة، وهو أنها رسالة السنين فى الرد على المبتدعين الوهابيين أو المتوهبين، فهذا المقطع من اسم الرسالة، يحمل ادعاء

عريضا باطلا من صاحب الرسالة حيث جعل نفسه لسانا ناطقا عن أهل السنة جميعا، وهو بهذا الادعاء كاذب مفتر، إذ من من السنين أعطاه توكيلا ليتكلم باسمه، ويعبر عن رأيه؟ وهل إذا أخذ هذا الدعى بما نطق به من زور، وبهتان، وحمق، وجهل - أ يكون هذا الجرم الذى وقع فيه محمولا على أهل السنة جميعا؟ وهل يحمل هو أو يحتمل وحده تبعة هذا الجرم؟

ثم ان هذا السيامى، يضى على رسالته هذا الوصف فيقول: «والمسأة بنور اليقين» ونقول لا بأس أن يلبس رسالته ما شاء من مسميات، فإن الأسماء والأوصاف لا تشتري.

أما ما أضفاه المؤلف على نفسه من ألقاب وأوصاف، فهو مما يدخله مدخل الحساب الشديد من الله، إذ أتى أمرا منهيا عنه، وهو تزكية نفسه بالعلامة، الورع، التقى، والمحقق الذكى الألعى، صاحب الفضيلة».

والله تعالى يقول:

«هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوْا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى»  
(النجم : ٣٢)

ويقول سبحانه منكرا على هؤلاء الذين يتألون على الله، ويقولون عن أنفسهم: إنهم أهل القرب من الله وأصحاب الدرجات العليا عنده، وإنهم أهل العلم والكشف، والولاية - يقول سبحانه فيهم:

«أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْكُوْنَ أَنْفُسَهُمْ بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَلَا يَظْلُمُونَ فَيْلًا»  
﴿٤٩﴾ أَنْظَرَ كَيْفَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَكَفَى بِهِ إِثْمًا مُّبِينًا»

(النساء ٤٩ - ٥٠)

ولا يكتفى الشيخ السيامي بهذا الاعلان عن نفسه بخط يده، واصفا نفسه بتلك الأوصاف وبأنه صاحب الحضرة، والعلامة الورع التقى، .. الخ هذه المدعيات. لا يكتفى الشيخ بهذا، بل انه ليطوف على أهله في وطنه سيام، فيستجدي منهم التقريظ له والتنويه برسالته، وما أودعه فيها من ذخائر العلم.. ثم يجمع حصيلة هذا كله، بما أراق من دمه في الاستجداء، والإلحاف في الاستجداء - يجمع هذا في أوراق، ثم يلحقها بالرسالة، كشهادة له من العلماء الذين يؤخذ عنهم، ويستمع اليهم وما هم في حقيقة أمرهم إلا على شاكلة هذا الشيخ في الغباء والتلف على الشهرة، بوضع شهادتهم وأسمائهم في رسالة مطبوعة منشورة إذا وقعت ليد أحدهم، طار بها في فرح وجون، ينادى في الناس: هاؤم اقرءوا كتابيه.. لقد أصبحت علما يشار اليه في الكتب والرسائل.

وهذا الذي أضافه الشيخ السيامي من تزكيات وتقاريط، هو أكبر حجما من الرسالة ذاتها، وبعضها مترجم الى العربية، وبعضها باللغة السيامية.

ولعل هذه التزكيات، وتلك التقاريط هي الدافع الأول للشيخ السيامي على نشر رسالته تلك، حامله هذه الشهادات التي استشهد الناس عليها وألح عليهم بها. وذلك ليدلل بها على فضله، وعلمه وكثرة المتعلقين به، أما الرسالة ذاتها، في بضاعة خسيصة باثرة ليس فيها ما يستحق النظر اليه، إلا إذا كان ذلك على طريق اللهو والاستخفاف، أو التحذير من تلك البضاعة أن يخدع أحد بها.

### محتوى الرسالة :

ومحتوى رسالة الشيخ السيامي - إن صح أن لها محتوى - يتضمن اعتراضين يعترض بها على دعوة الموحدين وهما: تلقين الميت، ثم التوسل.

### تلقين الميت :

أما تلقين الميت، الذي هو بدعة عند الموحدين فلم يكن في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا في زمن الصحابة والتابعين، وإنما هو وافد شرك وضلال من الوثنيين



وعبادتهم الموتى، وحمل الطعام معهم الى القبور التي تبني عليهم، كما كان يفعل قدماء المصريين بموتاهم، وحمل أدواتهم وأمتعتهم معهم حيث يقبرون.. ولازالت بعض آثار هذا عالقة بأذهان كثير من العوام في مصر، أما هذا التلقين للميت الذى هو بدعة في دين الله، فقد جعله المبتدعون سنة وشريعة في دين الله !!

والذين ينكرون على الموحدين تبديع التلقين للميت، يستندون الى أحاديث موضوعة أو ضعيفة، ثم يترخصون فى الأخذ بها، لأنها من فضائل الأعمال، التى تجبىز العمل بالأحاديث الضعيفة، بل وتجبىز وضع مثل هذه الأحاديث، لأنها فى فهمهم المريض تغرى الناس بالأعمال الصالحة، ولهذا اتسع هذا الباب الذى دخل فيه الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم، بدعوى أن الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس كذبا، إذا كان ذلك مما يحمل المسلم على فعل الخير، وهؤلاء الذين يبيحون هذا الكذب على رسوله حجة شيطانية يحتجون بها، إذ يقولون: «نحن لا نكذب على رسول الله، وإنما نكذب له»

فيا سبحان الله !! أيكون الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم - على أى صورة - مباحا ومشروعا ؟

فأى ضلال هذا ؟ وأى جهل بدين الله، وأى تنقص لرسول الله؟

أيجتاج دين الله الى من يكمله بالكذب والافتراء ؟ وهل يدخل الكذب فى عمل ثم يخرج هذا العمل سليما صالحا؟

ان الكذب هو الكذب فى شؤمه وما يجره على صاحبه من بلاء.. وقد لعن الله الكاذبين فى كتابه، فقال سبحانه:

« فَنَ حَآجَكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا  
وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ  
اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ »

(آل عمران: ٦١)

ويقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إياكم والكذب، فإن الكذب يهدي الى  
الفجور، وإن الفجور يهدي الى النار، وما يزال الرجل يكذب ويكذب حتى يكتب عند  
الله كذابا».. وفي البخارى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: «لا تكذبوا على،  
فمن كذب على يبلغ النار»

والكذب لرسول الله أشنع من الكذب عليه، لأن من يكذب على رسول الله يعلم  
أنه يأتى منكرا، أما الذى يكذب لرسول الله فهو عند نفسه أنه يتقرب الى الله، والى  
رسوله بالكذب، فيقدم على هذا الكذب متعبدا لله به، فما أشنعها عبادة، وما أشقى  
العابد بها أن تكون من واردات الكذب، وهل يجيد الشيطان باب ضلال يفتحه لأولياته  
أضل وأشنع من هذا الباب؟

ونعود الى ما يحتج به الشيخ السيامى لتلقي الميت.. يقول الشيخ السيامى:  
«اعلموا أيها الأحباب، وفقمكم الله لطاعته، أن تلقين الميت البالغ بعد تمام الدفن  
مستحب، باتفاق علماء هذه الأمة على سنته.. وبقوله تعالى:

«وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ»

(الذاريات ٥٥)

وأحوج ما يكون العبد فى التذكير فى هذه الحالة، ولحديث رواه الطبرانى فى الكبير

مرفوعا، (في كتاب الدعاء) وابن منده (في كتاب الروح) عن ابي امامة، بلفظ: «إذا مات أحد من إخوانكم، فسويتم التراب على قبره، فليقم أحدكم على رأس قبره ثم ليقل: يا فلان ابن فلانه، فإنه - أي الميت - يستوى قاعدا ثم يقول - أي الملقن - : يا فلان ابن فلانه فإنه يقول - أي الميت: أرشدنا يرحمك الله، ولكن لا تشعرورن فليقل - أي الملقن - : اذكر ما خرجت عليه من الدنيا شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وأنك رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبيا وبالقرآن إماما» - فإن منكر ونكيرا يأخذ كل منهما بيد صاحبه ويقول: انطلق بنا ما يقعدنا عند من لقن حجته»

هذا ما يسوقه الشيخ السيامي على جواز تلقين الميت، وأنه مستحب باتفاق علماء هذه الأمة على سنته.. وإذا تجاوزنا عن الأخطاء اللغوية، وأداب الدعاء في هذه الكلمات القليلة التي سطرها الشيخ السيامي، مثل قوله: «أحوج ما يكون العبد في التذكير، في هذه الحالة» والصحيح ان يقال: «وأحوج ما يكون العبد الى التذكير لأنه لا يقال في لغة العرب، يحتاج في كذا، وإنما يقال: يحتاج المرء الى كذا.

وكذلك دعاؤه بقوله : اعلموا أيها الأحباب وفقكم الله لطاعته».. ولا يدعوا لنفسه بالتوفيق - وكأنه يرى من نفسه أنه موفق، ولا يحتاج الى توفيق الله تعالى له.. وكيف يحتاج هو الى هذا؟ أيسوى بينه وبين عامة الناس وهو الورع التقى، والمحقق الذكي الأملعى، صاحب الفضيلة؟ انه عند نفسه في غنى عن توفيق الله.

وندع هذا الى موضوع التلقين للميت، وما يستدل به على جوازه ..

فأولا : أنه يستشهد بالآية الكريمة:

« وَذَكَرْ فَإِنَّ الدِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ »

(الذاريات ٥٥)

على أنها واردة في تلقين الميت وتذكيره بالحجة التي يقدمها بين يدي منكر ونكير، عند سؤاها إياه في القبر، عن ربه، وعن دينه، وعن رسوله..

والآية الكريمة لا شأن لها من بعيد أو قريب بتلقي الميث وتذكيره، وإنما هي تذكير من رسول الله صلى الله عليه وسلم للناس، بما يتلو عليهم من آيات الله، وما تحمل هذه الآيات من هدى ونور، لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد، وقد سمي الله تعالى القرآن الكريم ذكرا، فقال سبحانه:

« إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَطْلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ »

(فصلت: ٤١ - ٤٢)

وقال جل شأنه :

« صَّ وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ﴿٤٢﴾ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ »

(ص: ١ - ٢)

وقال تعالى على لسان المشركين:

« وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ »

(الحجر: ٦)

وقد أمر الله تعالى نبيه الكريم أن يذكر بهذا القرآن الأحياء لا الأموات فقال تعالى :

« فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعَبِدِ »

(ق: ٤٥)

وقال سبحانه:

« فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ »

(الغاشية: ٢١ - ٢٢)

وذلك الى كثير من آيات الله لتذكير المؤمنين بالذكر الحكيم..

فهذا التذكير بالقرآن الكريم، وما يتلى على الناس من آياته، ينقل الكافر من الكفر الى الإيمان، والضال من الضلال الى الهدى، ثم يكون من وراء هذا الانتقال العمل بما يقضى به الإيمان وما يدعو اليه من هدى..

أما الميت فقد ختم على عمله بعد موته، من إيمان أو كفر، ومن احسان أو إساءة، فلا تنفعه الذكرى، إن لم يكن قد انتفع بها في حياته.

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فإن ما يدعيه الشيخ السيامي من إجماع علماء هذه الأمة على جواز تلقين الميت وأن هذا من السنة، فإن ذلك ينقضه ما ينقله الشيخ السيامي نفسه في ص ١٥ من رسالته، من كتاب «تحفة الحبيب على شرح الخطيب» للسيوطي، إذ يقول السيوطي :

«ولم يثبت في التلقين حديث صحيح، أو حسن، بل ضعيف، وهو الذي رواه الطبراني، وهو باتفاق المحدثين - أي على ضعف هذا الحديث<sup>(١٨)</sup>.

ثم يقول السيوطي معقبا على هذا : «ولهذا ذهب جمهور الأمة الى أن التلقين بدعة، وآخر من أفتى بأنه بدعة العز بن عبدالسلام.. وإنما استحسنته ابن الصلاح وتبعه النووي نظرا الى أن الحديث غير الصحيح يعمل به في فضائل الأعمال»..

---

(١٨) وهذا الحديث الذي اتفق أهل الحديث على ضعفه، هو الذي رواه الطبراني والذي ساقه الشيخ السيامي، مستشهدا به على جواز التلقين، وأنه من السنة!!

وقد بينا من قبل أن هذا مما يفتح باب الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم،

ويوقع المسلمين في أمر مريج من دينهم فيكثر الكذب على رسول الله، حيث يباح لكل من يرى أى عمل يظنه صالحاً، أن يتقول على رسول الله به، ويدخله في دين الله، وقد يكون من أشنع البدع.. وهذا مما عمل على انتشار البدع وذيوها بين المسلمين، حيث تدخل عليهم البدعة باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ورسول الله منها، ومن قائلها يرى.

وفي الأحاديث الضعيفة التى أخذت مكانها من سنة رسول الله، باعتبار أنها من فضائل الأعمال، ولهذا يجوز أن تضاف الى رسول الله صلى الله عليه وسلم - فى هذه الأحاديث الضعيفة التى تفيض بها بعض كتب التفسير فتنة للمسلمين ، وتغريير بهم مثل: من قرأ آية كذا أو سورة كذا مرة أو مرات استغفر له سبعون ألف ملك، وغفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

إن مثل هذه الأحاديث تغرى كثيراً من المسلمين على اقتحام الحرمات، وإتيان المنكرات، والتفريط فى العبادات، وبحسب المسلم بعد هذا أن يقرأ آية أو آيات مخصوصة من كتاب الله، واذ هو من أقرب المقربين الى الله؟  
فهل هناك فتنة أعظم من هذه الفتنة؟ وهل هناك بلاء أشد من هذا البلاء؟

لقد عزل هذا الكيد لدين الله كثيراً من المسلمين، وبخاصة فى عالم المتصوفة عن العمل للدنيا أو الآخرة، وبحسب الواحد منهم أن يقرأ آية أو وردا فيأتيه رزقه رغداً من كل مكان، ولا عليه بعد هذا أن يأكل أموال الناس بالباطل، وأن يأتي كل منكر، ويرتكب كل فاحشة، وهو متحصن بما يتمم به من كلمات!!

وهل أصيب المسلمون بما أصيبوا به من جهل وفقر وضعف إلا من مثل هذه البدع الضالة التى عششت فى رؤوسهم، فقادهم الشيطان الى هذا البلاء العظيم؟

إن هذا الحديث الضعيف الذى ساقه الشيخ السيامى نقلا عن الطبرانى، فى جواز تلقين الميت بعد دفنه، لا يقبل دينا أو عقلا وذلك:

أولا : ما جاء فى هذا الحديث الضعيف من أن منكرا ونكيرا اذا سمعا ما لقن به الميت تركاه من غير سؤال وأخذ كل منهما بيد صاحبه، وقالوا: «ما يقعدنا عند من لقن حجته» - فهذا يعارض معارضة صريحة ما جاء فى الحديث الصحيح: «إذا مات الميت انقطع عمله إلا من ثلاثة: صدقة جارية، أو ولد صالح يدعو له، أو علم ينتفع به» وهذه الأمور الثلاثة هى من عمل الميت قبل ان يموت، وقد بقيت آثارها بعده، كما يقول تعالى:

« إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ »<sup>ج</sup>

(يس: ١٢)

فهذه الأمور الثلاثة من الآثار الصالحة التى خلفها الميت وراءه، وهى مما يشير اليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: «من سن فى الإسلام سنة حسنة، فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة، لا ينقص من أجورهم شئ»، ومن سن فى الإسلام سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة، لا ينقص من أوزارهم شئ»...

فكيف يكون تلقين الميت من الأعمال التى ينتفع بها بعد موته؟ وكيف تقيم له حجة فى ترك مساءلته؟ ان ذلك إن يكن لتساوى المؤمن، والفاسق والصالح، والظالم، وهذا ما لا يكون فى عدل الله تعالى، أبدا.

ثم ان هذا التلقين للميت لو كان من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، لعمله ولتعلمه الصحابة منه، ولكان عملا متواترا، يلتزمه المسلمون فى تلقين موتاهم، ولما وقع فيه خلاف، بل ولما احتاج الى بيان من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم هذه التمثيلية التى يجربها الميت فى قبره، فيقوم، ثم يطلب الارشاد من ملقنيه، ثم انصراف الملكين عنه من غير سؤال، كل هذا غيب لا يطلع عليه أحد، ولا يمكن ان يكشف عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، بل كان يلقن الميت ثم يدعو المسلمين أن يفعلوا مثل ما فعل. واذن فتلقين الميت بدعة من البدع الحادثة فى الإسلام .

واذن فإنكار الموحدين، ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى القضاء عليها وطمس وجهها المنكر هو حماية للتوحيد، ودفاع عن دين الله، وقطع لألسنة المبتدعين الذين يعترضون على تلك الدعوة، وأخذ الطريق على أولئك المشعوذين الذين يأكلون أموال الناس بالباطل، من طريق تلقين الميت، الذى يتخذونه حرفة لهم، كما نرى ذلك من أولئك الذين يلقتون الموتى، وهم لا يعرفون شيئاً من دين الله، وكل محصلهم من العلم هو تلك الكلمات التى حفظوها من غير فهم، فإذا ورد عليهم ميت جاءوا اليه وأخذوا من أهل الميت ما يملأون به جيوبهم.

### ثانياً : التوسل

والموضوع الثانى، الذى حملته رسالة الشيخ السيامى، هو معارضة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فيما يدعو اليه من أن التوسل بغير الله بدعة.

وقد تحدثنا عن هذا فيما جاء فى رسالة ابن دحلان، عن جواز التوسل وأبطلنا كل مدعياته الباطلة، ونقوله الفاسدة.. وقد كان فى هذا ما يغنينا عن الرد على ما جاء فى رسالة الشيخ السيامى عن جواز التوسل بالأحياء والأموات، ولكن لا بأس من أن نقف وقفة قصيرة هنا، نفصح بها مقولة السيامى فى جواز التوسل بالأحياء والأموات والقيام عند ذكر ولادة النبى صلى الله عليه وسلم - ففى هذا بلاغ لقوم يؤمنون..

يقول الشيخ السيامى فى ص ٢٠ من رسالته :

«اعلموا أيها الأحباب، وفقكم الله تعالى<sup>(١٩)</sup>، أن أغلب هذه الطائفة - يقصد طائفة الموحدين - المنكرين للتلقين ينكرون على المقلدين للأئمة الأربعة، التوسل بالأنبياء والأولياء والصالحين، وزيارة القبور والقيام عند ذكر ولادة النبى صلى الله عليه وسلم بمجرد الشبه الباطلة، والدعاوى العاطلة، وقالوا: ان القيام - أى عند ذكر ميلاد النبى

---

(١٩) ولقد أخذ الله تعالى على لسانه أن يدعو لنفسه بالتوفيق فكان منه هذا الضلال الذى غرق فيه.



صلى الله عليه وسلم - لا ينبغي للفضلاء والجهلاء، لأنه بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار..»

ثم يمضى الشيخ السيامى، فيقول عن التوسل :

«اعلموا أيها الأحباب ان التوسل الذى هو الاستشفاع بالأنبياء والأولياء والشهداء والصالحين وبأفعال الخيرات - عند الحاجة، دنيا وأخرى، كتحصيل المطالب، وعند الشدائد، كدفع البلاء - جائز بل ومستحب ومطلوب.. فينبغى لكل أحد عند ذلك أن يستشفع بما فعله من خير، بأن يذكره في نفسه، فيجعله شافعا لأن ذلك جائز في الشدائد، كما في حديث الثلاثة الذين أوا الى الغار.. وأن يستشفع بأهل الصلاح، أجياء كانوا أو أمواتا..»

ثم يسوق الشيخ السيامى شاهدا على جواز الاستشفاع باستسقاء عمر بن الخطاب، رضى الله عنه بالعباس عم النبي صلى الله عليه وسلم، وقد أبطنا هذه الدعوى من قبل.

أما قول الشيخ السيامى، من أنه يجوز أن يستشفع المؤمن الى الله بالأعمال الصالحة التى عملها ابتغاء مرضاة الله تعالى، فهو جائز حيث يشفع للإنسان عمله الصالح عند الله فى الآخرة، فيجوز أن يستشفع بأعماله الصالحة فى الدنيا، لأنها من عمله وفيها تحريض للمؤمنين على الإكثار من الأعمال الصالحة، التى تنفعهم فى الدنيا والآخرة..

أما الاستشفاع والتوسل بالأنبياء ، والأولياء ، والشهداء ، وزيارة القبور ، والقيام عند ذكر ولادة النبي صلى الله عليه وسلم، وذلك مما ينكره على الموحدين، ويؤثمهم على إنكاره وتبديعه.. فهو مما يحتاج الى بيان وتفصيل.. فزيارة القبور مشروعة، لأنها تذكر بالمت، وقد أباحها النبي صلى الله عليه وسلم بعد أن منع منها فى أول الإسلام حيث كانت القبور مما يشبه الأصنام التى كان يعبدها المشركون، ومما تذكر المسلمين فى أول

الإسلام بهذا الضلال، فكان من الحكمة إبعاد المسلمين عنها حماية للتوحيد من أن يدخل عليه شيء من ضلالات الشرك.

فلما استقر التوحيد في قلوب المسلمين، وانزاحت معالم الشرك من نفوسهم، أباح النبي صلى الله عليه وسلم زيارة القبور، كما يقول صلى الله عليه وسلم: «كنت قد نهيتكم عن زيارة القبور، ألا فزوروها، فإنها تذكركم بالموت».

فاذا جاء الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ينهى عن زيارة القبور. وقد عاد المسلمون الى ما كان عليه أهل الجاهلية من التعبد للمقبورين، والتمسح بالأضرحة والاستشفاع بالراقدين تحت ترابها - كان لا بد أن يرجع بالمسلمين الى عهدهم الأول بالإسلام حتى لا تدخل عليهم ضلالات الشرك من تلك القبور التي كانوا يتعبدون لها.. فاذا تمكن الإيمان ورسخ التوحيد في قلوبهم، كانت زيارة القبور مشروعاً لأنها تذكركم بالموت ولا تطل منها في تلك الحال أشباح الأوثان التي كانوا يتعبدون لها، وتكون زيارة القبور هنا لكل موتى المسلمين لا للأولياء والصالحين وأصحاب القباب والأضرحة<sup>(٢٠)</sup>

أما التوسل والاستشفاع بغير الله، فهو من الشرك الصريح بالله.. يقول الإمام الشوكاني - رضى الله تعالى عنه - في التوسل بأصحاب القبور الشائع بين الناس، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى:

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »  
(المائدة: ٣٥)

يقول الإمام الشوكاني في تفسيره هذه الآية الكريمة:  
«قد أكثر الناس من دعاء غير الله تعالى من الأولياء والأحياء والأموات مثل يا سيدي

(٢٠) هذا هو رأى الباحث، والمعروف أن الشيخ انما نهى عن زيارة القبور الشركية.

فلان أغثنى.. وليس ذلك من التوسل المباح في شيء.. واللائق بحال المؤمن عدم التفوه بذلك، وألا يحوم حول حماه، وقد عده أناس من العلماء شركاً وإلا يكنه فهو قريب منه».

ثم يقول الإمام الشوكاني :

«ولا أرى أحداً ممن يقول ذلك - أى التوسل بالمقبورين وغيرهم - إلا وهو يعتقد أن المدعو المحي الغائب، أو الميت المتغيّب، يعلم الغيب، ويقدر بالذات، أو بالغير على جلب الخير، أو دفع الضرر، وإلا لما دعاه ، ولما فتح فاه، وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم..»

ثم يقول الإمام الشوكاني :

«ومن وقف على سر ما رواه الطبراني في معجمه الكبير، من أنه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم - منافق يؤذى المؤمنين، فقال الصديق أبو بكر رضى الله عنه: هيا بنا نستغيث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق، فجاءوا إليه صلى الله عليه وسلم، فقال: «انه لا يستغاث بي، إنما يستغاث بالله» من عرف سر ذلك لم يشك في أن الاستغاثة بأصحاب القبور - الذين هم بين سعيد شغله نعيمه وتقلبه في الجنان، عن الالتفات الى هذا العالم، وبين شقى أهله عذابه وجسه في النيران عن إجابة مناديه، والإصاخة إلى أهل ناديه- أمر يجب اجتنابه، ولا يليق بأرباب العقول ارتكابه..»

ثم يقول الإمام الشوكاني :

«ولا يفرنك أن المستغيث بمخلوق، قد تقضى حاجته، وتنجح طلبته، فإن ذلك ابتلاء وفتنة من الله عزوجل، وقد يتمثل الشيطان في صورة الذى استغاث به فيظن أن ذلك كرامة ممن استغاث به.. هيهات.. هيهات.. وإنما هو شيطان من أضله الله وأغواه وزين له هواه»

هذا ما يقرره الإمام الشوكاني في أمر الاستشفاع بغير الله، وفي أنه شرك وإن لم يكن شرك فهو قريب منه ونقول: انه شرك غليظ وضلال بعيد.

فاذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يستغاث به في حال حياته، كما يقول ذلك صلى الله عليه وسلم في حديثه الشريف، فكيف يستغاث به بعد موته؟ وإذا كان لا يستغاث به صلى الله عليه وسلم - حيا وميتا - فكيف يستغاث بغيره من المقبورين، الذين لا يعلم الا الله ما هم فيه من نعيم أو شقاء، وربما قد يكون أحدهم مات على شرك أو كفر أو نفاق؟

انها لكبيرة الكبائر، أن يصرف المسلم وجهه عن الله، ثم يعطى هذا الوجه في ذلة وخضوع لميت من أولئك المقبورين تحت الأضرحة أو القباب؟ أليس هذا شركا بالله، دونه شرك المشركين الجاهليين، الذين جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم برسالة ربه ليظهرهم من هذا الرجس، ويلبسهم ثوب التوحيد نقيا طاهرا؟

أما ما يذكره الشيخ السيامي من القيام عند ذكر مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو بدعة ابتدعتها المتصوفة، كما ابتدعوا الموالد التي يقيمونها كل عام لأصحاب الأضرحة، وانهم لكي يدخلوا هذه البدعة على المسلمين، قدموا لها بتلك البدعة التي تقام لمولد النبي صلى الله عليه وسلم، حيث ان هذا يلقي هوى في نفوس العوام، وأشباه العوام، اذ يعدون كل شيء يعمل من أجل الاحتفاء برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان من أشنع البدع، مما يرضى الله ورسوله عنهم..

فما عرف عن الصحابة والتابعين أنهم أقاموا الاحتفالات والزيينات ليوم مولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهم أشد الناس حبا للرسول الكريم، وأعرفهم لقدر رسول الله ومنزلته عند ربه.

بل ان صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يروا أن يبدأوا التاريخ الإسلامي بمولده صلى الله عليه وسلم، بل جعلوا الهجرة بدء لهذا التاريخ اتقاء للفتنة أو الفتن التي تتولد من رصد ميلاد الرسول الكريم مع مرور الزمن كما هو مشهود اليوم في حفلات المولد، وما يجري فيها من البدع وما يقع من مخزيات، أما القيام عند ذكر مولد

رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهو من بدع المتدعين، الذين لا يخشون الله ولا يعرفون مقام رسوله صلى الله عليه وسلم.. فهذا القيام الذي يدعو اليه هؤلاء المتدعون ليس فيه شيء من توقيير الرسول الكريم، وإنما توقييره صلى الله عليه وسلم بحبه الذي يملأ القلوب، وبتابع سنته والتزام ما جاء به من شرع الله تعالى، والصلاة عليه كلما ذكر اسمه الشريف.

ولهذا نهى الرسول صلى الله عليه وسلم صحابته أن يقوموا له إذا جاء اليهم في مجلسهم، وقد هم بعض أصحابه أن يقوموا له فأشار اليهم - صلوات الله عليه وسلامه - ألا يفعلوا، وقال: «إنما هذا تفعله الأعاجم بملوكها»..

وما ذلك من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا ليحفظ على المسلم وجوده الإنساني وكرامته، وألا يتخذ القيام له ذريعة إلى أن يقوم الناس لأهل الجاه والسلطان فيهم، فجزاك الله يا رسول الله عن الإسلام والمسلمين خيرا وصلى الله وسلم عليك وعلى آلك وأصحابك والتابعين.

ولو نظرنا إلى ما يفعله تلاميذ شيوخ المتصوفة ومريدوهم من تخاشع وذلة بين أيديهم، لرأينا الحكمة العالية من نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه أن يقوموا له..

فالتلميذ أو المرید يجب أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل؟  
إنه جماد لا يتحرك ولا يخشى، إنه دون الحيوان الذي يتحرك ويحس ويدافع عن نفسه، فأى ضياع للإنسان كهذا الضياع؟! وأى مسخ للآدمي مثل هذا المسخ؟!

وأى جنابة يجنيها شيوخ المتصوفة على تلاميذهم ومريديهم، وقد سلبوهم أقسى مقومات الإنسان في الحياة وهي العقل والإرادة؟! إنهم قتلة سفاحون يقتلون عمدا نفوسا حرم الله قتلها إلا بالحق!

وهذا ابن عطاء السكندري من أكبر شيوخ المتصوفة، يقول في كتابه «لطائف المنن»

«من لم يكن له استاذ - أى شيخ طريقة - يصله بسلسلة الأتباع، ويكشف له عن قلبه القناع، فهو فى هذا لقيط لا أب له، دعى لا نسب له»<sup>(٢١)</sup>.

وإذن فالمسلمون جميعاً أدعياء النسب الى الإسلام، ولن يصح لهم نسبة إليه إلا إذا دخلوا فى سلك التلاميذ والمريدين، وسمح شيخ المتصوفة لهم بالدخول فى التصوف.

وهذا صوفى جديد، ظهر فى هذه الأيام فى السودان، وهو محمد عثمان شيخ الطريقة البرهانية، وهى نسبة خاطئة الى الشيخ ابراهيم الدسوقى، المدفون ببلدة دسوق بمصر.

وقد استولى هذا الشيخ على عقول كثير من أبناء مصر والسودان وغيرهما من بلاد المسلمين، وله جمعيات من أتباعه فى كثير من بلاد أوربا يبشرون تحت راية الإسلام بدعوته الفاسدة، المحملة بأحمال ثقيلة من الجهل والشعوذة مما يصد الأوربيين عن دين الإسلام، ويشوه حقائقه فى أعينهم..

يقول هذا الرجل فيما يلزم التلميذ من آداب بين يدى شيخه:  
«ومنهل أى من هذه الآداب - أن تجلس مجلس جلوسك للصلاة عنده.

«وان تفنى فيه. !

«وألا تجلس على سجاده .. !

«وألا تتوضأ بإبريقه .. !!

«وألا تتكى على عكازه .. !!

«واسمع بعض ما قال بعض الأصفياء<sup>(٢٢)</sup> :

«من قال لشيخه : لم؟ لا يفلح ..

«وليكن محضره فى قلبك وخيالك ..

«فإن غفلت عنه وقتنا فهذا من مقتك ..

«واجتهد فى أن تنال مقام الفناء فيه، ومن ثم ترقى الى مقام الفناء فيه..»<sup>(٢٣)</sup>

(٢١) لطائف المنن ، لابن عطاء الله ، جزء ٢ ص ١٠٣

(٢٢) انه يريد بهذا نفسه .

(٢٣) من كتاب : الهبات المقتبسة لمحمد عثمان: ص ٢٢ المطبوع سنة ١٩٣٩ .

فأى قتل لنفس الإنسان أشنع من هذا القتل؟!  
وأى كفر بالله أعظم من هذا الكفر؟!

فالتلميذ أو المرید بخس، لا يجلس فوق سجادة شيخه، ولا يتوضأ بإبريقه، ولا يتوكأ على عصاه، ولا يقول لشيخه لم؟ ولو ألقاه في النار.. ثم إذا جلس الى شيخه جلس مجلس الصلاة، وجعله قبلة له..

وعلى التلميذ أو المرید أن يخلى الله تعالى وذكر الله من قلبه حتى يشغله بذكر شيخه أو شيطانه.. فإن غفل عن هذا حق عليه المقت..

وهذا الشعراني يقول في كتابه «قواعد الصوفية» ص: ١٣١٣

«من أشرك بشيخه شيخاً آخر، وقع في الشرك بالله»

فالشـيخ إله معبود، من عبده ثم عبد شيخاً غيره فهو مشرك بالله، لأن من أشرك بالشيخ أشرك بالله، فلا فرق بين الله وبين الشيخ.. كلاهما معبود وله عابدون.

ويقول ابن عطاء الله السكندري في كتابه لطائف المنن .. جزء ٢ ص ١٠٣:  
«من أخذ الطريق على غير شيخه، كان على غير دين»

واذن فالمسلمون الذين يأخذون دينهم عن كتاب الله وعن سنة رسول الله هم على غير دين، فأى فساد يستشري بين المسلمين مثل هذا الفساد؟ وأى أدواء قاتلة تنتشر بينهم أشد فتكاً بهم وبعقيدتهم من هذه الأدواء؟

وهل شرع الجهاد في سبيل الله إلا لحرب هذا البلاء الذي يسوقه أهل الكفر والشرك والضلال الى مواقع الإسلام لإفساد العقيدة وطمس معالم الدين، وفيهم يقول الله تعالى:

« وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً ۗ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ

يَهَابُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ  
وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وِلِيًّا وَلَا نَصِيرًا «

(النساء: ٨٩)

واذن فقد كانت دعوة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رضى الله عنه - هي راية  
الجهاد في سبيل الله للذود عن دين الله وقد أجنب عليهم أهل الضلال - من داخل دار  
الإسلام وخارجها - بهذه الأباطيل، ليغيروا بها دين الله، ويطمسوا معالم شريعته.

ولقد أراد الله بالإسلام والمسلمين خيرا، إذ هيا لهذا الموقف رجلا فاقها لدين الله  
مجاهدا في سبيل الله باذلا نفسه مضحيا بولده وأهله من أجل إعلاء كلمة الله ونشر راية  
التوحيد..

وقد أمد الله تعالى هذا الرجل المجاهد في سبيل الله بأمداد نصره من جنود الحق في  
الأرض، إذ جعل آل سعود يقومون بالجهاد تحت راية التوحيد ويضحون بكل شئ في  
سبيلها..

ولقد كتب الله النصر للمجاهدين وأمدهم بروح من عنده، فانهزمت أمام قوى الحق  
كل قوى البغى والضلال، وانقضت السحب التي كانت تقف في وجه أنوار الحق، وإذا  
الشمس تسطع في سماء صافية، وإذا وجه الإسلام يشرق من جديد في كل أفق من  
أفاق الأمة الإسلامية، وإذا دولة الشرك تنحسر شيئا فشيئا حتى انكسرت شوكتها،  
واندحر جندها.

« يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ  
الْكَافِرُونَ »

صدق الله العظيم.

(التوبة: ٣٢)



## خاتمة

### من ثمرات الدعوة المباركة

- ١ -

من فضل الله تعالى على عباده المؤمنين المحسنين ، المجاهدين في سبيله أنه سبحانه يبارك عليهم في أعمالهم وأقوالهم.. فتكون أعمالهم منارات هدى يهتدى بها الناس الى مواقع الخير، وغايات الأمن والسلام، حيث يرون فيها تلك الثمرات الطيبة التي يتوارد عليها الناس وينالون ما تصل إليه أيديهم من قطفها، فيأخذون طريقهم مع المتأسين بأصحاب هذه الأعمال، وينهجون نهجهم فيما عملوا..

كذلك تكون أقوال هؤلاء المؤمنين المحسنين المجاهدين في سبيل الله دعوة راشدة الى عمل الخير، ووحيا ملهما الى مراعى السلامة والنجاح، كما يقول تعالى:

« يَثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ »<sup>ط</sup>

(ابراهيم: ٢٧)..

وهكذا كانت كلمات الأنبياء والمرسلين، والهداة والمصلحين من عباد الله، الذين يسرون على أقدام الرسل والأنبياء، وكذلك كانت أعمالهم ميراتا خالدا في الناس.. يستمدون من شجرتها الزيتونة المباركة الزيت الذي تستضي منه مصابيح بصائرهم الى طريق الحق، والخير والسلام.. وإلا كان العمى وكان التيه والضلال.

(النور: ٤٠)

« وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ »

وهذا النور الذي تستضيء به البصائر، وتتعرف به مواقع الحق والخير، إنما ينبعث من خلال النار والدخان، فلا يخلص منها إلا بعد صراع ومجاهدة، وأنه بقدر هذا الصراع وتلك المجاهدة يكون صفاء هذا النور وتكون قوته.. وهذا ما يشير إليه قوله تعالى:

« أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ »

(النور: ٤٣)

فذلك مثل ضربه الله تعالى للصراع بين الحق والباطل، والخير والشر، والنور والظلام.. ومن خلال هذا الصراع تتبين مواقع أهل الحق، ومواطن أهل الباطل، ومن يسكون بالخير، ومن يتمسكون بالشر، ومن هم في عالم النور، ومن هم في مسيح الظلام والضلال..

- ٢ -

ودعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من تلك الدعوات الطيبة المباركة، الداعية الى الله تعالى، والهادية الى صراطه المستقيم، والضاربة في وجه البدع والضلالات التي تداعت على الدين الحنيف من داخل أوطان الإسلام وخارجها.. فكان بهذا واحدا من أولئك الركب المجاهد الكريم المنافع عن دين الله، كلما تعشته غواشي الضلال وحاولت حجب أنواره العلوية القدسية عن المؤمنين بالله حتى تنقطع بينهم وبينه الأسباب، وأنه منذ قيام هذا الداعية الى التوحيد، والى حماية حى الإسلام الطهور من زحوف الشرك

- ٢٣٣ -

التي أجنب بها عليه علماء السوء من المشعوذين والمتجرين بالدين - منذ قام هذا الداعية بدعوته المباركة تلك وهي تدور في فلك الأمة الإسلامية، نارا تحرق جراثيم الشرك، وتطارد فلول المشعوذين وعباد القبور ونورا هاديا الى دين الله والى وحدانية الله، لا شريك له.. حتى لقد كادت الأمة الإسلامية أن تتخلص من داء الشرك الذي خامرها زمنا طويلا، نسيت - أو كادت تنسى - فيه دينها الحق الذي جاءها به رسول الله بكتاب الله الكريم، وسنته المطهرة.. ولكن الله تعالى رحيم بهذه الأمة فلا يدعها أبدا في مواجهة الضلال، حتى يهيب لها من أمرها رشدا، حيث يقوم فيها دعاة الهدى، ويرفعون راية الجهاد على هذا الضلال وأهله، وإذا المؤمنون مجتمعون الى تلك الراية، مجاهدون في سبيل الله، وإذا نصر الله بين أيديهم، وإذا أضواء الإسلام تغمر الآفاق:

«أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (المجادلة: ٢٢)

«وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ»

(المائدة: ٥٦)

### - ٣ -

لقد وقف صاحب الدعوة وأنصاره وأتباعه أكثر من قرن من الزمان وقفة لا يمكن أن توصف بأقل من مواقف الشهداء من أتباع الرسل الذين جاهدوا معه، واسترخصوا النفوس في سبيل دين الله، وإعزاز كلمة الله.

ويكفى لبيان هذا أن نعرض موقفا واحدا من هذه المواقف الاستشهادية في مواقف الحق لصاحب الدعوة وأنصاره، ليرى الناس كيف يكون الإيمان، وكيف يكون بلاء المؤمنين، وصبرهم، وكيف يكون احتابهم وتضحياتهم.

لقد جمع ابراهيم باشا بن محمد على والى مصر يومئذ، وقائد الحملة ضد الوهابيين في الحجاز - جمع كل ما استطاع جمعه من سلاح، وعتاد، ورجال، ورمى بكل هذا أهل الدرعية عاصمة الدعوة إذ ذاك - وذلك بعد أن استولى على البلاد التي كانت تحت

أيديهم بلدا بلدا، بعد أن نازعوه الأرض شيئا شيئا تاركين على كل شبر أثرا من دم شهدائهم الأبرار.

وكانت الدرعية قد ضمت من مقاتليها أمراء آل سعود، وأبناء الشيخ محمد بن عبد الوهاب ومن انضوى اليهم من الموحدين.. وليس معهم هذه القوة المسلطة عليهم إلا قلوبهم المؤمنة، والا عدد قليل من الرجال وعدد أقل من السلاح والعتاد..

ولكن هؤلاء الموحدين أبوا ان ينزلوا على حكم هذا العدو المدل بكثرة رجاله وقوة سلاحه.. فدخلوا الحرب معه، وواجهوا تلك الجيوش الكثيفة في جراحة نادرة واستبسال عجيب، يذكر بأيام المسلمين الأولين في بدر وأحد، وفي المدائن واليرموك وغيرها من معارك الإسلام - حتى لقد تهاوت عليهم الدور، وتساقت الحصون، واستشهد من حولهم أبناؤهم وأباؤهم واخوانهم..

وقد ظلت هذه المحنة أياما، مات فيها من الأطفال والنساء جوعا وعطشا، ونفذ السلاح القليل الذي كان بأيدي المجاهدين، وكادت تفتضح الحرائر في خدورها ثم كانت المصالحة.. التي تم فيها تسليم البلد للمعتدين، بعد أن أصبحت أنقاضا غارقة في دماء الشهداء من آل سعود، وآل الشيخ محمد بن عبد الوهاب..

وقد قتل من أهل الدرعية في هذه الحرب نحو ألف وثلاثمائة شهيد.. منهم واحد وعشرون شهيدا من أمراء آل سعود.. منهم فيصل بن سعود وأخوه.. إبراهيم وتركي<sup>(٢٤)</sup>.. وهذا مما يقدمه المؤمنون الصادقون، دفاعا عن دين الله، وزيادا عن حرمانه:

« وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ  
بَالِهِمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمْ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا هُمْ »

(محمد: ٤: ٦)

(٢٤) انظر كتاب : عنوان المجد في تاريخ نجد الجزء الأول ص ٢٠٣ وما بعدها.

ان الظلام الذى قد خيم على ربوع الأوطان الإسلامية، منذ أن استولى على أمورها الأعاجم من الديلم، والسلاجقة، والمغول، والأترک، ان هذا الظلام قد ألقى سترًا كثيفة بين المسلمين وبين موارد دينهم الحنيف، حيث دخلت على هذا الدين كثير من العقائد الفاسدة والمذاهب الضالة، والعادات الموروثة من عبادات غير الله تعالى، من شمس، وقمر، ونار، وأنهار، وحيوان.. الى غير ذلك مما كانت تدين به تلك الشعوب قبل دخولها في الإسلام، ولم تنزل أشباح تلك المعبودات تتحرك في أدمغة كثير ممن تركوا عباداتها، فجمعوا بين ذلك وبين دين الله، وكان من ذلك هذا البلاء العظيم الذى أبعد المسلمين عن الإسلام، وحرّمهم بجاني ثمراته المباركة الطيبة.

ولكن مع هذا الظلام المطبق لم يحرم العالم الإسلامى من شعاعات من النور، كانت تتسلل بخيوطها هنا وهناك وسط هذا الظلام الكثيف، تذكر الناس بدين الله وتدفي صدورهم بالأمل في مطلع صبح جديد، يرد فيه الى الإسلام مكانه في قلوب المسلمين وعقولهم، على نحو ما بلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ربه.

ويكفى في وسط هذا الظلام الكثيف بارقة من ضوء، كى توقظ النائمين، وتنبه الغافلين، فإن مثل هذه البارقة في أحشاء الظلام، تعد ظاهرة أشبه بالمعجزة، مع أنها لا تكون شيئًا له حساب اذا هي برقت في مشرق الشمس ووضح النهار.

روى الجبرتي «المؤرخ المصرى في تاريخه المعروف» عجائب الآثار تلك الحادثة التى وقعت في شهر رمضان سنة ١١٢٣ هـ وذلك قبل أن يقوم الشيخ محمد بن عبدالوهاب بدعوة التوحيد حيث ولد - رضى الله عنه سنة ١١١٥ هـ .

يقول الجبرتي عن هذه الحادثة :

«ان واعظًا تركيا وفد من الروم الى مصر، في تلك السنة (١١٢٣ هـ) وجلس يعظ الناس

في جامع «المؤيد» بالقاهرة.. وقد كثر عليه الناس وازدحم بهم المسجد، ثم انتقل من الوعظ، فذكر ما كان يفعله أهل مصر بضرائح الأولياء، وإيقاد الشموع على قبور الأولياء، وتقبييل أعتابهم، وأن ذلك كفر يجب على الناس تركه وعلى ولاة الأمور السعى إلى إبطال ذلك..

«وقد ذكر - أي الواعظ - عن قول الشعراني، في كتابه: «الطبقات الكبرى» أن بعض الأولياء، اطلع على اللوح المحفوظ<sup>(٢٥)</sup> فقال الواعظ: إنه لا يجوز ذلك، ولا يطلع عليه الأنبياء فضلا عن الأولياء.. وكان فيما قال الواعظ إنه لا يجوز بناء القباب على ضرائح الأولياء، كما لا يجوز بناء التكايا<sup>(٢٦)</sup>، ويجب هدم ذلك جميعا»

ثم يقول الجبرتي معلقا على ما كان لدعوة هذا الواعظ من أثر، وما جرى بعدها من أحداث:  
«فقامت لهذا قيامة العلماء، ففسدوا عليه من يشوش، ويخفت صوته»

هذا ما كان من العلماء، وأدعياء العلم من تلك الدعوة إلى إزاله معالم الشرك وطمس وجهها، وقد كان المرجو منهم أن يقوموا هم بتلك الدعوة، أو أن يناصروها وذلك أضعف الإيمان، ولكنهم وقفوا في وجه هذه الدعوة وأنكروها على صاحبها.. فكيف لا يعم البلاء، ولا يستشري الشر، وترتفع آيات الشرك، والعلماء هم الذين يحملون تلك الرايات المشنومة؟

(٢٥) ذكر ذلك الشعراني في ترجمته لإبراهيم الدسوقي، صاحب الضريح المعروف بمدينة دسوق بمصر، كما ذكر ذلك عن أحمد البدوي، صاحب الضريح المعروف بمدينة طنطا بمصر، وكان فيما ذكره الشعراني عن إبراهيم الدسوقي أنه كان مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعض الأولياء، في الحضرة الإلهية، وأنه قيل له: يا إبراهيم اذهب إلى النيران وقل لها إن تغلق أبوابها، وإلى الجنان أن تفتح أبوابها، ففعل ذلك، وأغلقت النيران، وفتحت الجنان.

(٢٦) التكايا: هي دور كانت تقام للدراويش من البكتاشية، وتوقف عليها الأوقاف الكثيرة حيث يأكل من ريعها هؤلاء الدراويش، لا يباشرون أي عمل، بل يقضون حياتهم في الهو ورقص، وارتكاب الفواحش في تلك المواخير مع الغلمان والنساء.

بالملاح نصلح ما نخشى تغييره

فكيف بالملاح، اذ حلت به الغير؟

ثم يقول الجبرتي :

«ولكن الواعظ مضى في طريقه، وانتقل هو وأتباعه من القول الى العمل، وبدأ الصدام، بأن خرج الشيخ الواعظ وأتباعه بعد صلاة التراويح ووقفوا بالعصى والأسلحة على باب زويلة- بالقرب من الأزهر- فهرب الذين كانوا يقفون به ثم قطعوا ما علق من جوخ وأكر<sup>(٢٧)</sup>، وهم يقولون أين الأولياء؟

ثم يقول الجبرتي:

«وهنا أسرع بعض الناس الى علماء الأزهر، ليفتوهم في قول هذا الواعظ»  
فماذا قال شيوخ الأزهر يومئذ في هذا الذي يدعو اليه الواعظ من القضاء على تلك البدع التي تنخر في عقيدة المسلمين كما تنخر السوس في حبات البر؟

يقول الجبرتي :

«فكتب شيخان من شيوخ الأزهر، وهما الشيخ أحمد النفاوى، والشيخ أحمد الخليفى، وهما من كبار شيوخ الأزهر ينتقضان قول الواعظ، ويطلبان من الحاكم زجره.

«وأخذ بعض الناس هذه الفتوى، فدفعوها الى الواعظ في مجلس وعظه، فلما قرأها غضب، وقال: ان العلماء أفتوا بغير ما قلت، وأنا أريد أن أجادلهم في مجلس القاضى.. فهل منكم من يساعدى على ذلك وينصر الحق؟ فقال له أنصاره:

نحن معك لا نفارقك.. فنزل عن كرسي وعظه واجتمع عليه الناس قريب من ألف، فسار بهم وسط القاهرة الى أن دخل بيت القاضى.. فلما رآهم بهذه الكثرة انزعج منهم ثم سألمهم عما يريدون؟ فقالوا: نريد أن يحضر هؤلاء الذين أصدرنا هذه الفتوى لنباحثهم

---

(٢٧) هذه التعليقات على باب زويلة، كان يعلقها الناس لقضاء الحاجات وتحميب الأزواج للزوجات، وولادة من ليس لها ولد، الى غير ذلك، استشفاعا بهذا الباب..

أمامك.. فقال القاضى: اصرفوا هذه الجموع، ثم نحضرهما ونستمع الى مجادلتيكم معها.. ولكن أحدا لم ينصرف، بل تكاثروا على القاضى، وقالوا له: ماذا تقول أنت فى هذه الفتوى؟ فقال: هى باطلة<sup>(٢٨)</sup>.. فطلبوا منه أن يكتب حجة بذلك.. فلما رأى القاضى أن الأمر جد، وأنهم لا يريدون أن يتركوه، أراد أن يعمل فيهم الحيلة للواعظ ومن معه..

«فقال: ان الوقت قد ضاق ، والشهود قد خرجوا<sup>(٢٩)</sup>.. فلنترك ذلك الى الغد.  
«فلما سمعوا ذلك من ترجمان القاضى - لأن القاضى تركى ولا يعرف العربية - لما سمعوا من الترجمان هذا الكلام، ضربوه واختفى القاضى ومعه حريمه!!  
وهل انتهى الأمر عند ذلك ؟ كلا ، فإن الرواية لم تتم فصولا ..

ومضى الجبرى ، فى إتمام هذه الرواية ، أو المهزلة التى يمثلها علماء الدين وقاضى الشريعة التركى، والوالى العثمانى.. حيث يستدعى الواعظ الى مجلس الوالى وقد قيل له: إن الوالى يريد ان تجتمع عنده مع هؤلاء العلماء الذين تتهمهم فيما أفتوا به..

وهناك فى دار الوالى، كان الكيد العظيم لهذا الواعظ حيث تحفظه الجند وألقوا به الى حيث لا يعلم إلا الله، وبهذا اختفى الواعظ الى يوم الناس هذا..

- ٥ -

هذه الحادثة لها دلالتها الواضحة على ما كان عليه المجتمع الإسلامى يومئذ، من عامة، وعلماء، من إغراق فى الشرك والجهل، لم يستطع هذا البصيص من النور أن يصل إلا الى بعض العامة الذين استقبلوه بفطرتهم السليمة، فأبصروا الحق، وأخذوا طريقهم معه، ومع الداعية اليه..

(٢٨) ان هذا القاضى ما قال ذلك الا خوفا من العامة، وهجومهم عليه.

(٢٩) هؤلاء شهود من المرتزقة، كانوا يلزمون مجلس القاضى، ويستشهدون من كل طالب شهادة لقاء أجر معلوم..



ولو أن هذا الصوت المؤذن بالحق الذي انطلق من فم هذا الواعظ استمع اليه العلماء واستيقظوا من سباتهم، لكان لهذا الصوت آثاره البعيدة في إجلاء هذا الظلام الشركي عن أهل مصر وعن غيرها من أوطان الإسلام.. ولكن الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون..

وقد كان .. فما هي إلا سنوات معدودة بعد هذا الحادث، أو تلك المأساة حتى يلتقي صوت هذا الواعظ - على غير موعد - بصوت الشيخ محمد بن عبد الوهاب في نجد، وفي الجزيرة العربية، مطلع الرسالة الإسلامية، فيhez العالم الإسلامي كله ويزلزل قواعد الشرك، حيث يأخذ بيد دعاة الحق المتخافتين بدعوة الحق، وبحيث كانوا لا يسمعون إلا أنفسهم، أو القليل من إخوانهم، وإذا هم يجتمعون الى هذا الداعية من قريب ومن بعيد، وإذا هم يجيرون بكلمة الحق مجاهدين في سبيل الله، مسترخصين نفوسهم في مواقع الجهاد.. وإذا العلماء الذين كانوا يكتبون الحق، ويخشون بأس الحكام، يؤدون أمانة العلم التي حملوها، كما يقول الحق سبحانه:

« وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ »

(آل عمران ١٨٧)

ذلك انه ما كاد صوت الإمام محمد بن عبد الوهاب يتردد في آفاق الإسلام، محملاً بدعوة التوحيد فاضحا وجوه الشرك وضلالات المشركين، حتى اهتزت له أقطار الأرض أشبه بالصيب ينزل من السماء فيه ظلمات، ورعد، وبرق.. فكان من الناس من أمسك بهذا الصيب، فشرّب منه هو وأنعامه، واستتبّت الزرع والعشب، طعاما له ولأنعامه.. وكان من الناس من أحرق بصواعق البرق، ومن طاش لبه بصوت الرعد.

وهكذا كل دعوة يتقرر فيها مصير الإنسان في دنياه وآخرته، فإن مثل هذه الدعوة تحمل الصيب، ومعه الظلمات، والرعد، والبرق.

«لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ»  
(الأنفال: ٤٣)

ويقول سبحانه :

« أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ <sup>ط</sup> فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلْيَعْلَمَنَّ الْكٰذِبِينَ »

(العنكبوت: ٢ - ٣)

والذى حدث بالنسبة لدعوة التوحيد التى قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى ظلمة هذا الليل البهيم، الذى احتوى العالم الإسلامى كله، واشتمل عليه - هو أن كثيرا من الناس استجابوا له، واتبعوا سبيله، ودعوا بدعوته فى أوطانهم - كما أن كثيرا من الناس خالفوه، ونصبوا العداوة له، وقالوا بغير الحق فيه، وفيما دعا الله من توحيد الله..

يقول الأستاذ طه المدور - فى كتابه «الديانات والحضارات» ص: ١٣٩ وهو يتحدث عن الصورة التى كان عليها رأى العام فى دعوة الشيخ أيام مطلعها، وما أثار فى العالم الإسلامى وغير العالم الإسلامى يقول:

«وماجت الأقوال عقيب ذلك - أى عقيب الدعوة - تتضارب حول هذا المجاهد المجدد خارج القطر النجدى، فقام من اتهمه بالمروق والإلحاد، وأخذ آخرون يدعون بأنه يحاول نشر مذهب القرامطة وانتشرت فى أوروبا شتى الشائعات عن مذهب هذا الرجل اللبيب، وعلق عليها الكثير من المستشرقين تعليقات مختلفة متباينة، فشبّه بعضهم به (لوثر)<sup>(٣٠)</sup> البروستنتى، وآخرون رفعوه الى مرتبة الفلاسفة<sup>(٣١)</sup>، حتى وجد من جعله صاحب مذهب خاص فى الإسلام، بعد المذاهب الأربعة.»

(٣٠) لوثر: هو مارتن لوثر، من دعاة الإصلاح الدينى فى المسيحية انفصل عن الكنيسة بشأن ما تدعيه من سلطان لها على غفران الذنوب وحرمان من محرم من رحمة الله وإكرام القديسين والرهبان، ورفعهم الى مرتبة الألوهية (١٤٨٣ - ١٥٤٦م)

(٣١) الأصح أن يقال: (إنهم انزلوه الى مرتبة الفلاسفة، لأن الفلسفة يحوم حولها الشك والإلحاد غالبا.

ثم يقول الأستاذ طه المدور :

«ولكن اتضح بعد ذلك أن هذه التقلبات المتضاربة في حق (الوهابية) كانت غير صحيحة، لأنها - أى الدعوة - تبعد عن القرمطية، وعمّا يسمونه بالمروق عن الدين بعد السماء عن الأرض...»

«وعلى العكس، مما يتقوله أعداء الدعوة، فإن تعاليمها العتيدة وجدت متطابقة مع نصوص القرآن والأحاديث النبوية.. حتى انه في سنة ١٨١٥م سافر مندوبان عن (الوهابية) وقابلا والى مصر آنذاك (محمد على باشا الكبير) فأمر رهطا كريما من العلماء ومن رجال الأزهر بفتح باب المناظرة بينهم وبين ذينك الشيخين الوهابيين.

«فبعد الطرفان عدة اجتماعات، طلب فيها علماء مصر من المندوبين النجديين إعطاء التفاصيل الوافية عن المذهب الوهابى.. فراحت المناظرات تجرى بين الجانبين واتسع نطاق الجدل والمدارسة، حتى عقدت راية الفوز في النهاية للوهابيين، وذلك باقتناع علماء مصر بأن تعاليم المذهب الوهابى (!!) تنطبق بمجموعها على منطوق الآيات القرآنية، وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم»

ثم يقول الأستاذ المدور ..

«وأغرب من هذا، فقد أثبت الضيفان الوهابيان، خلال تلك المناظرات الدينية أنها يحفظان القرآن الكريم، والمعانى العديدة من الأحاديث النبوية»

«وقد نشر علماء الأزهر على أثر ذلك بيانا أعلنوا فيه أنهم لم يروا شذوذا دينيا في المبادئ الوهابية.. وفوق ذلك كان في جملة ما نقله المندوبان الوهابيان الى مصر كتابا خطيا في العقائد وضعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب عن المذهب الوهابى، فطالعه العلماء في الأزهر، وصرحوا بعد ذلك بلسان واحد قائلين:

«إذا كانت الوهابية كما سمعنا وطالعنا فنحن وهابيون» (٣٢)

---

(٣٢) ليست الوهابية مذهباً، وإنما هي دعوة مجددة للدعوة الإسلامية من أساسها وهي المؤمنة بالله الأحد الواحد،

ولاشك أن هذا الموقف من علماء الأزهر في الدعوة التي دعا إليها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، والذي يخالف ما كان عليه سلفهم القريب، وموقفهم من الواعظ التركي - لاشك أن هذا الموقف الجديد إنما كان أثراً من آثار دعوة التوحيد التي قام بها الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، حيث أيقظت النيام، وفتحت العيون والعقول وشرحت الصدور، فاستبان لهؤلاء العلماء ما كانوا فيه من جهل بدين الله ومن شرك به في الطواف بالقبور، والاستشفاع بالمقبرين.

ولم يقف أثر دعوة التوحيد عند حدود الجزيرة العربية، بل نفذت إلى أعماق العالم العربي كله.. فقام في كل مكان داع أو دعاة يدعون إلى إصلاح شأن الأمة الإسلامية، وأنه لا إصلاح لشأنها إلا إذ رجعت إلى دين الله، وأخلصت وجوهها وقلوبها إلى الله وحده لا شريك له فيما يقضى في عباده.

يقول العلامة المستشرق «لوثرروب» في كتابه (حاضر العالم الإسلامي) الذي ترجمه إلى العربية الأمير (شكيب أرسلان)، يقول هذا العالم عن الدعوة وآثارها في يقظة العالم الإسلامي:

«وفيا كان العالم الإسلامي مستغرقاً في هجعتة، ومدلجاً في ظلمته، إذا صوت بدوى من

---

لا شريك له، المطهرة من أرجاس الشرك، فليس فيها جديد، وإنما هي الإسلام الحنيف المبرأ من الشرك... أما المذاهب الأربعة، المعروفة في الإسلام، فهي اجتهادات في الفروع، التي لا تمس الأصول أبداً حيث لا اجتهاد في هذه الأصول، من الإيمان بالله، ورسوله وملائكته، وكتبه، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره.

قلب صحراء شبه الجزيرة، مهد الإسلام، فيوقظ المسلمين، ويدعوهم الى الإصلاح والرجوع الى سواء السبيل والصراط المستقيم، فكان الصارخ وهو المصلح المشهور محمد ابن عبد الوهاب، الذى أشعل نار الوهابية، فاشتعلت واتقدت، واندلعت ألسنتها الى كل زاوية من زوايا العالم الإسلامى، وأخذ يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامى القديم، والعز التليد.

«فبدت تبشير صبح الإصلاح، ثم بدت اليقظة الكبرى فى العالم الإسلامى»  
 وإذا كان هذا العالم المستشرق قد شبه الدعوة الوهابية بالنار المشتعلة فإنها كانت حقاً ناراً مشتعلة أحرقت أذعياء العلم، والمتجرين بالدين فى سوق الجهل وبين الجهال .  
 فإنها كانت كذلك نورا استضاءت به البصائر، واستنارت منه العقول، واهتدى بها المؤمنون الى دين الله، المبرأ من ضلالات الشرك والإلحاد، والله تعالى يقول:

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ  
 النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ  
 اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ »  
 (الحديد: ٢٥)

فكما أنزل الله الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط ، أنزل الحديد فيه بأس شديد  
 ومنافع للناس، فمن لم يهتد بالكتاب، كان الحديد فى أيدى المؤمنين له بالمرصاد..

- ٨ -

«فبدأت تبشير صبح الإصلاح، ثم بدأت اليقظة الكبرى فى العالم الإسلامى»  
 هذا ما يقرره العالم المستشرق «لوثرروب» فى كتابه الحاضر الإسلامى، عن دعوة الشيخ  
 محمد بن عبد الوهاب، وأثارها المباركة فى العالم الإسلامى.

- ٢٤٤ -

وقد صدق هذا العالم الغريب عن الإسلام، فإنه كان يرصد مجريات الأحداث في العالم ويوقف عند كل حدث له شأنه، فيسجله بقلم العالم المحقق المدقق، الذي ان أنكر حقيقة سقط من سجل العلماء، والرجل حريص على أن يحتفظ بمكان كريم له بينهم.

فماذا كان من مظاهر هذه اليقظة الكبرى، في العالم الإسلامي بعد مطلع دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟

يقول الله تعالى :

« أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُوْتِي أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ »

(ابراهيم: ٢٤ - ٢٥)

فالكلمات أمهات الأعمال، ولا تلد الكلمات من الأعمال إلا ما كان من معدنها وجوهرها، فالكلمة الطيبة تلد أفعالاً طيبة، ولا يصيبها العقم أبداً، مادامت قد خرجت من أفواه مؤمنة، متصلة بقلوب سليمة، وعقول مدركة.. وكذلك كانت كلمات الله المنزلة في كتبه، زادا لا ينفد عطاؤه أبداً من أزواد الخير للناس، إذا هم آمنوا بها، وجروا في أعمالهم على هديها، كما يقول تعالى:

« فَأَمَّا يَا تِيبَتَكُمْ مَنِّي هُدًى فَمِنَ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَسْتَقِرُّ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١١٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ﴿١١٥﴾ قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسى ﴿١١٦﴾ وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ ۚ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْوَعٌ » (طه: ١٢٣ - ١٢٧)

وكذلك كلمات الأنبياء والمرسلين والهداة والمصلحين من عباد الله، فان كلماتهم قيس من أقباس نور كلمات الله، وقطف من قطفها الطيبة المباركة.. إذ يجد فيها الناس زاد أرواحهم، ورى نفوسهم، حيث تذكركم بالله تعالى، وتدينهم من رحمته ورضوانه..

ومن هذا المورد الرباني الكريم، كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ميراثا مباركا من بعده، لمن شرح الله صدورهم للإيمان، وهياهم ليكونوا دعاة خير للمسلمين، تلك الحركة الاصلاحية التي تلاقى عليها قادة الإصلاح في أوطان الإسلام جميعا في وقت واحد كأنما كانوا فيه على موعد.

وقبل ان نتحدث عن هذه الدعوات الاصلاحية التي قامت في المجتمع الإسلامي متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، نود أن نرد على شبهة ربما أثارها في الماضي، أو قد يثيرها في المستقبل أولئك الذين من شأنهم أن يبخسوا الناس أشياءهم وأن يحسدوهم على ما آتاهم الله من فضله، حيث يقول قائلهم عن دعوات الإصلاح هذه التي قامت متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: ان ظهور هذه الدعوات الإصلاحية حيث ظهرت كان من مقتضيات الظروف والأحوال التي أحاطت بالأمة الإسلامية والتي اقتضت ظهور المصلح الشيخ ابن عبد الوهاب، حيث كان الداء مستشرياً في العالم الإسلامي كله، وأنه حين يستشري الداء ويعم البلاء، لا تعدم الحياة من يقومون لمواجهة هذا الداء وكشف هذا البلاء، تماما كما يقوم الجسد بإعلان الحرب على جراثيم المرض التي تهجم عليه، فيلقاها ببعض الدم المتدفق في عروقه، محاولا أن يهلكها قبل أن تسرى في البدن وتسكن فيه..

وعلى هذا يقولون - أي المعترضون - إنه من التحكم أن تنسب حركات الإصلاح التي ظهرت في أعقاب الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب الى هذه الدعوة وأن يرمى العالم الإسلامي كله بالعقم، على كثرة رجاله واتساع رقعته التي تمثل شطرا كبيرا في هذا العالم..

ونحن لا نستطيع أن ننكر على الحياة سننها القائمة فيها، ولا أن ننكر أن تقوم في المجتمع الإسلامى حركات إصلاحية رائدة في كل زمن، وفي كل أفق من أفاق الإسلام وقد ذكرنا من قبل كيف كانت ثورة الواعظ التركي على البدع والخرافات التى كانت تزحم وجه الحياة في مصر، وأن هذا الواعظ كان قبيل ظهور دعوة التوحيد التى قام بها ابن عبد الوهاب بأكثر من ربع قرن، فهل يمكن مع هذا أن يقال أن دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب قامت متأثرة بدعوة هذا الواعظ التركي؟

ونقول : إنه قد لا يكون من المستبعد أن يتأثر الشيخ ابن عبد الوهاب بحركة الواعظ التركي، لو أن هذه الحركة امتد صداها الى خارج المحيط الضيق الذى ظهرت فيه، ولكن هذه الحركة لم يقدر لها هذا حيث فتح الشر لها فمه، وابتلعها وهى في مهدها، ولولا أن الجبرتى كان شاهدا من شهودها وسجلها في يومياته التى ختم عليها كتابه، لما عرف أحد عنها شيئا. (٣٣)

ولكننا مع هذا نقول: ان الحركات الاصلاحية لا تقوم الا متأثرة بحركات الإصلاح التى سبقتها من دعوات الرسل والأنبياء، عليهم الصلاة والسلام، ومواقفهم الخالدة على الزمن في مواجهة الشرك، والكفر، والإلحاد.. ثم في مواقف أتباعهم المؤمنين من الدعوة الى الله، وإصلاح ما غير الناس من شريعة..

ولا شك ان الإمام محمد بن عبد الوهاب، بعد أن عرف الحق من دين الله، كما جاء في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ورأى ما كان عليه الناس من مفارقة بعيدة لدين الله الخنيف، وما أدخلوه على هذا الدين من بدع وخرافات - لم يطق صبورا على تلك الحال، ولم ير بدا من ثورة على هذا الضلال الذى كان يغزو عقول المسلمين وقلوبهم.. وكان في ثورته تلك ناظرا الى دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم والى موقف صحابته، وما أبلوا من جهاد في سبيل الله.. ثم إذ تأسى بهذا كله، كان له أسوة في جهاد أهل الحق في الأزمنة المتأخرة، مثل الإمام احمد وما امتحن به في فتنه القول بخلق

(٣٣) تاريخ الجبرتى لم ينشر الا بعد موته بزمن طويل خوفا مما كان فيه من نقد صريح للحكام.



القرآن، ومثل ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، ومثل العز بن عبدالسلام، وغيرهم من هؤلاء الأعلام الذين جاهدوا في الله حق جهاده، وكانوا مصابيح هدى في غواشي الظلام التي كانت تتداعى على الإسلام والمسلمين من داخل أوطانهم وخارجها.

فاذا قلنا بعد هذا : إن دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب، كانت مبعثا لدعوات إصلاحية من بعده، شملت الأمة الإسلامية كلها، كان هذا القول حقا، إذ كانت تلك الدعوة يقظة هزت العالم الإسلامي كله من جميع أقطاره، وشارك فيها المسلمون جميعا من مؤيدين ومعارضين، ومن لم يشارك فيها بسيفه شارك فيها بلسانه وقلمه.

والجدير بالذكر هنا أن تلك الدعوات الإصلاحية التي قام بها المصلحون في شتى أقطار الإسلام والتي كانت متأثرة بدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب قد كانت كلها متقاربة الميلاد، وهذا يعني أنها كانت متأثرة بعامل قوى واحد، هو الذى دعا إليها وحرك دعواتها.. وهو دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب، رضى الله عنه.

## - ٩ -

فالحركة السنوسية، التي قام بها الشيخ محمد ادريس السنوسى فى شمال افريقية كانت حركة دينية سبيلها الحكمة والموعظة الحسنة، تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، ولا تتجاوز حد التبليغ فمن قبل الدعوة فلنفسه، ومن لم يقبل فشأنه وما اختار.

وقد رأى الشيخ السنوسى بنفسه كيف كانت دعوة الإمام محمد بن عبدالوهاب وما حمل هو وأنصاره وأتباعه من أعباء ثقال واشتباك مرير فى حروب طويلة دامية لم يكن له أن يخوض غمارها، فسلك مسلكا أشبه بمسلك شيوخ الصوفية، وأطلق على دعوته الطريقة السنوسية، وانه ما فعل هذا إلا ليبعد الشبه عنه، حتى لا يثير أصحاب السلطان فيقطعوا الطريق عليه.. وإلا فما كان الشيخ السنوسى صاحب طريقة صوفية وإن أطلق على دعوته اسم الطريقة، إذ ليس فى طريقته ما فى الطرق الصوفية من بدع وما فيها من

شطحات ورموز ولا ما في تلك الطرق من طبقات المريدين والأبدال، والنجباء، والأوتاد والأقطاب الى غير ذلك مما يقوم عليه بناء الطرق الصوفية، وما يضم من تلك الشعوذات.

ولقد كسبت هذه الدعوة كثيرا من الأتباع من الأقطار الإسلامية بهذا الأسلوب الهادئ، حيث كان الشيخ ينتقل بدعوته من قطر الى قطر، ومن بلد الى بلد، وحيث حل أقام مسجدا للصلاة أشبه بالزاوية أو الخلوة، في بلاد المغرب مراکش، وتونس، والجزائر، وليبيا، وفي مصر، والسودان، والحجاز.. وفي هذه المساجد أو تلك الزوايا يجتمع أتباعه على كتاب الله وسنة رسوله، دارسين ومتناصحين.

هذا وقد بدأت دعوة السنوسي في النصف الأول من القرن الثالث عشر الهجري إذ كان مولده سنة ١٢٠٢ هـ ، أي بعد مولد الشيخ محمد بن عبدالوهاب بأقل من قرن.

أما حركة السيد جمال الدين الأفغاني فقد ظهرت في مصر بعد أن وفد اليها وعاش زمنا فيها، فتتلذذ عليه كثير من علمائها كان على رأسهم الشيخ محمد عبده وتلاميذه. وهي حركة سياسية متأثرة بجذور عميقة من الدين.

فالأفغاني وإن لم تقم دعوته باسم الدين ، وتحث رأيته فإنها كانت في صميمها دعوة الى تحرير العقل الإسلامي، وهي دعوة لم تقم في ظل العصبية القبلية بل قامت في ظل العصبية الوطنية في جميع أقطار الإسلام..

إن الأفغاني جعل دعوته ثورة في كل مكان إسلامي، حملها بنفسه وسعى بها الى حيث يظن أن لها مكانا يفرسها فيه، حتى جاء الى مصر، واتصل بعلماء الأزهر وطلابه، واجتمع الى كثير منهم وكان واسطة عقدهم الشيخ محمد عبده.

ولما كان الاستعمار الانجليزي جاثما على صدر مصر وكثير من أوطان المسلمين، فقد كانت دعوة الأفغاني ثورة قائمة في وجه هذا الاستعمار الذي يضع المسلم تحت سلطانه

متحكما في حريته السياسية والاقتصادية متسلطا على عقيدته بالمبشرين وما لهم من مؤسسات ومدارس تفتن المسلم في دينه، وتشوش على عقيدة العوام، وعلى الصغار الذين يدخلون هذه المؤسسات وتلك المدارس وهي في حمي المستعمر..

وكان من آثار هذه الدعوة ضد الاحتلال الانجليزي أن قامت الثورة العراقية بقيادة احمد عرابي ضد والى مصر، الذى يماليّ المستعمرين ويستظل بظلمهم.. وكان من هذا ان استعان الخديوى بالانجليز، الذين دخلوا مصر، وتمكنوا منها وبسطوا نفوذهم عليها.. فنفوا أحمد عرابي، والأفغانى، والشيخ محمد عبده من مصر .

وقد لقي الشيخ محمد عبده وتلاميذه ما لقي جمال الدين الأفغانى من ذوى العقول المغلقة والقلوب المريضة من رمى بالتهمة الباطلة والأقاويل المفتراة من الكفر والإلحاد؛ ولكنه مضى في طريقه غير ملتفت الى تهديد أو وعيد، حتى وجدت دعوته أنصارا وقفوا الى جانبه، وحملوها من بعده، وكان منها هذا النور الذى دخل الأزهر بعد أن سكنه الظلام دهرا طويلا..

وهناك في السودان حركة عبدالله المهدي، التى بدأت سنة ١٨٣٨ م أى بعد نحو قرن من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب..

وهى حركة دينية سياسية، أو هى حركة سياسية تحت راية الدين.. اذ كانت ثورة على الاستعمار الانجليزي الذى جثم على السودان.. يدعو فيها المهدي الى الجهاد في سبيل الله لتحرير البلاد من الكفار وتحرير المسلمين من قيود الاستعمار، وفي ذلك تمكين للدين، وتثبيت للعقيدة، وحماية للشريعة مما يدخله المستعمرون على المسلمين، من معتقدات فاسدة، وقوانين وأحكام مستوردة تخالف شريعة الله وقوانين السماء، ومن صور للحياة يلبس فيها المسلم ثوب المستعمر الذى أصبح متحكما في أمور حياته كلها.

وقد كانت الحرب التى أعلنها المهدي على الاستعمار حربا دينية يقاتل فيها المسلم أعداء دينه.. ومن هنا كان هذا الاستبسال والاستشهاد من أتباع المهدي، الذين قاتلوا

بالسيوف والحراب جيوشا كثيفة تحمل المدافع والقذائف المدمرة.. مما يعيد الى الأذهان حروب المسلمين الأولى للفرس والروم..

والى جانب هذه الدعوات الثائرة على الاستعمار والمستعمرين فى قلب الوطن الإسلامى قامت هناك ثورات فى بلاد كان سكانها أقلية من المسلمين.

ففى بلاد القوقاز، والقرم، والتركستان، قام الزعيم الجركسى الشيخ شامل عام ١٨٠٣ م بثورة عارمة على قياصرة الروس، الذين كانوا يأخذون المسلمين تحت أيديهم بالبأساء والضراء، ويسومونهم الخسف والبلاء.. فقام هذا المجاهد بثورته العارمة على القيصر، وقد اجتمع حوله الأنصار، مجاهدين فى سبيل الله، وقد ظل الشيخ شامل نحو أربعين عاما متواصلة فى ميدان الجهاد، كبد فيها الروس مئات الألوف من القتلى..

ولكن بعد أن أبلى الرجل بلاءه فى الجهاد هو والمجاهدون معه غلبته على أمره قوة هذه الدولة وجيوشها الكثيفة..

وكان من هذا أن ضاعف الروس استبدادهم بالمسلمين، فصادروا أموالهم وأغلقتوا مساجدهم، وحرموهم أن يعبدوا الله فيها، حتى جاءت روسيا الشيوعية، فأنت على كل شئ للمسلمين هناك..

ومن هؤلاء الأبطال المجاهدين، الذى يأخذ مكانا كريما بينهم (الأمير عبدالقادر الجزائرى) الذى قام فى أواسط القرن التاسع عشر الميلادى بثورته العارمة ضد الاستعمار الفرنسى لبلاد الجزائر.. فلم يرده عن هذا الجهاد ما كان يعده المستعمر، وكثرة جنوده وعتاده وعدده مع قلة أنصاره وقلة أسلحته - لم يرده هذا عن أن يواجه المستعمر بالحرب، وأن يلتقى معه فى كل ميدان ورجاله يستشهدون أمام عينيه.. إنه يؤدى حق الله، وحق الوطن عليه، فهذه أمانة فى عنقه، ولا عليه أن هزم بعد هذا، فقد أعذر لنفسه، وأدى الأمانة التى فى عنقه، ناظرا فى هذا الى قول الله تعالى:

« إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ »  
 (التوبة: ١١١)

وقد ظل هذا المجاهد في ميدان الجهاد.. حتى لقي ربه راضيا مرضيا، تاركا وراءه المثل الكريم في التضحية والجهاد، طريقا مفتوحا من بعده للمجاهدين.. وقد كان، فقامت ثورة الجزائر التي ألفت بالمستعمرين خارج ديارهم وتحررت الى الأبد إن شاء الله من أن يدخلها مستعمر.

وبعد فهذه بعض ثمرات دعوة التوحيد التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب - رضى الله عنه - وهذه بعض شعاعاتها التي طلعت على الأمة الإسلامية في ليل بهيم، كان قد لفها بردائه الأسود الكثيب.. حيث أيقظت العالم الإسلامي، فقام فيه الزعماء السياسيون، والدينيون، والاجتماعيون، يدعون الناس الى أن يتخلصوا من كل عبودية لغير الله، أيا كان وجه هذه العبودية، في صورة المستعمرين أو في صورة تلك البدع الشركية، التي تسلب المسلم حرية الإنسانية، جسدا، وعقلا وروحا، وتسوقه الى عبودية دونها بلاء وشرا عبودية الأرقاء الذين كانوا يباعون في الأسواق ببيع الأنعام.

لقد انهارت معابد الشرك، وزالت معالمه بسبب هذه الدعوة المباركة التي قام بها الإمام محمد بن عبد الوهاب وأنصاره من آل سعود، وبدأ وجه الإسلام يطل على أوطان المسلمين مشرقا مضيئا.. فلا معبود إلا الله وحده لا شريك له ولا استشفاق، ولا توسل إلا لله سبحانه بالعمل الصالح، والدعاء الضارع اليه وحده جل شأنه.

وانه إذا كانت هناك بعض آثار باهتة من الصور الشركية هنا أو هناك، فإنها في طريقها الى الزوال وشيكا - ان شاء الله - فإنه إذا طلعت الشمس انتشع الظلام، وزال الضباب، وأشرقت الأرض بنور ربها..

رحم الله الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وجزاه خير الجزاء، وأسبغ عليه من رحمته ورضوانه ما ينزله منازل الأبرار، والصديقين والشهداء.

وجزى الله خيرا أولئك المجاهدين من آل سعود، وآل عبدالوهاب، الذين آزروه،  
وناصروه، حتى أعز الله جنده، وصدق وعده..

وأكرم الله ورحم من دعا الى الله، وجاهد في سبيل الله، ونصح لله ولكتابه  
ولرسوله وللمؤمنين الى يوم الدين.

« وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ »

صدق الله العظيم

وصلى الله على محمد، وعلى آله ، وصحابه، والتابعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم  
الدين..

وسلام على المرسلين ، والحمد لله رب العالمين.



الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب  
ومما نلتها بشبهات أثيرت حول دعوة الشيخ  
المودودي رحمه الله

لفضلة الشيخ محمد يوسف

أمير الجماعة الإسلامية بالهند





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على حبيبه الكريم محمد وآله وأصحابه  
أجمعين .

ما من دعوة أو حركة قامت لاستعادة مجد الإسلام وعزة المسلمين إلا وتحرك عالم  
الكفر والاستعمار لمحاربتها ولانتقاص قدرها أو تحطيم قوتها والتقليل من نفوذها بين  
المسلمين على الأقل بإحداث العقبات والعراقيل في سبيلها تارة وبإثارة الشبهات وغرس  
بذور الشكوك حولها تارة أخرى .

وأكبر مأساة تشق لها الأكباد وتنفطر لها القلوب هي أن المسلمين في كل عصر ومصر  
وقعوا فريسة لتلك الشبهات التي أعدت جبالها المكيدة والخديعة ومطامع الطامعين  
الشرسة، فقاموا في وجه الدعوة الإسلامية الخالصة ولتقوا عنها وعن صاحبها إشاعات  
مضللة وأكاذيب باطلة .

لكن العجب كل العجب أن يغتر المسلمون بأكاذيب وأباطيل أشيعت حول دعوة  
الشيخ محمد بن عبد الوهاب ودعوة الشيخ الشهيد الشاه إسماعيل الدهلوي رحمهما الله،  
كما نرى أنها أشيعت حول دعوة مولانا أبي الأعلى المودودي رحمه الله، فإن دعوة الشيخ  
محمد الإصلاحية إنما هي دعوة امتازت من بين الدعوات الإصلاحية الإسلامية الأخرى،  
بنجاح كامل شامل في مراميها، حيث حاربت المعتدين على الشريعة الإسلامية وأحكامها  
في نجد، وهذه هي مبرأة عظيمة، لا تدع مجالاً للشك في أن دعوته كانت دعوة حق وهداية  
وإيمان وإسلام، يجب على كل مسلم قبولها والذود عنها فضلاً عن أن يجنبها ويحسن الظن  
بها وبصاحبها.

كيف يمكن لأحد من المسلمين أن يعتقد سوء في مجاهد جاهد جهادا مضنيا لإحياء الدين، وأعاد إلى الإسلام مجده السياسي وعلوه القيادي، وأقام بالفعل دولة شرعية، وهي التي يتمناها كل مسلم غيور على دينه ويحس إليها كل مؤمن حينما يتغلغل الإيمان في قرارة نفسه.

لكن المعارضين الحاقدين على الإسلام والمسلمين وأرباب الأغراض الدولية والشخصية من المسلمين وغير المسلمين، هاجموا دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وعرضوها إلى المسلمين بصورة مشوهة وكأنها مذهب جديد يخالف لما عليه الأمة الإسلامية وهي لا تمس بأي صلة إلى الدين، بل تغاير عقيدة الإسلام ومبادئه، ولذلك سموها بالوهابية تلبيسا للمسلمين من عند أنفسهم، ولفقوا عنها إشاعات مضللة وحذروا المسلمين منها . فإن الحركة الإصلاحية التي قام بها محمد بن عبد الوهاب، لو سميت على اسم مؤسسها لسميت باسم «الحركة المحمدية»، لكن المعاندين شعروا بما يكون لهذا الاسم من أثر مرموق في قلوب المسلمين، وأدركوا أن هذا الاسم لا يوافق مصلحتهم ولا يتماشى مع أغراضهم فسموها على اسم أبيه، وألقوا به أنواعا من التهم والمفتريات حتى ظنه المسلمون خارجا عن الدين . واعتقدوا فيه سوء بجهالة وبسبب فهم خاطئ أو بمصلحة سياسية مادية أخرى. ومن جملة ما رموه به من المفتريات: (١) ادعاء النبوة، (٢) إنكار الحديث، (٣) تكفير المسلمين وقتالهم، (٤) إنقاص رتبة النبي وإنكار شفاعته، (٥) هدم قبة النبي، (٦) إنكار التقليد وإبطال كتب الأئمة الأربعة، ورموا بمثل هذه التهمة الداعية الإسلامي مولانا المودودي .

وأعجب من ذلك أنه انتقد بعض العلماء دعوة الشيخ بناء على تلك المفتريات مثل النواب صديق حسن خان بالذي يعد من أئمة طائفة أهل الحديث، وكان واسع الاطلاع على عقيدة أهل السنة .

ولكن مع هذه المكانة وسعة الاطلاع أعلن براءته من الشيخ ورماه بالعدو والفساد وقال:

« كان ابن عبد الوهاب النجدى إماماً وكان مقلداً لأحمد بن حنبل، وأن المتبعين للحديث (طائفة أهل الحديث) لا يقلدون أحداً من أئمة المذاهب، فيبن الوهابيين وطائفة أهل الحديث بون السماء والأرض.

إن أهل الحديث يوجدون منذ ألف وثلثمائة سنة ولم ينصب أحد منهم علم الجهاد المصطلح، وكانوا يفرون من الفتنة والغدر والقتل وإراقة الدماء ألف ميل. لم ينسب إليهم في أى كتاب الغدر والفساد، وهذا بخلاف ابن عبد الوهاب، فإن ذكر فساد مندرج في تاريخ مصر والكتب الأخرى التى كتبها العلماء المسيحيون، وقد طبعت في بيروت ببسط وتفصيل، وإنى انتخبت من تلك الكتب بعض الأحوال ليطلع عليها الناس ويحجثبوا طريق الحرب والنضال ويحترزوا عن الفساد.

(ترجمان وهابيت ص ٣٠)

ومثل الشيخ حسين أحمد المدنى الذى كان من أساطين الجامعة الإسلامية بديوبند، ويتولى منصب شيخ الحديث، والشيخ أنور الشاه الكشميرى، الذى كان عالماً محققاً، وهو أيضاً من أساطين جامعة ديوبند البارزين.

أنور شاه كشميرى: لكن مع هذا كله كتب فى أحد كتبه. «أما محمد بن عبد الوهاب النجدى فإنه كان رجلاً بليداً قليل العلم، فكان يتسارع إلى الحكم بالكفر». (فيض البارى ج ١ - ص ١٧١)

وإلى ما قبل سنوات هاجم الشيخ حسين أحمد المدنى فى (ديوبند) الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله هجوماً عنيفاً، وكان نقد الشيخ المدنى للإمام محمد بن عبد الوهاب غير قائم على أسس علمية بدون أن يرجع إلى ما قاله الإمام وكتبه، وبدون أن يستدل على هجومه بنصوص واضحة صريحة حسب أسلوب العلماء المحققين ورجال الحديث والفقهاء.

وكذلك لم يتورع الشيخ حسين أحمد المدنى عن توجيه النقد اللاذع والهجوم العنيف

إلى المرحوم الأستاذ أبي الأعلى المودودي، الذي يعتبر كذلك من الشخصيات التي جددت الإسلام في العصر الحاضر. وتمكنت من إنقاذ الجيل المسلم الحاضر من الوقوع في براثن النظريات الكافرة والمبادئ الهدامة والعقائد الفاسدة، وإقناعه على صدق الإسلام وكونه ديناً شاملاً للحياة البشرية، يستطيع معالجة جميع الأدواء ثابتة وغير منطلق مما ورد في مخلفات الإمام، ويا للعجب كيف سوغت له نفسه أن يهاجم مجدد القرن الثاني عشر الهجري، وعالمنا من أفاضل التاريخ الإسلامي، وقائداً يرجع الفضل إليه في إحياء السنة وقمع البدعة في جميع العالم الإسلامي، فقد وجه الشيخ المدني إلى المرحوم المودودي نقده بدون أن يوجد له أي دليل أو أساس في كتب المرحوم المودودي. إلا أن هناك فرقاً شاسعاً بين معاملته مع الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله، حيث قيل لنا إن الشيخ المدني كان قد تراجع عن نقده في أواخر حياته، وبين معاملته مع المرحوم المودودي حيث أننا بذلنا معه الجهود المضنية للاجتماع معه، والمناقشة معه فيما وجه إلى المرحوم المودودي من اعتراضات لا يوجد لها أساس في كتب المرحوم وخطبه ورسائله، ومكث الشيخ المدني على رغم أنه وعدنا بإجراء هذه المناقشة لم يوف بوعده، وبالتالي لم يرد أن يسحب اعتراضاته الفارغة وبالأصح إفتراءاته التي لا طائل تحتها. ولا تستطيع القول إزاء هذا الموقف الذي لا يليق بأي شخص من منسوبي العلم فضلاً من أن يكون ذلك الشخص عالماً ذا سمعة ونفوذ، لا نستطيع إلا الدعاء إلى الله سبحانه والتضرع إليه بأن يعفو عن زلاته ويوفق أتباعه أن يحققوا ما لم يستطيع تحقيقه شيخهم. والله هو الموفق.

ولا تزال طائفة من المسلمين في الهند تصدق هذه الاتهامات إلى يومنا هذا، وتسيء الظن بالشيخ ودعوته مع أن كتبه ومؤلفاته ترجمت إلى بعض اللغات الهندية وطبعت - فمن السهل الاطلاع على حقيقة دعوته وعظمة شأنه - لذا رأيت واجباً على نفسي كخادم للحركة الإسلامية في الهند أن أكشف القناع عن هذه المفتريات التي كثيراً ما يتهمون بها أعضاء الحركة الإسلامية الهندية، قائلين إنهم «وهايون» حتى يزول الغبار عن الحقيقة ويتبلج وجهها وضوحاً بأن دعوة الشيخ كانت دعوة إصلاحية إسلامية، وكان هو من أكبر دعاة الإسلام وأعظمهم شأنًا.

وقبل أن نخوض في الكلام عن تلك المفتريات المذكورة أعلاه وحقيقتها، أرى من

المناسب أن نتعرف على عقيدة الشيخ التي تبني عليها دعوته الإصلاحية. فإنه إن كانت العقيدة صحيحة مستقيمة موافقة لتعاليم الكتاب والسنة فلا بد أن تكون الدعوة المنبثقة منها سليمة قويمه وهذا ضروري لأن الاتهامات التي ألصقت بالشيخ محمد هي اتهامات تتفرع من الانحراف في العقيدة.

فلا بد أن نتعرض لعقيدته ودعوته أولاً، ثم للاتهامات التي ألصقت بالشيخ ثانياً. وقبل أن نتحدث عن الشيخ ودعوته يجدر بي أن أشير إلى الأوضاع التي نشأ فيها الشيخ وتأثر بها.

### الأوضاع السياسية :

وقبل أن نرى الدعوة الإصلاحية نتصفح التاريخ ونرى الأوضاع الراهنة اليوم وفي القرن الثاني عشر للهجرة - لا يخفى على من يدرس التاريخ أن الشيخ قد عاش في الفترة ما بين سنة خمس عشرة ومائة بعد الألف (١١١٥ هـ) إلى سنة ست بعد المائتين والألف (١٢٠٦ هـ)، وهذا القرن يعد من القرون المظلمة التي ساد فيها الجهل والغواية، وكانت فيها الخلافة العثمانية على وشك الانقراض، فخلف من بعد الزعماء المصلحين خلف أضعوا الإسلام واتبعوا الشهوات، وحكموا الشعوب بالاستبداد، ولم يهتموا بأمر من أمور الإسلام.

ولم تكن في نجد دولة قوية مستقلة بل كانت هناك دويلات تعم فيها الغواية والفساد، واتخذ الأمراء والملوك إلههم هواهم وغفلوا عن الشريعة الإسلامية وأحكام الله، بل وصل الناس إلى الانحلال الخلقى، حيث كانوا يتخاصمون بينهم، وضاعت القيم الإنسانية. وكان كل أمير منهم يتربص بجاره ليستغل ضعفه لشن الغارة عليه. كما ذكر مفصلاً الكاتب الأوروبى الشهير هيغاردي في كتابه.

### الأوضاع الدينية :

ولقد ضاع التوحيد الخالص وغفل الناس عن مفاهيم الدين الصحيحة، وقد

اختلطت العقيدة الإسلامية الصافية بالرواسب الجاهلية والخرافات، وصار مركز التوحيد مركزا للبدع والخرافات.

وكان الناس يستغيثون بقبور الصحابة والأولياء المعروفين عندهم في قضاء الحوائج ورفع الآلام والمصائب.

وفي الجبيلة يرد الناس على ضريح زيد بن الخطاب - رضى الله عنه - وهكذا في الدرعية - ومن أعجب الأمور أن كانت النساء يظفن بالبخيل الذكر ذكرا من أجل الطواف حوله، وهكذا تذهب النساء الى ضريح ضرار بن أزرد. وأن هذه الضلالة والغواية كانت منتشرة في أكثر أرجاء الجزيرة العربية والعالم الإسلامى.

### طبقة أهل العلم :

أما علماء المسلمين فكانوا في نوم عميق وأغلقوا باب الاجتهاد والتفكير، فبعث الله من يجدد أمر دينهم وينسج على منوال السلف ويلتزم مذهب السلف الصالح، ويكتسب العلم من منابعه الصافية، ألا وهى الكتاب والسنة، وكان إمام الدعوة يعكف على كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم - رحمهما الله تعالى.

ففى هذه الظروف والأوضاع نشأ الشيخ وترعرع وتلقى العلم وارتوى من منهل الكتاب والسنة. ثم ألقى نظرة فيما حوله فتألم كثيرا بما رأى من اعوجاج وانحراف فى العقيدة والعبادة والسلوك والعمل، فشرع عن ساقه لإصلاح ما فسد، وتقويم ما اعوج.

### عقيدته عن الإيمان :

إن عقيدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - كانت مرآة صادقة لتعاليم الإسلام الحققة، وكان يسلك فى ذلك مسلك السلف الصالح من أهل السنة والجماعة، كما يبين هو بنفسه ردا على سؤال أهل القصيم لما سأله عن عقيدته :

« أشهد الله ومن حضرني من الملائكة وأشهدكم أنى أعتقد ما اعتقدته الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، ومن الإيمان بالله، الإيمان بما وصف به نفسه في كتابه على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تحريف ولا تعطيل. »  
(القسم الخامس الرسائل الشخصية ص ٨)

قد اختلفت آراء العلماء في صفات الله تعالى، فالتكلمون من الأشاعرة يؤولون جميع الآيات القرآنية والأحاديث النبوية التي تدل على صفات الله تعالى تنزيها منهم عن التعليل والتشبه، فقالوا: إن الاستواء معناه الاستيلاء. كما أنهم قالوا في تفسير «يد الله» إن معناه النعمة أو القدرة. لكن السلف وكل من حذا حذوهم لم يوافقوهم على هذا التأويل بل آمنوا بصفات الله تعالى بدون تكيف ولا تمثيل، وبذلك قال الأئمة الأربعة أبوحنيفة، ومالك بن أنس، والشافعي، وأحمد (رحمة الله عليهم)، وهو مذهب ابن الحسن، وسعد بن معاذ مروزي، وعبدالله بن المبارك، وسفيان الثوري، والبخاري، والترمذي، وأبوداود - وغيرهم، (محمد ابن الوهاب مصلح مظلوم ص ١٣٧ نقلا عن جلاء العيينة ص ٢٢٩)، وهذا هو مسلك الشيخ محمد بن عبد الوهاب. كما يوضح ذلك في رسالة كتبها الى أهل القصيم لما سألوه عن عقيدته في صفات الله تعالى.

«أعتقد أن الله سبحانه وتعالى ليس كمثل شئ، وهو السميع البصير، فلا أنفى عنه ما وصف به نفسه ولا أحرف الكلم عن مواضعه. ولا الحد في أسماؤه وآياته، ولا أكيف ولا أمثل صفاته تعالى بصفات خلقه لأنه تعالى لاسمى له ولا كقول له ولا ند له، ولا يقاس بخلقه، فإنه سبحانه أعلم بنفسه وبغيره، وأصدق قيلا، وأحسن حديثا، فنزه نفسه عما وصفه به المخالفون من أهل التكيف والتمثيل وعما نقاه عنه النافقون من أهل التحريف والتعطيل، فقال:

« سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين - والحمد لله رب العالمين» - والفرقة الناجية وسط في باب أفعاله تعالى بين القدرية والجبرية، وهم وسط في باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدية، وهم وسط في باب الإيمان والدين بين الحرورية



والمعتزلة، وبين المرجئة والجهمية، وهم وسط في باب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الروافض والخوارج».

(القسم الخامس الرسائل الشخصية ص ٨)

يتضح من هذا الاقتباس أن الشيخ يؤمن بجميع صفات الله تعالى حسب ظاهر معناها بدون أى تأويل من نفسه وبدون أى تقييد وتمثيل من عنده، فإن مدار التأويل على الظن والقياس والاعتداد على الظن لا يصح، فإذا قال أحد إن معنى «يد الله» نعمته وقال الآخر إن معناه قدرته، لم يتوفر الاستيثاق من صحة أى من المعنيين، فالأحوط أن نحمل الآية على ظاهر معناها ولكن بدون أن نمثلها بصفات الخلق، فإن يد الله الخالق ليست كيد المخلوق، والعين النائمة ليست كعين لا تحتاج أبداً إلى النوم. لذلك سلك السلف الصالح طريق الاعتدال والاحتياط، وهذا هو مذهب شيخ الإسلام كما يقول: «وبالجمله فعقيدتنا في جميع الصفات الثابتة في الكتاب والسنة عقيدة أهل السنة والجماعة، نؤمن بها ونقر بها كما أتت مع إثبات حقائقها وما دلت عليه من غير تكييف ولا تمثيل ومن غير تعطيل ولا تبديل ولا تأويل».

(الهدية السنية ص ٩٩ بحوالة المصلح المظلوم)

عقيدته حول شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم :

وجاء في نفس تلك الرسالة التي كتبها الشيخ إلى أهل القصيم: «وأومن بشفاعة النبي صلى الله عليه وسلم وأنه أول شافع ومشفع، ولا ينكر شفاعة النبي صلى الله عليه وسلم إلا أهل البدع والضلال، ولكنها لا تكون إلا من بعد الإذن والرضى، كما قال تعالى:

( وَلَا يَسْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ أَرْتَضَى ) الأنبياء ٢٨

وقال تعالى:

( مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ) البقرة ٢٥٥

وقال تعالى:

(وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ  
يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى) (٢٦) . النجم ٢٦

وهو لا يرضى إلا التوحيد، ولا يأذن إلا لأهله، وأما المشركون فليس لهم من الشفاعة نصيب، كما قال تعالى:

(فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ) (٤٨) . المدثر ٤٨

(الرسائل الشخصية - الرسالة الأولى ص ٩ ، ١٠)

إن مسألة شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم عند الله لعصاة هذه الأمة هي مسألة قد تطرف فيها بعض طوائف المسلمين في الهند وذهبوا فيها إلى حد غير مستقيم، حيث اتكلوا عليها وتخلوا عن الأعمال - وهذه العقيدة في شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم قد دفعتهم إلى غلو الاعتقاد في الأولياء والصالحين أيضا. وهم الذين يقيمون الأعراس على قبور الأولياء والصالحين كأمثال خواجه معين الدين مجشتمى، وقطب الدين بختيار كاكى وغيره، معتقدين أن هؤلاء الأولياء يكون لهم شأن يوم القيامة عند الله تعالى، شأن يؤثر في قضائه .

ولا شك أن عقيدة شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم عقيدة حقة، ولكن الشفاعته في حقيقة الأمر لا ترد قضاء الله ولا تؤثر فيه بشئ. وهذه هي عقيدة جمهور الأمة في شفاعته النبي صلى الله عليه وسلم وعقيدة السلف الصالح من الصحابة والتابعين - وكان الشيخ محمد بن عبد الوهاب - أيضا - على هذه العقيدة اتباعا لمسلك السلف الصالح كما جاء في الرسالة .... الخ.

نظرية الشيخ بزيادة الإيمان ونقصه:

ذهب علماء الأحناف إلى أن الإيمان هو اليقين الجازم فحسب، لا صلة له بالأعمال مهما

صغرت أو كبرت. فإن الإيقان لا يتفاوت في حد ذاته، فاليقين بأن النار تحرق، لا يتفاوت بتفاوت العقل والأحوال بل كل الناس فيه سواسي، لا فرق فيه بين العربي والعجمي وبين العالم والجاهل. لذلك قالوا: إن إيمان الرجل العادي من أمة محمد صلى الله عليه وسلم يساوي إيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه .

لكن الشيخ كان يعتقد أن الإيمان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية - ولذلك كان يرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لئلا يضمحل الإيمان في قلوب المؤمنين باقتراف الجنايات والمنكرات ويزول أثره أو يبقى ضئيلا، لا ينتج عن الأعمال الصالحات إلا الإقرار باللسان .

فإنه كان يرى أن الإيمان ليس هو التصديق المجازم فحسب؛ بل هو مجموعة مشتملة على اليقين والإقرار والعمل، وبناء على ذلك إذا زاد العمل زاد الإيمان وزيادة الانهباك في الأعمال الصالحات تستلزم الزيادة في الإيمان. كما يقول الشيخ رحمه الله: «وأعتقد أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية» وهو بضع وسبعون شعبة أعلاها شعادة أن لا إله إلا الله وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، وأرى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وعن توجيه الشريعة المحمدية الطاهرة» (الرسائل).

هذا هو مذهب الشيخ - رحمه الله - ومذهب الإمام الشافعي، والإمام مالك، والإمام أحمد بن حنبل، وأكثر المحدثين والعلماء .

دعوة الشيخ - رحمه الله - دعوة العودة إلى التوحيد الخالص:

إن عقيدة التوحيد هي أساس الدعوة الإسلامية، ما من رسول أرسل إلى قومه إلا دعاهم إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله تعالى، فعقيدة التوحيد هي جوهر الدين وأصل النبوة كما ورد في التنزيل:

( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا

فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ الأنبياء ٢٥

وقد نوه الشيخ بعقيدة التوحيد في جميع كتبه ورسائله تنويعا بارزا، وكانت دعوته دعوة العودة إلى التوحيد الخالص، فكان يشرح معنى التوحيد ويبين مقتضياته للناس، ويدعو إلى رفض كل ما يخالف عقيدة التوحيد ومقتضياتها.

### معنى التوحيد ومقتضياته :

التوحيد معناه أن العبادة لا يستحقها إلا الله وحده، ولأجل الإخلاص في التوحيد لا بد أن يتجنب المرء كل عمل وقول قد توجد فيه شائبة من شوائب الشرك، وقد وفق الله الشيخ أن يبين جميع الأعمال والأقوال التي توجد فيها شائبة الشرك، ويوضح مفسده ومساويه، ويبين للناس حقيقة التوحيد وأنواعه بكل تفصيل، حتى يكون المسلم على بصيرة تامة من عقيدته ولا يدخل في أعمال الشرك جليا كان أو خفيا. أمعن النظر في العبارات التالية فإنك لا تقرأ منها سطرا إلا وتجد في نفسك لذة الإيمان الخالص الذي لا تشوبه شائبة من الشرك، وتحس أن فضاء قلبك قد صفا لقبول حقيقة التوحيد وجميع مقتضياته .

«فإن الله تبارك وتعالى أرسل محمدا صلى الله عليه وسلم إلينا على حين فترة من الرسل، فهدى الله به إلى الدين الكامل والشرع التام، وأعظم ذلك وأكبره وزيدته، هو إخلاص الدين لله بعبادته وحده لا شريك له والنهي عن الشرك، وهو أن لا يدعى أحد من دونه من الملائكة والنبيين فضلا عن غيرهم، فمن ذلك أنه لا يسجد إلا لله، ولا يركع إلا له، ولا يدعى لكشف الضر إلا هو، ولا لجلب الخير إلا هو، ولا ينذر إلا له، ولا يحلف إلا به، ولا يذبح إلا له، وجميع العبادات لا تصلح إلا له وحده لا شريك له، وهذا معنى قوله «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ» فإن المألوه هو المقصود المعتمد عليه.»

(الرسائل ص ١٢٤ - النوع الثاني)

وهذا هو تصور التوحيد الذي تدعو إليه الجماعة الإسلامية، كما بينه الشيخ المودودي في دستور الجماعة الإسلامية في مادة شرح « لا إله إلا الله ». وكذلك إذا أقيمت نظرة على الاستدلال الكلي تشعر أن إيمانك بالله يوحى إلى قلبك زوحا قويا من الاعتماد والتوكل على الله تعالى، ترتاح إليه القلوب وتهدأ به النفوس. يقول شيخ الإسلام في رسائله:

والكلام في هذا يبني على قاعدتين عظيمتين :

### القاعدة الأولى :

أن تعرف أن الكفار الذين قاتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرفون الله ويعظمونه ويحجون ويعتمرون ويزعمون أنهم على دين ابراهيم الخليل، وأنهم يشهدون أنه لا يخلق ولا يرزق ولا يدبر الأمر إلا الله لا شريك له، كما قال تعالى:

( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ  
وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدِيرُ الْأَمْرَ  
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ) (٤١)

( يونس - آية ٣١ )

### القاعدة الثانية :

وهي أنهم يدعون الصالحين مثل الملائكة وعيسى وعزير وغيرهم وكل من ينتسب إلى شيء من هؤلاء سموه إلهًا، ولا يعنون بذلك أنه يخلق ويرزق بل يدعون الملائكة وعيسى ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله، ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى، والإله في لغتهم هو الذي يسمى في لغتنا الذي فيه سر، والذي يسميه الفقهاء شيخهم يعنون بذلك أنه يدعى وينفع ويضر إلا أنهم مقرون لله بالتفرد بالخلق والرزق وليس ذلك معنى الإله بل الإله هو المقصود المدعو المرجو .

لكن المشركين في زماننا أضل من الكفار في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجهين :

أحدهما: أن الكفار إنما يدعون الأنبياء والملائكة في الرخاء، وأما في الشدائد فيخلصون لله الدين، كما قال تعالى:

(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهَ )

( الإسراء - ٦٧ )

والثاني: أن مشركي زماننا يدعون أناسا لا يوازنون عيسى والملائكة.

.. إذا عرفتم هذا فلا يخفى عليكم ما ملأ الأرض من الشرك الأكبر، عبادة الأصنام، هذا يأتي إلى قبر نبي وهذا إلى قبر صاحبي كالزبير وطلحة، وهذا إلى قبر رجل صالح، وهذا يدعوه في الضراء وفي عيبته، وهذا ينذر له، وهذا يذبح للجن، وهذا يدخل عليه من مضرة الدنيا والآخرة، وهذا يسأله خير الدنيا والآخرة، فإن كنتم تعرفون أن هذا من الشرك عبادة الأصنام الذي يخرج الرجل من الإسلام، وقد ملأ البر والبحر وشاع وذاع حتى أن كثيرا ممن يفعله يقوم الليل ويصوم النهار وينتسب إلى الصلاح والعبادة، فما بالكم لم تفشوه في الناس تبيينوا لهم أن هذا كفر بالله ومخرج من الإسلام.

(القسم الخامس - الرسائل ص ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦)

قد نقلنا هذا الاقتباسات الطويلة لأجل أن يتبين بوضوح أن شيخ الإسلام إنما بنى فكرته على كتاب الله العزيز الحكيم - وأن شدته في النكير على مظاهر الشرك - كان من مقتضيات التوحيد الخالص. ولذلك كان لا يرى المداهنة في حق الله تعالى فكلما رأى مظهرا من مظاهر الشرك الجلي أو الخفي اضطرب وشدد نكيره عليه، ثم شرح للناس معاني التوحيد ومقتضياته وبين لهم كل ما ينافيه من أقوال وأعمال. يجب التدبر في هذه الكلمات التي كتبها الشيخ - رحمه الله - إلى محمد بن سلطان.

« واعلم أرشدك الله أن الله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب لمسألة واحدة هي

توحيد الله وحده والكفر بالطاغوت، كما قال تعالى:

( وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ )

النحل ٣٦

والطاغوت هو الذي يسمى السيد الذي ينحر وينذر له ويطلب منه تفريج الكربات  
غير الله تعالى، وهذا يتبين بأمرين عظيمين :

الأول: توحيد الربوبية، وهو الشهادة بأنه لا يخلق ولا يرزق ولا يحيى ولا يميت ولا  
يدبر الأمور إلا هو وهذا حق . ولكن أعظم الكفار كفرا الذين قاتلهم رسول الله صلى  
الله عليه وسلم يشهدون به ولم يدخلهم في الإسلام، كما قال تعالى:

( قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ  
وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدْبِرُ الْأُمْرَ  
فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ )  
( يونس - آية ٣١ )

فإذا تدبرت هذا الأمر العظيم وعرفت أن الكفار يقرون بهذا كله لله وحده لا شريك  
له وأنهم إنما اعتقدوا في آهتهم لطلب الشفاعة والتقرب إلى الله، كما قال تعالى:

( وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ  
شَفَعَتُنَا عِنْدَ اللَّهِ )  
( يونس - آية ١٨ )

وفي الآية الأخرى:

(..وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ  
زُلْفَىٰ-) ( الزمر - آية ٣ )

فإذا تبين لك هذا وعرفته معرفة جيدة بقي للمشركين حجة أخرى وهي أنهم يقولون  
هذا حق ولكن الكفار يعتقدون في الأصنام، فالجواب القاطع أن يقال لهم أن الكفار في

زمانه صلى الله عليه وسلم منهم من يعتقد في الأصنام، ومنهم من يعتقد في قبر رجل صالح مثل اللات، ومنهم من يعتقد في الصالحين، وهم الذين ذكر الله في قوله عز وجل:

( أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ )

( الإسراء - ٥٧ )

يقول تعالى: هؤلاء الذين يدعونهم الكفار ويدعون محبتهم قوم صالحون يفعلون طاعة الله ومع هذا راجون خائفون، فإذا تحققت أن العلى الأعلى تبارك وتعالى ذكر في كتابه أنهم يعتقدون في الصالحين وأنهم لم يريدوا إلا الشفاعة عند الله والتقرب إليه بالاعتقاد في الصالحين، وعرفت أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يفرق بين من اعتقد في الأصنام ومن اعتقد في الصالحين بل قاتلهم كلهم وحكم بكفرهم. تبين لك حقيقة دين الإسلام وعرفت .

الأمر الثانى: وهو توحيد الإلهية أنه لا يسجد إلا لله ولا يركع إلا له ولا يدعى فى الرخاء والشدائد إلا هو، ولا يذبح إلا له، ولا يجمع بجميع العبادات إلا الله وحده لا شريك له، وأن من فعل ذلك فى نبي من الأنبياء أو ولي من الأولياء فقد أشرك بالله، وذلك النبي أو الرجل الصالح برى من أشرك به كتبرته عيسى من النصارى، وموسى من اليهود، وعلي من الرافضة، وعبدالقادر من الفقراء. وعرفت أن الألوهية هي التي تسمى فى زماننا السيد لقوله تعالى:

( وَجَلَّوْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰ أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَىٰ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ )

(١٢٨)

(الأعراف ١٢٨)



فتأمل قول بني اسرائيل مع كونهم إذ ذاك أفضل العالمين لنبيهم اجعل لنا إلهًا، يتبين لك معنى الإله ، ويزيدك بصيرة قوله تعالى :

(وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا )

( الإسراء - ٦٧ )

فيا سبحان الله إذا كان الله يذكر عن أولئك الكفار أنهم يخلصون لله في الشدائد ولا يدعون نبيا ولا وليا، وأنت تعلم ما في زمانك أن أكثر ما بهم الكفر والشرك ودعاء غير الله عند الشدائد. فهل بعد هذا البيان بيان .

(القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧)

وهذا علي بن أبي طالب لما اعتقد فيه النفع والضرر أناس في زمانه حرقهم الله مع عبادتهم، فكذلك الذين يدعون شمسًا وأمثالها وأجناسه لا شك في كفرهم .

(القسم الخامس والرسائل الشخصية ص ١٤٨)

### لماذا ألصقت به التهم :

هذه الاقتباسات تدل دلالة واضحة على أن دعوة الشيخ كانت دعوة للعودة إلى الكتاب والسنة وأنه كان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، ولم يأت بمذهب جديد في الفقه من عند نفسه. وأنه لما رأى أن كلا من أتباع أبي حنيفة، والشافعي، وغيرهما نبذوا السنة وراء ظهورهم وانتشرت البدع انتشارا مطبقا دعا الحنفيين إلى التمسك بالكتاب والسنة ورفض البدع، وكذلك دعا الشوافع إلى العمل بهما، فإن الأئمة الأربعة كانوا يبغضون تلك البدع وحذروا أتباعهم من مساوتها، لكن البدع إذا توارثتها الأجيال كابرا عن كابر التبس عليهم أمر الدين، فلما جاءهم الحق ما عرفوه، لأنه كان خلافا لعاداتهم، والنهي عن الأفعال التي يقوم بها الناس اليوم عند القبور، ثبت عن الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة لكن الناس فعلوا بقبور هؤلاء كل ما نهوا عنه. ولما نهاهم الشيخ (رح)

عن ذلك وشدد نكيره على ذلك، وبين بالدليل القاطع أن كل هذه الأفعال من محدثات الأمور يجب على المسلمين رفضها، ولكن لما لم يمتنع الناس عن هذه البدع بالدلائل والبراهين وفشلت جميع وسائل الإفهام والتفهيم، قام بتغيير هذه المنكرات بيده وجاهدهم بسيفه، وكان الشيخ يعتقد أنه من يدعى الإيمان والإسلام ولا تخلو حياته من رواسب الجاهلية الشركية، فهو حقيق بأن توجه إليه الدعوة، فإن عاد إلى الإسلام المبني على التوحيد الخالص فله ذلك، ويعد من المؤمنين، وإلا فيجب قتاله حتى يخضع لأوامر الله تعالى .

وكان الشيخ (رحم) يرى لتخليص المجتمع الإسلامي من رواسب الشرك أن يأخذ بناصية الحكم بيده حتى ينجح في القيام بتغيير المنكر بيده. وقد تسنى له أن استجاب لدعوته آل سعود الذين كانوا يمتلكون مقاليد الحكم في إمارة «الدرعية»، وبذلوا جهودهم لتنشيط حركته الإصلاحية - ثم قدر الله تعالى أن اتسعت دائرة إمارة الدرعية حتى أصبح الحرمان الشريفان تحت سيطرته. فهدم الشيخ بيده الضرائح والقباب على القبور التي كان الناس يأتونها للتبرك وقضاء الحاجات وما سوى ذلك، وهدم جميع المواطن التي كانت سببا لممارسة المسلمين الأعمال الشركية، واتخذ إجراءات مماثلة أخرى ونفذها بالقوة، فاستعرت نار الأحقاد والضغائن ضد الشيخ في الأوساط التي كانت غير متفقة مع آرائه، فأصدروا فتاوى ضده وشتموه وسبوه وبهتوه ببهتان كان الشيخ بريئا منه، ونشروا عنه شائعات وأكاذيب ودعايات مضللة .

افتراء سليمان بن سحيم

( إنكار التقليد وإبطال كتب المذاهب الأربعة ) :

إن أول من افترى على شيخ الإسلام هو سليمان بن سحيم، فإنه افترى حينما كان الشيخ على قيد حياته، فلما بلغت الشيخ تلك الافتراءات كتب ردا عليها :

« ثم لا يخفى عليكم أنه بلغنى أن رسالة سليمان بن سحيم قد وصلت إليكم، وأنه

قبلها وصدقها بعض المنتمين للعلم في جهتكم، والله يعلم أن الرجل افتري عليّ أمورا لم أقلها ولم يأت أكثرها عليّ. بالي - فمنها قوله: «أني مبطل كتب المذاهب الأربعة، أو أنني أقول إن الناس من ست مائة سنة ليسوا على شيء، وأني أدعى الاجتهاد، وأني خارج عن التقليد، وأني أقول أن اختلاف العلماء نقمة، وأني أكفر من توسل بالصلحين، وأني أكفر البوصيري لقوله يا أكرم الخلق، وأني أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها، ولو أقدر على الكعبة لأخذت ميزابها وجعلت لها ميزابا من خشب، وأني أحرم زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم، وأني أنكر زيارة قبر الوالدين وغيرها، وأني أكفر من حلف بغير الله، وأني أكفر ابن الفارض، وابن عربي، وأني أحرق دلائل الخيرات ورياض الصالحين وأسميه روض الشياطين، جوابي عن هذه المسائل أن أقول سبحانه هذا بهتان عظيم .

(القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص ١١ - ١٢)

إن هذا افتراء محض لا مساس له من الحقيقة أصلا. فإن الشيخ النجدي كان يقلد الأئمة الأربعة فيما عليه الاعتماد من أقوالهم، فإن تقليده لم يكن تقليدا أعمى بل تقليد متتبع بصير، فإذا وجد قول أحد من الأئمة موافقا للكتاب والسنة أخذ به وإلا رماه بالجدار، كما يذكر الشيخ في رسائله ردا على هذا الافتراء .

وأما ما ذكرتم من حقيقة الاجتهاد فنحن مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتماد من أقوال الأئمة الأربعة أبي حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل رحمهم الله.

(القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص ٩٦)

ويقول في موضع آخر:

أما المتأخرون أهمهم الله فكتبهم عندنا نعمل بما وافق النص منها وما لا يوافق لا نعمل به .

(القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص ١٠١)

والأصل في مثل هذا الافتراء أن الاجتهاد إذا سد بابه تعود الناس على تقليد المذاهب الأربعة وأثارها الفقهية توارثها الأجيال كإبراهيم عن كابر - فهذا جعلهم يعتقدون أن الخروج عن هذه المذاهب في مسألة ما هو الخروج عن شريعة الله ودينه، فاستغل المنتهزون هذا الجهل بالدين استغلالا بشعا، حيث أن كل من عافوه من رجال الدين وخافوا على أنفسهم ومراكزهم وامتيازاتهم من حركته الإصلاحية بسبب ازدياد نفوذها وعلو شأنها بين الناس، ضربوه بإنكار التقليد، وذلك لتغيير الناس منه، وتاريخ الدعوة الإسلامية في منتصف القرن الرابع عشر أكبر شاهد على ذلك، فكل من قام بدعوة إصلاحية ذات شأن وصادف قبولا لاتقا رعى بإنكار التقليد أولا وقبل كل شيء ثم بعد ذلك إذا صار الجو ملاتما رعى بما سواها من المفتريات. وهذا ما وقع بالحركة الإسلامية المعاصرة؛ فإن الاستاذ المودودي رحمه الله رعى بإنكار التقليد أولا فقط، ثم بعد ذلك قال المعاندون إنه يبطل كتب الأئمة الأربعة ويحط من قدرهم - ثم بعد ذلك رموه بالفسق والزيغ والضلال والكفر، لذا أرى من الضروري أن أتحدث عن مسألة التقليد ورأى العلماء الإسلاميين فيه حتى يتضح ما إن كانت آراء الشيخ النجدي والشيخ المودودي توافق آراءهم أو تخالفها.

(عرف الفقهاء التقليد بأنه العمل بقول من لا يعرف دليله) المنهاج ١٢ ص ٢٢٠)

وقد اتفق الفقهاء على أن هذا النوع من التقليد لا يجوز أن يمارسه مجتهد لمجتهد آخر، فإن الواجب على المجتهد أن يعمل بما يأتي به اجتهاده. وقد صرح بذلك المختصون من علماء الأصول في مؤلفاتهم.

لكن ماذا تكون فرعية التقليد إذا لم يكن الرجل مجتهدا ويكون عالما بالكتاب والسنة. وفوق ذلك يحمل نظرا بعيدا في الأحاديث والسنن ويستأهل تحقيق المسائل الفرعية وأحكامها في المذاهب الفقهية المختلفة ويستأهل موازنتها وترجيح بعضها على آخرها. أيلزم له أن يقلد مذهبا معينا بحيث لا يصح له الخروج عنه؟ في أي المسائل؟ أو يصح له أن يستعرض علميا جميع الفروع الفقهية ويبحث عن دلائلها فما رآها موافقا بالكتاب والسنة عمل بها.

وعلى سبيل الافتراض إن أوجب على نفسه تقليد مذهب معين، فهل يصح له الانتقال منه إلى الآخر أم لا ؟.

ثم إنه إذا لم يكن الرجل عالما بالكتاب والسنة ويكون من عامة الناس فهل يصح له الانتقال من مذهب فقهي إلى مذهب فقهي آخر أم لا ؟.

هذه هي بضعة أمور تتعلق بمسألة التقليد، ونرى من المناسب أن نشرحها في ضوء أقوال العلماء والمشايخ المقلدين. ثم نتحدث عن مسلك الشيخ النجدي رحمه الله في مسألة التقليد حتى يتضح أن مسلكه صحيح، موافق لمسلك العلماء الراسخين في العلم أم لا ؟

### بناء الخلاف - تقليد المفضول :

وقد ذهب أكثر أهل العلم إلى أن تقليد المفضول ليس بممنوع - فالانتقال من مذهب لآخر إذا كان مبناه الاجتهاد يصح، وقد رجحه المحققون من العلماء، وقد نقل إجماع الأحناف والشوافع والمالكية وأكثر الحنابلة على ذلك. فقد نقل العلامة الشامي رحمه الله تصريحات العلماء في ذلك فقال:

« اعلم أنه ذكر في التحرير وشرحه أيضا أنه يجوز تقليد المفضول مع وجود الأفضل وبه قالت الحنفية والمالكية وأكثر الحنابلة والشافعية (شامى ج ١ ص ٣٦) ثم ذكر أنه لو التزم مذهبنا معيناً كنبى حنيفة والشافعية فليلزم ويلزم لا وهو الأصح».

(شامى ج ١ ص ٤٥)

وقد اتضح من تصريحات العلماء المحققين وأقوالهم المذكورة أعلاه أن تقليد المفضول مع وجود الأفضل جائز، وكذلك اتضح منه أن الانتقال من مذهب إلى آخر ليس يائماً. وإن كان أحد قد إلتزم تقليد مذهب معين يصح له أيضا أن ينتقل منه إلى آخر.

ولكن العلماء قد اشترطوا للانتقال أموراً منها أن لا يكون الانتقال من مذهب إتباعاً

لأهواء النفس ولا يكون مقصوده الحصول على فائدة دنيوية، والشرط الثانى أن لا يكون مقصوده من الانتقال التلاعب بالمذاهب ولا الاستخفاف بأئمة الدين.

والشرط الثالث : أن لا يكون التلفيق فى الانتقال. وفى جنب ذلك يجب أن يكون الانتقال منبعثا من الاجتهاد الفكرى ومبنيا على دلائل علمية وأفكار صحيحة. فكل انتقال يستوعب تلك الشروط المذكورة أعلاه يصح وما لا فلا.

وقد كتب العلامة ابن عابدين الشامى نقلا عن التاترخانية فتوى أصدرها العلامة أبوبكر جورجاني حول مسألة الانتقال نصها:

« فى التاترخانية حكى أن رجلا من أصحاب أبى حنيفة خطب إلى رجل من أصحاب الحديث ابنته فى عهد أبى بكر الجورجاني، فأبى أن يجيبه إلا أن يترك مذهبه فيقرأ خلف الإمام ويرفع يديه عند الانحطاط ونحو ذلك فأجابه فزوجه، فقال الشيخ بعد ما سئل عن هذه وأطرق رأسه، النكاح جائز ولكن أخاف عليه أن يذهب إيمانه وقت النزاع لأنه ترك المذهب الذى هو حق عنده واستخف به لأجل جيفة منتنة. ولو أن رجلا برى من مذهبه باجتهاد وضح له كان محمودا ماجورا. أما انتقال غيره من غير دليل بل لما يرغب من عرض الدنيا وشهوتها فهو المذموم الآثم المستوجب للتأديب والتعزير لارتكابه المنكر فى الدين واستخفافه بدينه ومذهبه.»

(رد المختار ج ٣ ص ٢٦٣)

وقد نقل العلامة ابن عابدين الشامى رأى العلامة شرنيلالى حول الانتقال من مذهب إلى آخر وهو يحتوى على شرح المسألة وأكثر جوانبها، لذا ننقله بلفظه حتى تتضح حقيقة التقليد والانتقال فى المذاهب .

قال العلامة الشرنيلالى بعد ذكر فروع من المذهب صريحة بالجواز - فتحصل مما ذكرناه أنه ليس على الإنسان التزام مذهب معين وأنه يجوز له العمل بما يخالف مذهب

مقلدا فيه غيره مستجمعا شروطه، ويعمل بأمرين متضاربين في حادثتين لا تعلق لواحدة منهما بالأخرى، وليس له إبطال عين ما فعله بتقليد إمام آخر - وقال أيضا إن له التقليد بعد العمل، كما إذا صلى ظانا صحتها في مذهبه ثم تبين بطلانها في مذهبه وصحتها في مذهب غيره فله تقليده، ويجتزأ بتلك الصلاة على ما قال في البرازية، أنه روى عن أبي يوسف أنه صلى الجمعة مغتسلا من الحمام ثم أخبر بفارة ميتة في بئر الحمام، فقال إذن نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة إذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا .

( شامى ج ١ ص ٧٠ )

وتتفرع من هذه العبارة ثلاثة أمور :

أحدهما: أنه لا يجب على الإنسان تقليد مذهب فقهى معين بحيث لا يجوز له اتباع مذهب آخر في أي مسألة فرعية. بل يجب عليه أن يعمل بمذهب أى مجتهد من الأئمة الأربعة.

ثانيا: أنه يجوز الانتقال جزئيا في بعض المسائل كما يجوز كليا بشرط استيفاء الشروط.

ثالثا: أن الانتقال يجوز للعالم والجاهل على السواء، كما يدل على ذلك قول الإمام أبى يوسف : « إذن نأخذ بقول إخواننا من أهل المدينة ».

هذه التصريحات لعلماء الفقه تدل دلالة واضحة على أن تقليد مذهب معين ليس بواجب. وكذلك ليس من الضروري إذا التزم الرجل تقليد مذهب معين أن لا يخرج من مذهبه في بعض الجزئيات ويتبع فيها مذهبا آخر.

### مذهب الشوافع والمالكية في انتقال المذاهب:

قد اختلف العلماء في آراء الأئمة حول المسائل المختلف فيها، هل رأى كل أحد من المجتهدين صائب أو إنما رأى الصائب رأى واحد منهم فحسب .

فقد ذهب الإمام الشعرانى وكثير من المحققين العلماء إلى أن كل مجتهد مصيب، وليس رأى أحد منهم مبنيا على الخطأ - وتأييدا لقوله هذا قد استدلل الإمام بأدلة عديدة.

والانتقال في المذاهب من جملة تلك الأدلة: يقول الإمام الشعراني تأييدا لقوله:

« ومما يؤيد هذا الميزان عدم إنكار أكابر العلماء في كل عصر على من انتقل من مذهب إلى مذهب إلا من حيث يتبادر إلى الأذهان من توهم الطعن في ذلك الإمام الذي خرج من مذهبه لا غير. بدليل تقريرهم لذلك المنتقل على المذهب المنتقل إليه، إذ المذاهب كلها عندهم طريق إلى الجنة، فكل من سلك طريقا منها أوصلته إلى الجنة. »

( ميزان ص ٣٩ )

ونقل القرافي الإجماع من الصحابة على أن من استفتى أبا بكر وعمر وقلدهما فله بعد ذلك أن يستفتى غيرهما من الصحابة ويعمل به من غير تكبر. وأجمع العلماء على أن من أسلم فله أن يقلد من شاء من العلماء بغير حجة، ومن ادعى رفع هذين الإجماعين فعليه الدليل.

( ميزان ص ٣٩ )

وقد نقل الإمام الشعراني رأى الإمام الزناني حول الانتقال في المذاهب قائلا:

« وكان الإمام الزناني من المالكية يقول : تقليد كل من المذاهب في النوازل وكذلك يجوز الانتقال من مذهب إلى مذهب. »

( ميزان ص ٣٩ )

وبعد ذلك قد ذكر الإمام الشعراني أسماء عديد من العلماء انتقلوا من مذهب إلى مذهب آخر - منهم من انتقل من المالكية إلى الشافعية إلى الحنفية، ومنهم من انتقل من الشافعية إلى الحنفية واستمر عليه طول حياته مثل الإمام الطحاوي - وكل هذه الاجراءات من الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر جرى أمام العلماء ولم ينكره أحد ، ولم يقل أحد للمنتقلين بالرجوع إلى مذهبه السابق الذي كان عليه سابقا. وهذا يدل على أن الانتقال من مذهب إلى مذهب آخر كان أمرا جائزا وإلا لم يكن موقف العلماء منه السكوت.



وقد اتضح بما سقناه من التفاصيل أنه يصح تقليد أى مذهب من المذاهب الأربعة بدون أى تكبير على الآخر، وكذلك يصح الانتقال من مذهب إلى آخر إذا كان ذلك بسبب اجتهاد وضح له - فإن تقليد المذاهب الفقهية إنما هو وسيلة لاتباع الدين وأحكام شريعته، وليس هو الدين فى حد ذاته، لذا قال العلماء إن تقليد إمام أو مذهبه فى معنى أن يظنه بريناً من الأخطاء الاجتهادية ويقلده فى كل حال سواء كان اجتهاده موافقاً للكتاب والسنة أو مخالفاً لها ليس بجائز فى الشريعة الإسلامية - وإنما التقليد يجوز إذا لم يكن مخالفاً للأحكام الشرعية المنصوص عليها .

ويجب أن يكون التقليد بنية أن الأحكام الاجتهادية التى يتبعها هى مستنبطة من الكتاب والسنة، وإن بداله أن حكم الشريعة على خلاف ذلك يجب أن يرفضها ويتبع حكم الشريعة. فالعالم الذى أودعه الله ملكات الاجتهاد ووهبه من قوة فى الفكر وعلم فى الشريعة مما يتمكن به من التمييز بين الأفضل والمفضول وبين الخطأ والصواب، يجب عليه أن يختار من أقوال الأئمة ما يجده أقرب إلى الصواب ومؤيداً من الأدلة الشرعية. فليس بمناف للتقليد أن يقلد حنفى فى مسألة أحداً من الأئمة الأربعة غير أبى حنيفة إذا بدا له الصواب فى غيره، كما أفتى بذلك علماء الأحناف فى الهند فى مسألة مفقود الخبر على قول الشافعى. وبعد استحضار هذه الحقيقة فى الذهن اقرأ مذهب الشيخ حيث يقول:

« نحن مقلدون للكتاب والسنة وصالح سلف الأمة وما عليه الاعتاد من أقوال الأئمة الأربعة أبى حنيفة النعمان بن ثابت، ومالك بن أنس، ومحمد بن إدريس، وأحمد بن حنبل».

(القسم الخامس - الرسائل الشخصية ص ٩٦).

أى فرق نجد هنا بين تصريحات العلماء ومذهب الشيخ هذا ؟ أليس من الواضح أن مذهبه فى التقليد هو مذهب جمهور علماء الأمة من الأحناف والشوافع والحنابلى والمالكية ؟ ولكنه من أعجب العجائب أن الشيخ رمى بإنكار التقليد بنفس اتباع المذاهب

الأربعة . ويجدر بنا هنا أن نذكر أن الشيخ المودودي في العصر الحديث قد رمى بتهمة إنكار التقليد بنفس هذا الاتباع. مع أنه صرح بمسلكه في هذا الخصوص بعبارات واضحة

ليس في الإسلام تقليد غير تقليد الرسول صلى اله عليه وسلم. وتقليد الرسول صلى الله عليه وسلم وإنما يبنى على أصل أن قوله وفعله لا يكون إلا باذن الله عز وجل، فإن المطاع الأمر الحقيقي هو الله الأحد لا غيره. أما حقيقة تقليد الأئمة فهي أن الأئمة الكرام قاموا بالبحث عن أحكام الله ورسوله، وخاضوا في معانى الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، واستخرجوا منها طريقة العبادات والمعاملات التي يجب اتباعها للمسلمين، واستنبطوا من أصول الشريعة أحكاما جزئية، ولهذا ليسوا بالأميرين والناهين والمطاعين والمتبوعين في حد ذاتهم بل إنهم الذريعة الموثوق بها لحصول علم الشريعة للذين لا يعلمونها. فإنه من لا يحمل النظر البالغ في العلوم الشرعية ولا يستأهل استنباط الفروع من الأصول لا مفر له إلا أن يتبع طريقة أحد من الأئمة والعلماء الموثوق بهم لديه، فمن يقلد الأئمة من هذه الناحية فلا مجال للاعتراض عليه، ولكن إذا كان أحد يعتقد فيهم بأنهم يأمرون وينهون من عند أنفسهم ويطيع أمرهم كإطاعتهم للأمر الأصلي والناهي الأصلي، أى يعتبر أن الإعراض عن طريقة الأئمة هو الإعراض عن أصل الدين. وإن وجد في أى مسألة أن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تدل على خلاف ما هم عليه، ثم يصبر مع ذلك على اتباع إمامه في تلك المسألة، فهذا من الشرك لا شك فيه .

(رسائل السائل أول ص ١٩٠)

### إنكار التقليد وعدم الاعتراف

بخدمات الأئمة الأربعة الدينية وأهميتها :

هذه التهمة أيضا إفتراء لا أساس له من الحقيقة، فإن الشيخ المودودي كان يجب الأئمة الأربعة والسلف الصالحين حبا جما، وكان يعتقد فيهم كل خير مع الاعتراف

بخدماتهم الدينية العظيمة، وكان يقدر الأئمة الأربعة خاصة مع التنويه بشأنهم وذكر محاسنهم، فإنه يكتب عن الإمام أبي حنيفة:

« إن الإمام أبا حنيفة هو أول شخص قام بتدوين علم الشريعة تحت العناوين المختلفة المنفصلة بشكل محبوب لم يقم به أحد قبله ». (خلاف وملوكيت ص ٢٤١)

« إن الإمام أبا حنيفة هو أول شخص أثبت عقيدة أهل السنة والجماعة في مواجهة الفرق الدينية من الخوارج والمعتزلة وما إلى ذلك ولأجل ذلك ألف كتابه « الفقه الأكبر ». (خلاف وملوكيت ص ٢٣٠)

« إن أكبر صنعة صنعها الامام أبو حنيفة هو أنه قد ملأ الفراغ الهائل الذي حدث في نظام الإسلام القانوني بسبب انسداد باب الشورى بعد الخلافة الراشدة، وذلك خلد اسمه وعظمته في التاريخ الإسلامي ». (خلاف وملوكيت ص ٢٤٧)

### افتراء ادعاء النبوة وإنكار الحديث وشفاعته :

كتب الشيخ دحلان:

« كان في أول أمره مولعا بمطالعة أخبار من ادعى النبوة كاذبا، كمسيلمة الكذاب، وأسود العنسي، وطليحة الأسدي وأضرابهم، فكان يضر في نفسه دعوى النبوة، ولو أمكنه إظهار هذه الدعوى لأظهرها ». (خلاصة الكلام - ص ٢٣٩)

وكتب أيضا : وكان ينتقص النبي صلى الله عليه وسلم بعبارات مختلفة. (ص ٢٣٠)

وكتب أيضا : وأن بعض اتباعه كان يقول :

« عصى هذه خير من محمد لأنها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها » محمد قد مات» ولم يبق فيه نفع أصلا .

( ص ٢٣٠ )

وكذلك كتب: أنه كان يكره الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم ويتأذى بسماعها.

( ص ٢٣٠ )

ومثل هذه الإشاعات الكاذبة عن الشيخ انتشرت في جميع العالم الإسلامي. لكن الله يعلم أن الشيخ كان منها بريئا. يقول الشيخ في رسالته إلى ابن صباح :

« وكذلك محمد صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء ».

( ص ٥٣ )

وكذلك يقول:

« فما ذكره المشركون أنى أنهى عن الصلاة على النبي، أو أنى أقول لو أن لى أمرا هدمت قبة النبي، أو أنى أتكلم فى الصالحين، أو أنهى عن محبتهم، فكل هذا كذب وبهتان افتراه على الشياطين.

( ص ٥٢ )

ويقول فى رسالة أخرى:

« وكذلك قولهم أنى أقول من تبع دين الله ورسوله وهو ساكن فى بلده أنه ما يكفيه حتى يجىء عندى، فهذا أيضا من البهتان.»

( ص ٥٨ )

وكتب إلى عبد الله بن سحيم :

« ومن اعتقد أن لأحد طريقا إلى الله غير متابعة محمد صلى الله عليه وسلم أولا يجب عليه اتباعه، أو أن لغيره خروجا من اتباعه، أو قال أنا محتاج إليه في علم الظاهر دون علم الباطن، أو في علم الشريعة دون علم الحقيقة، أو قال إن من العلماء من يسعه الخروج عن شريعته كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، كفر في هذا كله،  
(الرسائل الشخصية - ص ٦٨)

وكتب في رسالة أخرى :

«الذي ندين به عبادة الله وحده لا شريك له والكفر بعبادة غيره، ومتابعة الرسول النبي الأمي حبيب الله وصفيه من خلقه محمد صلى الله عليه وسلم».  
(الرسائل الشخصية - القسم الخامس ص ١٠٤)

وكتب في نفس تلك الرسالة :

وأما متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم فواجب على أمته متابعته في الاعتقادات والأقوال والأفعال، قال الله تعالى :

« قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ » آل عمران ٣١

(ص ١٠٦ - الرسائل الشخصية - القسم الخامس)

أما الشفاعة فكان شيخ الإسلام يقول: إنها حق ولكن لا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى، كما قال في رسالته إلى أهل المغرب :

« فالشفاعة حق ولا تطلب في دار الدنيا إلا من الله تعالى » كما قال تعالى :

« وَأَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ »

وقال:

« وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا  
مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٦﴾ ».

(يونس آية ١٠٦ - الرسائل الشخصية - القسم الخامس ص ١١٣)

فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم وهو سيد الشفعاء وصاحب المقام المحمود وأدم  
فمن دونه تحت لوائه لا يشفع إلا بأذن الله، لا يشفع ابتداء بل يأتي فيخر ساجدا فيحمده  
بمحامد يعلمه إياها ثم يقال ارفع رأسك، وقل تسمع، وسل تعطى، واشفع.. ثم يجد له حدا  
فيدخلهم الجنة. فكيف بغيره.

(ص ١١٣)

وأما ما صدر من سؤال الأنبياء والأولياء الشفاعة بعد موتهم وتعظيم قبورهم ببناء  
القباب عليها والسرج والصلاة عندها واتخاذها أعياداً وجعل السدنة والنذور لها، فكل  
ذلك من حوادث الأمور.

(الرسائل الشخصية - القسم الخامس - ص ١١٣)

وهنا يجدر بنا أن نذكر أن مثل هذه الافتراءات قد اختلقها المعاندون من عند أنفسهم،  
بهتوا الشيخ المودودي بإنكار عصمة الأنبياء بدون أن يشعروا بمسئوليتهم عند الله يوم  
القيامة ، وأن عقيدة الشيخ المودودي عن الأنبياء كما بينه هو بنفسه هي كما يلي :

«إن مسألة عصمة الأنبياء هي مسألة أساسية وقبلنا وقبلكم قد اهتم بها الله تبارك  
وتعالى الذي بعثهم باستتباب ثقتهم بين الناس - لكن الله تعالى هو بنفسه قد ذكر في  
كتابه زلات عديد من الأنبياء أوجبت تنبيههم عليها ومواخذتهم بها. إلى جانب ذلك  
يوحي الله بنفسه إلى قلوبنا الاطمئنان في كتابه بأنه لا يترك الأنبياء أن يستمروا في  
زلاتهم بل اهتم بإصلاح تلك الزلات على الفور، ولأجل هذا قد بين لكم علماء الأصول  
في كتبهم بأن الزلات والخطأ في الرأي يمكن صدورهما من الأنبياء، لكن لا يمكن

استمرارهم في البقاء عليها لأن الله تعالى قد أخذ على نفسه المسئولية عن إصلاحهم.  
(راجع أصول السرخسي ج ١ ص ٢١٨ ج ٢ ص ٨٦٥)

وإذا وضعت هذه الحقيقة أمام أعينكم أن تدركوا أن ذكر الزلات لا يضر بثقة الأنبياء، بل هو مما يوضح الفرق بين العبد وربه ولا يترك لأحد أن يصف تلك الشخصيات المختارة الممتازة بصفات الله تبارك وتعالى.

(ترجمان القرآن ج ٤٦ عدد ٣ رمضان ١٣٧٥ هـ)

وبعد ذلك يقول الشيخ المودودي :

إن الله تبارك وتعالى يراقب الأنبياء دوما ويرعاهم بصفة خاصة.

«وبعد ذلك يبين القرآن أن الله تبارك وتعالى لم يعط الأنبياء الحكمة وفصل الخطاب

والبصيرة النافذة والنظر البعيد والرأى الناقد فحسب، ولكنه يراقبهم دوما ويرعاهم

ويحفظهم من الوقوع في الخطيئات و يقيهم الضلالات، سواء أكانت هذه الخطيئات

بأسباب إنسانية أو لوساوس شيطانية أو باقتضاء النفس. حتى أنهم لو أخطأوا في

اجتهادهم بمقتضيات البشرية فالله تعالى يصلحهم على الفور.»

(تفهيمات أول ص ٢٥٠)

ويقول في موضع آخر :

« وما ذكره القرآن الكريم من زلات لخاتم الرسل وغيره من الأنبياء ليس الغرض منه

التقليل من ثقة الناس بالأنبياء بل الغرض منه هو إيضاح أن الله تعالى لم يتركهم أحراراً

لاتباع الأهواء والسير على آرائهم واجتهاداتهم البشرية بل فرض عليهم الالتزام بأوامره

والابتعاد عما يخالف مرضاته في جميع شئون الحياة.»

(تفهيمات أول ص ٢٦٣)

ويقول في موضع آخر :

« وبسبب كون النبي صلى الله عليه وسلم قائم بمنصب الرسالة والنبوة يلزم له أن

يكون اجتهاده مطابقاً لوحى الله مطابقة كاملة، وأنه إذا لم يفهم إشارات الوحي الخفى

وتجاوز عن مرضاة الله تعالى قيد شعرة فمن الضروري أن يصلحه الله تعالى.

### تكفير المسلمين وقتالهم:

وبهت المعاندون الشيخ وأتباعه بأنهم يكفرون المسلمين بالعموم ويقاتلونهم، وهذه التهمة قد ألصقت بالشيخ في حياته فكتب ردا عليها :

أما القول: أنا نكفر بالعموم فذلك من بهتان الأعداء الذين يصدون به عن هذا الدين ونقول سبحانه هذا بهتان عظيم.

(الرسائل ص ١٠١)

والحق أن الشيخ كان على مذهب الإمام أحمد بن حنبل. والحنابلة قائلون بتكفير تارك الصلاة، وهو مسلك مشهور في كتب الحنابلة.

أما عباد القبور فالشيخ يقول: إن إتمام الحجة عليهم شرط، وبناء على ذلك كان لا يكفر المسلمين بالعموم.

«ومن جملة هذه الأكاذيب ما ذكره.. أن الشيخ يسفك الدماء وينهب الأموال ويتجرأ على قتل النفوس، وتكفير الأمة المحمدية في جميع الأقطار وهذا كله كذب».

(محمد بن عبد الوهاب «مصلح» مظلوم تيرثة الشيخين الإمامين ص ٨٢ - ٨٣) ولكن بعد قيام الحجة والتبليغ يكفرونهم ويرون وجوب قتالهم.

« فلم يكفر رحمه الله إلا عباد الأوثان من دعاة الأولياء والصالحين وغيرهم ممن أشرك بالله وجعل له أنداداً بعد إقامة الحجة عليهم وبعد أن بدأه بالقتال ، فحينئذ قاتلهم وسفك دماءهم ونهب أموالهم ومعه الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة » .

(محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ص ١٦٤ )

ويقول الشيخ :

فهذا هو الذي أوجب الاختلاف بيننا وبين الناس حتى آل بهم الأمر إلى أن كفرونا وقاتلونا واستحلوا دماءنا وأموالنا حتى نصرنا الله عليهم وظفرونا بهم، وهو الذي ندعو



الناس اليه ونقاتلهم عليه بعد ما نقيم عليهم الحجّة من كتاب الله وسنة رسوله وإجماع السلف الصالح من الأئمة متمثلين لقوله سبحانه وتعالى:

« وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةً وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ ».

البقرة ١٩٣

فمن لم يجب الدعوة بالحجة والبيان قاتلناه بالسيف والسنان، كما قال تعالى:

« لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ  
النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ  
اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ».

الحديد ٢٥

هذه عصارة مذهب الشيخ يتبين منها أنه كان لا يفرق بين الشرك في الأعمال وبين الشرك في الاعتقاد، ولكنه لا يحكم بتكفير المسلمين إن أتوا بأعمال الشرك إلا بعد إتمام الحجّة عليهم وتوجيه الدعوة والتبليغ اليهم.

### هدم قبة النبي صلى الله عليه وسلم

وقد اختلف المختلقون أن الشيخ يريد هدم قبة النبي وقد هدمها سعود بن عبدالعزيز ابن محمد بن سعود - وقد ذكر الشيخ هذا الاتهام في رسائله ورد عليه قائلا: إن هذا مما افتراه عليه سليمان بن سحيم حيث قال عنى:  
« انى أقول لو أقدر على هدم قبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمتها. جوابى عن هذه المسائل أن أقول سبحانهك هذا بهتان عظيم ».

(الرسائل ١٢)

هذه نبذة عن الدعوة الإسلامية التي قام بها الشيخ في جزيرة العرب، وبذل جهوداً جبارة لتجسيدها، وعانى ما عانى من عداوة المعادين من المسلمين وعملاء الاستعمار

الأوربي، وضحي بكل غال ونفيس في سبيلها، فكلل الله مساعيه بالنجاح.  
فكل من يستعرض هذه الدعوة، والأوضاع والأحوال التي تعرضت لها، يكون على  
بصيرة من أن الدعوة مهما كانت صحيحة ونافعة لا بد لها أن تجد في طريقها من العراقيل  
من جهات عديدة، ولكن إذا كان حاملو لوائها مخلصين لله مجاهدين في سبيله متمسكين  
بالكتاب والسنة في سلوكهم ومعاملاتهم وفي نشر الدعوة فلا بد أن يكون النجاح حليفهم  
إن شاء الله.

ومن دواعي السرور أن الدعوة الإسلامية التي قام بها الشيخ في الجزيرة أصبحت  
اليوم دعوة عالمية، فالحركات الإسلامية في الدول الإسلامية وغير الإسلامية في آسيا  
وأفريقيا وأوروبا وأمريكا خير شاهد على ذلك.

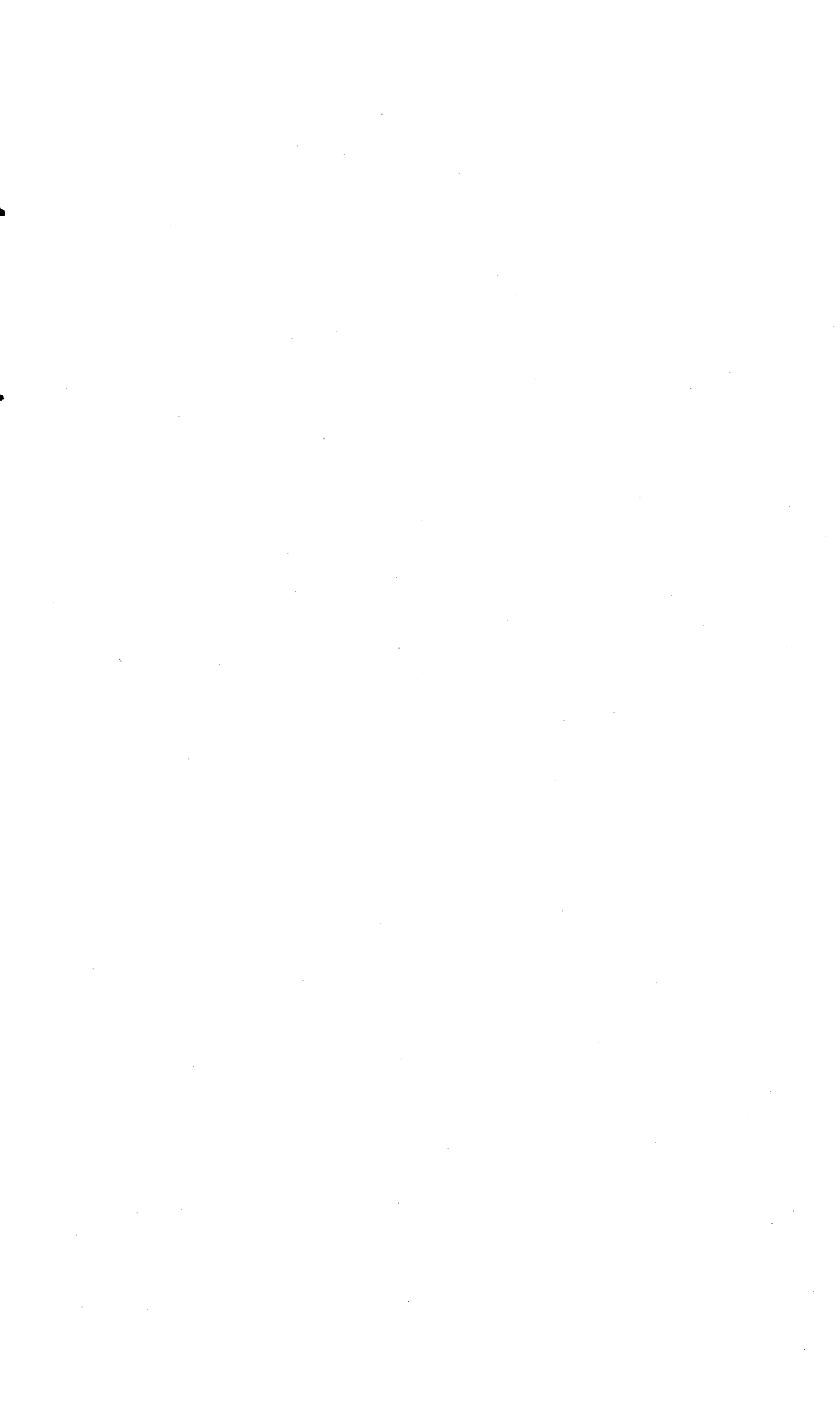
ومن هنا يعلم كل من له أدنى إلمام بالدعوات الإسلامية أن الحركات الإسلامية في  
العالم اليوم لا بد لها أن تتعرض لما تعرضت له دعوة الشيخ في عصره، ولكن إذا قام  
الدعاة وحاملو لوائها وثبتوا وصبروا وصابروا وصمدوا صمود الشيخ يكون النجاح  
حليفهم في الدنيا والآخرة .

وأخراً نسأل الله أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه لخدمة الإسلام والمسلمين، وآخر  
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



تأثر الدعوات الإصلاحية بدعوة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب



تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية  
بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

للدكتور وهبه الزهيلي

أستاذ الفقه الإسلامي وأصوله

كلية الشريعة - جامعة دمشق



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد:-

فإن الامم كالأفراد يعترها أحيانا فترات من الضعف والتخلف وتغمرها غاشية من الغفلة والركود، وتشيع في أرجائها مظاهر ساذجة من الجاهلية غير عقلية ولا ناضجة وتصرفات رعاء للعمامة الذين قد يؤثرون في تفكير الخاصة، فتترك الأمة العمل بالجواهر النقى، وتقع عن تحقيق الغاية والهدف، وتعنى بالقشور والمظهر الأجوف، حتى يكاد يصبح ذلك المظهر الهش من الدين والدين منه براء، ويعظم نشاط أهله، حتى لكأنهم يمثلون الدين، وهم عن الدين الحقيقي بعداء.

وإذا ماتكم ناصح، أو تألم مخلص، أو اندفع غيور يدافع عن حرمة الله، سرعان ما اتهمه العوام والسطحيون - وهم مع الأسف أكثرية - بالمروق.. والشذوذ والعمالة لفئة ما، وعدّوا أنفسهم أهل الملة، وسدنة الشريعة وحماة الإسلام.

وعلى هذا النحو مرت بالمسلمين في فترة ضعف الخلافة العثمانية وما قبلها أزمنة حجب فيها صفاء الإسلام وبساطته ونقاؤه وجوهره وقوته الحقيقية، ونضب في ديارهم مظهر التقدم الفكرى أو الصناعى، مع أن سبل النهضة الشامل، وصرح التصنيع الآلى الكبير فى العالم قد قطع أشواطاً بعيدة، وسجل أروع نتاج وأثمر أخصب عطاء.

ولكن فضل الله على أمة الإسلام كبير، إذ حفظ للمسلمين أصول الشريعة فى



القرآن والسنة الصحيحة، حتى تظل الشريعة حجة على العالم، وحكما فصلا في التنازع البشري، فلا تتعكر بانحرافات الناس، وبخاصة العوام، ولا تتأثر بمؤثرات الزمان، حفظا لشعلة الحق أن تنطفئ، ولبليزان العدالة أن ينخفض، ولبرج الصلاح أن ينهدم وينهار: «لاتزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله»<sup>(١)</sup>.

وفي سبيل الحفاظ على الوحي الإلهي الأخير، يهيبى الحق تبارك وتعالى صوت الإصلاح الداوى بين الحين والآخر، وإن صاحبه بعض الأخطاء، لأن المصلح بشر، لتعهد الله عز وجل بحفظ الذكر المبين، فتثير حركة الإصلاح رعب الجبناء، وتقض مضاجع الأدعياء، وتهز أركان الجهل وكيان الجهلة، وتزلزل مواقع النفعيين: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة، على رأس كل مائة سنة، من يجدد لها دينها»<sup>(٢)</sup>.

فيشرق وجه الحياة الأنضر من جديد، وترسو سفينة الإيمان في بر الأمان والاستقرار عند المتعقلين الواعين، وتتضح الرؤية التي عتمتها غياهب الظلام، ويصحو الغافلون، ويتيقظ الراقدون.

ومما لا شك فيه، إنصافا للحقيقة، لا لإرضاء أحد، وعملا بمبدأ القرآن العظيم: «ولا تبخسوا الناس أشياءهم» كان من أجراً أصوات الحق، وأكبر دعاة الإصلاح، والبناء والجهاد لإعادة تماسك الشخصية الإسلامية وإعادتها لمنهج السلف الصالح: دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في القرن الثاني عشر الهجري (الثامن عشر الميلادي) لتجديد الحياة الإسلامية، بعد ماشابها في أوساط العامة من خرافات، وأوهام، وبدع، وانحرافات، فكان ابن عبد الوهاب بحق، زعيم النهضة الدينية الإصلاحية المنتظر، الذي صحح موازين العقيدة الإسلامية الناصعة، وأبان حقيقة الوحدانية والوحدة والتوحيد الخالص لله عز وجل، وأن العبادة هي التوحيد، وحول الشرايع رأساً على عقب، للعمل الكامل بالقرآن

(١) رواه الحاكم عن عمر، وابن ماجه عن أبي هريرة، ورواه غيرها، وهو حديث صحيح متواتر (الجامع الصغير، نظم المنتائر في الحديث المتواتر للشيخ جعفر الكتاني: ص ٩٣).

(٢) رواه أبو داود والحاكم والبيهقي في المعرفة عن أبي هريرة، وهو حديث صحيح.

والسنة ونبد مظاهر الترف والبدع، وتحطيم ما علق بالحياة الإسلامية من أوهام، والعودة إلى الحياة الإسلامية الأولى المبسطة التي لا تعرف غير الجهاد الدائم منهجا، وقصد مرضاة الله مسلكا، والتزام أخلاق الإسلام قانونا ومظهرا، وبرز دور العقل والفكر، والمجد والعلم والاجتهاد فيما لانص فيه أو ما فيه نص ظني، بغية تقدم الأمة، وتصحيح مسار حياة العامة التائه أحيانا، لأن دين الإسلام لا يعرف الخرافة والجهل والضلالة، فكانت أعمال ابن عبد الوهاب وثبة جبارة، وقفرة رائعة لتصحيح خطأ الناس في العقيدة والعبادة، في وسط شوهدت فيه مبادئ الإسلام ومناهجه.

### وخطة البحث هي كما يأتي:

#### المطلب الأول:

من أين استمد ابن عبد الوهاب مبادئه، أو كيف تم تكوينه الشخصي، وكيف كان طريق الوثبة الإصلاحية عنده؟

#### المطلب الثاني:

أصالة المبادئ التي دعا إليها محمد بن عبد الوهاب وإسلاميتها.

#### المطلب الثالث:

آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي أو انعكاساتها الصريحة المباشرة وغير المباشرة.

## المطلب الأول

من أين استمد ابن عبد الوهاب مبادئه، أو كيف تم تكوينه الشخصي، وكيف كان طريق الوثبة الإصلاحية عنده؟

الإمام احمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ) هو المثل أو الرائد الأول للشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠٦هـ/١٧٠٣ - ١٧٩١م). فقد كان حنبلي المذهب، متأثراً بابن حنبل إمام الحديث في عصره، وفي عنايته بالسنة النبوية واتباعها، واستنباط الفقه العملي منها، وتوفيقه البارع بين النصوص الشرعية وبين مراعاة المصالح الزمنية، وسد الذرائع المتخذة سبيلاً للحرام، وفي جهاده وصبره على البلاء، وتحمله لسع الشياطين في محنة خلق القرآن<sup>(٣)</sup> في عهد المعتصم، وفي غير ذلك من الآراء في العقائد، كالحكم بعدم تكفير مرتكب الكبائر من أهل التوحيد، وأن الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص والإيمان المطلق بالقضاء والقدر، خيره وشره، والاعتقاد بصفات الله تعالى كما وردت دون تأويل ولا تشبيه ولا تعطيل ولا كيف.

والتصديق برؤية الله تعالى يوم القيامة، معتمداً كباقي الفقهاء والمحدثين على الكتاب والسنة، لا العقل المجرد<sup>(٤)</sup>.

وقد تعلم ابن عبد الوهاب دروسه الأولى على فقهاء الحنابلة، في مسقط رأسه ببلدة «العيينة» ثم تابع تحصيله العلمي في المدينة والحجاز والبصرة.

(٣) يقرر ابن تيمية : أن مذهب احمد هو أن القرآن غير مخلوق، ولا يقول : انه قديم، بل هو حادث بحدوث التكلم من الله سبحانه وتعالى بمشيئته وإرادته عندما يتكلم، وأنزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلامه بالروح الأمين : جبريل (ابن حنبل لاستاذنا الجليل المرحوم محمد أبو زهرة : ص ١٤٠)

(٤) ابن حنبل للشيخ ابو زهرة: ص ١٤٤ .

وظهر بدعوته الجديدة، بعد أن اكتسب من سياحاته عقلا جديدا، ونظرا ثاقبا. (٥).

وكان المعلم الثانى الذى أثر فى تكوين شخصية ابن عبد الوهاب هو الفقيه السورى الجرىء الذى أحسن التعبير عن آراء الحنابلة، وهو تقى الدين احمد بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨) وتلميذه ابن قيم الجوزيه (٦٩١ - ٧٥١هـ) فقد درس هذا المصلح كتب ابن تيمية فى الاعتقاد والفقه، وأمعن فى فهمها وأمن بما جاءت به، لاعتقاده أنها تمثل السنة النبوية، وأن مذهبه فى العقائد هو مذهب جمهور المسلمين، فهو يمنع التقرب بالموتى ولو كانوا من أهل الصلاح والتقوى فى حياتهم، وكان مذهبه فى الفقه اتباع كتاب الله، وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وقامت نواة الدولة السعودية الصغيرة التى تأسست بالتعاون بين ابن عبد الوهاب ومحمد بن سعود فى الدرعية، وفيها التحقيق العملى لآراء ابن تيمية فيما يتعلق بزيارة الأضرحة، وقبور الصالحين، بل قبر النبى صلى الله عليه وسلم، ومحاربة البدع بكل قوة، وإحياء السنة بالأعمال حتى عادوا بالإسلام «المطهر» الى سيرته الأولى لدى السلف الصالح الأبرار، دون بدع ولا خرافات، لأن البدع تمزق وحدة المسلمين وجماعتهم، وتذهب بجمال دينهم (٦).

وما زالت المملكة السعودية منذ إعادة تكوينها عام ١٩٢٥م تطبق شريعة الإسلام، وتنفذ بالفعل آراء ابن عبد الوهاب فى قمع البدع، وعدم الغلو بالصالحين والتبرك بأثارهم،

(٥) زعماء الإصلاح فى العصر الحديث للاستاذ احمد امين : ص ١٠، دائرة المعارف لفرید وجدى : ٨٦٩/١٠ ومابعدها، الاسلام فى القرن العشرين للعقاد : ص ١٠٢ ومابعدها.

(٦) ابن حنبل لابی زهرة : ص ٤٠١، وابن تيمية لابی زهرة ايضا : ص ٥٣٠، العقيدة والشريعة لمجولد تسيهر : ص ٢٦٧، تاريخ الشعوب الاسلامية لبروكلمان : ١٩/٤، الكلام والفلسفة للدكتور عادل العوا : ص ٤٩، الفكر الاسلامى الحديث وصلته بالاستعمار الغربى للدكتور محمد البهى : ١٦٣ ومابعدها، زعماء الإصلاح فى العصر الحديث : ص ١٣، دائرة المعارف لفرید وجدى : ٨٦٩/١٠، وجهة العالم الاسلامى للاستاذ مالك بن نبي : ٤٩.

ولكنها أخذت بأساليب ووسائل المدنية الحديثة النافعة، مما يدل على حيوية هذه الدعوة وأصالتها وانطوائها على عناصر الحياة المتجددة ومقومات النمو والازدهار والتقدم.

وجهر ابن عبد الوهاب بدعوته سنة ١١٤٣هـ/١٧٣٠م، فأمر بالمعروف، ونهى عن المنكر، فكانت دعوته الشعلة الأولى لليقظة الحديثة في العالم الإسلامي كله<sup>(٧)</sup>، وقد وجه اهتمامه لمسألة التوحيد التي هي عماد الإسلام والتي دخلها الفساد لدى كثير من الناس، فالتوحيد أساسه ألا يعبد إلا الله وحده بجميع أنواع العبادة، وهذا هو معنى لا إله إلا الله.

فمعنى «لا إله إلا الله»: أنه ليس في الوجود ذو سلطة حقيقية تسير العالم وفقا لقوانينه التي وضعها إلا هو، ولا يستحق العبادة والتعظيم إلا هو.<sup>(٨)</sup>

وكان توفيقا إلهيا عجيبا لابن عبد الوهاب، ذلك التلازم بين الدعوة الجديدة وقيام الدولة السعودية، فقد ناصره وحماه وتبنى آراءه أمير الدرعية، محمد بن سعود سنة ١١٦٠هـ/١٧٤٤م الذي استطاع إخضاع أكثر إمارات نجد لسلطته، وأتم ابنه عبد العزيز والد سعود وفضل توحيدها، وإقامة الدولة السعودية في نجد والحجاز في النصف الثاني من القرن الثامن عشر.<sup>(٩)</sup>

وقد تم التعاهد بين ابن عبد الوهاب وابن سعود على النصرة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بصيغة كانت تستعمل بين عرب الجاهلية «الدم بالدم... والهدم بالهدم» أى دمی دمک، وهدمی هدمک..

وكان من أهم مقومات نجاح ابن عبد الوهاب : أنه كان قوى التأثير في أصحابه

(٧) الاعلام للزركلي : ١٣٧/٧، الاسلام في القرن العشرين للعقاد : ص ١٠٣

(٨) زعماء الاصلاح في العصر الحديث ل احمد أمين : ص ١٠ وما بعدها.

(٩) نظام الاسلام للدكتور وهبه الزحيلي : ص ٤٩١، الاسلام في القرن العشرين : ص ١٠٥.

جذاب الحديث، قادرا على إلهاب نار الحماسة في قلوب أعوانه، وعلى استئثار محبتهم العارمة للحرب في سبيل قضيته. (١٠).

وقد أضاف لمبادئ وأفكار ابن تيمية مجهودا خاصا، تجلّى في تأكيده الحرب ضد البدع.

وقد دعمه الزعيم محمد بن سعود، فقام بمغامرات حربية لإقافة السنة الصحيحة (١١) وإعادة تها، ولحرص ابن عبد الوهاب الشديد على مبدأ التوحيد، وتطهير المجتمع الإسلامي من شائبة الشرك والبدع، سمي هو وأتباعه ب «الموحدين».. أو «أهل التوحيد» «إخوان من أطاع الله» أو «أهل الفرقة الناجية».. وساهم خصومهم بالوهابيين نسبة إليه، وشاعت التسمية الأخيرة بين الناس،... وبخاصة الأوربيين، وأخطأ بعضهم فجعل هذه الحركة الإصلاحية «مذهبا» جديدا في الإسلام، تبعوا لما افتراه خصومهم، ولا سيما الترك العثمانيون (١٢) بل وأطلق عليهم اسم «الخوارج»، ومنهم من جعلهم كالروافض والبابية (١٣).

ولقد حوصرت هذه الحركة حصارا شديدا، واستخدمت الدولة العثمانية والى مصر محمد على باشا الكبير، أداة للقضاء على الوهابيين، فحاربهم بجيش قوى من الفرسان بقيادة ابنه «طوسون» فكانت الحرب بينهم سجالا، ثم انتصر عليهم، وفتح المدينة في تشرين الثاني سنة ١٨١٢م، وبعد شهرين في كانون الثاني من العام التالي سلم الشريف غالب مكة الى المصريين، وفي الصيف استطاع هؤلاء أن يحتلوا الطائف أيضا (١٤).

(١٠) تاريخ الشعوب الإسلامية، بروكلمان : ٢٠/٤

(١١) العقيدة، والشريعة، جولد تسيهر : ص ٢٦٧

(١٢) الأعلام للزركلي : ١٣٧/٧، زعماء الإصلاح : ص ١٠

(١٣) جولد تسيهر، المرجع السابق : ص ٢٦٩، دائرة معارف وجدي : ٨٧٢/١٠ والبابية: أتباع سيد على محمد

المولود في بوشير في إيران سنة ١٨٢١، ادعى اولا نزول الوحي الالهي عليه، وأنه المهدي المنتظر الذي بشر النبي بظهوره ثم دعا نفسه بأنه «المرأة» التي بها يشاهد الله نفسه (بروكلمان : ١٦٠/٤ وما بعدها)

(١٤) بروكلمان : ٢٢/٤ وما بعدها، دائرة معارف وجدي : ٨٧٠/١٠ وجهة العالم الإسلامي : ص ٤٩-الجبرتي في

مقال جلال الكشك في مجلة الحوادث عدد ١١٧٤

وتجددت الحرب في آب سنة ١٨١٦م: فأرسل محمد على ابنه بالتبني ابراهيم باشا الكبير، فسار من القاهرة، وحاصر الدرعية في نيسان سنة ١٨١٨م واشتد الحصار، حتى اضطر في ٩ أيلول سنة ١٨١٨م الأمير عبد الله بن سعود الى الاستسلام.<sup>(١٥)</sup>

ويلاحظ أن هذه الحروب التي شنت على جماعة هذا المصلح والأوصاف التي أطلقت عليهم، كانت ذات هدف سياسي لا ديني، ومن أجل مصالح اقتصادية ولتحقيق نفوذ وسيطرة العثمانيين، ودفاعا عن مصالح شريف مكة - الشريف غالب، وليس عن الإسلام أو المسلمين، ولا غيرة على الدين، ولا نصرة للحرمين، والسبب ان كراسة ابن عبدالوهاب كانت أول منشور مكتوب على نطاق العالم العربي لشرح أهداف ومبادئ حركة ثورية ضد السلطة العثمانية<sup>(١٦)</sup>.

لذا لم تلق الدعوة الوهابية نجاحا كبيرا خارج جزيرة العرب، لقيام ألوان متعددة من الدعايات المغرضة ضدها، ولتعلق المسلمين بالخلافة الإسلامية رمز الوحدة الإسلامية.

وقد أدت هذه الدعاية في أوساط المسلمين الى استنكار وصف «الوهابية» و«الوهابي» حتى بين المشتغلين بالعلوم الشرعية، ومحاولة التبرؤ من ذلك إخلاصا للإسلام!!

وذلك لاريب تمزيق للوحدة الواجبة بين المسلمين، وتحطيم لمبدأ التعاون المفروض عليهم، ولون من ألوان الجهل والسطحية والتسرع في إصدار الأحكام، فما أسرع مبتدئة العلوم الشرعية مثلا بوصف كاتب أو متحدث بأنه ملحد زنديق!!

كما أن من هدف الغربيين تفرقة المسلمين من ناحية العقيدة.

(١٥) بروكلمان : ٢٦/٤٠، الجبرتي في مقال جلال الكشك في مجلة الحوادث عدد ١١٧٦

(١٦) الجبرتي في مجلة الحوادث عدد ١١٧٤ : ص ٦٨، ٧١.

## المطلب الثاني

### أصالة المبادئ التي دعا إليها محمد بن عبد الوهاب وإسلاميتها

إن كل منصف مخلص، متجرد واع لمبادئ الإسلام وأحكامه، لا يجد في دعاه إليه المصلح محمد بن عبد الوهاب الداعية الكبيرة أى انحراف أو مجافاة أو مصادمة لما جاء به الإسلام، وإنما دعوته تمثل مبادئ الشرع الأصلية، وهى إسلامية روحا ودما ونزعة ومظهرا، فهى ليست بدعا فى الإسلام، ومزيتها - على حد تعبير الدكتور عبد الله بن تركى مدير جامعة محمد بن سعود الإسلامية<sup>(١٧)</sup> - لا تتمثل فى شىء جديد فى مبادئها، ومادعت إليه، فإنها لم تأت بجديد، ولا جديد فى الإسلام، فهو أحكام ووحى نزل من عند الله تبارك وتعالى على محمد صلى الله عليه وسلم... ولم يبق بعد وفاته أمام أمته وأتباعه إلا اقتفاء أثره، والاستمسك بالمحجة البيضاء التى ترك الأمة عليها.

ويتضح ذلك فيما تتلخص به آراء ابن عبد الوهاب الأساسية<sup>(١٨)</sup> :

- ١ - الرجوع بالإسلام الى ماكان عليه فى الصدر الأول .
- ٢ - تخليص التوحيد مما شابه من شرك .
- ٣ - إنكار التوسل الممنوع شرعا بالأولياء والصالحين .
- ٤ - طرح البدع والخرافات .

(١٧) من تقديم لمؤلفات الشيخ الامام محمد بن عبد الوهاب - ملحق المصنفات : ص ١  
(١٨) حاضر العالم الاسلامى للدكتور محمود محمد زيادة : ٢٢ ومابعدها، دائرة معارف وحيى : ٨٦٩/١٠ ومابعدها، الاتجاهات الحديثة فى الاسلام.. للمستشرق الانجليزى جيب : ص ٥٧، ٦٣ ومابعدها، ذيل الملل والنحل : ص ٥٧، معالم الثقافة الاسلامية للدكتور عبد الكريم عثمان : ص ٥٣٦ - ٥٤٠ وانظر أيضا بالفرنسية : مقال مرجليوث فى دائرة المعارف الاسلامية : ١١٤٤/٤، النسخة الفرنسية، وكتاب الدكتور هنرى لاوست «معاملة حول أفكار ابن تيمية السياسية والاقتصادية والاجتماعية ص ٣٢ - ٣٣» مقال رايح جمعه فى مجلة الفيصل عدد ١٥ ص ٨٠)



وكان من أبرز معطيات «الوهابية» في عملين كبيرين :

أولهما : أنها فتحت باب الاجتهاد في الفروع بعد أن ظل مغلقا منذ سقوط بغداد في سنة ٦٥٦هـ

وثانيهما : ضرورة القيام بواجب الجهاد، وإحياء هذه الفريضة التي أصابها الوهن، فكانت «الوهابية» ثورة عارمة على الاستبداد والضعف والانحلال الذي آل إليه العالم الإسلامي<sup>(١٩)</sup>.

ولقد أعلن الإمام ابن عبد الوهاب مبادئه فقال (٢٠) :

اعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة :

الأول : الشرك في عبادة الله وحده لا شريك له، والدليل قوله تعالى :

ج «إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»

(النساء: ٤٨)

ومنه الذبح لغير الله كمن يذبح للجن أو القباب.

الثاني : من جعل بينه وبين الله وسائط، ويدعوهم ويسألهم الشفاعة ، كفر إجماعا.

الثالث : من لم يكفر المشركين، أو شك في كفرهم، أو صحح مذهبهم، كفر إجماعا.

الرابع : من اعتقد أن غير هدى النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذين يفضلون حكم الطاغوت على حكمه، فهو كافر.

الخامس : من أبغض شيئا مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو عمل به، كفر إجماعا، والدليل قوله تعالى :

«ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَلَهُمْ»

(محمد: ٩)

(١٩) العالم الاسلامى والاستعمار الثقافى للاستاذ انور الجندى ص : ٧٠

(٢٠) مؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب، القسم الخامس - الرسائل الشخصية : ص ٢١٢

السادس : من استهزأ بشيء من دين الله أو ثوابه، أو عقابه، كفر، والدليل قوله تعالى :  
 « قُلْ أَلَا لِلَّهِ وَإِيَّاهُ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ  
 بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ۗ »  
 (التوبة : ٦٥ ، ٦٦)

السابع : السحر، ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضى به كفر، والدليل قوله تعالى :  
 « وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرُ ۗ »  
 (البقرة : ١٠٢)

الثامن : مظاهره المشركين، ومعاونتهم على المسلمين، والدليل قوله تعالى :  
 « وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَمَا آوَىٰ إِلَيْهِمْ فَإِنَّهٗ مِنْهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۗ »  
 (المائدة : ٥١)

التاسع : من اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه صلى الله عليه وسلم، وأنه يسعه الخروج من شريعته، كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى عليها السلام، فهو كافر.

العاشر : الإعراض عن دين الله، لا يتعلمه ولا يعمل به، والدليل قوله تعالى :  
 « وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا ۗ إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ۗ »  
 (السجدة : ٢٢)

ولا فرق في جميع هذه النواقض بين الهازل والجاد، والخائف إلا المكره وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلم أن يحذرهما، ويخاف منها على نفسه، نعوذ بالله من موجبات غضبه، وأليم عقابه، وصلى الله على محمد.

ويحسن بإيجاز استعراض آراء الداعية ابن عبد الوهاب، كل رأى أو مبدأ على حدة،  
لنعلم مدى أصالته، ومطابقتها لدعوة الإسلام الأولى :

## ١ - الرجوع بالإسلام إلى ما كان عليه في الصدر الأول :

يعلم كل مسلم يقينا وبداهة أن السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم في  
القرون الثلاثة الأولى الذين شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم بالخيرية، هم صفة  
المسلمين الذين صنعوا - بتأييد الله - تاريخ الإسلام، والتزموا مبادئ الإسلام عقيدة  
وشريعة، ومنهجاً وسلوكاً، وعلماً وعملاً وإعداداً، عملوا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله  
عليه وسلم، فهو أهل للاقتداء بهم واقتفاء سيرتهم، واتباع تربيتهم. وذلك بنص القرآن  
الكريم :

« وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ  
بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا  
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ »  
(التوبة: ١٠٠)

وكان من الطريف أن صلب معاهدة المسألة بين الشريف غالب والأمير السعودي  
سنة ١٢٢١هـ هو «اتباع ما أمر الله تعالى به في كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله  
تعالى، واتباع سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وما كان عليه الخلفاء الراشدون  
والصحابه والتابعون، والأئمة المجتهدون، إلى آخر القرن الثالث»<sup>(٢١)</sup>.

وأما اتباع القرآن والسنة : فهو محض هدف الإسلام وغاية تشريع الإله، ومطلب

الوحي كله :

« قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ  
رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى  
صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ »

(المائدة : ١٥، ١٦)

(٢١) من تاريخ الجبرتي، من مقال جلال الكشك في مجلة الحوادث عدد ١١٧٤ ص ٦٩.

«يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ»

(النساء: ٥٩)

(النساء: ٨٠)

(الحشر: آية ٧)

«مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ»<sup>ط</sup>  
«وَمَا ءَاتَاكُمْ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا»<sup>ع</sup> (٢٢)

وفي الحديث الصحيح : «تركتم فيكم أمرين، لن تضلوا، ما تمسكتم بهما : كتاب الله، وسنة رسوله»<sup>(٢٣)</sup> «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئت به»<sup>(٢٤)</sup> «أوصيكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، فإنه من يعش منكم بعدى، فسرى اختلافا كثيرا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»<sup>(٢٥)</sup>

وهكذا يتبين أن الرجوع الى ماكان عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه أمر ضرورى فى الإسلام، لا يكرهه إلا شاذ مارق.

## ٢ - تخلص التوحيد مما شابه من شرك :

من المعروف بدهاة أن مزية الإسلام الجوهرية : هى كونه دين التوحيد الخالص لله عز وجل من شوائب الشرك والوثنية، وأنه قام لهدم أركان الوثنية، وعبادة الأصنام، وأن العبادة هى التوحيد<sup>(٢٦)</sup>

«وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا»<sup>ط</sup>  
(النساء : ٣٦)

(٢٢) قسم العقيدة من مؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب : ص ٢٦٠.

(٢٣) أخرجه مالك فى الموطأ بلاغا (جامع الأصول : ١٨٦/١)

(٢٤) حديث صحيح رواه النووى فى كتاب الحججة بإسناد صحيح عن عبد الله بن عمرو

(٢٥) رواه ابوداود عن العرياض بن سارية (جامع الأصول : ١٨٨/١)

(٢٦) مؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب، القسم الأول - العقيدة والآداب الاسلامية : ص ٩

والتوحيد نوعان: (٢٧) توحيد الربوبية والأسماء والصفات، وتوحيد الألوهية والعبادة، والأول: هو إثبات حقيقة ذات الرب تعالى وصفاته، وأفعاله وأسمائه:

«هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»

(الحديد: ٣)

«قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ (١) اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ (٢) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ (٣) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝ (٤)»

(الإخلاص)

والثاني: ماتضمنته سورة

(الكافرون: ١)

«قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ»

وقوله تعالى:

«قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ»

(آل عمران: ٦٤)

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «التوحيد الذي جاءت به الرسل إنما يتضمن إثبات الألوهية لله وحده، بأن يشهد أن لا إله إلا الله: لا يعبد إلا إياه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يوالى إلا له، ولا يعادى إلا فيه، ولا يعمل إلا لأجله، وذلك يتضمن إثبات ما أثبتته لنفسه من الأسماء والصفات (٢٨)

وقد اهتم ابن عبد الوهاب (٢٩) بالدعوة إلى التوحيد، ورفض كل مظاهر الشرك والوثنية، وحذر من أنواع الشرك الأربعة: شرك الألوهية، وشرك الربوبية، وشرك العبادة،

(٢٧) المرجع السابق: ص ٨٩ والقسم الخامس - الرسائل الشخصية: ص ١٥٠ وما بعدها، فتح المجيد شرح كتاب التوحيد للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ ص ١١، الحركة الوهابية للدكتور محمد خليل المراس: ص ١٤ وما بعدها.

(٢٨) فتح المجيد، المرجع السابق ص ١٢

(٢٩) مؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب في العقيدة: ص ١٨، ٦٨، ٩٨، ١٠٠، ٢٨٢، والرسائل الشخصية: ص ٨٨ - ٩١، ٩٥، وما بعدها، ١٢٠ وما بعدها.

وشرك الملك، وندد بمن يخلط فيها، فقال : إن شرك العبادة هو شرك الألوهية، وشرك  
الربوبية : هو شرك الملك، ومن الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا.

وأورد الآيات والأحاديث الكثيرة التى تندد وتحارب الشرك بمختلف صنوفه، مثل  
قوله تعالى :

ج  
«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ»  
(النساء : ٤٨)  
«وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ»  
(سورة ابراهيم ٣٥)

ومثل حديث البخارى عن ابن مسعود : «من مات وهو يدعو من دون الله ندا، دخل  
النار» وحديث مسلم عن جابر : «من لقي الله لا يشرك به شيئا، دخل الجنة ومن لقيه  
يشرك به شيئا دخل النار» وحديث أحمد والطبرانى والبيهقى : «أخوف ما أخاف عليكم :  
الشرك الأصغر، فستل عنه فقال : الرياء»

والخلاصة : أنه لا يرضى أى مسلم بديلا عن توحيد الله ورفض كل أنواع الشرك،  
لأن أساس عقيدة المسلم هو التوحيد، والنطق بالشهادتين.

وكما يطلب التوحيد فى العقيدة، يطلب التوحيد عند ابن عبد الوهاب فى التشريع،  
فالله وحده هو مشرّع العقائد، وهو وحده الذى يحلل ويحرم، فليس كلام أحد حجة فى  
الدين إلا كلام الله وسيد المرسلين، فالله يقول :

ج  
«أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ»  
(الشورى : ٢١)

وكلام الفقهاء فى التحليل والتحریم ليس حجة علينا<sup>(٣٠)</sup>.

### ٣ - إنكار التوسل بالأولياء والصالحين :

حدد الحق تبارك وتعالى طريق الوصول اليه بطريقتين هما : العمل الصالح، والدعاء  
المباشر.

(٣٠) زعماء الاصلاح لأحمد امين ص ١٢، مؤلفات ابن عبد الوهاب، ملحق المصنفات ص ٨٢.

أما العمل الصالح : فواضح في قوله تعالى :

«يَأْتِيَهُمُ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ»  
(المائدة : ٣٥)

والمقصود بالوسيلة خلافا لما يشيع عند أهل التوسل<sup>(٣١)</sup> : هو ما يتوصل به الى تحصيل المقصود، وهى القرية، ومعنى الآية : يا أيها الذين اتصفتُم بالإيمان خذوا لنفسكم الوقاية من عذاب الله، بامثال أمره، واجتناب نهيه، وتقربوا اليه بالطاعات، والعمل بما يرضيه فإن هذا هو الوسيلة اليه : «أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة»  
وجاهدوا أنفسكم بكفها عن المحرم، والتزامها الصراط المستقيم، وجاهدوا أعداء الإسلام، حتى يكون الدين كله لله، ومن المعلوم أن الجهاد في سبيل الحق والحرية وخير الأمة والوطن، جهاد في سبيل الله.

وأما الدعاء المباشر لله بدون وسائط ولا وسائل، خلافا لصنيع البشر عند قضاء حوائجهم لبعضهم، فيتمثل في آيات كثيرة منها :

«وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ»  
(غافر: ٦٠)

فالدعاء هو العبادة كما ثبت في السنة<sup>(٣٢)</sup> وهو طريق الثواب المكافئ للأعمال.

ومن الآيات المبينة طريق الدعاء بدون وسيلة :

«وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دُعَاةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ»  
(البقرة: ١٨٦)

«أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ»  
(النمل: ٦٢)

(٣١) التفسير الواضح للشيخ محمد محمود حجازى: ٤٩/٦، ٢٨/١٥

(٣٢) رواه احمد في مسنده، وابن ابي شيبة، والبخارى في الأدب، وأصحاب السنن الأربعة، وابن حبان، والحاكم النعمان بن بشير : ورواه أبو يعلى في مسنده في البراء، وأما حديث :  
«الدعاء مخ العبادة» عند الترمذى عن أنس فهو ضعيف، وروى الحاكم عن ثوبان :  
«الدعاء يرد القضاء وان البر يزيد في الرزق، وان العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه»

«يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» (فاطر: ١٥)  
 «قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ» (الأعراف: ١٨٨)  
 «قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا» ﴿٢١﴾ «قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ  
 وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحِدًا» (الجن: ٢١، ٢٢)

وبناء عليه فسر الإمام ابن عبد الوهاب «الجامع لعبادة الله وحده» في رسالته السابعة (٣٣) بأنها طاعة الله بامتثال أوامره، واجتناب نواهيه، وأبان أنواع العبادة التي لاتصلح إلا لله تعالى، وهى: الدعاء، والاستعانة، والاستغاثة، وذبح قربان، والنذر، والخوف، والرجاء، والتوكل، والإجابة، والمحبة والخشية، والرغبة، والرغبة، وغير ذلك كله لله، فالعبادة: هى أفراد الله وحده بأنواع العبادة قولاً وفعلاً، كما مثل فيما ذكر.

ومن ذلك: الشفاعة: لاتطلب الا من الله، ولا تكون الا بإذنه، ولا يأذن إلا لمن رضى قوله وعمله، ولا يرضى إلا ماكان خالصاً لله وحده صواباً، وهو ماشرعه على لسان رسوله، قال تعالى:

ج  
 «مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ» (البقرة: ٢٥٥)  
 ج  
 «وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ» (سبأ: ٢٣)

فالشفاعة العظمى وهى المقام المحمود لاتكون - فى رأى ابن عبد الوهاب - إلا لأهل التوحيد والإخلاص بإذن الله (٣٤)

وقد عرفنا أن ابن عبد الوهاب جعل الأمر الثانى من نواقض الإسلام العشرة:

(٣٣) مؤلفاته، قسم العقيدة والأداب: ص ٣٧٩، وانظر ايضا ص ٣٥ - ٤٢، والقسم الخامس - الرسائل: ص ٩٠، ١١١ - ١١٣.

(٣٤) مؤلفات الشيخ ابن عبد الوهاب، قسم العقيدة: ص ٤٨، ٥١ ومابعدها، ٢٠١، دائرة معارف فريد وجدى:

٨٧١/١٠



«من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة، كفر إجماعاً» (٣٥)

كما أنه خصص الباب ١٨ من قسم العقيدة لما «جاء أن سبب كفر بنى آدم، وتركهم دينهم، هو الغلو في الصالحين» وأن عقيدته ودينه هو مذهب أهل السنة والجماعة الذي عليه أئمة المسلمين، مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم الى يوم القيامة : وهو إخلاص الدين لله، والنهي عن دعوة الأنبياء والأموات من الصالحين، وغيرهم (٣٦).

ومما لخصه من كلام ابن تيمية (بند ١٠١) : من جوز أن يطلب من المخلوق، كما يطلب من الخالق من كشف الشدائد، فكفره أشد من كفر عباد الأصنام، فإنهم لا يطلبون منها كما يطلب من الله، كما قال تعالى :

«وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَنْ تَدْعُونَ إِلَّا إِلَٰهًا عِبَادًا» (الإسراء: ٦٧)

وذلك لأنه لا يملك النفع والضرر غير الله، ولذا أنكر الله تعالى على من يدعو أحدا من دونه، ممن لا يملك ضرا ولا نفعاً، كقوله تعالى :

« قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ » (المائدة: ٧٦)

« قُلْ أَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا » (الأنعام: ٧٦)

« وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ » (٣٧) (يونس: ١٠٦)

والحقيقة أن اتصال العبد بربه لا داعي أصلا فيه للواسطة، فلا إله إلا الله تعنى

(٣٥) الرسالة الثانية والثلاثون في قسم الرسائل الشخصية : ص ٢١٣ والقسم الأول في العقيدة ص ٣٨٥

(٣٦) القسم الأول من مؤلفاته في العقيدة والآداب : ص ٥٦ والقسم الخامس - الرسائل - ص ١٥، ١٧٦، ١٨٦، ٢٠٠، ٢٠٦، ٢٣١ وما بعدها، ٢٤٢.

(٣٧) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد : ص ١١٦.

نفى كل الوسائط، فلا ملجأ إلا إلى الله ولا اعتماد في الدنيا والآخرة الا عليه (٣٨)

#### ٤ - طرح البدع والخرافات :

وجد المجدد ابن عبد الوهاب مظاهر في العالم الإسلامي تشيع بين العوام، كلها بدع شاذة، وتخريفات واهية، تغاير تعاليم الإسلام، مثل بناء القباب على القبور وتخصيصها، وكسوتها بالحرير المذهب، ووضع العمام الخضراء عليها، وتشيد الأبنية عليها، واتخاذها مساجد، والنذر للأولياء وأصحاب القبور، والطواف حولها أحيانا، أو حول الصخرة المشرفة في بيت المقدس، والتصوير، والاستغاث بالصلحين، والاستعانة بهم، والصلاة اليها أحيانا، والتمسح بالقبضبان والتبرك بالعمدان أو بالشجر والحجر، وشد الرحال الى قبور بعض الأولياء، وزيارة القبر لدفع الكرب، أو جلب النفع، والمراسلة تارة...والاهتمام بالحجب والرقى (العزائم) والتائم والسحر<sup>(٣٩)</sup> للوقاية من المكروه، والاحتفال بالموالد، وبخاصة في مصر كمولد الحسين والبدوى، ومنكرات المآتم والجناز، وحفلات التشييع في الوقت الحاضر، ونفقات أيام الخميس وليالي الجمع والأربعين والذكري السنوية، وأيام الأعياد، واستتجار قراء القرآن للقراءة على روح الأموات، والتبرك بآثار فلان وفلان، وحلقات الذكر المصحوبة بالطبول والصنجات والسماع والرقص، مما لم يكن في صدر الاسلام، وبدع الصوفية المتنوعة، ولاسيما التأويلات والخرارق ونحو ذلك<sup>(٤٠)</sup>.

فقال ابن عبد الوهاب تلك البدع، ودعا الى نبيها والتوجه بالعبادة والدعاء الى الله

(٣٨) زعماء الاصلاح ص ١٤، الحركة الوهابية للدكتور محمد خليل هراس ص ١٧ وما بعدها و٢٣ وما بعدها.

(٣٩) غير على البادية زمان يتكلمون فيه على التعاويذ والتائم وأضاليل المشعوذين والمنجمين، ويدعون السعي من وجهه، توسلا بأباطيل السحرة والدجالين حتى في الاستسقاء ودفع الرباء، فكان حقا على الدعاة أن يصرفهم عن هذه الجهالة، وكان من أثر الدعوة الوهابية أنها صرفتهم عن ألوان من البدع.. والخرافات (الاسلام في القرن العشرين للعقاد : ص ١٠٩)

(٤٠) مؤلفات ابن عبد الوهاب، القسم الخامس - الرسائل : ص ١٥٠، ١٧٦، وما بعدها، ١٨٦، فتاوى ابن عبد الوهاب الملحقه بالقسم الثالث من مختصر سيرة الرسول عليه السلام : ص ١٠١، قسم العقيدة : ص ٣٢، ٥٦، ٦٠، ٦٦، ٦٨، وما بعدها، ١٢٩، ١٣٨، ٢٢٥، ٣٠٢، ملحق المصنفات : ص ٨٦، ٩٠، ٩٧، ١٠٩، العقيدة والشرعية جولد تسيهر : ص ٢٦٨، الاسلام في القرن العشرين : ص ١٠٧.

وحده، لا الى المشايخ والأولياء والأضرحة، ولا بوساطة التوسل والشفاعة وزيارة القبور للعتبة والاعتبار، لا للتوسل والاستشفاع<sup>(٤١)</sup>، فقرر أنه لا يسأل بوجه الله الا الجنة، وأن النذر لله لا للولى، وأنه لا بد من إعادة الحياة اليومية الى بساطتها في عصر السلف وتحريم كل صنوف الترف، وجعل عصر صدر الإسلام نموذجاً يحتذى وقاعدة للأخلاق والسلوك.

وأما السجود أمام حى أو قبر، فهو شرك لا يرضاه الله، وهو هدم للتوحيد الذى جاء به الإسلام، وإذلال للمخلوقات، لاله تعالى، مما يؤدي الى انهيار عزة الأمة، وفقد سيادتها، وتذللها للحكام والأغنياء، وعدم الأمر بالمعروف، والنهى عن المنكر، وذلك أشبه بالوثنية الجاهلية :

« مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ »  
 (الزمر: ٣)  
 « هَؤُلَاءِ شَفَعْتُنَا عِنْدَ اللَّهِ »  
 (يونس: ١٨)

ولا يصلح آخر الإسلام إلا بما صلح به أوله، فلا بد من العودة إلى الحياة الإسلامية الأولى، حيث التوحيد الخالص الصحيح، والعزة الحقة، ولا بد من هدم هذه البدع، ولو بالقوة<sup>(٤٢)</sup>.

وفي سبيل ذلك جدد ابن عبد الوهاب عقيدة التوحيد في البلاد النجدية داعياً إلى الدين الخالص وتصفيتهما من شوائب الشرك المتراكمة، واهتم بتصحيح تصور الناس نحو العقيدة، وتثبيت قواعدها، وتجريدها من الشوائب التى أدخلت عليها، حتى ظن أنها من الدين.

(٤١) الذى يعتبر شركاً على الحقيقة في الدعوة الوهابية ليس هو بناء القبور على وجه الأرض ولا زيارتها في انتظام بل هو ما يرتكب أثناء الزيارة لهذه القباب من دعاء صاحب القبر والاستغاثة به وطلب الحاجات واستمداد البركات منه ثم وضع النذور في صندوقه وسوق الذبائح الى ساحته والاهلال عليها باسمه فهذه الأمور ذريعة الى الشرك، وهدم القبور وتسويتها انما هو صيانة لجانب التوحيد لا انتهاك حرمة الموتى فالوهابيون يعرفون قدر الموتى، لا أطلال القبور (الحركة الوهابية للدكتور هراس : ص ١٧، ١٩، ٤٥)  
 (٤٢) زعماء الاصلاح في العصر الحديث : ص ١١، ١٣، ١٤، ١٧، ٢٠. العقيدة جولد تسيهر : ٢٦٨.

فقد أمر النبي صلى الله عليه وسلم بهدم بنية (كعبة) لأهل الطائف على اللآت (صنم)، ونهى عن محاكاة أهل الجاهلية الذين كانوا يتخذون شجرة تسمى «ذات أنواط» يعلقون بها سلاحهم، ويعكفون حولها ويعظمونها، وأمر عمر بقطع شجرة بيعة الرضوان عندما رأى الناس يأتونها ويصلون عندها، وقال عمر لكعب الأخبار الذى خلع نعليه، ولس برجليه الصخرة عند فتح بيت المقدس: «ضاهيت والله اليهود يا كعب»<sup>(٤٣)</sup>.

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «قاتل الله اليهود، اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»<sup>(٤٤)</sup> وقال ابن عباس: «لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور، والمتخذين عليها المساجد والسرج»<sup>(٤٥)</sup> وقال جابر: «نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر، وأن يقعد عليه وأن يبنى عليه»<sup>(٤٦)</sup>.

وأمر النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يدع قبراً مشرفاً إلا سواه<sup>(٤٧)</sup>، وقال عليه الصلاة والسلام: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام، ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»<sup>(٤٨)</sup>.

وكان ابن عبد الوهاب يحذر من المغالاة في تعظيم النبي صلى الله عليه وسلم مستشهداً بقول أنس: «إن أناساً قالوا: يا رسول الله يا خيرنا وابن خيرنا، .. وسيدنا وابن سيدنا، فقال: أيها الناس، قولوا بقولكم، ولا يستهوينكم الشيطان، أنا محمد بن عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التى أنزلنى الله عز وجل» وبحديث البخارى: «لا تطرونى كما أطرت النصارى ابن مريم».

(٤٣) جوامع السيرة لابن حزم : ص ٢٣٨، زعماء الاصلاح : ص ١٦.

(٤٤) رواه الشيخان واحمد وأبو داود عن ابى هريرة رضى الله عنه (نيل الأوطار : ٩٠/٤)

(٤٥) رواه الخمسة الا ابن ماجه (نيل الأوطار المكان السابق)

(٤٦) رواه احمد ومسلم والنسائى وابو داود والترمذى وصححه (نيل الاوطار : ٨٥/٤)

(٤٧) رواه الجماعة الا البخارى وابن ماجه عن ابى الهياج الاسدى (نيل الأوطار : ٨٣/٤)

(٤٨) رواه احمد والشيخان وابو داود والنسائى وابن ماجه عن ابى هريرة كما روى عن أبى سعيد الخدرى، وعن

عبد الله بن عمرو.

ومن المعروف أن المسئولية الفردية أساس عظيم، ومفخرة من مفاخر الإسلام :

« وَأَنْ لَّيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴿٣٩﴾ وَأَنْ سَعِيهِ سَوْفَ يُرَى ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَى »

(النجم : ٣٩ - ٤١)

« وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٤٩﴾ » (فاطر: ١٨)

وإذا كان هذا هو الأصل في كون الأعمال الصالحة هي أعمال شخصية لكل انسان، فإن هناك ايضا استثناءات رحمة من الله بعباده، كالحج بالنيابة عن الغير مغصوبا او ميتا، وكما ذكر ابن عبد الوهاب في رسالة «أحكام تمنى الموت»<sup>(٥٠)</sup> من الأحاديث النبوية المتضمنة : أنه ينتفع الأموات بما يهدى لهم من صالح الأعمال، وصدقات التطوع، وإهداء ثواب الفاتحة، وقل هو الله أحد، وأحكام التكاثر، وسورة يس، والدعاء للأبوين والصلاة والصيام عنها، من ذلك مارواه ابو نعيم من حديث أنس : «سبع يجرى للعبد أجراها بعد موته : من علم علما، أو أجرى نهرا، أو حفر بئرا، أو غرس نخلا، أو بنى مسجدا، أو ورث مصحفا، أو ترك ولدا يستغفر له بعد موته»

ويذكر الجبرتي في تاريخه أن هدم القباب المبنية على القبور (وهو ما أثار ولا يزال حوارا واسعا بين المسلمين) قد تم : «بعد المناظرة مع علماء تلك الناحية، وإقامة الحججة عليهم بالأدلة القاطعة التي لاتقبل التأويل من الكتاب والسنة، وإذعانهم لذلك «فأتباع ابن عبد الوهاب لم يهدموا القباب في المدينة وغيرها بقوة السيف، ولا بسطوة الفتح، ولكن بعد محاورة تستند الى الكتاب والسنة وبعد الاعتماد على الأدلة القاطعية بأن الإسلام قد جاء «لتوحيد الألوهية وإنهاء الشرك».

ويثبت الجبرتي أن «الوهابيين» في ١٥ رجب سنة ١٢٢٠هـ لم يحدثوا حدثا في المدينة غير منع المنكرات، وشرب التنبك في الأسواق، وهدم القباب، ماعدا قبة الرسول صلى

(٤٩) مؤلفات ابن عبد الوهاب، ملحق المصنفات : ص ٥٨

(٥٠) أحكام تمنى الموت : ص ٧٤ وما بعدها، من مؤلفاته، في المجلد الثاني (الفتحة)

الله عليه وسلم، خلافا لما يزعمه بروكلمان من أنهم خربوا القباب الضخمة التي تظلل قبر الرسول عليه السلام، وجردوها من جميع النفائس التي تزينها. (٥١)

ويبين الجبرتي منذ قرن ونصف مصير هذه النفائس، فيقول :  
إن الإمام الشهيد عبد الله بن سعود قد سلم النفائس والجواهر لمحمد علي باشا،  
ويؤيد الجبرتي إنفاق المال والمجوهرات المرصودة في الحجرة النبوية لصالح المسلمين، كما  
يذكر الشيخ عبد اللطيف آل الشيخ أن صرف ذلك المال في أهل المدينة ومصالح الحرم  
وجهاد الأعداء كان بإفتاء أهل المدينة من أتباع المذاهب الأربعة.

كما يذكر الجبرتي أن الوهابيين لم يمنعوا الحج، بل منعوا البدع التي كانت تصاحب  
المحمل المصرى - الشامى. (٥٢)

وخلاصة القول : ان آراء الإمام محمد بن عبد الوهاب السابقة هي إسلامية المبدأ  
والهدف، والنزعة والمصير، ولكن لم تسلم هذه الدعوة كأي دعوة إصلاحية من قادم  
ومادح، ومن مؤيد ومعارض، ويظل تقويم الأعمال والاتجاهات ومبادئ المصلحين هو  
للإسلام الباقي الخالد، الممثل في القرآن والسنة أولا وأخيرا.

وحيث تبدد مخزصات وأقاويل المغرضين، ولا سيما اذا وقفت السلطة في وجه أي  
حركة إصلاحية، وشتت عليها حربا دعائية، ومسلحة أحيانا ضدها، كما فعلت السلطة  
العثمانية، ووالى مصر محمد علي وأبناؤه طوسون وإبراهيم والشريف غالب في الحجاز،  
بالتحريض على ضرب «الوهابيين» دفاعا عن مصالحهم وليس عن الإسلام أو المسلمين،  
كما بينا.

(٥١) انظر مقال جلال الكشك في مجلة الحوادث، عدد ١١٧٤، ص ٦٩ شهر أيار (مايو) ١٩٧٩، تاريخ الشعوب

الإسلامية، بروكلمان : ٢٢/٤

(٥٢) مقال الكشك، السابق : ٦٩ - ٧١.

## المطلب الثالث

### آثار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الإسلامي :

كان لمبادئ ابن عبد الوهاب أثر عظيم، تجلّى في الظواهر المشابهة التي ظهرت في جهات نائية في العالم الإسلامي، لافي الحجاز والجزيرة العربية فحسب، والتي نشأت دون ريب نتيجة لأثر هذه الحركة الجديدة، كما يقول جولد تسيهر<sup>(٥٣)</sup>.

أو أن تأثيرها كان يتنوع مع الأوساط، والذي كان ينتهي أحيانا مع حركات مماثلة أو موازية، كما يقول لاووست<sup>(٥٤)</sup>، أو أن التقارب في ظهور دعوات مختلفة في البلاد الإسلامية دليل على أن الدعوة الوهابية كانت إرھاصا لمعظم هذه الدعوات التي جاءت بعدها، أو في القليل عملت على ظهورها<sup>(٥٥)</sup>.

وبه يبدو أن تأثير ابن عبد الوهاب إما مباشر كالذين درسوا دعوته، واطلعوا من طريقين أساسيين هما : التجارة والحج الى بيت الله الحرام، لأن الارتباط بين الحج والتجارة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر كان ارتباطا وثيقا في العالم الإسلامي<sup>(٥٦)</sup>، وإما غير مباشر بقيام حركات مشابهة أو موازية أو أفكار إصلاحية لبعض القادة أو الرجال الإسلاميين، بسبب وجود تشابه كبير في المبادئ يظهر مما سنفصله في كل بلد، لهذا قد يرى القارئ بعض التأثير، لكن يظل التشابه في المبدأ مرجحا وجود التأثير.

(٥٣) العقيدة والشريعة، جولد تسيهر : ص ٢٦٩، زعماء الإصلاح احمد أمين ص ٢١

(٥٤) الفرق في الاسلام، لاووست بالفرنسية : ص ٣٢٩ وما بعدها

(٥٥) انتشار الدعوة الوهابية في العالم الإسلامي مقال رابح لطفى جمعه في مجلة الفيصل عدد ٢٥ ص ٨٢.

(٥٦) المقال السابق : ص ٨٠

وقد تأثر بدعوة ابن عبد الوهاب رجال الإصلاح في الهند وكثير من مناطق الخليج العربي، وسومطرة، والجزائر، وأفغانستان، ومصر، والشام، والعراق وغيرها، فظهر الآلوسي الكبير في بغداد، وجمال الدين الأفغانى بأفغانستان، ومحمد عبده بمصر، وجمال الدين القاسمى بالشام، وخير الدين التونسي بتونس، وصديق حسن خان في بهوبال، وأمير على في كلكتة، ولعت أسماء آخرين بهذه الحركة. (٥٧)

وكان موسم الحج كما أشرنا، ميدانا صالحا، وفرصة سانحة لعرض دعوة ابن عبد الوهاب على أكابر الحجاج، واستألتهم الى قبولها، فإذا عادوا الى بلادهم دعوا اليها.

ويمكن توضيح هذه التأثيرات والانعكاسات فيما يأتي :

### ١ - أثرها في الجزيرة العربية :

ما تزال الى اليوم أرض الوهابية المختارة مثلا بارزا لتعاليم المجدد ابن عبد الوهاب، في شبه الجزيرة العربية وإمارات الخليج العربي، من ساحل البحرين وعمان حتى حدود مكة وعدن، فما تزال المملكة العربية السعودية تنعم بالأمن والسلام والحرية والرخاء بتطبيق دعوة ابن عبد الوهاب الإصلاحية في النطاقين الدينى والاجتماعى، وتلتزم جامعات المملكة وكل دور التعليم بمبادئ هذه الدعوة، وما يزال عدد كبير مؤمنا بهذه الدعوة في اليمن وقطر والبحرين

وقد بلغ مجموع أتباع هذه الدعوة وأنصارها في شبه الجزيرة العربية عند وفاة الشيخ ابن عبد الوهاب عن عمر يناهز السادسة والتسعين عاما حوالى مليونين ونصف مليون نسمة. (٥٨)

### ٢ - أثرها في الهند

قامت في الهند حركة قديمة من الحركات الهندية المعادية للاستعمار الانكليزى هي

(٥٧) الاعلام للزركلى : ١٣٧/٧

(٥٨) مقال رابع جمعه السابق في مجلة الفيصل : ص ٨٠ عدد ١٥، الفرق في الاسلام لاوست : ص ٣٢٩.



حركة «الفرائضية»<sup>(٥٩)</sup> التي أسست عام ١٨٠٤م من قبل «شريعة الله» وهو رجل متواضع الأصل، من مدينة «بهادور بور» في البنغال، وقد أمضى قرابة عشرين عاما في مكة من سنة ١٧٨٢ - ١٨٠٢م في اللحظة التي بدأت تتكون فيها الدولة الوهابية الأولى، وكانت هذه الحركة تنتمي الى الوهابية بمظهرها المتكشف، وكانت تنطلق مثلها بحرب شعواء ضد البدع والخرافات الشعبية واستوحت مواقفها الاعتقادية والعسكرية ضد السيطرة الانكليزية الكافرة من الوهابية بالذات.

وقد تابع عمل هذه الحركة الفرائضية ابن شريعة الله عند موته واسمه «دوذوميان» الذي أعطى الحركة طابعها التنظيمي الذي كانت تفتقده، ثم تلاشت الحركة بعد ذلك مع موت «دوذوميان» في سنة ١٨٦٠م، إلا أن ذكرياتها وتأثيراتها غير المباشرة لاتزال موجودة.

ويمكننا ايضا أن نجد تأثيرا للوهابية في بعض الحركات السياسية الدينية التي كانت خلال القرن التاسع عشر، تنفجر في الهند البريطانية، بالرغم من أن هذه الحركات يمكن أن تفسر أيضا ببعث التعاليم العظيمة للإسلام، كرد فعل ضد إلحاق المسلمين المتعاطم بتبعات غير إسلامية محلية أو خارجية، ولكن التأثير الوهابي هنا ايضا يتخذ - عندما يمكن أن نعتبره أمرا قائما بشكل مادي - صورا متعددة تتصل بالظروف وبالرجال الذين يولد على أيديهم<sup>(٦٠)</sup>.

ومن هذه الحركات حركة أحد زعماء أو أمراء الهند وهو «السيد أحمد» الذي أدى فريضة الحج سنة ١٨٢٢م<sup>(٦١)</sup>، واجتمع بأتباع الشيخ ابن عبد الوهاب في مكة، واقتنع بالدعوة ومبادئها، وأصبح من أنصارها وأعوانها<sup>(٦٢)</sup>، ولما عاد الى موطنه البنغال، نشر هذه

(٥٩) الفرق في الاسلام هنري لاووست بالفرنسية : ص ٣٥٦ - ٣٥٧، دائرة المعارف الاسلامية : ٦١/٢ - ٦٣ بالفرنسية وانظر ايضا في دائرة المعارف الاسلامية ملحة الفرائضية، أهل الحديث الوهابية صديق حسن خان، وانظر مقال جيمروتيير في المجلة الفرنسية (الشرق) الحركة الاصلاحية الاسلامية في الهند.

(٦٠) الفرق في الاسلام، لاووست : ٣٢٩ - ٣٣٦

(٦١) ويقال سنة ١٨١٦، وعاد الى بلاده في البنغال سنة ١٨٢٠

(٦٢) تاريخ الشعوب الاسلامية، بروكلان : ٢٨/٤، زعماء الاصلاح ل احمد أمين : ص ٢١، مقال لرابح جمعه في

مجلة الفيصل عدد ١٥ : ص ٨١.

الدعوة في بنجاب، ودعا المسلمين الى الإيمان بمبادئ الإسلام الصحيح، وترك البدع والعقائد الهندوكية.

وقد استطاع مع أتباعه بعد جهاد إنشاء شبه دولة إسلامية تطبق مبادئ الوهابية في ولاية البنجاب بزعامه سيد أحمد، وأخذ سلطانه يمتد حتى هدد شمال الهند، وأقام حربا عوانا (متكررة شديدة) على البدع والخرافات، وهاجم الوعاظ ورجال الدين هناك، وأعلن الجهاد ضد من لم يعتنق مذهبه، ويقبل دعوته، وأن الهند دار حرب، ولقيت الحكومة الانجليزية متاعب كثيرة شاققة من أتباعه، حتى استطاعت إخضاعهم، والقضاء على دولته سنة ١٨٣٠م، ولكن ما يزال الكثيرون من سكان البنجاب والبنغال الى اليوم من أتباع الدعوة الوهابية، وإن تفرقوا عدة فرق، أقواها فرقة الفارازي.

والسيد أمير علي في كلكتة مصلح عملي كالسيد أحمد، مع اختلاف المنهاج، فالسيد أحمد يرى أن الإصلاح وسيلته التربية والتعليم فقط من غير تدخل في نواحي السياسة، بينما يرى السيد أمير علي ضرورة علاج شئون المسلمين السياسية في الهند، وكان أهم ما يمتاز به الإخلاص للعقيدة، عقيدته في دينه، وعقيدته في قومه، وعقيدته في وطنه، وله كتابان عظيمان : مختصر تاريخ العرب.. وروح الإسلام، عنى في الثاني بوصف الدين الإسلامي، وأبان أن تعاليمه تدعو الى التطور والرقى المستمر، ومقدمته من أبداع ما كتب عن الإسلام، وقد أفرغ فيها.. كما قال - قلبه. (٦٣)

وتأثر بالوهابية صديق حسن خان ملك بهوبال، ومؤسس حركة أهل الحديث في الهند، وقد عاش سنوات طويلة في الحجاز واليمن، حيث اهتم هناك بأفكار ابن تيمية والشوكاني، وعندما عاد الى الهند عام ١٨٦١م، قويت معه وبسبب دعوته مدرسة أهل الحديث في أوساط متعددة، وكانوا كثيرا ما يتهمون من قبل خصومهم بأنهم يريدون أن يدخلوا في الهند وهابية الجزيرة العربية. (٦٤)

(٦٣) زعماء الإصلاح لآحمد امين : ص ١٢٩ وما بعدها، كتاب روح الاسلام : ص ١٥٧ - ١٨٥.

(٦٤) الفرق في الاسلام، لاوست : ص ٣٥٨ - ٣٥٩ بالفرنسية.

ولصديق خان مؤلفات عديدة في الفقه والحديث تدل على فكر عميق، ورأى متحرراً، مثل إكليل الكرامة في بيان مقاصد الإمامه، والروضة الندية، فانتشرت بسببه علوم السنة. (٦٥)

وكان من آثار حركة أهل الحديث، العناية بالحديث والتفسير والسيرة تحقيقاً ونشراً وفقهاً واجتهاداً، من ذلك إدارة المجلس العلمي بالهند.

ويحاول أهل الحديث في الهند أن يرجعوا الى المبادئ الأولى للإسلام ويعيدوا الشريعة والعبادات الى ماكانتا عليه في الأصل من بساطة ونقاء، ومن ثم عنوا بتوكيد التوحيد وانكار «علم الغيب» لأى مخلوق من مخلوقات الله، وقد اقتضى هذا انكار كرامات الأولياء، والمبالغة في تقدسهم، ولم يدخر أهل الحديث وسعاً في استئصال البدع أو النظم الهندوكية أو غير الإسلامية، وفي كل هذا نجد برنامجهم الإصلاحى يحمل شبيهاً عجبياً ببرنامج الوهابيين في جزيرة العرب، وطبيعى أن يعمد خصومهم في كثير من الأحيان الى تسميتهم بالوهابية، وهى تسمية ينكرها أهل الحديث استناداً الى أن آراءهم لم تقتبس من الوهابيين العرب الذين هم أنفسهم من «المقلدين» بمعنى أنهم يتبعون آراء احمد ابن حنبل في مسائل الفقه (٦٦).

ويمكن أن نلقى أوجه شبه بين الوهابية وبعض أفكار فيلسوف الهند وشاعر الإسلام الثائر محمد إقبال (١٢٨٩هـ/١٨٧٣ - ١٩٢٨م) في إقليم البنجاب بالهند، الذى أقام فكرته الإصلاحية على عنصرين: (٦٧)

(٦٥) انظر مقدمة كتاب الروضة الندية .

(٦٦) دائرة المعارف الاسلامية بالفرنسية: ١٤٣/٥ - ١٤٤ .

(٦٧) الفكر الاسلامى الحديث للدكتور محمد البهى : ص ٣٩٩ ومابعدها، ٤٠٧، ٤٠٩، ٤٤٣، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٤ .

محمد اقبال سيرته وفلسفته وشعره للدكتور عبد الوهاب عزام : ص ١٦٤، الاتجاهات الحديثة فى الاسلام جيب : ص ٨٩ ومابعدها، روائع اقبال لآبى الحسن الندوى ص ٨١، نظام الاسلام للدكتور وهبه الزحيلي : ص ٥٢٢ - ٥٣٤ .

١ - تغيير مفهوم عالم الطبيعة أو الواقع، عن طريق رد هذا المفهوم الى ما اعتبره المسلمون من كون عالم الطبيعة مجالا لحركة الإسلام وسعيه ومعرفته، وبالتالي تنحية مآل اليه مفهوم من كونه «مخيفا أو شرا».

٢ - شرح بعض مبادئ الإسلام، كختم الرسالة والتوحيد والاجتهاد على أنها عوامل تدفع الإنسان الى الحركة والسعي في هذا العالم الواقعي، وقد ألقى اقبال في عام ١٩٢٨ في مدراس وعليكره وحيدر آباد - سبع محاضرات حول «إعادة بناء الفكر الديني في الإسلام الحديث» ضمنها آراءه في موضوعات عدة بلغة فلسفية.

### ٣ - أثرها في سومطرة :

سومطرة إحدى الجزر الاندونيسية التي فيها «جاكرتا» عاصمة اندونيسيا، بدأت الدعوة الوهابية فيها سنة ١٨٠٣م على يد أحد حجاج الجزيرة، بعد عودته من الحج، ولم تلبث الدعوة أن تطورت الى معارك حامية بين المسلمين من أتباع الدعوة وأنصارها، وبين غير المسلمين من سكان الجزيرة الأصليين، فرأت - الحكومة الهولندية سنة ١٨٢٠م أن تناهض هذه الحركة القوية، واستمرت المعارك والمناوشات بين المستعمرين الهولنديين وبين أتباع الدعوة الوهابية من السومطريين أكثر من ست عشرة سنة<sup>(٦٨)</sup>

### ٤ - أثرها في المغرب (مراكش) والجزائر :

إذا لم يكن مطلقا أى انضمام الى الوهابية في الجزائر وفي تونس، الا أن الوهابية أثرت في وقت مبكر في بعض الحركات، فقد وجد سيدى محمد بن عبد الله (١٧٥٧ - ١٧٩٠م) في الحركة الوهابية أسلحة مناسبة لظروفه، ليبدد كفاحه ضد التصوف المكتسح في هذه المنطقة (المغرب) حتى إنه ذهب الى أبعد من ذلك، وهو الذى كان يدعى أنه مالكي في الفروع، وحنبلى في الأصول، فعمل على هدم عدة مؤلفات في الكلام الأشعري.

(٦٨) مقال الاستاذ رابع لطفى جمعة في مجلة الفيصل عدد ١٥ : ص ٨٢

وكذلك فإن (مولاي سليمان) (١٧٩٢ - ١٨٢٢م) حاول أثناء كفاحه الذي قام به ضد الزوايا المعادية، وبشكل حيوى أكثر أن يدخل العقائد الوهابية الى مراكش، ومع ذلك فإن المحاولة لم تدم طويلا، فلقد ظهرت الوهابية في مراكش في نهاية الأمر على أنها مذهب غير قابل للتوافق الا في حدود ضئيلة جدا مع النزعتين (الشريفية والمرابطية) اللتين كانتا مستمرتين في طبع المذهب السننى المغربى بطابعهما.<sup>(٦٩)</sup>

ومن أوضح تأثيرات الحركة الوهابية في مراكش : ما قام به أبو العباس التيجانى من الأمر بترك البدع، والنهى عن زيارة القبور، فكثرت أتباعه حتى بلغت مئات الألوف، ولكن لم يلفت الناس والحكام أمره كما لفتهم محمد بن عبد الوهاب.<sup>(٧٠)</sup>

وقد عنى علماء المغاربة بالحديث كآل الكتانى، وأنشئت أخيرا دار الحديث الحسنية للدراسات العليا.

وقد تجلى تأثير ابن عبد الوهاب في الجزائر في الإمام السنوسى الكبير كما سنوضح في ليبيا، وفي الأمير عبدالقادر الجزائرى الذى ناهض فرنسا ١٧ سنة وتبعه في الجهاد عبدالكريم الخطابى بطل الحرية المراكشية، ومحمد بن عبدالكريم الخطابى الذى حارب فرنسا واسبانيا معا في الجزائر ومراكش<sup>(٧١)</sup>، ثم تابع سيرة الجهاد جمعية العلماء بالجزائر بزعامة الشيخ المجاهد عبدالحميد بن باديس<sup>(٧٢)</sup>، والعالم المجاهد الشيخ محمد البشير الابراهيمى، الذى كان دائم الجهاد، شديد الحساسية والاهتمام بالقضايا الإسلامية، متوقد الفكر والنشاط، جاهد مع إخوانه المستعمر الفرنسى، وناضل ضد جيوش حلف الأطلسى

(٦٩) الفرق في الاسلام لاووست، بالفرنسية : ص ٣٢٩ - ٣٣١، مقال الاستاذ ميشو بللير بالفرنسية «الوهابية في مراكش» في المجلة الفرنسية : افريقيا الفرنسية عام ١٩٢٨، ص : ٤٨٩ وما بعدها، تاريخ مراكش : ٣١١/٢ - ٣١٢، ٣٧١ - ٣٧٢

(٧٠) زعماء الاصلاح في العصر الحديث : ص ١٨.

(٧١) حاضر العالم الاسلامى للأمير شكيب أرسلان : ٣٩٩|٣ وما بعدها، تاريخ الشعوب الاسلامية بروكلمان : ١٠٩/٤، ١٢٦.

(٧٢) انظر ماكتبه عنه الاستاذ على الهامى في صحيفة الجمهورية الجزائرية عام ١٩٤٩.

تأثر خير الدين باشا التونسي (حوالي سنة ١٢٢٥ - ١٣٠٧هـ / ١٨١٠ - ١٨٧٩م) (٧٣) بالشيخ ابن عبد الوهاب في دراسته، وتكوينه الفكري، وإدراكه مشكلات المسلمين، وقضايا العالم الإسلامي، وهو شركسي الأصل، كان وزيرا للحربية سنة ١٢٧٣هـ - ١٢٧٩هـ في عهد باي تونس محمد باشا، كما عين في الآستانة في عهد السلطان عبد الحميد وزير دولة، ثم رئيسا للوزارة في ٤ كانون الأول (ديسمبر) سنة ١٨٧٨م / ١٢٩٥هـ.

وضع كتابا سماه «أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك» بعد اعتزاله وزارة الحربية في تونس، شرح في مقدمته حال المسلمين وحاجتهم الى الإصلاح وطريقته، وهو ينعى على المسلمين كراهيتهم الأخذ بأساليب المدنية الغربية في الإصلاح، واعتقادهم أن كل ما صدر عن أوروبا حرام، وفند مزاعم الناس وبين ان التمسك بالدين لا يمنع من النظر فيما عند الأمم الأخرى، والأخذ بأحسنه فيما يتعلق بالمصالح الدنيوية، فليس بالناس يعرف الحق، ولكن بالحق يعرف الناس، والحكمة ضالة المؤمن، يأخذها حيث يجدها.

وأوضح خير الدين أن الأمم الإسلامية لاتصلح إلا بالنظام الشورى الذي يقيد الحاكم، وأن العدل والحرية هما ركنا الدولة، وأن أعداء الإصلاح الذين يرون أن الإصلاح بدعة من بدع آخر الزمان هم جهلة.

وأن من أهم عوائق تقدم المسلمين : ازدواجية التعليم، ووجود طائفتين متعاندتين : رجال دين يعلمون الشريعة، ولا يعلمون الدنيا، ورجال سياسة يعرفون الدنيا ولا يعرفون الدين.

وسار خير الدين شوطا بعيدا في طرق الإصلاح في تونس، في الداخل والخارج، وقد عودنا التاريخ ألا يأتي مصلح بمثل ما أتى به خير الدين إلا أودى.

(٧٣) زعماء الإصلاح : ص ١٤٦، وما بعدها، ١٥٨، وما بعدها، ١٦٢، ١٦٤، ١٧١، ١٨٣.

والمخالصة : كان خير الدين مصلحا اجتماعيا وسياسيا مثل مدحت باشا في الآستانة كما سياتى، ولكن مدحت يصلح، فإن عجز عن الإصلاح ثار ودير الانقلاب، وخير الدين يصلح، فإن عجز عن الإصلاح رفع يديه الى السماء وقال «اللهم إني قد بلغت».

وكانت فضائله التي تكوّن شخصيته : الجرأة في قول الحق، وعمله من غير خوف، وصلابته فيما يعتقد من غير انحناء، وحرّيته في تفكيره من غير جمود، وتحمله الأعباء من غير تبرم.

## ٦ - أثره في ليبيا (الدعوة السنوسية)

صاحب الدعوة السنوسية هو الإمام محمد بن علي السنوسي الكبير الخطابي من مجلة «الواسطة» في وهران بالجزائر، ولد سنة ١٢٠٢هـ/١٨٨٧م، وتوفي سنة ١٩٥٩م، قال عنه الأمير شكيب أرسلان : من أعظم أبطال المسلمين وهو خاتمة مجاهدى الإسلام (أى في عصره) ولولاه لاحتلت إيطاليا قطرى طرابلس وبرقة من الشهر الأول من غاراتها الغادرة عليها، لكن سبقه الشيخ شامل الداغستاني الذى قاوم الروس أربعين سنة، والأمير عبد القادر الجزائري الذى ناهض فرنسا ١٧ سنة، وتبعه، فى الجهاد واقتدى بسيرته محمد بن عبد الكريم الخطابي الذى كانت مقاومته قصيرة ، ولكنها عريضة، واجه فيها كلاً من دولتى فرنسا وأسبانيا معا وجها لوجه، وزلزلتا فى حربه زلزالا شديداً<sup>(٧٤)</sup>.

حضر الإمام السنوسى مكة حاجا، ومكث يطلب العلم فى مكة وقت دخول ال سعود سنة ١٨٢٩م، فعاشر أتباع الدعوة الوهابية ومريديها، وتلمذ على علمائها وشيوخها، واعتنق مبادئها<sup>(٧٥)</sup>، ثم عاد الى الجزائر يشر بها، ويؤسس طريقته الخاصة فى بلاد المغرب<sup>(٧٦)</sup>.

(٧٤) حاضر العالم الاسلامى ارسلان : ٣/٣٩٩ ومابعدها.

(٧٥) هذا هو الراجح، لكن ينكر بعض المؤرخين تأثر الدعوة السنوسية بالدعوة الوهابية.

(٧٦) زعماء الاصلاح أحمد أمين : ص ٢١

وأدرك أن المجتمع الإسلامي بعيد عن روح الإسلام الحقيقية، فأخذ يبحث عن طرق علاج أمراض المسلمين والعرب، ثم قرأ رأيه على خطة الاح بأسسها التالية<sup>(٧٧)</sup>، وهي قريبة الشبه بأسس محمد بن عبدالوهاب.

- ١ - العوده الى يسر الدين الإسلامي، والاعتماد على الكتاب والسنة، والانتفاع بالمذاهب المختلفة فيما يناسب المسلمين، وييسر حياتهم، وتنقية الإسلام من البدع والضلالات.
- ٢ - العالم الإسلامي يواجه حركة التبشير المسيحية، ولذلك يتحتم أن تعنى الحركة الاصلاحية بنشر الإسلام، وبخاصة بين الوثنيين قبل أن تسبقه المسيحية.
- ٣ - ليست هناك حدود تجزئ العالم الإسلامي، فالحركة الإصلاحية يلزم أن تكون شامله لكل أقطاره، أو أكثرها بقدر الإمكان.
- ٤ - الحركات الإصلاحية يلزم أن تكون سياسية وفكرية في نفس الوقت، أما إصلاح جانب بدون الآخر، فذلك نقص في الحركة، فالإسلام دين ودولة وعبادة وعمل.
- ٥ - الزهد والخمول والاستجداء التي كانت طابع أغلب الطرق الصوفية ليست من الإسلام في شيء.

وكانت وسيلة ذلك إنشاء الزوايا أمو المراكز الإصلاحية، والزواوية تعتبر خلية دين وعلم، ومركز حكم وإدارة، ومركز زراعة وتجارة، وتربية عسكرية ناجحة، وحرماً آمناً لمن يلجأ إليها.

وأول زاوية أنشأها في أبي قبيس، الجبل المشرف على مكة سنة ١٨٤٢م، والزواوية الثانية في برقة بالجبل الأخضر سنة ١٢٥٧هـ، أطلق عليها الزاوية البيضاء، ثم أنشأ زاوية الجغبوب سنة ١٨٥٦م، وتابع إنشاء الزوايا في نواحي ليبيا ومصر وصحرائها الغربية وتونس، حتى بلغ عددها ٥٢ زاوية، وكان.. للزاوية أثر واضح، فهي تعمل على

(٧٧) حاضر العالم الاسلامي للدكتور محمود محمد زيادة : ص ٣٦ وما بعدها، نظام الاسلام للدكتور وهبه الزحيلي : ص ٤٩٣ وما بعدها، الاسلام في القرن العشرين للعقلا : ص ١١٠ - ١١٣.



إصلاح الإنسان في نواحيه المختلفة، إذ ليست الناحية الدينية في اعتبارها مستقلة عن النواحي الأخرى.

وقد أتت هذه الحركة الإصلاحية أكلها، وغيرت مجرى حياة الناس في ليبيا تغييرا تاما، فأشعرتهم بكيانهم، وهياتهم لمرحلة جديدة من الحياة، وقاوموا بفضلها الغزو الإيطالي مقاومة عنيفة، حتى اعتبر قيام السنوسية في ليبيا مبدأ تاريخها الحديث<sup>(٧٨)</sup>، وانتشرت هذه الدعوة انتشارا واسعا، ونشرت الإسلام في افريقيا الغربية وكونت دولة قوية.

وكان من أبرز الشخصيات السنوسية المجاهد الشهيد عمر المختار الذي قاوم الطليان في الجبل الأخضر وبنغازى مقاومة عنيفة.

وقد حققت هذه الدعوة النتائج الآتية<sup>(٧٩)</sup>:

أولا : النهضة الشاملة.

ثانيا : معاداة الاستعمار .

ثالثا : نشر الإسلام ومقاومة التبشير.

رابعا : تخريج العلماء والأدباء.

والخلاصة : تتشابه الدعوة الوهابية والدعوة السنوسية في حماسة الدعوات البادية، وفي نبذ البدع والخرافات، والرجوع بالإسلام الى الكتاب والسنة، ولكنها تختلفان بعد ذلك في أمور كثيرة، غير أن السنوسية والوهابية ليست كل منهما مذهبيا ولا نحلة ولا نقضا لمذهب من المذاهب<sup>(٨٠)</sup>.

(٧٨) حاضر العالم الاسلامى للأمير شكيب ارسلان : ١٤٠/٢

(٧٩) أرسلان المرجع السابق : ٣٩٨/٢، حاضر العالم الاسلامى للدكتور زيادة : ص ٢٨، نظام الاسلاء للدكتور الزحيلي : ص ٤٩٥ وما بعدها.

(٨٠) الاسلام في القرن العشرين للعقاد : ص ١١٠

## ٧ - أثرها في زنجبار وإفريقيا :

كان لابن عبد الوهاب أثر ملحوظ في القرن الإفريقي في عدة بلاد، ففى زنجبار(تانزانيا) مثلا ترى طائفة كبيرة من المسلمين يعتقدون آراء ابن عبد الوهاب ويدعون الى ترك البدع، وعدم التقرب بالأولياء<sup>(٨١)</sup>.

## ٨ - أثرها في السودان :

٩ - في السودان الغربى : كان الداعية الشيخ عثمان دان فوديو أحد أبناء قبيلة الفولاني في السودان الغربى من أتباع الشيخ ابن عبد الوهاب، فأخذ يحارب البدع الشائعة في عشيرته، ويعمل على تقويض بقايا الوثنية، وعبادة الأموات التى كانت عند بعض السودانين، ثم أخذ ينشر تعاليم الإسلام الصحيحة، واستطاع أن يجمع حوله قبيلته في وحدة متأسكة مرتبطة برباط الدين.

ثم بدأ الشيخ عثمان بعد ذلك سلسلة من المعارك، كان أولها سنة ١٨٠٢م ضد قبائل الحوصة الوثنية، ولم تأت سنة ١٨٠٤م حتى أقام سلطنة «سوكوتو» في السودان، على أنقاض مملكة جبيرتين - النيجر الأدنى، ونهر النوى.

وقد قامت هذه الدولة على أساس الدعوة الوهابية، وامتدت حدودها الى جميع الأقطار الواقعة بين تمبكتو وبحيرة تشاد، على مساحة أربعمائة ألف كيلو متر مربع، كان يسكنها نحو عشرة ملايين من الناس، وقد ظلت هذه الدولة مستقلة نحو قرن من الزمان، حتى احتلها الاستعمار الأوروبى وانفصلت عنها فيما بعد ممالك بورنو، والأداموا، وغاندو، ونوبو، ولكنها ماتزال جميعها محتفظة بالإسلام عقيدة وخلقا وسلوكا<sup>(٨٢)</sup>.

ب - شمال السودان (الدعوة المهدية) : أسس الدعوة المهدية شخصية كبيرة في

(٨١) زعماء الإصلاح لأحمد أمين : ص ٢١.

(٨٢) مقال الاستاذ رابع جمعه في مجلة الفيصل - عدد ١٥ : ص ٨٢.

السودان : هو محمد احمد بن عبد الله، المولود في جزيرة : (لب) بالقرب من نقلا، حوالى سنة ١٢٦٠هـ والمتوفى سنة ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م.

بدأ بدعوته سرا في جزيرة «أبا» بمكاتبة مشايخ الطرق وعلما الشريعة، ثم جهر بدعوته بتحرير خطابات صريحة الى رجال الدين يدعوهم لنصرة الدين والقيام بتأييد «المهدية الكبرى» التي خصه الله بها، وعلى نصرة الكتاب والسنة.

وكانت دعوته تتلخص فيما يأتي (٨٣) :

ضرورة الرجوع بالإسلام الى بساطته الأولى، ثم ركز فكرته الدينية على دعامين دعا لهما، وقام على تنفيذهما :

أولهما : هي أن تعدد المذاهب الأربعة قد وزع المسلمين الى جماعات وأبعدهم عن الدين.. دين الفطرة الإنسانية، وصرفهم عن المصدرين الأصليين، وهما القرآن والسنة. (٨٤)

وكذلك تعددت الطرق الصوفية، حتى ظن أن كل شيخ يقوم بتأسيس دين جديد، وأن غيره خارج الدين.

وثانيهما : هو العمل بالدين، والخضوع لأوامره ونواهيه، والقيام بفروضه وواجباته. ولم يفصل المهدي في أعماله بين المظاهر الدينية والمظاهر السياسية كما فعل

---

(٨٣) حاضر العلم الاسلامى أرسلان : ١٩٥/٢ ومابعدها، بروكلمان : ١٣٢/٤ - ١٣٧، حاضر العالم الاسلامى للدكتور زيادة : ص ٦٠ ومابعدها، المهدية في الاسلام للأستاذ سعد محمد حسن : ص ١٩٩ - ٢٣٦ ط/دار الكتاب العربى بمصر، نظام الاسلام للدكتور الزحيلي ص ٤٩٧ ومابعدها، الاسلام في القرن العشرين للعقاد : ص ١٣٨ - ١٤٢.

(٨٤) من المستغرب حقا ان يكون تعدد المذاهب أدى الى انقسام المسلمين جماعات لأن من الواضح أن الاختلاف بين المذاهب هو في الفروع لا في الأصول، والمذاهب ليست خارجة أصلا عن الكتاب والسنة وإنما تدور في فلكها، وتأخذ من نصوصها، ولم نسمع في تاريخ الاسلام أن المسلمين انقسموا في قضية عامة تمس كياناتهم ومقدساتهم ودولتهم على حسب مذاهبهم، الى حنفية ومالكية وشافعية وحنابلة مثلا، وكان الانقسام في الواقع راجعا للمصالح البشرية فقط.

السنوسى، لأنه اعتبرها متصلين ومرتبطين ببعضهما، كما كان عليه حال القرون الإسلامية الأولى.

وكان حريصاً على تحرير بلاده من نير الاستعمار، ورفع مستوى السودان الاقتصادى والمخلقى، وبناء مجتمع إسلامى قائم على التعاليم التى أقامت المجتمع الإسلامى الأول .

وقد تمكن من توحيد الكلمة وتأليف القلوب، وجعل من السودانين أمة جديدة أبية تتمسك بتعاليم الإسلام القومية، وخاض معهم حروباً كثيرة ضد المستعمرين الإنجليز فانتصروا انتصارات باهرة، وكادوا يصلون الى الاستقلال، لولا كثرة قوى العدو، وعدم مهارة خليفته «التعايش».

وبالرغم من إخماد الإنجليز الحركة المهدية، ظل حزب الأنصار الذى سمي نفسه «حزب الأمة» باقياً الى عهد قريب، والآن لجماعة الصادق المهدي أهمية بارزة فى التخطيط لسياسة السودان.

الخلاصة : أن الدعوة المهدية وإن كانت نوعاً آخر مغايراً فى طريقة نشوئها للدعوة الوهابية، إلا أن بينها تشابهاً فى المبادئ يؤكد وجود التأثير بدعوة ابن عبد الوهاب، كما أن الوهابية مهدت الطريق للمهدية والسنوسية وحركة الأفغانى وغيرها لظهورها بعد الوهابية فى فترات متلاحقة أو متقاربة.

#### ٩ - أثرها فى مصر (الشيخ محمد عبده ومدرسة السلفية):

شب الشيخ محمد عبده (المتوفى سنة ١٣٢٣هـ فى مصر) فرأى تعاليم ابن عبد الوهاب تملأ الجو، فرجع الى هذه التعاليم فى أصولها، من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم الى عهد ابن تيمية، الى عهد ابن عبد الوهاب، وكان أكبر أمله أن يقوم فى حياته للمسلمين بعمل صالح؛ فأداه اجتهاده وبحثه الى هذين الأساسين اللذين بنى عليهما محمد بن عبد الوهاب تعاليمه، وهما :

١ - محاربة البدع ، وما دخل على العقيدة الاسلامية من فساد باشارك الأولياء والقبور والأضرحة مع الله تعالى.

٢ - وفتح باب الاجتهاد الذي أغلقه ضعاف العقول من المقلدين، ووجد نفسه لخدمة هذين الغرضين. (٨٥)

وسار محمد عبده في طريق جمال الدين الأفغانى فى مقاومة الاستعمار الغربى، ومعارضة النفوذ الأجنبى فى دائرة العالم الإسلامى العربى.

ورسم لنفسه طريق «التربية» تربية الشعب، وتربية القادة والموجهين، وهم العلماء، ولاسيما الأزهر، تربية الشعب لفهم الحياة والسير فيها، وإخضاع الحكم لإرادته ورأيه، وتربية القادة لتوحيد الشعب فى كل مكان (٨٦).

وتميز محمد عبده بإيجاد مدرسة فكرية ودينية وعلمية وتربوية، تتجه لمقاومة الاستعمار نفسه اتجاهها غير مباشر، وكان هدفه الدعوة الى أمرين : (٨٧)

الأول : تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، أى فى صدر الإسلام، وبذلك ظهرت مدرسة السلفية نتيجة عمله.  
الثانى : إصلاح اللغة العربية.

وفاق الشيخ محمد عبده أستاذه الأفغانى فى غزارة الإنتاج وتعدد وجوه النشاط الفكرى الرئيسية التى جعلت له مدرسة قوية، ظلت متنوعة الخطى من قبل مشاهير

(٨٥) زعماء الإصلاح فى العصر الحديث : ص ٢٣.

(٨٦) الفكر الإسلامى للبهى : ص ١٦٤، زعماء الإصلاح : ص ٢٩٢، ٣٢١، ٣٣٥.

(٨٧) الفكر الإسلامى للبهى : ص ١٠٤، الاتجاهات الحديثة فى الإسلام جيب : ص ٥٧، زعماء الإصلاح : ص

٢٢٧، ٢٣٣، الإسلام فى القرن العشرين للعقاد : ص ١٢٥، ١٢٨، وجهة العالم الإسلامى لمالك بن نبي

العلماء المجددين في النصف الأول من القرن العشرين، وكان أهم نواحي هذا النشاط هي : الناحية الوطنية، والاعتقادية، والتربوية<sup>(٨٨)</sup>.

وفي ناحية العقيدة أكد الشيخ محمد عبده على أمرين<sup>(٨٩)</sup>

- ١ - تحرير المسلم من عقيدة الجبرية، مع الإبقاء على عقيدة القدر، وتنقية عقيدة المسلم مما علق بها من الخرافات والأوهام، وكان أهم وسيلة له لإصلاح العقيدة : تفسير القرآن الكريم.
- ٢ - إعلان تطابق العقل مع الدين.

ومن أبرز أعمال الشيخ محمد عبده اشتراكه مع أستاذه السيد جمال الدين في باريس في إخراج مجلة (العروة الوثقى) للسيد : التوجيه والروح ، ورسم الخطط وإبداء الأفكار، وللشيخ : التحرير والصياغة وتفصيل المعاني<sup>(٩٠)</sup>.

وفي البلاد العربية أيقظ الإمام محمد عبده الشعور الديني، وأشعر المسلمين أنهم يجب أن يهبوا من رقدتهم لإصلاح نفوسهم، وتكميل نقصهم، وألا يعتمدوا على الفخر بماضيهم، بل يبنوا من جديد لحاضرهم ومستقبلهم، ودعا الى أن العقل يجب أن يحكم، فالدين عرف بالعقل ، ولا بد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معا، حتى نستطيع أن نواجه المسائل الجديدة في المدينة الجديدة.

ولم يكتف الشيخ عبده بالإصلاح النظري بالتأليف أو الخطب والمقالات فقط بل كان يحاول دائما أن يحول إصلاحه الى عمل، وينغمس في الحياة الواقعية لينفذ برنامجه الإصلاحى<sup>(٩١)</sup>.

(٨٨) البهى، المرجع السابق : ص ١٠٨ وما بعدها، جيت المصدر السابق : ص ٦١ وما بعدها ٩٣، تاريخ الامام

محمد عبده : ١٤٤/٢، زعماء الإصلاح : ص ٣٠٦، ٣١٢

(٨٩) البهى المرجع السابق : ص ١٢٧ وما بعدها، زعماء الإصلاح : ص ٣٢٧، ٣٢٩ وما بعدها .

(٩٠) زعماء الإصلاح : ص ٣٠٥

(٩١) زعماء الإصلاح : ص ٣٧٧

ثم يأتي في مصر تلميذ الإمام الشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ) (١٨٦٥ - ١٩٣٥م) فيصبح الترجمة الصادقة المخلصة لأستاذه فهو الذي كتب «تاريخ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده» ثلاثة مجلدات، و«تفسير القرآن الكريم» اثني عشر مجلداً، ولم يكمله، نقل فيه كلام الأستاذ، وأسس مجلة المنار أصدر منها ٣٤ مجلداً، وله مؤلفات كثيرة أخرى منها «الوهابيون والحجاز» مما جعله أحد رجال الإصلاح السلفي الاسلامي، على طريقة ابن عبد الوهاب والشيخ محمد عبده، ومن الكتاب والعلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير، وأصبح مرجع الفتيا، في التأليف بين الشريعة والأوضاع العصرية الجديدة، وأنشأ في مصر مدرسة «الدعوة والإرشاد»<sup>(٩٢)</sup>

ويعتبر عبد الرحمن الجبرتي (١١٦٧ - ١٢٣٧هـ) مؤرخ مصر قبل الشيخ محمد عبده، أقوى داعية لحركة ابن عبد الوهاب منذ قرن ونصف، ويعتبر الوهابيين هم الأمل الوحيد والحلم العريض في إيجاد بعث عربي إسلامي، وأن قضيتهم عادلة عن قناعة واختيار حر منه في مواجهة الأتراك ومحمد علي الذي يحاربهم ويفرض عليهم نظاماً بوليسياً رهيباً.<sup>(٩٣)</sup>

وفي العصر الحاضر اعتبرت حركة حسن البنا بعد الشيخ محمد عبده في مصر وغيرها من البلاد العربية من أقوى حركات الإصلاح الحديثة المتأثرة في نواحي كثيرة بأراء ابن عبد الوهاب في العمل من أجل إصلاح أداة الحكم، وتطبيق الإسلام في التشريع والتعليم والسلوك الأخلاقي، والاجتهاد، والعناية بالحديث أو السنة، وجهاد العدو المستعمر الإنجليزي في مصر، والفرنسي في سورية، والعدو الصهيوني في فلسطين، وغيرها.

#### ١٠ - أثرها في الشام (جمال الدين القاسمي وغيره) :

ضمت دمشق نزعة حنبلية قديمة، استمرت في انحسار، ومع ذلك وجد فيها أيضاً حول نهاية القرن الماضي، وفي بداية قرنا الحالى، علماء في الشريعة عرفوا كيف يدافعون عن سنة السلف، دون أن يعتقدوا ببيعة للوهابية السعودية<sup>(٩٤)</sup>.

(٩٢) الأعلام للزركلي : ٣٦١/٦

(٩٣) مقال جلال الكشك في مجلة الحوادث عام ١٩٧٩، عدد ١١٧٤، وعدد ١١٧٦ في شهر أيار (مايو)

(٩٤) الفرق في الاسلام لاوست بالفرنسية : ص ٣٢٩ وما بعدها.

من أعلام هؤلاء العلماء الشيخ جمال الدين القاسمي (١٢٨٣ - ١٣٣٢هـ) (١٨٦٦ - ١٩١٤م)، والشيخ المجاهد كامل القصاب، والعلامة الشيخ محمد بهجت البيطار وغيرهم.

كان القاسمي إمام الشام في عصره علما في الدين، وتضلعا في فنون الأدب، مولده ووفاته في دمشق، كان سلفي العقيدة، لا يقول بالتقليد، له مؤلفات كثيرة في العقيدة والأخلاق وغيرها، عددها ٧٢ مصنفا، رحل الى مصر ثم زار المدينة، ولما عاد اتهمه حسدته بتأسيس مذهب جديد في الدين، سموه «المذهب الجمالي»، فقبضت عليه الحكومة (سنة ١٣١٣هـ) وسألته، فرد التهمة فأحلى سبيله، واعتذر اليه والى دمشق، فانقطع في منزله للتصنيف، وإلقاء الدروس الخاصة في التفسير وعلوم الشريعة الإسلامية والأدب، كما كان نهج الأستاذ الإمام محمد عبده<sup>(٩٥)</sup>

هذا.. ويعتبر عرب بادية الشام مثل عرب عنزة وغيرهم من أتباع الوهابية.

#### ١١ - أثرها في العراق (آل آلوسى):

تأثر بالوهابية ثلاثة من كبار علماء الشريعة في العراق، ينتمون الى أسرة آلوسى، بذلوا جهودهم لتعميق معرفة مصادر الشريعة وروحها، محمود (المتوفى سنة ١٨٣٥م): ترك لنا تفسيرا مهما تقليديا للقرآن، نعمان (المتوفى سنة ١٨٩٩م): دافع بحيوية عن الإمام ابن تيمية.

أما شكري (المتوفى سنة ١٩٢٤م): فقد كان مؤرخ نجد، وألف أيضا نقضا للمذهب الشيعي.<sup>(٩٦)</sup>

وكان العلامة مفتي بغداد محمود شكري آلوسى (١٢٧٣ - ١٣٤٢هـ/١٨٥٧ - ١٩٢٤م) من دعاة الإصلاح، وله ترجمة ضافية للإمام محمد ابن عبدالوهاب في بداية حركته، وتعداد مصنفاته، وسرد مبادئه، وتفصيل مجالسة ومناقشاته العلمية.<sup>(٩٧)</sup>

(٩٥) الأعلام للزركلي: ١٣١/٢.

(٩٦) لاووست المرجع والمكان السابق.

(٩٧) الاسلام في القرن العشرين للعقاد: ص ١٠١ - ١٠٧.



وله ٥٢ مصنفًا، بين كتاب ورسالة، من أهمها «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني» و«فتح المنان في الرد على أهل البدع في الدين»<sup>(٩٨)</sup> ويمتاز تفسيره برفضه الجاد قبول الروايات الاسرائيلية، ويتبع الألوسى في مسائل العقيدة السلف من الصحابة والتابعين، ويذكر المسائل المتعلقة بالفقه والأصول والمذاهب بالتفصيل، ويهتم بمنهج الإشاريين والمتصوفة، فيبين الرموز والإشارات التي تشير إليها بعض الآيات، وينبه على خطر القول بوحدة الوجود لابن عربي من حيث نتائجه، ويدافع أحيانًا عن التفكير الصوفي، من الناحية النظرية، لكنه من الناحية العملية يشن حملة شديدة ضد طرق التصوف في زمانه، ويهاجم المتصوفة في استعمالهم لبعض المصطلحات التي يعتبرها سوء أدب مع الله تعالى<sup>(٩٩)</sup>.

## ١٢ - أثرها في تركيا (مدحت باشا)

بين ابن عبد الوهاب في نجد ومدحت باشا (١٢٣٨ - ١٣٠١هـ/١٨٢٢ - ١٨٨٣م) في استنبول تشابه في استهداف الإصلاح، الأول مصلح ديني، هم إصلاح العقيدة، والثاني مصلح اجتماعي منغمس في السياسة، مهتم بإصلاح الحكومة، فالتأثير بين الأول والثاني غير متوفر إلا في فكرة الإصلاح مع اختلاف المنهج والطريق مما يجعل الأثر منعدماً، لولا القول بوجود أصداء وردود فعل غير مباشرة.. فإصلاح الأول بالرجوع إلى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته والثاني يرى الإصلاح في الرجوع إلى المدينة الحاضرة ومناهجها في الأمم الحية لنتخار منها ما يصلح لنا، ويتفق ومواقفنا.

ومنهج مدحت في الإصلاح يعكس جمال الدين الأفغانى، يرى مدحت إصلاح الشعب عن طريق إصلاح الحكومة، والأفغانى يرى إصلاح الحكومة من طريق إصلاح الشعب، لكن الاختلاف في المنهج لا يمنع وجود تقارب كبير بين الرجلين، لأن الإصلاح السياسى لكل منهما يعتمد على الإسلام، مع مراعاة ظروف التمدن الحديث.

(٩٨) الاعلام للزركلى : ٤٩/٨ وما بعدها .

(٩٩) الألويسى مفسراً. للدكتور محسن عبد الحميد، رسالة ماجستير : ص ١٨، ٢٨٣، ٢٨٧، ٢٩٤، ٣٠٣ - ٣٠٩

ولد مدحت في عهد السلطان محمود، ونضح شبابه في عهد السلطان عبد المجيد، وبدأت كهولته في عصر السلطان عبد العزيز، وانتهت في عهد عبد الحميد.

وكان مزيجاً غريباً : محافظاً على الصلاة وسبحة، ومعرفة بشئون الدنيا واطلاع واسع على تيارات العالم وأسس المدنية الحديثة، ودروشة ويقظة.

وكان في إدارته حيناً ولي في الصرب وبلغاريا مجدداً حقاً، يختلف عن سائر الولاة العثمانيين، أنشأ المدارس والمشافي وأصلح الطرق، ثم عين صدراً أعظم في عهد السلطان عبد العزيز لمدة ٧٥ يوماً، قام فيها بمشاريع إصلاحية كثيرة لم تعجب السلطان، وكان من رأيه أن الإصلاح بالحكم الديمقراطي : المساواة، والعدل، والشورى الإسلامية، والحرية، فهي التي تربي الأمم وتحيي النفوس (١٠٠).

### ١٣ - أثرها في اليمن (الشوكاني) :

ظهر في اليمن الزيدى أعلم علمائه، وإمام أئمة الإمام محمد بن علي الشوكاني (١١٧٢ - ١٢٥٥هـ/١٨٣٠م)، فسار على نفس نهج الإمام ابن عبد الوهاب المعاصر له، وإن لم يتلقه عنه، ودون أن يكون تلميذاً له، وألف كتابه القيم «نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار» «لأبي البركات» محمد الدين بن عبد السلام بن تيمية الحراني (٥٩٠ - ٦٥٢هـ) جد احمد بن تيمية المشهور (٦٦١ - ٧٢٨هـ) .

عرض الشوكاني الأحاديث النبوية، واجتهد في فهمها، وفي استنباط الأحكام الشرعية منها، ولو خالف المذاهب الأربعة كلها، وحارب التقليد، ودعا الى الاجتهاد، وألف رسالة سهاها «القول المفيد في حكم التقليد»، ودعا في قوة الى عدم زيارة القبور والتوسل بها (١٠١) فقال (١٠٢) :

(١٠٠) زعماء الإصلاح لأحمد أمين : ص ٢٦ وما بعدها، ٣٢ وما بعدها، ٥٩، ٣٥.

(١٠١) زعماء الإصلاح لأحمد أمين : ص ٢١ وما بعدها، الفرق في الاسلام لاووست بالفرنسية : ص ٣٢٩ وما بعدها.

(١٠٢) نيل الأوطار : ٨٣/٤ وما بعدها ط العناية المصرية.

«وكم قد سرى عن تشييد أبنية وتحسينها من مفساد، يبكى لها الإسلام، منها اعتقاد الجهلة لها، كاعتقاد الكفار للأصنام، وعظم ذلك، فظنوا أنها قادرة على جلب النفع، ودفع الضرر، فجعلوها مقصدا لطلب قضاء الحوائج، وملجأ لنجاح المطالب، وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم، وشدوا إليها الرحال، وتمسحوا بها، واستغاثوا، بالجملة أنهم لم يدعوا شيئا مما كانت الجاهلية تفعله بالأصنام إلا فعلوه، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ومع هذا النكر الشنيع، والكفر الفظيع، لانجد من يغضب لله، ويغار حمية للدين الخفيف، لا عالما ولا متعلما، ولا أميرا ولا وزيرا ولا ملكا، وقد توارد اليينا من الأخبار مالا يشك معه أن كثيرا من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم، اذا توجهت عليه يمين من جهة خصمه، حلف بالله فاجرا، فإذا قيل له بعد ذلك: احلف بشيخك ومعتقدك الولي الفلاني، تلعثم وتلكأ، وأبى واعترف بالحق، وهذا من أبين الأدلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال : إنه تعالى ثانى اثنين<sup>(١:٣)</sup>

فيا علماء الدين، وباملوك المسلمين أى رزء للإسلام أشد من الكفر، وأى بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله، وأى مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة، وأى منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك واجبا؟!»

#### ١٤ - أثرها في عقلية المثقف :

يتجاوب المثقف العادى المتدين وغير المتدين مع مبادئ ابن عبد الوهاب لأنها مبادئ الفطرة مبادئ الإسلام النقية، فلا يجد المتحدث عن الإسلام أى صعوبة فى إقناع مناظرة بضرورة كون الدعاء مباشرة الى الله تعالى، ونفى الوسائط، وعدم طلب حاجة من صاحب قبر ميت لا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا، والعمل بالقرآن والسنة أصلى الشريعة المستنديين الى الوحي الإلهى، ونبذ البدع والأساطير والتائم والحجب الا الرقية الشرعية، وعدم تقديس المزارات وأضرحة المشايخ وأعمال المتصوفة التى لم تعرف فى

(١٠٣) من المعتذر فى تقديرى اعتبار مثل هذه الحالة شركا وكفرا، وانما هى جهل وضلالة وفسق، لأن مثل هذا يجدد ايمانه، ويكرر نطقه بالشهادتين صباح مساء.

عهد السلف الصالح، وغير ذلك، لأن العقيدة الإسلامية في أول عهدها كانت نقية صافية من أى شرك أو وسيط، وكانت «لا إله إلا الله» معناها السمو بالنفس عن الأحجار والأوثان وعبادة العظماء، وعدم الخوف من الموت في سبيل الحق، وعدم الخوف من إنكار المنكر، والأمر بالمعروف، مهما صاحبه من جهاد وعذاب، ولأن التحرر من المادة بأشكالها المختلفة والإفلات من قيود الحس، والتسامي إلى الله فوق المادة، وفوق الحس يتطلب درجة علمية من السمو العقلي لا نجده عند غير صاحب العقل النير، وتلك هى مزية الإسلام الأولى، ولأن قياس الملك الديان على ملوك الدنيا وفي حاجتهم الى الوسائط لقضاء الحوائج قياس مع الفارق أو قياس باطل فاسد، لكهال الله وقدرته ورحمته وعجز البشر وضعفهم ونقصهم:

« قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا »  
 (الجن : ٢١ ، ٢٢)

« قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ »  
 (الأعراف : ١٨٨)

ولقد تأثر فعلا بالأفكار الوهابية - أفكار الإسلام الصحيحة خاصة- المسلمون ومتعلموهم، كما تأثر بها ناشئة الشباب المثقف بحكم ثقافتهم ونمو عقليتهم ومحامياتهم المنطقية، فلم يلجأوا الى المزارات والمشايخ، كما كان يلجأ أبائهم، وقل الاهتمام بالموالد ونحوها، ولا تبرك بأعواد أو قضبان قبة قبر ولي أو نبي، كما نص الفقهاء على كراهة ذلك، ولم يعد يتقبل أى إنسان أى فتوى فى مسألة ما بدون دليل صحيح، ولا بد من الاجتهاد فى قضايا العصر، وفى النصوص ذاتها: فقد كان إقفال باب الاجتهاد نكبة على المسلمين، إذ أضع شخصيتهم وقوتهم على الفهم والحكم، وعزل الفقه الإسلامى عن مواكبة تقدم الحياة، وعن التطبيق الفعلى، وجرى العلماء من المشاركة فى معالجة مشكلات المسلمين على نحو شرعى.

ولامنجاة من هذا الجمود الا بالاجتهاد، والعودة لأصول الدين. والاستقاء من منابعه الأولى. (١٠٤)

(١٠٤) زعماء الاصلاح : ص ١٢، ١٤، ١٦، ٢٥

كذلك كان لحركة ابن عبد الوهاب أثر واضح في عناية المؤسسات التعليمية واهتمام المؤلفين والكتاب في المدارس والجامعات بالحديث النبوي للتأكد من صحته، عناية واضحة في عصرنا تحقيقاً وتخريجاً، ليكون دليل الحكم الشرعي معتمداً على الحديث الصحيح فقط.

وهكذا لم تعد عقلية جيل القرن العشرين تقبل غير ما دل عليه العلم الثابت واطمأن إليه العقل، وحافظ على روح التشريع، وجوهر مبادئ القرآن والسنة والحديث الصحيح وعمل على تقدم المسلمين، وسباق الأمم المتعدنة، وجهاد العدو وعدم موالات الكافرين، وعدم إطاعة العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله، أو تحليل ما حرم الله<sup>(١٠٥)</sup>.

وإذا كنا ما نزال نشاهد بعض المظاهر غير الإسلامية لدى بعض المسلمين، كالاهتمام بالقبور، وبنائها كالقصور الصغرى، وما يجاورها من منكرات ولا سيما في الأعياد، فذلك بسبب عدم اقتران كلمة العالم بتنفيذ الحاكم، كما كان الشأن عند قيام الدعوة الوهابية مقترنة بالسلطة الزمنية.

والخلاصة : لقد تمخضت القرون الثلاثة الأخيرة عن انتفاضات قوية حسب مقتضيات البيئة، ومتطلبات الحياة، ومعالجة أوضاع المسلمين.

فابن عبد الوهاب الداعية الأول والمصلح المنقذ في القرن الثامن عشر، والسنوسي الكبير في النصف الأول من القرن التاسع عشر، والمهدى السوداني والأفغانى في النصف الثانى من القرن التاسع عشر، ولكن دعوات هؤلاء ما عدا الأفغانى ظلت داخلية محلية، تستهدف الرجوع الى حقيقة الإسلام الأولى، وتحارب.. الضعف والتفرق والاستبداد والاستكانة، والرضا بالقليل.

ثم برز زعماء آخرون قادوا الحركة الإسلامية متأثرين أيضاً بدعوة ابن عبد الوهاب

(١٠٥) مؤلفات ابن عبد الوهاب، قسم العقيدة: ص ١٠٢

في ضوء الحياة الجديدة التي فرضتها النهضة الصناعية الكبرى في أوروبا، ومقارنتها  
بواقع المسلمين المتخلف، وبمبادئ الإسلام، وأهم هؤلاء المفكرين الجدد هم الشيخ جمال  
الدين الأفغانى، والشيخ محمد عبده ومدرسته السلفية... والشاعر الثائر محمد إقبال، الذين  
قاموا بتجديد المفاهيم الدينية منذ بداية القرن العشرين.

والفضل في كل ذلك للمتقدم وهو الإمام محمد بن عبد الوهاب .

والحمد لله رب العالمين..



أثر دعوة الشيخ  
محمد بن عبد الوهاب  
في غرب إفريقيا

للدكتور عبد الفتاح الفهمي

محاضر في التاريخ الإسلامي

جامعة الملك عبد العزيز





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

في هذا الظلام الدامس والليل الحالك الذي أحاط بالأمّة الإسلامية من جميع جوانبها، حيث سادها التفكك والانهييار، وانتشرت الضلالة والبدع والخرافات، وسادت الشعوذة وانحدر المسلمون في المتاهات، بزغ على الأمّة الإسلامية فجر يوم جديد يتمثل في ظهور دعوة التوحيد والعودة بالإسلام إلى نبعه الخالدين لكي يستكمل التشييد الإسلامي وتنطلق الأمّة الإسلامية في ركب الريادة من جديد.

ذلك لأنه في هذا الجو الذي تكاثفت فيه الظلمات ساد جو من التعصب، وأغرق الناس في الجهل والإيمان بالخرافات واعتقادا بالقبور وبالمتوتى ومزارات المشايخ والأولياء، وسطت على عقليات الناس بعض السخافات، وظهر التخلف على كل شبر من الأرض الإسلامية.

ومن قلب كل هذه الأمور والظلمات ولد محمد بن عبد الوهاب في بلدة (العينية) هناك غرب الرياض وفي قلب نجد عام ١١١٥ هـ / ١٧٠٣ م، وتعرف أسرته بأنها فرع من آل مشرف وتنتمي إلى قبيلة تميم، وقد اشتهرت أسرته بالعلم والدين، فجدّه عالم فاضل، وأبوه قاضي العينية، وعمه إبراهيم عالم فقيه، وابن عمه عبد الرحمن بن إبراهيم عالم كذلك، وأخوه سليمان رجل من أهل العلم.

وعنى به أبوه صغيراً وحفظه القرآن الكريم وتلقى مبادئ العلوم في بلدته ثم سافر لطلب العلم والمعرفة، ودرس بعض الدروس لدى علماء المدينة ثم يم وجهه نحو العراق فجاها البصرة وقرأ على بعض علمائها، ومر على بلاد الشام وفيها درس كتب ابن تيمية ونقل كثيراً منها، وفي طريق عودته إلى نجد مر بالأحساء فتتلمذ لأحد فقهاها، ونيغ في الفقه والحديث واللغة، ثم عاد إلى نجد وشرع يحارب البدع والخرافات وأخذ يدعو إلى

مذهب التوحيد، ولكن العواصف عصفت به، وتمرد الناس الذين سادهم الجهل المطبق عليه، فهجر (العيينة) إلى (الدرعية) مقر آل سعود، فرحبوا به بعد أن اقتنعوا بفكرته وشرعوا يناصرون دعوته إلى الدين، ومن ثم بدأوا يدخلون في دعوته أفواجا، ومامر وقت من الزمن إلا والدعوة تحقّق أعلامها خفاقة عالية في نجد والأحساء وكثير من مناطق الجزيرة وتتجه نحو الحجاز، وتنتشر أنباء هذه الدعوة إلى كل مكان.

ويتوفى محيي السنة ومبطل البدع والساثر على نهج السلف الصالح في الدرعية عام ١٢٠٦ هـ / ١٧٩٢م، والحديث عن حركة التوحيد والعدل والإيمان التي فجرها الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في قلب الجزيرة العربية حديث طويل، وممتد ولا يتسع المجال للحديث عنها بالتفصيل في ذلك البحث الصغير الضيق.

ولكن هذه الحركة الإسلامية التوحيدية كان لها أثرها الواضح والقوى والفعال والمؤثر في تصحيح المسار الفكري في العالم الإسلامي، وتنقية الدين الإسلامي مما علق به من الشوائب والخرافات والبدع والخزعبلات والتمسك بالقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة باعتبارها القواعد الأساسية للدين الإسلامي، والذي يجب أن تسير الأمة الإسلامية على هدى هذين النبعين الخالدين، ونبذ ما يتنافى معها من بدع وضلالات دخلت على الدين في عصور لاحقة للدعوة الإسلامية وسابقة لدعوة الإمام المصلح الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

## أثر دعوة الشيخ:

لقد كان لهذه الدعوة الإسلامية التصحيحية أثرها البعيد المدى والواسع النطاق في العالم الإسلامي، حيث تركت دعوة التوحيد والإيمان التي ناصرها رجال الشيخ من الموحدين آثارها الطيبة في جميع أنحاء العالم الإسلامي؛ فقد تركت أثرها في كل الحركات الإسلامية التي ظهرت على أثرها في شتى أنحاء العالم الإسلامي في المغرب، ومصر، والعراق، وبلغت الشرق الأقصى في الفلبين والملايو وأندونيسيا والهند.

ويمكن القول أن حركة التوحيد والعدل كانت تعمل ما وسعها العمل لأجل إيقاظ الشعور الإسلامي من جديد، والعمل على وحدة المسلمين وتكاملهم واعتصامهم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وتوحيد الجهود الإسلامية من أجل طرد الاستعمار من البلاد الإسلامية إلى بسط نفوذها عليها وتحرير الأمة الإسلامية من الآثار الأجنبية.

وقد تركت الدعوة السلفية الإصلاحية التوحيدية أثرها في القارة الأفريقية، حيث انطلقت على هدى من مبادئها وعلى أسس تعاليمها الحركة المهدية بقيادة محمد أحمد المهدي في السودان، والحركة السنوسية في ليبيا، وكذلك منطقة غرب القارة الأفريقية، تركت بصماتها وأثارها قوية في حركة الزعيم الديني الشيخ عثمان بن فودير الذي اتبع نفس المنهج، وسار على نفس الخط التي تحركت عليه حركة الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الدعوة والتبليغ وفي الجهاد والانتشار.

## غرب أفريقيا:

لقد تركت دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب أثرها في تلك المنطقة الواسعة من غرب القارة الأفريقية، وهي تلك المنطقة التي يحدها من الشرق بحيرة تشاد، ومن الغرب ساحل المحيط الأطلسي وقرب الرأس الأخضر، وتقع هذه المساحة بين خطي عرض ٩ درجة و ٢٧ درجة شمال خط الاستواء تقريبا، على أنها لم تشغل من هذه المساحة سوى أراضي السافانا التي تلي منطقة الغابات الاستوائية الساحلية، وتبلغ مساحة غرب القارة الأفريقية نحو

٢٤ مليون ميل مربع، أى: نحو مساحة المملكة المتحدة البريطانية ٢٥ مرة ونحو ٦/٥ مساحة الولايات المتحدة الأمريكية، وتبلغ المساحة بين طرفي هذا الإقليم الشرقى والغربى نحو المساحة بين موسكو ولندن .

ولقد تأثرت هذه المنطقة الواسعة بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في شخص الشيخ عثمان بن فودي، الذى قام بحركته المخلصة في أواخر القرن الثامن عشر الميلادى وأوائل القرن التاسع عشر، لكى يخرج مسلمى منطقة غرب القارة من رقدهم وليوقظ وعيهم، ويبعث النشاط الإسلامى فيهم عن طريق دعوته السلمية وحركته التجديدية التى امتدت إلى كل منطقة غرب القارة.

ولقد اتسع نطاق دعوته وانتشرت بوجه خاص في إمارات الهوسا وهى: كانوا، كاتسينا، زاريا، رانو، جوير، بيرم، دارا، وأيضا إمارات سوكتو زنفارا، كيبسى، نربى، بوشى، ناورى، جوارى، راجع مقالنا في مجلة الفيصل؛ مراكز الحضارة الإسلامية في إمارات الهوسا.

### شعب الفولانى:

لقد اختلف الكثير بشأن هذا الشعب، فمنهم من يقول شعب الفلانة، والعرب هم الذين يطلقون عليهم هذا الاسم، في حين يطلق عليهم سكان إمارات الحرصة شعب الفولانى، وأما هم فهم عبارة عن بدو رحل رعاة فيطلقون على أنفسهم شعب الفولية، وقد اختلف الباحثون من رجال الانتروولوجيا والاركيولوجى والتاريخ بشأن أصل هذا الشعب؛ ولكنهم اتفقوا جميعا على أنه شعب واحد على منطقة غرب القارة الأفريقية، فمنهم من يرى في أن هذا الشعب هم عبارة عن جزء من شعب بلاد النوبة في السودان الشرقى، ويرى البعض الآخر أنهم من عناصر البربر الذين رحلوا من جنوب بلاد المغرب واستقروا في منطقة أعالي نهر السنغال مؤقتا، وقد خضعوا في بادىء أمرهم للدول التى قامت في منطقة غرب القارة (غانا، مالى، سنغاي) وإن كانوا هم يدعون لأنفسهم أصولا عربية وشعبا عربيا شأنهم شأن الكثير من القبائل الافريقية التى انتسبت إلى العرب، ويقولون

أن جدهم الأكبر عقبة بن نافع الفهري أو عقبة بن عامر الذي تزوج من ابنة ملك قبائل التورود Turud وأنجب أربعة أولاد، ومن سلالة هؤلاء الأولاد كان شعب الفولاني، وهناك من يقول إن الفولانيين من مصر العليا، هاجر أوائلهم غربا عبر شمال أفريقيا إلى ساحل المحيط الأطلسي، ثم رحلوا إلى الجنوب الشرقي، وهم يعتبرون أنفسهم من الشعوب البيضاء ولاسيما الطبقة الحاكمة منهم، وكانوا يتفوقون على الوطنيين سكان المنطقة ببعض الثقافة الإسلامية، وكان لهم مركز خاص بين سكان غرب أفريقيا.

ومهما يكن من أمر فإنهم منذ القرن الثالث عشر الميلادي بدأت حركة التنقل تأخذ طريقها من السنغال إلى الشرق، حيث استطاعوا أن يصلوا إلى شمال غرب نيجيريا حيث استقروا للرعى والدعوة للإسلام بين القبائل التي سكنوا بالقرب منها، وقد أقاموا لهم أمارات محلية، وإن كانت جماعات من شعب الفولاني لم تتحرك إلى نيجيريا حيث شعب الحوصا، ولكن استقرت مع شعب الماندي بالقرب من نهر النيجر، وقد اشتغل فريق منهم بالرعى والآخر بأعمال التجارة في المدن، وقد امتدت هجرتهم شرقا حتى وصلت إلى بلاد برنو، ذلك لأنه في عهد السلطان الحاج عمر بن إدريس الذي حكم برنو تسعة عشر عاما وتسعة أشهر (١٠٣٦ هـ - ١٠٥٥ هـ / ١٦٢٥ - ١٦٤٥ م) وفد إلى برنو في عهده بعض رعايا شعب الفولاني، وكان من بينهم بعض المشايخ مثل الشيخ ولدي الذي استوطن كلنبرد شكال برنو واتخذ هذه المدينة لنشر الإسلام، وكان معه الشيخ الوالي ابن الجرمي، وقد قاما بهداية الناس وتعليمهم الإسلام الصحيح الخالي من البدع والخرافات وقراءة القرآن. وتزاحم الناس لأخذ التعاليم الدينية الإسلامية عنهما وقد تاب على أيديهما بعض موظفي السلطان برنو، وكان سلطان البلاد من بين هؤلاء التابعين.

وقد استفاد شعب الفولاني من سقوط سلطنة سنغاي تحت الحكم المراكشي عاد ١٥٩١م، إذ ساعد ذلك على تجمعهم وازدياد نشاطهم ووجودهم في المنطقة، وهذا هو الذي ساعد عثمان بن فودي في حركته، إذ أخذهم مادته الأساسية في حركته الإصلاحية الكبرى التي اضطلع بها في القرن التاسع عشر للجهد والعمل على نشر التعاليم الإسلامية الصحيحة في تلك المنطقة الواسعة، ومحاربة كل ما يتنافى مع التعاليم الإسلامية السليمة.

## أحوال المنطقة قبل دعوة عثمان بن فودى:

يبدو أن الظروف التي سادت المجتمع الإسلامى ككل قد كانت بشكل أوضح في منطقة غرب القارة، ذلك لأن إمارات الحوصا التي تعمق الإسلام فيها كانت تجد صعوبة ومشقة في محاولة نشر الإسلام بين القبائل الوثنية فضلا عن انقسامها على نفسها ومحاربة بعضها البعض، فقاتلت كانوا التي هي من أغنى الإمارات وأوسعها، وهي أسبق إمارات الهوسا دخولا في الإسلام مدينة كاتسينا، وكذلك تصارعت الإمارات الأخرى مع بعضها البعض، وهكذا كانت المنطقة مسرحا للصراع السياسى والاقتصادى من أجل بسط النفوذ وذلك بعد أن تخلصت بعض هذه الإمارات من سلطان سنغاي مثل إمارة كيسى وبعضها الآخر لم يعد لبرنو نفوذ عليها إلا دفع الجزية، مثل دارا وجوبير.

كذلك فإن الإسلام لم يكن قد تمكن من نفوس السكان بالمعنى الصحيح، بل كانت لاتزال إمارات كثيرة أغلب سكانها تعيش على الوثنية، وبشكل المسلمون نسبة عددية قليلة، بل ان هؤلاء لم يكن نصيبهم من الإسلام إلا اسمه، فقد سادت بينهم العديد من المفاسد الدينية والدينية، وقد كان منهم من لازال يكشف عورته ويشرب الخمر ويعمل عمل أهل الجاهلية، كأكل الميتة والدم، وكان البعض الآخر لا يحافظ على أداء الصلاة ولا يصوم شهر رمضان ولا يوتى الزكاة، بل إن إمارات الهوسا المنقسمة على نفسها والمتصارعة فيما بينها لم تستطع أن تقاوم هذه المفاسد التي كانت منتشرة بين السكان في المنطقة كلها والتي منها برنو، وكانم، وسنغاي، وأن تغالب الوثنية وأن تجنب الدين الإسلامى الشر الذى انتشر بين السكان .

ولقد كانت كل هذه الظروف فرصة مهيأة لظهور شعب الفولانى المسلم الذى اشتهر بالدعوة للإسلام، وكان الكثير منهم دعاة مخلصين لله قبل ظهور الشيخ عثمان بن فودى.

ولقد سمحت إمارات الهوسا لقبائل الفولانى المهاجرة من الشرق أو الشمال في شكل هجرات سلمية بالاستقرار على تخوم أراضيها الشمالية، ويذكر أن عرب الشوا Shuwa في برنوم الذين سهلوا للفولانى الاستقرار، وهذا يؤيد لحد ما أن أصول الفولانى عربية -

ولقد كانت هذه الهجرات السلمية لشعب الفولاني ذات أثر بعيد في تاريخ المنطقة، ذلك لأن تلك الهجرات السلمية قد استطاعت في نهاية الأمر أن تمتزج امتزاجا كاملا مع شعب الهوسا بعد خضوع الهوسا للسلطة الدينية الجديدة التي قادها عثمان بن فودي، وأن يقيم شعب الفولاني دولته الإسلامية الفتية التي اتخذت من مدينة سوكتو عاصمة لها وأن تضم كل إمارات الهوسا وأجزاء من برنو، وأن تنشئ دولة إسلامية مدت نفوذها على كثير من المناطق، والتي عملت على ضرورة العودة إلى أصول الدين الإسلامي، ومحاربة البدع المنتشرة والخرافات السائدة في مثل ذلك المجتمع الإسلامي، والتي كانت ظاهرة بصورة واضحة، وإمارات الهوسا والتي منها تقديس العديد من الأرياح وعبادة الأشجار التي كان يعتقد أن الروح قد حلت بها وأيضا الأحجار والأنهار وتقديم القرابين، وطغيان أولى الأمر من السلاطين والولاة وحلقات الرقص العارية.

ولقد كانت كل تلك الأمور واضحة في سلطنة برنو، وكانم، والهوسا، وسنغاي، ومن هنا وجدت حركة الشيخ عثمان بن فودي طريقها للنجاح.

### سيرة عثمان بن فودي:

ينتسب هذا المصلح الديني الى شعب الفولاني، وهو ينحدر من أسرة من هذه البطون الفولانية التي اتخذت وطنها الأول في فوتانورد، ثم هاجرت حتى دخلت سهول نيجيريا وقامت في بلاد الحوصا، وفي هذه البيئة الدينية التي كانت تحميها أسرته الصغيرة وعائلته التي كان بها الكثير من الدعاة، ولد الشيخ عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح بن فودي في قرية طفل بإمارة جوبير في مكان يدعى مارتا في عام ١١٦٩ هـ، وإن كان البعض يذكر أنه ولد في شهر صفر عام ١١٦٨ هـ الموافق ١٥ ديسمبر ١٧٥٤ .

وكلمة فودي تعنى في لغة الكانوري سكان برنو الرئيسي، أو شيخ البدوء، أو العالم، وقد اكتسب والد عثمان هذه الصفة الأخيرة حيث كان عالما من علماء الدين الإسلامي في القرية التي ولد بها عثمان، وكان بيته بيت علم ودين وفتوى، واشتهر بذلك في ولاية جوبير، وقد أسلم أجداده منذ زمن طويل وتفقه أبوه في الدين واشتغل بالعلم، وكان من



أهل الفتيا واشتغل به بيته كله زوجته وبناته وأولاده، شب في هذه البيئة المتدينة فأولع بالعبادة والذكر، ونشأ نشأة دينية خالصة ثم بدأ يخطو خطواته الأولى في طريق العلم والثقافة.

تلقى علومه الإسلامية والدينية ودروسه الأولى في اللغة العربية على يد والده الشيخ محمد فودي وجدته رقية وأمّه حواء، ويلاحظ القارئ هنا أن نساء شعب الفولاني كن يتمتعن بنصيب موفور وبحظ ليس بقليل في نيل العلم وتعلم العلوم الإسلامية ودراسة مبادئ القراءة والكتابة باللغة العربية وحفظ القرآن الكريم.

### حياته:

وارتحل الشيخ عثمان مع أسرته المكونة من والده، وجدته، وأمّه الى بلدة ديجيل من إمارة جوبر، وحفظ القرآن الكريم وهو صغير، ثم بدأ يتجه للتمكن من العلوم العربية والإسلامية، فقد درس اللغة العربية وعلومها على يد الشيخ عبد الرحمن بن حمد، وسمع الفقه عن الشيخ محمد بن عبدالله، وارتحل إلى إمارة زنف من امارات الهوسا حيث سمع التفسير ودرس الصحيحين هناك.

ولكنه لم ينتفع بما درس وحصل عليه من العلوم، ورغب في الاستزادة والتبحر فارتحل شمالاً إلى بلاد الطوارق جنوب الصحراء الكبرى، حيث بلدة أفاديس ذات المكانة الدينية والإسلامية، وهناك أخذ العلم عن الشيخ جبريل بن عمر، وعند الشيخ جبريل بن عمر تفتحت عيناه على أمور إسلامية جديدة، وسمع لأول مرة ضرورة العودة إلى التعاليم الإسلامية الصحيحة ونبذ كل مالا يتفق مع الكتاب والسنة.

ذلك لأن الشيخ جبريل كان قد سبقه لأداء فريضة الحج حيث كان قد قام بأدائها للمرة الثانية في عام ١٢١٠ هـ، وكان الشيخ جبريل قد التقى في مكة المكرمة ببعض مشائخ التوحيد أنصار دعوة الشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب، ودرس بعض الكتب التي ألفها الشيخ الإمام المصلح، وارتوى التلميذ ابن فودي من هذا المنهل الإصلاحي على يد أستاذه جبريل.

وعاد الى بلاده الحوصا، وهناك هاله حال المسلمين، فهم يخالطون الوثنيين دون تخرج  
ويقلدون العامة، وأصبح الدين الإسلامى تشوبه الكثير من البدع وانتشرت الخرافات  
وساد الجهل بقواعد الإسلام وتعاليمه بين المسلمين فى تلك الجهات .

### عثمان بن فودى فى مكة المكرمة:

لقد كان ما سمعه عثمان عن شيخه جبريل بن عمر عن الدعوة الإصلاحية التى  
انتشرت فى أنحاء الجزيرة العربية دافعا قويا له على أن يعد الرجال الى بيت الله الحرام  
لكى يؤدى الفريضة، ويلىم بتعاليم الدعوة التوحيدية، ويطلع على كتب شيخها، ويلتقى  
بالعديد من تلاميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب، وكانت دعوة التوحيد قد انتشرت فى  
الحجاز منذ عام ١٢١١ هـ حيث جاء على رأس الحجيج نفر من كبار علماء ال الشيخ وقام  
السعوديون فى عام ١٢١٤، ١٢١٥ هـ بالحج فى جموع بالغة الكثافة، وكان على رأسهم  
سعود الكبير بن عبدالعزيز، وكانت دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب قد أتت ثمارها فى الحجاز  
فانضم اليها العديد من قبائل الحجاز، وجاء الأمير سعود الكبير إلى مكة عام ١٢١٨ هـ  
حاجا<sup>(١)</sup>، ولكن ما أن حل عام ١٢١٩ هـ حتى كان أنصار دعوة الشيخ قد سيطروا على  
مكة المكرمة<sup>(٢)</sup>، وظل حكمهم لها حتى عام ١٢٢٨ هـ.

وجاء الشيخ عثمان حاجا الى مكة المكرمة عام ١٢٢٠ هـ، وفى مكة المكرمة خالط  
عثمان أخبار الشيخ ابن عبدالوهاب ودعاة الدعوة التوحيدية واستمع اليهم واطلع على  
العديد من الكتب التى ألفها الشيخ بنفسه، ومنها: رسالة كشف الشبهات، وأصول  
الإيمان، معرفة العبد لربه ودينه ونبيه، المسائل التى خالف فيها رسول الله صلى الله  
عليه وسلم أهل الجاهلية، فضل الإسلام، نصيحة للمسلمين، و الأمر بالمعروف والنهى  
عن المنكر، رسالة فى أن التقليد جائز لا واجب، كتاب الكبائر .

وبعد أن اطلع على هذه الكتب التى استطاع أن يستنسخ بعضها منها، أيقظت

(١) لم يحج الأمير سعود الكبير عام ١٢١٨ هـ ولكنه حج عام ١٢٢١ هـ انظر تاريخ ابن بشر ص ٣٣

(٢) لم يسيطر أنصار الشيخ فى عام ١٢١٩ هـ وإنما سيطر عام ١٢٢٠، تاريخ ابن بشر ط ٢

هذه الأفكار الإصلاحية الجديدة في نفسه الرغبة في أن يحارب البدع في بلاده، كما حاربها أنصار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في بلادهم وفي سائر الجزيرة العربية، وأن يعلنها ثورة على المفاسد التي يقوم بها أولى الأمر في بلاد الهوسا وفي منطقة غرب أفريقيا، كما كانت دعوة الإمام محيي السنة ومبطل البدعة ثورة على المفاسد.

وقويت في نفسه الرغبة في إيقاظ مسلمي غرب القارة الأفريقية من خمومهم ورقدتهم وحياتهم التي لا تسير على روح الإسلام وتعاليمه. وقفل الشيخ عثمان بن فودي عائداً إلى بلاده بعد أن مكث فترة تقرب من العام فيما بين مكة المكرمة والمدينة المنورة.

ويقول محمد بن بللو في كتابه «إنفاق الميسور» إن الشيخ ولديد بن جرمي الذي كان يدعو للإسلام في برنو قد تنبأ بظهور دعوة الشيخ عثمان بن فودي، وأنه سوف يتزعم حركة جهاد مقدس، وسوف يكثر أتباعه، وسوف يخوض حروبا مقدسة، وأن الشيخ ولديد قد نصح بأنه إذا ظهر هذا الشيخ فإن المسلمين في غرب أفريقيا يجب أن يتبعوه ويناصروه وأن يلتفوا حوله، لأن دعوة هذا الرجل تكون أصولها في أرض الجزيرة العربية حيث ستنطلق دعوة تعيد للإسلام مجده وتجدد شبابه ويتخلص الإسلام من كل شيء شابه.

وهذا ما ذكره ابن الشيخ عثمان بن فودي، وقد يكون ذلك نوعا من كسب التأييد لدعوة والده لانضمام الأنصار حوله.

### الصدع بالدعوة :

عاد الشيخ عثمان إلى بلاده وكله حماس للدعوة السلفية وتخليص العقيدة الإسلامية من كل شيء يتنافى مع الكتاب والسنة، وأخذ يلقى الدروس والمواظف في كيببي وجوبير، ثم انتقل إلى زمعاراء ومن ثم بدأت سمعة الشيخ وشهرته في بلاد الهوسا تتزايد ويكثر أتباعه، ولما رأى نفسه من القوة الروحية وترسخ العقيدة الإيمانية وكثر أتباعه فإنه سار على المنهج الذي سار عليه المصلح ابن عبد الوهاب، حيث التجأ إلى سلطان زمعاراء يدعو لدعوته وأتباعه ليساند الدعوة، ولكنه لم يجد لديه قبولا.

وأعلن مبادئه على أتباعه، وهذه المبادئ تظهر واضحة وجلية في المؤلفات التي ألفها ونشرها وبلغت اثني عشر مؤلفاً، وقد وصلت ربما إلى عشرين مؤلفاً .

ومنها كتاب الفرق، كتاب وثيقة أهل السودان ، كتاب تنبيه الأخوة، كتاب إحياء السنة وإخماد البدعة، وكتاب نور الألباب.

ونقول هنا إن كتاب إحياء السنة وإخماد البدعة الذي طبع في القاهرة عام ١٩٦٢م فإن الذي يلقي نظرة فاحصة على ما جاء فيه يجد نفس النمط والأسلوب والمعنى في أقوال الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهذا يدحض كثيراً من الآراء والأفكار التي قال بها الكثير من الغربيين والمستشرقين الحاقدين على الإسلام وعلى الدعوة الإصلاحية للشيخ ابن عبد الوهاب بأنه لا يوجد أدنى صلة أو علاقة بين دعوة عثمان بن فودي ودعوة الشيخ ابن عبد الوهاب .

كذلك ظهر تأثير الدعوة السلفية للشيخ محمد بن عبد الوهاب في مؤلفات أقارب عثمان، ومنهم أخوه عبد الله وابنه محمد بللوموكلاهما ألف في العقائد ونقل وشرح وظهر المنهج واضحاً في كتاب تذكرة الشيبان الذي أفرد ذيلاً في كتابه للشيخ محمد بللوم بن عثمان ولبعض خلفائه.

والذي عرف عنه إنكاره للصلاة على روح الميت، تعظيم من مات من الأولياء، استنكاره المبالغة الزائدة والمفرطة في مدح الرسول، وهاجم شرب الخمر، وفساد الخلق .

وبدأت دعوة الشيخ ابن فودي على نفس منهج الشيخ ابن عبد الوهاب وأنصاره في بادئ الأمر، دعوة إلى الدين بالحسنى والموعظة الحسنة، وكذلك الدعوة للإسلام بين القبائل الوثنية، وحض الناس على اعتناق مبادئه السمحة، وتعاليمه الخالدة، ومن ثم بدأت حلقات الطلاب تتسع ويزداد عدد أتباعه ومؤيديه.

ثم بدأ بعد ذلك الحوض على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتاب على يديه خلق كثير، وتزايد عدد أنصاره ومؤيديه، وبدأ يدعو أمراء بلاد الهوسا جميعا للدخول في دعوته، ويحضهم على إصلاح أحوال الرعية، ومحاربة البدع، والقضاء على الفساد، واعتصام قادة المسلمين في غرب إفريقيا وتحادهم وذلك على نشر رسالة الإسلام بين القبائل الوثنية التي لا زالت تعيش على الفطرة ولم تعرف الإسلام بعده، ولكن أعرض عنه من أعرض واتبعه من اتبعه، وكان الذين أعرضوا عنه هم الأكثرية حيث خافوا على سلطانهم وأملاكهم وسلطتهم في البلاد.

### فحوى دعوة الشيخ عثمان:

من خلال دراسة مؤلفات الشيخ عثمان ودراسة تعاليمه وخطته التي سار عليها في الدعوة الإسلامية، يتضح لنا تمام الوضوح أنه كان يدعو من منطلق دعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب، وأن الذي يتمعن في دراسة الدعوتين يجد تطابقا شبه تام بينهما، وهذا لا يدع مجالاً للشك في الأثر القوي للدعوة الإصلاحية التي قادها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في دعوة الشيخ عثمان بن فودي، ويتضح ذلك من رغبة الشيخ عثمان في دعوته السلفية الملحة في العمل من أجل إعادة بناء المجتمع الإسلامي على أسس جديدة تعيد للإسلام بساطته الأولى أيام مهد الدعوة الإسلامية في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ونقاء الدعوة مما شابها كما كانت نقية أيام الخلفاء الراشدين، كذلك التزام الشيخ عثمان ببدا الشورى، فإنه كان يتشاور مع أصحابه وأتباعه في كل الأعمال التي ينوي القيام بها، وذلك تمسكا بقوله تعالى:

« وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ » « وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ »

وذلك تمسكا بأفعال الرسول الكريم، وكذلك التزام خلفائه من بعده بالعمل على اتباع نظام البيعة الإسلامية، وهذا هو نفس ما حدث في عهد الخلفاء الراشدين، بل إنه كان يذكر أصحابه دائما أن العناية الإلهية قد اختارته لإصلاح الدين مما أضيف إليه من بدع وتعاليم فاسدة لا تتمشى مع تعاليم وساحة، هذا الدين في عهد لاحقته، وأنه يعمل على إعادة حكم الأمة والجماعة، كما أنه كان دائما يقول إن أساس دعوته هو رفع كتاب الله

فوق كل مكان وانتشار راية التوحيد، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل بقاع  
غرب أفريقيا .

ونفى عن نفسه في قوة وصرامة وإصرار أن ما يقوم به ليس طمعا في ملك أو سلطان  
أو أى غرض من أغراض الدنيا الزائلة، وإنما هو من أجل الله والدين.

وأنه عندما أراد استخلاف ابنه محمد بللو وأخذ البيعة له من بعده فإنه روى أن  
خطيب المسجد قرأ على الناس وثيقة الشيخ في استخلاف ولده في الإمامة من بعده،  
وذلك عملا على سياسة والده، وإن خالف ذلك فلهم الحق في عزله، ولذا أتاه الأهل  
والأنصار من كل الأفاق وبايعوه على الخلافة من بعد والده.

وكان عثمان يأكل من كسب يده، ويأبى أن يقتات من أموال المسلمين، وكان أنصاره  
لا يكفون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل إن جيوشهم كانت عندما تقوم  
بالغزو والجهاد تقرأ قبل الزحف المقدس آيات الجهاد وصورة براءة لتقوى الروح  
المعنوية للجنود، وليكون غاية الجهاد هو نشر الإسلام ومحاربة البدع أو الاستشهاد، وكان  
طابع جماعته التقشف والزهد في الدنيا والعمل من أجل نصرته دين الله، بل إن الشيخ  
وأتباعه عملوا على تحطيم بيوت صنع الخمر وعقاب حاملها وساقيتها وشاربها، والقضاء  
على كل المفاصد في بلاد الهوسا حتى أن الأمر قد وصل بهم إلى كسر آلات الطرب  
والموسيقى، بل أن أحدهم قد قام بقتل ضارب الدف.

وقد قام الشيخ بتثبيت التوحيد الخالص بمحاربة كل ما يؤدي إلى الشرك، كالإعتقاد  
في قدسية بعض الأرواح أو الأشجار أو الأحجار أو الآثار أو الأنهار، وتقديم القرابين إلى  
الجنة لإبعاد آذاه، وزيارة قبور الأولياء بقصد نبيل شفاعتهم والتبرك بهم.

## مراحل الجهاد الاسلامى :

كان الشيخ عثمان بعد أن كثر أتباعه وازداد أنصاره قد قرر أن يشتغل بدعوته الى وعظ الأفراد وإرشادهم، ولعله كان يريد أن يحقق ما حققه الشيخ ابن عبد الوهاب من قبل في أن يجد أحدا من الأمراء يقتنع بدعوته، ويدعو له بين الأقوام في إمارات الهوسا، كما تم لأل سعود من قبل في احتضان دعوة الشيخ المصلح ابن عبد الوهاب .

فاتجه الى أمير جوبير وبين له الحق والباطل، وشرح له تعاليم الإسلام الصحيحة وطلب منه أن يعاونه في إقامة العدل، وإحياء الدين الإسلامى على أسس من التقوى والايمان والبعد عن الخرافات، ولكن يبدو أن هناك خلافا دبا بينه وبين أمير جوبير مما اضطره الى الرحيل الى إمارة زنفر وكبيسى لنشر دعوته ومبادئه الإصلاحية، وهناك وجد إقبالا شديدا على دعوته، وبدأ الناس يدخلون في معيته بعد أن أسلم العديد من الوثنيين من سكان تلك الإمارات، وسرت سمعته ودعوته سريان النار في الهشيم بين سكان إمارات الهوسا، وإزاء هذا النفوذ القوى أعلن أمراء الهوسا طرده من بلادهم، وأمروه بالخروج، وهددوه بالقتل هو وأعوانه.

ولما لم يجد أحدا ينصر دعوته خرج مهاجرا الى الشمال الى أطراف الصحراء، وكان ذلك في عام ١٨٠٤م. فإذا الأمراء يتعقبونه ويقفون عقبة في طريقه للرحيل شمالا.

وازاء هذا الموقف فإنه لم يجد بدا من إعلان الجهاد المسلح للحفاظ على دعوته ورد كيد الأعداء عن دعوة الإسلام، فبايعه أصحابه على الجهاد أو الموت وطاعة الله ورسوله وبايعوه على اعتبار أنه أمير المؤمنين.

ووجدت دعوة الجهاد المسلح استجابة سريعة وقوية لدى أنصاره في كل أنحاء نيجيريا وذلك لإعلاء كلمة الدين الإسلامى، ووقفوا أمام الحركات التى بدأت تطارد أبناء شعب الفولانى في كل مكان من إمارات الهوسا وبرنو وكانم، وبدأ الناس يفدون من أنحاء كثيرة من البلاد وقدموا اليه مهاجرين ينضمون لجيشه الإسلامى ويؤيدون دعوته بأنفسهم وأموالهم.

ومن هنا فقد بدأت دعوته الإصلاحية تدخل مرحلة جديدة من مراحل الجهاد، فبعد أن كان يدعو الناس للدخول إلى الإسلام بالسلم والمجادلة الحسنة والدعوة الصالحة، وجد عقبات تقف في سبيل دعوته وتحاول القضاء عليها، فكان لابد من درء الخطر عن دعوة الإسلام الإصلاحية في نيجيريا ودفع خطر الكفر والوثنية وكيد الأعداء، فأعلن الجهاد المسلح.

وبذلك تكون قد بدأت مرحلة جديدة في تاريخ نيجيريا، بدأت منذ عام ١٨٠٤م حيث استطاعت حركة الشيخ عثمان دن فودي أن تجذب صدى سريعاً لدى سكان المناطق بعد أن بدأت الحركة تحرز الكثير من الانتصارات على أمراء بلاد الهوسا، وبدأت سمعتها تقوى في غرب إفريقيا بأسرها.

وذلك هو نفس الأسلوب الذي اتخذته دعوة الإمام الشيخ ابن عبد الوهاب عندما تحرك آل سعود لدفع الخطر عن دعوة التوحيد والقيام بالواجب الإسلامي في نشر الدعوة في الأرجاء الواسعة من الجزيرة العربية.

### الجهاد المسلح :

لما كان ملك جوبير قد ألح في طلب الشيخ عثمان وأنصاره، وهاجم المدينة التي يقيم فيها، فهرب عثمان مع قومه، ويعتبر تاريخ هذا الهرب أو الهجرة في ٢١ فبراير ١٨٠٤م حادثاً خطيراً بالنسبة للدعوة إذ ازدادت سطوة الفولاني وقوة الدعوة الإسلامية إذ بدأ دور الفتح والجهاد.

واستقر الشيخ عثمان في مدينة جودو، وبدأ الشيخ عثمان جهاده ضد براكنة الهوسا، وانتصر على ملك جوبير في يونيو ١٨٠٥م، وخشى كل أمير من أمراء الهوسا أن يكون مصيرهم هو نفس مصير سلطان جوبير، فقام كل أمير من أمراء الهوسا بالقبض على رعايا الفولاني في كل من كاتسنا، وكانوا، وزاريا، ودوري، ويبرم، وغيرها من الإمارات مما أثار الفولاني.



فقام الشيخ عثمان بمهاجمة مدينة كانو وهزم أميرها هزيمة ساحقة، وولى أحد أتباعه أميراً عليها، ثم هاجم أمانة زاريا وتم له فتحها عام ١٨٠٧م، واستولى على مدينة سوكتو أو سكت، أو صكت بفتح الصاد وضم الكاف المشددة وضم التاء كما يكتبها الفولاني.

واتخذ هذه المدينة حاضرة لدعوته الإسلامية، واختار الشيخ أربعة عشر قائدا من أعظم رجاله وقادته، وأعطى لكل منهم علما وبارك هذه الأعلام، ودعا رجاله إلى الجهاد في سبيل الله، ونجح الفولاني في إخضاع جميع بلاد الهوسا، فاستولى على كل الإمارات والتي منها كانو، وكاتسيا، وزاريا، وأدوماوا، وكيبسي، وكاتاجوم، ونوب، ودوري، وبوتشي، ومرسو، وولى على كل إقليم من هذه الأقاليم أحد حملة الأعلام أو أحد سلالته.

وكان الحماس يوحد بين صفوف أنصاره ويدفع فيهم الرغبة الملحة في ضرورة رفع لواء الدين الإسلامي، والذي يدفعهم إلى ذلك طلب الشهادة ودخول الجنة أو الفتح والنصر والظفر ورفع راية التوحيد، راية لا إله إلا الله محمد رسول الله في كل بقاع أرض الهوسا.

وحركة الشيخ عثمان الإصلاحية هذه شأنها شأن دعوة المصلح الديني محي السنة ومبطل البدعة وحامل لواء السلف الصالح الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لقيت تشجيعا وتعظيضا من المخلصين لدين الله الواحد القهار، والراغبين في الإصلاح ونشر دعوة الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد، كما لقيت معارضة ومحاربة أنصار البدع والذين لم يعجبهم نهجها في الإصلاح، كما مرت دعوة الامام ابن عبد الوهاب بكل هذه الأدوار، وقد اتسع نطاق هذه الدعوة بعد أن اتسع بعدها ليشمل كل بلاد الهوسا ليدخل في طور جديد من أجل بسط قواعد الحق والإيمان، ومن أجل القيام بالواجب الإسلامي في سبيل الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وتمكين كلمة الله على الأرض، وإقامة الصلاة إيتاء الزكاة، والقضاء على البدع لأن كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

ومن هذا المنطلق وقفت برنو في سبيل دعوته بعد أن استطاع الشيخ عثمان وأتباعه أن يستولوا على إمارات الهوسا الشرقية التي كانت تخضع لنفوذ برنوه وإزاء ذلك حدث التصادم والصراع الطويل بين الفولاني والبرنوه وظهر في برنو الشيخ محمد الأمين الكافي الذي دارت مراسلات بينه وبين الشيخ عثمان بن فودي .

## الجهاد ضد برنو:

لقد استقر بعض الفولاني والأقاليم الغربية من برنو منذ فترة طويلة، وتجمعوا في إقليم جورجيا Gejeba واستطاعوا أن يكونوا قوة بشرية ودينية هائلة، وعندما وزع الشيخ عثمان الأعلام على أتباعه كان نصيب ماهر المختار وإبراهيم زكى القلب أن يتوجها إلى أطراف برنو الغربية حيث منطقة عملهما، ولم يكذب يصل هذان المجاهدان إلى مركز القيادة التي حددها لهم الشيخ عثمان حتى انضمت إليهما الجماعة المقيمة، فنظم كل واحد منهما جيشا قوامه الإيمان بالله وحده وطلب الشهادة في إعلاء كلمة دينه.

وقد استطاع قواد الفولاني هزيمة أمراء برنو الغربية الذين يحكمون الإمارات الغربية من البلاد، وبعد هذه الهزيمة فإن الطريق أصبح مفتوحا إلى عاصمة برنو أمام الجيش الثانى بقيادة الماهر المختار الذى سار جنوبا نحو العاصمة، واستطاع أن يسيطر على العاصمة بعد معركة عنيفة، حيث قيادة الماهر المختار، وهرب السلطان أحمد بن دوناما سلطان برنو إلى كانم حيث طلب المساعدة من الشيخ محمد الأمين الكانى.

وقد بقى الماهر المختار فى عاصمة برنو عدة شهور حتى استطاع طرده منها الشيخ الكانى، واضطر الفولانى إلى الرحيل غرب البلاد إلى بلاد الهوسا وطردهم من البلاد، وعندما بدأوا الهجوم ثانية على برنو فإن محمد الأمين الكانى صدهم مرة أخرى وأجبرهم على العودة على الرغم من أنهم استولوا على جزء من البلاد، إلا أنهم لم يستطيعوا أن يهزموا برنو هزيمة نهائية.

وسيطر الفولانى على كل شمال نيجيريا فيما عدا برنو، وأنه لولا مقتل الماهر المختار قائد جيش الفولانى فى برنو لتغير الوجه التاريخى للمنطقة، إذ أن مقتل الماهر المختار قد فرق قواته .

كذلك التعاون بين شعب البرنو الكانورى وشعب الكانىسو بقيادة محمد الأمين الكانى قد وقف فى سبيل انطلاق دعوة الشيخ عثمان.

كذلك فإن الظروف قد ساعدت شعب البرنو والأمين الكانمى، اذ توفى الشيخ عثمان ابن فودى عام ١٨١٧م، وبوبيع ابنه محمد بللو كأمر للمؤمنين فى البلاد، ولكن الإدارة انقسمت بين الأمير محمد بللو ابن الشيخ عثمان وبين عبد الله ابن فودى شقيق الشيخ الراحل، وبقي القسم الشرقى تحت سيادة وسلطة أمير المؤمنين محمد بللو، والقسم الغربى تحت سيادة عبد الله بن فودى.

وقد ذكر محمد بللو عن أهل برنو قوله إن لهم مواطن يركبون إليها ويذبحون لها ويرشون الدماء على أبواب قريتهم، ولهم بيوت معظمة فيها حيات وأشياء يذبحون لها ويفعلون للبحر كما كانت تفعل القبط للنيل فى مصر أيام الجاهلية، وأن لهم أعيادا يجتمعون فيها .

ومن هنا فإن واجب الدعوة الإسلامية الإصلاحية بقيادة الشيخ عثمان محاربة برنو على الرغم من أنهم مسلمون، إلا أن البدع المنتشرة بينهم، والخرافات تسود مجتمعهم، ولم ينتهوا عن ذلك بالطرق السلمية، بل ذبحوا رجال الدعوة وطردوهم من بلادهم، فحق جهادهم، وبعد أن هدأت حالة الحرب بين الفولانى وبين الشيخ محمد الأمين الكانمى بعد وفاة الشيخ عثمان فإن الشيخ الكانمى رأى من الحكمة والحكمة السياسية أن يتفاهم مع الفولانى، ولا بأس لديه أن يكرر رسائله إليهم بعد المراسلات العديدة التى ذكرها الشيخ محمد بللو فى كتابه التفاهة الميسورة، فبعث برسالة إلى محمد بللو سلطان سوكوتو أوضح له فيها أنها أهل دين واحد هو الإسلام، وأنه بين برنو وبلاد الفولانى بعض القبائل التى لازالت تعيش على الوثنية، ولا تعبد الله، ولم تدخل دين الإسلام بعد، فهم قوم يجوز فرض الجزية عليهم ودعوتهم لدخول الإسلام، وعرض على سلطان سوكوتو أن تظل هذه القبائل حدا فاصلا بين برنو وبين سلطان الفولانى على أن يحترم كل منهما حدود الآخر.

فإلى الشرق من هذه القبائل الوثنية تقع بلاد برنو التى أضحت تحت سلطان الكانمى، وإلى الغرب من هذه القبائل تقع بلاد الفولانى.

وهنا تكاد الظروف تتشابه مع دعوة التوحيد فى الجزيرة العربية، فكما وقف السلطان

العثماني في تركيا، ومحمد علي في مصر في وجه الدعوة السلفية، فإن الشيخ محمد الأمين الكائني وقف في وجه دعوة الشيخ عثمان في غرب افريقيا .

فلو أن الظروف السياسية في منطقة الشرق الاسلامي أفسحت الطريق أمام دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب لتغير الوجه السياسي والديني لمنطقة الشرق العربي الإسلامي برمتها، وانتشرت الدعوة خارج الجزيرة العربية الى آفاق أوسع وجهات أبعد، ولكن المطامع السياسية في كل مكان وهي نفس المطامع، فقد حدث مطامع الكائني في برنو من سرعة انطلاق الدعوة السلفية في غرب افريقيا .

## أثر دعوة عثمان بن فودي في غرب أفريقيا:

لقد تركت هذه الدعوة الإصلاحية أثرا عظيما وطيبا في جميع أحوال المسلمين ، في نيجيريا وفي غرب أفريقيا كلها، إذ عمت المفاهيم الإسلامية وعادت بالاسلام إلى خطه السليم وسيرة السلف الصالح، وقضت على كل الخرافات والبدع والشعوذة التي كانت سائدة في تلك المنطقة ولا تتلاءم مع التعاليم الاسلامية الصحيحة وكذلك عملت تلك الدعوة على دفع حركة المد الاسلامى خطوات واسعة للأمام، إذ أرسل الفولانى وعاظهم ورجاهم إلى أقاليم الوثنيين لنشر مبادئ الاسلام، ولم يعتمد الفولانى على الجهاد، وهذا مانصر الاسلام ورفع لواءه ، وإنما قاموا بجهود طيبة لنشر الاسلام بالطرق السلمية، إذ بفضلهم انتشر الاسلام في جنوب نيجيريا، وبهذه البلاد ملايين عديدة من المسلمين دخلوا الاسلام على نطاق واسع بفضل هذه الحركة الإصلاحية العظمى.

كذلك فقد كان لهذه الحركة أثر عظيم وكبير في نشر اللغة العربية والعلوم العربية الاسلامية، إذ أضحت اللغة العربية لغة المراسم والمكاتبات والدواوين والمعاملات والتجارة، وأضحت كذلك لغة التأليف والكتابة والمراسلات، وتركزت بصحتها قوية واضحة في لغة الهوسا ولغة الفولانى.

كذلك فإن كل المؤلفات التى تركها الشيخ عثمان بن فودي وكذلك أخوه عبدالله بن فودي كانت كلها باللغة العربية، بالإضافة إلى مؤلفات محمد بللو بن عثمان كانت أيضا باللغة العربية. ومن مؤلفات الشيخ عثمان: أصول الولاية، إحياء السنة، بيان البدع، ترغيب العباد، التصوف، تميز المسلمين، الجهاد، سوق الصادقين، شفاء الخليل، علوم المعاملة، عمدة العلماء، عمدة البيان، العقل الأول، كف الطالبين، المهدي المنتظر، المسائل المهمة، نصائح الأمة، نور الألباب، الهجرة.

ولأخيه عبدالله بن فودي ألفية الأصول، بحر المحيط في النحو، تزيين الورقات، تخميس العشریات، تفسير التأويل، تفسير كفاية الضعفاء، الحصن الحصين في الصرف، دواء الوسواس، سبيل النجاة، ضوء المصلی، ضياء السياسة، ضياء الحكام، كتاب النيات، مصالح الانسان، مفتاح التفسير، مفتاح الأصول ، نيل المرام، نظم النقاية.

ولمحمد بللو بن عثمان: اتفاق الميسور، همزية البوصيرى، وقصيدة بانث سعاد،  
والبردية للبوصرى، وغيرها من المؤلفات الأخرى .

إن أثر دعوة الامام المصلح محمد بن عبدالوهاب لم يلق عليها الضوء الكافي حتى  
الآن، فهى فى أمس الحاجة إلى الباحثين المجددين الذين عليهم أن يتحروا الدقة  
الموضوعية، والأمانة العلمية فى بيان أثر هذه الدعوة فى العديد من أقطار العالم الاسلامى  
وليس فقط فى غرب افريقيا.

ومعذرة أخى القارىء الكريم حيث نكتفى بهذا العرض الموجز لأثر الدعوة  
الاصلاحية السلفية بقيادة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى غرب افريقيا .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .،

## المصادر والمراجع

- ١- آدم عبدالله الالورى  
٢- ابراهيم صالح بن يونس  
٣- ابراهيم على طرخان  
٤- احمد السباعى  
٥- بكرى شيخ أمين  
٦- حسن ابراهيم حسن  
٧- حسن احمد محمود  
٨- تذكرة، النسيان فى اخبار ملوك السودان، المؤلف مجهول، نشرة هودامس، باريس ١٨٩٩م  
٩- دائرة المعارف الاسلامية  
١٠- عثمان بن فودى  
١١- عبدالفتاح مقلدالغنىمى  
١٢- عبدالفتاح مقلدالغنىمى  
١٣- عبدالفتاح مقلدالغنىمى  
١٤- عبدالفتاح مقلدالغنىمى  
١٥- عبدالفتاح مقلدالغنىمى  
١٦- على أبوبكر  
١٧- أرنولد توماس  
١٨- محمد بللو بن عثمان  
ابن فودى
- : تاريخ الاسلام فى نيجيريا (بيروت) ١٩٥٦م  
: تاريخ الاسلام وحياة العرب فى امبراطورية كانم - برنو - الخرطوم ١٩٧٠م  
: امبراطورية برنو الاسلامية، القاهرة ١٩٧٥م.  
تاريخ مكة، مكة، مطابع قريش، ١٣٨٢هـ .  
: الحركة الادبية فى المملكة العربية السعودية بيروت ١٣٩٢هـ  
: انتشار الاسلام والعروبة فيما يلى الصحراء الكبرى  
القاهرة ١٩٥٧  
: الاسلام والثقافة العربية فى افريقيا، القاهرة ٥٨م  
: مادة فوليه، الحوصة.  
: احياء السنة واحمد البدعة، القاهرة ١٩٦٢م.  
: سلطة البرنو الاسلامية برسالة ماجستير ١٩٧٥م جامعة القاهرة.  
: المسلمون وحضارتهم فى غرب افريقيا تحت الطبع.  
: مراكز الحضارة الاسلامية فى غرب افريقيا مجلة الفيصل.  
: الدعوة الاسلامية وغرب افريقيا: مجلة الدعوة عدد ٦٥٢  
: الاسلام والمسلمون فى نيجيريا، مجلة التضامن الإسلامى  
رجب ١٣٩٨هـ  
: الثقافة العربية فى نيجيريا: رسالة دكتوراه  
١٩٦٨م - جامعة القاهرة.  
: الدعوة الى الاسلام القاهرة ١٩٥٧م  
: اتفاق الميسور بذكر بلاد التكرور، القاهرة  
١٣٨٣ هـ .



- 1) Barth, H. Travels in North and Central Africa. London, 1858.
- 2) Crowder, M. The Story of Nigeria. London, 1955.
- 3) Fage, T., An Introduction of the History of West Africa Cambridge, 1955.
- 4) Hodgkin, T. Nigerian Perspectives. London, 1960.
- 5) Hogben, J. The Muhammadan Emirates of Nigeria, London, 1930.
- 6) Meek, G.K. The Northern Tribes of Nigeria. E. vols, London, 1931.
- 7) Palmer, R. The Bornu Empire and Sudan. London, 1936.
- 8) Trimingham, J.S. A History of Islam in West Africa. London, 1962.
- 9) Trimingham, J.S. Islam in West Africa. London, 1959.
- 10) Urvoys, J. Histoire de l'Empire du Nord. Paris, 1949.

تأثر الدعوات الإصلاحية الإسلامية في  
تايلاند  
بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

لفضلة الشيخ إسماعيل أحمد

رئيس جمعية الإسلام بيانكوك



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### مقدمة جغرافية عن تايلاند:

تايلاند أو سيام هي مملكة بوذية من إحدى البلدان الواقعة في جنوب شرق آسيا، متصلة بالهند الصينية، تقع لاوس في شمالها وماليزيا في جنوبها والبحر الصيني في الشرق، وفي الشرق الغربي تتصل بدولة الهند الصينية ومن ناحية الغرب تتصل ببحر الهند وبورما، وهي بذلك تحاط بالدول البوذية إلا في الجنوب، فماليزيا دولة إسلامية بالتعريف العرفي.

مساحة تايلاند: ٥٩٨,٣٧٠ كيلومترا مربعا.

تعداد سكانها: ٤٣ مليونا.

المسلمون: ٤ ملايين (٤٪ التقرير الرسمي).

المسيحيون: ٢٪.

الباقي: ٩٤٪ (٤٠,٤٢,٠٠٠).

العاصمة: بانكوك سكانها حوالي ٤ ملايين.

وتقسم المملكة التايلاندية إداريا إلى ٧٣ ولاية أو مدينة.

وانتشار المسلمين في الجنوب أكثر من المناطق الأخرى وهي الولايات الآتية:

- |                       |                 |
|-----------------------|-----------------|
| ١ - سورات.            | ٧ - فتالونج.    |
| ٢ - نكون سرينتا مراج. | ٨ - سونكلا.     |
| ٣ - فانغا.            | ٩ - ستول.       |
| ٤ - كرابي.            | ١٠ - فطاني.     |
| ٥ - بوكيت.            | ١١ - جالا.      |
| ٦ - ترانج.            | ١٢ - ناراتيواس. |

ويتركزون في الولايات الأربعة الأخيرة حيث يمثل المسلمون غالبية عظمى من السكان، ولكن لا تخلو المدن الأخرى من المسلمين كذلك حتى أقصى المدن الشمالية، وهي مدينة شاينج ماى ثانية أكبر وأقدم الولايات السيامية، وهي عاصمة ومصيف المنطقة الشمالية.

والولايات الجنوبية الأربعة سكانها ٩٠٪ مسلمون من أقدم العصور، وأى زائر لهذه الولايات يشعر في أول وهلة كأنه يزور الولايات الماليزية، وانتشر المسلمون كذلك في الولايات القريبة من الولايات الجنوبية المذكورة وخاصة في الضواحي والأرياف مثل ولاية: كرابى، ترانج، فانغا، بوكيت، سورات، نكون سریتا مراج، فتالونج، سونكلا، وفي ولاية كرابى = ٥٠٪ من سكانها مسلمون، وبوكيت: مسلمون ٣٠٪، وسونكلا ٣٠٪ وبها ٣٠٠ مسجداً، وفتالونج مسلمون ٣٠٪ وعدد المساجد ٣٠، وكون سریتا مراج ١٠٪ وعدد المساجد ٧٣ مسجداً رسمياً وعدد آخر لم يسجل (تقرير لجنة إسلامية في نفس الولاية) وجملة المساجد في تايلاند كلها ٣١٢٣ مسجداً.

في حين عدد المعابد البوذية كلها ٢٣,٠٠٠ معبداً، أى: بنسبة  $23/201 = 9,23\%$  ونسبة المسلمين إلى البوذية ٩,٣٠٪.

## بدء الدعوة في تايلاند والقائمين بها

(٢) في بانكوك.

(١) في جنوب تايلاند.

بدأت الدعوة الإصلاحية الإسلامية في جنوب تايلاند حوالي عام ١٩٤٣م - بقيادة الأستاذ اسماعيل احمد في دائرة فاكفجون تابعة لولاية فتالونج، وذلك بعودة الأستاذ من لكهنو حيث تخرج من كلية الندوة، وهي تمثل مدرسة «أراء» الأستاذ الشيخ أبو الحسن الندوي، ولاشك أن آراء التلميذ لا تختلف عن آراء الأستاذ تجاه مشاكل المسلمين وقضاياهم، وأن دائرة فاكفجون في ولاية فتالونج جنوب تايلاند فيما بين عام ١٩٤٨ - ١٩٦٥م تشبه إلى حد بعيد بمدينة الدرعية في عام ١١٥٧ هـ، ولكي تكون الصورة واضحة لديكم فلتتبعوا سيرة الدعوة الإسلامية في هذه المنطقة الحساسة من جنوب تايلاند.

### من بدايتها:

في الأيام الأواخر من الحرب العالمية الثانية وبعد أن قاسى العالم من ويلات الحروب وخاصة اليابان من جراء إلقاء القنبلة الذرية الأولى على مدينة هيروشيما والقنبلة الثانية على مدينة نجا ساكي، وبدأت عمليات تبادل أسرى الحرب، وفي ذلك الوقت كان الأستاذ الشيخ اسماعيل طالباً حديث التخرج من كلية الندوة، ولا زال مقيماً في الهند بانتظار العودة إلى وطنه، وبما أن حكومة تايلاند آنذاك وقفت إلى جانب اليابان ضد أمريكا وحليفاتها في بادئ الأمر. ولذا قبض على التايلانديين المدنيين في الخارج إلا الذين أعلنوا أنهم مستقلون غير ملتزمين بسياسة الحكومة التايلاندية، ووضعوا تحت الحراسة في الخيام العسكرية تمهيداً لتسفيرهم في عمليات تبادل أسرى الحرب، ومن بينهم الخريج الجديد الأستاذ اسماعيل أحمد، وعاش كغيره عيشة الأسرى في الخيام العسكرية

وكغيره كل أملة العودة إلى البلد، فأرسلته السلطة العسكرية الحاكمة في الهند في الباخرة الفخمة هو وغيره من أسرى اليابانيين، حيث وصلت سينغافورة ثم إلى تايلاند عن طريق سكك الحديد يوم ١٩٤٢/٩/٢٢م، ثم سافر إلى بلدته في الجنوب دائرة فاكفجون التابعة لولاية فتالونج والتي تبعد عن بانكوك بحوالى ألف كيلو متر، وما أن وطأت قدماه تراب موطنه حتى واجه سيلا من الأسئلة الدينية من بعض الأقرباء الذين درسوا في المدارس المذهبية «فندق»، وكانوا ينتظرون عودة الأستاذ بفارغ الصبر، وأعدوا المسائل الخلافية ليحسمها الأستاذ بينما هو لم يثبت قدماه في المدينة التي غادرها منذ طفولته.

فرد الأستاذ على أسئلتهم بصراحة وإخلاص مستدلاً بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وما أجمع عليه السلف، ولا يخاف في الحق لومة لائم، فكان ذلك رد الفعل الشديد، ووقع في النفوس وقع القنبلة الذرية، لأنهم لم يسمعوا بمثل هذا الجواب الصارم القوي الحججة من قبل، فسر من سر وغضب من غضب وانقسموا إلى مؤيدين ومعارضين، واتسعت دائرة التأييد كما اشتدت المعارضة وتفننت في الكيد والمكر للأستاذ ولأتباعه المخلصين، وبذل المعارضون كل ما في وسعهم لوقف دعوة العودة إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، ولكنهم لم ينجحوا، وسارت الدعوة الإسلامية في خطها الذي قدرها الخالق، ولم يكتف الأستاذ بإلقاء الخطب لإخوانه المسلمين وإفتائهم بل دعا المسلمين في المنطقة إلى تأسيس مدرسة دينية، فترجع أهل البلد كل بطاقته المحدودة حيث أنهم صيادون، وافتتح مدرسة أسسها «أنصار السنة» في عام ١٩٤٥م، كان يديرها ويدرس فيها بنفسه، وكان التعليم مجاناً، والمنهج على الكتاب والسنة، والتدريس باللغة العربية فقط، وأهل البلد الساترون على هذا المنهج يقدمون الطعام بين حين وآخر مجاناً إلى تلاميذ المدرسة وأساتذتها، وفي نفس الوقت تقدمت الدعوة واتسعت دائرتها وشملت المناطق المجاورة وامتدت الى العاصمة، فجاء الطلاب المسلمون من الجنوب والشمال بل ومن ماليزيا نفسها، وفتحت مدرسة ثانية بنفس الاسم والمنهج في العاصمة وثالثة في المدينة القريبة منها نزولا على رغبات المسلمين هناك، افتتحت الندوات الإسلامية في بعض المساجد وفي المناسبات المختلفة مثل أيام عيدي الفطر والأضحى، ونظمت الدعوة الإسلامية لتغطي المناطق المختلفة بابتعاث الطلبة المتمازين الفصحاء تحت المراقبة والاشترك من الأساتذة، وفي السنوات الأولى من الدعوة الإسلامية اضطر

الأستاذ اسماعيل أحمد وبعض مؤيديه إلى خوض ميدان المناظرة مع العلماء المدعين بالعلم، والذين نصبوا أنفسهم علماء وارثين الأنبياء، وقد تجنب الأستاذ هذا الميدان لأنه ميدان الشياطين، ولكن ما بيد الأستاذ حيلة: فخاض الميدان رغم أنه، وكانت المناظرة شاقّة حارة لأسباب كثيرة منها أن الذين يدعون العلم ليسوا ملتزمين بأدات المناظرة والمجادلة هذا سبب، والسبب الثاني أن كثيراً من العلماء أسرى هواهم يتبعون عامة الشعب لارتزاقهم منهم، والسبب الثالث أن عامة الشعب مجهلون حقائق الإسلام، يتلون القرآن تلاوة البيغاء، ولكن الخير فيهم أنهم راغبون في الاستماع إلى المناظرات الدينية. وقد وصل عدد الحاضرين في بعض المناظرات الدينية إلى عشرات الألوف، وهذا ما حدث في مدينة هاديي التابعة لولاية سونكلا إحدى الولايات الجنوبية بماء ١٩٤٨م، وقد بحثت في هذه المناظرة مسائل البدع والخرافات.

ومنذ اللحظة الأولى من الدعوة حاول أعداء الدعوة عرقلة سيرها بكل الوسائل، منها اتهام الدعوة بأرخص التهم مثل القول بأنها دعوة إلى دين جديد، مذهب جديد، قول جديد، دعوة وهابية ودعاتها الوهابيون .. الخ .

وقد آذوا الأستاذ سراً وعلناً، ولجأ البعض منهم إلى وسيلة أخرى، فاستعانوا بأيدي ثالثة وهم الكفار شعبا وحكومة، وهؤلاء لديهم وسائل وإمكانيات تفوق دعاة الدعوة وأنصارها، وقد اتهمت الحكومة سراً في ذلك الوقت بأن الأستاذ له علاقة سرية مع الحركة الانفصالية في الجنوب، وأرسلت بعض رجال المخابرات الى منزل الأستاذ للتفتيش والبحث على أي ذريعة يمكن بها أن تثبت تهمتها الباطلة، وذلك بإيحاء من بعض المسلمين المنافقين الذين تتأثر مراكزهم ومصالحهم بالدعوة الإصلاحية الإسلامية على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب ، وقد دفعت بعض الجهات المال لأحد رجال البوليس التايلاندى لاغتتيال الأستاذ ، ولكن الله سلمه وإنقلبت الأمور ، واعترف المأجور بالخطئة وأنه لم يطاوعه ضميره على القيام بمثل ذلك الإجرام .

وبعد ذلك قرر الأستاذ النجاة بالدعوة الإصلاحية والهجرة بمغادرة دائرة فاكفجون إلى بانكوك، وتذكرنا هنا بحادثة هجرة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من العينينة الى مدينة



حريملاء تحت ظروف متشابهة، فترك الأستاذ دائرة فاكفجون ومدرسة أنصار السنة في عام ١٩٥٥م، وفي بانكوك لم تتوقف الدعوة الإصلاحية الإسلامية على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ولكن أخذت الدعوة تزيد نشاطاتها واشترك الأستاذ مع بعض زملائه في بعض البرنامج الإذاعي لنشر الدعوة في قلب العاصمة وعن طريق الاذاعة الرسمية، ودامت هذه الحركة لمدة ٨ - ١٠ سنوات حيث أوقفت بعد ذلك بسبب الظروف السياسية والمحيطية بحرب الأيام الستة في عام ١٩٦٧م .

وكان الأستاذ وقت ذاك يفسر الآيات المتعلقة بنبي اسرائيل، والحقيقة أن الحكومة التايلاندية تمنح الحرية الدينية للمسلمين، وحرية الدعوة الإسلامية حتى عن طريق الاذاعة الرسمية، فياحبذا لو كانت الدول الإسلامية تحسن استغلال الفرصة والظروف لنشر الاسلام في تايلاند، لأن التايلانديين ساذجون إلى أبعد الحدود، وإلى جانب نشر الدعوة الإسلامية عن طريق الاذاعة التايلاندية حاول الأستاذ نشرها عن طريق الكتب والمجلات وإلقاء المحاضرات في بعض الجامعات التايلاندية وبعض المساجد، وعقد الندوات الإسلامية في بعض منازل المسلمين في بانكوك وبعض ضواحيها، كما كان يكتب مقالات دينية ينشرها في بعض المجلات ويدرس في بعض المدارس الإسلامية في بانكوك، فقاوم سكان العاصمة دعوته كما كان يفعل سكان الأرياف والمدن النائية وخاصة تلك الطبقة المحكمة في الشعب والعلماء المرتزقين، وقد لجأ أصحاب النفوس الضعيفة من المسلمين والحاquدين إلى وسيلة الأرياف وذلك بتشويه الدعوة واتهام دعائها بشتى الاتهامات، والمحاولة للنيل منه، وقد حاولوا لطمخ منزل الداعية الإسلامي، وقطعوا التليفون عن منزله، وأرسلوا الخطاب الى المخابرات التايلاندية، أخبروهم بأن منزل الأستاذ مركز اجتماع المتأمرين من الجنوب، واتهموه بأنه قاديانى وينشر العقائد القاديانية، ولا نظن أنها آخر التهم مادام في قلوبهم مرض، ولكن الدعوة تسير قدماً، وشملت طبقة المثقفين وخاصة طلبة الجامعات في العاصمة وخارجها، بل بدأ بعض المواطنين الكفار والرهبان البوذيين يهتمون بالدين الإسلامي، كما حضر بعضهم الى مقر جمعية الاسلام للدعوة والارشاد في بانكوك، وأرسل بعضهم الرسائل الى مجلة الجهاد التي يصدرها تلاميذنا تحت إشرافنا، ونشر بعض هذه الرسائل الواردة من الرهبان والمؤلفة قلوبهم.

## المنهج الذي تسير عليه الدعوة الإسلامية في تايلاند

منذ بداية الدعوة الإسلامية في جنوب تايلاند في حوالى عام ١٩٤٣م، كانت ولا تزال تسير على منهج الكتاب والسنة والسلف قولاً وعملاً: قولاً بدعوة المسلمين إلى العودة إلى ما كان عليه السلف الصالحين، وإلى التحكيم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم في حل المسائل الخلافية، وتدعو الناس إلى نبذ البدع والمخرفات والوثنيات التي تغلغت في نفوس المسلمين تغلغلاً وصل إلى أعماق القلوب، فعميت الأبصار عن رؤية حقائق الإسلام ولبه حتى جعلتهم لا يدركون التمييز بين الإيمان والكفر، ولا بين الشرك والتوحيد، فما يؤمن أكثرهم إلا وهم مشركون، واشترك بعض المسلمين الجهلاء مع البوذيين في المراسيم البوذية، وتبرعوا في بعض الاحتفالات البوذية، كما ابتدع المسلمون احتفالات مثل المولد النبوى ، ويوم عاشوراء ، و يقيمون الولائم الدينية مثل : وليمة يوم السابع - الأربعين - ثمانين - لوفاة فلان وفلان ، ويتركون الصلاة وهملون العبادات ، وكان بعضهم يصلى مرة في الأسبوع في الجمعة والبعض الآخر يصلى مرتين في السنة وهما صلاة عيد الفطر والأضحى .

واهتمت الدعوة الإسلامية في تايلاند أول ما اهتمت بالصلاة المفروضة والنافلة وأدائها حسب ما جاء بها في سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم دون إفراط أو تفريط، ابتداء من الوضوء إلى الأدعية بعد الصلاة كما بذلت جهودها في تعليم وشرح كلمة «لا إله الا الله محمد رسول الله» وأدت دراسة كيفية الصلاة إلى انقسام المسلمين إلى قسمين: قسم يصلى كما ورد في سنة الرسول صلى الله عليه وسلم، وآخر يصلى كما كان يصلى إمامهم أو إمامهم في ولايتهم بالسنة، وذهب بعضهم إلى عدم الانتماء بالإمام السنى فأقيمت صلاة الجمعة مرتين في بعض المساجد مرة لهؤلاء وأخرى لأولئك وانشقوا على أنفسهم وبنوا مسجداً إلى جانب مسجد والبعد بينهما لا يصل إلى كيلومتر واحد، وتعصبوا

للمذاهب وبعضهم شافعيون أكثر من الإمام الشافعي أو يدعون الشافعية وهم يعيدون عنها، وقد زينوا صلاتهم بالبدع والخرافات ويرفعون أصواتهم المزعجة بالتهليل والتكبير، ويهزون رؤوسهم وأبدانهم ويعتقدون أن هذه الحركات جزء من الصلاة، ولما دعوناهم إلى نبذ تلك البدع والخرافات ردوا علينا بأن دعوتنا وهابية ونحن منتسبون إلى مذهب جديد، فقاطعونا بكل الطرق؛ لا يزوروننا ولا يعودون مرضانا ولا يشيعون أمواتنا ويقطعون الأرحام في حين أننا نعاملهم معاملة الأخوة، أي: نرد السيئة بالحسنة نرشدهم وندهوهم إلى إخلاص العبادات لله وحده ولا نشرك به شيئاً وأن نوصل الأرحام وتحكيم القرآن والسنة، وكان معظم المسلمين لا يعبدون الله إلا وهم مشركون، لأنه لا تكاد تخلو كل قرية في تايلاند منذ ٣٠ سنة ماضية لا تخلو من شجرة أو حجر أو ولي يتبركون به ويحتفلون لأجله ويقدمونه تقديساً، ويحسبون أنهم يحسنون صنعا، فكانوا يضحون بأموالهم وأنفسهم ويدافعون عن وثنياتهم دفاعاً مميماً، كما أشربت في قلوبهم الوثنية والبدع بكفرهم وجهلهم بالإسلام.

وينقسم المسلمون في تايلاند إلى جماعتين أساسيتين:

(١) أهل الكتاب والسنة.

(٢) أهل البدع والخرافات.

ويمثل رئيسهم شيخ الإسلام الذي عينته الحكومة التايلاندية، وهذا من حسن نواياها لأنها لا تعرف شيئاً عن الإسلام وما يدور في المجتمع الإسلامي من الخلافات المذهبية، وكان أول مقاصد الحكومة من تعيين منصب شيخ الإسلام هو أن يكون مستشار الملك في الشئون الإسلامية حتى لا تصطدم إدارة الحكومة وسياستها مع عقائد المسلمين وتقاليدهم، ولكن بعد مرور الوقت أصبح هذا المنصب تابعا للشئون الدينية في وزارة المعارف، وقيل لنا إنه يوجد مكتب شيخ الإسلام في وزارة المعارف ولكنه لم يحضر إلى الوزارة إلا لاستلام المشاهدة مرة في الشهر. ولذا فإن الحكومة لا تستفيد شيئاً من آرائه إلا أنها لا تجرؤ أو لا تريد أن تمس شيخ الإسلام خوفاً أو احتياطاً منها من تأثير ذلك على شعور المسلمين، وكانت الحكومة تفهم أن أهل الكتاب والسنة السائرين على منهج

الشيخ محمد بن عبد الوهاب هم من نفس جماعة البدع والخرافات التابعين لشيخ الاسلام، مع أنه في الواقع أن جماعة الكتاب والسنة لا يعترفون بشيخ الاسلام بل ينكرونه، وقد أدركت الحكومة في الآونة الأخيرة أن هذه الجماعة يعارضون شيخ الاسلام في آرائه وإدارته.

ولما رأى شيخ الإسلام وجماعته المتمسكون بالبدع والخرافات أن منهج الشيخ محمد ابن عبد الوهاب السائر على منهج الكتاب والسنة قد انتشر في سائر المدن والقرى الاسلامية، حاولوا وضع العراقيل في وجه الدعوة الإسلامية بشتى الطرق، فنذكر اثنتين منها:

(١) إيفاد أساتذتهم الخرافيين الى المناطق المنتشرة فيها الدعوة الوهابية لمحاربتها ووقفها، ولكنهم باءوا بالفشل بسبب أن المسلمين في تايلاند بدأوا يفهمون المبادئ الاسلامية الصحيحة.

(٢) عندما تدعو الحكومة التايلاندية الأساتذة المسلمين من جميع أنحاء البلاد إلى الاجتماع السنوي في العاصمة لأخذ رأيهم، يشغل شيخ الإسلام وجماعته هذا الاجتماع لمحاربة الدعوة الإسلامية التي يقوم بها أهل الكتاب والسنة في تايلاند، ولكن الحكومة لا تشاركهم في هذا الاتجاه لأنها أدركت أن في البوذية كذلك جماعتين :

١ - جماعة قديمة تشبه جماعة البدع والخرافات عند المسلمين.

٢ - جماعة جديدة تدعو إلى تعاليم البوذا الأصلية وتشبه أهل الكتاب والسنة عند المسلمين، فلا تستغرب الحكومة المواقف العدائية بين المسلمين بعضهم ضد البعض، والشعب المسلم في تايلاند الآن أدرك جيدا حقيقة منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وبدأوا يلتزمون بها، ولا تخلو كل قرية من المسلمين السائرين على هذا المنهج وذلك بسبب جهود الأساتذة الداعين المخلصين.

ويلاحظ أن المدارس الاسلامية في الجنوب تكاد أن تكون كلها تحت ادارة أهل البدع والخرافات التابعين لآراء رئيسهم الأكبر شيخ الاسلام، والقلة الباقية فقط في أيدي أهل الكتاب والسنة، وهؤلاء مع الأسف يتبعون عامة الشعب، كما أن معظم الطلبة المتخرجين من مدرسة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في المملكة العربية السعودية إذا رجعوا إلى أهلهم يتبعون عامة الشعب في البدع والخرافات، ولا يجرون أن يقولوا كلمة الحق التي تعلموها من مدرسة الشيخ خوفا على مصلحتهم وخوفا من نفوذ العلماء الخرافيين، وبعضهم يقبض المشاهدة من دار الإفتاء ولكنه لا يسير على منهجه كما قيل لنا.

وقد ذكرنا خطتنا العامة في الدعوة، أما عن الدعوة المتخصصة وخطة المستقبل فأسسنا مدرسة تهدف الى تحقيق الغرض في دائرة فاكفجون التابعة لولاية فتالونج جنوب تايلاند في عام ١٩٤٣م، وسميناها مدرسة أنصار السنة وذلك بمساعدة المؤيدين لدعوتنا وخاصة أهالي الدائرة المقيمين حوالى المدرسة، حيث تبرع بعضهم بقطعة الأرض والآخريين بالأموال، والذين لم يجدوا ما يتبرعون به تطوعوا بالعمل في تسوية الأرض وبناء المدرسة بدون أجرة مع أنهم صيادون فقراء، ولكن كل مشترك في نشاطات الدعوة الاسلامية بقدر طاقته التي وهبها ، مؤمنا ومتيقنا بأن لا سبيل للمسلمين في هذه القرية إلا العودة الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وكان عدد التلاميذ بالعشرات ويمثلون أبناء المسلمين في المدن المجاورة بل ومن بلاد ماليزيا الاسلامية، وكان المنهج الدراسي فيها: القرآن - التفسير - الحديث - التوحيد - الأخلاق - التاريخ الإسلامى واللغة العربية - والدراسة فيها خمس سنوات، وكان بعض المدرسين من ماليزيا وبعضهم من أصل كمبودى، كانوا يدرسون في ماليزيا وعندما سمعوا بدعوتنا جاءوا إلينا للدراسة وساعدونا في التدريس كذلك وهما أستاذان الشيخ موسى على والشيخ أحمد سليمان، وقد رجعا الى كمبوديا في عام ١٩٥٢م حيث واصلا الجهاد المقدس في الدعوة الى الكتاب والسنة على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وقد أسسا مدارس اسلامية عديدة هناك في عهد الأمير نرودوم سيهانوك وفي عهد حكومة لونول، وبدأت الدعوة الاسلامية على منهج الشيخ محمد عبد الوهاب تنتشر في بلاد كمبوديا بعد أن تمكنت السلطة الشيوعية الحمراء من السيطرة على الهند الصينية في عام ١٩٧٦م وأبادت كثيرا من المسلمين، كما اغتيل زعماءهم ومنهم الأستاذان المذكوران رحمهم الله، وهما من الدعاة الاسلاميين الذين بذلوا

النفس والنفيس في سبيل الدعوة الاسلامية على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب وشروا أنفسهم ابتغاء مرضاة الله، وكانوا من الشهداء الصالحين، نحن نذكرهم هنا لكي تتضح صورة الدعوة الاسلامية وما لاقاه دعاتها ومدى تأثر الدعوة الاسلامية في تايلاند بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتشابهت الظروف المحيطة بالدعوتين، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على أن الدعوة الوهابية دعوة اسلامية صحيحة انتشرت في جميع العالم، واتفق الدعاة المخلصون على منهج الشيخ بدون اتصال سابق، واتحدت دعوتهم مع دعوة الشيخ قبل أن يعرفها أبناء الشيخ وأحفاده الحاملون لواءه، وانهت دعاتها بنفس التهم ولاقوا في سبيلها ما لاقاه الشيخ بل وأشد تنكيلا لسبب واحد وهو أن الله لم يخلق مثل أمراء الدرعية آل سعود في تايلاند أو كمبوديا كما حصل في الدرعية السعودية - ولكن رجال الدعوة الاسلامية على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب في كل مكان.

« صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَنَهُمُ مِنْ قَضَىٰ نَجْبِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ».

(الأحزاب ٢٣)

نعود إلى أول مركز للدعوة الاسلامية في تايلاند وهو مدرسة أنصار السنة التي أسست في دائرة فاكفجون التابعة لولاية فتالونج في جنوب تايلاند عام ١٩٤٥م، كانت هذه المدرسة أول مدرسة إسلامية في تايلاند قاطبة وتدرس العلوم الاسلامية لأبناء المسلمين من جميع أنحاء البلاد ومن الخارج مثل ماليزيا واندونيسيا، وطبقت المبادئ الاسلامية على التابعين لهذه الدعوة وتحملت الدعوة مسئولية الدعوة والارشاد على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فكانت ترسل بعض الأساتذة والطلبة إلى بعض المناطق في تايلاند يدعون المسلمين إلى إخلاص العبادة لله وحده، ويرشدونهم إلى الدين الخفيف، ويطلبون منهم ترك عبادة الأوثان ونبد التبرك بالأشجار والأحجار والأولياء، وكما نعلم التلاميذ كتاب الله وسنة الرسول صلى الله عليه وسلم نعلم عامة الشعب كلمة لا إله إلا الله محمد رسول الله، وفي كثير من المناسبات دخلنا ميدان المناظرة والمجادلة رغم ضيق أفقنا، لأن المشتركين فيها لم يلتزموا بأداب المناظرة ونظامها، ولأن أعداء الدعوة الاسلامية يجردون في داخل هذا الميدان الفرصة التي لم يجربوها خارج الميدان، وقد اعتبر أعداء

الدعوة الإسلامية في تايلاند مدرسة أنصار السنة في فاكفجون مدرسة وهابية ومركز الوهابيين.

وبرغم قلة موارد المدرسة اذ موردها الوحيد هو التبرعات من الأهالي الذين أغلبهم الصيادون، بالرغم من ذلك فكانت الدراسة فيها مجاناً والسكن كذلك أضف إلى ذلك أن الأهالي يقدمون الطعام لبعض الطلبة مجاناً، ولم يكن بيننا وبين الدول الإسلامية والعربية أى اتصال لتنسيق التعاون الإسلامي لأسباب كثيرة أن أغلب البلدان الإسلامية آنذاك لازالت تزرع تحت نير الاستعمار أو تجاهد لاستقلالها ولم تعرف دول الأوبيك بعد.

وقد أغلقت المدرسة في عام ١٩٥٧م للأسباب المالية، وكان المدرسون أكثرهم يدرسون بدون مقابل لأن المدرسة لم تجد الأموال تكافئهم، ونقل مركز الدعوة الإسلامية من الجنوب الى العاصمة، ولكن بصورة أخرى وهى الدعوة عن طريق الاذاعة والمجلات واقامة الندوات الدينية في بعض المساجد وبعض المنازل، وبذلك تركنا الأراضى الموقوفة خالية في المركز الأول لازالت تنتظر الأيادى البيضاء لإحياء مركز الدعوة من جديد إن شاء الله.

وفي بانكوك عاصمة تايلاند قمنا بالدعوة الإسلامية عن طريق الاذاعة لمدة ٨ - ١٠ سنوات وتوقفت لأسباب مالية، لأننا كنا ندفع الثمن للإذاعة شهريا بمبلغ معين ثم طالبونا بالمزيد لا نقدر تحمله. وأصدرنا مجلة اسلامية « الجهاد » شهرية ولانزال نصدرها، وقد وصلت إلى العدد ١٢٣ للسنة الخامسة عشرة عام ١٣٩٩هـ، ونصدر نشرة إخبارية اسلامية مرتين كل شهر باللغة التايلاندية والأخيرة توزع مجاناً والأولى يباع جزء منها ويوزع جزء آخر مجاناً كذلك على بعض المساجد والمعاهد والجامعات، هذا بالإضافة إلى نشاطاتنا في مجال الترجمة والتأليف، وقد ترجمنا الكتب الآتية إلى اللغة التايلاندية أكثر من ثلاثين نسخة نذكر بعضها منها :

- ( ١ ) الآداب الاسلامية.
- ( ٢ ) قوة الاسلام.
- ( ٣ ) الحروب الصليبية.
- ( ٤ ) محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم لفضل احمد.
- ( ٥ ) الثقافة الاسلامية.
- ( ٦ ) هذا الدين « سيد قطب ».
- ( ٧ ) تاريخ الاسلام مختصر.
- ( ٨ ) كيفية الصلاة « صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ».
- ( ٩ ) الحج.
- ( ١٠ ) الخليفة أبوبكر رضى الله عنه.
- ( ١١ ) الخليفة عمر بن الخطاب.
- ( ١٢ ) الإسلام والرأسمالية والإقطاعية.
- ( ١٣ ) لماذا حرم الخنزير فى الاسلام.
- ( ١٤ ) هل الدين الرجعية لمحمد قطب.
- ( ١٥ ) مبادئ الاسلام للمودودى.
- ( ١٦ ) الايمان بالله للدكتور «حمكا».
- ( ١٧ ) الايمان بالكتاب للدكتور «حمكا».
- ( ١٨ ) أعلام الإسلام.
- ( ١٩ ) محمد الرسول كما بشر به الإنجيل، لأحمد ديدات.
- ( ٢٠ ) نظام الحكم فى الاسلام لأحمد شلبى.
- ( ٢١ ) بين السنة والبدعة لحسبى الصديقى.
- ( ٢٢ ) حوار بين المسلم والنصرانى.
- ( ٢٣ ) الاسلام والعلم والتكنولوجيا.
- ( ٢٤ ) الاسلام ومشاكل العالم.
- ( ٢٥ ) أبطال المسلمين.
- ( ٢٦ ) الإسلام بين الاشتراكية والشيوعية.
- ( ٢٧ ) ما حاجة البشرية للدين.



(٢٨) الإسلام في شرق جنوب آسيا والشرق الأقصى.

(٢٩) محمد صلى الله عليه وسلم لانعام الله خان.

(٣٠) تقليد لحسن أحمد « باندونج ».

(٣١) حياة المسلم.

(٣٢) للشباب «لسيد قطب».

(٣٣) الإسلام والربا لقاسم أحمد.

(٣٤) إلى أين يهديك الإسلام.

ويقوم الآن تلاميذ مدرسة أنصار السنة في فاكفجون بالدعوة الاسلامية في كثير من المدن التايلاندية على نفس المنهج ولكن بصورة التطوع لأنهم يشغلون الوظائف المختلفة في الدوائر الحكومية والمؤسسات التجارية ومنهم الأساتذة الحكومية، وهم دعاة مخلصون، وبدأ هؤلاء يفكرون الآن في إحياء مدرسة أنصار السنة ومركز الدعوة الاسلامية في جنوب تايلاند، لتقوم بواجبها تجاه المسلمين.

وبعد نقل مركز الدعوة من الجنوب إلى بانكوك في عام ١٩٥٥م انتشرت الدعوة بفضل الله في العاصمة بصورة أوسع، وربما كان السبب هو أن أحوال العالم اليوم غيرها بالأمس وخاصة العالم الاسلامى والتغيير الكبير الذى طرأ على اقتصاديات العالم وخاصة الذهب الأسود الذى وهبه الله للدول الاسلامية، وقد أثر ويؤثر تأثيراً كبيراً على اقتصاد العالم وسياسة الحكومات، وتغيرت تبعاً لذلك القيود المفروضة على بعض المناطق الاسلامية التى تبدو أنها انخفضت في بعض الأحوال، ولكن هذه القيود والعداء تزداد وتشتد في الأحوال الأخرى، وذلك لأن البترول شريان الحياة المدنية الحديثة يجب أن تحافظ على استمرار تدفقه والحصول عليه بأى ثمن، فيتجنبوا لذلك العوامل المؤثرة فيها ولو بالمجاملة والنفاق إذعاناً منهم لهذه القوة الجديدة التى سخرها الله في أيدي المسلمين، واضطر أعداء الاسلام إلى تغيير طريقة المعاملة أو بالأصح طريقة الضغط على المسلمين ومحاربة الاسلام، لأنهم كما قال الله تعالى فيهم :

« وَلَنْ تَرْضَىٰ عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَبِيعَ مِلَّتَهُمْ » . (البقرة آية ١٢٠)

وقد لجأوا إلى وسائل أخرى لمقاومة المسلمين ومن بينها التفرقة بينهم وتشيتيت  
سملهم عملا بسياستهم «فرق تسد» ويشجعون المنافقين والدجالين من المسلمين.

### الحركة الوهابية في بانكوك:

إذا تكلمنا عن الحركة الوهابية في الجنوب فلا بد للحق أن نتكلم كذلك عن الحركة  
الوهابية في بانكوك.

في حوالى عام ١٩١٩م أى ١٣٣٩ هـ حضر شاب مثقف من أندونيسيا اسمه الأستاذ  
أحمد وهاب إلى بانكوك، وكانت إقامته في بانكوك على صورة ابن سبيل متنقلا بين  
المساجد وبين الجماعات الاسلامية المختلفة في بانكوك، كان يقضى ليلة في المسجد وأخرى  
في المسجد الآخر متفقدأ أحوال المسلمين وخاصة علمائهم الخرافيين، وأخذ ينشر الدعوة  
الوهابية تدريجياً وبطريقة ملائمة مع نتائج تفقده، ولم يظهر نفسه في بادى الأمر بأنه  
من العلماء. وطلب من العلماء الخرافيين في بانكوك أن يقرأوا الكتب المعيرة عن سنة  
الرسول صلى الله عليه وسلم أمثال: نيل الأوطار - زاد المعاد وسبل السلام.. الخ وللأستاذ  
أحمد وهاب رحمه الله تاريخ طويل ولنخصه في أنه: ثبت إقامته في بانكوك، نوى بعد جولة  
تفقدية في أنحاء بانكوك تأسيس جمعية الإصلاح ومنها أصدر مجلة اسمها «البداية»  
محارب البدع والخرافات بدون هوادة، وفي هذه الفترة حدثت الانقسامات بين صفوف  
المسلمين وانقسموا إلى فرقتين أساسيتين :

(١) فرقة أو جماعة قديمة وهى التى تتمسك بالبدع والخرافات والذين قالوا بل نتبع  
ما ألقىنا عليه آباءنا.

(٢) فرقة جديدة وهم اتباع منهج الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ومنذ ذلك الوقت  
ظهرت في بانكوك كلمة وهابية كما سمو التابعين لهذا المنهج الوهابيين، وأدت التفرقة إلى  
ظهور العداوة بين الفرقتين المذكورتين لم تشهد تايلاند مثلها من قبل، حيث طلق الزوج  
زوجته وفرق بين الأخ وأخيه وحرمت ذبائح القوم على تلك الجماعة، عامل بعضهم بعضا  
معاملة العدو اللدود، وكانوا يعيشون حالة الحرب الدينية، وللأستاذ أحمد عبدالوهاب  
تلاميذ كثيرون، وكانت الدعوة الاسلامية في عهده في بانكوك دعوة نشيطة مسموعة في

صورة المجلات والكتب الخطية، وتقدمت جمعية الإصلاح التي أسسها تقدماً ملحوظاً  
لعدة سنين.

والغريب أن الحركة الوهابية في بانكوك لم تصل إلى جنوب تايلاند، فلم يسمع عنها  
أهل الجنوب وكأن لم يكن هناك أى اتصال بين العاصمة وجنوب البلاد مع أن بعض  
المسلمين المتعلمين كان يسافر بين حين وآخر بين العاصمة والجنوب، وعرف بعضهم بتلك  
الدعوة ولكنهم يسكتون ويكتمون أخبارها عن الشعب المسلم في الجنوب إلا قلة نادرة  
عن الحركة الوهابية في بانكوك، ولم يعرفوها إلا عند تأسيس مدرسة أنصار السنة في دائرة  
فاكفجون في ولاية فتالونج.

أما تلاميذ الأستاذ أحمد وهاب الذين لهم نشاطات في الدعوة الإسلامية والسائرون  
على نفس المنهج فقد انتقلوا إلى رحمة الله ولذا فإن جمعية الإصلاح تعاني نقص الرجال  
الذين يتحملون مسئولية السير على منهج الشيخ محمد بن عبد الوهاب وخاصة في الآونة  
الأخيرة، فهبطت نشاطات الدعوة الإسلامية في جمعية الإصلاح هبوطاً ملحوظاً، إذ كانت  
تصدر في الكتب والمجلات الإسلامية عدة نسخ سنوياً منذ ثلاثين سنة ماضية ولكنها  
الآن تصدر كتاباً واحداً في السنة.

أما عن العلاقة بين الدعوة الوهابية في بانكوك وبين الحركة الوهابية في المملكة  
العربية السعودية فقد قيل لنا أن الأستاذ أحمد وهاب كان يرأسل الشيخ رشيد رضا في  
مصر، وبين الأخير والملك الراحل عبدالعزيز اتصالات دينية، وقيل لنا كذلك أن الحركة  
الوهابية في السعودية في ذلك العهد لها خطة الدعوة الإسلامية وتوزيع رجالها على بعض  
المناطق من العالم، ولكن لا نستطيع نحن إثبات ذلك، ونأمل أن يتفضل بتوضيح ذلك لنا  
من أخبار الشيخ محمد عبد الوهاب الحاملون لواء أجدادهم الكرام ما يثبت أو ينفي ما  
سمعناه.

## العقبات التي تقف في وجه الدعوة الإسلامية

إذا كان لكل دعوة أعداء وعقبات تعترض سيرها وتقدمها، فإن الدعوة الإصلاحية الإسلامية في تايلاند كذلك لها أعداء ألداء، وهذا من سنة الكون حيث قال تعالى:

« وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيْطَانِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرَفَ الْقَوْلِ غُرُورًا ۗ »  
(الأنعام ١١٢)

وقد تختلف العداوة ووسائل المقاومة ضد الدعوة في تايلاند عن المناطق الأخرى تبعاً لاختلاف الأحوال السياسية والاجتماعية والعوامل الأخرى التي وجدت فيها، فالولايات الجنوبية من تايلاند أغلب سكانها مسلمون، أي ٩٠٪ لهم عادات وتقاليد إسلامية وحدودها متصلة بماليزيا وهي بلاد إسلامية منذ أقدم العصور، وتعتبر ماليزيا إحدى مراكز انتشار الإسلام في جنوب شرق آسيا كلها، وكان تاريخ جنوب تايلاند إلى قريب وتاريخ ماليزيا متداخلين تداخلاً من الصعب الفصل بينهما، كما أن سكانها من أصل واحد ولهم دين واحد، ويتكلمون باللغة الواحدة، وإن كان في الوقت الحاضر بدأت اللغة السيامية تنتشر في الجنوب بسبب النظام التعليمي الحكومي وتزايد التحاق أبناء المسلمين بالمدارس الحكومية التي ليست فيها علوم إسلامية صحيحة، وقد يقول قائل بأن المدارس الحكومية تدرس كذلك المعلومات عن الدين الإسلامي في المادة الاجتماعية، فنرد عليهم بالقول بأن المعلومات المذكورة في الكتب المدرسية السيامية لا تخلو من تحريفات محسوسة بالنوايا السيئة قد لا تعرفها الحكومة أو تغمض عيونها لأنها مأخوذة من أفكار أعداء الإسلام.

أضف إلى ذلك أن أبناء المسلمين في تايلاند لا بد أن يدرسوا مبادئ البوذية لأنها من ضمن العلوم الإجبارية في المدارس الحكومية، وعلى هذا فالتعليم البوذي في المدارس له تأثيرات بصورة ما على أفكار التلاميذ منذ الطفولة أكثر من تأثير التعليم الإسلامي

لأنه أقل لا يسمن ولا يغنى من جوع، ولهذا السبب فإن الطلبة المتخرجين من المدارس السيامية لا تخلو عقولهم وأسلوب تفكيرهم عن الوثنيات والأفكار البوذية التى غرست في قلوبهم يوماً طوال السنوات الدراسية بالإضافة إلى أن البيئة والمراسيم الحكومية كلها بوذية، فلا غرابة إذا تحول بعضهم إلى بوذى وخاصة إذا تزوج بوذية أو تزوجت مسلمة بوذى، فالموظف المسلم إن لم تصل إليه الدعوة الاسلامية أو لم يطالع الكتب الاسلامية فهو كالموظف البوذى، ودعه من الشعور المتحمس للاسلام والمسلمين، وقد يكون هذا السبب هو الذى يدفع بعض أبناء المسلمين إلى الوقوف بجانب أعداء الاسلام في بعض المواقف، ولكننا لا ننسى كذلك أن هناك مجموعة من الشبان المسلمين المثقفين والموظفين آمنوا برهبهم، ويؤيدون الدعوة الاسلامية بل يضحون بحياتهم في سبيل إعلاء كلمة الله في هذه المنطقة.

وحالاً لنقص العلوم الاسلامية في المدارس الحكومية والتى يتعلم فيها أبناء المسلمين، فكرنا في تأسيس مدرسة أو معهد إسلامى إن لم تكن جامعة تؤدى رسالتها كاملة بالإضافة الى تعليم اللغة السيامية بأبناء المسلمين أنفسهم تأهيلاً لشخصيات إسلامية، يتحملون المسئوليات الجسيمة في المستقبل في وطنهم، ويستطيعون الوقوف جنباً إلى جنب مع البوذيين وغيرهم وأن يكونوا خلفاء الله في الأرض وأصحابها لا أجنب ولا مهاجرين في أوطانهم، والمؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف كيف لا.

وقد دعانا الله تعالى:

« وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا  
 اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ  
 مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا .. »

(النور ٥٥)

فان التعليم النظامى في المدارس الحكومية والبيئة الغالبة في هذه البلاد يسيران في اتجاه مضاد للدعوة الاسلامية، وهذا ان يدفعنا الى مزيد من التخطيط التعليمى والارشادى مقابل تلك الخطة المرسومة والموجهة من أعداء الاسلام وإلى بذل مساعى

أكثر للدعوة والارشاد في صفوف الخريجين من المدارس والجامعات التايلاندية، وكذلك صفوف الشعب المسلم وغير المسلم إذا كان لنا القدرة والإمكانات، لأن الشعب البوذي الساذج لم يغلق باب الدعوة الاسلامية بل أخذوا يهتمون بالاسلام وباللغة العربية، فاذا بذلت الدول الاسلامية مساعيها واشتركت علميا وماديا في هذه الدعوة في هذا القرن الذي قد لا نجد مثل هذه الفرصة السانحة في المستقبل القريب، فاذا اشتركت الدول الاسلامية وتحملت مسؤولياتها في مجال الثقافة الاسلامية وإعلاء كلمة الله كما تحملها أبائهم وأجدادهم، وكما أخلص آل سعود لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لو فعلوا ذلك لوجدوا الناس يدخلون في دين الله أفواجا بمشيئة الله وإذنه. فالعقبة الأساسية التي تقف في وجه الدعوة الاسلامية في تايلاند هي نقص الرجال المخلصين ومصادر التمويل، فبينما يمثل المسيحيون في تايلاند ٢٪ يحصلون على معونة مالية سخية من مراكزهم في البلدان المسيحية مثل أمريكا وبريطانيا، وبنوا مستشفيات ومعاهد ومراكز التبشير، ومكاتب التسمية في مناطق مختلفة من تايلاند بجانب عدد كبير من الكنائس، نجد أن المسلمين في تايلاند يمثلون ١٠٪ أو لا يقل عن أربعة ملايين، أي، يساوي نصف السكان السعوديين ويعادل أكبر من تعداد مجموع سكان دول الامارات كلها، ومع ذلك فإنه ليس للمسلمين في تايلاند مستشفى واحد ولا جامعة أو حتى معهد إسلامي، وفي نفس الوقت يوجد ٣١٢٣ مسجداً، ومعظم المسلمين في تايلاند فقراء لا يستطيعون أن يتحملوا المسؤولية المالية الكبيرة لإنشاء المشاريع الاسلامية، حتى البلاد عامة من ضمن الدول غير النامية (الفقيرة) حسب تعريف الأمم المتحدة. ولذا فإن مشكل البلاد العامة هي الفقر والجهل. فالدعوة الاسلامية لا تستطيع النهوض بمشاريعها ولكنها لا تقف مكتوفة الأيدي، بل تجاهد بقدر طاقتها المحدودة مؤمنة برسالتها لترتفع راية الاسلام خفاقة في هذه المنطقة الحساسة من العالم إن شاء الله.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،



تأثر الدعوات الإصلاحية في أندونيسيا  
بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب

للأستاذ نجيم عبدالله

مدير معهد مسكوميانا الإسلاميا بقرشيك





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذى أرسل رسوله للناس كافة بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون .. والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم إلى يوم يرجعون .

وبعد، فهذا بحث وجيز في دعوة المصلح العظيم الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتأثير الحركات الإصلاحية في أندونيسيا بها .

أقدمه تطفلا على مائدة العلماء الكرام في أسبوع للشيخ محمد بن عبد الوهاب الذى تقيمه جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض .

وإني لا أحسب أن في وسعى أن أستوعب جميع تأثيرات هذه الدعوة المباركة في جميع نواحي الإصلاح، بل ولا أجرؤ أن أقول إن في استطاعتي أن أقدم بحثا شاملا عن جزء واحد منها، وذلك لعجز قلبي، وقلة باعى، وقصور علمى بالنسبة لتلك التأثيرات المترامية الأطراف المتعددة الجوانب .

لذا أكتفى بأن ألقى الضوء على بعض تأثيرات أحد كتب الشيخ الذى عم نفعه والذي قرر تدريسه في بعض المعاهد الدينية، واتخذ مرجعا هاما في الأماكن الأخرى مع صعوبة تناوله في أندونيسيا، وهو «كتاب التوحيد».. سائلا المولى جل وعلا أن يرزقنى فيه التوفيق والسداد.

## الشعلة الأولى لليقظة الإسلامية في العصر الحديث :

في القرن الثامن عشر الميلادي كان العالم الاسلامي ساقطا في هوة عميقة، لا توجد له علائم للقوة الصحيحة، عم أرجاءه الجمود والخمول، وانتشر فيه فساد الأخلاق بشدته، وغابت فيه بقايا آداب العرب يبتلعها الترف المفرط عند طائفة، الذي تولد منه بؤس الأكرثية العظمى، وتوقفت حركة التعليم .

نعم، هناك عدة جامعات أقعدها الجمود، وعاشت عيشة كفاف لا يهتم بها..

هكذا وصف العالم الأميركي الدكتور لوثر روب ستود دارد العالم الإسلامي آنذاك في كتابه حاضر العالم الإسلامي.

ثم بعد وصفه أحوال المسلمين الاجتماعية والسياسية استطرد قائلا:

« وأما الدين فقد أصابه الجمود شأن غيره من نواحي الحياة، فالتوحيد الذي أرشد إليه الرسول محمد صلى الله عليه وسلم قد غشيتة الخرافات وآراء الصوفية وخلت المساجد من معظم العوام، وكان الناس يحملون العزائم والتائم والسبحات، ويعبدون الأولياء، ويتخذونهم وسائط إلى الله ليقربوهم إليه زلفى لزعمهم أن الإنسان العادى لا يستجاب له إلا بواسطتهم.

غابت عن الناس الفضائل التى علمها القرآن أو استهانوا بها، فصار شرب الخمر والمخدرات فى كل مكان، وعم البغاء، وانتشرت الرذائل، وهتك الأعراض على غير خوف ولا حياء ..

وأصاب المدينتين المقدستين مكة المكرمة والمدينة المنورة ما أصاب غيرها من مدن العالم الإسلامي من الرذائل والشورر، وصار الحج الذى فرضه الله على عباده المؤمنين عملا ذليلا يجرى على غير مجراه الصحيح.

وبالجمل، فقد فقد الإسلام حيويته، وبقي طقوساً بلا روح وهبوطاً بعيد القرار، فلو عاد النبي محمد صلى الله عليه وسلم وشاهد ما كان عليه الإسلام في ذلك الوقت لغضب غضباً ولصب اللعنة على معتنقيه المرتدين عبدة الأوثان .

فبينما الإسلام كذلك في ظلام داهم إذا بصوت عال يدوى من قلب الصحراء الواسعة - مهد الإسلام - يدعو المسلمين إلى الرجوع إلى النهج القويم، وصاحب هذا الصوت هو المصلح المشهور محمد بن عبد الوهاب الذي أوقد نار الإصلاح، فعلا لميها واندلعت ألسنتها إلى جميع أرجاء العالم الإسلامي.

وكان الرجل يحث المسلمين على إصلاح النفوس وعلى استعادة المجد والعز القديمين، وبهذا ابتدأت اليقظة الإسلامية الجبارة.

نعم ابتدأت اليقظة الحديثة في العالم الإسلامي بدعوة هذا المصلح العظيم، الذي دعا الناس إلى تصحيح مفهوم التوحيد وتنقيته من شوائب الشرك - ما ظهر منها وما بطن - ودعا إلى منهج السلف الصالح في فهم العقائد الدينية السهلة السائغة للعقول وإلى نبذ تعقيدات المتكلمين والفلاسفة والصوفية منها، ودعا إلى نبذ ما شوه الشريعة من البدع والتحريفات .

وقصارى القول أن هذه الدعوة تدعو إلى الإسلام على صورته التي وضعها صاحب الشريعة، فكانت بذلك توظف العقول النائمة وتحرك الهمم الراقدة، وتعيد إلى القلوب حرارة الإيمان، وتظهر النفوس من أدناس الخرافات والأوهام، فحق ما يقال إنها هي الشعلة الأولى لليقظة الإسلامية في العصر الحديث، وأن جميع الحركات الإصلاحية التي ظهرت في سائر الأقطار الإسلامية في العصر الحديث لها صلة بها ومتأثرة بها ومدينة لها.

وفي رأبي أن ستود دارد لا يجافي الإنصاف حين يقول:

« وحدث انفجار الوعي الإسلامي الأول في قلب ضحراء شبه الجزيرة مهد الإسلام،

هناك في مطلع القرن التاسع عشر ظهرت الحركة الوهابية على سبيل الدعوة الإصلاحية الإسلامية، ثم تطورت الحركة وصارت بقطعة إسلامية واسعة الانتشار.

### وضع المسلمين الدينى فى اندونيسيا :

ليس المسلمون الاندونيسيون بأحسن حالا ولا أسعد حظا من إخوانهم فى سائر الأقطار الإسلامية. فإن المسلمين الأندونيسيين منهم الذين لا يعرفون عن الدين الذى انتسبوا إليه سوى الاسم وسوى قليل من المعلومات المشوهة بالأباطيل والأساطير الخالية، ولا يقولون بالشهادتين إلا عند الزواج .

وإنما يقولون بهما لأن الموظفين من قبل الحكومة القائمين بمراسيم عقد النكاح للمسلمين كلفوهم بمجرد التلفظ بالشهادتين قبيل العقد بدون ما فهم ولا إدراك، ولا يعرفون من شرائع الإسلام إلا الختان لأولادهم الصغار، واستقبال موتاهم إلى القبلة فى القبور، وهم لا يزالون على معتقدات آبائهم وتقاليدهم الموروثة المزوجة من بقايا الوثنية الأولى والهندوكية والبوذية، وهؤلاء هم الذين ساهم البعض بالمسلمين الحمريين.

ومنهم الذين يمارسون شرائع الدين إلى حد ما، ويتلقون تعاليم دينهم من العلماء وشبه العلماء الذين حال بينهم التقليد المحض والتعصب المذهبي وبين النظر الصحيح فى الدين، فقد فشت فيهم البدع والخرافات وأشياء يعدونها من الدين وليست من الدين فى شئ، وهذه الطائفة معروفة بالجاوية باسم «طائفة سنترى»، والمعاهد الدينية التى التفوا حولها وتلقوا تعاليم دينهم فيها تسمى «بياسترين».

ومنهم أسراء الثقافة الغربية - ثقافة المستعمرين - الذين يرون أن الدين إنما هو مجرد عقائد فردية وعدة طقوس للعبادة المنحصرة فى بيوت العبادة، ولا شأن له بواقع حياتهم الاجتماعية والأدبية والاقتصادية وما إلى ذلك، إلا شيئا ضئيلا من قواعد أخلاقية عامة، وهؤلاء هم أكثر الذين تقلدوا سلطة الحكم تحت قدم الاستعمار.

وبالجملة فإن وضع عامة المسلمين الدينى فى اندونيسيا فى ذلك العصر بعيد ومنحرف عن تعاليم دينهم الصحيحة، وأنهم محرومون من مزايا دينهم العظمى.

### حركات الإصلاح فى اندونيسيا :

واعنى بحركات الإصلاح جميع الحركات التى تدعو إلى تصحيح العقائد وتصفية الشرائع مما شوهها من البدع والخرافات والأوهام وبقايا الوثنية، وإلى نبذ التقليد الأعمى، والتعصب المذهبى والرجوع إلى نبع الدين الصافى وهو الكتاب والسنة، وكسر الجمود، والاستنارة بتعاليم الإسلام الصحيحة التى تهدى الناس إلى الحياة الطيبة.

ظهرت تلك الحركات فى اندونيسيا وتنوعت من حيث الأساليب والأشكال على اختلاف استعدادات رجالها والبيئات التى يعيشون فيها، ولكنها تغزو غاية واحدة وتسعى تحت شعار واحد، وهو الرجوع إلى الكتاب والسنة أو الرجوع إلى نهج سلف الأمة، فمن ذلك سهاها البعض «بالحركات السلفية».

ابتدأت الحركات السلفية بظهورها فى سومطرة - إحدى الجزر الخمسة الكبرى فى اندونيسيا - سنة ١٨٠٢م على أيدى بعض الحجاج من مسلمى الجزيرة الذين رجفوا من مكة المكرمة واتصلوا بعلماء الدعوة الوهابية - كما سهاها معارضوها - واقتنعوا بصحتها واعتنقوها .

وهؤلاء هم «الحاج مسكين» وأصحابه المعروفون «بالأسود الشانية» ولكن العوام الذين يجهلون حقيقة ما يدعون إليه سموهم «بطائفة الرهبان»، والحروب الطاحنة التى نشبت بينهم وأتباعهم فى جانب وبين المستعمرين الهولنديين واعداء الدعوة فى جانب آخر، معروفة باسم «حروب الرهبان» أو «برايف بدرى» باللغة المحلية .

اشتد النزاع بين أعداء الدعوة من سكان المنطقة وبين أتباع الدعوة الذين أصبحوا

قوة لا يستهان بها، وشعرت حكومة الاستعمار أن هذه القوة سوف تهدد كيائها ونفوذها، فرأت مناهضة هذه الحركة والقضاء عليها قبل فوات الأوان، ثم انتهزت الفرصة لشن الحرب ضد المسلمين اتباع الدعوة بدعوى حماية كيان أهل التقاليد والعادات من أبناء المنطقة، واستمرت المناوشات والحروب بين هؤلاء وبين المستعمرين ما يزيد عن خمس عشرة سنة (سنة ١٨٢٢ - ١٨٣٧ م) وانتهت بانتصار المستعمرين واستيلائهم على منطقة سومطرا الغربية، ارض مينانج كابو.

تغلبت قوة الاستعمار في ميدان الحرب على أتباع الدعوة، ولقى معظم رجالها شهادتهم فيه، ولكن الدعوة نفسها لم ينطفئ جمرها ولم يخمد لهبها واستمرت تحرق ما حولها، ثم أخذت تتقد ويعلو لهبها فيما بعد على أيدي رجال مخلصين أمثال الشيخ محمد عبدالله أحمد (١٨٧٨-١٩٣٣ م) والشيخ الحاج عبدالكريم أمر الله (١٨٧٩-١٩٤٥ م) والد الدكتور الحاج عبدالملك كريم أمر الله رئيس الهيئة المركزية لمجلس علماء اندونيسيا الحالي، والشيخ محمد جميل جبيك (١٨٦٠-١٩٤٧ م) والشيخ الحاج طيب عمر (١٨٧٤-١٩٢٠ م) غير أنها اتخذت أسلوبا وشكلا جديدين، فأنشئت لها مجالس للتعليم والمحاضرات، وأقيمت المدارس والمعاهد الدينية تحت اسم: «طوالب سومطرة» وأصدرت المجلات ونشرت المطبوعات، منها مجلات «المنين» و«البيان» و«البشير» و«الاتقان» ورسالة «الفوائد العلية» ورسالة «إيقاظ النيام»، وهذه كلها لها أثارها الإصلاحية الواضحة وثارها الطيبة الجمّة.

ثم أخذت الحركات السلفية تنتشر في سائر الأقطار، وظهرت في أماكن مختلفة، ظهرت في اتشيه تحت قيادة الشيخ الأصفهاني الاتشيهي، وظهرت في جاوا، وكالمنتان، وسولا، ويسى، والجزر الجنوبية الشرقية، ومالوكو وغيرها.

ظهرت في جاوا جمعية «محمدية» سنة ١٩١٢ م في مدينة جوكيا كرتا عاصمة اندونيسيا السابقة، وجمعية «الإصلاح والإرشاد» سنة ١٩١٤ م في جاكرتا العاصمة الحالية، وظهرت في باندونج عاصمة منطقة جاوا الغربية التي كانت مقرا للمؤتمر الآسيوي الأفريقي الأول جمعية «الوحدة الإسلامية» سنة ١٩٢٣ م.

ومن غرائب الصدفة أن كبرى الجمعيات التي ظهرت في أندونيسيا على أساس الدعوة الإصلاحية والحركة السلفية قد اتخذت لنفسها اسما هو عندي نسبة صحيحة للشيخ محمد بن عبد الوهاب، وهى جمعية محمدية، ولا أدري أكانت هذه النسبة من مجرد المصادفة أم أنها كانت داخلة تحت الحسبان.

ظهرت هذه الجمعية على يد مؤسسها الشيخ الحاج أحمد دخلان وعلى أيدي تلاميذه المتحمسين وأتباعه المخلصين .

وكان الشيخ فيما مضى خطيبا في مسجد السلطان في جوكرتا - تقلد بهذا المنصب لقب «الخطيب الأمين» - وثرى من أثرياء تجار باطيك، وقد أدى فريضة الحج مرتين .

وبعد رجوعه في المرة الأخيرة سنة ١٩٠٢، وبعد ما أقام في جوار بيت الله الحرام مدة من الزمان، اتصل فيها بعلماء الدعوة وعرف حقيقتها ومبادئها وسمع منهم ما حصل لها من القضاء على كثير من المفاسد، وإعادة الناس إلى دينهم الصحيح، وبعد مطالعته لكثير من آراء علماء الإصلاح أمثال الشيخ ابن تيمية وتلميذه الشيخ ابن قيم الجوزية، والشيخ محمد عبده، وتلميذه محمد رشيد رضا وغيرهم اشتد عزمه على بث هذه الدعوة الإصلاحية وبدأ الحركة السلفية، ثم استقال من منصبه في مسجد السلطان، وأخذ يجاهد في سبيل الدعوة بنفسه وماله ويأبر عليها مثابرة منقطعة النظير، ثم انتقل إلى جوار بارتة سنة ١٩٢٣م ونفسه راضية مرضية، وبعد ما شاهد انتشار دعوته وثمار حركته وكثرة أعوانه وأتباعه.

وشاء الله أن تكون لهذه الجمعية فيما بعد غصون وفروع في جميع أنحاء البلاد، وما درس في اختلاف المستويات وجامعات وجوامع ومستشفيات وملاجئ للأيتام وما إلى ذلك، فلا تكاد توجد في أندونيسيا قرية أو بلدة إلا وفيها فرع أو مدرسة أو مستشفى أو مستوصف أو ملجأ للأيتام أو مجلس للتعليم لهذه الجمعية، فكانت جمعية محمدية - بدون ريب - أكبر الجمعيات التي تحمل على عاتقها الدعوة الإصلاحية في أندونيسيا، ويقال



إن المرحوم الشيخ السيد امين الحسينى كان يقول عند زيارته لأندونيسيا لحضور المؤتمر الآسيوى الأفريقى الأول أن جمعية محمدية أكبر جمعية إسلامية فى العالم .

أما جمعية الإصلاح والإرشاد فكانت تضم بعض أبناء العرب فى أندونيسيا، وظهرت بوصول الشيخ أحمد السوركتى السودانى إلى جاكرتا، وكان الشيخ يقيم مدة غير قصيرة فى المدينة المنورة قبل وصوله إلى أندونيسيا، نهل من مناهلها الصافية المعارف والعلوم وتلقى مبادئ الدعوة الإصلاحية من علمائها .

وكانت لهذه الجمعية منجزات ومؤسسات تعمل فى سبيل الدعوة الإصلاحية والتوعية الدينية فى المسلمين، فكانت لها آثارها الطيبة، ثم تتضاءل نشاطاتها باندماج أبناء العرب بأبناء الوطن الأصليين فى عهد الاستقلال .

وللشيخ أحمد السوركتى - رحمه الله تعالى - تلاميذ وأتباع أخذوا عنه العلم والمعرفة، وورثوا عنه روح الجهاد والحماسة، والذين لا يزالون على جهاد مستمر، منهم السيد عبدالرحمن باسويدان فى جوكرتا، والشيخ الأستاذ عمر هيبش فى سورا بايا .

وأما عن جمعية الوحدة الإسلامية التى ظهرت بفكرة الشيخ الحاج زمزم البالمباني سنة ١٩٢٣م فأحب أن أتوقف قليلا عند اسم بارز فيها وهو الشيخ الأستاذ أحمد حسن، وهو أحد العلماء البارزين العاملين فى سبيل الإصلاح الدينى والوعى الإسلامى، وقد أخذ فى دعوته أسلوبا قريبا من أسلوب الشيخ محمد بن عبدالوهاب من حيث الصراحة وعدم المداهنة .

فكان يحارب الشرك والبدع والمنكرات، ويدعو إلى الرجوع إلى الكتاب والسنة ونبذ التقليد الأعمى والتعصب المذهبي بلسانه الحاد وقلمه الصارم.. ولا يخاف فى ذلك لومة لائم، له مؤلفات كثيرة منها: «تفسير الفرقان» و«محمد رسول الله» و«كتاب الصلاة» و«كتاب الأسئلة والأجوبة» وهو كتاب يحتوى على فتاواه الدينية وغيرها، وأصدرت تحت

رئاسته مجلة «المدافع عن الإسلام» التي كانت لها آثارها الكبيرة في توجيه آراء الشبان المسلمين ولا سيما المشققين منهم، وله تلاميذ أجلاء تفقهوا الدين عنده، منهم الدكتور محمد ناصر رئيس وزراء أندونيسيا الأسبق ورئيس الهيئة المركزية للمجلس الأعلى الأندونيسي للدعوة الإسلامية وأحد أعضاء المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي والرئيس بالنيابة لمؤتمر العالم الإسلامي.

وللجمعية عدة مؤسسات، منها معهد ديني في مدينة بانجيل بجاوا الشرقية التي كانت تحت إدارة الشيخ أحمد حسن، أما مديره الحالي فهو الأستاذ/ عبدالقادر حسن أحد أبناء الشيخ الذي خلفه من بعده، فكان خير خلف لخير سلف .

وهناك مؤسسات أخرى منتشرة في أنحاء البلاد على أيدي رجال لا ينتسبون إلى إحدى المؤسسات السالفة الذكر، ولكن تلك المؤسسات لها أهمية كبيرة في بث الدعوة الإصلاحية والحركة السلفية، وهؤلاء الرجال على اختلاف استعداداتهم وتفاوت قدراتهم يعملون في بث الدعوة ومحاربة الفساد جهد الطاقة .

وأذكر هنا من تلك المؤسسات على سبيل المثال : «المدرسة الأميرية الإسلامية» و«المدرسة السعدية» في جزيرة سولاويسي، و«المدرسة الإسلامية السلطانية» التي كانت تحت إدارة الشيخ الحاج محمد باشوتى عمران في سمباس بكالمنتان و«مدرسة المعلمين» التي أقامها الأستاذ الحاج عبدالرحمن في امونتاي، و«المدرسة الوطنية الإسلامية» في جاوا الوسطى، ومعهد مسكومبان الإسلامي» في قرشيك .

وبخصوص هذا الأخير أود أن أذكر شيئاً عنه، فإن القائمين بالتدريس في المعهد كانوا من أشد أعداء الدعوة القائلين بأن الطائفة الوهابية طائفة منحرفة عن الدين وخارجة على أهل السنة والجماعة وقائلة بتضليل من عداها من المسلمين، وأنها لا تحب الرسول صلى الله عليه وسلم، وتحقر شئون الأولياء وشعائر الدين، وغير ذلك من الأكاذيب والافتراءات .

فلا عجب، فإن هؤلاء لم تصل إليهم من المعلومات عن الدعوة الوهابية إلا ما بثه أعداء الدعوة من أذعاء العلم وأذيال اشراف الحجاز في الكتب التي ألفوها المشحونة بالأكاذيب والترهات والحكايات الخيالية الخبيثة ضد الدعوة.

ثم تغيرت الأحوال بعد رجوع الشيخ عمار فقيه أحد أولاد شيخ المعهد الأسبق من أداء فريضة الحج سنة ١٩٢٨م، الذي اتصل بعلماء الدعوة مدة إقامته في بلد الله الحرام، وتلقى منهم حقيقة الدعوة ومبادئها، حتى أدرك مدى ما للدعاية ضد الدعوة من مفتريات وأكاذيب، وأيقن أن معظم العلماء الأندونيسيين كانوا ضحايا أكاذيب المفتريين .

فلما أبدى آراءه على ملأ قام النزاع والجدال بينه وبين العلماء الذين ما زالوا على فكرتهم الأولى، واشتدت وطالت المنازعة والمجادلة حتى انتهى الأمر بتغلب دعوته وانتشار آرائه وكثرة أتباعه .

ولما صار أمر المعهد تحت يده من بعد والده الشيخ محمد فقيه، ازداد نفوذ الدعوة وانتشارها، وصار المعهد مركزاً لنشر الدعوة الإصلاحية والحركة السلفية في تلك المنطقة، وكثير من دعاة الإصلاح وحملة الدعوة المنضمين إلى الجمعيات كانوا من متخرجي المعهد، وللشيخ عمار فقيه عدة مؤلفات منها «تحفة الأمة في العقائد ورد المفاصد، وهداية الأمة» و«صلة الأمة» و«تحديد أهل السنة والجماعة» ومما أوصى به في مرض موته قال:

دعوا شيعا شتى تشتت شملكم دعوا بدعا يخشى بها ما يهول  
دعوا كل بدعة دعوا كل شيعة إلى ملة قد كان فيها الرسول  
تصيروا بعون الله من أهل سنة يواصي عليها أن يعض العقول

ثم بعد انتقاله إلى جوار باريه الرحيم سنة ١٩٦٥م خلفه الأستاذ نجيب أحمد، صهر الشيخ وأحد تلاميذه.

وفي عهد مدير المعهد الحالي قرر فيه تدريس كتاب التوحيد تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى جانب الكتب التي تكون على منواله .

## تأثيرات كتاب التوحيد

تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب

وكتاب التوحيد تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب غنى عن التعريف به عند من له أدنى إلمام بدعوته، وهو عندى من أهم الكتب التى ألفها الشيخ والتى لم تصل إلى أندونيسيا إلا بندرة .

والكتاب مع ندرته وصعوبة تناوله فى أندونيسيا يعد من أهم المراجع فى دروس التوحيد فى مدارس ومعاهد دينية وجامعات إسلامية، ومن الكتب المقرر تدريسها فى بعض المعاهد الدينية أمثال المعهد الوطنى الإسلامى فى كيارونجاوا الوسطى ومعهد مسكومبان الإسلامى فى قرشيك - كما مرّ - .

والحق - كما شهد عليه كثير من الكتاب - أن الشيخ ما جاء فى كتابه هذا بجديد، أو ما اخترع فيه شيئا، وإنما جاء بتعاليم الدين كما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم وفهمه أصحابه وأتباعهم، ولكن الدين قد عاد غريبا عند معظم أهله كما بدأ.

فكان علم التوحيد عند الأكثرين علم يبحث فيه عن وجود الله وما يجب فى حقه تعالى وما يجوز وما يستحيل فيه من الصفات، وعن الرسل وما يجب فى حقهم وما يجوز وما يستحيل، ومسائل أخرى تتعلق بتلك المباحث .

والكتب التى يدرسونها فى علم التوحيد مشحونة بتعقيدات المتكلمين وتغميضات الفلاسفة وثرثرة المدعين التى قد تملو على عقول أكثر الخواص فضلا عن العوام، وقد تدخل الشكوك على قلوب الأكثرين، وربما يجوز لنا القول أن كل شئ من ذلك فيها إلا التوحيد نفسه. (١)

(١) أعنى توحيد الألوهية الذى هو أحد شقى التوحيد.

## التوحيد غاية دعوة الرسل:

لا يخفى على من له أدنى معرفة بالدين أن التوحيد غاية لدعوة الرسل من لدن أبي الأنبياء إلى آخر الرسل وخاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم، لأن الناس يغلب عليهم الإِشراك.

« وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ »  
(يوسف ١٠٦)

فهم مع إيمانهم أن الله هو خالق الكون ومالكه ومدبر شئونه يتوهمون أن له أعوانا ووسائط مقربين من ملائكة وجن وإنس وأرواح وغيرها، وأن لتلك الوسائط والأعوان شئ من النفوذ في تدبير أمور الكون منعا وعطاء، وشئ من حق الملكية أمرا ونهيا، ويتوهمون أنهم أذل لأن يدعوا الله ويسألوه مباشرة وأنه أبعد لأن يرفعوا إليه حاجاتهم أو يلجأوا إليه عند الشدائد، لذلك نراهم سريعي الإِعراض عن الله تعالى إلى ما يتوهمون فيه أنه شريك له أو معين له أو مقرب إليه أو شفيع عنده أو وسيط بينه وبينهم .

فمن ذلك نرى أن أول ما يدعو إليه الشيخ محمد بن عبد الوهاب وأشدّه الرجوع إلى التوحيد النقي من شوائب الإِشراك، فننبه بقوله تعالى:

« الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا ءِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ ءَآمَنٌ وَهُمْ مُهْتَدُونَ »  
(الأنعام - ٨٢)

وقوله صلى الله عليه وسلم: « من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، والجنة حق والنار حق، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل ». (رواه الشيخان عن عبادة)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «إن الله حرم على النار من قال «لا إله إلا الله»

يبتغى بذلك وجه الله « (أخرجاه في حديث عتبان)، وقوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن الله تعالى أنه قال: «لو أن السموات السبع وعامرهن غيرى والأرضين السبع في كفة، ولا إله إلا الله في كفة مالت بهن لا إله إلا الله» (رواه ابن حبان والحاكم عن أبي سعيد).

وقوله صلى الله عليه وسلم: قال الله تعالى: «يا ابن آدم، لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئا لأتيتك بقرابها مغفرة» (رواه الترمذي عن أنس)، وقوله صلى الله عليه وسلم: «من لقي الله لا يشرك به شيئا دخل الجنة».

واعلم أن التوحيد أول ما يدعو إليه الدين مستدلا بحديث ابن عباس رضى الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذًا إلى اليمن قال له إنك تأتي قوما من أهل الكتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله .. وفي رواية: إلى أن يوحدوا ... الحديث (رواه الشيخان).

ونبه بأن الشرك أعظم الذنوب الذي لا يغفر الله لفاعله إلا إذا تاب، وذكر قوله عز وجل:

« إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ »

(النساء - ٤٨).

وأنه لا يأمن أحد من وقوعه فيه، فإن خليل الله إبراهيم مع قربه من الله وعصمته سأل الله أن يجنبه وذريته إياه، قال تعالى حاكيا دعاءه عليه السلام:

« وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ » (إبراهيم - ٣٥).

وأن الشرك يقع في هذه الأمة في أى نوع من أنواعه، وذكر في الاستدلال بقوله تعالى:

« أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيْبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ »

(النساء - ٥١)

وقوله صلى الله عليه وسلم: « لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه، قالوا: يا رسول الله، اليهود والنصارى، قال: فمن » (رواه الشيخان عن أبى سعيد الخدرى) وقوله صلى الله عليه وسلم: « لا تقوم الساعة حتى يلحق حى من أمتى بالمشركين وحتى تعبد فئام من أمتى الأوثان » (رواه البرقانى فى حديث طويل عن ثوبان) .

### مفهوم التوحيد:

إن منتهى ما وصلوا إليه فى علم التوحيد الاعتقاد بأن لهذا العالم خالقا واحدا وهو الله، وهو وحده مالكة والمسيطر عليه وواضع قوانينه التى يسير عليها، وهو واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله، وهذا - ولا شك - أحد شقى التوحيد وهو توحيد الربوبية، ولا يصلون إلى شقه الآخر وهو توحيد الألوهية الذى يقتضى من العباد توحيد العبادة .

وذلك لعدم إدراكهم أن التوحيد لا يتحقق إلا بشقيه وعدم علمهم أن توحيد الألوهية هو مفترق الطرق بين المسلمين وبين المشركين الذين حكاهم الله بقوله عز وجل:

« وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَخَسَرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

لَيَقُولنَّ اللَّهُ فَاَنَّى يُؤْفَكُونَ »

(العنكبوت - ٦١)

وقوله تعالى :

« قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولنَّ لِلَّهِ قُلْ

أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾  
 سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ مِنْ يَدَيْهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ  
 وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى  
 تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

(المؤمنون - ٨٤ ، ٨٩).

كما حكى عنهم بقوله تعالى :

« وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ »

(الزمر - ٣).

ولا أقول إن منتهى ما وصلوا إليه في التوحيد هو عين ما وصل إليه مشركو مكة  
 زمن البعثة، ولكن أريد أن أذكر أن مباحث الكتب المتداولة في علم التوحيد كانت تدور  
 حول الاستدلال على وجود الله ووحديته في ذاته وصفاته وأفعاله وما إلى ذلك بأدلة  
 كلامية أو شبه كلامية، أقصى ما تصل بهم إليه هو توحيد في المعرفة والإثبات، وهو  
 توحيد الربوبية والأسماء والصفات، أما توحيد الألوهية فلا تدخل تحت مباحثها ولا  
 تكون أمام اهتمام الطلاب.

أما ما أتى به الشيخ في كتابه في المسألة فهو: أن التوحيد ضد الشرك، وأن الله  
 أرسل رسله ليأمروا الناس بالتوحيد الذي هو أفراد العبادة لله تعالى، وينهوا عن الشرك  
 الذي هو صرف العبادة له ولغيره سبحانه، وأتى بالأدلة على ذلك من الآيات القرآنية  
 والأحاديث النبوية، منها قوله تعالى:

« وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ » (الذاريات - ٥٦).



وقوله تعالى:

« وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ آعْبُدُوا اللَّهَ وَآجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ »

(النحل - ٣٦)

وقوله تعالى:

« وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ »

(الإسراء - ٢٣).

وقوله تعالى:

« وَأَعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا »

(النساء - ٣٦).

وقوله تعالى:

« قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا »

(الأنعام - ١٥١).

وقول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل: « حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً ، وحق العباد على الله أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً » (رواه الشيخان عن معاذ بن جبل).

وليتضح معنى التوحيد ومعنى الشرك فلا بد من بيان معنى العبادة، فإنها إذا أفردت لله تعالى وحده فهو التوحيد، وإذا صرفت لله ولغيره فهو الشرك .

## بيان معنى العبادة:

اختلفت ألفاظ العلماء في بيان معنى العبادة وتعريفها على اختلاف مشاربهم ومآربهم، وكان الشيخ لا يلتجئ إلى تلك الألفاظ ولكن بين معنى العبادة والمراد بها بطريق عملي .

وأعنى بذلك أنه بين أن التوحيد ضد الشرك، وهما متنافيان، فلا يتحقق التوحيد إلا بالبعد عن الشرك، وهو صرف العبادة إلى غير الله تعالى، ثم ذكر أشياء نهى الدين عنها على أنها تعد عبادة لغير الله وهو الشرك أو ذريعة إلى الشرك .

فمن الأشياء التي ذكرها دعاء الأنبياء والأولياء والصالحين في قضاء حوائجهم أو دفع بلائهم زعما من الناس أنهم وسطاء بينهم وبين الله، وأن لهم تأثيرا في قضاء حوائجهم أو دفع ضرهم، ثم استدل على بطلانه وأنه يناقض التوحيد بقوله تعالى :

« أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ ۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ۝ »  
(الإسراء - ٥٧).

وقوله تعالى:

« وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِن الظَّالِمِينَ ۝ »  
(يونس ١٠٦).

وقوله تعالى:

« وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ۝ »  
(الزمر - ٣).

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم لفاطمة: « يا فاطمة بنت محمد، سلىنى من مالى ما شئت، لا أغنى عنك من الله شيئاً » (رواه البخارى عن أبى هريرة) وغير ذلك.

ومنها طاعة العلماء والأمرء فى تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله، صرح الشيخ أن ذلك عبادة لهم مستدلاً بما جاء فى السنة: أن عدى بن حاتم سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقرأ هذه الآية:

« اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَيْبَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ۗ لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحٰنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ »  
(التوبة - ٣١).

فقلت: إنا لسنا نعبدهم، قال: أليس يحرمون ما أحل الله فتحرمونه ويحلون ما حرم الله فتحلونه فقلت: بلى، قال فتلك عبادتهم. (رواه احمد والترمذى)، وأيد ذلك بما روى عن ابن عباس أنه قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله، وتقولون قال أبوبكر وعمر، وقول أحمد بن حنبل: عجبت لقوم عرفوا الإسناد وصحته ويذهبون إلى رأى سفيان، والله تعالى يقول:

« فليحذر الذين يخالفون عن أمره ۖ أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم »  
(النور - ٦٣).

أترى ما الفتنة ؟ الفتنة: الشرك.

ومنها التحاكم إلى غير حكم الله، واستدل بقول الله عز وجل :

« ألم تر إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت وقد أمروا أن يكفروا به ۖ ويريد الشيطان أن يضلهم ضلالاً بعيداً ﴿٦٧﴾ وإذا قيل لهم تعالوا إلى ما أنزل الله وإلى

الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنْفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا»

(النساء - ٦٠، ٦١).

وقوله تعالى:

« أَشْكِرَ الْجَاهِلِيَّةَ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ »

(المائدة ٥٠).

وقوله صلى الله عليه وسلم: « لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به »  
(رواه الطبرانى وأبو بكر وأبو نعيم عن ابن عمرو).

ومنها التبرك بنحو قبر أو شجرة أو نحوهما، واستدل بحديث أبى واقد الليثى:  
خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين، ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين  
سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم يقال لها ذات أنواط فمررنا بسدرة فقلنا:  
يا رسول الله، اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله صلى الله عليه  
وسلم: الله أكبر، إنها السنن، قلتم - والذي نفسى بيده - كما قال بنو إسرائيل لموسى: اجعل  
لنا إلهة كما لهم آلهة (الأعراف: ١٣٨) قال: إنكم قوم تجهلون لتركين سنن من كان قبلكم  
(رواه الترمذى وصححه).

ومنها الغلو فى الصالحين وفى قبورهم، وأتى فى الاستدلال بقوله تعالى:

« يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ »

(النساء - ١٧١).

وبما صح عن ابن عباس أنه قال فى قول الله تعالى:

« وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا »

(نوح - ٢٣).

قال: هذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا اوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصابا وسموها بأسماءهم، ففعلوا ولم تعبد حتى إذا هلك أولئك ونسى العلم عبت، وبما رواه الشيخان عن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، إنما أنا عبد فقولوا عبد الله ورسوله »، وقوله صلى الله عليه وسلم: « إياكم والغلو فإتما أهلك من كان قبلكم الغلو » (رواه أحمد والترمذي وابن ماجه عن ابن عباس)، وبما روى عن عائشة أن أم سلمة ذكرت لرسول الله صلى الله عليه وسلم كنيسة رأتها بأرض الحبشة وما فيها من الصور، فقال: « أولئك إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله ». (رواه الشيخان)، وبما روى عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: « لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد ». يحذر ما صنعوا ولو لا ذلك أبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجدا، وبما رواه مسلم عن جندب بن عبد الله، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم قيل أن يموت بخمس وهو يقول: « ألا وإن من قبلكم كانوا يتخذون قبور أنبيائهم مساجد فلا تتخذوا القبور مساجد فإني أنهاكم عن ذلك »، وبما روى مالك في الموطأ: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد، اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » وقوله صلى الله عليه وسلم: « لا تجعلوا بيوتكم قبورا، ولا تجعلوا قبري عيدا، وصلوا على فإن صلاتكم تبلغني حيث كنت »، وغير ذلك .

ومنها النذر والذبح لغير الله، وأتى بما نهى عن ذلك من الأدلة، وهو قوله تعالى :

« يَوْمَ يَأْتِي النَّذْرَ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا »

(الانسان - ٧).

وقوله تعالى:

« وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا »

(البقرة - ٢٧٠).

وحديث عائشة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه ». (رواه البخارى)

ومما قال فيه: إذا ثبت كون النذر عبادة لله فصرفه إلى غيره شرك. ثم أتى بقوله تعالى:

« قُلْ إِنْ صَلَّاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ »

(الأنعام - ١٦٢)

وقوله تعالى:

« فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَّرْ »

(الكوثر - ٢)

وبحديث على رضى الله قال: حدثنى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأربع كلمات: « لعن الله من ذبح لغير الله .. الحديث » (رواه مسلم)، وما رواه أحمد عن طارق بن شهاب فى رجلين أحدهما لا يقرب لصنم ولو ذبأبا فضرىوا عنقه فدخل الجنة وقرب الآخر له ذبأبا فخلوا سبيله فدخل النار .

ومنها الاستعانة والاستغاثة والحلف بغير الله، واستدل بقوله تعالى:

« وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا »

(الجن - ٦).

وقول النبى صلى الله عليه وسلم: « إنه لا يستغاث بى وإنما يستغاث بالله » (رواه الطبرانى عن عبادة بن الصامت)، وأتى فى الحلف بما رواه الترمذى وحسنه الحاكم وصححه عن عمران أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « من حلف بغير الله فقد

كفر أو أشرك»، وبما رواه ابن ماجه عن ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « لا تحلفوا بأبائكم من حلف له بالله فليصدق، ومن حلف له بالله فليرض، ومن لم يرض فليس من الله في شيء»، وقول ابن مسعود: « لأن أحلف بالله كذبا أحب إلي من أن أحلف بغير الله صادقا ».

ومنها الكهانة والعرافة والسحر والتطير، وأتى بما دل على نهى الشارع عن ذلك نهيا مغلظا، من ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «من أتى عرافا فسأله عن شيء فصدقه لم تقبل له صلاة أربعين يوما». (رواه مسلم عن بعض أزواج النبي)، وقوله: « من أتى كاهنا فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » (رواه ابوداود عن أبي هريرة).

وقوله: « ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له، ومن أتى عرافا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم » (رواه البزار بإسناد جيد عن عمران بن حصين)، وقوله تعالى :

« وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ »

(البقرة - ١٠٢).

وما روى عن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب: أن اقتلوا كل ساحر وساحرة، قال: فقتلنا ثلاث سواحر (رواه البخاري)، وقوله صلى الله عليه وسلم: « من اقتبس شعبة من النجوم فقد اقتبس شعبة من السحر، زاد ما زاد » (رواه ابوداود بإسناد صحيح عن ابن عباس)، وحديث أبي هريرة للنسائي: « من عقد عقدة ثم نفث فيها فقد سحر، ومن سحر فقد أشرك»، وما روى عن ابن مسعود مرفوعا: « الطيرة شرك، الطيرة شرك، الطيرة شرك، وما منا إلا، ولكن الله يذهب بالتوكيل» (رواه ابوداود)، وما روى عن ابن عمر: « من ردت الطيرة عن حاجته فقد أشرك » (رواه احمد).

فبذلك اتضح لمريدى الحق أن ما شاع بين المسلمين من تلك الأفعال مناف للتوحيد

أو مناقض له، وأن التوحيد لا يتحقق إلا باجتنابه، وأن من أسباب ارتكاب كثير من تلك الأفعال الشركية هو توهمهم أن التوحيد إنما هو توحيد الربوبية، فلا يرون بأساً بارتكابها ما داموا يعتقدون أن الله واحد في ذاته وأفعاله وصفاته، كأنهم يرون أن الرسول صلى الله عليه وسلم ما دعاهم إلى شهادة أن لا إله إلا الله وإنما دعاهم إلى شهادة أن لا رب إلا الله .

### صفات الله تعالى :

وأهم مباحث علم التوحيد التي توجد في بطون الكتب هو البحث عما يجب في حق الله تعالى من الصفات وما يجوز وما يستحيل، أما ما يجب في حقه تعالى فثلاث عشرة صفة، وقيل عشرون، وهي واحدة نفسية وخمس سلبيةا وسبع صفات المعاني وسبع معنويات، وأما ما يستحيل في حقه تعالى فهو أصداد ما يجب، والجائز في حقه تعالى هو فعل كل ممكن أو تركه، ونظمها بعضهم:

وبعد فاعلم	بوجوب المعرفة	من واجب لله	عشرين صفة
فالله موجود	قديم باقى	مخالف للخلق	بالإطلاق
وقائم غنى	واحد وحى	قادر مريد	عالم بكل شى
سميع بصير	والتكلم	له صفات	سبعة تنتظم
فقدرة إرادة	سمع بصر	حياة العلم	كلام استمر
وجائز بفضل	وعدله	ترك لكل	ممكن كفعله

وهذه الإحدى والعشرون وأصداد العشرين المستحيلة والأربعة التي تجب في حق الرسل وأصدادها المستحيلة والواحدة التي تجوز في حقهم معروفة عندهم بالعقائد الخمسين، التي تجب معرفتها - عندهم - على كل مكلف، وتجب عليه معرفة أدلتها إجمالياً وتفصيلياً، واختلفوا فيه؛ فقال بعضهم يشترط أن يعرف الدليل التفصيلي لكل واحد من هذه الخمسين، وقال الآخرون أنه يكفي معرفة الدليل الإجمالي، كما اختلفوا في كفاية التقليد فيها وعدمها .



والحق أنهم لا يأتون من الكتاب والسنة بما يدل على وجوب معرفة تلك الخمسين على كل مكلف مستقلة عن غيرها من سائر المعتقدات الإسلامية، وقد لا يقولون بوجوب اعتقاد ثبوت تلك العشرين في حق الله تعالى دون سائر الصفات التي وصف الله بها نفسه إلا تقليدا لمن سبقهم، وقد لا يعرفون أن هذا القول لا عهد له في عهد الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

وأعتقد أنني لا أجا في الحق حين أقول: إن تحرير مثل تلك العقائد وتقريرها بالأدلة النظرية العقلية الصحيحة لحاجة ماله أهميته في وقت من الأوقات وفي بيئة من البيئات.

والواجب على كافة المسلمين في جميع الأزمنة والأمكنة هو الإيمان بجميع الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه المبين وعلى لسان نبيه الأمين ضمن الإيمان بكتاب الله وبرسوله .

أما الشيخ فقد ذكر في كتابه آيات قرآنية وأحاديث نبوية شريفة تدل على وحدانيته في ربوبيته وألوهيته واتصافه بكل كمال وتنزهه عن كل نقص، ودعا إلى الإيمان بجميع الصفات التي وصف الله بها نفسه في كتابه أو على لسان نبيه، ونهى عن جحد شيء منها أو الإلحاد فيه، ومما ساقه من الأدلة على ذلك قوله تعالى حكاية عن حال مشركي قريش: وهم يكفرون بالرحمن:

« قُلْ هُوَ رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ »

(الرعد-٣٠)

وقوله تعالى:

« وَ لِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي

(الأعراف-١٨٠).

أَسْمَائِهِ »

وسلك نهج السلف ذلك من الإيمان بجميع ما ورد من الصفات والأسماء التي وصف الله بها نفسه، أو سمى بها نفسه كما وردت من غير تكييف ولا تعطيل، والراسخون في العلم يقولون :

« ءَأَمَّنَّا بِهِ ۚ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ »

(آل عمران - ٧).

صرح غير واحد من علماء التحقيق أن الفكر في ذات الله تعالى ممتنع عن العقل البشرى مهما عظمت قوته، وأن معرفة الله بمعرفة أسائه وصفاته التي تليق ببروبيته وألوهيته التي تعرف بها إلى خلقه، وبالنظر إلى بدائع صنعه وعجائب خلقه وبالاستعانة بطاعة الله وحسن عبادته، بامتنال أوامر واجتناب نواهيه، أما الخوض في المسائل الكلامية والمباحث الفلسفية في ذلك فهو أقرب إلى رياضة عقلية منه إلى مهمة دينية .

### الإيمان بالقدر :

ومعلوم من الدين بالضرورة أن الإيمان بالقدر خيرد وشره ركن من أركان الإيمان، وجاءت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية تبينه وتبين ما يتعلق به بعبارات سهلة واضحة، سائغة للعقول، بعيدة من التعقيد والغموض، ولكن الناس أرادوا غير هذا وتنطعوا في المسألة، واستحبوا الفتن البالية التي أثارها الجبرية والقدرية، مع عجزهم عن حلها وبحثها بما يشفى الغليل، وعدم إتيانهم بجديد إلا تناظر في الألفاظ والأساليب، فلا يحدث بذلك عند الطالبين سوى دوار في الرؤوس، وشكوك في القلوب، واضطراب في النفوس.

أما ما جاء به الشيخ في كتاب التوحيد فهو - عندي - نفس ما جاء به الدين في ذلك، وذلك أنه بين أن الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان ولا يتحقق الإيمان إلا به، فذكر حديث ابن عمر: « والذي نفس ابن عمر بيده، لو كان لأحدهم مثل أحد ذهباً ثم أنفقه في سبيل الله ما قبله منه حتى يؤمن بالقدر »، ثم استدل بقول النبي صلى الله عليه وسلم: « الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره » (رواه مسلم)، وحديث ابن وهبه: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « فمن لم يؤمن بالقدر أحرقه الله بالنار ». (رواه أحمد).

ثم بين كيفية الإيمان بالقدر، وهو أن تعلم أن ما أصابك من نفع أو ضرر فهو بقدر الله، ولم يكن ليخطئك مهما كان سعيك، وإن ما أخطأك من خير أو شر فهو بقدر الله، ولم يكن ليصيبك مهما كان حرصك، وأتى في الاستدلال بحديث عبادة بن الصامت أنه قال لابنه: يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « إن أول ما خلق الله القلم، فقال له اكتب، فقال: رب وماذا أكتب، قال اكتب مقادير كل شيء حتى تقوم الساعة، يا بني، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: « من مات على غير هذا فليس مني ». (رواه أبو داود)، وبما ورد عن ابن الديلمى قال: أتيت أبا بن كعب فقلت: في نفسى شئ من القدر، فحدثنى بشئ لعل الله يذهبه من قلبى، فقال: لو أنفقت مثل أحد ذهباً ما قبله الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، ولو مت على غير هذا لكنت من أهل النار، قال: فأتيت عبدالله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وزيد بن ثابت، فكلهم حدثنى بمثل ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم. (رواه أحمد وأبو داود والحاكم).

هذا فيما وقع فى الماضى، فلا ينبغى لنا أن نقول فيما يسوءنا مما وقع: لو فعلنا كذا ما وقع، أو: لو كنا لم نفعل كذا لوقع على مثل ما أردنا، لأن ما وقع إنما هو بقدر الله سابق علمه، لا يرده كراهية كربه، ولا يجلبه حرص حريص، ثم ذكر فى الاستدلال ما حكاه الله عن بعض المنافقين يوم أحد بقوله سبحانه:

« يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قَاتَلْنَا هَهُنَا »

(آل عمران - ١٥٤).

وقوله تعالى:

« الَّذِينَ قَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ وَقَعَدُوا لَوْ أِطَاعُونَا مَا قَاتَلُوا »

(ال عمران - ١٦٩).

وما روى عن أبي هريرة أنه صلى الله عليه وسلم قال: « وإن أصابك شئ فلا تقل لو فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل » (رواه مسلم).

أما ما يقع في المستقبل فعلينا أن نعمل جهد طاقتنا في تحصيل ما رأينا فيه الخير والمنفعة، ودفع ما رأينا فيه الشر والمضرة، ونستعمل فيه الوسائل، ونسلك فيه الأسباب، ونتعظ بما مضى من تجاربنا، ونعتبر بما وقع حولنا، مستعينين بالله على تحصيل مطلوبنا، وأن لا يقعدنا العجز والفتور، وذكر فيه ما روى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجزن » (هذا أول الحديث الآنف الذكر).

وبين أن من أصابته ضراء فليعلم أنها إنما وقعت عليه في ماضيه بقدر الله ومشيئته، فليس له إلا الرضا وحسن الظن بالله، وربما ابتلاه الله لحبه إياه وإرادته الخير به، وذكر حديث أنس رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: « إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة » (رواه الترمذى والحاكم)، وقوله صلى الله عليه وسلم: « إن عظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله إذا أحب قوما ابتلاهم فمن رضى فله الرضا، ومن سخط فله السخط » (رواه الترمذى عن أنس)، ولا يدخله اليأس والقنوط، لأن اليأس والقنوط لا ينبغيان إلا لمن ضل عن الصراط السوى، ولم يؤمن بالقدر، واستدل بقوله تعالى:

« إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ »

(يوسف - ٨٧).

وقوله تعالى:

« قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ » (الحجر - ٥٦).

وبما روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن الكبائر فقال: « الشرك بالله، واليأس من روح الله، والأمن من مكر الله » (رواه البزار وابن

ابى حاتم)، وما روى عن ابن مسعود أنه قال: « أكبر الكبائر الإِشْرَاقُ بالله والأمن من مكر الله والقنوط من رحمة الله، واليأس من روح الله » (رواه عبدالرزاق ورواه ابن جرير بأسانيد صحاح عنه).

وأن من أصابته سراء فليعلم أن ما أصابه إنما هو ما وقع في ماضيه بقدر الله تعالى، وأن ما يقع في مستقبله فلا يزال في علم الله في كنف الغيب، ولا يستبعد أن يكون ذلك ابتلاء من الله فلا يأمنن مكره، ولا يقل إن ما أصابه من النعم كان ينبغي له لعلمه وشرفه، وأن تلك النعم كانت حظه في الماضي ولا بد أن يكون حظه في المستقبل، واستدل بقول الله عز وجل:

« أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ »

(الأعراف ٩٩).

وقوله تعالى:

« وَلَئِن أَدْقَنَهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ »

(فصلت ٥٠)

وقوله تعالى حكاية لقارون :

« قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي »

(القصص ٧٨).

ثم أتى بقصة ثلاثة من بنى إسرائيل: أبرص، وأقرع، وأعمى، الذين ابتلاهم الله بالخير فهلك اثنان ونجا واحد منهم، كما في رواية الشيخان عن أبى هريرة.

وبذلك بين للناس ما للإيمان بالقدر من فوائد عملية عظيمة يتذوق حلاوتها من عايشها، وهى الصبر والرجاء وعدم القنوط والجزع عند وقوع البلاء، والشكر والحذر وعدم العجب والاختيال عند نزول النعمة، فيكون دائما منشرح الصدر مطمئن البال متكلا على رحمة ربه الواسعة وحكمته العليا.

### تأثيرات كتاب التوحيد :

وبعد لمحات قصيرة إلى أهم ما جاء به الشيخ فى كتاب التوحيد، أحب أن أذكر هنا تأثيراته الإصلاحية، لا على سبيل الحصر، ولكن على سبيل المثال :

- ١ - إزالة سوء الفهم بدعوة الشيخ، فإن كثيرا ممن شنوا الغارة على الدعوة لم يصل اليهم شئ عن الدعوة إلا ما شوهه المفترون بالكاذيب، وهؤلاء تغيرت أحوالهم تجاه الدعوة وشخصية الشيخ بعد ما قرأوا ما فى الكتاب، بل صار كثير منهم فيما بعد من مؤيديها المخلصين.
- ٢ - كثرة ذكر المواد التى توجد فيه على ألسن الدعاة والوعاظ والمدرسين، وفى المقالات الصحفية والكتب الدينية، حتى على ألسن أولئك الذين أظهروا العداوة ضد الدعوة بدافع العصبية المذهبية أو الطائفية .
- ٣ - اللجوء إلى الاستدلال بالكتاب والسنة على إثبات العقائد الدينية، حتى على إثبات العقائد التى قرروها بأدلة عقلية صرفة .
- ٤ - قلة المنازعة والمجادلة فى مسائل كلامية، إلا فى بينات محدودة .
- ٥ - هدم كثير من أبنية القبور والأشجار والأحجار والموارد التى كانوا يتبركون بها، ولا سيما فى المناطق التى كان أكثر أهلها ممن انتسبوا إلى الجمعيات الإصلاحية .
- ٦ - عدم بناء الأبنية على قبور الخواص ممن كانوا ينتسبون إلى الحركات الإصلاحية.
- ٧ - غياب كثير من الحفلات التى كانوا يقيمونها لذكرى موت أحد من العلماء والصالحين مرة فى السنة والتى يسمونها فى عرفهم « ذكرى الحول »، وكثير من حفلات مناقب الشيخ عبدالقادر الجيلانى الذى يذبحون لها الديوك تقربا إلى الشيخ .

- ٨ - ذهاب كثير من الأفعال التي اخترعوها شفاعة لموتاهم - على زعمهم - أو تقربا إليهم .
- ٩ - كساد أسواق العزائم والتائم والتولات ، التي كانت عروض التجارة لبعض أولئك الذين يتوهمون أنهم أهل الدين .
- ١٠ - قلة ثقة الجمهور بأدعياء الولاية الذين اتخذوا الكهانة والعرافة حرفة لأنفسهم ويتظاهرون بالورع والتقوى .
- ١١ - ازدياد الوعى الدينى في جماهير المسلمين، وازدياد ممارستهم شرائع الدين، وتحاكم كثير منهم إلى حكم الشريعة في مخاصمتهم .
- ١٢ - زيادة الاعتناء بأراء الشيخ محمد بن عبد الوهاب وتعاليمه وكتبه التي تكون - مع الأسف - نادرة الوجود في المكاتب والمدارس في اندونيسيا وصعبة التداول في الدكاكين والأسواق .
- ١٣ - وغير ذلك مما لا تحصى .

فإذا ذكرت تلك التأثيرات العريضة، فلا أعنى أن كل شئ يجرى دائما على ما يرام، فلم تزل هناك عقبات تستهدف إمام هذه الدعوة من بقايا سوء الفهم بالدعوة، والعصبية الطائفية التي ترى في الدعوة ما يهدد كيانها ونفوذها وأغراضها، والأفكار المعادية للإسلام والحركات الهدامة له من الحركة الباطنية والغارة التبشيرية والعلمانية والعصبية الشعبية وما إلى ذلك.

هذا ورحم الله الشيخ وأكرم مثواه وأجزل ثوابه .

أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب  
في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب  
افريقيا

للككتور مصطفى مسعد

أستاذ التاريخ الإسلامي ورئيس قسم التاريخ

بكلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### ظهور الدعوة :

يمثل القرن الثاني عشر للهجرة نقطة تحول هامة في تاريخ العالم الإسلامي بعامته وتاريخ الجزيرة العربية بخاصة . ذلك أن العالم الإسلامي في ذلك العصر يعاني من الانحطاط والضعف والتدهور في كثير من نواحي الحياة الدينية والسياسية والاقتصادية . بسبب تفشي الجهل ووقوعه فريسة التخلف العلمي والجمود الفكري ، والانحراف عن جادة الإسلام الصحيح ، وتسرب الكثير من أنواع الشرك والبدع والخرافات<sup>(١)</sup> ، حتى قبيض الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة الإسلامية من ينهض من قلب الجزيرة العربية ليدعو الى النهوض بالإسلام وإصلاح أحوال المسلمين ، بتطهير الإسلام وتخليصه مما علق به من أدران الوثنية وغيرها من مظاهر الشرك . وصاحب هذه الدعوة المباركة هو الإمام الشيخ محمد بن عبد الوهاب - رحمه الله - ( ١١١٥ - ١٢٠٦ هـ ) .

لقد أدرك الشيخ - رحمه الله - أن مصدر هذا التدهور والانحلال ابتعاد المسلمين عن الإسلام الصحيح ، حتى لقد انتشرت أنواع خطيرة من الشرك ودعوة الأحياء والأموات من الأولياء والصالحين ، وإشراكهم فيما يعبد الله به من الذبيح والنذور والتوكل والسجود وغير ذلك مما هو حق لله وحده لا شريك له ، بل النزول الى تقديس الجمادات كالأحجار والأشجار والاعتقاد في قدرتها على جلب النفع ودفع الضر<sup>(٢)</sup> .

نهض الشيخ - رحمه الله - بعبع الدعوة بالرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأثار السلف الصالح ، ومقاومة البدع والخرافات التي ألصقت بالإسلام ، وبمعنى

(١) حسين بن غنام: تاريخ نجد (روضة الأفكار والأفهام) تحرير: ناصر الدين الأسد ص ١٠ - ١٩ .

(٢) محمد بن عبد الوهاب : القسم الخامس من مؤلفات الشيخ (الرسائل الشخصية) نشر جامعة الامام محمد بن

سعود الاسلامية ص ٣٦ .

آخر الرجوع بالإسلام الى ما كان عليه زمن النبي - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه رضي الله عنهم. ولقد بدأ الشيخ دعوته الى الإصلاح متبعا في ذلك أسلوب الإسلام نفسه، بالحكمة والموعظة الحسنة والمجادلة بالتي هي أحسن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكتابة الرسائل وإلقاء الخطب، وعقد حلقات الدرس لتلاميذه الذين يتلقون عنه العلم في مختلف فروع المعرفة ، وعנית الدعوة بتصحيح العقيدة وتحقيق التوحيد، وقد استأثرت معالجة هذه الموضوعات بالكثير من مؤلفات الشيخ وكتابات ورسائله. كما عني بشرح العقيدة الصحيحة ودعمها بالحجة والدليل من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، وأقوال صالحى الأمة وأفعالهم ، وذلك بإخلاص العبادة لله رب العالمين، ونيزد الشرك والبدع والخرافات، والإقلاع عن جميع المحرمات، وبيان معنى الإسلام الصحيح قبل حدوث الشرك وتسرب البدع، وتفسير معنى « لا إله إلا الله » ، وما اشتملت عليه من نفي العبادة عما سوى الله وإثباتها لله وحده لا شريك له في ربوبيته ولا في ألوهيته، وبيان شرائع الإسلام. (٣).

لم تسلم الدعوة من حرب شنها عليها بعض الحكام الضالين، وبعض مدعي العلم كذلك، ويمثل اتفاق الدرعية (١١٥٧هـ) بين الامام الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وبين أميرها الإمام محمد بن سعود - رحمهما الله - بداية مرحلة هامة في تاريخ الدعوة السلفية؛ فقد تم تعاهد وتعاقد بينهما على إظهار دين الله والجهاد في سبيله. وبمعنى آخر كانت هذه المعاهدة التي تمت بين الإمامين عهدا على نشر الدعوة السلفية وتوحيد المسلمين تحت راية الإسلام.

وبذا بدأ الجهد الجماعي للدعوة ودخولها مرحلة الجهاد. وقد أصبحت بذلك مدينة الدرعية مركز الدعوة السلفية ومنطلقها. فما أن فرغ الإمام الشيخ من أمر الدرعية نفسها وإقبال أهلها على دعوته ، حتى بعث برسائله الى أمراء وأهالي البلاد المجاورة يدعواهم فيها الى العودة الى طريق الإسلام الصحيح كما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم ، وتطبيق

(٣) محمد بن عبدالوهاب، القسم الأول من مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، «العقيدة والآداب الاسلامية» نشر جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية.

جميع أحكامه وإقامة شعائره . فمنهم من استجاب لدعوة الشيخ ودان له بدعوة الاسلام الصحيح، فتاب الى الرشد، وهجر البدع، وغدا من أنصارها والداعين الى نشرها ونصرتها، ومنهم من استكبر وأبى وخالف. ولما رأى الشيخ من معظمهم الإعراض عن الدعوة ومناواتها، بدأ في تكتيل القوى الحربية وإعلان الجهاد في سبيل إقرار هذا الدين على حقيقته، وتهيئة الجو الصالح لنشر الدعوة، وتطبيق منهج الله في جميع شئون الحياة.

ولقد أصبح من الضروري مواجهة أعداء الدعوة - حيثما كانوا - وتجريد الحملات الحربية عليهم للدفاع عن الدعوة وإفساح المجال أمام الراغبين في الانضمام تحت لوائها للرجوع الى الحق وقطع دابر الفتنة . فبدأت سلسلة من المعارك الحربية المتصلة ، وانتصرت كلمة الحق، وشهد الامام الشيخ - رحمه الله - في أواخر حياته رايات التوحيد خفاقة على معظم أقاليم الجزيرة العربية التي شهدت تحولا خطيرا في حياتها الدينية والسياسية والفكرية والاجتماعية والاقتصادية تحت لواء الدولة السعودية. والحق أن الشيخ الإمام - رحمه الله - قد شهد ثمار دعوته وجهاده وجهوده الصابرة بمولد المجتمع الإسلامي الذي يريده، والذي أيقظت الدعوة عقليته الاسلامية بعد سباتها، فصفت عقيدته بعد أن كدرتها الخرافات والبدع والشركيات والوثنيات، فتحققت بذلك أهداف دعوته ، بقيام مجتمع إسلامي متكامل تحت لواء دولة إسلامية تؤمن بالاسلام عقيدة وعبادة وشريعة ومنهجا، وتطبق أحكامه في كل شئونها<sup>(٤)</sup>.

### انتشار الدعوة:

لم يقتصر أثر الدعوة السلفية في الجزيرة العربية فحسب. بل امتد هذا الأثر الى بقاع كثيرة من العالم الإسلامي، وذلك على الرغم من محاولات خصوم الدعوة من تشويه مبادئها، حتى أطلقوا عليها اسم: «المذهب الوهابي» ليدلوا على أنها مذهب جديد على الإسلام، ولقد تضافرت عدة عوامل ساعدت على نجاح الدعوة وانتشارها ، فقد كان لشدة إيمان صاحب الدعوة بما يدعو اليه من الحق، وقوته في مواجهة خصوم الدعوة حتى

(٤) عبدالله بن يوسف الشبل : تاريخ نجد والدولة السعودية - طبع بمطابع جامعة الامام محمد بن سعود الاسلامية - الرياض، ص ٦٩ - ٨٢.

جمع حولها الأتباع والأعوان والتلاميذ الذين كانوا عدتها ودعامتها، فضلا عن القوة السياسية ممثلة في أنصار الدعوة من آل سعود منذ اتفاق الدرعية «١١٥٧هـ» أكبر الأثر في التمكين للدعوة، وإبلاغ صوتها الى أقصى المشرق وأقصى المغرب. ومن هنا: تتجلى قوة الدعوة في الجمع بين الأمور السياسية والدينية ، فقد حمل آل سعود لواء الجهاد في سبيل نصره الدعوة في حياة الشيخ وبعد وفاته، وتوحدت على أيديهم معظم أقاليم الجزيرة العربية بما فيها إقليم الحجاز حيث المعبر الذي انتقلت الدعوة عن طريقه في موسم الحج. فقد أتاح دخول الحجاز في حوزة الدولة السعودية الأولى في العقد الثاني والثالث من القرن الثالث عشر للهجرة (١٢١٧ - ١٢٢٦ هـ) لحجاج بيت الله الحرام من جميع البلاد الإسلامية التعرف على حقيقة الدعوة السلفية، والالتقاء بدعاتها، ومناقشتهم فيما يدعون اليه، حتى ازدادوا بها إيمانا وتشبعوا بمبادئها، وبخاصة حينما شهدوا أحوال الحجاز في عهد أنصار الدعوة من آل سعود، وما كان يسوده من أمن واستقرار وتطبيق لجميع مبادئ الإسلام، فحملوها الى بلادهم ، ودعوا الناس اليها، فانتقلت هذه المبادئ الإصلاحية الى سومطرة والهند في قارة آسيا، وإلى ليبيا وبلاد السودان الغربي في قارة افريقية، وكان هدف دعائها في كل مكان يحلون به هو محاربة الفساد والقضاء على البدع والخرافات ، وتصحيح العقيدة الدينية، والعودة بالإسلام الى ما كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم محاولة إقامة حكومة صالحة على أساس ديني، تحكم بالإسلام عقيدة ومنهج حياة<sup>(٥)</sup>.

### الإسلام وغرب افريقية :

ينبغي قبل الحديث عن الدعوة في غرب افريقية، أن نشير في إيجاز الى امتداد الإسلام وانتشاره في هذه الأقاليم الافريقية.

المقصود ببلاد غرب افريقية هنا: البلاد التي كانت تعرف قديما باسم السودان الغربي والسودان الأوسط، وتشمل مساحة جغرافية تمتد من مصب نهر السنغال في الغرب إلى

(٥) عبدالله بن يوسف الشبل: المرجع نفسه ص ٨٩.

الحدود الغربية لبلاد دارفور في السودان وادى النيل في الشرق، وتقع بين الصحراء الكبرى في الشمال، وبين نطاق الغابات الاستوائية في الجنوب .

ولقد تأثرت هذه الأقاليم بموجتين إسلاميتين، تتجلى أولاهما في تسرب الإسلام وانتشاره فيها انتشارا بطيئا استغرق حوالى سبعة قرون ابتداء من القرن الخامس الهجرى (١١ م)، وجاءت الموجة الثانية في أعقاب حركة الجهاد التي اضطلع بها الفلان في القرن الثالث عشر الهجرى (١٩م).

أما الموجة الأولى، فكانت طلائعها من قبائل الملثمين (الطوارق) الذين اضطلعوا بنشر الإسلام في غرب افريقية، عن طريق التسرب السلمى والاستيطان في هذه الأقاليم، أو عن طريق الغزو والفتح. وعلى الرغم من أن حركة المرابطين بزعامة قبيلة جدالة في القرن الخامس الهجرى (١١م) كانت قصيرة العمر فإنهم نجحوا في إزالة أكبر عقبة كانت تحول دون تقدم الإسلام جنوبا، فاضمحت على أيديهم مملكة غانة الوثنية، ثم اعتنق ملوكها الإسلام وأخلصوا له، وعملوا على نشره بوسائلهم، وتحولت غالبية شعب غانة الى الإسلام . واستطاع دعاة المرابطين أن ينشروا الإسلام على ضفاف السنغال، وفي الأقاليم الواقعة بين السنغال والنيجر. وتم في عهد المرابطين تأسيس مدينة «تنبكت»، وامتداد الاسلام الى مدينة (جنى)، وقد غدت هاتان المدينتان السودانيتان أعظم مركزين للثقافة الاسلامية، وسوقين هامتين للتجارة السودانية على ضفاف النيجر. وفي هذه المرحلة كذلك، ظلت الموجة الإسلامية الأولى قوية، بيد أن موجهيها لم يصبحوا من البربر، بل من أهل البلاد الأصليين الذين اعتنقوا الاسلام، ونالوا نصيبا من الثقافة الاسلامية، سواء أكانوا من السودانيين الخالص، أم من السودانيين الذين اختلطت دماؤهم بدماء البربر، وأفادوا من خبراتهم السابقة في ميادين السياسة والحرب، فأسسوا سلطنات إسلامية واسعة مثل: مالي، وسنغى، ويزنو، والكانم، وإمارات الحوصة في شمال نيجيريا، حيث قامت سبع إمارات هي: دورا، وكانو، وزاريا، وغوبر (جوير)، وكتسنا، وبيرام، وارانو.<sup>(٦)</sup>

(6) Boville, E.A.: The Golden Trade of the Moors, P. 220

ولقد كان معظم إمارات الحوصة على الوثنية حتى القرن الثامن الهجري (١٤م)، حين وفدت إليها تيارات إسلامية من الغرب على أيدي فقهاء مالي، ومن الشمال على أيدي فقهاء المغرب. أما التيار الثالث فمصدره بلاد برنو ومصر، وثم تيار إسلامي رابع وفد إليها مع تجار جنى وتنيكت المترددين على إمارتى كانو وكتسنا أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العشر للهجرة. (١٥ - ١٦م)، وذلك إبان انتعاش تجارة إمارات الحوصة، واستقرار أولئك التجار في هذه البلاد، والقيام على تدريس الدين الإسلامي ونشر مذهب مالك<sup>(٧)</sup>. وساعد على ازدياد قوة التيار الإسلامي في القرن العاشر الهجري (١٦م) خضوع إمارات الحوصة لسلطنة سنغى الإسلامية.

لكن على الرغم مما بذل من جهود لنشر الإسلام في بلاد الحوصة، فإن الإسلام لم يغلب على هذه البلاد، وظلت بها جاليات وثنية حتى مطلع القرن الثالث عشر الهجري (١٩م)<sup>(٨)</sup>، ولم يلبث بعض أمراء الحوصة أن تحولت حماستهم للإسلام والثقافة الإسلامية الى فتور تام، ولم يعد يسمع شيء عن نشاط إسلامي خلال القرنين الحادى عشر والثاني عشر (١٧، ١٨م) - حتى قيام الفلان بثوراتهم الإصلاحية في القرن الثالث عشر الهجري (١٩م).

يضاف الى هذا أن الغزو المراكشي في غرب أفريقية في القرن العاشر الهجري (١٦م) والقضاء على سلطنة سنغى الإسلامية، قد أدى الى تدهور أحوال البلاد الاقتصادية والثقافية والدينية، بسبب فساد الأمن واضطراب سير التجارة السودانية عبر الصحراء الكبرى، وتشريد علماء تنيكت، واضمحلال جامعاتها. يقابل هذا ازدياد نفوذ الممالك الوثنية مثل سيغو (سجو)<sup>(٩)</sup>، وخضوع الباشوات الذين خلفهم الغزو المراكشي لنفوذ ملوك سيغو الوثنيين. ثم ان الجامعات الاسلامية القليلة المبعثرة في الأقاليم الوثنية

(7) Waldman, M.R. "The Fulani Fihad". Journal of African History, Vol. 1v 1965. P.333.

(8) Hunwjjck, J.O.: Religion and state in the Songhay Empire, "Islam in Tropical Africa, J.M. Lewis, ed. P. 305.

(9) Wallis, J.R.: "Jihad Fi Sabil Allah, its doctrinal basis in Islam and some aspects of its avaluation in 19th Century West Africa". Journal of African History, V111, no. 3. 1967, P. 400.

عوملت معاملة أهل الذمة؛ فقد فرضت عليهم الجزية ، وحرموا من تطبيق الشريعة الإسلامية ، وخضعوا لقوانين البلاد القائمة على العادات الوثنية. واستمرراً معظم أمراء المسلمين - وقتذاك - ومن يلوذ بهم من النفعيين الحياة في ظل هذا الركود ، ماعدا نفر من أهل الصلاح والتقوى الذين يتطلعون الى ظهور مصلح يأخذ بأيدي المسلمين ، وينقذ الدين الإسلامي من وهدهته. (١٠).

### الحركات الإصلاحية في بلاد الحوصة.

تحقق هذا الإصلاح المرتقب على أيدي الفلان منذ مطلع القرن الثالث عشر للهجرة (١٩م). وهنا تبدأ الموجة الإسلامية الثانية التي بلغت من القوة في خلال قرن واحد حدا يفوق ما بلغته الموجة الإسلامية الأولى في خدمة الاسلام والثقافة الإسلامية في غرب افريقية خلال سبع قرون.

ولقد امتدت اليقظة الإسلامية التي انبعثت من قلب الجزيرة العربية على يد الشيخ المجدد الامام محمد بن عبد الوهاب الى بلاد الحوصة بغرب افريقية أول القرن الثالث عشر الهجري، اذ وجدت الدعوة السلفية طريقها الى هذه الأقاليم التي ما كان لها أن تبقى بعيدة عما يعتمل - وقتذاك - في قلب الجزيرة العربية وغيرها من الأقطار الإسلامية التي تأثرت بالدعوة السلفية ، لصلاتها القوية بها جميعا ولاسيما في موسم الحج.

كان رواد نشر الدعوة السلفية ودعاتها في غرب افريقية من قبائل الفلبي (الفلان) الذين أخذت أفواجهم منذ القرن السابع الهجري (١٣م) تفد من مواطنهم الأصلية بإقليم فوتاتورو بالسنگال الى بلاد الحوصة في شمال نيجيريا. وقد انقسم المهاجرون من الفلان إلى فريقين: فريق سكن المدن وعرف باسم «فلانسي جدا»، أي: المختلطين أو المهجنين، لاختلاطهم بقبائل الحوصة عن طريق المصاهرة<sup>(١١)</sup>، وهؤلاء كانوا أول من

(١٠) محمود كمت التنيكتي: تاريخ الفتانسن في أخبار البلدان والجيش، وأكابر الناس ص ١٧.

(11) Fage , O.G.D.: An Introduction to the History of West africa . P .35



اعتنق الإسلام في بلاد الحوصة. أما الفريق الآخر: فمن البدو الذين لم يختلطوا بقبائل الحوصة، وعرفوا باسم: «بروروجي»، أي رعاة البقر، واحتفظ هؤلاء بدينهم الوثني. وفي أواخر القرن الثاني عشر الهجري (١٨م) غدا الفلان جدا المسلمون عنصرا هاما بين سكان بلاد الحوصة، ووصل كثير منهم إلى أعلى المناصب بفضل مواهبهم واستعدادهم الذهني. (١١٢).

### عثمان بن فودي والدعوة الى الإصلاح:

وبطل قصة انتشار الدعوة السلفية في غرب افريقية هو الشيخ عثمان بن فودي (دان فوديو) (١٣). ينتسب هذا المصلح الى أسرة من الفلان انطلقت في ركاب المهاجرين منهم حتى دخلت سهول السودان الغربي وأقامت في بلاد الحوصة، وفي هذه البيئة ولد عثمان بن فودي سنة ١١٦٩هـ في قرية طفل من أعمال امارة غوبر (جوير). وقد نشأ في بيت علم وفتوى. اذ اعتنق أجداده الإسلام من زمن بعيد، واشتغل أبوه وأفراد أسرته بالعلم، وتلقى عثمان بن فودي دروسه الأولى على يد أبيه محمد، وأمّه حواء، وجدته رقية (١٤). شب عثمان بن فودي في هذه البيئة المتدينة، ودرس علوم العربية وعلوم القرآن والحديث والفقہ على أيدي علماء عصره في بلاد الحوصة، وفي اغاديس (١٥). ولعل أقوى أساتذته تأثيراً فيه هو الشيخ جبريل بن عمر. (١٦).

ولما بلغ عثمان بن فودي مبلغ الرجال، وأوتي حظاً من النضوج العقلي والفكري، هاله حال المسلمين في بلاد الحوصة، وما كانوا عليه من تخلف وانحراف عن جادة الاسلام الصحيح، وانتشار البدع والخرافات والوثنيات، ثم رحل عثمان الى الحجاز لأداء فريضة الحج، فتأثر بالدعوة السلفية التي كانت أخذة في النمو والانتشار في الوقت الذي زار فيه

(12) Boville, E.A.: The Golden Trade of the Moors, P.224.

(١٣) عرف باسم دان فوديو، أي: ابن النقية، واسمه عثمان بن محمد بن عثمان بن صالح. ومن الالقاب التي تلقب بها: نور الزمان، ومجدد الاسلام، والشيخ.

(١٤) آدم عبدالله الألوري: الاسلام في نيجيريا ص ٣٥.

(١٥) أغاديس: مدينة تقع بالقرب من طريق القوافل الممتد بين أقاليم السودان الأوسط وبلاد المغرب.

(١٦) آدم عبدالله الألوري: المرجع نفسه ص ٣٠ - ٣١.

مكة<sup>(١٧)</sup> حين دخولها في صورة الدولة السعودية الأولى - كما سبق أن ذكرنا- ولقد خالط عثمان بن فودي دعاة السلفية من أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب واستمع اليهم وتشرب مبادئ الدعوة السلفية وتحمس لها، فأيقظت في نفسه رغبة ملحّة في إصلاح أحوال المجتمع في بلاده، ومحاربة البدع والخرافات والوثنيات التي تفتشت في بلاده، حيث اختلطت تعاليم الإسلام بالعادات الوثنية، وارتد بعض المسلمين عن دينهم.<sup>(١٨)</sup> ولعل خير ما نستشهد به في هذا المقام ما ذكره الإمام محمد بللو من الشيخ عثمان بن فودي في كتابه «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور»، عن فشو الفساد والبدع والشركيات في مجتمع الحوصة، إذ يقول: «وقد وجدت في هذه البلاد (بلاد الحوصة) من أنواع الكفر والفسوق والعصيان أمور فظيعة، وأهوال شنيعة، طبقت هذه البلاد وملأتها حتى لا يكاد يوجد في هذه البلاد من صح إيمانه وتعبد الا النادر القليل، ولا يوجد في غالبهم من يعرف التوحيد، ويمحسن الوضوء، والصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر العبادات، فمنهم كفار يعبدون الأحجار والجن، ويصرحون على أنفسهم بالكفر، ولا يصلون، ولا يصومون، ولا يزكون، ويسبون الله ويقولون في حقه ما لا يليق في جنبه الأعلى. وهؤلاء غالب عامة السودان الذين يقال لهم: «ما غنداوا»، وبعض عتاة الفلاتيين والتوارك. ومنهم قوم يقرون بالتوحيد، ويصلون، ويصومون، ويزكون من غير استكمال شروط بل يأتون في ذلك كله بالرسم والعلامة، مع انهم يخلطون هذه الأعمال بأعمال الكفر الذي ورثوه عن آبائهم وأجدادهم وبعضهم من قبل نفسه .....

وغالب ملوك هذه البلاد وجنودهم وأطبائهم وعلماهم من هذا القبيل. ومنهم قوم يقرون بالتوحيد، ويصلون ويصومون، ويزكون من غير استكمال شروط كما مر، مع أنهم مقيمون على عوائد ردية وبدع شيطانية، ومنهم منهمكون في المعاصي الجاهلية متأنسون بها، جارون فيها مجرى المباحات، حتى كأنها لم يرد فيها نهى، وهى خصال كثيرة أقاموا عليها، وهؤلاء أكثر عامة الفلاتيين وبعض مسلمي السودانيين (الحوصة). إذ قد مر أن غالبهم كفار بالأصالة وبعضهم بالتخليط. ومنهم قوم عارفون بالتوحيد كما ينبغي،

(١٧) أرنولد: الدعوة الى الاسلام، ترجمة حسن ابراهيم حسن وآخرين ص ٣٦٠، ٣٦٢.

(١٨) آدم عبدالله الأثوري: المرجع نفسه ص ٣٦.

محسنون للوضوء، والغسل، والصلاة، والزكاة، والصيام بذلك كما ينبغي ، وهؤلاء النادر القليل<sup>(١٩)</sup>.

ويضيف آدم عبدالله الألورى - أحد علماء نيجيريا - الى ذلك قوله: «لما انتشرت البدع بين اللمعة ودب الفساد في نفوس المسلمين وعظموا الأشجار والأحجار ونسبوا اليها الرزق والولد والخير والشر، وتعمق الملوك في الجور والطغيان، حتى اذا مرض أحدهم ذبح عبدا أو أمة له ليفديه من الموت، تلك هى الأشياء التي أنهضت نية ابن فودى للقيام بالدعوة الى إخماد البدع الشنيعة وإحياء الشريعة»<sup>(٢٠)</sup>.

وفي سنة ١٢١٥هـ بدأ عثمان بن فودى الدعوة الى الإصلاح، كما بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب دعوته: دعوة الى الدين بالحكمة والموعظة الحسنة ، والمجادلة بالنسي هي أحسن، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ويبدو من منهجه في الإصلاح العودة بالإسلام الى ما كان عليه زمن الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته - رضي الله عنهم - فأخذ يدعو الى إحياء الشريعة الإسلامية المستمدة من القرآن والسنة وإجماع السلف الصالح - رضوان الله عليهم.

ولما زاد عدد أتباع الشيخ عثمان ومريديه، رأى أن ينتقل الى المرحلة الثانية من الدعوة، وفكر في الاتصال بأحد الملوك ليشد من أزره، فلجأ الى أقوى ملوك الحوصة - وهو وقتذاك - الملك نافتا (ملك غوبر) ، وشرح له الإسلام الصحيح وطلب اليه إحياء معالم الدين، وإقامة العدل بين الناس . فاستجاب له - أول الأمر - وأسند اليه الفتوى والإرشاد بمجلسه وديوانه<sup>(٢١)</sup> غير أن بعض مدعي العلم الحاقدين ، قاموا يعيرونه لاتصاله بالملك ويتهمونه بالرياء والسعي الى الجاه والسلطان، ووشوا به عند الملك.

(١٩) محمد بللو بن عثمان بن فودى: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، طبع دار الشعب ، القاهرة ١٣٨٣هـ

(١٩٦٤م) ص ٥٨ - ٦٠.

(٢٠) آدم عبدالله الألورى : الاسلام في نيجيريا ص ٣٥ - ٣٦.

(٢١) آدم عبدالله الألورى، نفس المصدر ص ٣٧.

ومنهم من أنكر عليه بعض أقواله وأفعاله،<sup>(٢٢)</sup> فوقعت بينه وبين الملك جفوة سافر بسببها الشيخ إلى بلاد زمفرة وكبي، حيث قضى خمس سنوات داعياً إلى الإسلام، فاعتنقه على يديه عدد من الوثنيين، كما تاب على يديه عدد من المرتدين.

وهنا نترك القلم للإمام محمد بللو بن الشيخ عثمان بن فودي، ليلقى المزيد من الضوء على ما قام به والده المصلح الكبير من جهود لنشر الدعوة في مجتمع الحوصة، وما لقي في سبيلها من عدااء الملوك ووقوفهم في وجه الدعوة فيقول: «...ثم انه لما برز هكذا، وكثر اتباعه من العلماء والعوام، وتراسل الخلق الى الاقتداء به، وكفاه الله من ناوأه من علماء وقته، حتى نشر أعلام الدين، وأحيا السنة الغراء، فتمكنت في البلد أى تمكين، نصب أهل الدنيا له العداوة من أمراء هذه البلاد،..... وإنما غاظهم ما يرون من ظهور الدين وقيام ما درس من معالم اليقين، وذهاب بقاء ما هم فيه من الضلال والباطل والتخمين، مع أن سلطنتهم.. مؤسسة على قواعد مخالفة للشريعة... فلما أوضح الشيخ الطريق، واهتدى اليه أهل التوفيق.... وبقي أهل الدنيا من علماء السوء والملوك في طغيانهم يعمهون.... فجعل اولئك الملوك والعلماء يؤذون الجماعة (أتباعه)، ويعترضون كل من ينتسب الى الشيخ،... ولم يزل كل من تولى من ملوك بلادنا مجتهدا في إطفاء ذلك النور ويكيد بالشيخ وجماعته، ويمكر بهم ويحتال في استئصالهم. وأما الأحكام فهم متجمدون على ما وجدوا آباءهم الأسلاف... وغالب أحكامهم مصادم للكتاب والسنة وإجماع الأمة، كما هو معلوم مشهور، مع أنهم مفترون بأقوال وأفعال لا تصدر الا من كافر... ولم يرعنا الا إنذار أمير غوبر نافتا بثلاثة أمور: أنه لم يرض لأحد أن يعظ الناس الا الشيخ وحده، ولم يرض لأحد بالإسلام الا وارثه من آبائه، ومن لم يرث الاسلام فليعد الى ما وجد عليه آباءه وأجداده، وألا يتعمم أحد بعد اليوم، ولا تضرب امرأة بخارها على جيبها. وهذا إنذاره في الأسواق، كل ذلك سعى منه في مكيدتنا...»<sup>(٢٣)</sup>.

لقد اعتنق الإسلام على يدي الشيخ عدد كبير من الوثنيين، وزاد الناس له أتباعا،

(٢٢) المصدر السابق.

(٢٣) محمد بللو: انفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور ص ٩٥ - ٩٧.

ورأى الملوك فيه خطرا ملحا ينتقص من سيادتهم ، ويحد من نزواتهم، ويؤلب عليهم رعيتهم. (٢٤).

ولما توفي الأمير ناقتا، خلفه ابنه الأمير يونفا في حكم إمارة غوبر؛ وعلى الرغم من أنه كان تلميذا للشيخ عثمان، فقد كان لا يقل عن أبيه انتصارا للوثنية. ورأى الأمير يونفا في ازدياد قوة الشيخ وكثرة أنصاره خطرا يهدد عرشه، فدبر مؤامرة لاغتياله، وأدى فشل الأمير في التخلص من الشيخ الى ازدياد عدد أنصاره وتلاميذه.

لقد أدرك الشيخ أنه لم يستطع أن يحقق هدفه بالفوز بمعاونة أمير من أمراء الحوصة، ومساندة القوة السياسية للدعوة : بل تعرضت دعوته للخطر بإصدار القرارات المساندة للوثنية من ناحية، ومحاوله القضاء عليه وعلى دعوته من ناحية أخرى.

وفي شتاء سنة ١٢١٨هـ (١٨٠٣م) خرج الشيخ صحبة فريق من أتباعه المخلصين مهاجرين الى بلدة جودو على أطراف الصحراء. ونادى الشيخ في أنصاره معلنا الهجرة من دار الكفر الى دار الهجرة. غير أن أمراء الحوصة قابلوا عمل الشيخ وأنصاره بتعقبهم أينما ذهبوا، وقطع الطرق الموصلة اليهم، ونهب أموالهم والتهيو لحربهم. فلم يجد الشيخ بدا من إعلان الجهاد . واستجابت له عشائر الفلان من البلدين والرعاة ، وقدموا الى مهجره للانضمام الى جيشه، وتأييد دعوته، وبايعوه على الجهاد أو الموت، وطاعة الله ورسوله، كما بايعوه بإمرة المؤمنين (ساركيني مسلمي). (٢٥).

تزعّم أمير غوبر المعارضين له، وسار لحربه ، وجاء اعلان الجهاد رسميا سنة ١٢١٩هـ (١٨٠٤م) بداية دور جديد في الحركة الإصلاحية ، هو دور الفتح والجهاد. فعقد الشيخ اللواء لأربعة عشر من أصحابه، وأحرزوا نصرا على أمير غوبر وحلفائه من الطوارق. وأثارت هزيمتهم الهلع والخوف في بلاد الحوصة، واستولى المجاهدون على إمارة زاريا سنة

(٢٤) حسن أحمد محمود: دور العرب في نشر الحضارة في غرب افريقية، المجلة التاريخية المصرية العدد ١٤، ١٩٦٨، ص ٩٤.

(25) Boville, E.A.: oP. cit. P. 225.

١٢١٩هـ (١٨٠٤م)، وإمارتي كانو وكتسنا سنة ١٢٢٠هـ (١٨٠٥م)، كما وقعت في أيديهم عاصمة إمارة غوبر سنة ١٢٢٣هـ (١٨٠٨م).

لقد كانت الحماسة الدينية تدفع أولئك المجاهدين الى طلب الشهادة، فتمكنوا في سنة ١٢٢٥هـ (١٨١٠م) من إخضاع إمارات الحوصة جميعها لنفوذهم.

رأى الشيخ عثمان بن فودي أن تشمل حركته الإصلاحية بلاد برنو (السودان الأوسط) لموالاة سلطانها للوثنيين ومساعدتهم ضد المجاهدين من أنصار الشيخ، فاستولوا على كثير من أقاليم برنو لمتاخمتها لبلادهم من جهة الشرق.

وهكذا تمت آخر مرحلة من مراحل الجهاد ، فتأسست دولة اسلامية شملت جميع إمارات الحوصة القديمة . ورأى الشيخ عثمان أن يترك شئون الحكم والإدارة لابنه محمد بللو، وأخيه الوزير عبدالله بن فودي، فقسم البلاد بينهما، وجعل ابنه محمدا على القسم الشرقي وعاصمته سكت (سكوتو)، وجعل أخاه عبدالله على القسم الغربي من الدولة، وعاصمته جواندو في اقليم كبي، أما الشيخ عثمان فانه أثر التفرغ للدراسة ونشر الاسلام وتفقيه الناس في الدين متخذا سكت مقرا له. ولما توفي الشيخ عثمان سنة ١٢٣٣هـ (١٨١٧م)، بويع ابنه محمد بللو أميرا للمؤمنين. وظلت الإدارة مزوجة في عهده: القسم الشرقي: تابع لإدارة سكت، والقسم الغربي تابع لعبدالله في عاصمته جواندو.

اختلف الباحثون في تقدير حركة الجهاد التي تزعمها عثمان بن فودي. فيرى البعض منهم : «ان الفلان اتخذوا الدين وسيلة لنيل عرض الدنيا، واستغلوه للتنكيل بأمرء الحوصة الذي كانوا يضطهدونهم وينكرون عليهم حقوقهم» ويزعمون: «أن الجهاد حركة قومية لقبائل الفلان - مسلمين ووثنيين - موجهة ضد قبائل الحوصة وكبيرهم الأمير يونفا أمير غوبر الذي كان قرر القضاء عليهم، وبعد انتهاء الجهاد عاد الفلان والوثنيون الى حياة المراعي، على حين أن العلماء وزعماء الفلان - وعلى رأسهم الشيخ عثمان بن فودي - استغلوا الدين لطرد الحكام القدامى. واقتسام مناصبهم»<sup>(٢٦)</sup>.

(26) Hogbon, S. G.: Th Mohamedan Emirates of Nigeria P .110 .

غير أن هذا القول لا يتفق وما نعلمه عن طبيعة الجهاد وأهدافه. ذلك أنه كان محاولة صادقة للإصلاح وجهادا ضد الطغاة المستبدين، مهما كان جنسهم، بدليل أن الجهاد ضم بين الحوصة والفلان، وباستثناء القادة وأصحاب الألوية، فقد كان عدد المجاهدين من الحوصة لا يقل عن عدد المجاهدين من الفلان.<sup>(٢٧)</sup> وكان أحد أصحاب الألوية الأربعة عشر على الأقل من الحوصة<sup>(٢٨)</sup>. ثم إن جميع الفلان في بلاد الحوصة لم يشتركوا في الجهاد مع الشيخ عثمان بن فودي، إذ حارب بعضهم في صفوف أمراء الحوصة، على حين وقف البعض الآخر موقفا محايدا. والكثيرون من سكان البلاد الذين رأوا في الجهاد إعلاء لشأن الدين، انضموا لحركة الجهاد ضد بني جلدتهم، سواء أكانوا من الفلان أم من الحوصة.<sup>(٢٩)</sup>

لم تكن حركة الجهاد التي تزعمها الشيخ عثمان بن فودي موجهة ضد الوثنيين (الكفار) فحسب، ولكن ضد المرتدين والمستهترين من المسلمين الذين يخلطون أعمال الإسلام بأعمال الكفر.

ولقد واجهت حركة الإصلاح بزعامة الشيخ عثمان بن فودي مقاومة عنيفة من جانب أمراء الحوصة - كما رأينا - كما تعرضت لنقد بعض معاصريه من العلماء والفقهاء، وعلى رأسهم الشيخ محمد الأمين الكانمي من برنو، والمعروف أن الشيخ الكانمي من أبرز علماء عصره، وشخصية إسلامية فذة، ولكنه اتهم الشيخ عثمان باستغلال الدين لنيل عرض الدنيا. وإذا كان الشيخ الكانمي قد سلم بوجهة نظر الجماعة الإسلامية من أنصار الشيخ عثمان، وضيقتهم بخصوصهم، فإنه لم يجد - في رأيه - في هذا الضيق ما يبرر قتالهم، على حين أن الشيخ عثمان اتهم الكانمي ومن لف لفه من العلماء والفقهاء بالنفاق لتحيزهم لملوك الحوصة ضد جماعة المسلمين.

ولقد أوضح محمد بللو - بتكليف من والده الشيخ عثمان بن فودي - في رسالة بعث

(27) Smith, M.G.: The Jihad, P. 409.

(28) Ibid .

(29) Allan Burns: History of Nigeria, P. 46.

بها الى الشيخ أمين الكانمي للرد على تشنيعاته ضد جماعة المسلمين من أنصاره، فيقول :  
«... وأما ادعاؤك أن هذا الأمر والنهي أدانا الى ما يضر بديننا ، وهو الخروج على الامام  
بعد البيعة ، وقد ثبت عند كل حرمة، وإن طرأ عليه فسق ، فإن كلامك هذا يتناول ملوك  
بلادنا هذه فلا عبرة به، كما ثبت عندنا من كفرهم بجهل الأصول ، والذبح للأحجار  
والأشجار وإنكار البعث والنشور. هذا ما نعرفه في بلادنا هذه ، وأما في بلادكم (برنو) .  
فليس لنا علم بأحوال أئمتها وسلطينها إلا أنه إذا كان فيها قيام أميركم على إذابة  
المجاورين لكم من الفلانيين الذين لهم الاقتداء بالشيخ (عثمان) حتى أجمأتموهم الى  
الهجرة تعصبا لملوك حوس (الحوصة) ونصرة لهم، ومعلوم أن الكافرين بعضهم أولياء  
بعض - كما أن المؤمنين كذلك - علمنا بالضرورة أنه حينئذ راض بدينهم ، حين قام  
يواليهم دون المؤمنين ويظاهروهم عليهم، ولا جرم أن الرضا بالكفر كفر...»<sup>(٣٠)</sup>.

كما أوضح الشيخ عثمان بن فودي منهجه في الجهاد في وثيقة أذاعها على جماعة  
المسلمين في بلاد السودان. وقد شرح فيها طاعة الجماعة لأمر المؤمنين ونوابه، وقواعد  
وجوب الهجرة على المسلمين والتفريق بين دار الاسلام ودار الحرب، والتعريف بالكفار  
ومن يجب على المسلمين قتالهم<sup>(٣١)</sup>.

وفما يلي بعض ما ورد في «وثيقة أهل السودان ومن شاء الله من الإخوان».

(٣٠) محمد بللو: اتفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور، ص ١٦٤ - ١٦٥.

(٣١) نشرت هذه الوثيقة مصورة بالزنكوغراف وممها ترجمة انجليزية في:

Bivar, A.D.D.H.: The Wathigat AhlAl -Sudan A Manifests of the Fulani Jihad. Journal of African  
History, Vol. 11, no 2 , 1961. PP. 233 - 236.



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

«فاعلموا يا إخواني أن الأمر بالمعروف واجب إجماعا، وأن النهي عن المنكر واجب إجماعا، وأن الهجرة من بلاد الكفار واجبة إجماعا، وأن موالاتة المؤمنين واجبة إجماعا، وأن تأمير أمير المؤمنين واجب إجماعا، وأن طاعته وجميع نوابه واجبة إجماعا، وإن الجهاد واجب إجماعا، وأن تأمير الأمراء في البلدان واجب إجماعا، وأن تأمير القضاة واجب إجماعا، وأن تنفيذهم أحكام الشرع واجب إجماعا، وأن حكم البلد حكم سلطانة إجماعا، إن كان مسلما كان البلد بلد إسلام، وأن كان كافرا كان البلد بلد كفر، وجبت الهجرة منه، وأن قتال الملك الكافر الذي لا يقول: «لا إله إلا الله» أصلا واجب إجماعا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعا، وأن قتال الملك الكافر، الذي لا يقول «لا إله إلا الله» أصلا واجب إجماعا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعا، وأن قتال الملك الكافر، الذي لا يقول «لا إله إلا الله» بسبب عرف البلد، ولم يكن يدع (كذا) الإسلام واجب إجماعا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعا، وإن قتل الملك المرتد الذي لم يخرج عن دين الإسلام لكونه يدعي الإسلام ويخلط أعمال الإسلام بأعمال الكفر كمملوك حوس (الحوصة) غالبا واجب به إجماعا، وأن أخذ السلطنة منه واجب إجماعا، وأن قتال المهملين من المسلمين الذين لم يكونوا تحت بيعة أمير من أمراء المؤمنين واجب إجماعا إذا دعوا الى البيعة وأبوا حتى يدخلوا في البيعة... وأن قتال جماعة المرتدين واجب إجماعا، وأن أموالهم فيبيء، وأن في استرقاقهم قولين: المشهور المنع، ولا يعصى من فعله إن قلد من يقول بجوازه...».

لقد ترك ظهور هذه الحركة الإصلاحية أثارا عميقة في أقاليم الحوصة، وفضلا عن نجاحها في ميدان الجهاد وتوحيد جميع إمارات الحوصة المتنازعة وتأسيس دولة اسلامية على أنقاضها، فقد نجحت كذلك في مجال الجهود السلمية في نشر الإسلام بين القبائل الوثنية. فقد انتشر الدعاة من تلاميذ الشيخ عثمان بن فودي في بلاد بوربا، ونجحوا في

اجتذاب قبائلها الى الاسلام ، وتم على أيديهم تأسيس إمارة الوردن الاسلامية وخضوعها  
لأمير المؤمنين في سكت (٣٢).

### علاقة حركة عثمان بن فودي الإصلاحية بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب:

بعد هذا العرض الهادئ لمراحل حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب  
افريقيا أوائل القرن الثالث عشر للهجرة، ودراسة أهم المبادئ والأسس التي اعتمدت  
عليها هذه الحركة الإصلاحية ، يبدو مدى التقارب بينها وبين الدعوة السلفية التي  
نهض بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية في النصف الثاني من القرن  
الثاني عشر للهجرة.

والدعوة السلفية إن لم تكن تركت أثارا مباشرة على هذه الحركة وغيرها من الحركات  
الإصلاحية التي ظهرت بعدها ، فالواقع أنها قد مهدت لها وقوت من عزائم القائمين بها،  
اذ كانت بحق دعوة رائدة ، وجد فيها بعض أصحاب العزائم من المصلحين قدوة طيبة  
يقتدون بها، وأثرا صالحا ينهجون نهجه في جميع مراحل حركاتهم الإصلاحية ، كما كان  
للتقارب الزمني بين الدعوة السلفية وبين حركة عثمان بن فودي الإصلاحية بصفة  
خاصة، فضلا عن وجود بعض أوجه التشابه بين ظروف كل من الإقليمين - الجزيرة  
العربية وغرب افريقيا - من حيث تدهور النواحي الدينية والسياسية والاجتماعية قبل  
ظهور الحركتين، ووحدة الشعور بالحاجة الى الإصلاح، كان لهذا كله أكبر الأثر في  
التعجيل بميلاد حركة الشيخ عثمان بن فودي الإصلاحية . فقد كان نجاح الدعوة السلفية  
في تحقيق أهدافها من الحوافز التي شجعت ابن فودي وغيره من بعض زعماء الإصلاح  
على الأخذ - من قريب أو بعيد - بالمنهج الذي اتبعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب في  
دعوته.

وتكاد تجمع بعض المصادر على أن الشيخ عثمان بن فودي قد حج الى بيت الله  
الحرام، والتقى ببعض رجال الدعوة السلفية حين خضوع الحجاز للدولة السعودية الأولى

(٣٢) آدم عبدالله الألوذي: الاسلام في نيجيريا ص ٤٦ - ٥٢.

خلال الربع الأول من القرن الثالث عشر الهجري، وتشربه مبادئ الدعوة السلفية - على ما سبقت الإشارة إليه - ولو أن البعض ينكر ذهاب الشيخ عثمان بن فودي الى مكة أصلاً ، على حين يعترف أولئك المنكرون بأن أستاذ الشيخ عثمان بن فودي، وهو الشيخ جبريل بن عمر قد أدى فريضة الحج مرتين ، والتقى ببعض رجال الدعوة السلفية وتأثر بمبادئها.<sup>(٣٣)</sup> وسواء صح خبر أداء الشيخ عثمان بن فودي فريضة الحج أم لم يصح، فالواضح أنه تلقى الدعوة السلفية سواء بالمباشرة من منبعها الأصلي على أيدي دعائها في الحجاز ، أم بالواسطة على يد أستاذه جبريل بن عمر، ومما يقوى هذا الدليل التشابه الواضح بين ملامح الدعوة السلفية وحركة عثمان بن فودي الإصلاحية التي لم تشبها شوائب صوفية ، فكلا الدعوتين تلتقيان قي :

أولاً : تحقيق التوحيد، وتطهير العقيدة مما شابها من أدران الشرك كالاتقاد في قدسية بعض الأرواح أو الأشجار أو الكهوف أو الآبار ، وتقديم القرابين الى الجن لإبعاد أذاه، وزيارة قبور الأولياء والصالحين بقصد نيل شفاعتهم.

ثانياً : الدعوة الى الرجوع الى الكتاب والسنة ، وأثار السلف الصالح، ومحاربة البدع<sup>(٣٤)</sup>. وللشيخ عثمان بن فودي في هذا المجال أعمال كثيرة توضحها دعوته في دروسه وفي كتبه ومؤلفاته، وله في ذلك: كتاب «إحياء السنة».

ثالثاً : اتخاذ الجهاد في سبيل الله وسيلة لنشر الدعوة الاسلامية بين الوثنيين الذين يصدون عن سبيل الله، والمرتدين عن الاسلام، ومن حاد اسلامهم عن الطريق الصحيح، ويخلطون أعمال الإسلام بأعمال الكفر ويوالون الكفار دون جماعة المسلمين.<sup>(٣٥)</sup>

(33) Boville, E.A. The Golden Trade of the Moors.

Page .D.G.D. op. c.t.

(٣٤) راجع ما سبق هنا، وانظر محمد بللو، نفس المصدر ص ٥٨ - ٦٠، آدم عبدالله الأتوري، نفس المرجع، ص ٣٥ - ٣٦.

(٣٥) انظر: وثيقة أهل السودان فيما سبق هنا، ص ١٨ ومحمد بللو، نفس المصدر ص ١٦٤ - ١٦٥.

وقد أدت حركة الجهاد هذه الى القضاء على الإمارات المتنازعة واتحادها في ظل دولة اسلامية واحدة تطبق الاسلام عقيدة وشريعة ونظام حياة وتقيم شعائر الاسلام ، مما يذكر بالجهاد المسلح الذي نهض به الأئمة السعوديون في سبيل نشر الدعوة السلفية ، فأقاموا الدولة السعودية الأولى التي استطاعت أن توحد معظم أقاليم الجزيرة العربية في ظل حكومة واحدة ، تطبق مبادئ دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب . وقد ظلت هذه المبادئ متأصلة في نفوس أتباعها حتى الدولة السعودية الحالية التي أمكن لمؤسسها المرحوم الملك عبدالعزيز استعادة ملك آباءه وأجداده، وتأسيس المملكة العربية السعودية القائمة على أساس ديني سلفي؛ ومن ثم كان نجاح الدعوة السلفية في إقامة دولة اسلامية مستقلة من أكبر الدوافع لقيام دول اسلامية متأثرة بالدعوة السلفية التي أصبحت أساسا لبناء كيانها الديني والسياسي والحضاري، ومن أبرزها دولة (سكت الاسلامية) في غرب افريقيا.

رابعا: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أصل من أصول الاسلام ورد الحث عليه في الكتاب والسنة، وكما قامت الدعوة السلفية بتحقيق هذا الهدف الاسلامي بتطبيق أحكام الاسلام وإقامة حدوده، وتعيين قضاة للفصل في الخصومات بين الناس، وإحياء نظام الحسبة، وتنظيم بيت مال المسلمين، نرى أن الدولة الاسلامية التي أقامها الشيخ عثمان بن فودي في غرب افريقيا تضع - أيضا - النظام الاسلامي للإدارة بإحياء نظام البيعة، وتعيين العمال لحكم الأقاليم، وإحياء نظام الوزارة والحسبة والقضاء الإسلامي.

خامسا: وكما كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب سببا في إيقاظ الحياة الفكرية بعد جمودها فترة طويلة من الزمن، وإثارة الجدل بين أنصار الدعوة وخصومها واجتهادهم في البحث والتحصيل العلمي، مما أدى الى قيام يقظة اسلامية ، ونشاط علمي ظهرت آثاره فيما خلف الشيخ الامام من تراث إسلامي ضخم يتمثل في رسائله وبحوثه ومؤلفاته العديدة في مختلف العلوم الاسلامية، وذلك فضلا عما قام به أبناؤه وتلاميذه من انتاج علمي لا يزال يشرى المكتبة العربية الاسلامية بالعديد من المؤلفات . كذلك أشعلت حركة الاصلاح التي قادها الشيخ عثمان بن فودي في غرب افريقيا يقظة فكرية هائلة،

وكما لقيت الحركة الاصلاحية معاونة وتعضيدا، فقد واجهت كذلك معارضة شديدة في الداخل والخارج مما أثار الجدل حولها وأدى الى قيام نهضة فكرية تجلت آثارها فيما خلفته من تراث عربى إسلامي يتمثل في عدد ضخم من المؤلفات في شتى العلوم الإسلامية بأقلام بعض زعمائها وقادتها وتلاميذهم في شكل كتب أو رسائل ، وجميعها مكتوبة باللغة العربية، وعلى الرغم من أن الجانب الأكبر من هذا التراث الاسلامى الضخم لا يزال مبعثرا وحبيس كثير من مكتبات نيجيريا والغرب الأوربي، ينتظر جهودا مخصصة للدراسة والبحث، فمما لا شك فيه أن هذا التراث الإسلامى قد أدي دورا هاما في دعم الحركة الإسلامية واتساع رقعة الإسلام في هذا الجزء من افريقيا خلال القرن الثالث عشر وصدور القرن الرابع عشر للهجرة.

دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب  
وأصداؤها في فكر محمد إقبال

للدكتور محمد السعيد جمال الدين

الأستاذ المشارك بجامعة عين شمس بالقاهرة

وكلية العلوم العربية والاجتماعية بالقصيم

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

يحظى الشاعر والمفكر الإسلامي محمد إقبال<sup>(١)</sup> بشهرة واسعة وتقدير كبير في مختلف أرجاء العالم الإسلامي ، ولا غرو فقد صرف إقبال كل همه في إزالة الأوهام التي علقَت بالفكرة الإسلامية ، ونذر حياته كلها في سبيل إحياء روح الإسلام وإصلاح مسار الأمة الإسلامية على طريقها نحو الله سبحانه وتعالى..

وكان إقبال قد رأى أن معظم المفاصد التي تواترت على وجدان الفرد المسلم فأبعدهت عن روح الإسلام وعن منهج الإسلام - إنما تواترت عليه من طريق الشعر، فقد اتخذ الصوفية الشعر وسيلة لبث أفكارهم وأرائهم الهدامة في النفس المسلمة، فتدفق ينبوع الشعر الصوفي في انسياب حاملا معه - الى نفوس المسلمين - أفكار وحدة الوجود والاستسلام ونكران الذات، الأمر الذي أدى بهؤلاء الذين ورثوا حضارة متألفة على الدوام لا يعترىها القدم أبدا - أدى بهم الى التواكل وسقوط الهمم وازدراء العمل والقعود عن تسخير الكون. ولقد تناول العمر على الأمة الإسلامية وهي على هذا الحال فتخلقت عن المهمة التي وكلها الله اليها ، وهي الأخذ بزمام العالم كله نحو الرقي والتقدم

(١) ولد في البنجاب سنة ١٨٧٧م، وتلقى منذ صغره تربية اسلامية، وان كان قد التحق بمدارس وكليات تسير على النهج التعليمي الغربي، وحصل على ليسانس الآداب من «كلية الحكومة» في لاهور، ثم انتقل الى لندن سنة ١٩٠٥ ودرس بجامعة لندن نحو ثلاث سنوات، وفي سنة ١٩٠٧ حصل على الدكتوراه في الفلسفة من ألمانيا، وعاد الى الهند في سنة ١٩٠٨ حيث بدأ يؤسس دعوته الإصلاحية التي استمد عصارتها من الاسلام واستخدم في نشرها كلا من الشعر والنثر فنظم العديد من الدواوين باللغتين الفارسية والأردية، كما نشر كتابين باللغة الانجليزية أحدهما كتاب «تجديد التفكير الديني في الاسلام». وقد انخرط إقبال في خضم الحياة السياسية في الهند للدفاع عن الاسلام والمسلمين في شبه القارة وانضم الى «الرابطة الاسلامية» وكان هو صاحب فكرة انشاء وطن مستقل للمسلمين في شبه القارة الهندية، وهو الوطن الذي تحقق انشاؤه بعد وفاة إقبال. وبعد حياة حافلة بالعمل والفكر والإبداع والجهاد صعدت روحه الى بارئها في ٢١ ابريل ١٩٣٨م.



الروحى والمادى، وأوقع الحظ العائر هذا الزمام بيد أناس ليسوا مؤهلين روحيا لتلك المهمة السامية. فاضطربت أحوال العالم كله، اذ حققت البشرية تقدما هائلا في النواحي المادية ولكنها انهزمت هزيمة منكرة في الناحية الروحية، فتفتشت المادية وأخلد الإنسان الى الأرض واتبع هواه.

كان المأمول أن يهبّ المسلم من نومه ويتقلّد الدور الذى هو مؤهل له فيعيد الأمور إلى نصابها، ويصحح وجهة الإنسان ويدفع بالانسانية نحو الطريق الصحيح... ولكن هيهات، كان الخمول قد ران على العالم الاسلامى، وكان معظم المسلمين بحاجة الى من يصحح وجهتهم هم، وفاقد الشيء لا يعطيه كما يقولون، ولم يكن ثمة سبيل الى اصلاح حال المسلمين إلا بإصلاح أنفسهم أولا عملا بقوله تعالى:

«إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بَقِيَ حَتَّىٰ يَغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (الرعد : آية ١١)

ولقد رأى إقبال أن تغيير النفس وتنويرها بحقائق الإسلام وتبديد الظلمات من جوانبها إنما يتم بسلوك نفس السبيل التى سلكها الصوفية من قبل فى تزيين أفكارهم للنفس المسلمة وحمل هذه الأفكار اليها على أجنحة الشعر، تلك الأداة السحرية الخلابة التى تفعل الأعاجيب بالإنسان من حيث كونها اللغة التى يفهمها الوجدان ويتأثر بها أيما تأثير. فاستخدام الشعر فى مخاطبة هذه النفس كان من شأنه فى رأى إقبال أن يفك العقدة بنفس الطريقة التى انعقدت بها من قبل..

لقد حاول عدد من كبار المصلحين والمجددين السابقين تحرير إرادة النفس المسلمة ونفى ما اعتراها من أوهام، واستخدموا فنون المنطق وأساليب الإقناع فى هذا السبيل. وكان من بينهم شيخ الإسلام ابن تيمية.. يقول إقبال فى مقدمته الثرية لمنظومة «أسرار خودى» أى أسرار الذات الإنسانية، التى نشرها سنة ١٩١٥م:

«خاطب فلاسفة الهند العقل فى إثبات وحدة الوجود. وخاطب شعراء إيران القلب فكانوا أشد خطرا وأكثر تأثيرا، حتى أشاعوا بدقائقهم الشعرية هذه المسألة بين العامة

فسلبوا الأمة الإسلامية الرغبة في العمل ، ولعل شيخ الإسلام ابن تيمية من علماء المسلمين وواحد محمود من فلاسفتهم، أول من رفعوا الصوت باستنكار هذه النزعة، ولكن مصنفات واحد محمود لا تُلَفَى اليوم، ولا ريب أن منطلق ابن تيمية القوى أثر أثره ولكن جفاف المنطق لا يقوى على مقاومة نُضرة الشَّعر وفتنته<sup>(٢)</sup>.

ومن حسن إقبال وسعادة جنّه، بل ومن حسن حظ من خصهم بدعوته الإصلاحية من المسلمين في شبه القارة الهندية وأفغانستان وإيران وآسيا الوسطى أن إقبال كان شاعرا، وأنه كان قد برع في نظم الشعر منذ شبابه. وعندما أكتملت ملامح دعوته - وهى التى استمدت عصارتها من القرآن الكريم ومن السنة الشريفة ومن أقوال السلف واجتهادات الصالحين ورياضات الزهاد، عندما أكتملت ملامح الدعوة لديه خرج على الناس بأول دواوينه «اسرار الذات الإنسانية» سنة ١٩١٥م، فأحدثت ضجة كبرى في سائر الأوساط، ثم توالى منظوماته ودواوينه حتى بلغت أحد عشر ديوانا نظمها باللغتين الفارسية والأردية اللتين يعرفهما ويتكلم بهما عشرات الملايين من المسلمين في آسيا على اختلاف ثقافتهم وطبقاتهم..

وقد استطاع إقبال أن يحقق بالفعل ذلك التغيير الذى كان يصبو الى تحقيقه في نفوس بنى وطنه وغيرهم. فحدث ذلك التبدل والتغير المنشود، وأصبح المسلمون في شبه القارة الهندية، وقبل استقلال الهند ، قوة يحسب لها حسابها ويخشى بأسها.

وسلّمت الطوائف غير الإسلامية في الهند بمطالب المسلمين، وكان أولها ذلك المطلب الأساسى الذى أعلنه إقبال نفسه في سنة ١٩٣٠، حينما دعا إلى إقامة وطن خاص للمسلمين في شبه القارة الهندية، وهو الوطن الذى يعتز به كل مسلم، والذى أنشئ بعد وفاة إقبال وعقب تقسيم الهند سنة ١٩٤٧ باسم باكستان.

(2) Iqbal, M.: Secrets of the self, Translated by R.A.Nicholson Lahore 1950, Introduction,

وانظر ايضا : عبدالوهاب عزام: محمد اقبال. سيرته وفلسفته وشعره، طبع مصر ١٣٧٣هـ ، ص ٥٢.

تجاوب شرق العالم الاسلامي مع صحيحة إقبال. وعندما عرف العرب إقبالا أكبروا فيه روجه وحماسته للاسلام وتأثروا كل التأثير بشعره القوى الأخاذ الذي يحرك الشعور ويهز الوجدان<sup>(٣)</sup>.

ووثق به وبآرائه من بعده المثقفون من المسلمين، بل ومن المستشرقين الذين اعتمدوا على كتبه ودواوينه في فهمهم لبعض الظواهر في تاريخ الاسلام وحضارته.<sup>(٤)</sup>

وما زال إقبال يحظى الى يومنا هذا بتقدير كبير في مختلف الأوساط الاسلامية وفي سائر أرجاء العالم الاسلامي بعد أن ترجمت الى اللغة العربية معظم دواوينه، كما ترجم كتابه الهام «تجديد التفكير الديني في الإسلام»، وأصبحت أفكاره وآراؤه الأساسية واضحة أمام أنظار العرب.

يتعين علينا الآن أن نطرح سؤالاً ثم نحاول الاجابة عليه: هل تأثر إقبال بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب؟ وما مظاهر هذا التأثير؟ وقبل الاجابة على هذا التساؤل ينبغي أن نعرض لمصادر إقبال<sup>(٥)</sup> في التعرف على هذه الدعوة، ثم نتناول بعد ذلك الملامح التي نعتقد أن فيها قدراً من التأثير بالدعوة.

لاشك أن إقبالا كان معجباً - الى حد بعيد - بشخصية الشيخ وجهوده الذاتية التي لم تعرف الكلل في سبيل إصلاح الدين وتطهيره من شوائب البدع والخرافات والوثنيات التي دخلت عليه. وقد عبر إقبال عن إعجابه بالشيخ وبدعوته عندما وصفه بقوله: «المصلح المتطهر العظيم محمد بن عبد الوهاب»..

(٣) انظر في ذلك ما كتبه المرحوم الدكتور عبد الوهاب عزام في مقدمة كتابه: محمد اقبال ص ٦٠٥ وكذا ما كتبه الاستاذ على الطنطاوي في مجلة «المسلمون» السورية، والاستاذ ابوالحسن الندوي في كتاب روائع اقبال، طبع دمشق ١٩٦٠م ص ٩ - ١٠، ونجيب الكيلاني في كتابه محمد اقبال، طبع مصر ١٩٥٩م، وكتاب هذا المقال في كتابه رسالة الخلود لمحمد اقبال (دراسة تحليلية نقدية)، طبع مصر ١٩٧٤م.

(٤) منهم على سبيل المثال المستشرق البريطاني رينولد ألن نيكلسون في كتابه: فكرة الشخصية في التصوف ترجمة الدكتور أبو العلا عفيفي ضمن كتاب «في التصوف الاسلامي وتاريخه» طبع مصر ١٩٥٦م.

(٥) أو ما نعتقد أنه استعان به في التعرف على دعوة الشيخ.

لقد جاء هذا الوصف في كتابه «تجديد التفكير الدينى فى الاسلام» ، وكان هذا الكتاب فى أصله عبارة عن مجموعة محاضرات ألقاها محمد إقبال باللغة الانجليزية فى ربوع الهند، فى كلكتا ومدراس وعلیگیره، ثم جمعها فى كتاب ونشرها بهذا العنوان فى سنة ١٩٢٨م، فعد إقبال بذلك من بين من قدروا دعوة الشيخ قدرها وأعطوها حقها.

كانت هذه الدعوة قد لقيت فى الهند حربا ضروسا لا هوادة فيها، حتى أن كل من رفع يديه فى الصلاة أو جهر بآمين كان معرضا لأشد أنواع الأذى لأنه «وهاى» وكان مصير من يتهم من مسلمى الهند بأنه وهاى أن ینفى ویشرذ ویقتل<sup>(٦)</sup>. ولكن برغم ذلك نهض جماعة من العلماء یبصرون الناس بحقیقة هذه الدعوة ویدعونهم الى التوحید الحق والى نبذ البدع والضلال. وقد سبق هؤلاء العلماء إقبالا فى هذا السبیل فألفوا الكتب ودونوا الرسائل والمقالات للدفاع عن الدعوة والتبصیر بها، وكان فى مقدمتهم «النواب صدیق حسن خان» (المتوفى سنة ١٣٠٧هـ)، والسید نذیر حسین الدهلوی (المتوفى سنة ١٣٢٠هـ). وكان النواب صدیق حسن قد نشر کتابین أحدهما بالفارسیة والآخر بالأردیة عن حقیقة دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وقبل أن ینشر إقبال کتابه «تجديد التفكير الدينى» بیضع سنین، (ذلك الكتاب الذى أشاد فيه بالشيخ وبدعوته) كتب اثنان من كبار علماء المسلمين فى الهند، ممن كانوا على صلة وثيقة بإقبال، موادا فى التعریف بالشيخ وبدعوته، وبأحوال آل سعود، ونعنى بهما (السید سلیمان الندوی) الذى نشر عن هذا الموضوع مقالا ممتازا فى مجلة «معارف» الأردیة الواسعة الانتشار سنة ١٩٢٤م، والحافظ أسلم جیراجورى الذى نشر کتابا يتسم بالاختصار والوضوح بعنوان «تاریخ نجد»<sup>(٧)</sup>.

ولا ریب إن إقبالا قد قرأ هذه الكتب التى كتبت كلها بلغته الوطنیة، وألفها علماء

(٦) انظر تعليقات عبدالعظیم البستوى على كتاب محمد بن عبدالوهاب لمسعود الندوی طبع مكة المكرمة ، سنة ١٣٩٧هـ هامش ص ٢١١.

(٧) انظر التحلیل القيم لمصادر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فى كتاب: محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم مفترى علیه، لمسعود الندوی، طبع مكة المكرمة ١٣٩٧ ص ٢٢٧ وما بعدها.

كان بعضهم على صلة وطيدة به، فتأثر بها، وبدأ هذا التأثير واضحاً في كتاباته وأشعاره.

ولم يكن علماء المسلمين في الهند وحدهم هم الذين لفتوا إقبالاً إلى حقيقة «حركة الإصلاح الديني العربي التي قامت على يد المصلح والمتطهر العظيم محمد بن عبد الوهاب» بل كان لأستاذه المستشرق النابيه «توماس آرنولد»<sup>(٨)</sup> صاحب كتاب «الدعوة إلى الإسلام» بعض الفضل في توجيهه هذه الوجهة. فالقارىء لكتاب آرنولد يستشعر الاحترام والتقدير الذي كان يكتنه ذلك الرجل لدعوة الشيخ الإصلاحية، تلك الدعوة التي أخذ آرنولد يتتبع انتشارها وتأثيراتها المباشرة على الحركات الإصلاحية في كل من البنغال وسومطرة وأفريقيا السوداء<sup>(٩)</sup>.

وكانت هذه المصادر الأردية والفارسية والانجليزية هي المتاحة أمام محمد إقبال عندما أراد أن يتعرف على دعوة الشيخ ويكتب عنها..

كانت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب دعوة بسيطة خالية من التعقيد، حجر الزاوية فيها دعوة التوحيد وشعارها «لا إله إلا الله»، وهو شعار ليس غريباً على المسلمين بل هو أساس اعتقاداتهم كلها وجوهر دينهم كله، وهو الفيصل بينهم وبين غيرهم من الكتابيين والملحدين. غير أن حبات الشيطان واسعة جداً، وقد أوقعت هذه الحبات بعض أولئك المسلمين الموحدين في أعمال وأقوال تنطوي على شبهات الشرك والبعد عن توحيد الله عز وجل وإفراده بالعبادة والتقديس. وتتميز دعوة الشيخ بحساسيتها الشديدة تجاه ما يمس هذا الجوهر العقائدي، وهو التوحيد، فكل ما يصرف المرء عن الاتجاه إلى الله بالعبادة والدعاء والتقديس والاستغاثة والاستعاذة إنما يعد نوعاً من الشرك يقتضى تحطيم أسبابه وهدم دواعيه، وما تلك الأضرحة والقبور التي يتجه الناس فيها بالدعاء

(٨) تلمذ محمد إقبال على السير توماس آرنولد «في الكلية الحكومية في لاهور، قبل حصوله على الليسانس في الآداب. ثم كان آرنولد هو الذى شجعه على مواصلة دراسته العالية في لندن والحصول على درجة الدكتوراه بعد ذلك.

(٩) انظر: توماس آرنولد: الدعوة إلى الإسلام، ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون - طبع مصر ١٩٤٧م، ص ٢٣٩ ومواضع أخرى متفرقة.

والاستغاثة والاستعاذة إلى غير الله سبحانه الا موائن ومواطن للشرك. لذلك ينبغي أن تهدم وتقوض أركانها حتى يفتيق قاصدوها الى التوحيد الحق، وينصرفوا إلى الله وحده.

من هذا المحور الفكرى والعقائدى، ومن تلك الحساسية الشديدة تجاه كل ما يصرف الإنسان عن الله وحده، استمد إقبال في أشعاره الكثير من المواقف والمشاهد والتشبيهات، وتوسع في دعوة التوحيد، واستنبط مفاهيم جديدة من كلمة الشهادة «لا إله الا الله». وهذه المواقف والمشاهد شائعة ومتناثرة في دوواينه وأشعاره، طرقتها إقبال وعرضها بأساليب مختلفة وتناولها من جوانب متعددة ، ولا يسعنا المجال هنا أن نأتى عليها جميعا، ومن ثم سنذكر بضعة نماذج منها توضح لنا كيف تناول فكرة التوحيد وتوسع فيها وأضاف أبعادا جديدة اليها:

في إحدى سياحاته الروحية التى أوردتها في منظومته «رسالة الخلود» تصور إقبال انه يمضى في رفقه الشاعر الفارسى جلال الدين الرومى ليذهب الى واد تجتمع فيه الأصنام التى عبدتها الشعوب القديمة ، يقول إقبال «في هذا الوادى تعيش الآلهة القديمة التى عبدتها أمم الجاهلية، فهذا إله المصرى بين القدماء وهذا رب حمير، وهذان من اليمن، وهؤلاء آلهة عرب الجاهلية... كل منهم يرتعد خوفا من الذكر الجميل، فهم مشفقون من القرآن الكريم الذى وضع نهاية لهم، وأقام عالما جديدا على أساس التوحيد. كانت هذه الأصنام تتحدث في فرح غامر عن فرار الإنسان المعاصر من الله، وعودته الى الجاهلية القديمة، وأخذ رئيسها بعل إله الفينيقيين والكنعانيين القدماء ينشد أنشودة في طرب ومرح، ويقول فيها «لقد مزق الإنسان هذه السماء الزرقاء ونظر فيما وراء الفلك فلم يشهد إلاها. يابشرأى، ليس في قلب الإنسان سوى أفكار وخواطر (تسبح له ثم تغيب) كالموج، هذه تعلقو وتلك تتوارى، وروحه لا ترتاح وتطمئن الآن الا بالمحسوس، (ولم يعد لها شأن بالغييب)... فلعل عصر الجاهلية يعود من جديد ألا فليحيا المستشرقون الأوربيون... لقد عملوا على بعثنا من قبورنا (فلقد بذروا بذور الشك فأثمرت الإلحاد)... ها هى ذى الفرصة سانحة أيتها الآلهة القديمة».

«انظروا. لقد تحطمت حلقة الوحدة وفقد آل إبراهيم (المسلمون) لذة العهد والميثاق

الذى أخذه الله عليهم يوم سألهم «ألسن بريكم». ان وحدثهم مبعثرة ، فكأسهم تحولت الى شظايا تافهة. لقد وقع الرجل المؤمن فى أسر الجهات - وهو الذى لم يكن يعرف الحدود والجهات، ولم يكن يعبد غير الإله الذى خلق الأرض والسموات - ارتبط هذا الرجل الحر بالوطن وانفصل عن الله.... ها هى ذى الفرصة سانحة أيتها الآلهة القديمة .

«لقد عادت لنا أيام الطرب فى الدنيا وانهمز الدين بالملك والنسب (بالسيادة الوطنية والتعصب العنصرى)، ولا يحسن بنا الآن أن نخشى الاسلام... فما سبب الخوف من مصباح المصطفى ؟ ان هذا المصباح الذى أناره محمد تألب عليه مائة أبى هب يطفئونه ، ولئن كان صوت «لا اله الا الله» ما زال يتردد. (فهو صوت يصدر عن الشفتين لا عن القلب» ، فكيف يمكن أن يبقى على الشفة ما محى من القلب؟! ولا ريب فى أن الأجيال القادمة ستنسى كلمة التوحيد. إن سحر القرب أحيأ أهر من - إله الشر والظلام فى بلاد الإسلام من جديد، فأصبح يوم يزدان - اى دين الله - ممتقع الوجه خوفا من الليل والظلام... انه ليل الجاهلية الحديثة يوشك ان يطبق على العالم، ها هى ذى الفرصة سانحة أيتها الآلهة القديمة...

«يجب فك قيد الدين الذى يكبل رقبة الانسان، لقد كان عبأنا أحرارا - لهم التصرف المطلق والحرية الكاملة فى حياتهم، ولما كان أداء الصلاة ثقيلأ فاننا لم ننقل عليهم بصلاة، وانما طلبنا ركعة لا سجود فيها، وجعلنا العواطف تستعر فيهم بالأنغام والألحان ... فأية لذة فى صلاة لا غناء فيها ولا موسيقى»<sup>(١٠)</sup>.

ولا ريب فى أن طاغوتا يبدو للعيان أفضل من إله غائب لا تدركه الأبصار. ها هى ذى الفرصة سانحة أيتها الآلهة القديمة.<sup>(١١)</sup>.

(١٠) قال تعالى عن المشركين: «وما كان صلاتهم عند البيت الا مكاء وتصديية». (الانفال: ٣٥)، والمكاء: الصفير، والتصديية: التصفيق.

(١١) محمد اقبال : رسالة الخلود (جاويد نامه)، الترجمة العربية لكاتب هذا المقال ١٧٨ - ١٧٩.

وبعد أن ينشد بعل أنشودته تلك، يقف جلال الدين الرومي الذي كان يصحب إقبالاً في جولته الخيالية هذه فيصبح صيحة تخر على أثرها تلك الأصنام سجداً. يقول في صيحته «قال شيخنا: إن هذه الدنيا ليست على أسلوب محكم (فهى متقلبة لا تستقر على نمط واحد). لذا ينبغي صرف النظر عن حلوها ومرها. فلو أنك أردت ترك الدنيا لتتجه إليه هو، فعليك إذن أن تتحول عن نفسك (الأمانة وتتخلى عن رغباتها ونوازعها). قلت للشيخ: إن في قلبى الكثير من الرغبات (لات ومناة)، فأشار على قائلاً: ينبغي جعل هذا الوثن حطاماً»<sup>(١٢)</sup>.

فإقبال يتحدث في أنشودة بعل عن ظاهرة أفلقت بال كل المصلحين في العالم الإسلامى وهى ظاهرة سيادة الحس وضعف الإيمان بالغييب وعبادة المحسوس، كالذهب والفضة والنساء والمتاع والتعصب للجنس والوطن، فاستحالت هذه الأمور كلها في قلوب بعض الناس إلى آلهة جديدة، يعبدونها من دون الله، فتحوّلت تلك القلوب إلى معابد لتلك الآلهة، وخت من التوحيد وبعثت عن الله سبحانه، في حين أن القلب وقف على الله وحده، يتعين على المسلم الغيور على دينه ألا يجعل في قلبه مكاناً لأحد سوى الله. ولكن هذا لا يعنى أن يعتزل الإنسان العالم، ويقول إقبال: «أنا لا أقول لك اعتزل العالم. فهذه الدنيا الزاهرة بالألوان والروائح، بالمادة والحس هى مملكته، فاجمع من تربتها الجواهر حبة حبة، وخذ الصيد من سائتها كالصقر، وأعمل فأسك في سلاسلها الجبلية وأدرك بعقلك ما خفى من ثرواتها (واستخرج المعادن البراقة ومصادر الطاقة من باطنها). ولكن كن بعيداً عن طريق أذر»، فلا تعبد الأرض والمادة من دون الله، بل انحت عالماً جديداً وفق مرادك. ولا تسلّم قلبك للون أو لرائحة، لقصر أو لدرب (لاتسلم قلبك لهذه الدنيا، فالقلب وقف على الله وحده، فلا تسلّمه لغيره). فكل من يتلفظ من قلبه بكلمة «لا إله الا الله»، يمكن أن يُفقد عالماً في ذاته»<sup>(١٣)</sup>.

فالتوحيد - في رأى إقبال هو أساس الحياة، فمن عمل بالشهادة على وجهها ضاعت

(١٢) ايضاً، ص ١٨٠

(١٣) ايضاً ص ١٦٠



الدنيا فيه ولا يضيع هو فيها، والا نسان لا يفوز بمكانته الا بالتوحيد، الا بالتطلع الى الله وحده، وعندئذ تدين له الدنيا بأسرها.

على أن إقبالاً - كما شاهدنا في أنشودة بعل - يدخل في أنواع الشرك وضروب الإلحاد أمراً ابتلى به العالم الاسلامي كله مؤخراً، ونعني به دعوى الوطنية، تلك الدعوى التي حاول الأوروبيون والمستعمرون أن يشتتوا بها شمل الوحدة الاسلامية ويبعدوا المسلمين عن روح الاسلام العالمية. والوطنية بمفهومها السياسي الغربي منافية في رأى إقبال للتوحيد الحق، فالأمة الاسلامية أساسها التوحيد لا الإنسان ولا الأوطان، التي أصبحت في عرف الغربيين صنماً يعبد من دون الله يقول :

أمم قد عبدت أوطانها .. وبنيت من نسب بنيانها  
أترى الأوطان أصل الأمم .. تعبد الأرض بها كالصنم  
هذه الأنساب فخر السفهاء .. حكمها في الجسم والجسم هباء  
ولنا في الحق أس آخر .. هو في الأبواب منا مضر  
قد خلصنا من حدود وقيود .. قلبنا في الغيب اذ نحن شهود<sup>(١٤)</sup>

وحساسية إقبال تجاه كل ما يمس عقيدة التوحيد تمتد وتتسع لتشمل ضروباً أخرى وصنوفاً شتى من صوف الشرك، فتلك النظم المادية من شيوعية ورأسمالية إنما تدعو الانسان الى الشرك بالله سبحانه. فالشيوعية والرأسمالية تجمعها سمات مشتركة فكلاهما يدعو الى إحلال «عبادة البطون محل عبادة الله»، ومن ثم كانت النتائج المترتبة على كليهما واحدة لا فرق بينها، فكلاهما يعبد المادة. ويعبر عن الجانب الحسي وحده من الإنسان.<sup>(١٥)</sup>

(١٤) من ديوان «رموز بهي خودي» (أي رموز نفى الذات)، ترجمة الدكتور عبدالوهاب عزام. انظر ديوان الاسرار والرموز، طبع مصر ١٩٥٦م.

(١٥) انظر تفصيل ذلك في «رسالة الخلود» الترجمة العربية، ص ١٤٥ وما بعدها وانظر ايضاً: محمد إقبال: تجديد التفكير الديني في الاسلام، الترجمة العربية لعباس محمود، طبع مصر، ١٩٥٥م، ص ٢١٦ - ٢١٧.

على أن التوحيد عند إقبال - ليس مجرد كلمة تقال أو شعار يعلن ، بل إن له معنى قدسيا لا يستطيع أن يتذوق معناه الا اذا عمل بمقتضاه وسلك طريق الحياة على هداه. (١٦).

والدور الذي تقوم به الأم والمرأة المسلمة في بعث نور التوحيد في قلوب الأجيال الجديدة من الأمة دور لا يعدله دور، ففي أنفاسها التي تربي بها وليدها حياة الدين وهي حصن الشرع المبين. يقول مخاطبا المرأة المسلمة «خلقتك الطاهرة لنا رحمة وأنت قوة الدين وحصن الملة. يا من تظمين فينا الوليد على كلمة التوحيد» (١٧).

ويوجه حديثه إلى الشباب المسلم قائلا. «لقتك أمك الدرس الأول - درس التوحيد - لقد فتحت زهرك بفعل نسيما... وادخرت بفضلها ملكا خالدا، فلقد تعلمت «لا إله الا الله من شفيتها. فإن قلت «لا إله الا الله» فقلها اذن بالروح كي تهب روائح الحبيب من كيانك. تدور الشمس والقمر من حرارة لا إله الا الله، لقد رأيت هذه الحرقه في الجبل والقشة (١٨)، ان كلمة التوحيد ليست مجرد قول، انها ليست سوى سيف لا يرحم، والحياة بحرقه التوحيد قهر، لا إله الا الله ضرب وضرب فعال (١٩)، فحياة الموحد كلها تحطيم للباطل كتحطيم إبراهيم عليه السلام للأصنام.

وللتوحيد دور في حياة الأمم لا يقل عن دوره في حياة الأفراد، فالفرد يصبح ربانيا بالتوحيد. والأمة تصبح جبروتا بالتوحيد، فإذا أمن الإنسان بوحداية الله ولم يسلم قلبه لغيره أصبح متخلقا بأخلاق الله، واذا تخلق أفراد أمة بأخلاق الله تفوقت على أمم العالم جميعا ونالت العزة والهيبه. (٢٠).

(١٦) انظر: الصاوي شعلان: إيوان إقبال ، مصر ١٩٧٧، ص ٢٣.

(١٧) انظر عبدالوهاب عزام : محمد إقبال ... ص ١١٠.

(١٨) فالكون مسلم، انظر: ابن تيمية: جامع الرسائل، تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم طبع مصر ١٩٧٠م، الرسالة الاولى بعنوان: رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى.

(١٩) رسالة الخلود، ص ٣٢٢ - ٣٢٣.

(٢٠) أيضا.

ويرى إقبال ان سر الحياة كلها كامن في قول «لا إله الا الله» فكلمة التوحيد هذه تحتوى على أصلين ، هما : قوتا السلب والايجاب، ففي الأولى معنى الجلال وفي الثانية سمة الجمال، فاذا تلاقت القوتان تعادل ميزان الحياة واستقر كيانهما، فبين «لا» و «إلا» تجرى الكائنات بحسبان، ان كلمة التوحيد هى كلمة القدر التى صنعت منها العناصر فمن «لا» تتولد الحركة وبفضل «إلا» تمضى إلى الثبات والسكون : ومنها البداية والنهاية لقوله تعالى: «كن فيكون».(٢١).

وقد استخدم إقبال كلمة التوحيد في نقده للحركة الماركسية في ديوانه «رسالة الخلود» (نشر سنة ١٩٣٢)، فقد دعا الروس إلى الإسلام وذكرهم بأنهم قطعوا نصف الطريق اليه، وأن عليهم أن يواصلوا السير الحثيث ليلبغوا درجة الإسلام فينتقلون من رفض كل شئ إلى إثبات الوجود لواجب الوجود سبحانه، يقول إقبال موجها حديثه لأمة الروس:

لقد فرغت الآن من السادة، سواء كانوا قياصرة أم رأساليين أم إقطاعيين، فعليك أن تتركى «لا» وتغذى السير نحو «إلا» لقد قلت «لا إله» فقولى اذن «إلا الله» اتركى لا اذا كنت باحثة حقا، كى تأخذى طريق «الإثبات الحى»(٢٢).

ثم عاد إقبال وتناول نفس الفكرة في ديوان نشره بعد ذلك بعنوان «ما العمل اذن يا أمم الشرق ؟ قال فيه :

- وهكذا ترى أنه في عصر السيطرة الأوربية، نشبت الحرب بين العبيد والسادة.
- فتحول قلب روسيا الى دم، وخرجت من ضميرها كلمة «لا».
- لقد ألقيت نظرة على مقاماتها وملاحمها، فوجدتها : لا قياصرة، لا كنيسة، لا إله.
- وبقي فكرها في مهب عاصفة «لا»، ولم تدفع بركبها نحو «إلا».
- غير ان الحياة لا تستريح في مقام «لا» الكون يمضى قدما نحو «إلا».

(٢١) انظر محمد اقبال: ديوان يس جه بايد كوداى أقوام الشرق (ما العمل يا أمم الشرق) لاهور ١٩٣٦م، الفصل الرابع. وانظر ايضا: الصاوى شعلان، ايوان اقبال ص ٢٣.

(٢٢) رسالة الخلود، الترجمة العربية ، ص ١٦٧.

فنظرة الانسان - في رأى إقبال لا تطمئن ولا ترتاح الى الرفض والنفى والإنكار وحده، بل انها تتجه بطبيعتها الى الإثبات، فلا شئ يقوم على السلب أبدا، ولا يكون النظام راسخا مستقرا الا اذا قام على الإثبات..

قد لا نستطيع - برغم كل هذه الشواهد والأدلة التى سقناها للدلالة على وحدة الفكر والهدف بين دعوة الشيخ ومنهج إقبال - ان نقطع بأن إقبالا متأثر في شعره - تأثرا مباشرا بهذه الدعوة، لا نستطيع ان نقطع بتأثره المباشر لأن دعوة محمد بن عبد الوهاب لم تكن مذهبا جديدا بل كانت تجديدًا لهذا الدين وإحياء لرسومه، وتنقيّة لصفحته من شوائب الشرك والإلحاد. فما هذه الدعوة إلا تجلية للاسلام في أصوله وفروعه ومبادئه، تلك الأصول التى وفاهها علماء المسلمين على مر العصور حقها من الدراسة والشرح والتوضيح.

وإقبال قد قرأ دعوة الشيخ . كما قرأ ما كتبه شيوخ الاسلام من المصلحين والمجددين السابقين . فعكف على مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية، وبدأ أنه يكن له ولتلميذه ابن القيم وغيرهما من العلماء السلفيين تقديرا كبيرا. ولذلك يصعب على الباحث أن يحدد مصادر هذه المؤثرات: أمن دعوة الشيخ جاءت أم ان هذه المؤثرات أتت مباشرة من الأصول والفروع والمبادئ الإسلامية (التى هى أصل هذه الدعوة وفحواها) ؟

لكننا لا نستطيع - في نفس الوقت - أن نقول إنه لم يتأثر تأثرا مباشرا بدعوة الشيخ بعد أن قرأها واستوعبها. ذلك لأن لدينا على الأقل شاهدا بخلاف ما سبق ذكره - يؤكد هذا التأثير. فلقد كانت الترجمة العملية الواضحة لدعوة محمد بن عبد الوهاب هى تحطيم القباب المقامة على القبور لصرف الناس عنها كما يفرّدوا عبادتهم وتقديسهم لله تعالى وحده..

ولقد ورد في شعر إقبال ما يفيد تأثره بهذا الجانب اللصيق بدعوة الشيخ. فإقبال ينعى على المشايخ القائمين على هذه الأضرحة والقبور، ويعزو اليهم السبب في تشجيع

عوام المسلمين على زيارة الأضرحة ودعاء أصحابها والاستشفاع بهم. ويقول إنهم يستغلون سذاجة هؤلاء العامة أسوأ استغلال، فينصبون لهم الفخاخ باقامة الموالد وصناديق النذور. يقول في ديوانه «جناح جبريل» عن مشايخ هذه الأضرحة:

«انهم لو وجدوا حصير الزهراء، ودلق أويس القرنى، وكسرة أبى ذر الغفارى لأكلوا السحت من أثمانها» (٢٣).

وإذا كان قد اتضح ان إقبالاً قد تأثر بالملامح العملية لدعوة الشيخ، فإننا نلاحظ أنه أضاف أبعاداً معنوية جديدة لمفهوم تلك الأصول الإسلامية التي أحيها وجلاها الشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقد حاول إقبال تعميق مفهوم التوحيد وتوسيع دائرته في النفس وجعل القلب وقفا على الله وحده، ودعا الى تحطيم الأصنام التي صنعها الإنسان بنفسه ونحتها في قلبه ليعبدها من دون الله سبحانه. وبين أن المسلم ينبغي أن يكون يقظاً دائماً مراقباً لأحواله النفسية حتى لا تتسرب شبهات الشرك ووساوس الشيطان الى قلبه، وحتى لا يرتاح الى هذه الظواهر المادية المخادعة المحيطة به، وإنما تكون راحته في عبادة الله وحده. وان التوحيد ليس مجرد كلمة تقال بل هي ذوق وتجربة روحية. وان قول لا إله إلا الله هو أس الحياة بجميع مظاهرها، وهو يدل دلالة قاطعة على أن وجهة المسلم الموحّد ليست منصرفة نحو هذا الكون وإنما وجهته لله سبحانه.

ولئن كان محمد إقبال قد درس هذه الدعوة وأبدى إعجابها وبصاحبها، وبدا وكأنه تأثر بها، إلا أنه أخطأ حين ذكر في كتابه «تجديد التفكير الدينى» (نشر سنة ١٩٢٨م). أن الحركة البابية في ايران ليست سوى صدى لحركة الإصلاح الدينى العربى التى قام بها المصلح المتطهر العظيم محمد بن عبد الوهاب. (٢٤).

والواقع أن هذا الذى قاله إقبال بعد خطأ كبيراً لكونه صادراً عن مفكر كبير

(٢٣) انظر محمد حسن الأعظمى والصابى شعلان: فلسفة إقبال. الطبعة الثانية. دمشق ١٣٩٥هـ ص ٣.

(٢٤) انظر: تجديد التفكير الدينى، الترجمة العربية، ص ١٧٥.

موثوق به وحجة في تاريخ الفكر والثقافة الاسلامية .. ومن ثم يتعين علينا مناقشته ومحاولة إزالة ما قد يعلق بالأذهان في هذا الصدد.

وينبغي أن نتساءل ما الصلة بين حركة الإصلاح الديني العربي التي دعت الى التوحيد والى نبذ الشرك والتي يقول صاحبها: ... انى والحمد لله متبع ولست بمبتدع عقيدتى ودينى الذى أدين الله به هو مذهب أهل السنة والجماعة، الذى عليه أئمة المسلمين مثل الأئمة الأربعة وأتباعهم الى يوم القيامة. (٢٥).

ما الصلة بين هذه الدعوة وبين حركة محمد على الباب (توفي سنة ١٢٦٦هـ) الذى زعم تارة انه المهدي المنتظر، ثم زعم بعد ذلك أن الوحي غير منقطع وأنه جاء ناسخا لشريعة القرآن وأحكامها، وادعى النبوة وأنه أوحى اليه بكتاب أسماه: «البيان»، وأن معجزات الأنبياء وقصصهم، والملائكة، والجن، والوعد، والوعيد، والحشر، والنشور، واليوم الآخر ليست على مايعلمه الناس من مفاهيمها ومعانى كلماتها، ويؤول ذلك كله تأويلا يذهب مذاهب شتى من الكفر والضلال والزور والبهتان، فما البابية في واقعها إلا عقيدة جديدة لا تمت الى الدين الحنيف بأية صلة.

وإذا نحن عمدنا الى تلمس صلة بين الحركة البابية الكافرة المارقة وبين دعوة الشيخ الهادية المؤمنة من الناحية التاريخية فلن نجد صلة على الإطلاق، اذ لم يقدر لمحمد على الباب أن يتصل بدعوة الشيخ من أى طريق، بل لم يشأ الله للباب أن يطأ الأراضى المقدسة، بعد أن كان قد عزم على الذهاب الى مكة، ففرقت السفينة التى كان يستقلها، ولكنه نجا هو ونفر من دعائه وعادوا الى ميناء «بوشهر» (٢٦).

فليست هناك صلة ما بين الحركة البابية ودعوة محمد بن عبدالوهاب، بل ليس هناك مجال للمقارنة في شئ بينهما على الإطلاق.

(٢٥) من رسالة للشيخ محمد بن عبدالوهاب الى أحد شيوخ بغداد، انظر: حسين خلف الشيخ خزعل: حياة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، بيروت ١٩٦٨م، ص ١٧٤، وانظر ايضا أحمد عبدالغفور عطار: محمد بن عبدالوهاب، الطبعة الثالثة بيروت ١٣٩٢هـ، ص ١٦٨ وما بعدها.

(٢٦) انظر: محمد فاضل: الحراب في صدر البهاء والباب، ط. مصر ١٣٢٩، ص ١٦٢ وما بعدها.

لكننا نفهم من كلام إقبال انه لم يكن يريد بإشارته الى أن البابية صدى لحركة الإصلاح الديني العربي أن يغض من شأن دعوة الشيخ أو يقلل من أهميتها ، بل على العكس من ذلك رأى أن هذه الدعوة لا تزال تحمل من عوامل القوة والتأثير ما يجعل أرجاء أخرى من العالم الإسلامى - غير الجزيرة العربية - تتجاوب مع أصدائها وتتأثر بها وتأخذ عنها. وأن تلك القبائل العربية في جزيرة العرب (تلك القبائل التي استجابت لدعوة الشيخ) ما تزال تتمتع بقوة الإيحاء والتأثير على جيرانها من الدول الإسلامية، لأن هذه القبائل لا زالت مستمسكة بمعنوياتها القوية، ولم تفقد - بفعل التمدين - بداوتها وفطرتها السليمة<sup>(٢٧)</sup>، وقدرتها على التأثير في غيرها..

فإقبال اذن لم يخطئ بقدر ما أخطأ في ثقته بالحركة البابية، فعدها حركة إصلاحية، وأشاد في ديوانه «رسالة الخلود» الذي نشره سنة ١٩٣٢ بالشاعرة البابية «قرة العين الطاهرة» التي كانت من كبار الدعاة للمذهب البابى.<sup>(٢٨)</sup>

ومما يبعث على الدهشة حقا أن البابية تتصادم مع أفكار إقبال نفسه، وتعلن عصيانها على نفس المبادئ التي يؤمن بها ويدعو إليها . ومن ينظر نظرة عابرة لدعوة محمد على الباب يدرك - منذ الوهلة الأولى - أنها تقول بأن الوحي غير منقطع، فهى بذلك تتعارض مع عقيدة من أهم العقائد الإسلامية هي «ختم النبوة» وهى عقيدة أفاض إقبال في شرحها في نفس الكتاب الذى أشاد فيه بالحركة البابية<sup>(٢٩)</sup> وبين أنها عقيدة تنطوى على فكرة عظيمة لم تقدر قدرها ولم تعرف قيمتها في الثقافة الإسلامية، فختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم يحمل معه - في رأى إقبال أمرين: ان النبوة في الاسلام تبلغ كماها الأخير في إدراك الحاجة إلى إلغاء النبوة نفسها، وهو أمر ينطوى على إدراكها العميق لاستحالة بقاء الوجود معتمدا الى الأبد على وقود يضاء منه ليعتمد في النهاية على رسائله

(٢٧) انظر حديث إقبال الى السنيور موسليني الايطالى، وقد ورد بعض هذا الحديث في كتاب فلسفة اقبال ص

(٢٨) انظر رسالة الخلود، الترجمة العربية، ص ٢٠٨ وما بعدها . على أن اقبالا هاجم في نفس الديوان - اعنى

رسالة الخلود البهائية التي تعد امتدادا للبابية ونتيجة طبيعية لها، انظر ص ٣٢٤.

(٢٩) انظر تجديد التفكير الدينى : مثلا ص ١٤٤، ١٧٧ من الترجمة العربية..

هو: الأمر الثانى هو الحيلولة دون ظهور الفكرة المجوسية والمسيحية فى المجتمع الإسلامى، وهى فكرة الترقب الدائم والتطلع لظهور ابناء زردشت الذين لم يولدوا بعد، أو ظهور المسيح المنتظر.... «لقد سار ابن خلدون على هدى من نظريته الى التاريخ فأفاض فى نقده، وقضى فيما أعتقد قضاء نهائيا على الأساس المزعوم لفكرة ظهور مخلص فى الإسلام (يعنى فكرة المهدي المنتظر)، وهى فكرة شبيهة فى آثارها السيكلوجية بالفكرة المجوسية الأصلية التى كانت قد ظهرت فى الإسلام تحت تأثير الفكر المجوسى (٢٠)».

إذن فهناك اختلاف أساسى بين أفكار إقبال وغيره من المصلحين الإسلاميين وحركة محمد على الباب . ولا يقتصر هذا الخلاف على عقيدة ختم النبوة وحدها بل ينسحب الى سائر العقائد ، ولكنه مع ذلك اختلط عليه أمر هذه الحركة فأحسن الظن بها .

ويتبين لنا من تتبع آراء إقبال فى هذا الصدد أنه ظل ينظر الى البابية باعتبارها حركة إصلاحية حتى سنة ١٩٣٣، يتضح ذلك من الخطة التى وضعها فى تلك السنة لتأليف كتاب جديد باللغة الانجليزية بعنوان:

“Introduction to the Study of Islam.”

أى مقدمة لدراسة الإسلام، وهو كتاب لم يقيض لإقبال ان يكتبه أصلا. (٢١).

ولكنه بدأ فى المرحلة الأخيرة من حياته يغير نظريته الى أصول الحركة البابية ودوافعها فقد كتب فى مقال بعث به الى صحيفة «ستيتان» البريطانية (٢٢) يقول: «يعمل الروس على نشر المذهب البابى ويسمchon للبابية بإقامة أول مركز للدعوة لمذهبهم فى «عشق آباد»، فى الوقت الذى تعمل فيه بريطانيا على نشر «الأحمدية» (يعنى القاديانية) وتسمح لهم بإقامة أول مركز للدعوة لمذهبهم فى «دوجنح». إن الفصل بين هاتين الظاهرتين عندى

(٢٠) تجديد التفكير الدينى ص ١٧٧.

(٢١) انظر. Letters and Writings of Iqbal, Lahore, 1967, p. 78.

(٢٢) لم اعثر على هذا المقال فى لغته الأصلية وهى الانجليزية، وانما عثرت على تلخيص له باللغة الأردية فى كتاب «إقبال اور سياست ملي»، لرئيس أحمد جعفرى. طبع كراتشى سنة ١٩٥٧م، ص ٢٢٤ وما بعدها.



أمر جدّ صعب، فما السبب الذي يدعو الروس وبريطانيا - رغم اختلاف المشارب - الى الاتفاق في هذا الاتجاه؟ «وانتهى إقبال الى أن هذا العمل ينطوي على محاولة لتفتيت وحدة المسلمين.

كذلك نظم في ديوان له نشر قبل وفاته بسنة واحدة (أى سنة ١٩٣٧) قطعة تتضمن معنى السخرية والتهكم بالبَاب عنوانها «محمد على الباب». (٣٣).

فدل إقبال بذلك على أنه قد غير رأيه في تلك الحركة بعد أن أدرك أغراضها وفهم حقيقتها، تلك الحقيقة التي كانت غائبة عنه يوم عد «البابية» صدى لحركة الإصلاح الدينى العربى الذى ظهر على يد المصلح المتطهر العظيم محمد بن عبد الوهاب على حد تعبير إقبال نفسه.

وهكذا يتبين لنا أنه كانت هناك عوامل ايجابية بمنتهى الفعالية والقوة في صلة إقبال بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، تلك الدعوة التى أعجب إقبال بها وبصاحبها وبدا أنه تأثر في شعره بها في أخص جوانبها الفكرية - وهو جانب التوحيد، كما تأثر بأخص جوانبها التطبيقية، من هدم للقباب المقامة على الأضرحة وتحطيم لكل أسباب الشرك ودواعيه.

كما يتبين أنه هناك قدر ضئيل من العوامل السلبية في هذه الصلة نجم عن حسن ظنه بالحركة البابية في ايران، التى عدها في وقت من الأوقات صدى لدعوة الشيخ محمد ابن عبد الوهاب في الجزيرة العربية. ولكن إقبالا ما لبث أن عدّل عن ثقته بتلك الحركة البابية حين أدرك حقيقتها، فانتقدها وهاجم مؤسسها، وبذلك ظلت صلته ايجابية بدعوة الشيخ. تلك الدعوة التى رأى أنها ما تزال تحمل من عوامل القوة والتأثير ما يجعل أرجاء أخرى من العالم الاسلامى - غير الجزيرة العربية - تتجاوب مع أصدائها وتتأثر بها وتأخذ عنها ..

(٣٣) انظر: محمد اقبال: ديوان ضرب الكلم، الترجمة العربية لعبد الوهاب عزام، طبع بمصر ١٩٥٢م، ص ٣٠.

أثر دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب  
في الفكر الإسلامي الإصلاحى بالجزائر

للدكتور عبد الحليم عويس

أستاذ التاريخ المساعد بكلية العلوم الاجتماعية

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية



## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

### توطئة:

من الحقائق المقررة في (قضايا الحضارة) أنها لا تخضع لذلك الوضوح الحاسم الذي تخضع له قضايا التاريخ .

فبينما يستطع المؤرخ - بأدوات البحث المعتمدة - أن يصل إلى تحديد قريب من الصحة لكل واقعة تاريخية يدور بحثه حولها .. فإن الباحث في الحضارة لا يستطيع أن يصل إلى هذا التحديد الواضح، وهو يعالج القضايا الحضارية، ولا سيما إذا كان الأمر متعلقا بعلامة «التأثير والتأثر» التي تربط موجة فكرية سابقة بموجة أخرى لاحقة .

وحسب (عالم الحضارة) في هذا المجال أن يرصد السمات التي تميزت بها كل موجة، ثم يبحث - مستعينا بالتاريخ - عن المعابر التي التقت عندها الموجتان، بحيث يقنع قارئه بخلو استنتاجاته من التكلف والتعسف ويضع يده على الخيوط المرئية والمستنتجة التي جعلته يقرر أن هناك تأثيرا وتأثرا بين السابق واللاحق .

### حقائق تاريخية ثلاث :

وفي مقدمة بحثنا هذا نستطيع أن نضع أيدينا على ثلاث حقائق تاريخية مؤكدة.  
أولها : تظهر على الطرف الأول «المؤثر» وهي أن مصلحا إسلاميا قد ظهر في جزيرة العرب - على فترة من الجاهلية المستأنفة - ولد بالعيينة شمال غربي الرياض سنة ١١١٥هـ (١٧٠٣م) واسمه محمد، واسم أبيه عبدالوهاب، مجمع على مزياه الموروثية والمكتسبة، وعلى خلائقه الفاضلة<sup>(١)</sup>، وكان محمد هذا سباقا في عقله وفي جسمه، حاد المزاج، فقد استظهر القرآن قبل بلوغه العشر، وبلغ الاحتلام قبل إتمام الاثنتي عشرة سنة<sup>(٢)</sup> !!

(١) أحمد عبدالغفور العطار: محمد بن عبدالوهاب ط٣ - مكتبة العرفان بيروت ص ٣١.

(٢) أحمد بن حجر أبو طامى: الشيخ محمد بن عبدالوهاب - مطبعة الحكومة بمكة ١٣٩٥هـ ص ١٥.

وقد عاش محمد بن عبد الوهاب - موضوع الحقيقة التاريخية الأولى - حياة حافلة بالتعلم والارتحال في طلب العلم، والجهاد في سبيل ما اهتدى إليه من حقائق رأى فيها صلاح حال الأمة الإسلامية، وسبيل عودتها إلى مكانتها التاريخية .. حتى وافته منيته سنة ١٢٠٦هـ (١٧٩٢م) بعد أن شهد آثار إصلاحه في الجزيرة العربية، وبعد أن انتقل البدو - أمام عينيه - من حياة الجاهلية إلى حياة الحاضر، وأنارت نجد والجزيرة العربية بدعوته العظيمة<sup>(٣)</sup>.

والحقيقة التاريخية الثانية.. حقيقة تظهر على الطرف الآخر «جانب التأثر»، ونحن نرى هذه الحقيقة في تلك الموجات الإصلاحية الإسلامية التي بزغت في أرض الجزائر، والتي بدأت تأخذ صفة تيار عام بعد أن كانت جهودا فردية. وقد ظل هذا التيار العام ينمو حتى أصبح يمثل أقوى تيار في الجزائر، بحيث تمكن هذا التيار (السلفي) الذي كان مجرد جهود فردية من أن يتغلب على كل التيارات المنحرفة، ويتغلب على الاستعمار الفرنسي نفسه، ويعود بالجزائر إلى الإسلام عقيدة وإلى العروبة لغة ... وليس هذا التيار سوى (جمعية العلماء المسلمين الجزائريين) صاحبة الفضل الأكبر في تحقيق استقلال الجزائر.

وتأتي الحقيقة التاريخية الثالثة: وهي حقيقة تتعلق بالظروف المتشابهة في النواحي العقديّة والاجتماعية والفكرية في كلتا المنطقتين .. فبينما كانت الجزيرة العربية خلال القرن الذي ظهرت فيه حركة الإمام ابن عبد الوهاب، كما يحدثنا مؤرخوها الثقات كابن بشر وابن غنّام والألوسي مرتعا للخرافات والعقائد الفاسدة التي تتنافى مع أصول الدين الصحيحة .. ويحج فيها إلى القبور، ويطلب من الموتى الحاجات، ويستغاث بهم لدفع الكروب<sup>(٤)</sup> .. بينما هذا... كانت الجزائر خلال العصر الذي بدأت تظهر فيه إشاعات حركة الإمام ابن عبد الوهاب خارج الجزيرة، أي: خلال القرنين الثالث عشر والرابع عشر تعج بكثير من الخرافات وصور الوثنية وسيطرة الصوفية والمبتدعة على أرضها .

(٣) أحمد عبدالغفور العطار، محمد بن عبد الوهاب ١٠١ .

(٤) انظر الشيخ محمد بن عبد الوهاب: أحمد أبو ظامي ص ١٩ (نقلا عنه).

إنها ظروف متشابهة جمعت بين أرض الجزيرة في آسيا، وأرض الجزائر في أفريقيا ... وكما كانت صور الوثنية والتخلف والظلام سببا في كثير من مراحل التاريخ.. لظهور دعوات التنوير والتوحيد؛ كذلك كانت هذه الظروف داعية لكي تتلقف الأرض العطشى في الجزائر دعوة الإصلاح التي جاءت من أرض الجزيرة العربية، لتردها إلى الكتاب والسنة مرة ثانية، كما حملتها إليها أول مرة .

أجل .. تلك حقائق تاريخية ثلاث لا يكاد المؤرخ يصل إلى درجة من الشك فيها، لكن هذه الحقائق - مع ذلك - لا تكفي (الباحث الحضاري) الذي يناط به بيان مدى إشعاعات الظاهرة (المؤثرة) في الموجة (المتأثرة) لكي يصدر حكمه بوجود علاقة (التأثير والتأثر)، بل إنه يضطر أن ينهج منهج (عالم الاجتماع) الذي يجمع مفردات الظاهرة من حالات التوافق والتقارب المتناثرة هنا وهناك ليصدر - بعدها - رأيه.. راجيا في النهاية أن تكون النتائج التي انتهى إليها أقرب إلى اليقين. وهذا ما نأمله بإذن الله .

### عصر الإصلاح في الجزيرة العربية :

كان القرن الثاني عشر الهجري الموافق للقرن الثامن عشر المسيحي هو بداية عصر الدعوة الإصلاحية التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

وفي هذا القرن كان العالم الإسلامي يسير على النهج نفسه الذي سار عليه في سابقه من انفصال عن الحقيقة الإسلامية، ومن سيطرة مفاهيم مغلوطة على العقل الإسلامي، ومن تمزق سياسي وفوضى اقتصادية وهبوط اجتماعي.. بحيث أصبح - كما يسميه المفكر الجزائري مالك بن نبي - في حالة (القابلية للاستعمار)(٥).. إنها الحالة التي يتوافر فيها مواد خام بشرية تمتاز (بالبطالة) و (بالجهل) و (بالانحطاط الخلقي) المتولد من انحطاطين: أحدهما: فكري والآخر نفسي.

ويصور هذه الحالة أبلغ تصوير الكاتب الأمريكي (لثروب ستودارد) فيقول: «في القرن الثامن عشر كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعف أعظم مبلغ، ومن التدهن

(٥) انظر شروط النهضة فصل (معامل القابلية للاستعمار) ص ٢٢٩ - الطبعة الثالثة.

والانحطاط أعمق دركه، فاربد جوه وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجا من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب، وتلاشى ما كان باقيا من آثار التهذيب العربى، واستغرقت الأمم الإسلامية فى اتباع الأهواء والشهوات وماتت الفضيلة فى الناس، وساد الجهل وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال»<sup>(٦)</sup>.

وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوجدانية التى علمها صاحب الرسالة الناس سجفا من الحرافات وقشور الصوفية، وختل المساجد من أرباب الصلوات، وكثر عديد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون فى أعناقهم التائم والتعاويد والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم فى الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفناء القبور، وغابت عن الناس فضائل القرآن فصار يشرب الخمر والأفيون فى كل مكان، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات على غير خشية ولا استحياء، ونال مكة المكرمة والمدينة المنورة ما نال غيرها من سائر مدن الإسلام، فصار الحج المقدس الذى فرضه الله على من استطاعه ضربا من المستهزات. وعلى الجملة بدل المسلمون غير المسلمين وهبطوا مهبطا بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض فى ذلك العصر ورأى ما كان يدهى الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين، كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان»<sup>(٧)</sup>.

ونتيجة لهذه الحالة سيطر الضعف الحضارى والتفكك السياسى، بحيث لم ينته القرن إلا وكان الاستعمار يبحر بسفنه فى طريقه إلى تلك المنطقة التى توافر لديها (معامل القابلية للاستعمار).

كانت روسيا تتقدم إلى العالم الإسلامى من أركان مختلفة، فقد زحفت على بلاد

(٦) حاضر العالم الإسلامى ج ١ ص ٢٥٩.

(٧) المرجع السابق ٢٥٩، ٢٦٠.

فارس التي كانت مقسمة إلى أحزاب هي (الأفشار، والزند، والقاجار)، كما زحفت روسيا - أيضا - على بعض أملاك الدولة العثمانية في أوروبا، ولم يقتصر زحفها على هذين الركنين، بل إنها أخضعت سهوب (القرغيز) فعزلت خانيات التركستان الإسلامية وما وراء النهر، وخراسان الأوزبكية، واحتلت بلاد الكرج (جورجيا) متقدمة إلى ما وراء القوقاز. واستولت على جميع أملاك الترك شرق الدينستر<sup>(٨)</sup>.

أما فرنسا وبريطانيا فقد بدأتا في هذا القرن سباقهما لتقسيم العالم الإسلامي الذي أصبح يمثل (الرجل المريض) ...

وكانت الشرارة الأولى هي: الحملة الفرنسية على مصر سنة ١٧٩٨م، وهجوم نابليون بونابرت - قائد الحملة - على الشام سنة ١٧٩٩م واستيلائه على يافا.

### دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب وركائزها:

في هذه الظروف ظهر الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الجزيرة العربية، فكان أول داعية خلال هذا العصر يضع يده على مواطن الداء الحقيقي، الذي يتمثل في طبيعة ما آل إليه بناء الأمة الداخلي فكريا وعقديا ونفسيا .. فبينما كان العالم الإسلامي مستغرقا في هجعتة ومدلجا في ظلمته على النحو الذي صور «ستودارد» .. إذا بصوت ابن عبد الوهاب يدوي موقظا للنائمين، داعيا المسلمين إلى الرجوع إلى سواء السبيل.. فلم تلبث دعوته أن اتقدت واشتعلت واندلعت ألسنتها في كل زاوية من زاويا العالم الإسلامي، ثم أخذ يحض المسلمين على إصلاح النفوس واستعادة المجد الإسلامي القديم والعز التليد، فتبدت تباشير صبح الإصلاح، ثم بدأت اليقظة الكبرى في عالم الإسلام<sup>(٩)</sup>. ولم تكن دعوة الامام محمد بن عبد الوهاب إلا دعوة إلى العودة الصادقة الواعية إلى الحقيقة الإسلامية في مصدرها الثابتين الخالدين: الكتاب والسنة الشريفة، ودعوة - في الوقت نفسه - إلى التخلص مما خلفته قرون التخلف من شوائب أصابت بناء

(٨) أطلس العالم الإسلامي ص ٢٨.

(٩) استودارد: المرجع السابق ص ٢٦٠.



الانسان المسلم الداخلي... فأصبح مسلما (مشركا) (يقرأ القرآن ويؤمن بالخرافات) (ويصلى لله، ويتقرب لعبيده) إلى غير ذلك من الشوائب التي كانت سببا في انحطاط المسلمين.

وبالتالى، وانطلاقا من نواحي هذا الخلل، ركز محمد بن عبد الوهاب اهتماماته الإصلاحية على النواحي التالية:

أولا: تصحيح العقيدة الإسلامية في فكر المسلمين، وتطهيرها من مظاهر الشرك التي علقت بها، وبإيجاز: إعادة المسلمين إلى عقيدة (التوحيد) كما وردت في الكتاب والسنة دون تشبيه أو تجسيم أو تعطيل، أو تأويل. و (التوحيد) لا يكون كذلك - في الإسلام - إلا بتوحيد الربوبية، فلا خالق ولا رازق إلا الله، وبتوحيد الألوهية، فلا دعاء ولا نذر ولا استعانة إلا بالله، وبتوحيد الأسماء والصفات، فيوصف الله بما وصف به نفسه، واعتقاد أن الله ( ليس كمثل شئ )، وقد بلغ من عناية الشيخ بالعقيدة حدا كبيرا لدرجة أنه قام بتتبع مجالات تصحيحها، ومقاومة صور الإشراك في كل كتاباته وخطبه ورسائله. وكانت العقيدة هي المحور الذى تدور حوله كل اهتماماته، وذلك بالإضافة إلى الكتب والرسائل التي تكاد تفرد لقضية التوحيد ككتابه (التوحيد) الذي جاء في ستة وستين بابا.. سد فيها الشيخ كل منافذ الشرك. ورسالة (كشف الشبهات) ورسالة (ثلاثة الأصول)، ورسالة (القواعد الأربع)، وكتاب (فضل الإسلام) وكتاب (أصول الإيمان) ومجموعة رسائله في التوحيد والإيمان التي بلغت ثلاث عشرة رسالة. وكتاب الكبائر، ورسائله الإحدى وخمسين التي وردت في تاريخ الشيخ ابن غنام الأحسائي، وفي الدرر السنية في الأجوبة النجدية .. والتي تناولت جوانب خمسة تتصل كلها بالعقيدة، كبيان أنواع التوحيد، وبيان معنى لا إله إلا الله، وما يناقضها من الشرك، والأشياء التي يكفر مرتكبها<sup>(١٠)</sup>.

ثانيا: تصحيح عقيدة المسلمين أيضا - في مجالات التوسل والشفاعة والاستغاثة.

(١٠) انظر هذه الرسائل في ( القسم الخاص للرسائل الشخصية) من مؤلفات الشيخ محمد بن عبد الوهاب - طبع جامعة الامام محمد بن سعود الإسلامية. وتنظر كذلك بقية أعمال الشيخ في هذه الطبعة.

ثالثا : رفض الانحرافات التي أقحست على الإسلام بتأثير جماعة (الصوفية) التي كانت من أقوى أسباب تخلف العالم الإسلامي .

رابعيا : إنكار زيارة القبور والبناء عليها أو اللجوء إلى الموتى - مهما كان قدرهم - في تحقيق أمر ... لأن هذا وثنية تدخل في باب الشرك بالله. أما زيارة القبور دون شد الرحال إلى مقبرة خاصة.. بهدف التذكر والاعتبار والدعاء للميت والترحم عليه فلا شيء فيه .

خامسا : مقاومة الخرافات والبدع بكل أشكالها ، وأغلبها مما انتشر أيام الفاطميين في المغرب (٢٩٨ - ٣٦١هـ) ومصر (٣٦١ - ٥٦٧ هـ)، ومن رواسب عصور التخلف. ومن هذه البدع التي أنكرها الشيخ: بدعة الاحتفال بالمولد النبوي، وبدعة المحمل، وغيرهما من البدع التي روجها الطرقية والشيعية.

سادسا : فتح باب الاجتهاد - عند توافر وسائله - وعدم التعصب لمذهب معين، وضرورة أن يعود المسلمون إلى الاتصال المباشر بالكتاب والسنة .

سابعا : ضرورة إحياء فريضة (الحسبة) أي : الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحياء فريضة الجهاد التي خمدت في نفوس المسلمين .

تلك هي أبرز الجوانب التي ركز الشيخ ابن عبد الوهاب عليها.. باعتبارها الأصول التي تحيا بحياتها بقية أركان الإسلام وأدابه وفروعه .

وقد حرصنا على ذكرها لتكون الأصل الذي نقارن به اتجاه الحركة الإسلامية الإصلاحية في الجزائر .

جذور دعوة الإصلاح الاسلامي في الجزائر :

ذكرنا أن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لا تزيد عن كونها دعوة إلى الإسلام الصحيح الذي جاء في القرآن والسنة النبوية الصحيحة، فهي بهذا الإطار ليست بدعا في

كل حركات الإصلاح: بل هي تلميذة ومتبعة لحركات الإصلاح السابقة، كحركة الإمام أحمد بن حنبل (١٦٤ - ٢٤١هـ)، وحركة شيخ الإسلام أحمد بن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨هـ)، ومحمد بن قيم الجوزية (٦٩١ - ٧٥١هـ).

وبالتالي : فإن لنا أن نستنتج أن كل مورثات الإسلام الصحيح الذي يطلق عليه - عادة - (الاتجاه السلفي) - والتي كان لها بالتأكيد - وجود كبير في الجزائر منذ دخل جيش التابعين الذي فتحها بقيادة أبي المهاجر دينار (٥٥ - ٦٢ هـ).

... هذه المورثات النبوية الصحيحة قامت بدور كبير في التمهيد لانتشار دعوة الإصلاح الاسلامي في الجزائر خلال القرن الرابع عشر للهجرة ، والتي كان رائدها الأول في التاريخ الاسلامي الحديث هو الشيخ محمد بن عبد الوهاب .

ويلخص أحد الكتاب الجزائريين المعاصرين - صادقا - حقيقة (الدعوة السلفية) فيقول: إنها لاتزيد عن كونها التطبيق الصحيح للحديث النبوي الشريف الذي ورد على لسان الرسول عليه الصلاة والسلام - في خطبة الوداع حين قال: «تركت فيكم ما إن اعتصمتم به لن تضلوا أبدا، كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم»<sup>(١١)</sup> ... ويرى هذا الكاتب الجزائري: أن (السلفية) بهذا المعنى ذات امتداد أصيل في الجزائر، وأنها ماكان لها أن تظهر كحركة مستقلة تبدو وكأنها ( مذهب اسلامي) الا لأن الناس ابتعدوا عن حقيقة الاسلام، بعد أن ظهرت مختلف المذاهب البدعية التي تنتمي إلى ملل ونحل بعيدة عن الاسلام، والتي كان من بينها مذهب التصوف، الذي أسرف بعض أئمة وتغالوا في الدعوة إلى التحرر من التقاليد وإسقاط التكليف، وزاد الأمر تعكرا عندما ظهرت لكثير من أئمة التصوف طرق أقبل عليها كثير من العوام .. فعندئذ ظهر رد فعل الفقهاء الذين ضاقوا ذرعا بهذه التعاليم، وانضم اليهم المحدثون ... فاتهموا المتصوفة بالمرور عن الدين، وبأن تعاليمهم مستمدة من مذاهب غير اسلامية<sup>(١٢)</sup> .

(١١) المهدي البوعبدلي مقال، (عبدالرحمن الأخضرى وأطوار السلفية في الجزائر بمجلة الأصالة الجزائرية عدد صفر ١٣٩٨هـ - (برقم ٥٣).

(١٢) المقال السابق.

ويرى الكاتب ( وهو من أعضاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ويشغل الآن منصب نائب رئيس المجلس الاسلامي الأعلى ) أن تاريخ السلفية بالجزائر يعود - بعد الأجيال الأولى - إلى الفقيه الجزائري أبي الفضل النحوى، من علماء القرن الخامس الهجرى، ودفن قلعة بني حماد، العاصمة الأولى لدولة بني حماد الزيرية الصنهاجية الجزائرية التي حكمت الجزائر بين عامي ٤٠٥هـ - ٥٤٧هـ.

وفي القرنين السابع والثامن للهجرة ظهر مصلح سلفى آخر انتشرت آراؤه الإصلاحية في الجزائر، وهو أبو الحسن علي بن عبد الحق الزويلي الشهير بالصغير. ومع أن المغرب والأندلس بصفة عامة يغلب عليهم مذهب الإمام مالك.. إلا أن المصلح الصغير دعا إلى فتح باب الاجتهاد، متأثرا - فيما يبدو - بمعاصرة الإمام ابن تيمية الذى عمت شهرته العالم الاسلامي .. وقد توفي ابن الصغير سنة ٧١٩ هـ، أى : أنه عاصر ابن تيمية قرابة ستين سنة .

وكان من تلامذة المصلح الصغير تلميذ سار على دربه وحمل دعوته، وهو العالم الجزائرى الحافظ ابن مرزوق الحفيد - من علماء القرن الثامن - الذى كان يشيد بأستاذه، وقد رد على معاصر جزائرى له يدعى قاسم العقبانى التلمساني - كتب رسالة ينتصر فيها لمتصوفة زمانه ... وقد سمي ابن مرزوق رسالته: «النصح الخالص فى الرد على مدعى رتبة الكامل الناقص»... وعقب هذا دارت معركة بين الاتجاهين السلفى والصوفى أرخت لها كتب النوازل (الوقائع) ككتاب: «الدرر المكنونة فى نوازل مازونة»، وفتاوى أحمد بن يحيى الونشريس المجموعة فى ( المعيار) . وقد شارك فى المعركة كثير من الجزائريين منهم ( عبد الرحمن الوغليس ) فقيه بجاية<sup>(١٣)</sup> المشهور، وسعيد العقبانى التلمساني، وعيسى الغبرينى البجائى ابن أحمد الغبرينى صاحب كتاب «عنوان الدراية فىمن عرف من العلماء بالمائة السابعة ببجاية»<sup>(١٤)</sup> .

(١٣) وبجاية: مدينة بالشرق الجزائرى كان لها من ماضى حضارى مزدهر وفيها تعلم ليوناردافنشى وكانت عاصمة الجزائر وورثة القيروان مدة قرن من الزمان .

(١٤) طبع هذا الكتاب طبعين: احدهما: جزائرية والأخرى لبنانية ... وعندى نسخة من الطبعة الجزائرية.

وخلال القرنين التاسع والعاشر للهجرة اتخذت الدعوة السلفية قاعدتها بنواحي بجاية في الشرق الجزائري، وكانت قرية (تامقرة) المنطلق الأساسي للدعوة، إذ كانت هذه القرية تضم منارة علمية جزائرية عالية المكانة، وهي: (معهد يحيى العبدلي)، وفي هذا المعهد نبغ العالم السلفي (أحمد زورق) بعد إقامته الطويلة بين تلمسان (بالمغرب الجزائري) والعاصمة قسنطينة، وما شاهده من شيوع فوضى العقيدة التي أدخلها العوام وركب موجتها المشعوذون من محترفي المتصوفة، وقد ساعد (أحمد زورق) على النجاح استقامته ونزاهته وتضلعه في علوم الحديث والتفسير والفقه، فضلا عن تأثيره في مجموعة من الطلبة الذين حملوا رسالته، على رأسهم ابن علي الخروبي - دفين الجزائر، وهو من أخذوا الدعوة السلفية عن الشيخ أحمد زورق .

وقد ترك «الخروبي» تأثيره على أسرة جزائرية اشتهر معظمها بالسلفية، وهي أسرة الأخضري التي نبغ فيها عالم سلفي جليل هو (عبدالرحمن الأخضري) المتوفى سنة ٩٥٣، والمولود (ببنطيسوس الزاب) بالشمال الغربي الجزائري، وكانت له رسائل في الفلك ككتابه (السراج في الفلك) و (أزهار المطالب في علم الاسطرلاب)، وتربو تأليفه في بقية الفروع على الثلاثين<sup>(١٥)</sup> .

ولكي نعرف قيمة الدعوة السلفية التي قام بأعبائها (عبد الرحمن الأخضري) فإنه يجب أن نتصور حالة الجزائر في ذلك العصر، أي : خلال القرن العاشر الهجري، فإن بجاية (العاصمة الحضارية للجزائر) كانت قد سقطت بيد الأسيان، وبدأت مدن الساحل الشمالي الجزائري كله تتداعى أمام أساطيلهم، كتنس، ووهران، ودلسي وغيرها، وللأسف فإن رجال الصوفية كانوا عوناً للغزاة ولرؤساء الإقطاع الظلمة ، وتسببوا في مزيد من الانهيار .

وقد قام (عبدالرحمن الأخضري) بالتصدي لهم وكشف ضلالهم في عدد من القصائد احداها تسمى (القدسية) وتحتوي على ٣٥٧ بيتا. وفيها يقول عن الصوفية :

(١٥) المهدي البوعبدلي : مرجع سابق ص ٢٥.

قد ادعو مراتبا جليسة  
 قد نبذوا شريعة الرسول  
 لم يدخلوا دائرة الطريقسة  
 لم يقتدوا بسيد الأنسام  
 قد ملكت قلوبهم أوهسام  
 كفاك من جميعهم خيانسة  
 الى أن يقول :  
 من كان في نيل الأمانى راجيىا  
 فإنه ملتبس مفتسون

ثم يتعرض للمتصوف الحقيقى فيصفه بقوله:  
 واعلم بأن الولي الربانى  
 والفرق بين الإفك والصواب  
 والشرع ميزان الأمور كلها  
 والشرع نور الحق منه قد بدأ  
 لتابع السنة والقمران  
 معرف بالسنة والكتساب  
 وشاهد لأصلها وفرعها  
 فانفجرت منه ينباع الهدى

ثم ينتقل الى وصف حالة البلاد اذ ذاك فيقول :  
 هذا زمان كثرت فيه البددع  
 وخسفت شمس الهدى وأفلتت  
 واضطربت عليه أمواج الخددع  
 من بعدها قد بزغت وكملت

وقد حظيت هذه المنظومة بشروح قيمة، أهمها شرح الحسين الورتلاني صاحب  
 الرحلة، لأنه ألقى فيه أضواء على حالة المجتمع الجزائري وأحصى تأثير العادات السيئة  
 التي ألصقت بالدين .

وعلى خطى (الأخضرى) ظهر أعلام آخرون عززوا الاتجاه السلفى وذلك خلال  
 القرنين الحادى عشر والثاني عشر للهجرة، ومنهم الشيخ عبد الكريم بن الفكون  
 القسنطيني المتوفى سنة ١٠٧٣ هـ ، وصاحب كتاب ( منشورات الهداية في كشف حال

من ادعى العلم والولاية، وهو كتاب من أحسن ما ألف في بابه، بل فريد في بابه كما يقول الشيخ البوعبدلي .. وهو يبين هدفه من الكتاب في مقدمته، فيقول: «أما بعد فلما رأيت الزمان بأهله تعثر، وسفائن النجاة من أمواج البدع تتكسر، وسحائب الجهل قد أطلت، وأسواق العلم قد كسدت، فصار الجاهل رئيسا، والعالم في منزلة يدعي من أجلها خسيسا، وصاحب أهل الطريقة قد أصبح وأعلام الزندقة على رأسه لائمة .. وروائح السلب والطرده من المولى فائحة .

وقد ظهرت خلال العصر بعض (المنظومات) التي اقتفت أثر منظومة الأخضري (القدسية) كمنظومة عبد الرحمن بن محمد علي المجاجي، وظهرت بمستغانم منظومة للشيخ محمد بن حواء من علماء القرن الثاني عشر، وقد سماها «سبيكة العقيان فيمن حل بمستغانم وأحوازها من الأعيان» تعرض فيها لتراجم علماء الجزائر، وتكلم عن البدع المنتشرة .

ثم ظهرت رسالة للشيخ / محمد بن عبدالله الجلاي.. كتبها إلى زميله في الدراسة بفاس الشيخ / أحمد التيجاني<sup>(١٦)</sup>.. مؤسس الطريقة التيجانية عندما أبلغه أنه بصدد إنشاء الطريقة التيجانية، فأرسل إليه ينهاه ويحذره من مغبة ذلك، وينصحه بالاعتداء بالسلف الصالح والبعد عن الطريقة.. ولكن ذلك لم يكن له تأثير في الشيخ التيجاني، ومضى في سبيله!!

ونحن نستطيع بعد هذا الذي أوردناه أن نقول: ان ثمة حقيقة مؤكدة هي أن كل هذه الجهود التي بذلت في الجزائر لعودة المسلمين إلى الاسلام الصحيح .. حتى نهاية القرن الثاني عشر للهجرة والتي ألعنا إلى بعضها كانت أشبه بجهود فردية، ولم تصل إلى مستوى (التيار العام) المؤثر، بل ان العكس هو الصحيح، فالتيار العام المؤثر والشائع كان تيار الطريقة الصوفية، والخرافات والبدع، والاستغاثة والتوسل والشفاعة لغير الله، والتعصب المغالى فيه لمذهب الإمام مالك، لدرجة أن المغرب كله يكاد يخلو من المذاهب الأخرى ومن المجتهدين المتصلين اتصالا مباشرا بفقهاء القرآن والسنة .

(١٦) انظر المرجع السابق.

ونتيجة للسيطرة الطاغية التي يتمتع بها الصوفية وغيرهم من المبتدعة، كان أكثر المصلحين الذين ظهروا خلال القرون المنصرمة يميلون إلى لون من (الإصلاح) لا يذهب بهم إلى درجة الصراع المباشر الواضح مع الصوفية، فكان بعضهم يعتمد إلى القول بأنه إنما يريد تنقية الطرق الصوفية وتقويمها، وقد ألف (أحمد زورق) - الذي تحدثنا عنه - كتابا من هذا القبيل مثل (قواعد التصوف) و (أصول الطريقة) و (كتاب البدع) .. كما أن عبد الرحمن الأخضرى نفسه - صاحب المقطوعات الطويلة في تصحيح العقيدة ومقاومة البدع يورد نظما نحس منه وكأنه يستميل الصوفية فيقول:

وقال بعض السادة الصوفية	مقالة جليلة صافية
إذا رأيت رجلا يطير	أفوق ماء البحر قد يسير
ولم يقف عند حدود الشرع	فإنه مستدرج وبدعي

وفي إطار هذا المستوى من الفردية والإصلاح الجزئي المحدود، يجب أن نضع كل المحاولات التي سبقت تيار السلفية العام القوي الذي سيطر على الجزائر ممثلا في جيل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وفيمن سبقه من رواد مهدوا له بعد أن تأثروا بالدعوة الإصلاحية التي قامت في جزيرة العرب .

### دخول حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الجزائر:

مع تلك التخوم التي تفصل بين القرنين الثاني عشر والثالث عشر للهجرة بدأت إشاعات حركة الإصلاح في الجزيرة تنفذ إلى الجزائر عبر منافذ متعددة سوف نتعرض لها بالبحث .

وكان أول من حمل الدعوة إلى الجزائر المؤرخ الجزائري (أبو راس الناصري)<sup>(١٧)</sup> الذي قدر له أن يجتمع بالامام محمد بن عبد الوهاب في موسم الحج، ويذاكره في أمور انتهى بعدها إلى الاقتناع باتجاه حركة الشيخ ابن عبد الوهاب، وكان ذلك بحضور وفد الحجيج المغربي الذي كان يرأسه ولي عهد المغرب آنذاك .

(١٧) الاصاله عدد(٥٣) الشيخ المهدي البوعبدل.



وقد أشاد المؤرخ (أبوراس) بأراء ابن عبد الوهاب عندما دون تفاصيل رحلته للحج بعد عودته إلى الجزائر .

والحق أنه بعد (أبي راس) كان من الممكن أن تنفذ حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى الجزائر في النصف الأول من القرن الثالث عشر للهجرة من طرق أقوى وأفسح مجالاً.. إلا أن تطور الظروف على النحو الذى أدى إلى وقوع الجزائر تحت قبضة الاحتلال الفرنسى سنة ١٢٤٦هـ (١٨٣٠م) حال دون ذلك .

نقول... إنه كان من الممكن حدوث ذلك التأثير لولا هذا الحدث الكئيب، بل إننا لنعتقد أن ذلك كان أمراً توجبه طبيعة الأمور، ولا سيما أن تلك الحركة التجديدية الكبرى التى أصبحت تنتسب إلى ليبيا، وهى الحركة السنوسية، كانت حركة جزائرية الأصل، فإن إمام هذه الحركة السيد/ محمد بن على السنوسى الخطابى إنما هو جزائرى ولد فى بلدة مستغانم بالغرب الجزائرى سنة ١٢٠٢ هـ (١٧٨٧م) ، ولولا أن العثمانيين - من جانب - قد تربصوا به، وراقبوه على امتداد الحواضر المغربية كلها، ثم ظهر الفرنسيون منذ ١٢٤٦ فتربصوا به وبكل حركة تجديد - من جانب آخر - لولا هذا المكان أمراً طبيعياً أن تكون الجزائر هى محضن الحركة السنوسية ولما اضطر السيد السنوسى إلى اللجوء إلى الصحراء وإلى واحة جغبوب من أرض ليبيا.

وان التشابه فى كثير من الأسس بين حركتى الشيخ محمد بن عبد الوهاب والسيد محمد السنوسى لا يحتاج إلى دليل، فالدعوتان - كما يقول الأستاذ العقاد « تتشابهان فى حماسة الدعوات وفى نبذ البدع والخرافات والرجوع بالإسلام إلى الكتاب والسنة، ولكنها تختلفان بعد ذلك فى أمور كثيرة »<sup>(١٨)</sup>.

أما تعرف السيد السنوسى على الدعوة الوهابية فقد تم له حين جاب بعض بلدان

(١٨) الاسلام فى القرن العشرين ص ٨١، طبع نهضة مصر.

العالم الإسلامي كالمغرب ومصر وتونس، وحين ذهب لأداء فريضة الحج<sup>(١٩)</sup>. « حيث بقي مدة يأخذ من أساتذتها الوهابيين »<sup>(٢٠)</sup>.

ومع ذلك فنحن لم نعدم أن نجد في الجزائر - خلال القرن الثالث عشر - بالرغم من كل الظروف التي وقعت تحتها إشاعات سلفية نفذت إما عن طريق الاتصال بمدرسة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في الجزيرة مباشرة، وإما عن طريق تأثير الدعوة السنوسية الجزائرية الأصل والقريبة من الحدود، وإما عن طريق الجامعة الزيتونية التي تعلم فيها كثير من الجزائريين، وقد ظهرت في قسنطينة بالشرق الجزائري - خلال هذا القرن - حملة ضد البدع والخرافات، وكان مركزها (نادى صالح باي) الذي ألقى فيه بعد تأسيسه مباشرة الشيخ (ابن الموهوب) سلسلة محاضرات ضد الخرافات والبدع.

كما ظهر بقسنطينة - أيضاً - العالم السلفي الشهير (صالح بن مهنا) الذي كان قد تخرج من الزيتونة بتونس والأزهر بالقاهرة.. وبعد رجوعه انتصب للتدريس بمدينة قسنطينة وكتب رسالة يهاجم فيها شيوخ الطرق الذين يسميهم الناس (الأشراف) حينما بالغ في تعظيمهم بعض المنحرفين، وسمى رسالته «تنبيه المغترين في الرد على إخوان الشياطين».. ومما جاء في رسالته عن هؤلاء الأشراف « أن من خالف السنة والشرع غير معتبر ولو كان مدعياً للصالح أو الشرف أو العلم.

وان الشريف الفاسق لا يعتبر حتى ولو أنكرد ذلك بعض الأردال ممن قرأ مسألتين، وتعلم باب مسح الحفنين »<sup>(٢١)</sup> !!

وقد أحدث صالح بن مهنا وكتابه ضجة كبيرة، وثار عليه طائفة المتصوفة والدجالين، وألّفوا في الرد عليه الرسائل والكتب وسبوه بقصائد كثيرة.

(١٩) انظر المهديّة مريم المجدلية: الاسلام بين النظرية والتطبيق ص ١٠٦ مكتبة الفلاح بالكويت ومحمد السلطان: رشيد رضا ٦٦ (ماجستير) بكلية العلوم الاجماعية.

(٢٠) ستودارد: حاضر العالم الاسلامي ٢٥٩/١، وانظر كمال جمعة: انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

٢١٦

(٢١) البوعبدلي مرجع سابق ٣١.

## طريق الجزائر إلى الإسلام الصحيح

وفي سنة ١٢٦٤ هـ (١٨٤٧م) استسلم الأمير عبدالقادر الجزائري بعد مقاومة للاحتلال الفرنسي استمرت سبعة عشر عاما، ضرب فيها أروع أمثلة البطولة الإسلامية التي أعادت ذكرى بطولات المسلمين الأول من فاتحي افريقية والمغرب، وتحمل فيها من المشاق ما نوه به المؤرخون الفرنسيون أنفسهم.

وباستسلام الأمير عبدالقادر فرضت فرنسا أبشع إجراءات الاضطهاد وأقسى أنواع الملاحقة للإسلام الصحيح واللغة العربية، وبذلت جهوداً كبيرة في سبيل طمس معالم الحضارة الإسلامية في الجزائر، سواء بواسطة المبشرين النصارى أو بواسطة اجراءات (الفرسة) التي ترمى إلى إزالة كل ما هو إسلامي وعربي.

وفي الوقت نفسه سلطت فرنسا على الجزائر المسلمة قوافل (المتصوفة) ينشرون البدع والخرافات ويحاربون كل بادرة وعى إسلامي صحيح !!

وقد زاد الطين بلة أنه خلال السنوات الأخيرة من هذا القرن احتلت فرنسا تونس سنة (١٢٩٩هـ) واحتلت إيطاليا ليبيا في العقد الثالث من القرن التالي !!

ولقد بدأ من خلال هذه الأسوار العالية المحكمة أن إسلامية الجزائر وعرويتها في محنة شديدة، وكان يخيل لبعض المؤرخين أن تاريخ الجزائر سيتجه الى الفرنسية والتغريب أكثر من اتجاهه إلى الاسلام والتعريب. أما الفرنسيون فكانوا يعتبرون الجزائر (ولاية) فرنسية إلى الأبد !!

لكن الحقيقة أن هناك منافذ مضادة، إذ لم يكن المؤرخ العجل قادرا على إبصارها، فان الباحث الحضارى كان باستطاعته أن يلمسها وأن يحس بأثارها الهادئة البطيئة والحاسمة في الوقت نفسه!!

إنها منافذ تتصل بطبيعة الحضارة الاسلامية نفسها في الدرجة الأولى.

فإن فرنسا على كثرة ما اتخذت من إجراءات - لم تستطع أن تلغى - كل الإلغاء  
- أداء المسلم الجزائري لركن من أركان دينه وهو الركن الخامس من أركان الاسلام  
« الحج ».

ولما كانت حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب بقوتها وريادتها ونفائها قد نشأت في  
البلد الذي تؤدي فيه شعيرة الحج، فقد أدى هذا الارتباط دوراً كبيراً في نشر الدعوة على  
امتداد العالم الاسلامي كله.

فمن طريق «الحج»<sup>(٢٢)</sup> انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في الهند والبنجال  
بواسطة السيد أحمد شهيد بريلى وزميله الشهيد اسماعيل، والحاج شريعة الله البنجالى،  
ونزار علي.

وعن طريق الحج انتشرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في جاوة وأندونيسيا  
بواسطة الزعيم (توانكونان رنتجة) والحاج مسكين) و (البدري).

وعن طريق الحج انتشرت الدعوة في افريقيا على يد الشيخ عثمان بن فودي.

وقد أوجز أحد الكتاب المعاصرين التأثير العام للحج في نشر دعوة الشيخ محمد بن  
عبد الوهاب الاصلاحية، فقال:

« انتشرت دعوة الشيخ في خارج نجد من أجل استيلاء الدولة السعودية على مكة  
المكرمة سنة ١٢١٨، وأصبح حجاج البلاد الاسلامية يفتدون إلى مكة المكرمة ويشاهدون  
علماء هذه الدعوة الحققة، ويستمعون خطبهم ومواعظهم وإرشاداتهم السديدة وتوجيهاتهم  
القيمة.. فتأثر بعض الحجاج بدعوة الشيخ فأخذ ينشر في بلاده التوحيد ويحارب

(٢٢) انظر محمد كمال جمعة: انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب خارج الجزيرة ٧٣، ٨٠، ٨٤، ٩٠، ٩٤، ٩٩،  
١٠٦ وغيرها.

الخرافات الشائعة في بلاده، فانتقلت - بهذا - مبادئ الدعوة الى السودان والهند وسومطرة والعراق والشام ومصر والجزائر وجاوة وعمان وفارس» (٢٣).

وهكذا فان طريق الحج كان واحدا من أهم الطرق التي عبرت من خلالها دعوة الشيخ إلى الجزائر، متخطبة تلك الأسوار القوية التي أقامها الاستعمار الفرنسي!

والطريق الثاني الذي اخترقت به الدعوة هذه الأسوار هو (طريق معنوي) لم يستطع الاستعمار الفرنسي أن يفهمه لأنه لا يستطيع بتركيبه المادى الغربى أن يفهم بناء الاسلام ولا طبيعته الروحية.

إننا نستطيع أن نطلق على هذا (الطريق المعنوي) مصطلحات متعددة، وكلها صالحة للتعبير عن حقيقته.. انه (الشعور الاسلامى الواحد) أو هو (الأخوة الاسلامية) أو هو (الروح الاسلامية).. فالمسلمون على العكس من كل أتباع الأديان الأخرى تنظيهم مشاعر واحدة، حتى ولو فرقت بينهم أهواء الساسة، وأن المسلم ليتألم ويفرح لكل ما يصيب أخاه المسلم، مهما كان بعيدا عنه.. وهم يتبادلون التأثير والتأثر كما تنتشر الموجات الكهربائية.

وقد أشار إلى هذه الحقيقة - بطريقة غير مباشرة - (السير توماس أرنولد) فيما يتعلق بتأثير حركة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في العالم الاسلامى كله فاعتبرها أول (عاملين) يؤثران في انتعاش الحياة الاسلامية في العصر الحديث « فان تأثيرها الدينى ملموس في كافة أنحاء افريقيا والهند والملايو الى الوقت الحاضر، وان ما أثارته هذه الحركة من حماسة متقدة، وما سكبته في النظم الدينية القائمة من حياة جديدة، وما بنته في الدراسة الدينية النظرية وتنظيم الشعائر المنسكية من روح دافعة.. إن ذلك كله قد عمل على إيقاظ روح الاسلام الفطرية» (٢٤).

أما ثانى العاملين الذين ذكرهما (أرنولد) في مجال انبعاث النهضة الاسلامية

(٢٣) أحمد بن حجر أبو طامى والشيخ محمد بن عبد الوهاب ٧٩ .

(٢٤) الدعوة إلى الاسلام ٤٦٨ ص ٣١ طبع نهضة مصر.

الحديثة، فهو (عامل) يقول عنه إنه من نوع يختلف عن هذه الحركة جد الاختلاف، وهو (عامل حركة الوحدة الاسلامية التي تسعى الى ربط جميع شعوب العالم الاسلامى برباط مشترك من المودة والتعاطف)<sup>(٢٥)</sup>.

وبالطبع فان (أرنولد) - كسائر الأوروبيين - لم يستطع أن يدرك أنه لا خلاف بين العاملين، بل إن العاملين يكمل أحدهما الآخر، فالشعور الإسلامى الواحد هو أقوى جسر تعبر عليه كل موجات الإصلاح الاسلامى الحقيقى، وعليه عبرت دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية الى بلدان العالم الاسلامى واخرقت أسوار الاستعمار النصرانى!

أما الطريق الثالث فهو طريق يتصل بالطريق السابق، وإن كان أكثر مباشرة ووضوحاً.

فبينما كانت الجزائر محاطة بسور الاستعمار الفرنسى ارتفعت فى العالم الإسلامى دعوة أطلق عليها بعضهم اسم (الوهابية الجديدة) كما أطلق عليها - أيضاً - دعوة «الجامعة الاسلامية».. مما يدل على الترابط بين الدعوتين، وكان قائد هذه الدعوة هو السيد جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤ هـ) أحد المتأثرين بالشيخ محمد بن عبد الوهاب عن طريق أدائه فريضة الحج سنة ١٢١٣ هـ وعن طريق مجيئه الى الهند وساعه عن أثر الوهابيين، ولذلك اتهم من قبل أعدائه بأنه وهابى، بل روى أنه هم بالسفر الى نجد لقيادة الحركة الوهابية<sup>(٢٦)</sup> عن كذب. ويقول (جب): ان جهود جمال الدين كانت لها نتائج متينة راسخة.. إذ نشرت فى كافة أرجاء البلاد الإسلامية المبدأ الوهابى القائل بضرورة التعلق بالصفاء المذهبى وإعادة تأكيد المذهب السننى القرآنى<sup>(٢٧)</sup>.

وكان لجمال الدين الأفغانى تلميذان، وضحت فيهما دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب أكثر منه وكانا واسطتها الى الجزائر خاصة - على نحو لم يستطعه هو أو لم

(٢٥) المكان السابق.

(٢٦) العقاد الاسلام فى القرن العشرين ٨٩.

(٢٧) نقلا عن: محمد سلمان: رشيد رضا (مخطوط) ١٤٣.

يسع اليه وهما: الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣هـ)، والشيخ محمد رشيد رضا (١٢٨٢ - ١٣٥٤هـ) - وقد استطاعت هذه المدرسة (الأفغانية) أو مدرسة (العروة الوثقى) كما أطلق عليها بعضهم.. أن تحمل دعوة الإصلاح السلفي إلى الجزائر والعالم الاسلامي في وقت خلت فيه الساحة من المصلحين الأقوياء.

وقد كانت مجلة العروة الوثقى.. ثم مجلة المنار - من أكبر المجلات المدافعة عن اتجاه العودة الى الاسلام الصحيح. وقد أتيح لهاتين المجلتين من الانتشار ما لم يتح لغيرهما، وكان الزود عن حياض دعوة الشيخ ابن عبد الوهاب واضحاً فيهما، ولا سيما في المنار<sup>(٢٨)</sup> التي استطاعت أن تدخل الى الجزائر وإلى بقية بلدان الشمال الأفريقي، منذ سنتها الأولى حتى أنه في سنتها الخامسة ذكر أحد القراء في تونس أن العدد الواحد من مجلة المنار يدار على عشرات الناس في البيوت<sup>(٢٩)</sup>.

ولعل أكبر دليل على حسن انتشار المنار في بلاد شمال افريقية أن الشيخ محمد عبده حينما قام بزيارة الى تونس والجزائر عام ١٣٢١ هـ (١٩٠٣م) شاهد هناك الأثر الكبير الذي أحدثته مدرسة المنار ممثلة في مجلتها، وتأثير ذلك في نشر الأفكار الإصلاحية<sup>(٣٠)</sup>.

وهكذا، فعن طريق هذه المعابر الحضارية الاسلامية، تحطمت أسوار الاستعمار الفرنسي الرهيبة، وظهرت حركة (إسلامية صحيحة) شقت طريقها وسط كل الظلمات والعقبات حتى أصبحت التيار العام المسيطر والمؤثر.

### بوادر النهضة الإصلاحية الحديثة بالجزائر:

لم تنشأ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بهذه المبادئ الواضحة والقوية في عام واحد. وهو العام الذي احتفل فيه الاستعمار الفرنسي بمرور قرن على احتلاله للجزائر سنة (١٩٣٠م) احتفالاً أساء إلى الشعور الإسلامي، كما يذهب إلى ذلك بعض المؤرخين !!

(٢٨) انظر السلطان: رشيد رضا (١٩٠) وما بعدها.

(٢٩) المرجع السابق ٣٦٧.

(٣٠) السابق ٣٦٨.

فالحق أن إساءات الفرنسيين للشعور الإسلامي كانت تتكرر في كل يوم من أيام احتلالهم للجزائر، كما أنه ليس من طبيعة الأشياء أن بلدا يعيش في ظروف الجزائر تظهر فيه الدعوات المنظمة الواضحة المبادئ والأهداف طفرة وبدون اعداد جيد لخمائر الوثبة المنسودة .

ومن هنا يبدو صدق ما ذهبنا إليه من أهمية تأثير المعابر القوية الثلاثة السابقة، كما يدل على ذلك - أيضا - بوادر النهضة الاصلاحية التي ظهرت بشكل فردي - خلال هذه الفترة الصعبة - قبل بروز جمعية العلماء الجزائريين .

كان الشيخ (عبدالقادر البجاوي) (١٨٤٨-١٩١٣م) -١٢٦٥-١٣٣٢هـ - في طليعة هؤلاء الذين ظهوروا خلال هذه الفترة متفاعلين مع قضية الاصلاح الاسلامي - كأساس لتحرير الجزائر من الاستعمار - ويطلق صديقتنا الدكتور (تركي رابح)<sup>(٢١)</sup> على (البجاوي) عبارة (دائرة معارف) لكثرة تحصيله، وغزارة علمه، وتنوع معارفه، ومشاركته في كل فن بطرف<sup>(٢٢)</sup> .

وقد عاش البجاوي للعلم والتعليم، فتخرج عليه عدد هام من العلماء الجزائريين كان من بينهم الشيخ (حمدان الوئيس) الأستاذ الأول للشيخ عبد الحميد بن باديس، ورئيس جمعية العلماء.

وقد ترك «البجاوي» عدة مؤلفات سلفية منها شرح «منظومة اللمع في انكار البدع» نظمها تلميذه السلفي المولود بن الموهوب، وحمل فيها حملة شعواء على البدع والطرقية. ومن هؤلاء الشيخ أبو القاسم الحفناوي الشاعر والمؤرخ، وكان كاتباً بليغاً وباحثاً مدققاً، مشتغلاً بالتعليم والتأليف إلى أن مات .

(٢١) أخطأ الأستاذ محمد كمال جمعة صاحب انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فأطلق عليه اسم (تركي براع) ص ٢٤٤ والصحيح ما ذكرناه، وهو أستاذ بكلية الآداب جامعة الجزائر.

(٢٢) عبد الحميد بن باديس: فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ص ١٠٦ نشر الشركة الوطنية بالجزائر.



ومنهم الشيخ مصطفى بن الخوجة (١٨٦٥-١٩١٥م) ١٢٨٢-١٣٣٤هـ - وهو من خيرة أتباع الشيخ محمد عبده، وعلى رأس مدرسته في الجزائر، وقد ألف كتابا عن حقوق المرأة في الإسلام أسماه «الاكتراث في حقوق الإناث»<sup>(٣٣)</sup>.

ومن أبرز هؤلاء «عمر بن قدور الجزائري» الذي لقب برائد الدعوة إلى التضامن الاسلامي - على الرغم من أسوار الاستعمار الفرنسي - وتوفي سنة (١٩١٥م) (١٣٣٤هـ) بعد حياة طويلة حافلة بالجهاد والشجاعة. وكانت له مقالات كثيرة نشرها في داخل البلاد وخارجها، ونشر بعضها في الآستانة جريدة الحضارة، وبعضها في اللواء والمؤيد بالقاهرة. وقد دعا إلى مشروع أطلق عليه اسم «جماعة التعارف الإسلامي» ليكون نواة لتحقيق تضامن الأمة الإسلامية. وكانت لعمر بن قدور نظرات سديدة تدور في فلك المدرسة الإصلاحية، فقد كان يرى أن الجهل - أولا - وتسلط أجنبي - ثانيا - هما سبب ما أصاب الأمة الإسلامية من ويلات، وعنهما نشأ فريقان ابتليت بهما الأمة: فريق جامد متحجر وهم العلماء الجامدون الذين قيدوا الفكر الإسلامي عن الاجتهاد والانطلاق، وغلوا المسلمين في سلاسل الخرافات والبدع، وألقوا بهم عند أعتاب الأولياء جثثا لا حراك بها يقعدهم عن العمل التوكل والزعم بالتسليم بالقضاء والقدر، أما الفريق الثاني: فهو فريق الشباب المتفرنج المؤمن بالحضارة الأوروبية<sup>(٣٤)</sup>.

ومن هؤلاء المصلحين الذين مهدوا لظهور تيار جمعية العلماء - الأستاذ محمد بن أبي شنب - ١٢٨٦-١٣٤٨هـ (١٨٦٩ - ١٩٢٩م)، وهو من أهم الشخصيات المثقفة، المؤمنة بإسلامها الساعية إلى التمسك به، وبالحفاظ على اللغة العربية.. وقد ظل يعمل في إطار بعث الثقافة الإسلامية الصحيحة ونشر اللغة العربية قرابة نصف قرن .

ومن أبرز زعماء هذه المرحلة الشيخ عبدالحليم بن سماية ١٢٨٣-١٣٥٣هـ (١٨٦٦-١٩٣٣م) ويقول عنه الدكتور (رابح) إنه من العلماء القلائل الذين نشروا الفكرة السلفية في الجزائر، وكان يدرس (رسالة التوحيد) للشيخ محمد عبده .

(٣٣) المرجع السابق ١٠٧، ١٠٨.

(٣٤) د. محمد نصر. عمر بن قدور: رائد الدعوة للتضامن الاسلامي: الأصالة ٥٨.

وقد ذكره الشيخ رشيد رضا في كتابه «تاريخ الإمام محمد عبده» على أنه ممن اجتمع بهم الإمام محمد عبده عند زيارته للجزائر سنة ١٩٠٣م<sup>(٣٥)</sup>. كما يتحدث عنه المؤرخ الجزائري المعاصر (عبدالرحمن الجيلالي) فيقول: إنه كان أول من أسرع إلى استقبال الشيخ محمد عبده، وملازمته ليلا ونهارا، ومدحه بقصيدة نشر بعضها في مجلة المنار في عددها الصادر يوم ٦ ذى القعدة ١٣٢١هـ وقدم لها صاحب المنار بقوله: «إنها قصيدة عالم جزائري: بل أشهر علماء الجزائر مدح بها الأستاذ الامام وأرسلها إليه في القاهرة .. فسرنا منها أنها آية من آيات صلة علماء الإسلام بعضهم ببعض في الأقطار المتباعدة»<sup>(٣٦)</sup>.

كذلك ينبغي أن نشير إلى المرحوم (عمر راسم) ونشاطه الإصلاحى فقد كان هو الآخر متأثرا بالشيخ محمد عبده والمدرسة السلفية»<sup>(٣٧)</sup>.

ولا شك أن هناك كثيرين غير هؤلاء، قاموا بدور كبير خلال هذه الفترة، حتى إذا ما جاءت سنة ١٩٣٠م - التى مثلت حدثا غير عادى بالنسبة لشعب مسلم مقهور - محروم عن التعبير عن ذاته المسلمة ولسانه العربى منذ قرن كامل .. حتى إذا ما جاءت هذه السنة، ووقف الحاكم الفرنسى «ينعى الى الحضارة إسلام الجزائر إلى الأبد» دون اكتراث بمشاعر الجزائريين... قام المصلحون السلفيون يتحدثونه ، ويقول امامهم ابن باديس:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب  
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب

وظهرت فى ساحة الجهاد - جمعية العلماء الجزائريين، تحارب الخرافات والبدع وتجمع الجزائريين على الإسلام الصحيح... لأنه - وحده - الطريق الصحيح.

(٣٥) د. تركى رايح: مرجع سابق ١٠٨.

(٣٦) انظر: الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبدالحليم بن سهايد عدد ١٣ من الأصاله الجزائرية.

(٣٧) تركى رايح: الأصاله عدد ٢٤ ربيع الأول ١٣٩٥هـ.

## مؤسس جمعية العلماء والسلفية:

لكن السؤال الذي يفرض نفسه - عند هذه النقطة - على الرغم من كل التأثيرات العامة والأساسية التي ذكرناها - هو كيف وصلت السلفية الإصلاحية التي قامت حركتها الأخيرة على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب إلى مؤسس جمعية العلماء الجزائريين. هؤلاء الذين قادوا الجمعية ووجهوها إلى ما آمنوا به. والحقيقة أن كثيرا من تلامذة جمعية العلماء الجزائريين يسجلون انتماء الشيخ ابن باديس إلى مدرسة الامام محمد بن عبد الوهاب بشيء من التلقائية، وكأنه أمر مقرر لا جدال فيه<sup>(٣٨)</sup>. والأمر نفسه بالنسبة للمؤرخين الأوروبيين<sup>(٣٩)</sup>.

لكننا مع ذلك نؤثر تتبع وصول السلفية الى الجمعية وروادها عبر جداولها الخاصة إلى جانب الروافد العامة التي تحدثنا عنها .

والمعروف أن الشيخ عبد الحميد بن باديس قد تأثر أول ما تأثر بالفكرة السلفية عن طريق أساتذته في جامع الزيتونة بتونس وذلك بعد سفره إلى تونس سنة ١٩٠٨م (١٣٢٦هـ) لإتمام دراسته في جامع الزيتونة .

وأبرز من أخذ عنهم الفكرة السلفية من أساتذة الزيتونة بتونس اثنان هما: الشيخ محمد النخلى القيرواني المتوفي سنة ١٩٢٤، والشيخ محمد الطاهر بن عاشور. وقد أشار ابن باديس نفسه إلى تأثير هذين الشخصين عليه في مقال كتبه في جريدة البصائر في عام ١٩٣٦ فقال:

«عرفت الأستاذ الطاهر بن عاشور في جامع الزيتونة. وهو ثاني الرجلين اللذين يشار إليهما بالرسوخ في العلم، والتحقيق في النظر، والسمو والاتساع في التفكير، أولهما:

(٣٨) انظر كتابات د. عمار طالبي (ابن باديس: حياته وراثته)، وكتاب الدكتور/تركي رابع عن عبد الحميد ابن باديس، وغيرها.

(٣٩) راجع نقولنا السابقة من ستودارد، وأرنولد.

العلامة الأستاذ محمد النخلي القيرواني - رحمه الله - وثانيهما: الأستاذ شيخنا الطاهر بن عاشور، وكان كما يشار إليها بالصفات التي ذكرناها يشار إليها بالضلال والبدعة، وما هو أكثر من ذلك لأنها كانا يجبدان آراء الأستاذ محمد عبده في الإصلاح، ويناضلان عنها ويبتانها فيمن يقرأ عليها، وكان هذا مما استطاع به الوسط الزيتوني أن يصرفني عنها. وما تخلصت من تلك البيئة الجامدة، واتصلت بهما حتى حصلت على شهادة «العالمية»، ووجدت لنفسى الأختيار فاتصلت بهما عامين كاملين كان لهما في حياتي العلمية أعظم الأثر. على أن الأستاذ ابن عاشور اتصلت به قبل نيل الشهادة بسنة فكان ذلك تمهيدا لاتصالي الوثيق بالأستاذ النخلي»<sup>(٤٠)</sup>.

أما الرافد السلفي الثاني الذي أثر في مؤسس جمعية العلماء فيتمثل في تلك السفارة الطويلة إلى المشرق العربي، والتي أدى فيها «فريضة الحج»، واجتمع خلالها بعدد كبير من رجالات الفكر والإصلاح في العالم العربي من بينهم الشيخ حمدان الوئيس، شيخه السابق، والشيخ حسين الهندي العالم السلفي المجاور الذي نصحه بوجود العودة إلى الجزائر لاحتياجها الشديد إلى علمه وفكره، والشيخ (البشير الابراهيمي) الذي تعرف عليه ابن باديس لأول مرة في حياته في المدينة المنورة حيث كان قد هاجر إليها في حدود عام ١٩١٠م (١٣٢٨هـ)، ومنذ ذلك الحين ارتبطا بصداقة متينة كانت خيرا وبركة على الجزائر والحركة الإصلاحية السلفية التي برزت فيما بعد في حركة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين<sup>(٤١)</sup>. أى أنه هنا في قاعدة السلفية الأولى في العصر الحديث - في المدينة المنورة - ثم عقد النية والاتفاق على إقامة الحركة الإصلاحية السلفية في الجزائر بين مؤسسيها البشير الابراهيمي، وابن باديس .

### مبادئ السلفية وركائز جمعية العلماء:

لعله من الحقائق المقررة أن التشابه - بل الاتفاق - في الأسس والمبادئ بين حركتين من حركات البعث والإحياء - إنما يقوم دليلا قويا على تأثر اللاحقة بال سابقة.

(٤٠) البصائر عدد (١٦) السنة الأولى.

(٤١) د. تركى رابع: الأصالة ٢٤..

وقد ذكرنا في صدر بحثنا خلاصة ركائز دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب لهذا الغرض.

وفي هذا المقام نورد أهم الركائز التي قامت عليها الحركة الإصلاحية الجزائرية التي عرفت باسم جمعية العلماء، والتي كان لها الفضل في تحرير الجزائر من الفرنسيين وعودتها إلى الإسلام واللغة العربية.

ومن دراستنا لجمعية العلماء فكراً وعملاً - كما تدل على ذلك مصادرها - نستطيع أن نلخص الركائز التي قامت عليها في النقاط التالية:

### أولاً: إصلاح عقيدة الجزائريين :

فقد كانت جمعية العلماء تركز عملها بصفة عامة على مقاومة الخرافات والبدع التي شوهدت عقيدة المسلمين<sup>(٤٢)</sup>، وتطهير عقيدتهم من مظاهر الشرك، سواء العلني منها أو الخفي.

وقد كان لإمام جمعية العلماء الشيخ ابن باديس دروس يملئها على تلامذته في (جامع قسنطينة) تحت عنوان «العقائد الإسلامية»، وكان يتبع في الاستدلال على وجود الله ووحدانته وصفاته منهج القرآن الكريم في الاستدلال لا منهج علماء الكلام المتأثرين بالأساليب الفلسفية والإغريقية العقلية، أو أساليب الفقهاء الذين يستدلون بكلام أئمتهم أو قدماء أتباعهم بدل الاستدلال بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم<sup>(٤٣)</sup>.

وقد نشرت أجزاء من تلك الدروس بعد وفاة ابن باديس تحت عنوان «العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية» وهي تعطينا صورة واضحة عن طريقة جمعية العلماء في إصلاح العقيدة على النهج السلفي وابن باديس يصف طريقته تلك بأنها «الطريقة المثلى في الاستدلال على وجود الله وصفاته». فما يرجع إلى الغيبيات لا يكون إلا بالقرآن لأن المؤمن إذا استند في توحيد الله وإثبات ما يشبه له ونفى ما انتفى عنه لا يكون إلا بأية قرآنية محكمة<sup>(٤٤)</sup>.

(٤٢) انظر كتاب: الشيخ عبد الحميد بن باديس: فلسفته وجهوده في التربية والتعليم ٢٧٢/٢٧٣. د. رابع تركي.

(٤٣) السابق ص ١٩٩، ٢٠٠.

(٤٤) انظر مقدمة العقائد الإسلامية للشيخ ابن باديس جمع ونشر محمد صالح رمضان.

ويعلق أحد الكتاب الجزائريين على منهج ابن باديس في إصلاح عقيدة الجزائريين فيكشف النقاب عن حقيقة تأثره فيها بطريقة الشيخ محمد بن عبدالوهاب يقول :

« هناك ملاحظة ينبغي الإشارة إليها قبل المضي في بيان ملامح فلسفة ابن باديس، وهي أن الإمام عبدالحميد بن باديس عالم مسلم يعمل في الدائرة الإسلامية.. وهو كذلك مصلح سائر على نهج المصلحين السلفيين من أتباع المدرسة الإصلاحية السلفية التي ظهرت في الشرق الإسلامي في القرن الثامن عشر للميلاد (الثاني عشر للهجرة)، وكانت تنادي بضرورة العودة بالاسلام إلى منابعه الأولى، وهو الكتاب والسنة، بعيداً عن بدع المبتدعين، وخرافات المنحرفين»<sup>(٤٥)</sup>.

وفي رأى ابن باديس - وهو رأى الامام بن عبدالوهاب - أن العقائد السليمة هي قاعدة الإصلاح في المجتمع، وهو ينادى بأن حالة التدهور العام التي وصل إليها المسلمون في القرون الأخيرة إنما تعود إلى تدهور العقيدة لدى الفرد المسلم وتطرق الشرك الخفى إليها، وهو يعتبر ذلك « قاعدة الإصلاح » ويقول: « فلنبداً من الإيمان بتطهير عقائدنا من الشرك وأخلاقنا من الفساد وأعمالنا من المخالفات »<sup>(٤٦)</sup>.

ثانياً : مقاومة الصوفية والمبتدعة :

ترتبط مقاومة الصوفية والمبتدعة بإصلاح العقيدة ارتباطاً وثيقاً ، هكذا كان المنهج بالنسبة لحركة الامام ابن عبدالوهاب أو بالنسبة لحركة جمعية العلماء الجزائريين.

فما نكب الأمة في عقيدتها التي هي مبعث تميزها وفخرها على الملل الأخرى إلا هؤلاء المتصوفة وإخوانهم من سائر المبتدعة.

وكما كان هؤلاء الصوفية والمبتدعة موقف مشين من دعوة الامام محمد بن عبدالوهاب كان لهم - كذلك - الموقف نفسه من جمعية العلماء الجزائريين .. بل انهم ارتكبوا في الجزائر خيانة عظيمة أخرى - بعد خيانتهم لله - هي أنهم والوا فرنسا ووقفوا

(٤٥) د. تركي رابع: مرجع سابق ص ٢٠٠.

(٤٦) انظر المرجع السابق ص ١٢٣ (نقلا عنه).

معها ضد المسلمين الجزائريين دعاة الاصلاح والتحرير. فلا بدع أن تأخذ مقاومة هؤلاء قدرا كبيرا من جهود جمعية العلماء، وأن تصبح المعركة معهم سافرة واضحة وضوح المعركة مع المستعمر الفرنسي - ويرى الشيخ (محمد البشير الإبراهيمي) الرائد الثاني لجمعية العلماء ورئيسها بعد ابن باديس - أن مقاومة البدعية والصوفية ورجال الدين الرسميين المنافقين هو « أول يد بيضاء أسدتها الجمعية للجزائر حين قامت بتحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال، فإن تحرير النفوس والعقول هو الأساس لتحرير الأبدان وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا.. وبذلك التحرير العقلي الذي أساسه - توحيد الله - تمكنت الجمعية من توحيد الميول المختلفة والمشارب المتباذلة والنزعات المتضاربة، وبذلك التحرير أيقظت الأمة قوة التمييز بين الصالح من الرجال والصحيح من المبادئ، وبين الصالح والزائف منها، وبذلك التحرير أراحت الأمة من أصنام كانت تتعبد لها باسم الدين أو باسم السياسة » (٤٧).

ويكشف « الإبراهيمي » حقيقة بعض المنافقين والمبتدعة الذين تستخدمهم فرنسا لأغراضها بأسلوب يذكرنا بأسلوب الامام محمد بن عبد الوهاب.. فيقول: « في أيام الحملة الكبرى على الحكومة (الفرنسية) ظهر (هؤلاء) بمظهر مناقض للدين، فكشفوا الستر عن حقيقتهم المستورة، ووقفوا في صف الحكومة مؤيدين لها، خاذلين لدينهم وللمدافعين عن حريته، مطالبين بتأييد استعباده، عاملين بكل جهدهم على بقائه بيد حكومة مسيحية تخزبه بأيديهم، وتشوه حقائقه بألسنتهم، وتلوث محاربه ومنابره بضاللتهم.

وقسم أحكامه بقتاويهم، وقد أخذوا في الزمن الأخير ببعض مظاهر العصر، وتسلبوا ببعض أسلحتهم بإملاء من الحكومة للدفاع عن الباطل، فكونوا جمعية، وأنشأوا مجلة، وجهزوا كتيبة من الكتاب يقودها أعمى - خذلانا من الله ليشارك عاقلهم وسفيههم في هذه المخزيات، وبحكم العضوية في الجمعية، والاشتراف في المجلة، بعد ما كانوا يعملون فرادى، فيمتاز البرى منهم عن المجرم، ولو في دائرته الضيقة ومن أهله وجيرانه..

(٤٧) البشير الإبراهيمي: عيون البصائر ج ١ ص ٢٦، ص ٢٧ نشر دار المعارف - القاهرة.

دافعناهم - عندما ظهروا بذلك المظهر - بالحق فركبوا رؤوسهم، فتسامحنا قليلا إبقاء على حرمة «المحراب والمنبر» التي انتهكوها، فشددوا إبقاء على حرمة الخبزة، فكشفنا عن بعض الحقائق المستورة فلجوا وخاضوا، وثاروا وخاروا، فلما عتوا عن أمر ربهم رميناهم بالآبدة.. وهى أن الصلاة خلفهم باطلة، لأن إمامتهم باطلة.. لأنهم جواسيس»<sup>(٤٨)</sup>!!

ولم يكن الإمام عبد الحميد بن باديس - رحمه الله - أقل حربا للصوفية والمبتدعة من الشيخ الابراهيمى، بل كان - رحمه الله - يتهمهم بإفساد الاسلام، وأنهم قد أخذوا أنفسهم بنسك الأعاجم، واخترعوا أعمالا وأوضاعا من عند أنفسهم، وظنوا أنهم يتقربون بها إلى الله زلفى على غرار المشركين قبل البعثة النبوية<sup>(٤٩)</sup>.

يقول ابن باديس : « وكما اخترع طوائف من المسلمين الرقص والزمر والطواف حول القبور والنذر لها والذبح عندها ونداء أصحابها وتقجيل أحجارها، ونصب التوابيت عليها وحرق البخور عندها وصب العطور عليها، فكل هذه الاختراعات فاسدة فى نفسها لأنها ليست من سعى الآخرة الذى كان محمد صلى الله عليه وسلم يسعاه وأصحابه من بعده، فساعيتها موزور غير مشكور» كما يتهم رجال الطرق الصوفية بأنهم ادعوا لأنفسهم نوعا من الربوبية حينما زعموا للعامة الساذجة بأنهم قادرون على المنح والعتاء، كما أنهم قادرون على المنع والحرم، وذلك بقصد استغلالهم وابتزاز أموالهم وصرفهم عن مكافحة الاستعمار الذى يحتل وطنهم الى التمسح بأعتاب رجال الطرق الصوفية<sup>(٥٠)</sup> الذين ابتليت بهم الجزائر فى هذه الحقبة من أحقابها الطويلة.

### ثالثا : الرجوع إلى القرآن والسنة :

يقول ابن باديس: إن دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام ما كانت الا للقرآن وبالقرآن، وأن أئمة الهدى أنفسهم كانوا يدعون لاتباع الكتاب والسنة فهم دعاة اتباع لا

(٤٨) عيون البصائر ١/١٩٨.

(٤٩) د. تركى رابع: مرجع سابق ٢١٣.

(٥٠) المكان السابق، وانظر ص ١٨٥ وينظر تفسير الشيخ ابن باديس لآيات (ومن أراد الآخرة...) وآية (فليحذر الذين يخالفون عن أمره.....) وآية (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات.... وغيرها).



ابتداع، وما دعوا إلى (التحزب) لأنفسهم.. كما أن الرسول عليه الصلاة والسلام دعانا إلى اتباع سبيله في القيام بالشرائع في حياتنا العامة والخاصة، وتلك هي سنته التي كان عليها أهل القرن الأول والثاني والثالث، تلك القرون المشهود لها بالخيرية على غيرها بلسان المعصوم عليه الصلاة والسلام<sup>(٥١)</sup>.

#### رابعاً : تحذير الناس من الأحاديث الموضوعة :

دأب مفكرو جمعية العلماء على تفنيد تلك الأحاديث، والآثار الشائعة المنكرة والموضوعة التي شوهدت جمال الاسلام.

فإن الإمام ابن باديس - رحمه الله - يكاد لا يذكر عبارة السنة الا ويحدها بعبارة « الصحيحة الثابتة » وذلك تحذيراً من كل ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم من الأحاديث الضعيفة والموضوعة ويقول في شرحه للآية:

( إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا )

(الاسراء : ٣٦)

لا يجوز أن نعتمد في إثبات العقائد والأحكام على ما ينسب للنبي صلى الله عليه وسلم من الحديث الضعيف لأنه ليس لنا به علم، فإذا كان الحكم ثابتاً بالحديث الصحيح مثل: قيام الليل ثم وجدنا حديثاً في فضل قيام الليل يذكر ثواباً عليه مما يرغب فيه جاز عند الأكثر أن نذكره مع التنبيه على ضعفه الذي لم يكن شديداً على وجه الترغيب. ولو لم يكن الحكم قد ثبت لما جاز الالتفات إليه وهذا هو معنى قولهم الحديث الضعيف يعمل به في فضائل الأعمال أى: في ذكر فضائلها المرغبة فيها فقط لا في أصل ثبوتها:

فما لم يثبت بالدليل الصحيح في نفسه لا يثبت بما جاء من الحديث الضعيف في ذكر فضائله باتفاق من أهل العلم أجمعين»<sup>(٥٢)</sup>.

(٥١) انظر تفسيره لآية (ويوم يعرض الظالم على يديه).

(٥٢) الأستاذ محمد خليل: نبذة عن حياة الامام ابن باديس: الدعوة السعودية عدد ٦٨٣.

خامسا : محاربة الجمود الفكري الذي نتج عن إقفال باب الاجتهاد وإحياء التفكير الإسلامي.

يقول ابن باديس - رحمه الله - ذاكرا فضل اثنين من أساتذته ومربيه له : «وإني لأذكر للأول - حمدان الوئيس - وصية أوصاني بها وعهدا عهد به إلي. وأذكر أثر ذلك العهد في نفسي ومستقبلي وحياتي وتاريخي كله فأجدني مدينا لهذا الرجل بمنة لا يقوم بها الشكر، فقد أوصاني وشدد على أن لا أقرب الوظيفة ولا أرضاها ما حييت ولا أتخذ علمي مطية لها كما كان يفعل أمثالي في ذلك الوقت، وأذكر للثاني - محمد النخلي - كلمة لا يقل أثرها في ناحيته العلمية عن أثر تلك الوصية في ناحيتي العملية، وذلك أنني كنت متبرما بأساليب المفسرين وإدخالهم لتأويلاتهم الجدلية واصطلاحاتهم المذهبية في كلام الله ضيق الصدر من اختلافهم فيما لا اختلاف فيه من القرآن، وكانت على ذهني بقية غشاوة من التقليد واحترام آراء الرجال حتى في دين الله وكتاب الله، فذاكرت يوما الشيخ النخلي فيما أجده في نفسي من التبرم والقلق فقال لي: ( اجعل ذهنك مصفاة لهذه الأساليب المعقدة وهذه الأقوال المختلفة وهذه الآراء المضطربة. يسقط الساقط ويبقى الصحيح وتستريح )، فوالله لقد فتح الله بهذه الكلمة القليلة عن ذهني أفقا واسعة لا عهد له بها» (٥٣).

سادسا : رفض التوسل والاستغاثة، والاعتماد على النفس في التقرب إلى الله..

فقد كان الشيخ يؤكد في كل دروسه وكتاباته « أنه لا يجوز الاعتماد على غير ما يقوم به الانسان من عمل صالح، ينتفع به في دنياه، ويتقرب به إلى الله في أخراه.. أما ما يتوسل به الجهلة بحقائق الإسلام، أو يضلهم به بعض المشعوذين فلا عبرة به في نظر الإسلام الصحيح» (٥٤).

(٥٣) المكان السابق.

(٥٤) الأستاذ على مرحوم: لمحات من حياة الشيخ ابن باديس: الأصالة ٢٤ والجدير بالذكر أن الأستاذ على مرحوم من تلامذة ابن باديس وأعضاء جمعية العلماء.

تلك هي أهم الركائز التي قامت عليها جمعية العلماء وقد تكون هناك مبادئ أخرى.. لكنها يمكن أن تندرج تحت هذه الركائز، كما أن طريقة عرض الأسس التي قامت عليها دعوة جمعية العلماء الجزائريين، قد تختلف من مفكر لآخر، وكذلك الأمر بالنسبة لدعوة الامام محمد بن عبد الوهاب .. لكن المضمون في نهاية الأمر متفق - تمام الاتفاق - في الحركتين .

وعلى سبيل المثال: فإن أحد المفكرين الجزائريين يذهب إلى أن دعوة الشيخ ابن باديس، التي هي دعوة الجمعية ركزت على ثلاثة أسس:

- ١ - إصلاح عقلية الجزائريين .
- ٢ - إصلاح عقيدة الجزائريين .
- ٣ - إصلاح أخلاق الجزائريين<sup>(٥٥)</sup> .

لكننا عند التحليل العلمي للمضمون: بل عند قراءتنا لتفاصيل هذه الإصلاحات نجدها لا تخرج عما ذكرناه.. وليس الخلاف إلا في أسلوب العرض.

كما أن من الجلي أن هذه الركائز هي - تماما - الركائز نفسها التي قامت عليها حركة الامام محمد بن عبد الوهاب، بل إنني لأرى أن التزام جمعية العلماء بهذه الركائز كان التزاما يقترب من التزام الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ويفضل التزام مدرسة العروة الوثقى، وربما يفضل مدرسة المنار ورشيد رضا أيضا، وليس هنا مجال تفصيل ذلك .

### تشابه في الموضوع والمنهج والأسلوب:

وهناك جانب آخر - إلى جانب الاتفاق في الركائز - يدلنا أيضا على مدى توافق الحركتين، وهو جانب الاتفاق في الكتابة موضوعا ومنهجيا وأسلوبيا.

(٥٥) ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر. د. تركي رابع مجلة الأصالة عدد ٢٤.

ولأن هذا المقام قد لا يتسع لنقل نصوص وفقرات كاملة من كتابات الشيخ ابن عبد الوهاب وكتابات زعماء جمعية العلماء الجزائريين كالشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ محمد البشير الابراهيمي فنحن - إلى جانب الركائز التي ذكرناها والتي توضح الاتفاق التام بين الدعوتين - نشير إلى أنه من دواعي التأكيد على تأثير جمعية العلماء الجزائريين بدعوة الشيخ ابن عبد الوهاب أن كثيرا من كتابات الشيخ ابن باديس والشيخ الابراهيمي تبدو للقارى وكأنها ترجمة أمينة لبعض كتابات الشيخ ابن عبد الوهاب وثلامذته وعلى رأسهم مدرسة العروة الوثقى والمنار.

أما اتفاق الكتابات في الخصائص والسمات، فهي حقيقة لا شك فيها :

فإن القوة والجرأة والروح الإيمانية الواثقة غير الهيابة التي تبدو في كتابات الامام محمد بن عبد الوهاب، ولا سيما في رسائله وخطبه نجدها - كذلك - في كتابات مدرسة جمعية العلماء الجزائريين.

وإن الاعتماد على الدليل القوي المباشر الواضح المستقى من كتاب الله وسنة نبيه وسلوك الأئمة، نجده خاصة تنتظم كتابات الامام ابن عبد الوهاب وجمعية العلماء الجزائريين، ممثلة في رائديها: «عبد الحميد بن باديس» و«البشير الابراهيمي»، بل إن الموضوعات تبدو وكأنها تدور في فلك واحد وتعالج أوضاعا واحدة مع أن الظروف الزمانية كانت مختلفة .

وقد يرد على المخاطر أن «الأعداء» كانوا مختلفين - أيضا - ولا سيما الاستعمار الفرنسى، كان مسيطرا على الجزائر والمتوقع أن تحتل مقاومته درجة الاهتمام الأولى.. لكن الحقيقة أن مدرسة جمعية العلماء لم تقع - إلى حد كبير - في هذا الخطأ الحضارى، بل إنها أدركت أن الاستعمار إنما هو نتيجة وليس العلة أو السبب، وإنما السبب هو ما أصاب كيان المسلم في عقيدته وفكره، والمنهج الصحيح هو علاج «العلة» أولا.. ومن هنا صرفت أكثر جهودها في مقاومة «البدع والخرافات» وفي إحياء دين الأمة ولغتها، دون أن تغفل مقاومة الاستعمار كذلك.

ويضاف إلى هذه الخصائص - سمة أخرى واضحة في كتابات الإمام محمد بن عبد الوهاب، ومدرسة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.. هذه السمة: نستطيع أن نطلق عليها: عدم المداراة أو التكلف، بل المواجهة الصريحة بالألفاظ القوية التي لا تحتمل تأويلاً ولا لبساً.. حتى وإن أغضب ذلك بعض الناس، الذين يريدون المداراة والتحايل منهجاً للعمل الإسلامى.

ونورد فيما يلي بعض نصوص من كتابة الشيخ ابن عبد الوهاب، وكتابة مدرسة جمعية العلماء الجزائريين، لنستدل بمقارنتها على صدق ما استنتجناه من اتفاق بين الحركتين في المنهج والموضوع والأسلوب .

يقول الامام محمد بن عبد الوهاب: « ولست والله الحمد أذهب الى مذهب صوفى أو فقيه أو متكلم أو إمام من الأئمة الذين أعظمهم، بل أدعو إلى الله وحده لا شريك له، وإلى سنة رسوله صلى الله عليه وسلم التى أوصى بها أول أمته وآخرهم (... ) وغير خاف ما أحدث الناس فى دينهم من الحوادث وما خالفوا فيه طريق سلفهم، ووجدت المتأخرين أكثرهم قد غير وبدل<sup>(٥٦)</sup> .

وفى رسالته إلى محمد بن فارس يقول: «اعلم أن من أعظم نواقض الإسلام عشرة: الأول الشرك فى عبادة الله وحده لا شريك له، الثانى: من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة. الثالث: من لم يكفر المشركين أو شك فى كفرهم. الرابع: من اعتقد أن غير هدى النبى صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه. الخامس: من أبغض شيئاً مما جاء به رسول الله. السادس: من استهزأ بشئ من دين الله أو ثوابه أو عقابه. السابع: السحر ومنه الصرف والعطف. الثامن: مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين. التاسع: ومن اعتقد أن بعض الناس لا يجب عليه اتباعه صلى الله عليه وسلم، وأنه يسعه الخروج من شريعته كما وسع الخضر الخروج من شريعة موسى. العاشر: الإعراض عن دين الله لا يتعلمه ولا يعمل به»<sup>(٥٧)</sup>.

(٥٦) من رسالته السابعة والثلاثين: الرسائل الشخصية: القسم الخامس (طبع جامعة الامام) بتصرف.

(٥٧) بتصرف من المرجع السابق (رسالة) ٣٢.

ومن رسالته إلى أهل المغرب... بعد أن ذكر بعض آيات القرآن الآمرة بوجوب اتباع سبيل الله وما أنزل سبحانه... قال:

«إذا عرف هذا فمعلوم ما قد عمدت به البلوى من حوادث الأمور التي أعظمها الاشرار بالله والتوجه إلى الموتى وسؤالهم النصر على الأعداء وقضاء الحاجات وتفريغ الكربات التي لا يقدر عليها إلا رب الأرض والسموات، وكذلك التقرب إليهم بالذبح وذبح القربان والاستغاثة بهم في كشف الشدائد وطلب الفوائد إلى غير ذلك من أنواع العبادة التي لا تصح إلا لله، وصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله كصرف جميعها لأنه سبحانه أغنى الشركاء عن الشرك ولا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً»<sup>(٥٨)</sup>.

ونكتفي بهذه النقول من تراث الامام محمد بن عبدالوهاب محيلين القارئ إلى تراثه الضخم، ونذهب لنقتبس بعض النقول - للمقارنة - من تراث الشيخ عبدالحميد بن باديس إمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

يقول الشيخ ابن باديس عند شرحه<sup>(٥٩)</sup> لقوله تعالى:

«وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلِيَّتَنِي أَخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا .. الآيات»  
(سورة الفرقان ...)

يقول : كما أن علينا أن نتبع سبيل الرسول عليه الصلاة والسلام التي جاء بها من عند الله تعالى وهي الإسلام - كذلك علينا أن نتبع سبيله في القيام بشرائع الإسلام علماً وعملاً في أبواب العبادات، وأحكام المعاملات، وفي تطبيق أصول الإسلام وفروعه على الحياة الخاصة والعامة، وهذه هي سنته التي كان عليها، وكان عليها أصحابه وأهل القرن الثاني من التابعين وأهل القرن الثالث من أتباع التابعين، تلك القرون المشهود لها

(٥٨) الرسالة رقم ٢٧ المرجع السابق.

(٥٩) يلاحظ أن تفسير ابن باديس للقرآن كان في أصله دروساً ألقاها في الجامع الأخضر بقسنطينة بالجزائر.

بالخيرية على غيرها بلسان المعصوم. وكما أن من عدل عن الإسلام ولم يسلك سبيله وقع في ضلال الكفر - كذلك من لم يتخذ مع الرسول سبيل الإسلام يندم أشد الندم ويتحسر أعظم الحسرة على ما كان عن تفريطه، كذلك من لم يتخذ مع الرسول سبيل السنة إذ كل منهما قد ظلم نفسه وفرط في سبيل نجاته، فالآية وإن كانت في الكافر والمشرك فهي تتناول بطريق الاعتبار أهل الأهواء والبدع .

ويقول عند شرحه الآية:

« وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيًا وَهُوَ مُؤْمِنٌ » (الاسراء : ١٩)

يقول: من الناس من يخترع أعمالاً من عند نفسه ويتقرب بها إلى الله مثلما اخترع المشركون عندها الأوثان بدعائها والذبح عبادة والخضوع لديها وانتظار قضاء الحوائج منها، وهم يعلمون أنها مخلوقة لله مملوكة له، وإنما يعبدونها كما قالوا لتقربهم إلى الله زلفى، وكما اخترع طوائف من المسلمين الرقص والزمر والطواف حول القبور والندرها والذبح عندها ونداء أصحابها وتقبييل أحجارها ونصب التوابيت عليها وحرق البخور عندها وصب العطور عليها، فكل هذه الاختراعات فاسدة في نفسها، لأنها ليست من سمي الآخرة الذى كان يسعاه محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه من بعده - فساعيتها موزور غير مشكور.

ويقول عند شرحه لقوله تعالى:

« وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا » (الاسراء : ٣٦)

يقول: إن أدلة العقائد مبسطة كلها في القرآن العظيم بغاية البيان ونهاية التيسير وأدلة الأحكام وأصولها مذكورة كلها فيه، وبيانها وتفصيلها في سنة النبي صلى الله عليه وسلم الذى أرسل ليبين للناس ما نزل إليهم، فحق على أهل العلم أن يقوموا بتعليم العامة لعقائدها الدينية وأدلة تلك العقائد من القرآن العظيم. إذ يجب على كل مكلف أن يكون في كل عقيدة من عقائده الدينية على علم. ولن يجد العامي الأدلة لعقائده سهلة قريبة إلا في كتاب الله فهو الذى يجب على أهل العلم أن يرجعوا في تعليم العقائد

المسلمين إليه. أما الإعراض عن أدلة القرآن والذهاب مع أدلة المتكلمين الصعبة ذات العبارات الاصطلاحية فإنه من الهجر لكتاب الله وتصعيب طريق العلم إلى عباده وهم في أشد الحاجة إليه. وقد كان من نتيجة هذا ما نراه في عامة المسلمين من الجهل بعقائد الإسلام وحقائقه.

ومما ينبغي لأهل العلم أيضا - إذا أفتوا أو أرشدوا - أن يذكروا أدلة القرآن والسنة لفتاويهم ومواعظهم ليقربوا المسلمين إلى أصل دينهم، ويذيقوهم حلاوته ويعرفوهم منزلته، ويجعلوه منهم دائما على ذكر، وينيلوهم العلم والحكمة من قريب، ويكون لفتاواهم ومواعظهم (رسوخ في القلوب وأثر في النفوس، فإلى القرآن والسنة أيها العلماء إن كنتم للخير تريدون) (٦٠).

ومن الغريب - إلى جانب هذه النصوص التي تبين الاتفاق في الموضوع والمنهج والأسلوب بين الحركتين - أن أول جريدة أنشأها ابن باديس كان اسمها (المنتقد). وكانت جريدة تكاد تكون متخصصة في (انتقاد) الصوفية، وقد أوقفتها فرنسا عام ١٩٢٥م بعد ثمانية عشر عددا من صدورها، فجعلتها جريدة «الشهاب».. فلما قامت الجمعية رسميا سنة (١٩٣١م) (١٣٤٩هـ) كان أول جريدة أصدرتها هي «السنة المحمدية» سنة (١٩٣٣م) (١٣٥١هـ) ثم تلتها جريدة «الشرعية المطهرة» بعد أن أغلقت فرنسا الجريدة الأولى، ثم «الصراط السوي» ثم «البصائر».

أفلا تؤكد هذه الجرائد والمجلات - حتى من مجرد عناوينها - ذلك الاتفاق في «الموضوع» على الأقل !!

أما من ناحية «المنهج والأسلوب» فنستطيع أن نلخصه في جملة واحدة... إنه «المنهج القرآني».

فإن ابن باديس كان على منهج الإمام محمد بن عبد الوهاب - يؤمن إيمانا لا حدود له بدور القرآن الكريم في تكوين الجيل المنشود على غرار الجيل الذي كونه القرآن في العصور الأولى للإسلام، يقول ابن باديس في مجلة الشهاب: «فإننا نربي - والحمد لله -

(٦٠) راجع: آثار ابن باديس لمؤلفه د/عمار الطالبي ٢، ١.



تلامذتنا على القرآن ونوجه نفوسهم إلى القرآن من أول يوم، وفي كل يوم، وغايتنا التي ستتحقق أن يكون القرآن منهم رجالا كرجال سلفهم، وعلى هؤلاء الرجال القرآنيين تعلق هذه الأمة أمانها. وفي سبيل تكوينهم تلتقي جهودنا وجهودها».

أما كيفية تثقيف هذا الجيل القائد فيشرحها الشيخ الابراهيمي بقوله: «كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وابن باديس في اجتماعنا - بالمدينة المنورة - في تربية النشء هي ألا نتوسع له في العلم، وإنما نربيه على فكرة صحيحة، ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعددناه من تلامذتنا»<sup>(٦١)</sup>.

وبعد:

فإني أعتقد أنني قدمت بين يدي «قضية عادلة» أدلة كثيرة، قد تكون في غنى عنها، لكنني قدمتها خضوعاً للمنهج العلمي الذي نتعامل به مع الآخرين.

أما يقيني - الذي أومن به - فهو أن الحضارة الإسلامية - كل لا يتجزأ، حتى وان اختلفت ألوانها وظلالها. وبالتالي.. فإن موجاتها الموجبة والسالبة تتحرك وتتفاعل متبادلة التأثير والتأثر، متخطية - في الوقت نفسه - كل حواجز السياسة وكل ضغوط الواقع، وكل الأسوار المصطنعة الطارئة.

إنها حضارة «واحدة» تستمد من عقيدة «التوحيد» كيانها الواحد المتعدد العطاء..

وهذا ما أومن به !!

«الرَّ تَرَكَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ»<sup>(٦٢)</sup>

صدق الله العظيم.

(٦١) نقلا عن تركي رابع: الأصالة ٢٤.

(٦٢) سورة ابراهيم - ٢٤، ٢٥.